بين يدي الكتاب

« ضروب النقود ـ جمع نقد ـ كثيرة ، ولا سيما على من ألف كتاباً ، وان قال صواباً ، فقد ثبت عن السلف الصالح أن من صنف ، فقد جعل نفسه في أفواه الناس ، وتصدر للكلام فيه والملام ، فانه ان أحسن قلما خلا من حسد الحاسد ، وعناد المعاند ، وان قصَّر فقد استهدف لرشق سهام الناقد ، وتعرض للتقول عليه بالغرض المتباعد .

وكم من عائب قولا صحيحا　　وآفته من الفهم السقيم

وكل أحد يجزى ـ لا محالة ـ بعمله ، فطوبى لمن كان الخير من أمله ، وفقنا الله لما فيه رضاه ، ولا جعلنا ممن صرفه عن الحق هواه » .

أبو الحسن علي بن أبي محمد
عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي النباهي
«قاض أديب مؤرخ أندلسى ٧١٣ ـ ٧٩٢ هـ»

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين قدراً ومقاماً سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد .. فهذا كتاب « تاريخ مدينة جُدَّة » يبرز اليوم لقرائه ، في حُلَّته هذه القشيبة ، في طبعته الثانية : هذه .. التى تتم بعد مرور سبعة عشر عاماً على طبعته الأولى . وكانت نُسَخُهَا قد نفِدت من الأسواق ، وتتابع الطلب المُلِحُ من الداخل ومن الخارج معاً للحصول عليها بدون جدوى . فأزمعتُ ـ بناء على رغبة الكثيرين أن أعيد نشره وهكذا أنجزت هذه الطبعة الثانية له ، بعد أن أجريت تعديلات وتنقيحات على بعض مواده من جديد ، حسب ما جرت عليه عادة المؤلفين اذا أعادوا نشر كتبهم .

ومن لطيف المصادفات أن الطبعة الأولى لهذا المجلد بالذات تمت في مطابع بمدينة جُدة سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م وهي : مطابع محمد حسين أصفهاني وشركائه . وقد أُخرِج الكتاب للناس حينئذ اخراجاً جيداً ، وكان كثير من الصور المنشورة به ملونة ، ومثل ذلك خرائطه .

وها هو ذا الآن ـ في سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ يصدر في مطابع الروضة ، بجُدة أيضاً التى يديرها عبد الله باعكضه زميل الطابع الأول .. في ممارسة فنّ الطباعة الحديثة بهذه البلاد . ونأمل أن يلمس القراء في هذه الطبعة الجديدة صورة مما حَظي به فنُ الطباعة لدينا بعد تلك الفترة . أي بعد سبعة عشر عاماً حدث فيها تَطور مرموق في مرافِقَ كثيرة هنا وهناك .

وجدير بالذكر أنى قد رأيت بمناسبة التطور العمراني والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي الكبير بجُدة أن أجعل كتاب « تاريخ مدينة جدة هذا » مُقَسَّماً الى جزءين : الجزء الأول هو هذا الذى بين يديك الآن ، والذى سبق له أن نشر في سنة ١٣٨٣ هـ .. وقد أضفت اليه ، بعض التعديلات ، التى تشمل الحذف والاثبات والزيادات الضرورية .

والجزء الثاني منه هو قيد التأليف . وآمل بتوفيق الله ومعونته عز وجل أن يتبع صدورُه صدور الجزء الأول ، عقب الفراغ من طبع هذا الجزء الأول ، مباشرة ، فان الاهتمام بذلك بالنسبة لكاتب هذه السطور هو في القِمَّة . وتوفيق الله جل وعلا كفيل بتحقيق الآمال .

○ ○ ○

ولنا بالمناسبة القائمة أن نشيد بحقيقة ملموسة ، تتمثل في أن شيئاً كبيراً بالغ الأهمية من التطور الحميد والتقدم العمراني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والاعلامي والفكري والأدبي قد حدث لمدينة جدة في ظلال السبعة عشر عاماً السابق ذكرها ، وهي الأعوام التالية لعام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م وذلك حتى العام الحالى : ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م .. وهذا التقدم الضخم الملموس قد تناول كل شيء في جُدة في معالمها وأعمالها ، وسائر أوضاعها وأحوالها .. وهو حَرِي بالتسجيل والاشادة على غرار ما قام وما يقوم به « مكتب المعلومات والتوثيق والميكروفيلم » الذى قامت رئاسة بلدية جُدة في الآونة الأخيرة بتأسيسه بِجُدة ، ليقوم بمهمة التعريف بما قطعته هذه المدينة من مراحل التطور الحضاري في مختلف الشؤون والسمات .

وقد سجل هذا المكتب في ألواح فنية رائعة ، وفي كتابات معبرة ، وحسن تنسيق حديث ، أشكالا حضارية في جُدة من الصور الجُدية مما يجعل أغلب التطورات الحديثة التى تحققت لمدينة جُدة للمشاهد المستطلع على طرف الثمام .. مما يُكَوّن من هذا المكتب « متحفاً » فنياً حيوياً حافلا بمظاهر التقدم التى أضفيت على مدينة جُدة في الآونة الأخيرة .

واذا أردنا أن نؤرخ بدقة ، أوليّةَ هذا التطور الحافل . فاننا سنجد مادة خيوطه الأولى المثلى من نسج يد « الفيصل » العظيم ، عليه شآبيب الرحمة والرضوان ، وسنجد أن أعوام حُكمِه السعيد السَّديد قد أتقنت صنع هذا النسج البهيّ وأحكمته ، كما أنها خططت لتقدمه المطرد في المستقبل القريب والبعيد تخطيطاً سليماً قيماً ، محكما قويما .. ولما جاء عهد خليفته أخيه الملك خالد بن عبد العزيز المفدى ، وسمو ولي عهده الأمين، الأمير فهد بن عبد العزيز وجدنا خيوط هذا التقدم تزدهر وتزداد متانة وقوة ولمعاناً ، واذا بها تحيط احاطة السوار بالمعصم ـ التطور الشامل الكبير الذى بني على أساس مدعوم بالتخطيط وبالاخلاص والجد والعزم في ممارسة أسباب التطور ومهام الأمور ، ومتابعة المسيرة الظافرة صوب الأمام على الدوام .

وكان من حسن حظ مدينة جُدة بالذات أن عناية أولى الأمر قد لاحظتها منذ بداية عهد الحكومة السعودية ، منذ حياة المغفور له مؤسسها وموحد شملها : الملك البطل عبد العزيز آل سعود .

وهكذا ساعفت جُدةَ رياحُ الاقبال والعناية المواتية منذ البداية ، وآزرتها على احراز هذا التطور المتتابع المستمر تدريجياً ، فاندفاعاً حماسياً بعدئذ من أجل احرازها أكبر نصيب من التقدم الحافل ، خلال المدة التى تناهز الخمسين من السنين .

ويلوح أن تطور جدة الحالى في السبع عشرة سنة الأخيرة قد فاق التصور وكان شاملا وحثيثاً حتى أن الكثيرين ممن غادروها قبل بضع سنوات ثم عادوا اليها بِأَخرة قد راعهم اكتظاظها بالسكان واستفحال عمرانها ، وتوسعها الرائع ، وعظمة ازدهارها ، وامعانها في

اتخاذ أسباب الحضارة الحديثة الملائمة في كل مرافقها ، ولا غرو اذن أن يداخل أولئك شيء كبير من الاعجاب بما بلغت اليه ، وأخيراً تحقق لديهم ولدى كل الناس استحقاقها الفعلي للقب « عروس البحر الأحمر » .

وقد تمكنت بلدية جدة خلال عشر السنين الأخيرة التى زاملت رئاسة الدكتور المهندس محمد سعيد فارسي لبلدية جُدة من تحقيق الشيء الوفير من الاصلاحات والتنظيمات المرموقة التى رفعتها الى مستوى المدن الساحلية الحديثة . اننا نسجل هذه الحقيقة للتاريخ وللتاريخ وحده ، فلقد توسعت مدينة جُدة توسعاً عمرانياً عظيماً ، ورافق هذا التوسع تنظيم دقيق جميل وتجميل عظيم ، وميادين مطوقة بأفنان الجمال ، من حدائق وأشجار وعمارات ودارات ونافورات ومجسمات وغيرها وغيرها .

○ ○ ○

وبعد فان مدينة جدة اليوم هي « مدائن في مدينة » كلها تموج بأسباب الحضارة والجمال الشائق الجذاب والرفاهية والاشراق والازدهار .. وناهيك بمشروع « الجسور » المعلقة التى تطوق بقلائدها المتألقة شوارع جُدة ، في نواح منها عديدة ، فصارت بمثابة « الشرايين » التى مهمتها أن توصل المنفصل من الأحياء والشوارع والجهات المتباعدة بفنية هندسية ممتازة بهية تزيد من رونق الشوارع وتحبوها جمالا الى جمال ، بامتداداتها المنسقة في الكثير من مواقعها .. حيث أزاحت هذه الجسور المنسقة عن صدور المشاة وممتطي السيارات معاً ـ عناء الازدحام المزعج الكارب لهم ، وذلك أثناء مرور السيارات المستعجلة والمتأنية من فوق متونها الملس الواسعة المحدودبة الى مختلف الجهات ، لمختلف الشؤون والمطالب والرغبات ؟

(جدة) عبد القدوس الأنصاري

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فهذا كتاب (تاريخ مدينة جُدة) قمت بتأليفه ، وعانيت في استنباط بحوثه واستقراء حقائقه ، رجاء أن يكون أول تاريخ من نوعه ، شامل لما تفرق بين ثنايا الكتب العربية والتركية والغربية ، عن مدينة جُدة عبر التاريخ ، وقد أقدمت على هذا التأليف ، وأنا عليم بما سيتحمله من يعنى بمثل هذه البحوث ، من متاعب الاستقراء ومعاناة الدراسة والاستنتاج ، وربط حلقات التاريخ المفقودة أو شبه المفقودة أو المبعثرة الى بعض . هذا الى ما يتطلبه الموقف من حسن العرض ، وجمال الأسلوب ، ووضوحه ، وبناء هيكل الكتاب ، بشكل منسق جذاب .

○ ○ ○

والباحث يجد أن مكة المكرمة والمدينة المنورة : المدينتين اللتين تعتبر جُدة بابهما الذهبي ـ قد لقيتا عناية متتابعة من المؤلفين وأصحاب الرحلات قديماً وحديثاً ، فدونت معالم تاريخهما في قديم وحديث . أما جُدة فلم تحظ بشيء ذي بال من هذه العناية ، لا قديماً ولا حديثاً ، ولعل ذلك يعود أكثره الى اكتفاء الباحثين بالكتابة عن البلدين المقدسين العظيمين ، باعتبار أنهما الأساس والهدف والغاية . وقد رأينا أن جل ما كتب عن جُدة ، هو اما نتف مبعثرة في كتب التاريخ ، أو كلمات موجزة عابرة في كتب الرحلات ، أو فصول مقتضبة في كتب الجغرافية . وقل أن يفرد لها كتاب خاص ، واذا أفرد لها ، فتجده محشواً بالفضائل والمناقب ، وشيء قليل لا يسمن ولا يغنى ، من ذكر حوادث وأنباء تافهة غير مجدية ولا متسلسلة ولا منسقة العرض ، ولا شاملة للتاريخ المنشود ..

ولهذه الأسباب كان خوض غمار التأليف عن جُدة ، أمراً يقتضي جلداً وجهداً شاقاً ودقة ملاحظة في استخلاص جوهر التاريخ من خلال هذه الأكوام المتراكمة ، من المؤلفات المتناثرة .. يضاف الى ذلك ضرورة اتخاذ طريقة التمحيص العلمي فيما يروى من أنباء وأحداث وآراء ، واضفاء نظرات وملاحظات علمية دقيقة مستوعبة على ما يعرض من شتى الموضوعات .. باعتبار أن كثيراً من حوادث تاريخ هذا البلد الخاصة هي متأثرة أو مؤثرة من قريب أو من بعيد بالأحوال الداخلية للأقليم الذى يقع فيه ، ولما هو خارج عن هذا الأقليم ، مما يؤثر أو يتأثر بأوضاع هذا الاقليم .

وقد اهتممت باتباع هذا المسلك العلمي ، فناقشت من الآراء والحوادث ما رأيت ضرورة مناقشته ، سواء في ذلك ما كان من أقوال المؤرخين ، أم الجغرافيين ، أم اللغويين ..

وأبديت ما ظهر لى ترجيحه والأخذ به . وذلك بعد استعراضى لمختلف الآراء والنظريات والأقوال في المسألة .

واتبعت طريقة ايراد المراجع والمصادر في هوامش الصفحات ، موضحاً في أغلب الأحيان اسم المؤلف والصفحة وطبعة المصدر الذى استقيت منه ، ان كان مطبوعاً ، وبلد المطبعة ، وتاريخ الطبع . واذا كان المرجع مخطوطاً ذكرت ذلك مع بيان صفحته وتاريخ كتابته ومكان وجود هذه النسخة ، ليسهل الرجوع اليها ، واذا كان المصدر شخصاً فانى أنتقى « الموثوق بهم » من الأشخاص ، وأسند اليهم ما رووه لى . واذا كان المرجع يعود الى تتبعى الشخصى ذكرت ذلك . ولا يخفى ما في هذا السبيل من أداء الأمانة العلمية .

ولم أكتف فيما استندت اليه من المصادر ، بالمصادر العربية وحدها . فبحر العلم متمدد ومتسع ، والحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها أنى وجدها . ولذلك أدخلت في دائرة المراجع ما كتب باللغة التركية ، لأن الدولة العثمانية (التركية) كان لها شأن كبير في أمد مديد من الزمن بهذه البلاد . كما أدخلت في اطارها المراجع الغربية ، من مؤلفات ورحلات مستشرقين ورحالين غربيين وغيرهم ، ومن دوائر معارف وغيرها . فكثير من الغربيين ألفوا عن قطر الحجاز ، واختصوا جُدة بما اختصوها به من فصول في كتبهم ورحلاتهم ، ودوائر معارفهم . وكان ذلك منهم لأسباب عدة أهمها أن مدينة جُدة (باب) الحرمين الشريفين ، ولكونها مركزاً من مراكز التجارة العالمية ، ومركزاً استراتيجياً مهماً . ومع ذلك لم آخذ كل أقوال هؤلاء على عواهنها فقد سَلكتُ نفس طريقي ، معهم ، فى مناقشة ما أرى حاجته الى المناقشة من أقوالهم وآرائهم التى تحتوى فيما تحتوى على الجيد القيم ، والغث التافه ، والخطأ المتعمد وغير المتعمد ، وهدفنا من وراء ذلك كله استخلاص تاريخ أقرب الى الحقيقة لهذا البلد العريق المعلوم المجهول ، بقدر ما لدينا من امكانات .

وكان رئيس بلدية جدة المنتدب الأستاذ عبد الله القصبي قد أبدى لى رغبته في أن أقوم بتأليف هذا السِفرِ عن جُدة باسم بلديتها . وقد رأيت الاستجابة لرغبته ، مساهمة في الحركة الثقافية ، وتنويراً للأذهان ، بتدوين تاريخ بلد عريق .

○ ○ ○

والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ولذلك فلا بد ، في هذا الموقف ، من تقديم عاطر الشكر وطيب الثناء ، الى جميع من آزروني في هذا المشروع ، اما بما أمدوني به من معلومات أو مراجع أو صور نادرة .. وفي طليعة هؤلاء فضيلة الشيخ محمد بن حسين نصيف (رحمه الله تعالى) الذى تفضل باعارتى نفائس المصادر من مكتبته العامرة بجُدة ، وزاد على ذلك طاقات قيمة من معلومات عن تاريخ جُدة تختزنها ذاكرته اللماحة ، والشيخ أحمد محمد صالح باعشن أطال الله عمره ، بما زودني به من معلومات وبما

أتحفني به من « المذكرات الخطية » لوالده المرحوم وبما ساعد به من رسوم وغير ذلك ، والشيخ محمد العوضي بما أتحفني به من معلومات قيمة عن شؤون الاقتصاد في جُدة . وفضيلة السيد محمود أحمد بالمدينة المنورة رحمه الله .. فقد ترجم لى من كتاب « مرآة الحرمين » التركي لأيوب صبري باشا ، فصلا مسهبا بلغة عربية رصينة ، كما ترجم لى فصلا آخر مطولا من كتاب (حجاز ولايتى سالنامه سى) التركي الى اللغة العربية ، ثم آخرون قدموا مساعدات أدبية جمة ، وآخرون غيرهم عبروا عن شعورهم الطيب نحو الكتاب بما بعثوا به الي من رسائلهم التشجيعية الكريمة أو بما نشروه في صحف محلية شهرية وأسبوعية ويومية . وشيء آخر غير كل ما أشدت به آنفاً لا بد لى من التنويه به هنا فان روح التشجيع التى لمستها لدى أكابر المواطنين بجُدة وبعض المستشرقين والمعنيين بشؤون هذا البلد وتساؤلهم عن المدة اللازمة لانجاز طبع الكتاب كلما جمعتنا مناسبة ، هو أيضاً له مجاله في تقدير شعورهم الطيب نحو هذا الكتاب .

○ ○ ○

هذا واني لأرجو من الباريء جل وعلا أن أكون قد وفقت من لدنه الى تجلية معالم تاريخ هذه البلدة على نحو علمي متزن مقبول ننشد الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، ولا يبتغي سواها أيا كان هذا السوى . فالبحث التاريخي الحق الخالد هو ما كان صورة طبق الأصل لوقائع التاريخ وحوادثه وأنبائه بقدر الامكان وبدون مجاملة أو تحامل .

واذا لاحظ القاريء خطأ أو سهواً في الكتاب فاني أستمحيه العفو ، فجل من لا يسهو ولا ينسى ، والكمال لله وحده ، والعصمة للأنبياء .. ومجال العذر واسع فيما يوجد في الكتاب من خطأ أو سهو أو قصور ، خاصة اذا أدرك القاريء المنصف المستنير وعورة الطريق .. وأن هذا التصنيف شق فيه المؤلف طريقه 'أنُفاً(١) من غير أن يجد أمامه أحداً من الرواد والمرشدين الذين يكونون قد شقوا هذا الطريق الوعر سلفاً .

(١) انفا : بضم الهمزة والنون أي ابتداء .

الوَضع الجغرافي
لمدينة جُدة



جاء في كتـــاب « أحسن التقاسيم في معرفـــة الأقاليم » لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسى المعروف بالبشاري أن « جُدة مدينة على البحر »(١) .

وجاء في « معجم ما استعجم » أن جُدة ساحل مكة معروفة سميت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجدة من البحر والنهر ما ولى البحر(٢) وأنها تحد جزيرة العرب غرباً(٣) .

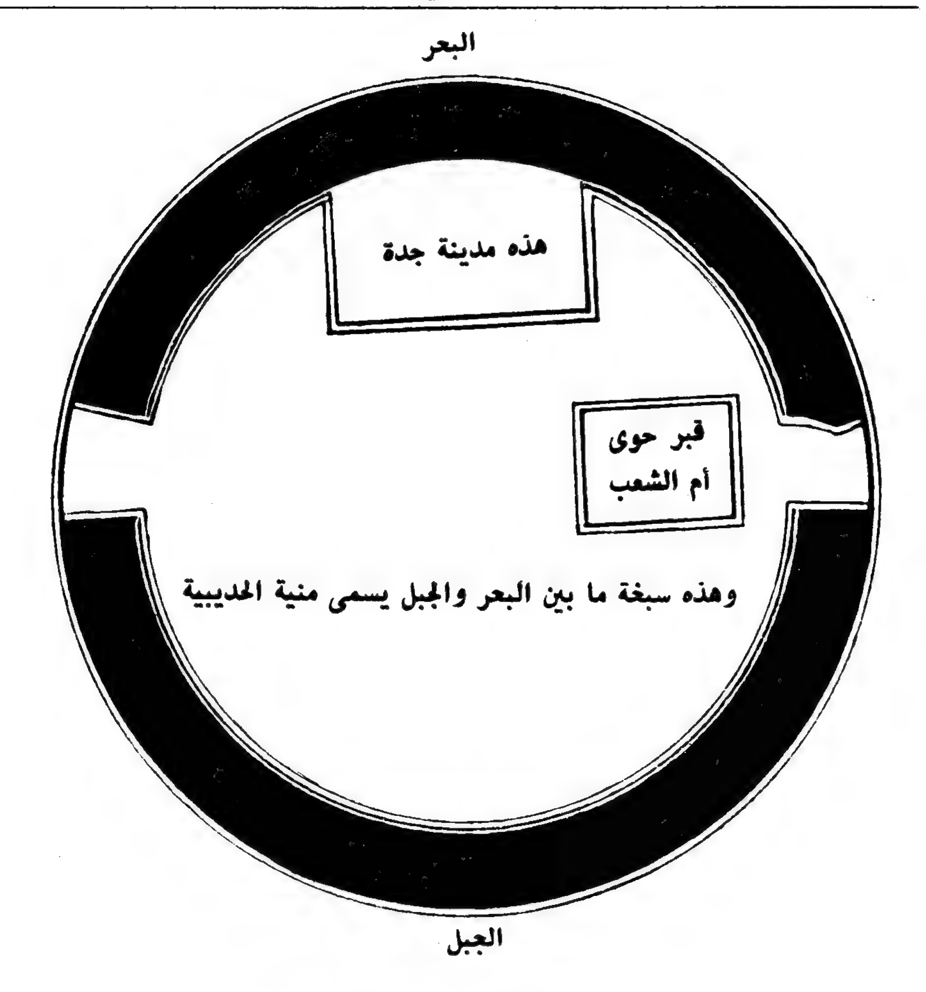
وجاء في « تاريـــخ المستبصر » لجمـــال الدين أبى الفتـــح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي أن « جُدة بنيت على البحر »(٤) .

وقد رسم هذا المؤلف خريطة ساذجة لجُدة ضمن كتابه وجعلها بشكل مستدير ، وقد وضع الناحية الغربية من المدينة في المكان الذى توضع فيه الناحية الشمالية بالنسبة للخرائط الحديثة .. كما وضع الناحيـــة الشرقية منها في المكان الذى تكون فيه حديثاً بناحية الجنوب ، والناحية الشماليـــة في موضع ناحيـــة الشرق ، والجنوبيـــة في مكان الغربيـــة .. بالنسبة للخرائط العصرية .

وبعد هذا التعريف الوجيز بخريطة ابن المجاور نقول : اننا لم نعثر على خريطة خاصة بمدينة جُدة مثلها وفي تاريخ وضعها أو أقدم منها ، وهي وان لم تكن فيها المعالم الكافية للمدينة في عهد المؤلف الا أنها بحسبها أنها أعطتنا صورة تقريبية لوضع جُدة ابان رسم المؤلف لها في القرن الهجري السابع .

---

(١) محمد البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٧٩ طبعة ليدن بهولندا سنة ١٩٠٩م .
(٢) عبد الله بن عبد العزيز البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ص٣٧١ الجزء الثاني .
(٣) نفس المصدر ج١ ص٦ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بمصر .
(٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص٤٣ طبعة ليدن سنة ١٩٥١ م .



خريطة جدة لابن المجاور في القرن الهجري السابع

وترى جدة فيها لاصقة بالبحر كما هو الحال الآن، ومساحتها محدودة غير ممدودة في الأرض الفيحاء التى تقع في منطقتها . وقد لاحظنا أن المؤلف عني باثبات أمرين :

أحدهما القبر المزعوم أنه لحواء أم البشر ، والمؤلف يعتقد آنه حقيقي ، ويبدو من منظر الرسم أنه كان خارج البلد يومئذ ، بعيداً

عن العُمران ، بعض الشيء ، مما يفهمنا مقدار ضآلة حجم المدينة وقتئذ .

والأمر الثاني الذى عني باثباته راسم الخريطة الأثرية هو هذه السبخة التى تقع بين البحر والجبال ، وقد سماها باسم « منية الحديبية » وهذا الاسم غريب على أماكن الحجاز ويبدو أنه وفد الى هذا المكان من القطر المصري ، لأن « المنية » ـ بكسر الميم وسكون النون بعدها ياء مثناة مفتوحة فهاء تأنيث ـ هي من أسماء الأماكن بمصر خاصة ، ومنها « منية ابن الخصيب » وغيرها ، على أن هذه التسمية قد اندثرت فيما يبدو .

وجاء أحمد بن علي الفزارى القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ(١) فوصف لنا في كتابه : «صبح الأعشى» ـ جُدة وعدها من قرى مكة ، قال: « جُدة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء وهي فرضة مكة على ساحل بحر القلزم « البحر الأحمر » وموقعها في أول الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة وهي في الغرب عن مكة بميلة الى الشمال ، قال في (الأطوال): طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها احدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وقال في (رسم المعمور) : طولها ٦٥ درجة و٣٠ دقيقة وعرضها ما تقدم ، وهي ميناء عظيمة محل حط واقلاع . اليها تنتهي المراكب من مصر واليمن وغيرهما ومنها تصدر . قال في تقويم البلدان : وهي من مكة على مرحلتين ، وقال الادريسى : « بينهما أربعون ميلا وهي ميقات من قطع البحر من جهة عيذاب اليها »(٢) .

ويقول بوركهارت : « ان جُدة تنقسم الى قسمين جزء عال من الأرض وجزء واطيء ويبلغ طول هذه المساحة « ١٥٠٠ » متر والعرض أقل من ذلك وهي محاطة بسور كبير في حالة سيئة ، يحتاج الى اصلاح وهو غير

(١) خير الدين الزركلي : الاعلام ج١ ص١٧٢ الطبعة الثانية بمصر .
(٢) صبح الأعشى ص٢٥٨ ج٤ طبعة مصر .

قوي ويعتبر كدفاع عن جُدة بالنسبة للوهابيين . وقد بناه السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٧هـ ضد البرتغال وفيه بين كل ٥٠ ياردة ، مدفع صدىء على برج » .

وفي « دائرة المعارف » لبطرس البستاني أنها بلدة من الحجاز في بلاد العرب على البحر الأحمر على بعد ٥٦ كيلو متراً من مكة وفي عرض ٢٨ و٢١ شمالا وطول ١٣ و٣٩ شرقاً وقال : انها مبنية على حافة البحر في صحراء مجدبة ، وعلى بعد نحو عشرة أميال منها الى الوراء سلسلة تلال منخفضة خالية من الشجر والنبات ويحيط بها أسوار يتخللها أبراج حصينة وخندق ، ولها تسعة أبواب ، ستة منها الى جهة البحر ، والبحر هناك آخذ في الابتعاد بالتدريج عن المدينة وذلك من جراء الصخور المتولدة هناك(١) .

ونرى أن في قول البستاني : ان المسافة بين جُدة ومكة هي ستة وخمسون كيلو متراً ، شيئاً من عدم التمحيص فقد ثبت أخيراً أن المسافة بينهما هي ٧٥ كيلو متراً(٢) كما ان في قوله باحاطة خندق بها ، دقة في الوصف ، وهو أمر كان مشاهداً ومعروفاً ، وقد سبق البستانيَّ الى ذكر هذا الخندق ، ابنُ المجاور الدمشقي الذى أورد أنه حينما بناها الفرس حفروا حولها خندقاً من وراء سورها امعاناً في الحياطة(٣) ، وبذلك أعاد التاريخ نفسه .. الا أن الخندق الذى ذكره ابن المجاور كان مملوءاً بماء البحر ، والخندق الأخير كان يابساً ليس به ماء . وقد كان هذا الخندق يابساً ومن وراء السور بقصد زيادة الدفاع عن البلدة في أوائل القرن الهجري الثالث عشر(٤) وتحصينها الأحوط من هجمات الأعداء والسيول. وقد أدرك المعاصرون هذا الخندق اليابس .

(١) المجلد السادس ص٤٠٤ مطبعة المعارف ببيروت سنة ١٣٠١ هـ ـ ١٨٨٣ م .
(٢) كتيب المسافات والطرق . والآن المسافة بينهما بطريق السيارات المختصر هي ٧١ كيلومتراً فقط .
(٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص٤٣ .
(٤) جون لويس بركهارت : السفر الى بلاد العرب باللغة الانكليزية طبع لندن ١٨٢٩م .

وقالت دائرة المعارف البريطانية : « جُدة مدينة في الجزيرة العربية على شاطيء البحر الأحمر بين خطي ٢١/٢٨٠ه شمالا و٣٩ه ٢٠ شرقاً . وأهميتها الرئيسية ترجع الى أنها مرسى مناسب لاستقبال الحجاج الى مكة التى تبعد حوالى ٤٦ ميلا .. وهي تقع في سهل رملى منخفض خلفه سلسلة من التلال طولها ١٠ أميال الى الشرق ، ووراء تلك التلال جبال عالية ، وتمتد المدينة على طول الساحل ، حوالى ميل ، وهي محاطة بسور له أبراج(١) عند المداخل والزوايا في اتجاه البحر تعضدها طابيتان في الشمال من السجن والمباني العامة ، ولها ثلاثة أبواب : باب المدينة شمالا ، وباب مكة شرقاً ، وباب اليمن جنوباً (ونادراً ما يفتح) كما توجد ثلاثة منافذ على الجانب الغربي ويؤدى أوسطها الى الميناء ، وأمام باب مكة ضاحية للنزهة بها دكاكين ومقاه وسوق مزاد علني . ويوجد قبل باب المدينة ثكنات عسكرية تركية، وخلفها المكان المقدس في جُدة : « قبر أمنا حواء » وهو محاط بجبانة خاصة . وأحسن جزء في المدينة هو جهة البحر والمباني مرتفعة ومبنية بناءاً متقناً من الأحجار المرجانية الخشنة التى تظهر على طول الشاطيء ، والشوارع ضيقة ومنحنية ؛ كما يوجد مسجدان في حجم كبير ، وعدد آخر أصغر حجماً . والضواحي الخارجية مجموعات أكواخ مصنوعة من جذوع النخل وسعفه ليس غير . وتمون الأسواق بالمواد الغذائية المجلوبة من طريق البحر ، وبالفواكه والخضراوات من الطائف ووادى فاطمة . أما تموين الماء فمحدود وهو ملح، ويوجد مع ذلك بئران حلوتان و"نبع" يبعد سبعة أميال ونصف الميل عن المدينة . ومعظم البيوت بها صهاريج لتخزين مياه المطر ، والطقس حار ورطب ، ولكن الحمى ليست منتشرة كما هي في مكة . والميناء مضايق للرسو لوجود الصخور المرجانية الكثيرة ، على أنه لا مرافيء أو تسهيلات حوضية أخرى ، لذلك توضع الشحنة في قوارب عربية صغيرة

(١) كانت أطلال هذا السور قائمة سنة ١٧٦٢م عندما زار جدة السائح الدانمركي نيبهور وأعيد بناؤه في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ورمم مراراً . ويذكر لنا الشيخ محمد نصيف أنه كان يحيط به خندق جاف وقد شاهده ثم ردم .

(سنابيك) . والحاكم تركي يقوم مقام والى الحجاز ، كما توجد حامية تركية . وشريف مكة بوساطة وكيله في جدة يمارس سلطة ذات رئاسة عملية تابعة لأوامر السلطان . والقنصليات تابعة لبريطانيا العظمى وفرنسا والنمسا وروسيا وهولندا وبلجيكا وايران(١) .

• • •

ان دائرة المعارف البريطانية فيما نقلناه عنها تتحدث عن جُدة في سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ) وتعطينا الصورة التى كانت عليها اذ ذاك بأمانة علمية ملموسة . الا أننا نستغرب ما أشارت اليه من أن (الحمى لم تكن منتشرة بها كما هي في مكة) فاذا كانت تعنى حمى البرداء ، « الملاريا » فالأمر بالعكس ، فجُدة بها المستنقعات ، وتزيدها الرطوبة بقاءاً واستمراراً وأضرارا صحية . ومن المستنقعات هذه يتوالد بعوض (الأنوفيل) الذى يسبب لسعه حمى البرداء ، كما هو مشاهد قبل عهد مكافحة الملاريا بجُدة ، وان كانت الدائرة تعنى حمى أخرى فذلك مالم تحدده لنا . لقد أطلقت الكلام على عواهنه .

• • •

وفي دائرة المعارف الاسلامية : ــ الترجمة العربية بمصر ــ «ان جُدة فرضة على البحر الأحمر على طول خط ٢١ه ٢٨ ٣٠ شمالا وخط عرض ٣٩ه ١٦ ٤٥ شرقاً ويحيط بها صحراء وقد اشتهرت بوخامة الهواء وقلة الماء ومع ذلك فهي ترجع الى العصر الجاهلى ، وان كان تعوزنا الأدلة الوثيقة المؤيدة لذلك »(٢) .

وفي « مرآة الحرمين » لابراهيم رفعت باشا : « أنها بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وواقعة على الدرجة ٣٦

---

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م مطبعة جامعة كمبردج بانكلترا ج١٥ ص٤١٥ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ص٣٠٩ المجلد السادس .

والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط العرض الشمالية ، ويحيط بهـا سور ذو خمس أضـلاع ، يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة ، وارتفاع السور ٤ أمتار ، وبه تسعة أبواب : ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى، وأول من بناه السلطان الغوري ، وبها حوالى (٣٣٠٠) منزل مبنيـة بالحجر الأبيض المسـتخرج من البحر ، ويتـكون المنزل من طبقتين الى خمس(١) .

وابراهيم رفعت هنا يصف لنا جُدة حين مشاهدته لها . وقد تغيرت معالم كثيرة بها بعد ذلك ، فمثلا بينما يذكر لنا أن بها نحو (٣٣٠٠) منزل ، اذا بها الآن ما يربو على ذلك خمسة أضعاف ، وبينما يذكر أن منازلها مبنية بالحجر الأبيض اذا بها الآن تشاد بالأسمنت المسلح، وبينما يورد لنا أن من المنازل ما هو من طبقتين الى خمس .. اذا بنا نرى اليوم من منازلها ما هو عبارة عن مدينة سكنية صغيرة تصل طبقات بعضها الى عشر طبقات وما فوق .. وما دون .. وبينما يتحـدث لنـا عن سـورها وأبوابه اذا بهذا السور لا وجود له من قبل عدة أعوام .. لقد هـدم وأوصلت المدينة القديمة المحصـورة فيـه بضواحيها من كل جانب .. وبينما يفيدنا بأن راكب الحصان بالسير العادي يقطع جدة في ٤٥ دقيقة اذا بها اليـوم تتمدد حتى تصبح مساحتها نحـو عشرة كيلو مترات من أغلب الجهات .

• • •

ويصف لنا لورانس في كتابه : (الثورة العربية) جُدة « بأنها مدينة غريبة حقاً ، شوارعها أزقة ضيقة وسوقها مسقفة بالخشب وبيوتها مبنية من أربع طبقات أو خمس من الصخور المرجانية» وقال : «انه لم ير بها

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ص٢٢ ج١ طبعة مصر سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م .

زجاجاً ولم يصادف عجلة في طريقه ، لأن الشـوارع ضيقة لا تسـتطيع العجلات أن تمر بها ، ولم يسمع جلبة ، أينما سار ، بل كان كل شيء صامتاً »(١) .

واذا علمنا أن لورانس انما قدم جُدة خلال الحرب العالمية الأولى ، وفي ذروة شبوبها سنة١٩١٦م (١٣٣٥هـ) ـ أدركنا أن له بعض الحق فيما رواه من الصمت السائد في جُدة . أما قوله أنه لم ير زجاجاً ولا عجلة في طريقه ، فيبدو أنه سلك طريقـاً خاصـاً الى منزله قرب البحـر على ما يقال ـ في وقت لا تسير فيه العجلات، مثل «العربات الكارو» . وأية عربات تسير وتحدث ضوضاء ودوياً في ظروف حرب عالمية ضارية أكلت الأخضر واليابس ؟ وماذا تحمل ؟ أمّا الزجاج فموجود في بيوت جـدة القديمة في عهده ومن قبله ولا يزال .

• • •

ويصف عمر رضا كحالة جُدة في كتابه : (جغرافيـة شـبه جزيرة العرب) بأنها « مدينة ساحلية واقعة على الشاطيء الشرقي للبحر الأحمر ويقع مرفؤها في منتصف طول البحر الأحمر تقريباً ، وهو مرفأ مكة ، والمسافة بينهما خمسة وخمسون ميلا . وتقع على الدرجة ٣٦ والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية ، وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط العرض الشمالية . وطبيعـة سـاحلها أنه كله شعاب صخرية تتخللها شعاب مرجانية حمراء وسوداء . وترى على سطح مياهه في كثير من جهاته أوراق نبات مائي شكله أشبه شيء بالبشنين في بحيرات مصر . وهذا النبات لونه أحمر قاتم ، ويوجد بكثرة على شاطيء الخليج العربي، وربما كان له تأثير فيما يعيش في جُدة من الأصداف الحمراء ، ومن الأسماك المرجانية التى توجد فيها بكثرة ولتغذيتها منه . وربما أتت

---

(١) لورانس : الثورة العربية ، لتعريب كامل صمونيل مسيحة ، مطبعة صادر في بيروت ص١٠ .

من ذلك تسميته بالبحر الأحمر ، ويساعد على هذه التسمية ذلك اللون السنجابى الذى يشاهد قبل شروق الشمس فيما يلى الشاطىء من مياه البحر عند انحسار كتلة المياه عنه ، وقت الجَزرِ الذى يحصل فيه يومياً حيث يتراءى لك الشِعَبُ على طول الشاطىء ضارباً في البحر بلونه الأحمر الذى يتشرب بالزرقة شيئاً فشيئاً حتى يتصل بكتلة الماء الكبرى ..

«وقعر البحر هنا ليس ببعيد، وفيه أضلاع مكسوة نباتاً بحرياً متنوع الألوان والأشكال . وهذه الاضلاع ناتئة قريبة من سطح الماء ، فتنعكس مناظرها الى الخارج ، ويزيدها نور الشمس رونقاً واشعاعاً . ولأن ملوحة البحر زائدة تكونت هذه الشعاب الكثيرة فيه ، مما جعل مسالكه خطرة ، وهي تنمو وتعلو حتى تقارب سطح الماء .. ومنها ما يبرز عن سطح الماء فيَكَوّنُ جزيرة . وهذه الشعاب متكونة من أعشاب وحيوانات بحرية من طبقة الاسفنج ، وهي ذات ألوان شتى ، كلها ناصع ، ومنها ما هو أحمر قَانِىء ، وأخضر ناضر ، وأصفر فاقع ، ومنها ما هو دون ذلك . وقد يقتلع الملاحون والغواصون منها أشجاراً تسمى « شجر المرجان » وهي في غاية الجمال ، ومن أبهى ما يوضع في القصور للزينة.

« فهذه الشعاب هي التى تنعكس ألوانها على سطح الماء فتكون أشبه بذيول الطواويس أو بِقِسِيّ السحاب «يعنى قوس قُزح» وهي في الوقت نفسه الأخطار الدائمة على السفن ، والغيلان المتحفزة لابتلاعها » .

ويضيف عمر رضا كحالة : « ان درجة الحرارة العظمى بجُدة تبلغ بمقياس سنتيغراد في شهر آب (أغسطس) «٤١» . ودرجة الحرارة الصغرى في شهر كانون (يناير) «٩» فوق الصفر . وقد وضع لنا في كتابه جدولا شاملا لتبدلات الحرارة بجدة خلال الاثنى عشر شهراً . بمقياس فهرنهيت ، ودرجة الحرارة به تساوى ٩ه من درجة مقياس سنتيغراد ، فآثرنا نقل هذا الجدول . وقد أضَفتُ الى جانب الأسماء الرومية للشهور ، الأسماء الافرنجية :

الشهر الرومي	الشهر الافرنجي	الدرجة العظمى	الدرجة المتوسطة العظمى نهاراً	الدرجة المتوسطة الصغرى ليلا	الدرجة الصغرى
كانون الثاني	(ينـاير)	٨٣	٨٠	٧٢	٦٨
شـباط	(فبراير)	٨٠	٧٨ر٥	٧١	٦٥
آذار	(مارس)	٨٩	٧٩	٧٤	٦٦
نيسـان	(ابريل)	٩٠	٨٥	٧٤	٧٠
ايـار	(مايـو)	٩٩	٨٨	٧٩	٧٢
حـزيران	(يونيو)	٩٩	٩٢	٧٩	٧٤
تمـوز	(يوليو)	٩٧	٩٣	٨٥	٨١
آب	(أغسطس)	٩٧	٩٣	٨٨ر٥	٨٥
أيلـول	(سبتمبر)	٩٦	٩١ر٥	٨٥ر٥	٨٠
تشرين الأول	(اكتوبر)	٩٣	٨٩	٨١	٧٩
تشرين الثاني	(نوفمبر)	٩٢	٨٤	٧٧	٧٢
كانون الأول	(ديسمبر)	٨٤	٧٨ر٥	٧٢	٦٥

ويضيف عمر رضا كحالة الى ذلك قوله : « وليس بجدة نهر ولا عين لشرب السكان ، وبالبيوت صهاريج تملأ بمـاء ينحدر اليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه غير صحية ، ولذا كان الأغنياء يجلبون ماءهم من الآبار البعيدة .

وكانت بها « مُقَطِّرةُ مياه » ـ كنداسة ـ قديمة أبدلتها الحكومة السعودية لما خربت بِمُقَطِّرتينِ .

ويزرع بجدة البطيخ بماء المطر في البراح الفاصل بينها وبين الجبال البعيدة عنها بنحو الساعتين أو الثلاث .

ويبدو لي من الاستقراء والمشاهدة أنه يعني بهذا البراح الذى كان يزرع فيه البطيخ ، احدى ضواحي جـدة الشماليـة المعروفة من قبل كتاب هذا الكتاب باسم «عُنَـكِش» وهو اسم البدوى الذى كان يزرع ما سماه عمر رضا كحالة باسم البطيخ جرياً على اللهجة العامية لمصر ، والذى يعرف في هذه البلاد باسم « الحبحب » وهو اسم عربي فصيح .. يبدو لى أنه يعنى بذلك المكان ، المكان المذكور الذى أصبح أحد أحيـاء

مدينة جدة الشمالية المكتظة بالعمارات والدارات والسكان من أعالي الناس وأواسطهم ، وتقع طريق المدينة في غرب هذا الحي المتمدد الى كل جهة .. وعندما سمت بلدية جدة شوارعها عام ١٣٩٨ هـ سمت هذا الحي الذى أصبح شبه مدينة متسعة ، سمته باسم «مشرفة» . وفي وسطه تقوم دارة مؤلف هذا الكتاب ، وكان قد نزل فيه وهو خال من السكان اللهم الا شخصان كانت لهما دارتان الى شمال دارته بمسافة ، وتجلب الى جُدة الخضراوات من وادى فاطمة .

ووصف عمر رضا كحالة السور ، باحاطته بها . وبأن له خمس أضلع : البرية منها على البر ، وطولها «٥٧٦» متراً ، والبحرية «٦٧٥» متراً ، والشرقية «٥٠٤» متر ، والشرقية الجنوبية «٨١٠» متر ، وارتفاع السور أربعة أمتار ، وبه تسعة أبواب : ستة في الجهة البرية وثلاثة في الجهات الأخرى(١) .

وتختلف سعة شوارع جُدة ، من ثمانية أمتار الى خمسة عشر متراً ، وحاراتها ضيقة وغير منتظمة ، وأبنيتها مبنية بالحجر الجبلى الذى يأتون به من الجبال القريبة ، أو الحجر المائي الذى يقطعونه من شعاب البحر ، وهو خفيف جداً وفي غاية المتانة ويكمن فيه خطر قبول الالتهاب لما يحويه من المادة الفصفورية » .

وقال : « ان مساكنها كمساكن مكة والمدينة ، يتكون المنزل من طبقتين الى خمس وتوضع الشرفات في الجهات الأمامية للمساكن ، وتُصنع رواشينها المزخرفة من الخشب الهندي الأحمر المخروط ..

(١) كانت أبواب جدة هكذا : باب مكة في الجهة الشرقية ، وكان محصناً ، وباب المدينة الذى هو باب جديد شمال جدة ، وباب شريف جنوب جدة ، وباب الصبة ، لأنه كانت تصب فيه الحبوب بجهة الغرب ، وباب صريف بضم الصاد وهو الواقع في محل مقهى المنتزه بجانب البحر الى الشمال الغربي ، وباب المغاربة غرب جدة ، وباب النافعة في شارع الملك عبد العزيز ، ويقع بجانب مكتب الحريجي الذى هو الآن من أملاك العين العزيزية في موقع قريب من الجمرك القديم .. وقد ازيلت كل هذه الأبواب بازالة السور الذى كانت تقع فيه .. وكانت الحكومة السعودية في بدء عهدها فتحت باباً للسيارات بجانب باب جديد .

« وكانت « جُدة » في القرن الماضي مركزاً تجارياً عالمياً تجلب اليه البضائع من الهند وغيرها ، ومنها توزع الى بلاد العرب ومصر والسودان ..

« وهي المرفأ الأكبر للحجاز ، فمنها صادراته واليها وارداته . وضعف مركزها بعد فتح قناة السويس ومرفأ بورسودان ، وأصبح المرفأ الأول في البحر الأحمر » .

وذكر أنه « يحيط بجدة قرى صغيرة في الجنوب والشمال أكثرها مؤلف من بيوت صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو والزنوج والجمَّالة » — أي أصحاب الجمال من البادية .

هذا وان كل ما أشار اليه عمر رضا كحالة عن جدة كان في عهد تأليفه لكتابه ، وهو سنة١٣٦٤هـ ١٩٤٤م . وكما أشرنا اليه فيما مضى قريباً فان أكثر المعالم قد تغيرت بل تطورت ، حتى ان مركز جدة التجاري العالمي قد عاد اليها شيء منه في الوقت الحاضر ، بدليل عشرات الشركات الأجنبية والوطنية التي أسست فيها ، وبدليل وارداتها السنوية البحرية الضخمة وصادراتها الضخمة أيضاً ، ولم تعد بورسودان الآن هي المرفأ الأول في البحر الأحمر على الاطلاق ، فقد نهدت جدة الى منافستها على هذا اللقب .. وأعتقد انه اذا سارت الأمور على ما نشاهد ، فعما قريب ستنتزع منها صولجان هذا اللقب ، والتاريخ يعيد نفسه بأشكال وألوان . وقد حدث هذا فعلا في الثمانينات من القرن الهجري الرابع عشر كما هو ملموس .

• • •

ولكننا نعقب على المؤلف في قوله : ان أبنية جدة في عهده — كانت مبنية بالحجر الجبلي الذى يأتون به من الجبال القريبة ، فما شاهدتُ فيها بيتاً مبنياً بهذا الحجر الأسود ، وكل ما رأيته من بيوتها قبل عهد

التطور الحالى هو مشيد بالصخور الرملية التى تستخرج من باطن أرضها وتُشَذَّبُ وتُنحَتُ ويُبنَى بها ، وتُسَمَّى في عرف أهل جدة : « الحجر المنقبي » لأنه ينقب عنه . ويبنى بالحجر المائي نادراً . أما الحجر الأسود فلم يبن به سوى محل أرضى واحد في برحة عاشور بمحلة اليمن(١) .

• • •

ويتفق عمر رضا كحالة مع دائرة المعارف البريطانية في « عالمية » ميناء جدة قبل فتح قناة السويس ، وانه كان منها توزيع البضائع الصادرة من الهند وغيرها الى بلاد العرب ومصر والسودان .

ونضيف الى هذه الصورة التاريخية والجغرافية التى أعطانا اياها المؤرخون والجغرافيون عن جُدة القديمة ـ أن البحر كان وما برح يلامس الشارع المعروف اليوم بشارع الملك عبد العزيز في ناحيته الغربية الموالية للبحر ، وأنه كان هناك جسر خشبي فوق سطح البحر ، وأن البحر في هذا المكان وما حوله قد رُدِمَ ، ابتداء من مقر ادارة الحجر الصحي القديمة : «الكورنتينا» وألقى فيه تراب وحجارة كثيرة ، وحضر مهندسون ايطاليون لهذه المهمة وجلبوا الأسمنت من الخارج ، وألقوا بأعمدته التى هي مثل الصخور الضخمة في جوف البحر(٢) . واذا أضفنا الى هذا ، انحسار البحر التدريجي الذى سبق أن أشار اليه بطرس البستاني في دائرة معارفه ـ ندرك أن جزءاً مهماً من مدينة جدة أنشىء على أرض كانت بحراً فيما مضى من الزمان . وقد كان البحر ـ بحر الطين ـ يمتد حتى يلامس مشارف مقر وزارة الخارجية الحالى . ويكون ذلك في الشتاء . والسور الذى كان يحيط بجدة القديمة قد

• • •

(١) عن الشيخ محمد نصيف .
(٢) عن الشيخ محمد نصيف .

أزالته الحكومة السعودية سنة ١٩٤٧م «١٣٦٧هـ» أي بعد نشر كتاب عمر رضا كحالة بثلاث سنوات فقط(١) .

هذا وقد أعد المكتب الهندسي الاستشاري بالخُبَر في سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م ، ١٩٦٢ م تقريراً تمهيدياً لدراسة مشروع تصريف المجارير لمدينة جدة ، ووصف المدينة بأنها على ساحل البحر الأحمر على طول ٣٩ درجة و١٢ دقيقة شرقاً ، وخط عرض ٢١ درجة و٣٠ دقيقة شمالا ، بارتفاع يتدرج من سطح البحر الى اثنى عشر متراً . وتتعرض لمناخ حار قد تصل الحرارة القصوى فيها الى «٤٧» درجة سنتيغراد ، أيام الصيف ، ولكن معدلها الأعلى يتراوح بين ٣٩ درجة صيفاً و٢٧ درجة شتاء ، ومعدل الرطوبة النسبية الأعلى ، يتراوح بين ٩٢٪ في أيام الخريف و٧٥٪ في أيام الشتاء ، والحدود القصوى للرطوبة النسبية قد ترتفع الى ١٠٠٪ وتنخفض أحياناً الى ١٠٪ كما ان اتجاه الرياح السائدة ، غالباً ما يكون بين الشمال الغربي والشمال(٢) .

ويقول التقرير : « ان المدينة تقسم الى عدة أحياء رئيسية تتوسطها جُدة القديمة التاريخية التي تقع الى شمالها ، أحياء الرويس والبغدادية ، والى شمالها الشرقي أحياء العمارية والشرفية ، والى شرقها أحياء الصحيفة والكندرة ، والى جنوبها حي الهنداوية ، والى جنوبها الشرقي حيّا السبيل والنزلة ، وأما من الغرب فيحدها البحر الأحمر » .

ويضيف الى ذلك : « ان الرقعة المبنية من المدينة قبل الحرب العالمية الثانية كانت صغيرة جداً بالنسبة لما هي عليه اليوم ، لأنها كانت تقتصر على المدينة القديمة التي كان يحيط بها سور تهدم خلال السنوات القليلة الماضية وبعض الأحياء كالبغدادية والهنداوية والنزلة .

(١) تويتشل : المملكة العربية السعودية ترجمة شكيب الأموي أمام الصفحة ٥١ الطبعة الثانية .

(٢) كل ما ورد في كتب التاريخ والرحلات العربية القديمة وصفها لجدة بانها « شديدة الحر جداً » : (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للبشاري الذى كان حج وجاء جدة سنتى ٣٥٦ و٣٦٧ هـ طبعة ليدن بسنة ١٩٠٩م ص٧٩ ، ولم أطلع على تحديد مقدار الحرارة بجدة فنياً قبل هذا التقرير .

« وما ان مرت بضع سنوات على تلك الحرب حتى أخذت مدينة جدة تسير خطى سريعة نحو النمو والتقدم والازدهار وبلغت ذروتها خلال السنوات العشر الماضية » .

ونعقب على ذلك ، بأن تلك « الذروة » من التقدم والعمران كانت نسبية، فهي، بالنسبة لما ذكره تقرير المكتب الهندسي الاستشاري بالخُبَر وحسب مشاهداته عند كتابته للتقرير . ولكن الواقع المشاهد أن ذلك لم يكن ذروة التقدم العمراني بجُدة ـ فان يصح شيء من التعبيرات حيال هذا التقدم المرتفع فان لنا أن نقول ـ بناء على مشاهداتنا أيضاً في نهاية القرن الرابع عشر الهجري ، أن أشعة سطوع شمس تطور جُدة العمراني برزت منذ أوائل العقد العاشر من القرن الرابع عشر المذكور ولا نزال في عنفوان اشعاعها وسطوعها في عام ختامه .

« وتبلغ المساحة الاجمالية المأهولة حالياً فيها « ١٥٥٠٠ » دونم(١) تقريباً بما فيها الأحياء الحديثة على طريقي مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتعد هذه الأحياء من أجمل أحيائها تنسيقاً ويسكنها معظم السفارات الدبلوماسية » .

وللمدينة أهمية خاصة ، فمع كونها المرفأ الرئيسى للمنطقة الغربية من المملكة فهي الميناء الجوي العالمي المفرد العلم الذى يستقبل مع مرفئها مئات الآلاف من التجار والحجاج في مختلف فصول السنة خاصة في الأشهر الحرم »(٢) .

« وتتوافر فيها معظم المرافق العامة الضرورية لمدينة حديثة ،

(١) الدونم هو ألف متر مربع فاذا ضربنا ١٠٠٠ متر مربع في ١٥٥٠٠ نخرج بحاصل الضرب البالغ قدره ٠٠٠ر٥٠٠ر١٥ متر مربع وهو المساحة الاجمالية المأهولة حالياً في جدة .

(٢) نكتب هذا الهامش الاضافي على ما سبق تبيانه حين تاليف المجلد الاول من كتاب (تاريخ مدينة جدة) بالاشادة بأن ميناء ينبع البحر قد بدأ نجم تطوره يصعد في الآفاق ، بمناسبة افتتاح جلالة الملك خالد بن عبد العزيز لمشروعاته الصناعية الكبرى في الشهر الأخير من عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

ففيها شبكة مياه جديدة وشبكة هاتف آلي وشبكة كهرباء .. مع الطرق الخارجية المتشعبة التى تربطها بالمدن الأخرى » .

وبها شوارع حديثة وجميلة ، مثل شارعي الملك عبد العزيز والملك سعود اللذين يحيطان بها احاطة السوار بالمعصم بشكل دائري حديث.. هذا الى طرق مكة والمدينة والمطار ، وبعض الطرق المتفرعة عنها ، وتبذل بلديتها الآن جهوداً طيبة في سفلتتها وتشجيرها وانشاء ميادين عامة مزروعة بالأزاهير والأشجار للتظليل والتجميل ، وتزمع انشاء شبكة المجاري العامة التى هي موضوع دراسة التقرير نفسه . كما فتحت شارعاً واسعاً يخترق قلب المدينة ويوصل ضاحيتها الشمالية بالجنوبية تقريباً . وقد بدأت فعلا ـ ونحن نكتب هذا الفصل ـ في فتح شارع الشاطىء (الكورنيش) .

وجدة ـ طبوغرافياً ـ مسطحة نسبياً بانحدار طفيف من الشرق الى الغرب ، وتتفاوت المناسيب فيها من الصفر في الطرف الغربي قرب البحر ، الى اثنى عشر متراً ، شرقي المدينة قرب المطار ، والقصور الملكية .. ويتبدل الانحدار بشكل طفيف جداً ولمسافات محدودة فيتجه نحو الشرق الجنوبي والشمال الغربي في بعض الأماكن .

وتحوى جدة بعض المنخفضات التى تسهل ركود الأمطار فيها ، وتشكل مستنقعات لا تجف مياهها الا بعد بضعة أيام ، مما يشكل خطراً صحياً قديماً ، بسبب توالد البعوض ، الا أن وزارة الصحة تقوم بمقاومة البعوض بأنواع المبيدات ، كما تسرع البلدية الى تجفيف المستنقعات فور نزول الأمطار .

وتتكون « جدة القديمة » من تل مرتفع . ويعتقد الخبراء ان ذلك ناجم عن قدمها ، لأن من الظواهر المألوفة أن يرتفع منسوب الأماكن المأهولة مع الزمن بالنسبة الى قدمها ، وذلك بسبب جلب المواد دواماً

اليها ، وخاصة مواد البناء .. وكانت تأتيها السيول قديماً غزيرة بعض الأحيان ، وهو أمر لا يزال يشاهد حتى الآن . ومن هذه السيول تمكن أهلها من بناء الصهاريج ، ليفيض فيها الماء العذب الوفير ويختزن بها طيلة العام لشربه واستعماله في الطهي وغسل الملابس وما الى ذلك.

وتتكون تربة البلدة من الرواسب الرملية المنقولة بعوامل الرياح والمياه وتحمل هذه الرمال فتات صخر الغرانيت الموجودة بكثرة في المنطقة والذى يتكون منه معظم جبال الحجاز .

وتتكون تربة الشاطىء من السبخة أي من النوع الرملى «الدلغاني» مع نسبة عالية من الأملاح وذلك في الناحيتين : الشمالية والجنوبية .

وتتكون التربة بمحاذاة جدة القديمة بصورة عامة من الردم الذى يتخلف بنوع مواده من الرمال والأتربة والحجارة والأنقاض الى الاوساخ وبقايا أخرى . ويندر وجود الصخور بجدة وربما تعترض الأحافير قرب الشاطىء فقط على مستوى سطح البحر أو ما دونه ، وتلك الصخور هي نوع من رواسب البحر للحيوانات المتحجرة ، أو من نوع الصخور المرجانية وهي سهلة الحفر على وجه العموم(١) .



(١) التقرير التمهيدي ، مع معلومات مضافة اليه من المؤلف .

التّطور العمراني

لمدينة جدة



ربما كان البحث السابق : « الوضع الجغرافي » موحياً لـكتابة هذا الفصل ، تكملة لصورة الوضع الجغرافي نفسه .

ونرى من خلال البحث العلمي المقارن أن الأساس في نشأة جُدة لأول مرة ربما كان من طائفة من « حواتين » عرب مجاورين لهذه المنطقـة التى بنيت فيها .. اتخـذوا العرائش مسـاكن متواضعة لهم ، ليأووا اليها بعد رحلاتهم الصيدية في عرض البحر .

ثم جاء قضاعة وأبناؤه وهم من معد بن عدنان ، على رأى ، فأقاموا بهذه المنطقة وعرفوها وعرفت بهم حتى ان أحد أبنائهم سموه بها ، وهو جُدّة بن جرم بن ربان «بكسر الراء» وبعدها باء مفتوحةمخففة فألف فنون » ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة(١) .

وأرى انه قبل سكنى قضاعة بهـا اتخذت ميناءاً لمـكة المكرمة تنزح منها السفن الى الحبشة والى الشمال والجنوب ومن ثم تذهب الى الشرق الى ديار فارس وترد منها .

واذا تذكرنا أنقضاعة ـ على رأي ـ هو الابنالثاني لمعد بن عدنان، والأول هو نزار(٢) وتذكرنا أن معداً هو الجد التاسع عشر لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، حينئذ ندرك قـدم اتخاذ جدة منزلا لقضـاعة وأبنائه .

وحينمـا اسـتعاد كسر أنو شروان حفيـد يزدجـرد ابن قبـاذ ، السيطرة لنفسه ـ رنت أبصار الفرس الى ما وراء ديارهم غرباً وشمالا وشرقاً .. وقد روى ابن المجاور انه في عهد حفيد يزدجرد بنيت جدة من قبـل الفـرس ، وكسرى أنو شروان هو الذى ينطبق عليـه هـذا الوصف ، وقد روى الطـبري في ترجمته أنه بعد انتصـاره على الروم وخضوعهم له انصرف نحو عدن ، فسكر ناحيـة من البحر هنـاك بين

---

(١) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج٤ ص٢٤٠ و٢٤١ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ٢٨٤ .

جبلين مما يلي أرض الحبشة ـ باب المندب ـ بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل وقتل عظماء تلك البلاد ، ومَلَّكَ المُنذِرَ بن النعمان على العرب وأكرمه(١) ولا بد أنه أو أن بعض من معه انحدر الى الشمال بحراً أو براً حتى وصلوا جدة فراقتهم فاتخذوها مدينة لهم.

وقد ذكر لويس معلوف أن كسرى هذا هو أعظم ملوك بنى ساسان حارب البيزنطيين وعلى أيامه حمل الفرس بالحرب الى اليمن وغزوا الحبشة وفتحوا تركستان(٢) ويوافق تاريخ ملكه ٥٣١ ـ ٥٧٩م . ومن هذا كله يمكننا أن نحدد بناء الفرس لجدة بأنه كان في القرن الميلادي السادس ان صحت رواية ابن المجاور . ولا نرتاب في أن بناء جدة كان أقدم من هذا التاريخ بكثير فقد سكنتها قضاعة قبل الاسلام بقرون . وقضاعة هو الابن الثاني لمعد بن عدنان ، ومعد هذا هو الجد التاسع عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا حسبنا سني كل جيل قصصاً فاننا نخرج من هذا الحساب التقريبي بأن جدة بنيت قبل الاسلام مرة بنحو ثمانية قرون ، وبعد سكنى قضاعة بها جاء اليها أبو خزاعة أو رئيسها عمرو بن لحى ، وذلك قبل البعثة النبوية بخمسة قرون(٣) .

هذا وقد أوضح لنا ابن المجاور ، أن الفرس بنوا جدة بحجارة الكاشور(٤) وبانتقال مرفأ مكة الى الشعيبة بعد تقلص فارس لم يبق من أخبار عمارتهم لجدة الا هذا الشريط من الأخبار المقتضبة الذى يعرضه علينا بعض المؤرخين عرضاً سريعاً خاطفا أثناء حديثهم عن تاريخ هذا البلد .

ونرى أنه لو أجريت حفائر عميقة من قبل بعثات أثرية علمية في بعض مناطق جدة المرتفعة أي في داخل البلد القديم ، لربما يعثر في

---

(١) الطبري : الجزء الأول من تاريخ الأمم والملوك ص٥٢٨ مطبعة الاستقامة بمصر .
(٢) لويس معلوف : المنجد ص٤٣٨ طبعة بيروت الخامسة .
(٣) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج٤ ص٢٠٦ .
(٤) حجر الكاشور : هو حجر الكلس الذى لا تزال جدة الى ما قبل نحو عشر سنين ، تبنى به ، وهو الحجر الرملى المستخرج من باطن أرضها والمعروف لدى أهلها الآن باسم (الحجر المنقبي) لأنه ينقب عنه .

طبقات الأرض على بعض ما قد يكشف لنا الغامض من تاريخ جدة .

ويتراءى لنا أنه حينما أعيدت جدة ميناءاً وبلداً في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان بناؤه لأول مرة ساذجا ، وقد يكون من خصاص(١) وأكواخ وبيوت أرضيةمناللَّبِن ، ثم تطور عمرانها وتدرج حتى أصبح طبقات عالية بالحجر وذلك حينما استفحل ثراؤها من واردات الحجاج ومن المراكب التجارية في مواسم الحج المتتابعة وغيرها .

وهنا بدأنا نرى للفرس ضِلَعاً في عمارتها وتجارتها . ان التاريخ قد يعيد نفسه بأشكال وبألوان .. وان شيئاً خفياً يشد الفرس الى الاقامة بجدة ، وربما كان هذا الشيء ملاءمة جوها صحيا وتجاريا لهم ، وقد شيدت جواليهم — عبر القرون — البيوت والفنادق الفخمة ، وأثلوا التجارات ، وأصبحت لهم بها شهرة مستفيضة في الحياة الاجتماعية والعملية من قديم ومن حديث .

وقد نال جدة تقدم وتأخر ، وانبساط وانكماش عمرانيان ، تبعاً للظروف والملابسات السياسية التى تغمرها من داخل ومن خارج .. شاهدها ابن جبير في القرن السادس الهجري وهي في دركات من الانحطاط والركود العمراني والاجتماعي .. ورآها جون لويس بوركهارت عام ١٨١٤م (١٢٣٠هـ) على حالة تختلف مع الحالة التى رآها عليها ابن جبير قبل ستة قرون .

واتخذ بناؤها طريقة البناء الشرقي المعتاد في العالم الاسلامي(٢) .. الغرف واسعة والسقوف عالية ، والرواشن مزخرفة منقوشة في وجوه الدور ، والأبواب مزخرفة والشرفات رائعة ، وكانت السقوف تبنى

---

(١) جمع خص بضم الخاء . بعدها صاد مهملة . وهو البيت من القصب .. القاموس المحيط مادة (خص).

(٢) كان ممن يقوم بالبناء اذ ذاك البناؤون الحجازيون فقد جاء في كتاب (السلاح والعدة في فضل ثغر جدة) أن المعلم أبا العيد من تجار جدة هو الذىبنى الجامعالعتيقفي زمن المؤلفأي القرنالحادي عشر الهجري.

اما من خشب الهند أو من جذوع نخيل وادى فاطمة . ويقول جون لويس بوركهارت الذى زارها في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي : ان مبانيها أحسن طرازاً من مبانى تركيا وانها عالية وصحية جداً ومعظمها ذو طبقتين ونوافذ صغيرة متعددة ومن خشب ، وفي مداخل المنازل دهاليز باردة ، يُستَقبلُ فيها الضيوف ، ويُستَعملُ المقعد الأرضى مجلساً في أيام الحر، وهو أبرد جزء في المنزل بسبب رش أرضه دائماً بالماء ، ويضيف الى ذلك ان تقسيم غرف منازل جدة كتقسيم غرف منازل القاهرة وسورية ، وقال : ان مبانى هذه البلدة تكلف الكثير لما فيها من الزخرف بالألوان الجميلة ، ومسكن الزوجة منفرد وللخدم محل منفرد أيضاً ، وعندما تطلى الجدران الخارجية باللون الأبيض المفضل يترك الخشب بلونه الطبعى كي يجمل المنظر(١)

وظل العمران فيها جارياً على هذه الوتيرة حتى جاءت سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩م فبنى ـ على رأى ـ أول منزل بجدة بمادة جديدة لم يكن البناء بها معهوداً من قبل .. ألا وهي مادة الأسمنت المسلح وكانت التجربة الأولى بالبناء بها في جدة على الرأي المشار اليه آنفاً ـ في تلك السنة بالذات ـ فكان أول منزل ذي طبقات عمر بهذا الطراز الجديد المشكوك في تحمله للطقس وملاءمته للسكان ـ هو منزلا لآل زينل يقع قريباً من باب المدينة المنورة المعروف بباب جديد .

ولا يزال هذا البناء قائماً قوياً وجميلا الى اليوم(٢) .. مما يثبت صلاح مادة الاسمنت للعمران طويل الأمد .

وقد كان القيام بهذه التجربة أو بهذه المغامرة مبعث تخرصات ونقد من كثير من الناس : هل يعيش البناء كثيراً . ويتحمل قسوة الجو في حرارته ورطوبته ؟ أو سرعان ما ينهار ؟ هل يزيد في التهاب جو

---

(١) السفر الى بلاد العرب باللغة الانكليزية طبع لندن .
(٢) أي الى أوائل سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م .

المنزل ؟ وهل هو صحي ؟ وأخيراً هل ينجح أو يخفق ؟ وتكاليفه الباهظة يومئذ بسبب ندرة الماء اذ ذاك قبل دخول العين العزيزية ما شأنها ؟

وكان كثير من الناس يؤمنون باخفاق التجربة ، من كل النواحي ، شأن كل جديد ، يقابله النــاس أولا بالامتعاض والاستنكار والنقــد الجارح ، ثم يعودون الى تقديره والأخذ بأطرافه تدريجياً ، ثم يمعنون في الأخذ به امعاناً كلياً حتى يتناسوا أو ينسوا ماضيه الذى كانوا جِدٌ منكرين له ، ثم يرون أنه ليس بممكن مجافاته أو الاستغناء عنه بحال من الأحوال .

والحق أن الناس لم يقبلوا الاقبال القوي على استعمال «الاشمينطو» ـ وهذا كان اسمه قبل اقتحامه عرين العمران في هذه البلاد ـ .. ولعل أكبــر ســبب في ذلك يعــود الى ندرة المــاء . والمــاء ضروري جـداً للبناء بهذه المادة ، ضروريته لحيــاة الناس والأنعام والنبات .. وبغير كثيره لا يتسنى البناء بها مطلقاً ، فلما دخلت العين العزيزية بعد نحو عشرين عاماً من تلك التجربة الى جدة ، توافر المــاء المنشــود وتكاثر ورود الأسمنت من الخارج من مصر ومن أوروبة .. وجلبت معه أسياخ الحديد . وقد أقبل النــاس على البناء بالأسمنت لسرعة الانشــاء به ، ولنظافة هذا البناء ، ولقبوله للتشكلات الحديثــة ، في الغرف والسلالم وغيرها ، ولعدم ايواء ما يبنى به للحشرات ، ولعدم احتفاظه بالأوساخ والغبار ، وقــد أبدلت الرواشن المزخرفة بالنوافــذ ذوات « القلاب » الثابت والمتحــرك وذوات الزجاج الأبيض المثلج المزخرف وغــيره . وازداد الناس اقبالا على هذا الطراز من البناء بعد أن دخلت الكهرباء العمومية في سنة ١٣٧٠هـ جُدة . وقد أبدل الخشب الهندي بالخشب السويدي الخفيف سهل النجارة . وطُـلِيَت أخشاب المنازل بالدهانات المختلفة ، كل وذوقه ، ودهنت الجـدران الداخليــة ، اما بالبويات أو بالاستمبر . أما الجـدران الخارجيــة فقــد طليت بالأسمنت الأبيض وبالنورة فيما يدعى بالطرطشة أو غيرها .

وبذلك كله حدث تطور جديد في أسلوب البناء على جدة في مساكنها ودكاكينها وقد أسرعت اسراعاً فائقاً في التمدد في الآفاق .. والى أعلى.. في الآفاق في حجمها . والى أعلى في عماراتها حتى صرنا نرى بيوتها «بعدما كانت في سنة ١٣١٨ هـ نحو «٣٣٠٠» بيت فقط» وقد أصبحت الآن تتراوح بين اثنى عشر ألف بيت وخمسة عشر ألف بيت ، وقد بلغت شوارعها التي وضعت عليها البلدية أسماءها عشرين ومائتين(١) وصارت مساحتها طولا وعرضاً عشرة كيلومترات في عشرة كيلومترات(٢) وقد أقيمت بها «المعارض» الفخمة الجميلة والعمارات السكنية الضخمة الشاهقة في عديد من شوارعها ، بعضها يملكه أفراد ، وبعضها تملكه شركات وطنية أو البنك الأهلي التجاري وبعضها حكومي .

وقد أدخلت المصاعد الكهربائية الى بعض هذه العمارات السكنية الشاهقة ، تسهيلا لصعود السكان الى عليا الطبقات ، وبهذا أصبحت جدة احدى مدن البحر الأحمر المرموقة . وقد زاد أخيراً من تمدد عمرانها ما فتح الله به عليها من وجود « مصنع الأسمنت » الوطني في ضاحيتها الشمالية هو ومادته الخام فصار البناء به سهلا ميسوراً ، وصارت قيمته أقل من المجلوب سابقاً من الخارج أو مثلها تقريباً .

وزاد من تحسين وضعها العمراني وتجميلها ، سفلتة بعض شوارعها الكبيرة والصغيرة من قبل البلدية وشقها الميادين العمومية وغرس الأزاهير والأشجار المظللة بها .

ومن علامات التطور العمراني ، افتتاح الهاتف اللاسلكي في مدينة جُدة بعام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦م) .

كما تم في نفس العام استعمال الآلات المبرقة الطابعة في المخابرات البرقية فيما بين جدة ومكة .

---

(١) في باب « أحياء وشوارع وأسواق » من هذا الجزء احصاء لأسماء شوارع جدة . وجدير بالذكر أنها من وضع المؤلف . وفي الجزء الثاني من الكتاب احصاء عام يشمل قديم الشوارع وحديثها في جدة .
(٢) عن مهندس البلدية : عبد الكريم الغصين .

وتبلغ مراكز البرق اللاسلكي في جدة ثلاثة . ومجموع مراكز الهاتف «٨٠» وعدد أجهزة الهاتف «٣٦٠٥» .

ومراكز برق جدة ثلاثة : مركز جدة ومركز القصر العالى ومركز قصر سمو ولي العهد .

وأول هاتف آلى افتتح بالمملكة كان الهاتف الآلى الذى هو بجدة . وقد أدى خدمات طيبة للشعب وقد افتتح سنة ١٣٧٦هـ(١) وأشغلت منه حتى نحو منتصف عام ١٣٨٢هـ ـ ثمانمائة وألف نمرة ، وتبلغ سعته (٣٩٩٩) نمرة .

ومن علامات التطور أنه كان بجدة حينما دخلت الحكومة السعودية «٥٠» هاتفاً عادياً فقط وقد بلغت بعد ذلك الى «٣٠٠٠» .

وفي جدة مركز مهم للبريد يستقبل ألوف الرسائل والطرود والحوالات والمؤمنات .

● ● ●

□ حتى أبحر تطورت عمرانياً □

ومن علامات التقدم العمراني بجدة زحف العمران الى « أبحر » في أقرب نقطة الى جدة وهي الناحية الجنوبية ، وفي أبعدها وهي الناحية الشمالية . لقد أقيمت الدارات من أسمنتية وخشبية به ، في ناحيتيه فبدت تطوق هذا الخليج الجميل كالسوار يطوق معصم الحسناء .

● ● ●

ولأبحر قصة مجهولة رواها لنا ابن جبير في رحلته فقد كانت مرسى للسفن وكانت مرسى عجيباً لطيفاً استهوى منظره وجماله الرحالة

---

(١) وزارة المواصلات : كتاب نشاط وزارة المواصلات ص١٩ و٥٣ طبعة مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة .

العربي الأديب، فأضفى عليه وصفاً أدبياً ممتعاً قال : « وفي عَشِيِّ يوم الأحد ثانيه (أي ثاني ربيع الآخر) أرسينا بمرسى يعرف بأبحر وهو على بعض يوم من جدة وهو من أعجب المراسى وضعاً ، وذلك ان خليجاً من البحر يدخل الى البر ، والبر مطيف به من كلتا حافتيه ، فَتَرسِي الجِلابُ منه في قرارة مُكِنَّة هادئة(١) .

وتبعد أبحر هذه عن جدة بنحو ٣٠ كيلومتراً الى ٣٩ كيلومتراً وتتصل الى الشرق الشمالى بِمَسرَبَ منخفض للبحر يتجه الى الشرق يفيض فيه ماء البحر وقت المد ، ويتقلص عنه في وقت الجزر ويعرف بالكراع لدى الناس فيما مضى وفي الحاضر . وقد عمل مكتب التخطيط في جدة لأبحر خريطة نظمها تنظيماً حديثاً ، والهواء هناك عليل بارد بسبب احاطة البحر ، بأبحر من غربه وجنوبه.

• • •

ومما رفع معنوية جدة ما قامت به الحكومة السعودية من انشاء مينائها الجديد على الطراز الحديث(٢) اذ ترسو عليه السفن التجارية الكبرى والصغرى مباشرة ، وتفرغ حملها من البضائع والوافدين والحجاج الى البر رأساً . ولهذا الميناء ادارة خاصة هي فيه . وبه المرافق الحكومية اللازمة وبه مخازن الجمارك وادارة الجمارك العامة وادارة جمرك جدة . وقد درست وزارة المواصلات التى تتبعها ادارة الميناء الآن مشروع انشاء فنارين(٣) بجُدة وبالدمام ، لأنهما أصبحتا من

(١) ابن جبير : رحلته ص٥١ – طبعة بيروت ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م .

(٢) يقع هذا الميناء على جزيرة تسمى (المفسكة) بالجنوب الغربي لجدة .. وكان قد نقل الى هذا المكان موخراً بعد أن كان مقر الميناء في الشمال الغربي بجدة قريباً من مقر الكنداسة التى اغنى الله عنها بافاضة ماء العين العزيزية العذب الثر الوارد الى جدة من وادى فاطمة وخليص حسب ما هو مفصل في كتابنا (تاريخ العين العزيزية بجدة ولمحات عن مصادر المياه بالمملكة) طبعة دار العلم للملايين ببيروت .

(٣) في قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لاحمد أمين : ان الفنار منار به مصباح لهداية المراكب البحرية عند دخولها الميناء . وربما أخذ من الايطالية لأنها عندهم فانور ص٣١١

أشهر الموانيء في الشرق الأوسط . وأصبحت الحاجة ماسة الى انشاء الفنارات بهما ، لارشاد البواخر القادمة اليهما .

ونحن نكتب هذه السطور وقد رفع المشروع الى مجلس التخطيط الأعلى لدراسته ورصد الاعتمادات اللازمة لتنفيذه في موازنة عام ١٣٨٢ـ١٣٨٣ هـ ، كما أن ادارة الموانيء طلبت شراء صنادل عائمة لتستعمل في تفريغ البضائع بميناء جدة حيث ان امكان تفريغ الأرصفة بها يبلغ (٣٠٠) ألف طن سنوياً ، في الوقت الذى تتراوح فيه البضائع الواردة للميناء بين ٤٦٠ و ٤٨٠ ألف طن في السنة . وتستعمل الصنادل في تفريغ الكمية الزائدة عن امكان تفريغ الأرصفة في الميناء. فتفرغ هذه الكمية على الصنادل وهي بدورها تفرغها في الميناء ، وبذلك تقوم الصنادل مقام الأرصفة(١) .

كما أن بميناء جدة الجوي من أنواع الطائرات السعودية المعدة لنقل الركاب ، الداكوتا والاسكاي ماستر والكونفير وأخيراً البوينغ .

ومما يدلنا على مدى التطور العمراني في جدة .. أنها كانت قبل ربع قرن بلدأ كسائر بلدان المملكة ، عمدة المواصلات الداخلية فيها والخارجية على الجمل والحمار والبغل والحصان . ثم دخلت اليها السيارات وحلّت تدريجياً محل وسائل المواصلات الحيوانية البطيئة.. حتى أزاحتها من البلد الآن دفعة واحدة . فصار التنقل والنقل في داخل البلد وخارجه بالسيارات وأضيفت اليها الطائرات بالنسبة للرحلات الداخلية المستعجلة والرحلات الخارجية البعيدة المدى . وقد بلغ عدد السيارات الموجودة بجدة الآن رقماً قياسياً ،فهي الآن نحو «١٣٠٠٠» سيارة ما بين

---

(١) جريدة «الندوة» التى تصدر بمكة المكرمة في عددها الصادر في ٢٩ صفر ١٣٨٢هـ ٣١ يوليو ١٩٦٢م.

كبرى وكبيرة ومتوسطة وصغيرة وصغرى(١) .. وقام هلال العمرى وغيره بتسيير سيارات كبيرة « حافلات » ببلدة جُدة لتنقل الناس بين أحيائها وضواحيها الى الجهات التى يرغبون في الانتقال اليها(٢) . واختفت العربات الكارو التى كانت معدة لنقل الأفراد والأُسَرِ بين أنحاء البلد ، ولم يبق الا العربات الكارو المكشوفة التى تحمل البضائع ثم زالت فيما بعد . كما بقيت العربات التى تحمل المياه الى بعض البيوت وهي ستزول حتماً اذا زادت مياه العين العزيزية عن حالتها الراهنة اذ يعم ادخالها بوساطة الأنابيب الى البيوت ويستغنى عن حمل الماء اليها من الخارج . وقد حدث ذلك فعلا فيما بعد .

هذا ومع دخول الأنابيب الى دور الموسرين وغيرهم فان بجُدة (٦٠) منهلا يستقى منها الناس على الطريقة القديمة من مياه العين العزيزية(٣) .

وربما كان من واجب المؤرخ المنصف الذى يريد تسجيل الحقائق التاريخية على ما هي عليه ان لا يغفل ما قامت به الحكومة العربية السعودية من تشجيع واغراء ماديين وأدبيين لتعزيز عمران جُدة ورفع مستواها العمراني الحديث . فقد منحت كثيراً من الأراضى للمواطنين الذين يرغبون في التعمير وحثتهم وشجعتهم عليه ، ويسرت لهم البناء بما أعفته من مواد البناء مدة من الرسوم الجمركية ، وأضافت الى ذلك اتخاذ جدة فترة من الزمن مقراً لأغلب مصالح الحكومة ، وكذلك من المناسب أن نذكر بالتقدير . الرجل الذى

---

(١) عن رئيس قلم المرور بجدة دليم العسيري وتفصيلها منه حسب ما يلى : ٢٧٧١ سيارة نقل ، ٥٣١١ سيارة خصوصية . و٢٥٦٣ سيارة أجرة (تاكسى) . و٥٦٤ حافلة أي أوتوبيس ونحو ١٠٠ سيارة خصوصية بدون أرقام .. أي بمعدل نحو ٨ أشخاص لكل سيارة .

(٢) يبلغ عددها نحو ٣٢ سيارة كما أفادني به هلال العمري صاحبها وقد أضيفت اليها أخيرا سيارات مماثلة من أشخاص آخرين ثم توقف هذا المشروع فيما بعد .

(٣) عن حسن باخشوين مراقب مياه العين العزيزية . وسترد أسماء هذه المناهل في فصل «قصة الماء» .

باشر هذه العملية بادىء ذى بدء عن الحكومة فأنعش اهتمامه ، المدينة الصغيرة الغافية ، وأحالها الى مدينة كبيرة تضج بالحركة والنماء .

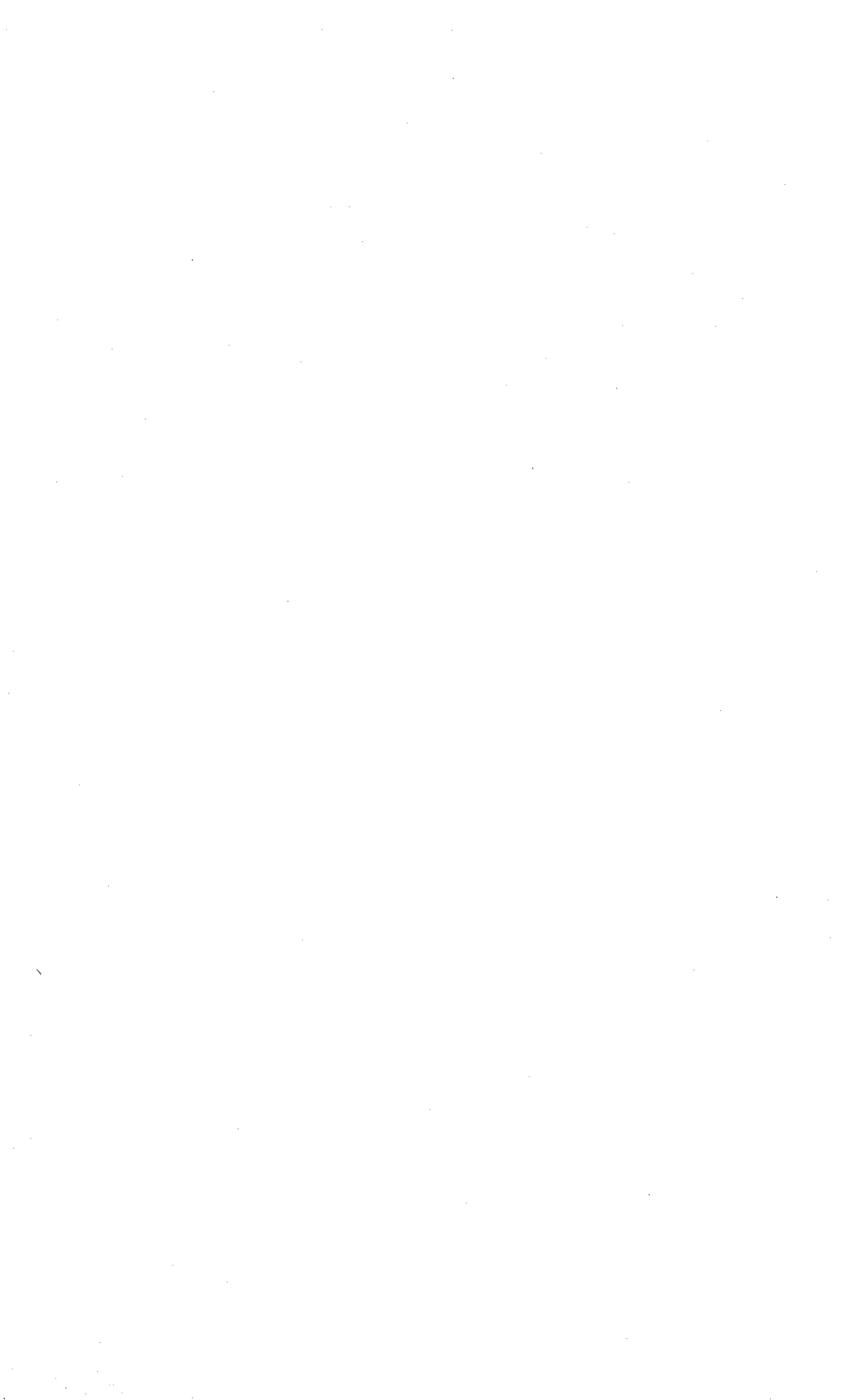
وهذا الرجل هو الشيخ عبد الله السليمان وزير المال الوحيد طيلة عهد مؤسس المملكة الملك المرحوم عبد العزيز آل سعود .

ولا نمترىفي أن منأهم الأسبابالمباشرة لتوسع عمرانجدة وتطورها الحالى ، انتشار الأمن الوارف في سائر أرجاء المملكة انتشاراً لا مثيل له في العالم .

● ● ●

وبعد فاننا وان كنا لا نستطيع أن نقول على طول الخط : ان جُدة اليوم مدينة مثالية بين مدن العالم العربي فاننا نتيجة لما هو مشاهد من العناية بأمر تنظيمها وتطويرها وجعلها مدينة عصرية كبيرة تحفل بكل مظاهر التقدم الحديث ، نستطيع أن نتفاءل مع المتفائلين بأنها ستحتل عما قريب هذه المكانة المرموقة ان شاء الله .

○●○



أصل التسمية وصحّتها



ضَبَط كتابُ « لسان العرب » لمحمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ، و « معجم البلدان » لياقوت الحموي ـ صيغة « جُدة » التى هي اسم جُدة الصحيح ـ وهو بضم الجيم وتشديد الدال بعدها تاء مربوطة(١) ولا يصح لغة سواه .

وورد في كتاب «لسان العرب» أن « جُدة النهر ـ بضم الجيم وكسرها ـ ما قرب منه من الأرض، وقيل: ضفته وشاطؤه . وقد رُوِيَ المعنيان عن اللغويَّين : ابن الاعرابي والأصمعيّ » . ومع ذلك ضبط «لسان العرب» اسم مدينة جُدة، بضم الجيم، وقال : انها «ساحل البحر لمكة» . وأردف ذلك بقوله : « وجدة اسم موضع قريب من مكة مشتق منه » وقد ضم الجيم هنا أيضاً . وأضاف الى ما ذكر عن ثعلب : أن « الجدة بضم الجيم » : الطريقة في الماء والجبل . وقيل : الجدة الطريقة، والجمع جُدَد ، وقوله عز وجل : (جُدَدٌ بِيضٌ وحُمر) أي طرق تخالف لون الجبل . وقال الزَّجَّاج : كل طريقة : جدة وجَادة(٢) .

وذكر أبو محمد الحسن بن يعقوب بن يوسف الهمداني ، مدينة جدة في كتابه : « صفة جزيرة العرب » عدة مرات، مضبوطة بضم الجيم ، وقال : « ان البحر مضى الى جُدّةَ ساحل مكة » وأسهب في وصف قحط كان أصاب جزيرة العرب بما فيها الحجاز ونجد في عهد الجاهلية . وقد استقى الى مكة حينئذ شاعران أحدهما نجدي والآخر حجازي ، مع من استقوا اليها من الشعراء ، وكان اسمُ الشاعر النجدي : « الخزازةَ العامريّ » واسم الحجازي : « العجلانيّ » . وقال هذا في قصيدته المسهبة عن جدة :

فالقفيان من حذارق فالفر ... ش فهـا تلك جدة القوراء(٣)

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ص١٠٨ المجلد الثالث طبعة دار صادر ببيروت ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م وياقوت الحموي : معجم البلدان ص١١٤ من المجلد الثاني طبعة بيروت ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م .
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، الصفحة السابقة والطبعة .
(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص٤٧ و٢١٤ و٢١٥ و٢١٧ و٢١٨ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣م

واذا أدركنا أن معنى (القوراء) في اللغة العربية : (الواسعة)(١) ندرك عندئذ مدى انطباق وصف الشاعر الحجازي الجاهلي ، لأرض جُدة ـ عليها .

وقال البكرى في معجمه : «جُدة بضم أوله ساحل مكة ، سميت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجُدة من البحر والنهر ما يلي البر . وأصل الجُدة : الطريقُ الممتد » .

وقال الهمداني في مكان آخر من (صفة جزيرة العرب) : « وفي الخبر ان آدم عليه السلام تمنى رؤية حواء بمنى ، فسميت (منى) بذلك ، وأقبلت من جدة فتعارفا بعرفات »(٢) .

وممن ضبطها بضم الجيم من المتقدمين ، محمد بن أحمد البشاري قال : « جدة بضم الجيم مدينة على البحر ، منه اشتق اسمها »(٣) .

ومما يجدر ذكره أن العلامة البطليوسى نص نصاً صريحاً في كتابه « مثلث اللغة » ـ بأن جيم جدة (مضمومة) لا غير نص على ذلك في كتابه المخطوط بمعهد المخطوطات بالقاهرة والذى توجد منه صورة فتوغرافية لدى مؤلف هذا الكتاب :

قال البطليوسى :

(١) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ص١٢٧ مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢ م .
(٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص٢٢٣ من نفس الطبعة التى مر ذكرها .
(٣) البشاري : «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» ص٧٩ طبعة بريل بمدينة ليدن ١٩٠٩م .

تلك صورة فتوغرافية لما ورد في ذلك الكتاب المخطوط عن ضرورة ضم جيم جُدة اذا كانت الكلمة اسماً للمدينة المعروفة بساحل مكة (حرف الجيم) :

□ توضيح □

وهذا توضيح النص الخطي المذكور بالحروف المشرقية :

(الجَدة والجِدَّة والجُدة : الجدة بالفتح ُأم الأب . والجدة أيضاً الفعلة الواحدة من الجد وهو القطع . والجدة بالكسر مصدر الشيء الجديد ، وجَدَّه ُ أي جل شأنه قال الهذلى :

يا لهف نفسى كأن جدَّة خلده وبياض وجهك للتراب الأعفر

والجِدَّة والجُدَّة بالكسر والضم : شاطىء النهر ، وجُدَّة بالضم لا غير : مدينة .. والجدة أيضاً : طريق في الجبل تخالف لونه .. قال الله تعالى : « ومن الجبال جُدَد بيض » . والجُدة : طريق في ظهر الحمار مخالفة لمعظم لونه .. قال امرؤ القيس :

كأنَّ سراته وجدة متنه كنائن يجرى بينهن دليص

ونص الامام زكريا النووي على أن : (جدة مذكورة في باب صلاة المسافرين وعقد الذمة من المهذب – هي بضم الجيم وتشديد الدال المهملة – وهي بلد على ساحل البحر ، بينها وبين مكة مرحلتان على طريق المدينة(١) .

وقد أورد ابن المجاور الدمشقي اسم جُدة : البلد الذى بهميناءجدة – بضم الجيم وقال : « انما سميت جُدة بجدة لأنها دفن بها أم البشر حواء عليها السلام ، فهي جدة جميع العالم ، فلما بنى هذا البلد عرف باسم جدة أي حواء زوج أبي البشر عليه السلام »(٢) .

ويلاحظ أن ابن المجاور ضعف الرواية القائلة بتسمية جدة باسم أم البشر حواء ، حيث ساقها بصيغة : (ويقال) . والحقيقة أنها رواية (أسطورية) فقد نفاها الثقات نفياً باتاً ولا يعقل أن يظل قبر

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ص٥٨ ج٢ ط. مصر .
(٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص٥١ و٢١ طبعة ليدن سنة ١٩٥١م .

أم البشر معروفاً حتى اليوم .. وابن المجاور نفسه وقع من هذه الرواية في تناقض لم يشعر به ، فهو ضبط اسم البلدة بضم الجيم ثم أورد أنها سميت بهذا الاسم المضموم الجيم ، لدفن أم البشر بها ، أي جدة البشر «بفتح الجيم» فهذا تناقض واضح يدل على سقوط الرواية الأسطورية.

هذا وقد أورد ابن جبير ما يدل على تأييده لما أورده الهمداني من اقبال « أم البشر حواء » من جُدة الى عرفة على آدم عليهما السلام بعرفة ، وتَعار'فهِمَا بها . قال في هذا الصدد : « وبها ــ أي جُدة ــ موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يذكر أنه كان منزلا لحواء أم البشر عند توجهها الى مكة فبنى ذلك المبنى عليه »(١) .

ويجب أن نلاحظ أن ابن جبير في روايته حدد ما أجمله الهمداني ، اذ قال : ان موضع القبة هذه كان منزلا لحواء أي المكان الذى نزلت به وتعارفت فيه مع زوجها أبى البشر آدم .

كما يجب أن نلاحظ أن كلا من الهمداني وابن جبير ، نفياً ضمناً أن تكون القبة على قبر حواء ، وانما نَصَّا على أن الموضع كان منزلا لها فقط ، وهو أمر يخالف رواية الزاعمين أنه موضع قبرها على كل حال . أما الحميري فيقرر نصاً صريحاً لا يقبل التأويل على أنه كان بجدة نزول حواء وبعرفات تعرفت بآدم(٢) .

ويرى محمد لبيب البتنوني أن موضع هذا القبر المزعوم ، كان هيكلا عبدته قضاعة قبل الاسلام وبقى أثره في النفوس بعد الاسلام فأقام له الناس هذا القبر(٣) وقد أشار الى محاولة الشريف عون الرفيق هدم هذه القبة ، وقيام قناصل الدول بجدة ، في وجهه حيال عزمه المذكور ، وحيلولتهم بالتفاهم الودى بينه وبين تنفيذ ما عزم عليه ،

---

(١) ابن جبير : رحلته ص٥٣ طبعة بيروت ١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م .
(٢) الحميري : الروض المعطار باخبار الأقطار ، النسخة الخطية بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة ج١ الورقة ٨٧ .
(٣) البتنوني : الرحلة الحجازية ص١٣ .

بحجة أن حواء ليست أم المسلمين وحدهم ، بل يشاركهم في بنوتها جميع البشر من الملل غير الاسلامية(١) .

ونعلق على ما ذكر بأن القبة المنسوبة في جدة لحواء عليها السلام قد تم هدمها بعدما دخلت الحكومة العربية السعودية جدة .

وممن ضبط اسم جدة بضم الجيم من المتأخرين ، محمد فريد وجدى في « دائرة معارف القرن العشرين »(٢) وكذلك صنعت دائرة المعارف الاسلامية : ـ الترجمة العربية ـ(٣) .

أما دائرة المعارف البريطانية فانها ضبطت الاسم بكسر الجيم حسب اللهجة العامية في الحجاز . ثم عادت بعد ما نشرنا التحقيق اللغوي عن وجوب ضمها اذا قصد بها اسم ميناء مكة .. ونشرت اسم جدة مضموم الجيم هكذا : (GUDDA) كما نقلناه عنها في مجلة « المنهل » والجدة ، بكسر الجيم لغة ، هي مثل الجدة ـ بضمها ـ الطريقة .. وعلى هذا فاستعمال الصيغة بكسر الجيم في اسم (جدة) غير صحيح لغة حيث أن اللغويين تتابعوا على ضبط هذا الاسم لهذا البلد ، بضم الجيم فقط . ولا شك أن منشأ ما عمدت اليه دائرة المعارف البريطانية قبلا هو متابعة عامية الحجازيين المعاصرين الذين ينطقون هذا الاسم بكسر الجيم ، وهذا دأب كثير من العلماء الغربيين في تلقفهم أسماء البلدان وغيرها من اللهجات العامية . وبحسبنا أنها بعد أن تحقق عدم صحة ذلك الاتجاه بصيغة جدة رجعت عنها ونشرتها بضم الجيم كما هو الصحيح لغة .

ومما يدل على ذلك ـ خلافاً لما نعرف صحته من اللغة ـ أن محمد لبيب البتنوني ذكر أن أهل البلاد يسمونها الآن : سنة ١٣٢٧ هـ «جِدَّة»

(١) ص١٥ من نفس المصدر .
(٢) فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ص٤٢ ج٣ مطبعة دار معارف القرن العشرين بمصر .
(٣) المجلد ٦ ص٣٠٩ .

بكسر الجيم . وأضاف الى ذلك أن المصريين يسمونها « جَدَّة » بفتح الجيم . وعطف على القولين بأنه « يرى صحتهما معاً ، وعلل ذلك بأن الجدة بكسر الجيم هي اليُمن والسعادة ، وهذا الثغر بلا شك ، منه المادة التي تقوم بحياة هذه البلاد كلها . وأي شيء أسعد مما يقوم بحياة الانسان ووجوده ؟ كما أن « الجدة » بالفتح ، الطريق الواسعة ، وليس من طريق أوسع من هذا»(١) .

ولنا أن نناقشه فيما صححه من صيغة (جدَّة) بكسر الجيم وفتحها معاً على أنها اسم للبلد ، بأن هذا تلفيق وخلط بين الغلط والفصيح وتصحيح للغلط المكرر في جيمها . وصحتها الوحيدة : ضم جيمها . وآية ذلك أن جميع المعاجم اللغوية والتاريخية العربية أجمعت كلها على القول بضم الجيم مع معرفة أصحابها وايرادهم لصيغة « جدة » المكسورة الجيم التي يقصد بها لغوياً الطريق . وكل الأدباء والعلماء الحديثين المحترمين المعترف بعلمهم وأدبهم كطه حسين والزيات والعقاد وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل وغيرهم في مشارق الأرض ومغاربها مجمعون على تشكيل اسم جدة في مؤلفاتهم ومقالاتهم بضم جيمها ليس غير ، وهم لا ينشرونها في مؤلفاتهم ومقالاتهم الا مضمومة الجيم بوضع حركة الضم على جيمها . أما اذا عمد المستحدث الى كسرها أثناء حديثه العادى العابر فهو حديث العامة بالعامية وليس شيئاً آخر غير هذا مطلقاً . أما (جَدة) بفتح الجيم كما ينطقها المصريون فلا نراه يزيد عن مثيله في الحجاز الذى ينطق بها (مكسورة الجيم) . ولم نطلع فيما اطلعنا عليه من المراجع اللغوية المعتمدة ما يقول : ان معنى (الجدة) بفتح الجيم بعدها مباشرة دال هو الطريق الواسعة . كما أورد البتنوني ، وانما هي (الجادة) أي بجيم مفتوحة بعدها ألف ، فدال مشددة .. وشتان بين الصيغتين .

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ص٥ المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩هـ .

هذا وقد قال المرحوم رشدى ملحس في تعليقاته على كتاب : (أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي) : « جدة بضم أوله وفتح ثانيه .. ويلفظها الناس اليوم بفتح أوله وهو خطأ »(١) . فاذا كان يريد النـاس أهل مصر فذلك واقع ، وأما أهل الحجاز بل أهل المملكة العربية السعودية ، فان عاميتهم الدارجة درجت على النطق بها مكسورة على ما قدمناه آنفا وليس هـذا بدليل على صحة هـذا الكسر لغة ما دامت المراجع المعتمدة تجمع على عكس ذلك .

هذا وقد جاء في « معجم معالم الحجاز » لعاتق بن غيث البلادي وهو أحد رجال علم التاريخ المعاصرين ـ ما نصه :

« جُدَّة » بضم الجيم وتشديد الدال المهملة وهاء ..

مدينة رائحة العمران والتنسيق هي الميناء الرئيسي اليوم في الحجاز يؤتى لها من ثلاث وسائل :

البر ، والبحر ، والجو . ومطارها عالمي تحط فيه جميع الطائرات، وتجارتها تسيطر على معظم الجزيرة العربية .

وأضاف قوله : « تبعد جدة ٧٣ كيلا غرب مكة ، و٤٢٠ كيلا جنوب المدينة ، ولها مع كل منهما طريق معبدة ، وعلى نظام القوافل القديم تبعد عن مكة مرحلتين ، وعن المدينة عشر مراحل .

وفي جُدَّة جامعـة الملك عبـد العـزيز وفـرع من امارة منطقـة مكة المكرمة .

قال ياقوت :

جُدَّةُ : بالضم والتشديد ـ والجُدَّة في الأصل : الطريقة .

والجُدَّةُ : الخطة في ظهر الحمار تخالف سائر لونه .

وجُدَّةُ : بلد على ساحل البحر الأحمر ، وهي فرضة مكة ، بينهـا

(١) رشدى ملحس : تعليقاته على أخبار مكة ص١٠٤ ج٢ المطبعة الماجدية بمكة .

وبين مكة ثلاث ليال عن الزمخشري . وقال الحازميّ : بينهما يوم وليلة . وهي في الاقليم الثاني ، طولها من جهة المغرب أربع وستون درجة ، وخمس وأربعون دقيقة . قال أبو المنذر : وُلِدَ بِجُدَّة ، جُدة بن حزم بن ريان بن حلوان بن عمرو بن الحارث بن قضاعة فسمى جُدَّة باسم الموضع . قال : ولما تفرقت الأمم عند تبلبل الألسن صار لعمرو بن مَعَدّ بن عدنان وهو قضاعة لمساكنهم ومراعي أغنامهم جُدَّة وشاطىء البحر ، وما دونها الى منتهى ذات عرق ، الى حيز البحر من السهل الى الجبل ، فنزلوا وانتشروا فيها وكثروا بها . قال أبو زيد البلخي : وبين جُدَّة وعَدن نحو شهر ، وبينها وبين ساحل الجحفة خمس مراحل .. وينسب الى جُدَّة ، جماعة ، منهم عبد الملك بن ابراهيم الجُدِيّ ، وعليّ بن محمد بن علي بن الأزهرى أبو الحسن العليمى القطان يعرف بالجُدِيّ . سمع أبا محمد بن أبى نصر ، وأبا الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، وأبا بكر محمد بن عبد الرحمن القطان .. روى عنه عبد الله بن السمرقندى . ومولده سنة ٣٩٠ هـ ، ومات سنة ٤٦٨ هـ ..

ثم عَقَّب المؤلف ، (عاتق بن غيث البلادي) على ما سبق ذكره آنفاً فقال : قال المؤلف : وقوله : بينها وبين مكة ثلاث ليال ، خطأ ، والصواب كما قال الحازمي : يوم وليلة أو على نظام القوافل مرحلتان من مكة الى جُدة .

ثم قال المؤلف متابعاً حديثه عن جُدة اسماً ومسمى : « وقال أبو عبيد البكرىّ : بضم أوله : ساحل مكة . معروفة ، سميت بذلك لأنها حاضرة البحر . والجُدة من البحر والنهر : ما وَلِيَ البَر ، وأصل الجدة : الطريق الممتدة ..

وغزا الأحباش جُدة سنة ١٨٣ هـ .

وغزاها اسماعيل الأخيضر سنة ٢٥١ ، فنهبها وقتل أهلها قتلا

ذريعاً ، ووليها الجراشى التاجر للشريف حسن بن عجلان سنة ٦٠٨ هـ، وجدد سورها الشريف غالب سنة ١١١٦ هـ[١] .

ودخلها أول قنصل انكليزي سنة ١٢٥٢ هـ وفي سنة ١٣٧٥هـ دخلها مَحمَل مصري عن طريق البحر » .

ثم مضى المؤلف يقول متابعاً حديثه عن جُدة اسماً ومسمى :

« وقد ألف الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كتاباً خاصاً بتاريخها ، وكتاباً آخر أسماه : « التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جُدة » ولكن رغم كل النصوص المثبتة أن صواب جُدة هو بضم الجيم ، نجد شُعّاراً وكُتاباً يكسرونه »[٢] .

• • •

(١) يلاحظ المتامل لما ذكره المقدم عاتق بن غيث البلادي عن « تجديد الشريف غالب لسور جدة سنة ١١١٦هـ » أنه من لباقته وليقظته الى ان هذا التاريخ بالذات سبق وجود الشريف غالب بامد نراه يضع – لذلك – وعقبه مباشرة علامة استفهام ، تشير الى عدم قناعته بصحة هذا التاريخ الذى نرى أنه نقله عن نسخة من نسخ كتاب « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام » للسيد احمد زيني دحلان . وقد رايت ان أراجع ما لدي من نسخ هذا الكتاب المطبوعة بمصر فاذا بها تنص على ان : (الشريف غالبا في افتتاح سنة احدى وعشرين ومائتين للهجرة نزل الى جدة واقام بها ورتب أمورها ، وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق) ص٩٢ ط. المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ » .

(٢) معجم معالم الحجاز للمقدم عاتق بن غيث البلادي ج ٢ ص ١٣٣ و١٣٤ نشر دار مكة للنشر والتوزيع .



بين الشعيبة وجُدة



ما دونه التاريخ الاسلامي في متوالى القرون من أن عثمان بن عفان رضي الله عنه . هو الذى أمر بنقل مرفأ مكة من الشعيبة الى جدة في منتصف العقد الثالث من القرن الهجري الأول، جعلنا نعقد هذا الفصل، لنوضح ما اذا كانت الشُعَيبَة أقدم بناءأ وعمراناً من جُدة أم بالعكس ؟

يقول المؤرخون : ان الشعيبة ظلت ميناء مكة حتى صدر الاسلام ، وانها كانت قبل جدة مرفأ لمكة ، وان قريشاً هم الذين طلبوا من الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، أن ينقل مرفأ مكة الى جدة ، لقربها من مكة ولمزايا أخرى ، وقد استجاب الخليفة لطلب سكان مكة النابع من مصلحتهم الاقتصادية ، فقام بتحويل مرفئهم من الشُعيبة الى جُدة في سنة ٢٥ أو ٢٦ هـ .

وتمهيداً لما أردنا تبيانه نرى أن نبدأ أولا بالبحث عن موقع الشعيبة من جدة حتى نفهم ونقارن .. نفهم ما اذا كانت هي أنسب وأقرب ، أو جدة لتكون احداها ميناءاً لمكة ؟ ثم نقارن بين أيهما أقدم بناء على ضوء ذلك ، وعلى ضوء ما نبه اليه التاريخ العربي في الموضوع .

يقول بعض المؤرخين : ان الشعيبة (وهي بضم الشين المنقوطة بعدها عين مفتوحة فياء ساكنة فباء موحدة بعدها تاء مربوطة) ـ تبعد عن جدة الى جنوبها بمقدار مرحلتين ، وانها قريبة من الرأس الأسود، وانها معروفة الى اليوم(١) .

وزاد بعضهم تحديداً لها بأن قال : انها تبعد عن جدة بنحو اثنتى عشرة ساعة في البحر وست وثلاثين ساعة لراكب البعير(٢) .

ولعل أدق من حدد موقع الشعيبة وعرفنا بها وبمعالمها هو ابن المجاور الدمشقي ، حينما قال : « والشعيبة هي خور عظيم ومرسى قديم مقابل وادى المحرم » .

---

(١) رشدى ملحس : تعليقاته على كتاب أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي ص٩٩ ج١ المطبعة الماجدية بمكة .
(٢) الملحق الخاص بالعين العزيزية من مجلة الحج (السنة الأولى) ص ٤٧ .

وأضاف الى ذلك قوله : « لا شك أنه ـ أي ميناء الشعيبة ـ كان قبل جدة ، لأنه ما في تلك النواحي مرسى أدنى منه ولا آمن عاقبة»(١) .

وفي دائرة المعارف البريطانية ان « البلد القديم كان على الرأس الأسود بحوالى ١٢ ميلا جنوب البلد الحالى »(٢) .

ونعتقد أنها تعنى بالبلد القديم : الشعيبة ، وبالحالى : جدة . ولكن تحديدها المسافة بين البلد القديم والجديد بمسافة اثنى عشر ميلا أمر فيه نظر ، وقولها : ان البلد القديم كان على الرأس الأسود فيه تجاوز والا فهو كما يقول ابن المجاور ورشدى ملحس قريب منه وليس عليه .

وجاء ذكر (الشعيبة) في كتب السيرة النبوية بمناسبة حادث وقع بها في عهد شباب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فبرزت اذ ذاك انارة الله لبصيرته ، وبدت منه ارهاصات النبوة . ذلك أن سفينة للروم كانت محملة بالتجارة أقبلت في بحر القلزم ـ البحر الأحمر ـ حتى اذا كانت بالشعيبة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة ، انكسرت فسمعت بها قريش وكانت بصدد تجديد بناء الكعبة فذهبوا اليها وأخذوا خشبها وحملوا معهم رومياً نجاراً بناءاً كان بها ، اسمه (باقوم) ولما وصلوا معه الى مكة طلبوا منه أن يعمل في بناء الكعبة فوافق(٣) .

أما ياقوت الحموي فيحدثنا بأن البحر رمى سفينة بجدة فتحطمت فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارة الكعبة (٤) .

ونلاحظ أنه قال : ان البحر رمى السفينة بجدة لا بالشعيبة . ويبدو لنا أنه قد يكون وهم في هذا . فما كانت جدة ميناءاً لمكة يومئذ .. اللهم

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص٤٣ طبعة ليدن ١٩٥١م .
(٢) ص٦٦ المجلد السادس طبعة امريكا .
(٣) أبو الوليد الأزرقي : أخبار مكة ص٩٩ الجزء الاول طبعة مكة .
(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص٢٨٣ الجزء الرابع طبعة طهران .

الا أن يكون البحر قد ألقى بهذه السفينة قرب جدة وهي عابرة . فهذا احتمال غير بعيد الصحة .. أيضاً من هذه الناحية .

● ● ●

هذا ما قاله أولئك المؤرخون في تقريرهم أقدمية الشُعيبة بالنسبة لجُدة كمرفأ لمكة .

ونحن اذا أردنا مناقشة تلك الآراء فلنا أن نُفَنِّدَ رأي ابن المجاور الذى قد يكون أدقهم تعريفاً للشعيبة فنراه يقرر لنا تقريراً باتاً ان الشعيبة كانت مرسى قبل جدة ، ويعلل ذلك بأنه لا يوجد في تلك النواحي مرسى أدنى منه ولا آمن عاقبة ..

والمناقشة هنا تنصبُّ على أمرين :

أحدهما : قوله : أنه لا يوجد مرسى أدنى من الشعيبة ولا آمن منه عاقبة . فالثابت من الواقع المشاهد أن جدة أدنى منه بالنسبة لمكة ، ولذلك طلبت قريش من الخليفة جعلها ميناءأ لبلدهم لوجود هذه الميزة : ميزة الأقربية الى مكة من الشُعيبة .

والأمر الثاني : تقريره البات ان الشعيبة أقدم من جدة على الاطلاق وبدون الاشارة الى نسبية القدم . فابن المجاور بنفسه هو الذى قرر عراقة جدة .. اذ أورد في جمل يسودها الغموض وعدم الترتيب أن جدة بنيت على يد الفرس ، قال مرة : « من قبل رجال فوارس قدموا من سيراف لما خربت مدينتهم(1) فبنوا جدة وحصنوها تحصيناً بالغاً بسور من حجر وسور من ماء » . ولم يحدد لنا ابن المجاور هنا متى كان ذلك ولا في عهد أي ملك من ملوك فارس . ومرة قال « في عهد حفيد يزدجرد » وهذا القول هو أقرب الى التحديد ، وقد راجعنا كتب التاريخ

(1) في « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ان سيراف كانت قديماً فرضة الهند وانها خربت بعد عمران ج2 ص765 مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر . وفي « معجم البلدان » لياقوت الحموي : انها «مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند» ج11 طبعة بيروت .

فاستطعنا أن نحدد من هو حفيد يزدجرد الذى ينسب اليه عهد ملكي ، ومتى كان ملكه لفارس ؟ وقد اتضح من المراجعة أن حفيد يزدجرد المعنيّ ، هو كسرى أنوشروان الذىكان ملكه في أواسط القرن السادس الميلادي . فان صح ما ذكره ابن المجاور هنا ، وهو أمر يحتاج الى دعامات أثرية وخبرية فان جُدة تكون بنيت على يد الفرس مرتين : مرة قديمة على أيدى رجال منهم جاءوا من بلدهم الساحلي الخرب : « سيراف » فعمروها بدله ، وأقاموا بها ما شاء الله أن يقيموا ومرة أخيرة في عهد كسرى أنوشروان ، قبل مولد النبي عليه الصلاة والسلام بأمد وجيز .

وبالجملة فابن المجاور في كلامه عن بناء جدة يعطينا فكرة عامة ثابتة لديه ، وهي قدم بنائها وقدم اتخاذها مرفأ ، ولا يعطينا عن مرفأ الشعيبة أية فكرة عن بنائها وتاريخها سوى اشارته المقتضبة بأنها أقدم من ميناء جدة .

فاذا كان يقصد (القدم النسبي) أي بالنسبة لاتخاذ عثمان اياها مرفأ فذلك أمر صحيح ، ما فيه شك . وبهذا الرأي وحده يحسم التناقض الذى وقع فيه اذا كان هذا هو هدفه .

وطلَبُ أهلِ مكة جَعلَ جُدة ميناءاً لبلدهم بدلا من الشُعيبة ، يدلنا ضمنا وبالفحوى على أن قريشاً كانت تعرف أن جدة كانت ميناء بلدهم قبل اتخاذ الشُعيبة ميناءاً لها ، لأسباب قد تكون سياسية .

وعلى هذا فقد لا نمعن في الخيال اذا ملنا الى أن جدة كانت ميناء مكة الوحيد قبل الشُعيبة(١) . ثم طرأت أمور سياسية تتصل بحكم اليمن

(١) يرى عبد الله عبد الجبار في كتابه «التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب» ص٣٦ ان جدة لم تتخذ مرفا تجارياً لمكة الا في بدء عام ٢٦هـ زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .. وما سنأتي به من دلائل قدم جدة في الفصل الخاص بذلك يتضح منه أنها جعلت مرفا قبل هذا العهد .. فقد نزلها الفرس الذين قدموا من بلادهم فارس واستوطنوها ، ورحل منها الاسكندر المقدوني الى البر المصري في زمن النضر بن كنانة ، على ما رواه المؤرخ الثبت الدينوري .

في الجاهلية على الحجاز . فنقل المرفأ الى موقع الشعيبة بناحية الجنوب لأنه يكون بذلك أقرب الى بلاد اليمن شحناً وتفريغاً ومن ثم هاجر سكان جدة اليها بالتدريج بحكم الضرورة الاقتصادية الملزمة وعمرت الشعيبة كقرية بسيطة لم يهيأ لها أن تضاهي جدة في سعة عمرانها القديم ، وقد يكون اسمها « الشعيبة » وهي تصغير « شعبة » يعنى به أنها شعبة من جدة : الميناء الكبير القديم ، وقد يكون هذا الاسم اسماً لمحلة أو لضاحية في جنوب جدة القديمة انتقل سكانها الى ميناء الشعيبة فحملوا معهم اسم محلتهم الى الميناء الجديد ومن ثم أطلق على القرية .

ومما يعزز لنا هذه النظرية من كثب . ما نعرفه من أنه بمجرد صدور أمر عثمان بن عفان بنقل الميناء من الشعيبة الى جدة هاجر أهل الشعيبة منها أفواجاً الى جدة . وأهملت الشعيبة ـ وشيكاً ـ اهمالا تاماً(١) .

وقولنا فيما مر : ان الشعيبة كانت قرية لا بلداً قال به ابن السكيت من قبل : « الشعيبة قرية على شاطيء البحر على طريق اليمن »(٢) .

وقولنا فيما مضى : قد تكون هناك عوامل سياسية أدت الى تقريب الميناء من اليمن يفهم من فحوى قول ابن السكيت السابق : ان الشعيبة على شاطيء البحر على طريق اليمن . ثم مما رواه الدكتور جواد علي في هذا الشأن في كتابه عن تاريخ العرب قبل الاسلام .

● ● ●

واتماماً لحلقات التاريخ فيما يتعلق بالشعيبة وجدة نذكر هنا ان قطب الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٨٨ هـ ذكر أنه لما أمر الخليفة المهدى العباسى بعمارة المسجد الحرام نقل الأساطين من مصر ومن الشام

---

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص٩٦ مطبعة السعادة بمصر .
(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص٣١٥ ج١١ طبعة بيروت .

وحملت بحرأ الى قرب جدة في موضع كان في أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال له (الشُعيبة) فجمعت هناك لأن مرساه قريب بخلاف بندر جُدة الذى مرساه الذى تقف فيه السفينة بعيد عن البر ، وصارت أساطين الرخام تحمل من الشُعيبة على العَجَل ، ويحكى العربان أن في (الشُعيبة) بقايا أساطين رخام دفنتها الريح بالرمل(٣) ·

وتدلنا هذه الرواية على أمور :

أولها : ان مرسى السفن بالشعيبة كان أقرب للساحل من مرسى جدة·

ثانيها : ان الخليفة العباسى أمر بدرس حالتى الميناءين من حيث صلاحية انزال محمول السفن الثقيل من الرخام على اسهامهما في عمليات تفريغ الرخام من السفن الى الساحل ، فوجد الخبراء أن ميناء الشُعيبة أصلح لهذه العملية من ميناء جُدة ، فعمل برأيهم ·

ثالثها : انها المرة الأولى والأخيرة التى استعملت فيها الشعيبة بعد هجرها الى جدة وبعد اقفالها كميناء ، لغرض عمراني ·

رابعها : انه لا يزال حتى اليوم في الشعيبة بقايا مطمورة في الرمال من ذلك الرخام المجلوب في أوائل عهد الدولة العباسية لغرض تعمير المسجد الحرام به على ما حدثنى به حمد العُيَـيد فقد قال لى : انه شاهد بعض ذلك الرخام وهو مدفون هنالك .

خامسها : ان منطقة الشُعيبة رملية .

• • •

(٣) قطب الدين الحنفي : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص٩٦ ·

دلائل قدم جُدة



قد لا نكون ممعنين في الخيال اذا قلنا بأن جدة من أقدم بلاد العالم .

ودلائلنا على هذه النظرية تتمثل فيما يأتي :

أولا : ما أورده المؤرخون من أنها من بناء الفرس وذلك انه حينما خربت (سيراف) الفارسية انتقل أهلها في رواية لابن المجاور الدمشقي – الى سواحل البحر فوصل قوم منهم « جُدة » فسكنوا بها وأداروا على البلد سوراً من الحجر مخلوطاً بالجص ، فلما ابتدأوا في المقام بها بنوا السور وجعلوا عرضه عشرة أشبار ثم بنوا على وجه السور سوراً ثانياً من الحجر الكاشور منحوتاً ، مُربعاً بالجص ، وجعلوا عرض الحائط خمسة أشبار ، فصار عرض الحائطين الملتصق بعضهما ببعض ، خمسة عشر شبراً ، وركب عليها أربعة أبواب وحفر حولها خندق مائي عظيم في الوسع والعمق ، فكان حامياً لجُدة ، اذ يدور ماء البحر حول البلد ويرجع ما فضل منه الى البحر فيصير البلد شبه جزيرة في وسط لجج البحر . فلما حصن الفرس البلد هكذا غاية التحصين ، خافوا من ضيعة الماء فبنوا بداخل جُدة ، ثمانية وستين وخمسمائة صهريج في باطن البلد ومثلها في ظاهره»(١) .

ومن الملاحظ على بناء جدة حسب ما رسمه ابن المجاور في خريطته وأشار اليه هنا ، ان هذه البلدة كانت مستديرة الشكل ، وهذا يتفق مع حفر الخندق حول سورها . فليلاحظ ذلك بالنسبة لتاريخ تخطيط جدة القديم فانها بموجبه قد بنيت مدورة .. في الجاهلية ، كبناء أبى جعفر المنصور في عهد الاسلام لمدينة بغداد اذ (وضع أساسها مدوراً) وجعل قصره في وسطها(٢) ونحن نرى في العصر الحاضر بعض العمارات الحديثة – في الرياض وجُدة مدورة أيضاً .

ومعلوم أن حفر الخنادق للأغراض الحربية كان يمارسه الفرس في التاريخ القديم ، بدليل ما روي في غزوة الخندق من أن سلمان الفارسى

---

(١) ابن المجاور الدمشقي : تاريخ المستبصر ص٤٣ طبعة ليدن سنة ١٩٥١م .
(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ج٤ ص٦٨٢ ط. طهران ١٩٦٥ م .

أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخنـدق . وأن بعض قـريش أقبلوا على المدينة تعنق(١) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فهالهم ، فقالوا : والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها(٢) .

وفي مكان آخر من كتاب ابن المجاور حدد لنا تاريخ بناء جـدة بأنه كان في عهد حفيد يزدجرد . وحفيد يزدجرد هو كسرى أنوشروان الذى كان ملكاً لفارس حوالى منتصف القرن الميلادي السـادس كما سبق أن أشرنا اليه في الفصل السابق .

وهذا البناء ـ على ما نرى ـ من الفرس لجُدة ، ان صح ما ذكره عنه ابن المجاور فهو للمرة الثانية لا الأولى بالنسبة لها والا فمن المعلوم لدينا تاريخياً ، أنها كانت معروفة قبـل القرن الميـلادي السـادس ، بدليل سكنى قضاعة بها . وقضاعة هو الابن الثاني لمعد بن عدنان على رأي بعض المؤرخين . وبين معد ، ورسول الله عليه الصلاة والسلام ، تسعة عشر أباً . فاذا جعلنا معدل عمر كل واحد منهم أربعـين عاماً(٣) فان ذلك يعني أن جُدة كانت معروفة ومأهولة منذ القرن الثـاني قبـل الميلاد أو نحو ذلك .

ثانياً ـ واذا أضفنا الى ذلك ما رواه هشام بن محمد بن السـائب الكلبي من «أن رَئِيّاً جنياً قال لعمرو بن لُحَيّ وهو أبو خزاعة، القبيلة التي أجلتها قريش عن مكة : « ايتِ ضَفَّ جُدة .. تجد فيها أَصناماً ، مُعَدَّة ، فأوردها تهامة ولا تهاب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجاب» .. فأتى شط جدة فاستثارها ثم حملهـا حتى ورد تهـامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة فأقبلوا على عبادتهـا »(٤) . اذا أضفنا ما ذكر

---

(١) أي تسرع .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج٣ ص٢٣٥ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦ م .

(٣) يقرر عباس محمود العقاد : في كتاب « الانسان في القرآن » في الصفحة ٦٧ طبعة دار الهلال بمصر أن تقدير ثلاثة أجيال لكل قرن واحد من الزمان يعتقد بعض الباحثين فيه أنه تقدير غير مبالغ فيه .. أي ٣٣ ⅓ سنة لكل فرد وهذا تقدير يقرب من تقديرنا اذ ليس بينهما الا ٦ ⅔ سنوات فقط .

(٤) ابن الكلبي : الأصنام ص ٤٥ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م .

فان بوسعنا أن نستخلص من هذا النص الأسطوري حقيقة مهمة لموضوعنا. ذلك انه يدل على أن جدة أعرق في القدم مما كنا نتصور ، وأن أهل الجاهلية كانوا يعرفونها باسمها ومسماها . واتيان عمرو بن لحى اليها واستثارته لأرضها ، لاخراج ما دفن بها من الأصنام بسبب عوامل قدم الزمان ، وتقلب الأحوال ـ فيه دليل واضح على مدى قدم جدة ، وعلى أنها كانت مدينة تتمتع بعمران زاخر وسكان وافرين مترفين نحتوا الأصنام وعبدوها من دون الله تعالى ، لما طال بهم الأمد وقست قلوبهم ..

على ان في هذا النص الأسطوري دلالة على أن جدة كانت مأهولة بأناس أقدم من الفرس وانهم كثيرون بدليل كثرة الأصنام التى وجدت في باطن أرضها ..

و « الاستثارة » في اللغة العربية من معانيها « التنقيب عما في داخل الأرض واستخراجه »(١) .

ووجود الأصنام في جدة بعد الحفر عنها ، يشبه وجودها على أثر الأحافير التى تجرى أو أجريت في العصر الحديث بأرض مصر والعراق والبحرين والكويت وسورية وغيرها من بلاد العرب كمدينة الفاو بالمملكة العربية السعودية التى نقب عنها وكشفها الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري رئيس جمعية الآثار والتاريخ بجامعة الرياض وقد نشر عن هذا الكشف ما يزيده جلاء ووضوحاً . (والصنم) في اللغة العربية هو كالوثن ، ما كان تمثالا مصنوعاً من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان(٢) .

والصنم والتمثال رسم ونقش صناعي دقيق . ويدل وجوده في بلد بهذه الكثرة على وجود فنيين من النقاشين والرسامين به . وتشاهد هذه

(١) جاء في كتاب (أساس البلاغة) للزمخشري في هذا المعنى قوله : (وأثار الأرض) ص٤٩ ط. مطبعة أولاد أورقاند بالقاهرة سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م .
(٢) ابن الكلبي : الأصنام ص ٣٣ و٣٥ .

التماثيل المحكمة الصنع ، الضخمة والصغيرة والمتوسطة فيما يستخرج من أعماق الأرض اليوم من آثار مدنيات عريقة اندثرت في بلاد العرب وغيرها .

وقد يبدو أن جدة بعد ذلك الازدهار العمراني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، أصابها ما أصاب ســواها من الاندثار ، بعوامل قــد يكون من بينها الجفاف العام الذى سيطر على بلاد العرب في سالف الحقب .. بسبب التبدلات التى طرأت على قشرة الأرض من جراء عوامل تبدل المناخ وتقلص المياه واندفاق البحار الى جهة ، وانحسارها عن جهــة أخرى ، وما الى ذلك . وقد برز من آثار حضارة جُدة الزائلة أصنامها وغيرها . والأصنام فقط هي التى عُنِـي عمرو باستخراجها ، والعربُ بابقائهــا .. أقــول : بقيت آثار حضـــارتها محفوظة في طيات أرضها تنتظر المنقبين . وقد يكون من أسباب اندثار حضارتها وباء مجتــاح وفد اليها من خارج أو من داخل ، كحمى البرداء «الملاريا»(١) مثلا ، فمات من مات منهم به وهرب آخرون منهم الى جهات أخــرى ، وهكذا أصبحت جدة يبابا ، خرابا ، ثم انطمرت تحت عوامل الجو من أعاصير ورياح وأمطار .

وقد يكون سبب اندثارها ناتجاً من اجتياح غزاة طامعين في ثرائها أو حاسدين لها على ثرائها وتقدمها . وقد يكون باحدى الآفات السماوية التى يسلطها الله عز وجل على من طغى وبغى من عباده من الأمم السالفة والخالفة . وبذلك أصبحت جدة القديمة ذات المدنية الزاهرة ، أثراً بعد عين ولكن صيتها بقى عالقاً في الأذهان الى عهــد عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث طلبت قريش منه أن يحول ميناء مكة الى جُدة بدلا عن الشُّعيبة .

● ● ●

---

(١) سياتي أن امرأة من ثمود تسمى (جمعة) أصيبت بحمى في ضاحية من ضواحي جدة الشرقيــة الشمالية فـجعل ذلك صاحب لها أو قريب في نقش على حجر بالخط الثمودي .

وبالمناسبة فاننا نستنتج من صنيع عمرو بن لُحَي الأزدى أبى خزاعة في احتفار أرض جُدة ، لاخراج ما تنطوي عليه طبقات أرضها من الأصنام ـ نستنتج أن البحث عن الآثار المدفونة في أعماق التراب كان معروفاً في بلاد العرب منذ القدم ، وليس بالمبتكر في العصر الحديث ـ كان العرب يعرفونه ويمارسونه في أيام جاهليتهم الغابرة بدليل صنيع عمرو بن لُحَيّ .

ولو ألفت لجنة أثرية لهذا المشروع : « مشروع البحث عن الآثار عامة وآثار جُدة خاصة » وأجريت تنقيبات علمية في أرض مدينة جُدة وخاصة في « التل المرتفع » الذى تقوم عليه المدينة القديمة الحالية . لربما يعثر على آثار مدنية عربية مجهولة تحتضنها أعماق الأرض . وقد يفتح لنا ذلك الكثير من مغاليق تاريخ هذه البلاد أو على الأقل تاريخ هذا البلد بعينه .

ثالثا : ان ياقوتاً الحموى حدثنا ان : « جُدةَ أحد أحفاد قضاعة ولد في جُدة فَسُمِيَ باسمها » . فهذا مما يدعم ما ذهبنا اليه من قدم بناء جدة فانها كانت معروفة في الجاهلية ومشهورة حتى ان أحد عربها سمي باسمها حين ولد فيها .

ويلاحظ أن هذا عكس ما حدث في تسمية (يثرب) : المدينة المنورة ، فقد سميت هذه المدينة باسم من سكنها أو بناها وهو يثرب العمليقي أو العبيلي .

وكلا الاستعمالين جائز ووارد في لغة العرب ، ويدعى كلاهما بالمجاز المرسل ، فيصح أن يسمى المحل باسم الحالّ (بتشديد اللام) فيه .. كما حدث في جدة هنا . ويصح أن يطلق اسم الحالّ (بتشديد اللام) على المحل ، كما حدث في اسم « يثرب » الذى سميت به المدينة ، أخذاً من اسم الحالّ فيها وهو أحد سكانها الذى يسمى «يثرب» .

رابعاً : ذكر ابن جبير في رحلته أن بهذه القرية ـ أي جدة ـ وسماها قرية لضآلة شأنها في عهده ـ آثاراً قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة(١) ثم أردف ذلك بقوله : « وبخارج هذه البلدة مصانع قديمة تدل على قدم اختطاطها » . وذكر أنها كانت من مدن الفرس(٢).

خامساً : وفي كتاب الأصنام : انه كان لمالك وملكان ابني كنانة بساحل جدة ، وتلك الناحية ـ صنم يقال له « سعد » وكان صخرة طويلة فأقبل رجل منهم بابل له ليقفها عليه يتبرك بذلك فيها ، فلما أدناها منه نفرت الابل منه « وكان يهراق عليه الدماء » فذهبت ابله في كل وجه وتفرقت عليه وأسف فتناول حجراً فرمى به الصنم «سعداً» وقال :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة في تنوفة من الارض لا يدعى لغى ولا رشد ؟!(٣)

وهناك بحث عن موضع هذا الصنم وهل له علاقة بجزيرة سعد أو أبى سعد التى تقع على مسافة غير بعيدة من شاطىء البحر جنوب جدة ؟ وهل كانت هذه الجزيرة في القديم متصلة بالساحل وفيها ذلك الصنم ؟ ومن الباحثين من استبعد ذلك ورأى ان هذه الجزيرة كانت مواجهة لمكان هذا الصنم وسميت لأجل هذا باسمه(٤) .

هذا وقد ذهبت بنفسى الى تلك المنطقة لتحقيق ما ذكر فبدا لى من الكشف والتأمل في المنطقة أن جزيرة سعد أو أبى سعد مجاورة للشاطىء وأمامها من بعد غير بعيد سهل أفيح الى ناحية الشرق .. وهذا السهل الأفيح هو (تنوفة) جرداء كما وصف الشاعر به موقع الصنم (سعد)

(١) ابن جبير : رحلته ص٥٣ طبعة بيروت سنة ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م .
(٢) نفس المصدر والصفحة والطبعة .
(٣) ابن الكلبي : الأصنام ص٣٧ .
(٤) السيد رزق الطويل : المنهل العدد الصادر في ذي الحجة ١٣٧٩هـ ص٦٧٦

فلربما كان الصنم المذكور في مكان ما بهذه التنوفة .. أي الصحراء ، في موقع مسامت لجزيرة سعد أو أبى سعد . ولعدم وجود شيء بجانب الصنم الوحيد الفريد ، ولقرب الجزيرة نسبياً منه سميت باسمه بسبب المجاورة .. وهذا رأي له وجاهته ..

سادساً : وقد أورد أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري قوله : «وهي – أي جُدة – من بنيان الفرس ، بنوا أسوارها ، أتقن بناء ، وكذلك مساكنها ودورها ، حتى لا يكون أتقن منها . وكان ينزلها ملوك الفرس للتجار والقادمين من الآفاق ، فانها محط السفن من الهند وعدن واليمن وعيذاب والقلزم وغيرها »(١) .

وما أشار اليه من علاقة تجار جدة بالفرس وبملوكهم حيث كانوا ينزلون بها التجار القادمين من الآفاق ، يذكرنا بما أورده الدكتور جواد علي ، من اهتمام «دارا» ملك الفرس بأمر التجارة البحرية وأمره لبعض اليونانيين بالذهاب الى المحيط الهندى والبحر الأحمر لكشف تلك المناطق وتكوين صلات تجارية معها . وقد افتخر « دارا » بأنه استطاع أن يسير السفن عبر القناة من مصر الى أرض فارس وقد كانت هذه الخطوة من أعظم الخطوات في تاريخ التجارة العالمية ولا شك(٢) .

واذا قارنا هذا بما ذكره ابن المجاور من أن بعض بني فارس قدموا الى جدة من بلادهم فاستوطنوها وعمروها ، فاننا نستشف من خلال ذلك أيضاً قدم صلة الفرس بجدة . وأنها كانت قديمة الانشاء أقدم مما نتصور كثيراً . وأقدم من بناء حفيد يزدجرد لها . على ما رواه ابن المجاور في عرض بحثه عن جدة . بصورة مهزوزة لا تخلو من بعض اضطراب وعدم تمحيص .

---

(١) أبو عبد الله بن محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في أخبار الأقطار . الصفحة ٧٤ . النسخة الخطية المحفوظة بخزانة كتب عارف حكمة بالمدينة . وقد كتبت سنة ٩٧١ هـ وهي تحت الرقم ٣٦٥ قسم التاريخ .

(٢) الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ص٣٤١ .

ومما يدل على قدم جدة أن الاسكندر المقدوني جاء مكة في حياة النضر ابن كنانة ، ثم قطع البحر من جدة يؤم بلاد المغرب ، على ما ذكره أحمد بن داود الدينوري(١) .

والاسكندر عاش في القرن الرابع قبل الميلاد «٣٥٦ـ٣٢٣»(٢) .

وليس لنا كباحثين تقدميين أن نقابل ما رواه الدينوري بالرفض لمجرد أن ذلك رواية عربية قديمة . ففى مثل هذا الموقف يقول عباس محمود العقاد : « ولعل الكشوف الكثيرة التى تعاقبت خلال القرن التاسع عشر وتبين منها أن روايات الأقدمين لم تكن كلها من قبيل الأساطير قد أقنعت أكثر الباحثين بأن الرفض بغير برهان أضر بالبحث من القبول بغير برهان ، لأن الذى يجزم برفض خبر قديم انما يحكم بالاستحالة على الممكنات الكثيرة التى تجوز ولا تمتنع في العقول ، وخير منه عقلا من يقبل شيئاً ممكناً وان لم يقم البرهان على وقوعه فعلا كما وقع غيره من الممكنات »(٣) .

والدينوري هذا مؤرخ وصاحب معاجم وفلكي وعالم نباتي على الأخص(٤) ومن كان كذلك لا يحسن الظن به انه يلقى الكلام على عواهنه بدون أساس أو مستند وان لم يذكره لنا في تاريخه الكبير : (الأخبار الطوال) .

سابعاً ـ ويرى بعض الباحثين ان جدة بنيت عند تبلبل الألسنة وتفرق الأمم ، وصاحب هذا الرأي هو ياقوت الحموى ، وانه وان كان بعض متأخرى الباحثين يؤول قول ياقوت هذا بأنه انما قصد بالأمم ، قبائل العرب ، وبتبلبل الألسن اختلاف لهجاتهم(٥) فاننا لا نشايع هذا

(١) أحمد بن داود الدينوري : الاخبار الطوال ص٢٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٠م .
(٢) الموسوعة العربية طبع بيروت ص٥٧ .
(٣) عباس محمود العقاد : « الانسان في القرآن » ص٦٩ طبع دار الهلال بالقاهرة .
(٤) الدوميلي : «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي» ص٢٦٦ طبعة دار القلم بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م .
(٥) السيد رزق الطويل : مجلة «المنهل» عدد ذي الحجة ١٣٧٩ هـ ـ مايو ويونيو ١٩٦٠م ص٦٧٢ .

الباحث في هذا التأويل الذى يبدو عليه التـكلف وعـدم الانسجام مع قول ياقوت الواضح وضوح الشمس في رائعة النهار .

ثامناً ــ ان المكتب الهندسى الاستشارى ضَـمَّنَ تقريره المكتوب سنة ١٣٨٠ هـ رأيه بعد الفحص والتأمل ، والبحث العلمي والفني .. يقول هذا التقرير : « جدة القديمة تكون بحد ذاتها مرتفعاً أو تلة ، ويعتقد أن ذلك ناجم عن قدمها حيث انه من الظواهر المألوفة أن يرتفع منسوب الأماكن المأهولة مع الزمن بالنسبة الى قـدمها وذلك بسبب جلب المواد اليها وخاصة مواد البناء ، ولعل سكان جدة الأقدمين قد استفادوا من تقبب بلـدتهم لحمايتهـا من السـيول التى تأتي بغـزارة في كثـير من الأحيان(١) .

هذا وقد ورد في نقش ثمودي عثر عليه في « وادى بُويب » على بعـد ١٥ كيلومتراً شمال شرقي جدة ــ تضرع يطلب فيه « ناقشه الثمودي » من الآله أن يمنحه الـكمال والود والسـلام ، ويذكر هـذا النـاقش الثمودي الذى يبدو أن اسمه هو : « سـاكت بن يشعن » ، أن انسـاناً اسمه أو اسمها : (جمأت) (جمعة) أصيبت بالحمى »(٢) .

ومن هذا النقش الأثري نستطيع أن نستنتج أموراً :

أولها : أن الثموديين نزلوا جُدة قبل قضاعة أو معها أو بعدها .

وثانيها : أن سكناهم بمنطقتها التى منهـا وادى بُو يب ، قد تكون سكنى استقرار واقامة دائمة .

وثالثها : ان الحمى المعروفة بها منطقة جدة حتى عهد قريب . قـد كانت تنتابهم ، ومنهم جمأت « جمعة » التى ذكر الثمودي كاتب النقش أنها أصيبت بالحمى .

---

(١) التقرير التمهيدي لتصريف المجازير لمدينة جدة ص١ وهو منسوخ بالآلة الكاتبة .

(٢) الشيخ نسيب وهيبة الخازن : «من الساميين الى العرب » يجزم بان هذا الانسان هو رجـل .. وليس الأمر كذلك لأن ناقش الأثر قد ألصق بالفعل المبنيْ للمجهول تاء التانيث : (حنحمَتْ) فالمسند اليه الفعل هنا امرأة .. مثل قولنا : (أوقظت حميدة) . واذن فان نص الاثر وسياقه يدلان على انه امرأة ، وليس برجل .

مدينة جُدة في مرآة التاريخ



سنستعرض في هذا الفصل ما صور به المؤرخون والجغرافيون جدة ، كل من زاويته ، منذ القرن الهجري الثالث حتى اليوم ، وسندمج ذلك مع بعضه ادماجاً مرتباً ، ونحلله تحليلا منطقيا ، لنصل من وراء ذلك الى تجلية أوضاع مدينة جدة العمرانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، عبر القرون الخالية .

وأقدم من رأيناه يعطينا وصفاً مركزاً لمدينة جدة هو « أحمد بن سهل أبو زيد البلخي » المتوفي سنة ٣٢٢هـ(١) في كتابه : « ذكر المسافات والأقاليم » .

قال : « وهي – أي جدة – كثيرة التجارات والأموال ، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالا وتجارة منها وقوام تجارتها الفُرس »(٢) .

وجاء بعده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الدمشقي المعروف بالبَشَّاري فوصفها بأنها : «حصينة عامرة آهلة» أهلها أهل تجارات ويسار ، خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر ، وأهلها في تعب من الماء ، قد غلب عليها الفرس ، ولهم بها قصور عجيبة وأزقتها مستقيمة ووضعها حسن ، شديدة الحر جداً »(٣) .

وفي نفس الوقت كان قدوم الاصطخرى الى جدة فوصفها وصفاً لا يخرج عن نطاق وصف البشارى ، وأشار الى أن « قوام تجارتها الفرس »(٤) أيضاً .

ونعلق على اتفاق الفرسان الثلاثة : البلخى والبشارى والاصطخرى على أن قوام تجارة جُدة – الفُرس ، بأنه يبدو منه واضحاً أن

---

(١) خير الدين الزركلى : الاعلام ص١٣١ ج١ الطبعة الثانية بمصر .

(٢) أحمد بن سهل أبو زيد البلخي : ذكر المسافات والأقاليم ، النسخة الخطية القديمة المحفوظة في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة .. وقد كتب عليها أنها « ميراث من خزانة أمير المؤمنين المهدي العباسى الى صفيه المأمون ، وفي صفحة أخرى أنها « من خزانة أمير المؤمنين المهدى العباسى » .

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٧٩ مطبعة ليدن بهولندا سنة ١٩٠٩ م .

(٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ص٢٣ مطابع دار القلم بالقاهرة سنة ١٣٨١هـ – ١٩٦٠ م .

استيطانهم بها قديم ، وقد استمر ذلك حتى عصرنا الحاضر ، فلا بد أن أمرأ ما ، يشدهم الى الاقامة والاتجار بها .

ووافى جُدة بعد البشَّاري ، ناصر خسرو (الفارسى) حاجاً من بلاده عن طريق البحر الأحمر فوصفها لنا وصفا لا يخرج عن اطار من سبقه .. مما يدلنا على أنها في خلال مائة عام لم يحصل عليها أى تغير يذكر ، فهى في عهد ناصر خسرو مزدهرة التجارة باسقة العمران ، كما كانت من قبل .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل من ناحية عامة على ما كان يتمتع به العالم الاسلامى من استقرار ومنعة . والتاريخ يحدثنا بما بلغه سلطان المسلمين السياسى والحربى والثقافي ، في القرنين الهجريين : الثالث والرابع ، ففى خلال القرن الرابع أسست مدينة القاهرة ، وفيه كانت بغداد كعبة رواد الثقافة في العالم ، وفيه كانت القوة العربية الحربية ذات طاقة متصاعدة لا تقهر . وممن كانوا يمثلونها ، سيف الدولة الحمدانى .. الذى دوخ بلاد الروم بغزواته وحروبه المطردة .. وفي الأندلس ، أبو عامر الحاجب المنصور . ومع أن فتنة القرامطة امتدت حتى تمكنوا من احتلال مكة في أوائل هذا القرن فانها كانت اعصارا مؤقتا لم يلبث ان أخمدته القوة الاسلامية النامية المتماسكة في بغداد ومصر ، فعادت المياه الى مجاريها ولم نسمع بأن جدة تأثرت كثيرا بهذه الفتنة .

وما يقال في القرن الرابع الهجريّ يقال بتحفظ في القرن الخامس، فبرغم تكاثف الأعاصير التى كانت تهب على العالم الاسلامي يومئذ كان حصن الاسلام في جملته منيعاً تتكسر دونه أمواج الحوادث العاتية .

وفي هذا القرن الخامس الهجريّ دخل الطوارق الملثمون المقيمون في الصحراء ـ في الاسلام واتخذوا لأنفسهم اسم المرابطين .. وهزموا النصارى الاسبان في معركة « الزلاقة » سنة ٤٧٩هـ الموافقة لسنة

١٠٨٦ م . وفي هذا القرن دخلت طاقة جديدة في الاسلام ، فلقد اعتنق الفرع السلجوقى من الترك ، الاسلام . وكان هؤلاء القوم الأشاوس متحمسين لدينهم الجديد . وقد اخترقوا فارس ودخلوا بلاد الجزيرة والشام وانتصروا من جهة أخرى على البيزنطيين في الأناضول ، ودخلوا الأناضول فاتحين ، ومن ثم قرروا مصير آسيا الصغرى بدخولها فيحظيرة الاسلام ، وفتح محمود الغزنوى في نفس القرن الجزء الشمالى والغربى من الهند ، وضمه الى حظيرة الاسلام ، كما بلغ الاسلام القمة في العلوم الثقافية نتيجة الازدهار السياسى والانتصارات الحربية(١) .

وفي منتصف هذا القرن وفد ناصر خسرو ، من فارس ، وشاهد جدة كما شاهد من قبلها كثيرا من أمهات مدن العالم الاسلامى والعربى ، فأعجبه جلالها وجمالها وازدهارها التجارى والعمرانى ، ووصف أسواقها بأنها جميلة وبأنها محصورة في داخل سورها الحصين ، كما وجه انتباهنا الى عدم وجود الأشجار والزروع بها ، برغم ازدهارها العمرانى ، وأعاد ذلك ضمنا الى ندرة الماء العذب بها(٢) .

ونلاحظ أن ناصر خسرو ، عُني بأن يقدم لقراء رحلته « وصفا نموذجيا » كاملا مع الايجاز ، لمدينة جدة ، حينما قدم اليها . فانه وصف سورها بالحصانة ومنازلها بأنها جميعا بداخل هذا السور . وهى حالة اقتضاها الأمن الداخلى للبلد الثرى المحاط بالأعراب ، والذى هو مورد الأغراب .

وجاء فينسخة ترجمة كتابرحلة ناصر خسرو القبادياني ، المطبوعة بالآلة الكاتبة في مجلد ضخم ، ترجمة الدكتور أحمد خالد البدلى الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب : جامعة الرياض ــ جاء فى

(١) أطلس التاريخ الاسلامي ص١٢ و١٤ تاليف هاري و. هازارد : ترجمة ابراهيم زكي خورشيد ، نشر مكتبة النهضة بالقاهرة .

(٢) سفرنامه : الترجمة العربية للدكتور يحيى الخشاب ص٧٤ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م .

النسخة قول ناصر خسرو عن عدد سكان جُدة أيام قدومه اليها بحرا : « وعدد سكانها نحو من خمسة آلاف نسمة » ووَصَفَ أسواقها بأنها « نظيفة جيدة » ولها بابان : باب مما يلي مكة وباب مما يلي البحر ، وقال : ان أميرها مملوك لأمير مكة وهو أيضاً أمير المدينة واسمه : « أبو المعالى بن أبى الفتوح »(١) .

وفي القرن السادس الهجرى حج الرحالة العربي الاندلسى : محمد بن أحمد بن جبير ، فآتانا صورة أدبية حساسة لمشاهداته وانطباعاته عن جدة . وكان هذا الوصف مخالفا لما وصفها به المؤرخون والرحالون السابقون ، انه وصف 'أسدلَ عليه جلباب قاتم سميك من التأخر العمرانى والاجتماعى « فعماراتها الفخمة استحال أكثرها الى بيوت من (حصاصٍ) وأهلها الأثرياء المترفون فيما مضى اضحوا في شظف وبوس من المعيشة يذيب الجماد ، أسى ، والمستوى الاجتماعى العام منخفض كثيراً . . فبعد التجارة المزدهرة ،والنعيم المقيم رضى أهلها بأن يستخدموا أنفسهم في كل مهنة لتحصيل لقمة العيش ، فكان منهم من يُكرِي الجمال، ومنهم من يبيع اللَّبَنَ أو الماء للحجاج، واذا لم يكن لأحدهم شيء مما ذكر فهو يلتقط التمر من الشوارع أو يحتطب الحطب من ضواحى البلد ويبيع ما جَمَعَ . . وربما تناول نساؤهم الشريفات ذلك بأنفسهن »(٢) .

ونعتقد ، نتيجة لانكماش الحالة الاقتصادية بجدة اذ ذاك ، هذا الانكماش البالغ ــ أن كثرة من تجارها وسَرَاتِها وأثريائها قد اضطرتهم ظروف الحالة الاقتصادية المؤلمة للنزوح عنها الى أوطان جديدة أحسن حالا وأرفع مستوى منها . وهذا ما ساعد أيضاً على ازدياد تأخرها الاقتصادي ، فان رحيل وجوه الناس بِأُسَرِهِم وأموالهم وخدمهم وحشمهم عن بلد ما ، يؤدى به ــ لا محالة ــ الى انهيار اقتصادى

(١) « سفرنامه » رحلة ناصر خسرو القبادياني ص١١٩ .
(٢) رحلة ابن جبير ص٤٢ مطبعة عبد الحميد حنفي بمصر سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م .

سريع ، فلا يبقى به الا الطبقة الفقيرة والتى فوقها بقليل ممن لا يجدون الى نُقلَة سبيلا ، أو ممن لا يطيقون لبلدهم جفوة وفراقاً . . .

واذا أردنا أن نضرب مثلا للحالة المشار اليها آنفاً فانه بوسعنا أن نضرب هذا المثل من واقع عصرنا وأن نأخذه من واقع بلد « ينبع البحر » الذى كان فيما مضى في ازدهار واستقرار حتى جاد بشعراء وأدباء مرموقين ، وبسَرَاة وأثرياء ووجهاء معروفين ، وبتجارات وتصدير وتوريد . فاذا به قبل عشرين عاماً أو نحوها وقد اجتاحته أزمة في المعايش والتجارة بسبب عدم رسو البواخر التى كانت ترسو به في مواسم الحج وغيرها . وقد نتج عن ذلك نزوح كثير من ذوى الوجاهة واليسار عن البلد الى غيره من شتى مدن المملكة حيث طاب لهم العيش وحلا لهم المقام ، وبقى بالبلد أناس أصروا على البقاء به برغم ما يعصف بهم من متاعب وقلة أسباب معيشة ، ونضوب موارد(١) .

هذا وقد كان خليقاً بجُدة أن ترزح في ذلك القرن السادس تحت أعباء البؤس والانكماش الاقتصادى ، فان بلاد المسلمين عامة وديار الحجاز خاصة قد توالت عليها النكبات وعدم الاستقرار . . فها هى ذى الحروب الصليبية المرعبة الفظيفة ، ناشبة في شمال وغرب جُدة لا يفصلها عن معاركها الطاحنة سوى شقة من البر وخيط من هذا البحر الأحمر الذى هو في حقيقة أمره أشبه بخليج ممتد من المحيط الهندى ، وكان أهل

---

(١) قبل اعادة طبع هذا المجلد الأول من الكتاب حدث مالم يكن في الحسبان لمدينة ينبع البحر ، فقد قررت الحكومة السعودية احياءها وجعلها ميناء مرموقاً يقارب مستواه العمراني والصناعي أو يضاهي مدينة جدة المتطورة حيث قررت أن يكون بها مدينة صناعية حديثة متطورة وميناء ذو حيوية واشراق عالميين بل قويين ليقام فيها مطار عالمي ومحطة كبيرة لتنقية مياه البحر المالحة واحالتها الى مياه عذبة تروى كلا من ينبع والمدينة المنورة ومصفاة كبرى لتصدير النفط يصلها الزيت من المنطقة الشرقية بالأنابيب الى مشروع للشركة السعودية « سابك » لتنفيذ صناعات البتروكيمائيات والاسمدة وغيرها من الصناعات القائمة على المواد الهيدروكربونية الى جانب صناعات المعادن والصناعات الاساسية الاخرى . وقد أقيم مهرجان عظيم برعاية جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في ينبع يوم السبت ١٣٩٩/١٢/٢٧ هـ - ١٩٧٩/١١/١٧ م وقد أزاح جلالته الستار عن اللوح التذكاري لافتتاح المشروعات الصناعية الأساسية في مدينة ينبع وسنفصل القول عن ذلك تفصيلا كافياً في المجلد الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله .

الحرمين الشريفين قلقين من جراء استفحال هذه الحروب ، ولما كان يبيته المغيرون ، لهما ، من سوء نية وخبث ضمير .

وجدة ـ وهى مرفأ الحجاز الأول ـ أدعى للقلق والاضطراب فان مطامع الصليبيين العارمة في امتلاكها ما كانت لتخفى على أهلها . ومما زاد الطينة بلة أن الحجازالذى تقع جدة في جهته البحرية الأمامية كقاعدة حربية وتجارية هامة ، كان يعانى من اضطراب الحكم بين السلاجقة والأيوبيين وغيرهم(١) .

ولم يكن صلاح الدين بن أيوب بمستطيع أن يتلافى الاضطراب الاقتصادى في جدة فقد كان لديه شغل شاغل أهم من تدارك اقتصاد بلد معين . انه كان يقاتل جحافل الصليبيين المتدفقة ، بالجحافل الاسلامية.. التى يجمعها من هنا وهناك ، خائضا بهم المعارك الطاحنة في سبيل الحفاظ على بيضة الاسلام حيال هذه السيول الجارفة الطامية التى انصبت على الشرق من أوربة الحاقدة المتصاعدة قوتها حينئذ .

وفي وسط ذلك الضباب القاتم ، بل العواصف القواصف كان مقدم ابن جبير الى الحجاز من بلاده : «الأندلس» المنكوبة بالاحتلال الأسبانى والحقد الأوربي الذى كان يغلي على العالم الاسلامي حينذاك . وكان ابن جبير أديباً حساساً مرهف الشعور ، وكان أول بلد حجازى وطئته قدماه بعد رحلة بحرية متعبة مرعبة من عيذاب ـ هو « جدة » . فلا غرو أن يفرغ جميع احساساته في استيعاب أحوالها ، وأن يصب ذلك في قالب أدبى شفيف .. وهكذا جاءت كتابته عنها كتابة سوداء تقطر أسى وألماً ، وتفيض دموعاً ، وحسرة وغما ، على ما رأى من علامات الفوضى وأسباب الاستغلال الجائع النهم ، والتأخر المفرط ، والانكماش الإقتصادى المحزن ...

(١) أطلس التاريخ الاسلامي ص١٦ .

وبعد ابن جبير بنحو قرن من الزمان ، وصف جُدة مؤرخ عربي آخر مشهور هو جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الدمشقي . وقد قدم لنا وصف جدة وقال : « انها مدينة صغيرة على ساحل البحر » ووصفها بشدة ازدحام الحجاج بها(١) وعرج على ندرة الماء بها وقال : انه يجلب اليها من أماكن بعيدة» . وأضاف الى ذلك أن أهلها من نسل العجم . وهو يقصد بالعجم ، الايرانيين ، ووصف أبنيتها بأنها من الحجر الكاشور ، والحجر « الكاشور » هو نفس الحجر الرملي المعروف في جُدة «بالمنقبى» كما أسلفنا ، ومن الخُوص .. وأفادنا بأن جدة كان بها « خانات » أى فنادق تؤجر فيها الغرف للمسافرين والحجاج ، وأن بها خانين كبيرين متقابلين بمخازن كبار ، ويقال ان الأمير شمس الدين طنبغا بنى بظاهرها ـ خاناً كبيراً عظيماً سنة ٦٢٣ هـ ، وانه كانت تجبى بها « رسوم » للعقار من قبل سلطان مصر مقابل تعمير كل بيت مبنى بالخوص ومقدار هذه الرسوم العقارية هي ثلاثة دراهم كل سنة على كل بيت .

ونعتقد أن بيوت الخوص انما خصت بجباية « رسوم العقار » منها ، لأنها كانت تستغل في الايجار ، على الحجاج والمسافرين . أما البيوت الحجرية الكبيرة الخاصة بسكنى أصحابها فيها ، فهذه ما كان يؤخذ عليها شيء من الرسوم لأنها ليست مجعولة للاستغلال .

ونلاحظ فيما أنبأنا به ابن المجاور أن شيئاً من الازدهار قد عاد في وقته الى جُدة ، بالنسبة للنكسة الكبرى التى منيت بها يوم قدمها سلفه : « ابن جبير » قبل نحو مائة عام .. وآية ذلك أن ابن المجاور وجد في جدة منازل حجرية وفنادق كبيرة وكثيرا من أكواخ الخوص التى أقامها ذووها لمحض الاستغلال .. ورب قائل يقول هنا : قد يكون ابن جبير متأثراً مما لاقاه من متاعب في رحلته وعدم تقدير الناس لعلمه وأدبه في جدة ، فصب جام غضبه وأمله عليها .. فصورها كما صور

(١) ص١٥ من تاريخ المستبصر لابن المجاور طبعة ليدن سنة ١٥٩١ م .

وقلل من شأنها ، وركز الصورة الحالكة بالنسبة لها على بيوت الخوص الحقيرة وأهمل غيرها ..وقد يكون 'أنزلَ' بأحد هذه الخصاص المتواضعة التى تفتقر الى كثير من الجمال ومن النظافة ومن وقاية الحرور ..

ونُجيبُ بأنه قد يكون كل هذا أو بعضه صحيحاً ، ولكن الصورة التى رسمها ابن جبير لجُدة يومئذ ، كانت صورة عليها طابع الاخلاص وشارة الحقيقة ..

هذا وقد حدثنا ابن جبير عن الرسوم الباهظة التى كانت تستوفى من الحجاج في زمنه ، وألقى تبعة ذلك على حكام هذه البلاد المقدسة ..

● ● ●

واذا نظرنا الى حالة العالم الاسلامى عامة من نافذة هذا القرن فاننا نجد الاضطراب في أنحائه متفاقما . ذلك أن « المغول » وهم ــ قبل اسلامهم ــ شَرُّ خلق الله على خلقه ، وأضَرُّ خلق الله لخلق الله.. فلقد استطار شرر غزواتهم المريعة في العالم . فاجتاحوا أوربا ثم انحدروا الى الشرق الأوسط ، وكان الحجاز يومئذ في حكم الأيوبيين ، وقد تمكن المماليك البحرية بعد كفاح مرير من أن يقفوا تيار غزو المغول لهذا الشرق .

هذا ومما حدثنا به ابن المجاور ما اعترى جدة من خراب في القرن الهجري الخامس (بعد واحد وثلاثين عاماً من مقدم ابن جبير اليها) وكان سبب هذا الخراب هو ما تزخر به جدة من ثراء عريض أطمع شريف مكة وأغراه بالاستيلاء على ما فيها من أموال طائلة ، اما دعما لسلطته ، أو لمجرد حب المال ، أو لخلاف سِرّي نَشِبَ بينه وبين أهلها مما دعا موسريها الى النزوح عنها بحراً ، هرباً بأنفسهم وبأموالهم من أن تصل اليها يد الشريف .

ومؤرخ جدة لا بد أن يذكر ما طرأ عليها من خراب فأحالها قفرا في عام ٤٧٣ هـ .

وذلك ان « صاحب مكة انفذ الى شيخ التجار بجدة وطلب منه حملا من حديد . فقال الشيخ للغلام وهو واقف عنده : اعطه حملا حديدياً.. فقام الغلام باعطاء الرسول حملا حديدياً ،فلما فُتِحَ الحمل الحديدي أمام الأمير بمكة وجده قضبان ذهب ، فرد الرسول وقال له : قل للشيخ يتفضل وينعم وينفذ الى ، بحمل ثان من حديد هذا العين . فلما علم التاجر بقصة المال نادى الغلام فقال له : ماذا أعطيت الرجل ؟ فقال : حمل حديد اصفَرّ (بتشديد الراء) من طول الخبا ، وقد علاه الصدى من طول المدى ، فتحقق الشيخ عند ذلك ان الحمل كان قضبان ذهب ، وعرف أن صاحب مكة قد طمع فيهم . فقصد الشيخ الى شيخ كبير في السن ــ كان عندهم ــ فشاوره في أمره وماذا يصنع ؟ فقال له الشيخ : الذى عندى انكم قوم موسرون فخذوا جميع ما تحتاجون اليه ويركب كُل مركبه وينطلق في (هذا البحر الواسع ، وأي موضع أعجب الرجل منكم نزله وسكنه ، بعد أن تخلوا البلد « جوف حمار أو كرأس ليس فيه خمار » . فعند ذلك عبأوا أمتعتهم في المراكب ورفع كل قلعه ودخلوا البحر ، وفي رواية أخرى ان العرب جاءوا وحاصروا القوم فلما قل عليهم الماء ركبوا مراكبهم وعدوا في البحر فسكن قوم منهم السرين والراحة وعثر والجرعة والدرعة ودهلك وبيلول وجُندة من جزيرة فرسان والمخاء وغلافقة والأهواب والشميد وجزيرة ذهبان وكسران وبندر موسى وباب موسى ، فلما خلت الأرض من الأحباب ملكها الأعراب ، في دولة الأمير داود بن هاشم »(١) .

ويمكننا أن نستنتج من رواية ابن المجاور هذه أموراً .. منها :

١ ــ انه كان في جدة بالقرن الهجرى الخامس شيخ للتجار وهو أحد مراجع البلد المهمة .

(١) ابن المجاور الشيباني الدمشقي : تاريخ المستبصر ص٤٥ و٤٦ طبعة ليدن سنة ١٩٥١ . ويلاحظ أن بعض مؤرخي جدة وقعوا في اضطراب وهم يذكرون هذه الحادثة فقد قرنوها ببناية الفرس لها . وبناية الفرس لها كانت في عهد الجاهلية .. أما هذه الحادثة فكانت في عهد الاسلام كما هو واضح .

٢ ــ ان جُدة في ذلك القرن كانت في ثراء عظيم .. حتى ان الذهب تصنع منه السبائك الضخمة ويلقى بها في المستودعات فلا يفرق الخدم بينها وبين قضبان الحديد .

٣ ــ ان صناعة الحديد كانت رائجة في جدة بدليل طلب أمير مكة من شيخ تجار جدة قضبان الحديد « الذهبية » ، وقد يكون الحديد المتراكم بمستودعات تجار جُدة حينئذ مستخرجاً من جبال جُدبة أو من جبـال وادي فاطمة ..

٤ ــ انه كان بجدة « أسطول بحرى شراعى » في ذلك القرن خاص بأهلها يستعملونه في تجاراتهم وأغراضهم وهو الذى عبأوا أمتعتهم في مراكبه فأقلعت بهم في عرض البحر بعيداً عن جُدبة .

٥ ــ ان هجرة أهل جدة منها على ما يبدو لى ، كانت جماعية وبسبب حصار الأعراب لها وفقد الماء فيها .. على الرواية الثانية لابن المجاور، وكانت هجرتهم الى ناحية الجنوب سواء شرقى البحر الأحمر أم غربيه . و «غلافقة» التى وردت في أسماء منازلهم ــ باليمن على ما ورد في ص٦٨ من نفس الكتاب .

٦ ــ انه كانت توجد قرية في فَرَسَانَ تسمى باسم (جُدة) كما كانت توجد جزيرة في البحر الأحمر تسمى باسم (ذهبان) اضافة الى المحطة الواقعة بين جدة ورابغ والتى هى بهذا الاسم أيضا .

• • •

وكان يحيط بجدة قرى صغيرة في الجنوب والشمال أكثرها مؤلف من بيوت صغيرة أو أكواخ ، يسكنها البدو والجَمَّالة وكثير من الزنوج(١) وهذه القرى يعنى بها النزلة اليمانية ونزلة بنى مالك والرويس في جنوب جدة وشمالها الشرقى وشمالها ..

(١) عمر رضا كحالة : شبه جزيرة العرب ص١٦٤ .

وفي أوائل عهد الحكومة السعودية كانت جدة امارة أو قائمقامية تمتد من القضيمة شمالا حتى طريق جبل السعدية جنوبا والى الهضاب الساحلية شرقاً(١) .

هذا وقد زادنا ابن المجاور ايضاحا عن ماهية الرسوم التى كانت تستوفى بقسوة من الحجاج المغاربة بأمر من ولاية الأمر بمكة ، ونبهنا الى ما كان حجاج افريقية يقاسونه من صعوبات ازاء أداء هذه الرسوم وكيفية أدائها وما يتبع ذلك ـ ان توقف بعضهم أو لم يستطع أداءها ـ من تنكيل وحجز في جزيرة قريبة من جُدة(٢) لعلها جزيرة سعد أو أبى سعد أو الواسطة .

وبعد قرن من تصوير ابن المجاور لجدة وفد اليها من المغرب الرحالة العربي الذى طبقت شهرته آفاق العالم ، وهو «ابن بطوطة» .. وكانت الصورة التى قدمها ، لجُدة في (مرآة التاريخ) صورة قاتمة يخيم عليها البؤس والانكماش تماماً ، وهي تشبه الصورة التى رسمها ابن جبير لجُدة . ان عدد السكان قد نقص بصورة هائلة حتى ان عدد رجالها ما كان ليكمل النصاب المفروض لصلاة الجمعة ، وهو أربعون رجلا .

أتخيل أنّ جُدة في ضوء هذا الوصف المعبر كانت أقل شأناً من قرى بعض المحطات بين جُدة والمدينة اليوم . وهذا التقلص الكبير في عمران جُدة ناشيء لا محالة من عوامل خارجية وداخلية .. فان القرن الثامن الهجري (كما نعلم) ، كان مليئاً بالهزات والتقلصات والاضطرابات العنيفة .. فالأندلس يتقاسمها المسيحيون وبنو نصر . والمعارك مضطرمة هناك بين الاسلام والمسيحية ، وكفة الاسلام مرجوحة بسبب فرقة أهله ، وتناحر زعمائه ، وتكايد أمرائه وملوكه . وأفريقية الشرقية في اضطراب ، ولقد انتزع الصوماليون الوثنيون الساحل

(١) نفس المصدر والصفحة .
(٢) ابن المجاور الدمشقي : تاريخ المستبصر ص٤٨ و٤٩ .

المناوح لجُدة من المسلمين ، وبلاد فارس في تناحر ونزاع مستمر ، والحجاز كان طعمة سائغة لأطماع ونزوات أمرائه من الأشراف . وكانوا شيعاً ذوى أهواء متفرقة ، والبادية في الحجاز تعيث فساداً في الأرض ، بدون رادع أو زاجر ، ويد السلاطين المسلمين خارج الحجاز قاصرة عن أن تمتد اليهم لاعادة استقرار الأمن الى ربوعه ، والأمن أساس كل حياة اجتماعية فاضلة . ولا غرو (والحالة هذه) ان يهبط مستوى التجارة البحرية في البحرين : الابيض والاحمر اللذين تعتمد عليهما تجارة جُدة في تقدمها وازدهارها .. وأن يركد .

هذه العوامل مجتمعة ـ كما أرى ـ أنتجت تقلص عُمرَان جُدة وتجارتها ومجتمعها على ما رسمه لنا ابن بطوطة .

فلما دخل القرن الهجرى التاسع ، رأينا العالم الاسلامى يتعرض لحملة استعمارية غربية مسعورة ، وكان رأس الجسر أو رأس الحربة في هذا الاستعمار الذى ذر قرنه من الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي يتمثل في غزوات البرتغاليين الذين كانت قوتهم البحرية في نمو مطرد. فأطمعهم نموها في استعمار ديار المغرب والمشرق الاسلامية الوفيرة الثراء والرخاء والخيرات ، فنشطوا للقيام الجاد بما يفتت كيانها من تفكك وتنازع . ثم كان سيلهم الجارف قد اتجه في أواسط القرن الهجري العاشر : (سنة ٩٤٨ هـ)لكسر شوكة المغرب العربي وكانت معركة وادى المخازن بينهم وبين المغاربة الأشاوس . وقد نصرهم الله على البرتغاليين نصراً مؤزرا في هذه المعركةالاسلامية الظافرةالحاسمة(١)

وكانت جُدة بطبيعة أنها أحد مراكز العالم الاسلامي التجارية المرموقة ـ هدفا بطبيعة الحال لطموح البرتغال . وقد ادرك السلطان

(١) راجع عن معركة وادى المخازن كتيب « معركة وادى المخازن » ودور الأسرة الريسونية منها ، لعلي الريسوني المحامي ، ومجلة «دعوة الحق» المغربيةفي عددها الخاص الصادر بمناسبة الذكرى الاربعمائة لمعركة وادى المخازن في شهر رمضان ١٣٩٨هـ ص٢١ـ٢٦ و ص٢٧ـ٢٩ .

قانصوه الغورى أحد سلاطين دولة المماليك البُرجِيَّة نيتهم المبيتة . وكان يحكم الحجاز . فبادر الى اقامة سور محصن على جُدة وزوده بالقلاع والأبراج وبالمدافع المضادة للسفن الحربية المغيرة وملأه بالرجال المدافعين . واستعدت جُدة واستعدت معها مكة للدفاع عن « ثغر الحجاز الأول » الذى ان سقط ـ لا قدر الله ـ كان الخطر المحقق محدقاً بالحرمين الشريفين . وقد اتخذ قانصوه الغورى من جُدة قاعدة بحرية لقتال البرتغال ذوى المطامع الاستعمارية الكبيرة ، في ديار الاسلام بالمشرق وبالمغرب معاً . وكان اكمال السلطان لبناء السور . في سنة ٩١٥ هـ ـ ١٥٠٩ م ولكن الغزو المنتظر لجُدة . لم يحدث يومئذ بل تأخر نحو ثلث قرن من الزمان . ففى سنة ٩٤٨ هـ ١٥٤١ م دفع البرتغال بحملتهم الحربية البحرية من الهند صوب جُدة. أي في نفس العام الذي حدثت فيه معركة وادي المخازن بالمغرب العربي وكان الحجاز يومئذ يحكمه السلطان العثماني : سليمان بن سليم الأول. وقد أدى السور مهمته في الدفاع عن جُدة ، وحمتها قلعته البحرية(١) من الغزو الاستعماري الغربي البرتغالى .

وقد شعر الشريف أبو نُمَيٍّ أمير مكة بخطورة الحالة فترك الحجيج في مكة وقاد الجيوش من المتطوعين وغيرهم الذين جاء على رأسهم من مكة المشرفة لحماية الحرمين الشريفين وقد أسهم الشريف أبو نُمَيٍّ في هذه الحرب . فحاصر الافرنج المغيرين وأصلاهم نيراناً حامية بمدافعه . مؤازرة للقلعة البحرية التى لم تفتأ ترسل شواظها عليهم في عرض

---

(٢) تقع هذه القلعة فيما وراء مقر سفارة باكستان سنة ١٣٨٢هـ قريباً من فندق البحر الأحمر وكانت قائمة على شاطىء البحر الأحمر . وكانت ذات أبراج ومدافع لصد المغيرين القادمين بحراً . وقد هدمت ولم يبق لها أثر . وقد أصبحتفي أواخر عهدها سجناً سمي « سجن القلعة » نسبة اليها . وكان من التعابير المألوفة في جدة أن يقال : « فلان سجن في حبس القلعة » وكان في السور أبراج عليها مدافع من جهة الغرب الى باب مكة . حتى هذا الباب الذى يقع بشمال جدة الشرقي كانت فيه أبراج للدفاع البري عن جدة . وكذلك الشأن في باب المدينة (باب جديد) وكان حول هذا السور خندق يعرفه المعمرون ولكنه كان خاليا من ماء البحر . وقد أهملت الابراج أخيرا ثم هدمت مع السور . وقد سبق أن نقل منها السجن الى عمارة اللنجاوي بالبلد ثم أقيمت له عمارةكبيرة حديثة شمال جدة ونقل اليها المسجونون من الرجال . أما سجن النساء فقد كان بباب جديد . ثمانتقل الى العمارة الكبيرة الحديثة شمال جدة .

البحر ، وكان من جراء هذا الدفاع المجيد المزدوج ، ان ولى البرتغال الادبار تاركين ما معهم من الذخائر(١) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الشريف أبا نمى ترك قيادة الحجيج لابنه الشريف أحمد ، وآثر أن ينازل البرتغال بنفسه ، جهادا في سبيل الله وذوداً عن بيضة الاسلام . وبعد أن جلا البرتغال بمساعدته وهمته عن مدينة جدة شكر له السلطان سليمان هذا الصنيع وهذه الشهامة العربية الاسلامية وأكرمه بنصف (معلوم) جدة ومنحه (انعامات) أخرى(٢) .

هذا ولم يعين لنا أحمد بن زينى دحلان في كتابه : (خلاصة الكلام) من هم هؤلاء الافرنج الذين قاموا بغزو جُدة بحراً ، بقصد احتلالها واستعمارها . اكتفى بأن سماهم : «الافرنج» . ولعله لم يصل الى علمه اسمهم أو وصل اليه واكتفى بتسميتهم العامة .. مع أننا نعلم من عدة مصادر أخرى انهم البرتغال الذين يقطنون جنوب غرب « ايبريا » التى تحدها اسبانيا شرقا وشمالا والمحيط الاطلسى غربا وجنوبا . وكان أمر هذه الدولة قد استفحل فولت وجهها شطر استعمار المغرب الاسلامي أولا ثم المشرق الاسلامي ثانياً . وكان ذلك قبل الاستعمار الغربي الأخير ببضعة قرون . وقد تمكن البرتغال من احتلال بعض بلاد المغرب العربي ، وبعض بلاد الشرق العربي ، خاصة في الخليج العربي . وقد شَاهَدتُ في رحلتي الى البحرين سنة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م آثار قلاع برتغالية هنالك ، كما أنشأوا لهم مستعمرات في الهند بقى آخرها لهم حتى سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م حيث أجلتهم حكومة الهند المستقلة عن هذا الجزء من بلادها بقوة السلاح(٣) .

(١) خلاصة الكلام لاحمد بن زيني دحلان ص٥٣ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) مرآة الحرمين وجغرافية شبه جزيرة العرب ، والموسوعة العربية : لألبرت ريحاني ص١٥٦ طبعة بيروت ، والرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني ص٦ و٧٦ طبعة مصر سنة ١٣٢٩ هـ . ودائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ج١ ص١٠٢ و١٠٤ ومصادر أخرى

ويقول أحمد السباعى : « وفي هذا العهد كانت هجمات البرتغال على بلاد الهند قد اشتد أوارها وامتدادها الى بلاد العرب فأرسل الغورى جيشاً من الترك والمغاربة الى جُدة ليدافعوا عنها، وأناط رئاسة الجيش بحسين الكردي الذى بنى سورها وشيد فوقه أبراجاً للدفاع عنها ،وكان حسين الكردى شديد الوطأة فقد فرض على عامة الاهالى والتجار ، حمل الطين والحجر ، حتى تم بناء السور في أقل من عام وبلغ من قسوته ان أحد البنائين تأخر عن موعد حضوره ، فبنى عليه السور وتركه يموت في جوفه »(١) .

ونعتقد أن صد البرتغال المستعمرين عن جُدة قَوَّى مركزها التجاري العالمي برغم سيطرة الأسطول البرتغالى على أكثر نواحي المحيط الهندي اذ ذاك ..

وفي القرن العاشر ــ كما ألمحنا اليه فيما مر ــ كان انتقال السلطة في الحجاز ومنه جُدة ــ من يد المماليك بمصر الى أيدى السلاطين من بنى عثمان بالقسطنطينية . ولا بد ان ذلك « التغير السياسى » صاحبه تطور وتغير في الوضع الاقتصادى ، فقد ارتبطت جدة بعجلة الآستانة بدلا من مصر . وهذه الدولة العثمانية أوسع رُحباً ، وأهيب جانباً من دولة المماليك البرجية بمصر والحجاز ، وأقدر على حماية جُدة ، وتأمين رفاهيتها وتقدم تجارتها البحرية اذا أرادت .. كما أن تطور العلاقات السياسية وتحولها بين شريف مكة ، ومن يتبعه الحجاز ــ قد أدى الى عمل ايجابي قام به هذا الشريف لدعم سلطته على جُدة . وقد عين السلطان التركي والياً من قبله على جدة ، فعين الشريف وكيلا له فيها . وهكذا انقسمت السلطة في جدة بين حاكمين مختلفى المشارب والبيئات والمراجع : الحاكم التركى ، الذى له الامر والنهى الجلى في جدة ، والحاكم الشريفى العربى الذى له

(١) تاريخ مكة ص٢١٧ طبع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٧٢ هـ .

الأمر والنهي الخفي فيها . ولا نرتاب في أن انقسام السلطة هكذا ، سبب كثيراً من المتاعب لجُدة خاصة وللحجاز كله عامة . كان كل من الحاكم التركي والعربي يجمعان الانصار والمحسوبين ، وكان كل منهما يدبر المؤامرات ويحيك الدسائس ضد الآخر ، وكل منهما يحاول جاهداً أن يعرقل مساعي الآخر ومشروعاته ، ويعطل آراءه واجراءاته ، اما من طرف خفي أو جلي . وكان لكل منهما مرجع يعضده ويشجعه .. هذا التناحر المستمر دفع جُدة الى هزات سياسية واقتصادية بالغة سجلها لنا تاريخها ، وسجلها لنا أدبها خاصة في قصائد شاعر جُدة في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين : (محمد بن يحيى قابل)(١) .

ومن شواهد ما جره هذا التناحر من مشكلات ومعاناة ما حدث في القرن الحادي عشر الهجري أيام حكم والي جُدة التركي « غيطاس أو قيطاس بك » أميرها سنة ١٠٥٩هـ فلقد كان هذا الأمير مملوكاً ، وُلّيَ امارتها منقبل سيده : رضوان العقادي أمير الحاج نكاية بشريف مكة ، وأتى بأعمال شنيعة .

وكان بعض ولاة جُدة يغريهم جهلُ حكومة الآستانة بأوضاع البلاد واعتمادُها على ما يقدمونه لها من تقارير تحوى معلومات حقيقية وغير حقيقية فتفوضهم الحكومة في اجراء ما يرون بمقتضى تلك التقارير الواهية ، بدون مراجعة أو تمحيص .

• • •

وقد تعرضت جدة لحريق سياسى في القرن الثاني عشر الهجري نتيجة هذه السياسة المضطربة المزدوجة .. كان ذلك سنة ١١٨٢هـ .

وسبب هذا الحريق فتنة حدثت بين الشريف مساعد أمير مكة والسيد أحمد ابن الشريف عبد الكريم ، وقد اتفق المتآمرون على الشريف

(١) لهذا الشاعر الجُدي ديوان كبير مخطوط في مكتبة السيد عارف حكمة بالمدينة المنورة وقد نقلت من شعره في أحد فصول هذا الجزء الأول من كتاب تاريخ مدينة جُدة .. كما سيأتي في مكانه ان شاء الله .

مساعد ، بأن يستولوا على مدينة جُدة ليأخذوا ما بها من الأموال ، فأحاطوا بسورها فتحصن أهلها منهم وأطلقوا عليهم قنابل المدافع وسهام الكبريت الموقد في رؤوسها كالرياش فاحترقت عشش جدة(١) ونرى انه لولا وجود ضلع من والى جدة مع المتآمرين ، ما حدث هذا الحريق ..

ولعل الدسائس والتنافس بين الوالى والوكيل أديا الى هذا .

وبعد ذلك بسنتين ، أي في سنة ١١٨٥هـ استطاعت جدة أن ترجح كفة من تناصره من أمراء مكة ..وتفصيل ذلك أن الشريف أحمد بن سعيد كان حانقاً على الوزير « يوسف قابل » أحد أعيانِ جدة ودهاتها فعزله من الوزارة : « وكالة امارة مكة » ووجهها الى « حسين بن ابراهيم الشامي » لأنه كان من حزبه ... كان ذلك سنة ١١٨٤ هـ وقد أمر الشريف حسيناً الشامي هذا أن يتوجه الى جُدة ومن معه ليقبضوا على الوزير يوسف قابل ويضعوه في الأغلال والسلاسل . ومن سوء حظ الشريف أحمد ولحسن حظ يوسف قابل ، كان الشريف سرور بن مساعد ، صديق يوسف الحميم ، حاضراً في المجلس،وقد سمع ما يراد بصديقه الوزير الداهية السَّرِيّ ، فأسرها في نفسه وأسرع من مكة الى جدة . وقبل أن يقدم اليها الجنود المكلفون بالقبض على يوسف قابل وتكبيله ــ قابله ، وتشاورا في الأمر ملياً ، وأخيراً اتفقا على أن ينصر يوسف ، سروراً ، وأن يمده بالمال الوفير . فنفذ وعده ، وقد مكن ذلك الشريف سروراً من قتال الشريف أحمد بن سعيد ، وأخيراً من انتزاع صولجان امارة مكة منه(٢) .

(١) ص١٩٩ من خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام . وقد أورد الشيخ حسن أبو الحمائل في كتيبه المخطوط : « مختصر تاريخ جُدة » انه وقعت بجُدة ثلاث حرائق . أولها سنة ٨٤٠هـ وقد هلك فيه نحو مائة نسمة . والثاني في ١٤ ربيع الأول ١١٣٣هـ قبل الزوال بقليل . وقد شب الحريق من ناحية باب مكة حتى حارة المظلوم وحارة الشام فالقلعة وحتى سوق الساحل بدكاكين بدار السعادة الى زاوية ابن علوان . والحريق الثالث شب من قبر السيد أبي بكر العلوي الى بيت القائد مبارك بن سليم فحارة النوبة ، ودام أربع ساعات ومات فيه من الرجال والنساء والأطفال ما يزيد على الثمانين . فاذا أضفنا حريق سنة ١١٨٢ هـ صارت جملة الحرائق التى اطلعنا على تدوين حدوثها بجدة أربعا .

(٢) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ص٢٠٦ و٢٠٧ .

ويوسف قابل وزير أمارة مكة في جدة ، شخصية من شخصيات جدة التاريخية اللامعة ، وكان له قريب شاعر أسلفنا ذكره وهو « محمد ابن يحيى قابل » ، وقد جلَّى لنا هذا الشاعر الجدي ، الجزل الألفاظ المبدع المعانى ـ جلَّى لنا في شعره بعض مميزات قريبه يوسف قابل ، وأنه كان أحد أعمدة جُدة وأساطين مجتمعها ، وكان قد عزله الشريف عن الوزارة سنة ١١٨٤ هـ كما أوردناه آنفاً ، وهمّ بالقبض عليه فنجا بدهائه وبماله وباتفاقه مع الشريف سرور على مقاومة الشريف أحمد ابن سعيد ، وقد أعاده الشريف سرور الى الوزارة ، فقرت عين شاعره وقريبه بهذه العودة الميمونة .

وكان الشريف سرور كذلك الذي هو من دهاة الرجال قد أحبته مدينة جُدة لما أسدى اليها من فضل تجاه وزيرها يوسف قابل فأنجدته في حروبه مع قبائل حرب سنة ١١٩٥ هـ .

وحينما اتفق رأى الوالى والوكيل على مقاومة الأمير سعود ، آزر الوالى شريف باشا ومعه الوكيل ، الشريف غالبا في حربه مع الأمير سعود ، وقدم الوالى له عساكر وثلاثة مدافع ، منها مدفع كبير أهداه له امام مسقط ، فدخل الشريف غالب مكة ومعه والى جدة الذى أحضر له مدفعاً أكبر ، نَقَلَهُ من جُدة خمسون جملا ، وحينما وصل هذا المدفع الكبير الى مكة المشرفة قذف بقنابله جدار البستان الذى يقطنه «عثمان أبو نقطة» فطلب الأمان فأعطيه ، ومن ثم توجه بمن معه الى نجد(١) .

هذا وقد أغاثت جُدة ، أهل مكة سنة ١١١٩هـ حينما نزل اليها خلق كثير من مكة بعد غزو الامام سعود لها ، كما حوصرت حصارا شديدا من سعود في ذلك العهد وصدته قلعتها وسورها الحصين .

وفي أواخر القرن الهجرى الثالث عشر وبالتحديد سنة ١٢٧٤ هـ تعرضت جُدة مرة ثانية لغزوة بحرية انتقامية من جانب الانكليز بسبب

---

(١) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام ص٢٨٠ و٢٨١ والبتنوني : الرحلة الحجازية ص٧ .

ان بعض سكانها رأوا في اشاعة دعس قنصل الانكليز للعلم العثماني باحدى البواخر الراسية بالميناء – اهانة لرمز الاسلام ، فقتلوه وقتلوا معه القنصل الفرنسى وبعض الافرنج ونهبوا دورهم ، فما كان من دولة بريطانيا الا أن أرسلت الى جدة بعض قطع أسطولها تهديدا ووعيدا ، وقد ضربت جدة بالقنابل ، ولم تقم القلعة البحرية ازاءها بشيء يذكر من الدفاع ، نظراً لقدم مدافعها وتطور أساليب القتال ، ووسائله الجهنمية .

وقد تمت تسوية هذه المسألة الخطيرة ، سلمياً ، من قبل الدولة العثمانية ، بقتل عدة أشخاص من أهل جُدة قيل عنهم بأن لهم ضِلَعاً في الحادث ، وبنفي بعضهم الى خارج جُدة . ومن المقتولين في الحادث : عبد الله المحتسب وسعيد العامودى وغيرهما . وبذلك اقتنعت انكلترا وكفكفت من جام غضبها . وقد أعطانا حسن أبو الحمائل في كتيبه المخطوط : « مختصر تاريخ جُدة » – ايضاحاً عن هذه الحادثة وأورد اسمي المقتولين بها السابق ذكرهما ، وأضاف اليهما اثنى عشر شخصاً من عوام الناس الذين حدث منهم قتل القناصل بجدة ، وأوضح لنا الكيفية التى تمت بها تسوية الحادث ، بين الدولة العثمانية ،وانكلترا، وكيفية التحقيق الذى أُجرِيَ ، والذي منه توصل المحققون الى معرفة المشتركين في هذه الحادثة ، كما أعطانا بياناً بالمنفيين ، ومن عاد منهم ومن لم يعد .. فمن المنفيين الذين عادوا : عمر بادرب ، سعيد باغلف، وعبد القادر شيخ . ومن الذين لم يعودوا : السيد عبد الله باهارون ، والشيخ عبد الغفار ، والشيخ يوسف باناجة .

ومرة ثالثة في سنة ١٣١١ هـ ساق الانكليز مراكبهم الى ميناء هذا الثغر عندما قتل الاعراب وكيل قنصلهم وجرحوا وكيل القنصل الفرنسى والروسى وقد حضر الشريف عون الرفيق من مكة لتسوية هذا الأمر الذى انتهى بالصلح وسفر المراكب من غير أن تضرب(١) وفي سنة ١٣٣١ هـ

(١) البتنوني : الرحلة الحجازية ص٧ .

عندما حاربت ايطاليا الدولة العثمانية في طرابلس الغرب ذهب أهـــل جدة الى مكة وكان معهم محمد صالح بن على باعشن على ما حدثنا به(١) .

وفي ابان الحرب العالمية الأولى وفي سنة ١٣٣٤ هـ بالتحديد تعرضت جدة لحصار الشريف حسين بن على ، أمير مكة الثائر على حـــكم الدولة العثمانية .حاصرها برا وأذن للانكليز بضربها بحرا ان لم تستسلم ، وقد ضربتها انكلترا في الساعة الثالثة العربية من ليلة ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ(٢) وقد دخلت قنابل البوارج، البلدة ، كما ألقت البوارج قنابلها على الثكنة العسكرية وبعض مراكز الجيش التركى بارشاد رسل الشريف ، فلما طال الحصار على جدة برا وبحرا ، ولم تستسلم حاميتها التركية استقدم الانكليز طائرات لضربها ولالقاء المنشورات عليهــا ، وعندئذ اتصــل الشريف بأهلها وحذرهم وأنذرهم فسلمت له يوم ١٥ شعبان من نفس السنة .

وهكذا خرجت جُدة من يومها من نطاق حكم الأتراك لها الذى دام قرابة أربعة قرون وكانت حامية جــدة أول حاميــة تركية استسلمت للعرب في الحجاز وبلغ عدد رجالها «١٣٤٦» جندياً بينهم «٢٠» ضابطاً وغنم العرب من جُدة «١٠» مدافع ميدان و «٤» رشاشات ومســتودعاً كبيراً للأسلحة والذخائر واستعانوا بهذه المدافع على ضرب حامية قلعة اجياد بمكة(٣) .

ويفيدنا حسين نصيف بأن أول طيارة حلقت في سماء جُدة كانت طيارة انكليزية وان تحليقها كان في صباح يوم من شهور سنة ١٣٣٣ هـ وأنها أتت من احدى البواخر الانكليزية الراسية وأنها ألقت على جدة منشورات تحث فيهــا الأهــالى على الثــورة والانتقــاض على الدولة

---

(١) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص١٩ .

(٢) حسين نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ص٤٩ و٥٠ والأصح ان ضربها كان في الهزيع الأخير من تلك الليلة ، كما أفادنا بذلك بعض من شاهدوا الحادث .

(٣) عمر رضا كحالة : العالم الاسلامي . الجزء الثاني ص٦٠ الطبعة الثانية بدمشق سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م

العثمانية(١) .

وقد أورد المؤلف نص المنشور الانكليزى الملقى من تلك الطيارة على مدينة جدة .

كما حدثنا حديث البحارة الألمان الذين كانوا في الطراد « أمدن » الذى أغرق وقد وصل هؤلاء البحارة جدة متنكرين في قارب من طريق الليث ولما قربوا من جُدة أطلق عليهم البدو الرصاص بايعاز من الشريف ، ولكنهم تغلبوا عليهم . وقد أقام لهم الشريف حسين وليمة فخمة ثم غادروا جدة عن طريق البر مارين بالسواحل حتى وصلوا سورية ، وكان ذلك سنة ١٣٣٠هـ . (٢)

كما أورد لنا نبأ التجار الألمان الذين قدموا الى جدة من الصين الألمانية : «واى هاواي» سنة ١٣٣٣ هـ وقد أرسل معهم الشريف حسين ادلاء يوصلونهم الى سورية ثم أوعز ان يقتلوهم فقتلوهم بعد مغادرتهم جُدة بمراحل(٣) .

• • •

هذا وكانت جُدة من الناحية الاقتصادية قبل فتح قناة السويس من أهم مراكز العالم التموينية والحربية ففيها مستودعات مملوءة بالأسلحة والعتاد وفيها جيش قوى وكانت محصنة تحصينا بحريا وبريا .

وفي زمن الملك حسين لم يكن الأمن مستتبا بها الا في جهات قليلة(٤) .

وبعد نشوب الحرب بين الملك حسين بن على وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن سعود خرج الأول من مكة الى جدة في يوم الخميس الموافق

(١) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص٢٢ .
(٢) نفس المصدر السابق ص٢٥-٢٦ .
(٣) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص٢٦ .
(٤) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص١٠١ .

١٠ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ (أى بعد اعلانه الثورة العربية) على الأتراك بتسع سنوات الا خمسة أشهر وأقام بها اياما ثم توجه منها الى العقبة يوم ١٤ من الشهر ذاته وكان ذلك آخر عهده بالحجاز .

وحينما وَلِيَ ابنه الملكُ على مُلْكَ الحجاز بمؤازرة الحزب الوطني اتخذ جُدة مقراً له لأن مكة قد استولى عليها عبد العزيز بن سعود ، ومكث علي ، في جُدة حتى آخر أيامه في ملك الحجاز .

وقد أسس بها صحيفة « بريد الحجاز » للدفاع عن كيان الدولة الهاشمية والدعوة لها ضد ابن سعود ، وكانت أسبوعية تصدر من مطبعة في جدة ذاتها .

وقد تأثرت جدة آخر الأمر بالحصار المضروب عليها وعانى معظم سكانها من الجوع والمرض ، فنزح بعضهم الى الخارج(١) وقد وصلت لجنة الى جدة أثناء حرب الحكومتين : الهاشمية والسعودية لتعرف مدى الخسارة التى حلت بالمقابر وبغيرها من الآثار(٢) .

وبعد استتباب الأمر للسلطان عبد العزيز آل سعود في الحجاز عقدت في جُدة معاهدة بينه وبين الانكليز في مايو ١٩٢٧م ، وقد اعترفت فيها بريطانيا بابن سعود ملكاً للحجاز ونجد وملحقاتها ـ سيداً وحاكماً مستقلا(٣) .

● ● ●

هذا ونستخلص من ثنايا التاريخ أن جُدة صارت مقراً للامارة والملك، ثلاث مرات .. الأولى : حينما استقر فيها الشريف عبد المحسن بن أحمد

(١) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص١٩٦ والذكرى العربية الذهبية : لعبد الله فيلبي ص١١١ .
(٢) نفس المصدر ص١١٠ .
(٣) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ص٤٦٣ طبعة بيروت سنة ١٩٦٢م .

ابن زيد في ضيافة واليها سليمان باشا في القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد دعم سلطة الشريف وأمده بالجنود والعتاد حتى استعاد امارة مكة وغيرها .

والمرة الثانية : في عهد الملك على بن الحسين .

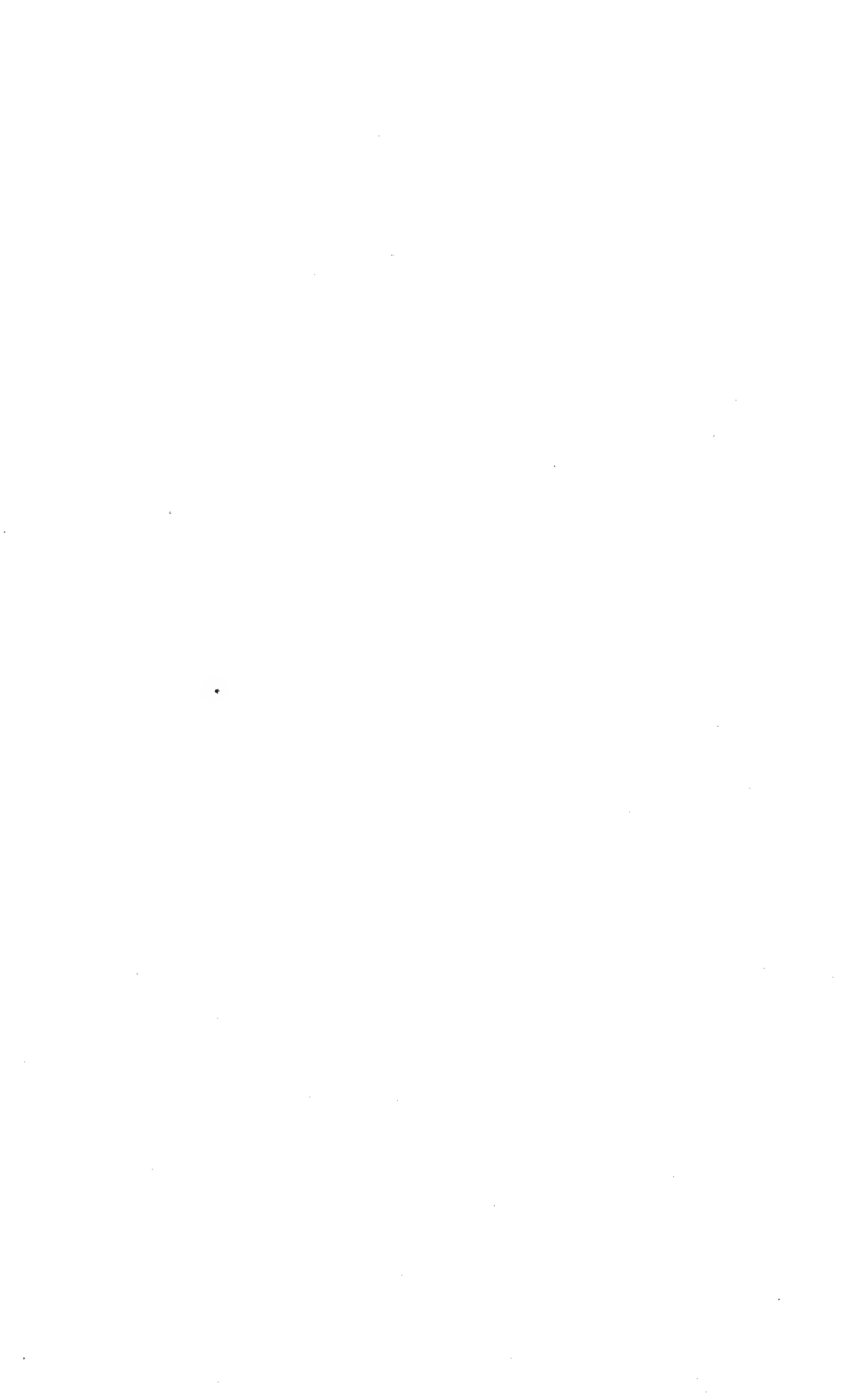
والثالثة : كانت في سـنة ١٣٧٤ هـ ـ ١٣٧٥ هـ حينمـا اتخذتهـا الحكومة السعودية مقرا لها قبل أن تنتقل الى الرياض وكان ذلك في أوائل عهد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز .

وليس من ريب في أن اتخـاذ بلـد ما عاصمة لقطـر ما ، فان ذلك يهيىء له من فرص الازدهار والرفاهية والنجاح أكثر وأكثر .

●●●



بين عوامل الحرب والسياسة



يروى لنا التاريخ كيف خاضت جدة غمار معارك الحرب والسياسة في الحجاز ، كلما دعاها داع ، أو حكمت عليها الأقدار بذلك .

وكانت جُدة بالنسبة للأحداث والتقلبات في الحرمين الشريفين خاصة ، والحجاز عامة ، مثل (الترمومتر) الذى يتأثر بتقلبات الجو، في انخفاض وارتفاع . وكيف لا تكون كذلك وهى رباط الحجاز وثغره الأول ؟!

ما حَكَمَ حاكم بلادَ الحجاز الا وكان لِجُدة نصيب وتأثر أو أثر من حكمه سواء أكان حكمه صالحاً أم طالحاً ، وما تقدمت دولة للاستيلاء على الحجاز الا وجعلت نصب أعينها وفي الطليعة الاستيلاء على ثغر جُدة : « المرفأ الرئيسى لهذه البلاد » .

وكما لم يحكم الحجاز أجنبى عن الاسلام الى اليوم كذلك كانت جدة لم تحكم في يوم من الأيام بأجنبي عن الاسلام . وكانت في عهد الأُمويين محكومة بحاكم مكة الأُمَوِيّ .

وهناك أثر مَروِي عن معوية بن أبى سفيان بأنه أثنى على حياة عامله ومولاه سعد حاكم الحجاز ، لأنه يصطاف في الطائف ويشتو بمكة ويتربع بجدة .

وكانت جدة في عهد العباسيين مثل ما كانت عليه في عهد من سلفهم، وقد أنجدتها مكة المكرمة في سنة ١٨٣ هـ حينما غزتها الحبشة بحراً ، وأوقعوا بأهلها ، وقد خرج الناس من مكة يومئذ غزاة في البحر وعليهم أميرهم عبد الله بن محمد بن ابراهيم المخزومي الذى وَلِيَ مكة ، لهارون الرشيد العباسى(١) .

وفي عهود ملوك الطوائف كانت تتبع المتغلب منهم على حكم الحجاز ، فتارة تتبع بغداد وتارة تتبع مصر وطورا تتبع سلاطين اليمن وأمراءها.

---

(١) محمد بن ظهيرة القرشى : الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ص٨١ طبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .

وحينما تمكن السلطان سليم العثماني في أوائل القرن الهجرى العاشر من القضاء على دولة المماليك التى كانت تحكم الحجاز رأينا جدة في هذه الظروف تنضوى بسهولة تحت العَلَمِ العثماني ، فيرسل اليها السلطان واليا من قبله ، وقد نكل بالوالى « المملوكى » الذى كان عليها من لدن السلطان قانصوه الغورى ، ومن ثم أديرت شؤونها أو نصف شؤونها على التعبير الدقيق من قبل حكام متتابعين ترسلهم اليها الآستانة ، كلما عنّ لها فصلُ حاكم أو توليةُ حاكم مكانه ، وكانت ادارة جُدة في هذه الحقبة مناصفة بين واليها التركى الدخيل ، ووكيل أمير مــكة فيها الأصيل ، وكم مرة أسهمت في مجرى الحوادث السياسية العامة في البلاد ، نتيجة انقسام السلطة بين واليها التركى ، ووكيل أميرها المكى .

وكم مرة رأينا واليها التركي يسعى حثيثاً معتداً ومعتزاً بمن فيهــا من جند، وما فيها من أرزاق وعتاد ــ الى انزال شريف مكة، وأميرها ، عن كرسى الامارة ، لِيُجلِسَ عليه من يرتضيه من بنى عمومته من الهاشميين ،

وكم مرة أقام الوالى التركي بتأثير سلطانه المباشر ــ شريفاً غير الشريف من طريق كشف حقائق الأمور لدى البلاط العثمانى في القسطنطينية ، وكم مرة أقام الوالى التركي بتأثير سلطانه المباشر ــ شريفاً غير الشريف المُوَلّى من قبل السلطان ، على امارة مكة ، وكم مرة نشبت المعارك بين والى جُدة وشريف مكة لنزاع تافه أو كبير بينهما ، وكم مرة طارد ولاةُ جُدة أُمراءَ مكة وفصلوهم من امارة مكة عنوة .

وكم مرة ظفر هؤلاء الأمراء بخصومهم من ولاة جدة الاتراك فأذاقوهم الأَمَرَّينِ ، وأبعدوهم الى بلاد الروم كما يقولون .

وكم مرة استعان أمير مكة بوالى جدة وبأهل جدة وبذخائر جــدة وأموالها المكدسة على ما يروم تحقيقه من أغراض سياسية أو حربية فتمكن من ذلك ونال مبتغاه بقوة السلاح : سِلاحِ جُدة وعتادِها وجنِدها وأموالها ..

وكم مرة حكمت جُدة على مكة ، عكساً لطبيعة الأمور المعتادة ، وخلافاً لمجرى الاحوال عبر القرون فقد شاهدنا أحد الأمراء الأشراف تُعقَدُ له الشِّرافةُ وهو بجُدة ويظل مقيماً بجُدة ولا يريم عنها حولا ، الى أن تمكن من الزحف على مكة بجنود جُدة وبنودها وبموازرة واليها التركي ، ومن ثم قضى على خصمه الذى هو ابن عمه ، وأزاحه عن أريكة الحكم ليَجلِسَ هو عليها شاعراً بأنه مدين في جلوسه هذا لوالى جُدة وأموال جُدة وجنود ُجدة .

وحينما ثار الامام سعود على حكم الدولة العثمانية في بلاد العرب عامة وفي الحجاز خاصة ، في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى وزحف بأعلامه وجنوده الى القطر الحجازيّ من نجد ، رأيناه بعد استيلائه على مكة المكرمة ينهد مباشرة الى جدة فيحاصرها وتستسلم له بعد مدة .

وحينما زحف محمد عَليّ من مصر الى الجزيرة العربية مدفوعاً بحنق الدولة العثمانية ومطامعه الشخصية، كي يقضى علىحكم آل سعود رأيناه يستولى على جدة .

ولما خرج محمد على باشا من الحجاز عادت اليه الدولة العثمانية بعدئذ فعاد ارسال الولاة من الاستانة مرة أخرى الى جدة .

وعندما ثار الشريف حسين بن علي أمير مكة على الأتراك سنة ١٣٣٤هـ(١) بادر الى حصار الأتراك في جُدة ، وقد استسلموا له تحت عوامل الخوف والتهديد والوعيد فدخلت في حكم الاشراف المستقلين .

---

(١) جاء في ترجمة كتاب « يقظة العرب » لجورج انطونيوس طبعة بيروت سنة ١٩٦٢م ان العربان لم يستطيعوا مهاجمة جنود الأتراك بقلعة اجياد بمكة لعدم وجود السبيل اليهم وجنود الأتراك لا يجرؤون على الخروج بقدر شبر واحد حتى وصلت المدافع الوطنية برجالها من جدة وأخذت تقذف بالقنابل على القلعة فتحطم جانب منها اتخذه جنود الشريف سبيلا اليها فهاجموها بحماسة شديدة بين طلقات الرصاص وتحت مقذوفات القنابل واستولوا عليها قهراً بعد قتل ضابطين وجندى من الأتراك ولم يصب أحد من المهاجمين باذى في هذه الواقعة المهمة ما عدا واحداً منهم جرح في فخذه جرحاً خفيفا ص٢٩٢ .

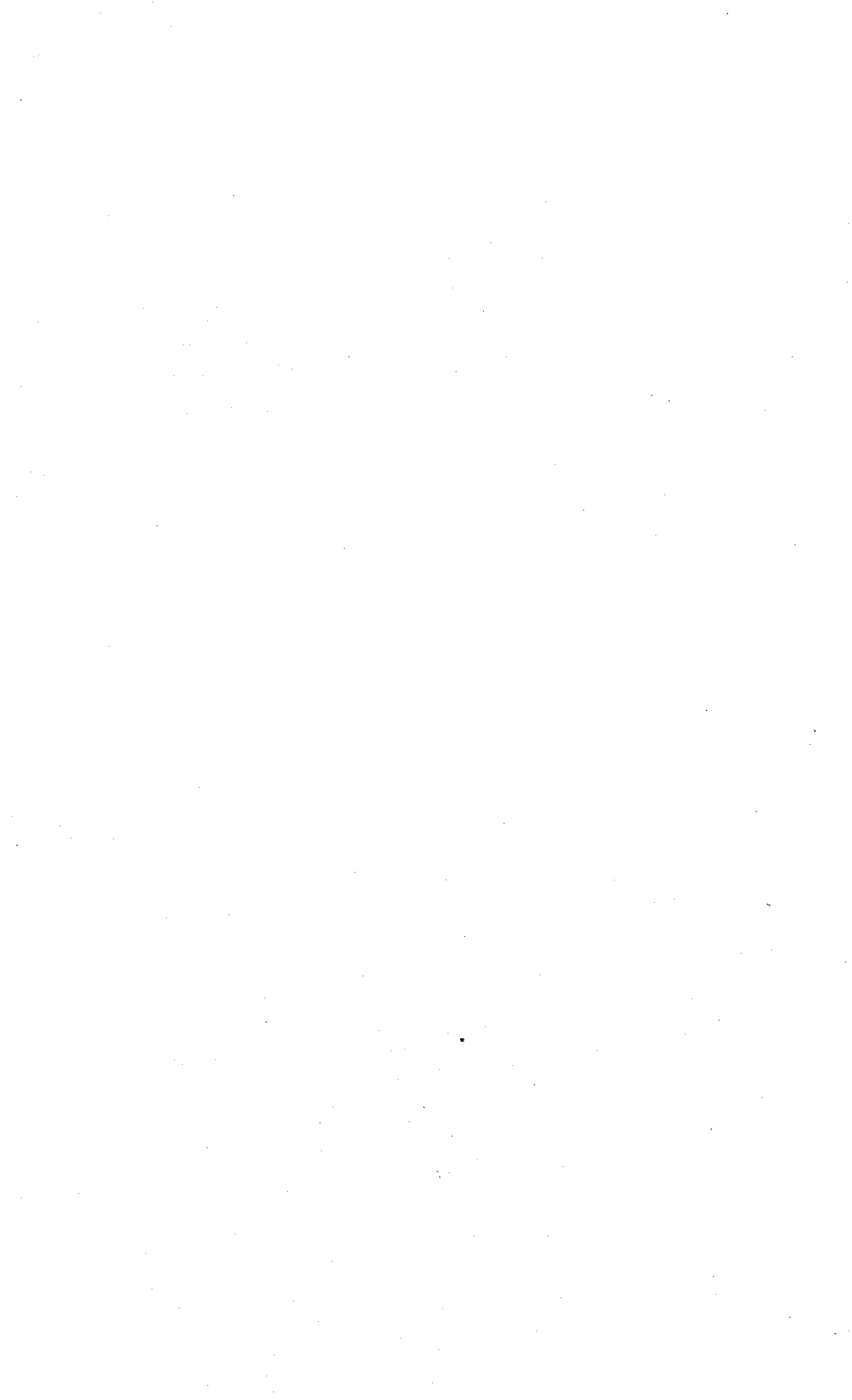
وحينما وقعت الحرب بين الملك حسين بن علي حاكم الحجاز ، والسلطان عبد العزيز آل سعود حاكم نجد سنة ١٣٤٣ هـ لم تسلم جُدة من حصار ابن سعود مدة مديدة ثم استسلمت له آخر الأمر(١) .

وهكذا نرى جدة تخوض غمار الحرب والسياسة كلما دعتها الدواعي أو ألجأتها الملجآت .

●●●

(١) استقدم الملك علي الذى تولى بعد أبيه الحكم في الحجاز ـ من سورية . تحسين باشا الفقير وعينه قائداً عاماً لجيشه من أجل الدفاع عن جدة .

سُكَّان مَدينة جُدَّة في الماضي والحاضر



ليس بوسعنا أن نقدم بيانا أو احصاءا لسكان جدة وألوانهم طيلة الأزمان الماضية ، فالمعلومات التى لدينا عن تلك القرون من هذه الناحية ضئيلة ولا توصل الى ذلك ولو من باب التخمين أو التقريب . ونعتقد أن جُدة سكنها في ابان الجاهلية فُرس وعرب جاءوا من نواح مختلفة ، وربما كان معهم فيها اناس من الصومال والحبشة واليونان والرومان وغيرهم .

ونعلم من رواة التاريخ العربي أن من سكانها الأقدمين قُضَاعَةَ ، ومن روادها القدماء عمرو بن لُحَيّ الخزاعة رئيس قبيلة خزاعة التى حكمت مكة بعد جرهم ، وندرك أن جُدة عادت اليها الحياة في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فهو الذى أمر بجعلها مرفأ ومدينة على ساحل البحر الأحمر للمرة الثانية في تاريخها العريق وذلك لغرض ديني واقتصادي مزدوج .. الغرض الديني يستهدف تيسير وصول حجاج بيت الله الحرام بسرعة الى مكة .. والغرض الاقتصادي يستهدف منفعة أهل مكة المادية والاجتماعية .. ولا بد أنه في مطلع حياتها الأخيرة تلك التى امتدت «١٣٥٦» عاماً قد هاجر اليها نفر من قريش أهل مكة وتدَيَّرها معهم أناس من اليمن وأناس من حضرموت ومن مصر وفارس وسورية والعراق وغيرهم من أبناء ديار الاسلام ، ولا بد أن أول أمرها في مطلع عمارتها الاسلامية أنها كانت أبنية متواضعة أغلبها من خوص وسعف وجريد، وأقلها من طين وحجر .

ثم أخذت جُدة في الازدهار العمراني تدريجياً وبخطوات مستأنية وئيدة ، وحفلت بالعلماء والأدباء وأرباب الثراء في العهد الذى كان زمام القيادة الاسلامية في يد أهل الحجاز . فلما انتقلت هذه القيادة من هذه البلاد الى دمشق وبغداد تقلص عمران جُدة نوعاً ما(١) .

---

(١) سيد رزق الطويل : مجلة المنهل عدد ذي الحجة ١٣٧٩هـ مايو ويونيو ١٩٦٠م ص٦٧٣ .

وأول من رأيناه يعنى بشيء يشبه الاحصاء التقديري من رحّالى العالم الاسلامي وحجاجه ، لعدد سكانها هو ناصر خسرو ، اذ ذكر أن بها « خمسة آلاف رجل » .. كان ذلك سنة ٤٤٢ هـ ــ ١٠٥٠ م ، وعلى هذا التقدير الساذج نستطيع أن نقدر تقريباً وتخميناً أيضا عدد جميع السكان من ذكور واناث يومئذ بأنهم كانوا نحو عشرة آلاف نسمة .. بيد أننا لاحظنا من الترجمة الحرفية الكاملة لكتاب رحلة ناصر خسرو التى قام بها مؤخراً ، الدكتور أحمد خالد البدلى الأستاذ بجامعة الرياض والذى يجيد اللغة الفارسية اجادته للغة العربية أن ترجمته للجملة الآنف ذكرها هي : (وعدد سكانها نحو من خمسة آلاف نسمة) لا « رجل » كما ورد في ترجمة الدكتور يحيى الخشاب[1] .

وقد زار جُدةَ كثير من الرحّالين ذوى الملاحظة المرهفة منهم ابن جبير وابن بطوطة ومحمد بن القاسم التجيبي وغيرهم ، ولكنهم لم يعرجوا على ناحية احصاء سكانها المهمة في نظرنا حديثاً ، والتى لم يكن أغلب الناس يلقون اليها بالا اذ ذاك ، وغاية ما أفادنا به ابن جبير انها قرية ضئيلة الشأن ، وغاية ما كشف لنا عنه ابن بطوطة انها قرية صغيرة جداً ، حتى ان ذكورها البالغين لا يكملون نصاب صلاة الجمعة وهو أربعون شخصاً[2] .

وممن قدر عدد سكانها تقديراً شاملا لا ندرى على ماذا بناه ، الرحالة المستشرق « بوركهارت » في سنة ١٨١٤م ــ ١٢٣٠ هـ وكان تقديره لسكانها ، يتراوح بين اثنى عشر ألفاً وخمسة عشر ألفاً من الأشخاص .

وقال : « ان سكانها كمكة والمدينة أغلبهم أغراب والوطنيون القدماء قليلون جداً وهم من أُسَرِ الأشراف، وأكثرهم في وظائف المساجد وقضاة

(١) راجع النسخة المطبوعة بالآلة الكاتبة « سفرنامه » رحلة ناصر خسرو القباديانى . ترجمة الدكتور أحمد خالد البدلى ص ١١٩ .
(٢) ابن بطوطة : رحلته ص٢٤٢ طبعة بيروت .

المحاكم ، وهم مثقفون ثقافة دينية ، وكثير من السكان أصلهم من حضرموت واليمن وهم الأغلبية ومئات من الأسر الهندية من السُرّتيّة وقليل من بومباى وبعض الملايو ويوجد مسيحيون يقيمون بجدة ، وهناك يونانيون قليلون يعملون في التجارة ، وكان قدومهم الى جُدة من مصر وكانوا مجبرين في أيام الشريف ، على ارتداء لباس خاص ، وكانوا ممنوعين من الوصول الى باب مكة في مدينة جُدة . وعندما حكم الأتراك الحجاز أزيل هذا النظام الدقيق . والآن للمسيحي كامل الحرية في التنقل في جُدة واذا مات لا يدفن في جدة ، لأنها تعتبر أرضاً تابعة للأرض المقدسة ، ويوجد محل خاص في الجزر الصغيرة يؤذن لهم في الدفن به » .

ويقول حسن أبو الحمايل : « يوجد في الجهة الجنوبية بجدة مدفن للنصارى مسور بسور عال وعليه خفير لا يدع أحدا يدخل فيه » .. وحسن أبو الحمايل شيخ معاصر توفي في آخر العقد الأخير من القرن الهجري الحالي الرابع عشر رحمه الله .

ومدفن النصارى الذى يعنيه معروف ، بجنوب جدة وهو مسور بسور قديم غير مرتفع كثيرا ، ويقع قريبا من طريق الميناء بشرقه ، وبجانب مستودعات تجارية هناك الى الناحية الشرقية منها ، ويفصل بينهما زقاق نافذ ..

وكان اليهود هم سماسرةَ هذا البلد ولكنهم طردوا منذ نحو سبعين عاماً لسوء أخلاقهم ومن ثم نزحوا الى اليمن وصنعاء على ما يقوله بوركهارت . ويعزو بوركهارت اختلاط الجنسيات في جُدة الى الحج ، لسكنى بقايا الحجاج فيها بعد انتهاء الحج وتوالدهم وزواجهم بسرعة فيها ، وكل حاج يزيد السكان الاصليين سكانا جددا لزواجه وانجابه البنين(١) .

---

(١) جون لويس بوركهارت في كتابه : السفر الى بلاد العرب (باللغة الانكليزية) طبعة لندن سنة ١٨٢٩م . و « جون لويس بوركهارت » هذا هو مستشرق سويسري تسمى باسم ابراهيم عبد الله وتزيى بزي المسلمين ودخل جدة ومكة والمدينة ، ووصف موسم الحج وصفاً بارعاً وكتب كتابه المذكور ـ عن كتاب : «المستشرقون والأماكن المقدسة » للدكتور محسن جمال الدين ببغداد ص١١ مطبعة أسعد ببغداد سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.

وفي عام ١٨٦٠م ـ ١٢٧٧ هـ قدر « مالتزن » عدد سكان جدة لما حج الى مكة بخمسة عشر ألف نسمة وقدرهم « هوجلن » بأربعين ألف نسمة . بسنة ١٨٦٤م ـ ١٢٨١ هـ أي فيما قبل مائة عام من تاريخ كتابة هذا التأليف .

ويظهر لنا أن هذا التقدير لا يخلو من مبالغة وعدم تدقيق .

وقدرهم « فانديك » باثنى عشر ألف نسمة .

ومعنى هذا ان سكان جدة منذ القرن الهجرى الخامس حتى آخر الثالث عشر كانوا بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف نسمة .

وهذا يدل على ضآلة حجم التطور العمراني الذى حدث بها طيلة تسعة قرون متتابعة .

وقد ازداد هذا الاحصاء التقديري فبلغ عدد سكان جُدة في سنة ١٨٨٣م ـ ١٣٠١ هـ ثمانية عشر ألف نسمة على ما ترويه لنا دائرة المعارف للبستاني . وقد أوضحت هذه الدائرة أن سكانها الاعتياديين من أجناس شتى من بقاع الدنيا فمنهم نحو « ١٠٠٠ » من أهل الهند التابعين لبريطانية وكثير من المصريين وبعض اليونان وعدة من تجار الانكليز والفرنسيين(١) .

وتقول دائرة المعارف المذكورة : « ان السكان هم مزيج من عرب حجازيين ونجديين ويمانين وحضارمة ومصريين وسوريين ومغاربة ومن شعوب اسلامية غير عربية في مقدمتها الفرس قديما وحديثا ويشاركهم أهل الهند وافريقيا وجاليات كبيرة من الاتراك الى انكليز ويونان وفرنسيين وايطاليين قدموا اليها بحكم أعمالهم [illegible]سمية وبحكم أشغالهم التجارية »(٢) .

(١) البستاني : المجلد السادس ص٤٠٤ مطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٨٣م .
(٢) دائرة المعارف لبطرس البستاني .

وكثير من هذه الأجناس هم سكان جدة حتى اليوم وقد حدث تعديل فيهم ، فمثلا قل الانكليز والفرنسيون والاتراك الى أدنى حد الآن ، كما قل اليونانيون ، وقد بقى منهم بيت تجاري قديم واحد له دكان كبيرة في السوق بشارع قابل . واسم هذا البيت هو « خواجه يَنّي » وكان يبيع المأكولات والمعلبات وغيرها في ذلك الشارع . ثم رحل بعد ذلك عن جدة .

وتكاثر اليمانون كثرة ملحوظة وكذلك الحضارمة وربما كانوا محافظين على كثرتهم وتجاراتهم(١) السابقة ، وقل المصريون والسوريون والمغاربة بالنسبة للحضارمة واليمانين ، وجاء عنصر جديد لم يكن يقيم في جدة أيام تأليف دائرة معارف البستاني ، وهذا العنصر هو العنصر الامريكي الذى امتدت تجارته الى أنحاء العالم اليوم ، وقد أسس شركة الزيت العربية ـ الامريكية ، في شرق هذه المملكة ، وقام بالتنقيب عن الزيت فيه ، حتى وجد بأعماق الأرض في كميات تجارية عالمية فأفاد ذلك المملكة كثيراً ونقلها من دور ضعف الكيان الاقتصادي الى طور متانته وتقدم العمران فيها وتقدمت الثقافة وكل شئ .

• • •

هذا وقد استقبلت جُدة في العصر الحديث أفواجاً من الأُسَرِ والأفراد السعوديين الذين وفدوا اليها لشتى الأسباب المعيشية والتجارية والوظيفية ، وفيهم من مكة والمدينة والرياض والقصيم وينبع وحائل وأبهى(٢) والباحة وتبوك ونجران والمنطقة الشرقية وغيرها ، باضافة الوافدين من بلاد العرب والبلاد الاسلامية ومن البلاد الأجنبية عن الاسلام .

---

(١) أشار المرحوم محمد صالح باعشن في مذكراته الخطية ص٢٤ الى امساك الحضارمة بزمام التجارة في زمن والده وان والده صار رئيسا لتجار مصر كما أشار الى تقاليد الناس في اللباس والمجتمع في جدة ، في حياة والده : القرن الهجري الثالث عشر .

(٢) رأينا أن الصحيح هو كتابة اسم « أبهى » عاصمة عسير اليوم بالياء جريا على مثيلاتها مثل أجلى ، وذلك لأنها اسم رباعي في آخرها ألف مقصورةفسبيله في الخط العربي سبيل أجلى وما يضارعها .

وقدر عدد سكان جُدة في مطلع هذا القرن الهجري أيضاً ـ محمد صادق باشا ، بخمسة وعشرين ألف نسمة ، وكذلك قدرهم ابراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين(١) .

وفي سنة ١٣٢٧ هـ قدرهم محمد لبيب البتنونى بخمسين ألفا منهم عشرة آلاف من الأجانب المسلمين بين فرس وحضارمة وهنود وبخاريين. أما الافرنجة فيبلغ عددهم مائة أو يزيد قليلا وأغلبهم من الأروام(٢) .

وتقديرات محمد لبيب البتنونى وآراؤه كثير منها يحتاج الى تدقيق وتمحيص .

وفي عام ١٩١١ م و ١٣٣٠ هـ قدرتهم دائرة المعارف البريطانية بعشرين ألفا ، وقالت : « ان أقل من نصفهم عرب ومنهم عدد ضخم من الأجانب من اليمن وحضرموت والباقى من الزنوج والصوماليين مع قليل من الهنود والتجار اليونانيين »(٣) .

وقدرتهم دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية سنة ١٩١٢ م (١٣٣١ هـ) ـ بنحو ثلاثين ألف نسمة من العرب المختلطين بالتكارير ونحو من ٥٠ نصرانيا(٤) .

وقدرهم محمد فريد وجدى في دائرة معارفه بنحو ثلاثين ألف نسمة .

وقدرهم صاحب الرحلة اليمانية بخمسين ألفا .

وقدرهم حسن أبو الحمايل بسنة ١٣٥٣ هـ بستين ألفا ، وقال : « ان ذلك على أضبط تقدير وان لم يكن بصفة رسمية ، ومنهم خمسة عشر ألفا من الاجانب المسلمين أما الافرنج فلا يزيدون عن مائة » .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢٣ المجلد الأول طبعة دار الكتب بمصر ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م .
(٢) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص٩ .
(٣) دائرة المعارف البريطانية : الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩١١م مطبعة كمبردج بانكلترا جزء١٥ص٤١٥
(٤) دائرة المعارف الاسلامية ص٣٠٩ المجلد السادس . ولسنا مع دائرة المعارف البريطانية في اعتبار أهل اليمن وحضرموت من الأجانب .. بالنسبة لأنهم أخوة لنا في دين الاسلام وقد قال الله في محكم كتابه: (انما المؤمنون أخوة) .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٧ م كان بجدة من الاجانب الاوربيين (٥٠) من الامريكيين و (١٩) من الايطاليين و (٤٤) من البريطانيين و (٥) من « الروس » و (٥) من فرنسا و (١١) من هولندا . أما سكان جدة من الجنسيات الاخرى فهم من المسلمين والحضارمة وأكبرهم عددا ، الهنود والمصريون والاتراك والسوريون وغيرهم(١) .

وقدرتهم دائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٥٥م ـ ١٣٧٥هـ بنحو مائة وستين ألف نسمة ، وأضافت الى ذلك أن بها أجناسا كثيرة من عرب وفرس وهنود وافريقيين(٢) .

وقد ظهر أن هذا التقدير مبالغ فيه .

وقدرتهم دائرة المعارف الأمريكية المطبوعة سنة ١٩٥٦ م ـ ١٣٧٦ هـ بستين ألف نسمة(٣) .

وقدرهم تويتشل بثمانين ألف نسمة ، وجاء في هامش الصفحة التى بها هذا البيان أن عددهم الفعلى يبلغ مائة واثنى عشر ألف نسمة(٤) .

ونشر قارى أوين ممثل الشركة العربية ـ الامريكية للزيت بجدة في مجلة المنهل مقالا جاء فيه : ان الخبراء يقدرون عدد سكان جُدة منذ عشر سنوات بخمسة وثلاثين ألفاً ويقدرونهم اليوم (سنة ١٣٧٩هـ) بثلاثمائة وخمسين ألفا أو نصف مليون(٥) .

وقدرهم عبد الله عبد الجبار بأربعمائة ألف نسمة(٦)

وتحدث التقرير التمهيدى الذى وضعه المكتب الهندسى عن مدينة جدة سنة ١٣٨١ هـ عن آراء مقدرى عدد سكان جدة فقال : « ان جملة

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد الثاني عشر ص٦٦ و٦٧ طبعة أمريكا .
(٢) نفس المصدر والصفحات .
(٣) دائرة المعارف الأمريكية المجلد الأول ص٣٥٦
(٤) تويتشل : المملكة العربية السعودية ص٧٢ . ترجمة شكيب الأموي من اللغة الانكليزية الى اللغة العربية .
(٥) مجلة المنهل عدد شعبان ١٣٧٩هـ .
(٦) عبد الله عبد الجبار : التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب ص٣٦ طبعة مصر ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م

تقديرات تعداد السكان المشار اليها فيما سلف قد اختلفت صعودا وهبوطا بنسب متقاربة ومتفاوتة ، بسبب عدم اعتمادها على أصول علمية صحيحة ، فمنها ما قدر السكان بحوالى ٢٥٠ ألف نسمة ، ومنها ما قدرهم بأكثر الا أن هذه التقديرات لا تستند على أساس صحيح كالاحصاء مثلا أو كالتعداد الفعلى ، غير أن هناك مصدرا قدر عدد السكان بحوالى المائة والستة آلاف نسمة استنادا الى تعداد فعلى قام به . وهذا المصدر هو منظمة الصحة العالمية التى تعمل تحت اشراف وزارة الصحة »(١) .

وورد في هذا المرجع انه تبين من دراسة احصاءات منظمة الصحة العالمية ان عدد غير السعوديين من سكان جدة يزيد عن ٣٥٪ في الوقت الحاضر (١٣٨١ هـ ١٩٦١ م) معظمهم من العمال وأصحاب الحرف ومن المتوقع ازدياد نمو البلد بازدياد الطلب على اليد العاملة(٢) .

ونقول : انه قد تحققت هذه الفراسة .. فقد ازداد نمو (جُدة) بازدياد الطلب على اليد العاملة ، والأجهزة الجبارة الحديثة الخاصة بتطوير عمران جُدة ، ازدادت زيادة هائلة في السنين العشر الأخيرة من القرن الهجري الرابع عشر ـ الميلادي العشرين حتى أصبحت جُدة خلية نحل بأجناس البشر من جميع بقاع الأرض تقريباً وحتى زاد عدد سكانها أضعافاً مضاعفة عما كان عليه الأمر قبل ذلك ، مما سيأتي ذكره في المجلد الثاني من تاريخ مدينة جُدة لمؤلف هذا المجلد الأول منه ان شاء الله .

ويقول المرجع نفسه : « قد دل المصور الجغرافي لجدة سنة ١٣٦٨ هـ على أن تعداد سكانها يقدر اذ ذاك بـ ٢٤٤٠٠ نسمة ، وان تعدادهم

(١) التقرير التمهيدي ص٨ .
(٢) نفس المصدر ص١٣ .

سنة ١٣٧٥ هـ كان ٩٤٠٠٠ نسمة ، وسنة ١٣٧٩ كان ١٠٦٠٠٠ نسمة(١) .

هذا وان الدارس لاحصاء السكان التقريبى في هذه المدينة يمكنه أن يخرج بنتيجة هى أن أقل تقدير لهم كان في زمن ابن بطوطة (أواخر القرن الهجرى الثامن) ، وأكبر تقدير لهم كان بسنة ١٣٧٥ هـ الى سنة ١٣٨٢ هـ وهذا أمر يدل على مدى تطورها في السكان بالأمد الأخير .

●●●

(١) التقرير التمهيدي من ص١١ الى ص١٢ . وبموجب الاحصاء الذى أجرى حديثاً سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م ظهر أن عدد السكان قد بلغ : (١١٤٠٠٠) نسمة .



الحالة الصحيَّة

لسكان مدينة جدة قديمًا وحديثًا

فيما سبق من المؤلفات ـ « دائرة المعارف » لبطرس البستانى ، لم أجد من أشار الى الحالة الصحية في جُدة ، بصفة مركزة من المؤرخين والرحالين والجغرافيين .. وفي هذه الدائرة وردت اشارة مركزة عن هذه الحالة اذ ذاك فقالت ان : « هواء جُدة يزعج الأوربيين جداً .. وانه تكثر الحُمِّيَات فيها ، وهي تصيب الأوروبيين في الغالب حال وصولهم اليها »(١) .

وتعكس دائرة المعارف البريطانية هذه النظرية اذ تقول : « والطقس حار ورطب ولكن الحمى ليست منتشرة كما في مكة »(٢) .

ووصف أيوب صبرى في كتابه « مرآة الحرمين » باللغة التركية ، مرتفعات جدة في جنوبها وشرقها الشمالى بأنها صحية خالية من الرطوبة نسبياً ، مع لطافة الهواء ، (وَوَدَّ كثيراً أن يتوجه أثرياء البلد الى اقامة دارات صيفية بها حدائق ، لتجميل بلدتهم ولامضاء أوقاتهم فيها بالراحة والهناء) .. تمنى ذلك سنة ١٢٧٩ هـ ثم سُرَّ في سنة ١٣٠٤ هـ حينما بلغه ـ وهو في استانبول ـ أن تلك المرتفعات التى تبعد عن جدة دقائق معدودة قد بدأ العمران يتسرب اليها .

وتعكس دائرة المعارف البريطانية هذه النظرية تماما فهى تجعل : « أحسن جزء في المدينة هو جهة البحر »(٣) .

والذى أراه ان دائرة معارف البستانى ومرآة الحرمين لأيوب صبرى هما أصح رأيا من دائرة المعارف البريطانية سواء فيما يتعلق بالطقس عموماً ، أم بالناحية الصحية من البلد .. وذلك أن وجود المستنقعات الراكدة التى تتخلف عن هطول الأمطار ـ ولا توجد اذ ذاك وسائل لازالتها أو تجفيفها مع ضيق أزقة البلد وضيق شوارعه وانحصاره في

(١) بطرس البستاني : دائرة المعارف : المجلد السادس ص٤٠٣ مطبعة المعارف ببيروت سنة ١٨٨٣م .
(٢) ص٤١٤ الطبعة الحادية عشرة بمطبعة كمبردج بانكلترا سنة ١٩١١م .
(٣) نفس المصدر والصفحة .

نطاق السور ـ هو مما يحول دون تخلل الهواء للبلد، يضاف الى ذلك افتقاد وسائل المقاومة الحقة لحمى الملاريا .. وكل هذا يجعل من جدة يومئذ مرتعا خصبا لهذه الحمى ، كما انه من الطبيعي ـ والحالة ما ذكر ـ أن تكون الجهات المرتفعة أقل مستنقعات ، اذ تتسرب منها مياه الامطار الى الجهات المنخفضة ، ولذلك تكون تلك الجهات المرتفعة أصح هواءا وأنقى جواً ، من المنخفضة ، وأقل رطوبة .. كما هو مشاهد حتى الآن في هذه المرتفعات ، فبرغم وجود وسائل مقاومة حمى الملاريا ، وتحسن الحالة الصحية عموماً في جُدة بسبب العناية الصحية المبذولة ، وجَـرْيِ المياه العذبة في الأنابيب الممـدودة ، وسفلتة الشـوارع وتوسعتها ، وازالة السور الذى كان حاجزاً منيعاً دون تخلل الهواء ونفاذه الى داخل البلد .. برغم ذلك كله فمن المشاهد أن المناطق المرتفعة في جدة أقل رطوبة وأصح هواءاً وأنشط سكاناً .. والرطوبة والمستنقعات انمـا تتركزان حتى الآن في الأماكن المنخفضة القريبة من البحر خاصة كما هو ملموس . وعلامة ذلك تشقق الجدران المبنية بطوب الأسمنت وتمزقها وتفتتها ، وبخاصة في نواحيها المواليـة لأرض الشـوارع . في تلك الأماكن المنخفضة الموالية لساحل البحر الأحمر في جُدة ..

• • •

وقد عنى أغلب من كتب عن جدة ، بوصف تجارتهـا ، وازدهارها وضمورها ، ووصف مبانيها وشوارعها وأزقتها ومساجدها ووارداتها وصادراتها وأسواقها وما الى ذلك ، ولم يتركوا لنا تراثا ذا أهميـة نعـرف منـه مجريات حالتها الصحية عبر التاريخ . ويبدو لنا ان ذلك يعود الى اعتماد الاهلين على الوصفات البلدية في معالجة مرضاهم .. كالكمون والرماد واللصقة والحجامة وما أشـبه .. وكان العطارون ، وهم بائعو الأعشاب الطبية البلدية في دكاكينهم ، هم أطباء البلد ، الى جانب أطباء البادية الذين يعتمدون على الكي بالنار في معالجة كثير من الأمراض الباطنية وغـيرها ولهم ترتيبهم الخـاص النـاجح في أغلب

الأحيان في تجبير كسر العظام وفكها . وقد زال الكثير من معالم هذا الطب البدائي ، بما أدخل على البلد من وسائل الطب الحديث وبما أقيم من المستشفيات الحديثة وبانتشار الوعي الصحي في أبناء البلد قاطبة .

على أن كتاب « حجاز سالنامه سى » التركى أعطانا وصفا للتشكيلات الصحية التى قامت بها الحكومة العثمانية في مطلع القرن الهجرى الحالى .. فهناك ادارة خاصة للحجر الصحى كانت تدعى اذ ذاك باسم « قَرَانتِينَه ادارَه سِي » وفيها طبيب أجنبي وكاتب عربي وافرنجي، وهناك مستشفى كان اسمه « المستشفى العسكرى » ولكنه كان يعالج مرضى المدنيين مجانا وبه ثلاثة أطباء عسكريين ومائة سرير وأدوية كافية(١) .

وأعتقد أن انشاء المحجر الصحى انما تم تحت ضغط الدول الاجنبية، والمستشفى العسكرى كان في أول الامر ، لعلاج العسكريين ثم صار يعالج المدنيين تحت ضغط الحالة السياسية والاجتماعية .

وقد ذكر ساطع الحصرى هذا المستشفى وقال : انه واحد من أحد عشر مستشفى كانت توجد في بلاد العرب(٢) .

ويبدو لنا من سياق حديثه أن هذا المستشفى كان بجدة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وهو ما يطابق رواية السالنامه .

وعقد حسين نصيف في كتابه : « ماضى الحجاز وحاضره » فصلا عن « المحجر الصحى بين الحسين وبريطانيا » . ويعنى بالمحجر الصحى هنا ، المحجر الذى كان بجزيرة سعد أو أبى سعد ، لحجز الحجاج القادمين بحرا الى أن يتم تطهيرهم من الأمراض والأوبئة .

(١) السالنامه ص٢٥٣ و٢٥٤ .
(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص٢٥٤ طبعة بيروت سنة ١٩٦٠م.

ودافع حسين نصيف دفاعا مجيدا عن حق هذا المحجر الحجازى في حجز الحجاج به بدلا من محجري قمران والطور البعيدين اللذين بذل الانكليز لأغراض في أنفسهم جهودهم في سبيل قصر الحجر عليهما دون محجر جدة. مؤيدا بذلك نظرية الملك حسين : « لأن حكومة الحجاز أولى بحفظ بلادها ومنع الامراض السارية والميكروبات عن مملكتها ولو أن وزارة صحتها غير كافية »(١) .

هو منطق معقول وسليم . مافي ذلك شك ، وحجة قوية لا تقاوم . ولكن الاستعمار دائما يبنى أقواله وأعماله على قواعد مصالحه وأهدافه غير ملتفت الى منطق الحق والعدل والمصلحة الوطنية في أي وطن غير وطنه وغير بلاد مواطنى ديار العرب ممن يستهدف الاستعمار لبلاد غيرهم . مثل الانكليز في هذا الميدان .

وقد تحدث أمين الريحانى في كتابه : « ملوك العرب » عن هذا المحجر فأضعف من مركزه وهلهله وقلل من نتائجه وأضفى عليه رداءا من سخريته اللاذعة(٢) .

ويبدو لنا من بحثنا الخاص . انه ولو لم يتعرض حسين نصيف في بحثه عن الحالة الصحية في جُدة ، لوجود مستشفى في جُدة فانه كان موجودا في عهد الملك حسين تحت اسم « الصحية » أو « الخستخانة » وهو في مكانه اليوم بباب شريف كما كان في زمن تركيا(٣) وكان مقصوداً من

---

(١) حسين نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ص١٠٢ طبعة مصر .

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب ص٤٢ و٤٣ ج١ طبعة بيروت ١٩٥١م .

(٣) في معرض ما تعرضت له جدة من مرتزقة الوافدين باسم الطب يحدثنا محمد السوادي صاحب كتاب « مملكة في الميزان » عن محدث حجازي فيقول : « قال محدثي : تصور أن حلاقاً لبنانياً يضيق به العيش في بيروت أو طرابلس أو صور أو صيدا أو بعلبك فيتسلل الى جدة بعد مكاتبات بينه وبين مواطنيه الذين سبقوه فتكون وصيتهم له أن يدعى لدى وصوله أنه دكتور وليس مزيناً وأن يدرس قبل أن يجيء مبادىء علم الصحة وأن يحسن وضع السماعة على قلب المريض وجس نبضه ، وأن يعرف بعض الأدوية . ويجيء الرجل وبشفاعة ما يتحصل على الترخيص له بالطبابة» . وقد عطف المحدث على ذلك بعدم امكان حصول ذلك سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م لوجود كثرة كاثرة من الأطباء الجيدين في المستشفيات . وان ذلك انما كان يحدث قبل عهد الملك عبد العزيز . وأقول تعقيباً على ذلك : قد يكون حدث ذلك نادراً جداً في عهد الحكومة الهاشمية وفي مستهل هذه الحكومة . أما الآن فان الأطباء السعوديين قد وجدوا بكثرة مرموقة في مستشفيات المملكة وهم كل عام في ازدياد . علاوة على الأطباء الجيدين المتعاقد معهم من العالم الاسلامي والعربي والأجنبي .

الاهلين والوافدين .. ودليلنا على ذلك ما ذكره فؤاد حمزة من أنه : حينما أسست حكومة جلالة الملك عبد العزيز عام ١٣٤٤ هـ عهد جلالتُه الى طبيبه الخاص الدكتور محمود حمدى حموده بالاشراف على اعادة تنظيم دوائر الصحة وكان أول عمل قام به ، تعيين أطباء لادارة الصحة وفتح مستشفى أجياد بمكة ومستشفى الحكومة بجدة »(١) . واذن فان مستشفى الحكومة بجُدة كان قائماً في عهد الحكومة الهاشمية وقد أعيد فتحه في مطلع دخول الحكومة العربية السعودية .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ لم يكن بجدة سوى المستشفى المذكور ، وكان يستوعب «٨٠» سريرا ، وكان قد أعيد انشاؤه وترميمه في سنة ١٣٥٣هـ وأجريت فيه اصلاحات لجعله على مستوى المستشفيات الحديثة . وكان المشرف عليه يومئذ الدكتور أكرم شومان والصيدلى عبد المجيد عطية ، والقابلة الآنسة ثروت محمد(٢) وكانت تجرى به بعض العمليات بنجاح بسبب مهارة الدكتور أكرم شومان في الطب الجراحي ، وكان يوجد الى جانبه في جدة المحجر الصحى بجزيرة سعد الذى لاقى عناية خيرا من ذى قبل في أجهزته وأطبائه وتنظيم أوضاعه .

على أن أول أثر يذكر ، بدىء به التطور الصحي بجدة ، كان متمثلا فياهتمام مديرية الصحة العامة اذ ذاكباستقدام الأطباء الاختصاصيين من الخارج ، وابتعاث أطبائها من وقت الى آخر ، الى المعاهد الصحية في أوروبا ، للتخصص وللتعرف على أحدث المستكشفات والبحوث الطبية المتنوعة . ومن الموفدين في هذه البعثات الدكتور يحيى نصرى السورى الذى كان رئيسا للمحجر الصحى ، وكانت الادارة المركزية للصحة البحرية والكونتينات قد شكلت فيما بعد ، على النحو التالى :

---

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص١٩٩ .
(٢) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص٢٠٤ .

الدكتور يحيى نصرى : رئيسا

الدكتور ابراهيم أدهم : معاونا

الصيدلى عبد الرزاق

عثمان رضوان : رئيس كتاب

شهاب عبد الجواد : محاسبا

عبد الحفيظ عبد الجواد : مأمورا للجزر

سالم باديب : مأمورا للاحصاء

مأمور للتلقيح

اثنان من الموظفين الكتابيين

وكان المحجر الصحى يتألف من جزيرتى سعد أو أبى سعد والواسطة الواقعتين الى الجنوب من جدة .

وجزيرة سعد أو أبى سعد مجهزة بالوسائل الفنية الحديثة اللازمة للحجر الصحي من آلة تقطير الماء ، وآلة كهرباء الانارة ، ومن مباخر وحمامات ، الى خمس قاعات كبيرة للمحجورين من ركاب الدرجة الثالثة في البواخر مع منتفعاتها ، الى غرف كافية لركاب الدرجة الأولى . والثانية تحتوى على أسرّة مع لوازمها ومستشفى صغير يتناسب مع الجزيرة ، وصيدلية يديرها صيدلى المحجر ، وغرفة للتجريد ، وغرف للأطباء الخ .. وتستوعب الجزيرة ثمانمائة راكب .

وجزيرة الواسطة تحتوي على ثمانى قاعات لحجر الركاب ، وصهريج ماء ينقل اليه الماء حين اللزوم من آلة تقطير جزيرة سعد القريبة منها ، وغرفة للاطباء والصيدلى ومستشفى . وتستوعب هذه الجزيرة خمسمائة راكب .

وتشرف الادارة المركزية للصحة البحرية والكورنتينات على معاينة ركاب عموم البواخر والطائرات أيضاً حينما يبدأ قدومهم اليها..وتطبق النظام الصحى الدولى من حيث معاملة البواخر والركاب والحجاج وتنقيح من يلزم تلقيحه ، وتلقح المسافرين والواردين ضد الجدرى والكوليرا والتيفوئيد ، وتطهر البواخر من الفئران ، وتوزع على عموم سكان البلدة سنويا أكثر من خمسمائة مصيدة فأر ، لمكافحة الفيران واتلافها . وتخصص مكافأة قدرها قرش أميرى لكل من يقدم فأرا حيا أو ميتا ، وذلك لتشجيع الجمهور على ابادة الفيران .

وتصدر تقريرا سنويا عن حالة الحجاج الواردين والمسافرين من حيث العدد والاجناس ، وعمليات التلقيح(١) .

وكان مَحجَرا ينبُعَ والوجهِ يتبعان هذه الادارة(٢) .

وقد حدث تطور في هذا المرفق .. فكان ترتيبه في سنة ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م على النحو الآتى :

« لجدة مديرية صحة يرأسها الدكتور أكرم شومان ، وتتألف من ادارة صحة يرأسها مأمور الادارة صادق مرشد ، ومستشفى جدة وبه بعض الفروع الطبية .. » وأطباؤه يومئذ هم :

الدكتور فؤاد أبو غزالة

طبيب أسنان هو الدكتور أحمد مدحت الجابى

الصيدلى : أحمد الموصلى

القابلة : ثروت محمد

الممرضة الفنية : أميرة النحيلى

---

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص٢٠٧ و٢٠٨ .
(٢) نفس المصدر ص٢١١ و٢١٢ .

كما أن بجدة المستشفى الرمدى وفيه :

الدكتور لونجينتو(١) .

ثم تطور هذا المرفق تطورا جديدا بعدما حولت المديرية العامة للصحة الى وزارة صحة فجعلت جدة مركز « مندوبية عامة لوزارة الصحة في الساحل الغربى » للمملكة ، ويشرف على هذه المندوبية دكتور يسمى مندوب وزارة الصحة ، وأضيفت الى هذه المندوبية ملحقات تتبعها ، وهذه المندوبية هى احدى مندوبيات عشر مماثلة .

وقد توسعت تشكيلات المندوبية محل البحث توسعا يمكنها من الاضطلاع بمهمتها الجسيمة(٢) .

وتعنى المندوبية بأمرين هامين تمثلهما المحافظة على الصحة العامة الممثلة في كل من الطب العلاجى والطب الوقائى .

والطب العلاجى تؤمنه المستشفيات والمستوصفات التالية بالاضافة الى العيادات الخصوصية المتنوعة التى يفتحها الاطباء في أنحاء البلدة .

وهذه هى المستشفيات التابعة للمندوبية في الوقت الحاضر :

(١) ـ المستشفى العام : وهو من أقدم المستشفيات بالمملكة .. حيث كان موجوداً بالتأكيد فيمطلع القرن الهجري الراهن، في محله الحالى بباب شريف منذ أيام الدولة العثمانية ، وورد ذكره في الكتاب الدورى الذى كانت تصدره الدولة المذكورة وذلك في طبعته المؤرخة في سنة ١٣٠٣ هـ وقد توالت عليه الاصلاحات والتوسعات والتحسينات في مختلف العهود وسمى الآن باسم : « المستشفى العام » . وفيه « ٨٤» سريرا ويحتوى على ثلاث شعب هى : بنك الدم ، والمختبر ، ومؤسسة الاشعة .

(١) فؤاد شاكر : دليل المملكة العربية السعودية ص١٩٢ طبعة مصر سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨م .
(٢) لمعرفة تشكيلات المندوبية هذه يراجع فصل « التشكيلات الحكومية » .

ويعتبر هذا المستشفى من أهم مستشفيات جدة نظرا لمركزه الحساس في استقبال جموع المرضى المراجعين من رجال ونساء وأطفال ، يوميا .. ولكونه المستشفى الجراحي الاول .

ويديره الدكتور هاني التميمي ومدير ادارته منصور دفتردار .

ويتراوح عدد المراجعين فيه يوميا ما بين « ٨٠٠ و ١٥٠٠ » مراجع وذلك حسب المواسم . ويشتمل على العيادات التالية :

أولا ــ العيادة الجراحية ويتعاون عليها الدكتور شيخ العيدروس مع جراح المحجر .

ثانيا ــ عيادة الأنف والأذن والحنجرة . ويعمل بها الدكتور مصطفى عبد الغفور مير .

ثالثا ــ الاستقبال ويعمل به الدكتور اشرف على سيدو

رابعا ــ العيادة الجلدية ويديرها الدكتور لمبو

خامسا ــ عيادتي الامراض العامة

سادسا ــ عيادة النساء والأطفال

سابعا ــ عيادة الأسنان

(٢) ــ مستشفى الكندرة : وهو مستشفى للأمراض الباطنية ، وبه « ٨٤ » سريرا ، ويقوم في حي الكندرة بشمال مدينة جدة قريبا من شارع المطار الى جنوبه ــ بشارع الشيخ عبد الله السليمان . ويديره الدكتور عارف قياسة . وبه أجهزة للأشعة ، وتخطيط القلب ، ومختبر ملحق وصيدلية .

ويعمل فيه من الاطباء في الوقت الحاضر الدكتور عبد الله أركوبي والدكتور عمر غزاوي والدكتور صلاح النشار والدكتور ناجي عبد الرزاق والدكتورة ملك رويحي .

(٣) ـ مستشفى الولادة والأمراض النسائية : يقوم بشارع المطار غير بعيد عن مستشفى الكندرة ، وهو في المبنى الذى كان سابقا فندق البساتين ، وفيه « ٤٠ » سريرا ويجرى الآن العمل في زيادة عدد الأسرة فيه لتصل الى «٦٠» سريرا .

وفي هذا المستشفى من العيادات ما يلي :

أ ـ عيادة الحوامل : وتراجعها السيدات الحوامل اللواتي لديهن أعراض حمل أو أمراض أخرى تتعلق بالحمل . ويبلغ عدد المراجعات فيه يوميا نحو ٣٠ سيدة .

ب ـ عيادة أمراض النساء : ويبلغ عدد من يراجعها منهن : «٤٠» تقريباً في كل يوم . ويناهز معدل المُرَاجِعَاتِ لهذه العيادة يومياً « ١٠٠ » مُرَاجِعَة .

وتجرى فيها أسبوعياً نحو « ٢٢ » ولادة طَبيعية ونحو ٦ ولادات عَسِرَة .

جـ ـ ويتبع المستشفى « مدرسة الممرضات » وهى ملحقة بمستشفى الولادة الآنف ذكره . ومهمة المدرسة تخريج مساعدات الممرضات .

د ـ ومستشفى الأطفال .. لقد تم انشاء أول مستشفى للأطفال بالمملكة في جدة ، بجوار مستشفى الولادة ، ويشرف عليه الدكتور على رضا المختص بأمراض الأطفال ، وقد جهز المستشفى بالمُعَدَّاتِ والأثاث اللازمين .

هـ ـ كما يجرى العمل في افتتاح قسم رعاية الأمومة والطفولة وسيكون ملحقا بمستشفى الأطفال وستتبعه حديقة مجهزة بلعب الأطفال .

(٤) ـ مستشفى الرمد : يقوم في حي الكندرة ملاصقاً لشارع المطار ، وبه ستون سريرا وتستقبل عياداته الخارجية يوميا ١٥٠

مُراجع ، وتجرى فيه العمليات الجراحية مرتين في الاسبوع بالنسبة للعمليات الكبرى .. أما العمليات الصغرى فتجرى به يوميا بمعدل ٤ و ٦ عمليات .

(٥) ـ مستشفى الملك سعود : كانت وزارة الصحة اشترته في عام ١٣٨١هـ من صاحبه الدكتور خالد ادريس . ويقع على الطوار الشمالى لشارع المطار ، ويسع ٥٠ سريرا وتستقبل العيادات الخارجية فيه يوميا كثيرا من المراجعين ، وتجرى فيه العمليات الجراحية ، وبه عيادات خارجية للجراحة وأمراض النساء والولادة والاطفال والاذن والحنجرة والعيون ، وبه غرفة خاصة للاسعاف مجهزة بلوازمه الضرورية ، وبه أقسام الاشعة والمختبر والضماد للرجال وللنساء ، وقسم الصيدلة ، كما أن به أقساما داخلية ثلاثة . ويديره الدكتور مصطفى طيبة . وفيه من الاطباء : الدكتور سمير عبد الله وهو اختصاصى في أمراض النساء والولادة ، والدكتور فاروق عبد الله طبيبأمراضالأطفال ، والدكتور فتحى عمارة طبيب أمراض القلب ، والدكتور مالك رفيق طبيب الامراض الباطنية ، والدكتور حسن قرملى طبيب الامراض الباطنية .

وفيه ممرضون وممرضات ، ورئيسة الممرضات السستر مال شاتنزر وتقوم بالعمل الفنى ، ويساعدها أربعة ممرضين فنيين وعشر ممرضات فنيات . ويعمل هـذا المستشفى طول اليوم ، ومعظم الفنيين يقيمون بالمستشفى ، وجميع أطبائه متفرغون للعمل الرسمي ، وليس لديهم عيادات خاصة .. وبالمستشفى قسم خاص مكون من خمس غرفمجهزة بجميع الآلات الجراحية الممتازة والأجهزة الفنية اللازمة لاجراء العمليات الجراحية . ويعالج المرضى بأجرة رمزية .

وقد أزيل هذا المستشفى أخيراً ضمن عمليات توسعة شوارع جدة ، وبقى محله فضاء حتى كتابة هذه السطور .

وفي جدة مستوصفات هى :

١ ـ مستوصف البغدادية :

وفيه عيادات للأمراض الباطنية وعيادة للامراض الصدرية . ويبلغ مراجعوه يوميا من ٢٠٠ الى ٢٥٠ ويقوم الى جانب عمله بفحص المرضى والمراجعين وتقديم اللقاحات للطالبين ، مع الكشف الطبى على سائقى السيارات . . ولا يقل عدد مراجعيه من هذا النوع عن ٢٠ مراجعا كل يوم وقد يصل عددهم الى ١٠٠ مراجع ، كما يقوم بالكشف الطبى على الأشخاص الذين يريدون الالتحاق بالوظائف الحكومية ، ويعطى التقارير الطبية عن لياقتهم للخدمة من عدمها وكذلك للعمال والجنود ولا يقل هؤلاء يوميا عن ٤٠ . .

وبه قسم لمراجعى التصوير الشعاعى الجماعى والدرن . . وقد أسس به هذا القسم حديثا وجهز بكل المعدات الممكنة . . ووظيفته هى أخذ الصور الشعاعية لصدر أي شخص سواء أكان مبعوثاً اليه من طبيب أم غير مبعوث . . بمعنى أن هذا القسم مستعد لتلبية طلب كل من يريد الاطمئنان على صحة صدره وسلامته ، مجاناً ، كما أن شهادات الفحص التى تستخرج منه للقوى العقلية لا تقل عن خمس شهادات كل يوم .

٢ ـ مستوصف النزلة :

أنشىء في عام ١٣٨٠ هـ ويراجعه يوميا ما بين ٧٠ و ١٠٠ مراجع ومعظم المراجعين له من النساء .

٣ ـ مستوصف مدينة الحجاج :

يفتح أيام الحج فقط .

٤ ـ مستوصف الميناء البحري :

يراجعه يوميا ما بين ٢٠ و ٣٥ شخصا .

٥ ـ مستوصف الميناء الجوي :

يعمل في أيام الحج فقط

٦ ـ عيادة السجن :

أنشئت هذه العيادة في سجن جدة مزودة بطبيب ومأمور صحى دائم حرصا على صحة المسجونين .

٧ ـ مستوصفات تتبع مندوبية جدة :

وتتبع مندوبية وزارة الصحة في جدة ، مستوصفات كل من الليث وثول وطبابة رابغ وطبابة ينبع البحر وينبع النخل والعيص وطبابة أملج وتوابعها وطبابة الوجه وتوابعها وضبابة ضبا ومستوصف حقل .

○○○○○

أما الطب الوقائى فيمثله المحجر الصحى الواقع جنوب جدة الشرقى، وقد تم بناؤه وتزويده بالوسائل الفنية الحديثة .

وقبل اعطاء صورة كاملة عن هذا المحجر الكبير ، الذى هو عبارة عن مدينة صحية وقائية متكاملة ، نرى من المناسب أن نقدم لمحة عن تاريخه ، اتماماً لاطار الصورة :

كانت عمليات الحجر الصحى فيما مضى ، تجرى عند الحاجة اليها في جزيرتين صغيرتين تقعان بالقرب من الساحل الجنوبى .. وكانت احداهما للادارة وبها أماكن لحجر ركاب الدرجتين : الأولى والثانية .. والجزيرة الأخرى مُعَدَّة لركاب الدرجة الثالثة .. وكانت هاتان الجزيرتان مجهزتين بالاستعدادات التى لا غنى عنها لمواجهة الطوارىء ، كالمباخر والوحدة الكهربائية وجهاز تكثيف المياه .

وقد استخدمت هاتان الجزيرتان للحجر في مناسبات عديدة قبل عام ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ثم انقطعت الحاجة اليهما أخيرا ، بفضل التقدم الصحي وتعميم اللقاح على الحجاج ، واحكام الرقابة الصحية ، فلم تَدعُ الظروفُ لاستعمالهما، اللهم الا عندما ظهرت الهيضة «الكوليرا» في مصر عام ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م وحينذاك أعيد استخدامهما لحجز

القادمين من مصر الذين لم يكملوا دور الحصانة عند وصولهم الى هـذه البلاد ، وكان هذا الحجر آخر ما استخدمت فيه الجزيرتان اللتان تعرف احداهما باسم « جزيرة سعد أو أبى سعد » والاخرى باسم «الواسطة» .

وقد كانت الحكومة العربية السعودية طـالبت بالغاء بعض المـواد الموجودة في الاتفاقية الصحيـة الدوليـة لعـام ١٣٤٥هـ ـ ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٦م المبرمة في باريس وتعديل بعض المواد الأخرى منهـا ، لعدم مطابقتها للأوضاع الصحية الحديثة بالنسبة للمملكة .

وعلى أثر ذلك وصلت لجنة خبراء دولية الى المملكة زارت المنشآت الكورنتينية ، في جدة ، وقررت أن المنشآت المذكورة على استعداد كاف للقيام بالخدمات المحجرية اللازمة لاستقبال الحجـاج ، واقتـرحت توسعتها وادخال بعض التحسينات عليها . وكانت الحكومة السعودية قد باشرت تطبيق برنامجها الصحى الطويل الامد .

وكان من أهم مشروعات هذا البرنامج انشاء المحجر الصحى بجدة الذى نحن بصدد تفصيل وصفه ، والذى تم انشاؤه فيما بعد ، كمدينة حجر مستقلة متكاملة . وقد كلف انشاء هذه المدينة ما يزيد على خمسة عشر مليونا من الريالات العربية السعودية(١) .

ويتألف هيكل هـذه المدينـة من مائة وخمسـين مبنى أقيمت على ٢٢٩٠٠٠ متر مربع تقريبا .

ويقع المحجر الصحى أو مدينة الحجر الصحى جنوب جدة على بعد كاف من العمران حين انشائه وعقبه . وقد افتتحه جلالة الملك سـعود بن عبد العزيز في مهرجان حافل يوم ٢١ شـعبان ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م وحضر حفل افتتاحه وفود تمثل عشرين دولة ، كما دُعِيَ اليه جمع من صِحَافِيّي مصر وسورية ولبنان والاردن والجنوب العربي(٢) وقد

(١) معلومات عن المملكة العربية السعودية : للمديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر لسنة ١٣٧٤هـ ص ٢٣ .
(٢) المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر : أضواء على المملكة العربية السعودية ص١٩٠ .

أحيطت المدينة بأسلاك شائكة لمنع الاختلاط .

وتتصل هذه المدينة بالشاطىء البحرى من طريق خاص بها .

ويعتبر المحجر الصحي بِجُدة أكبر محجر من نوعه في الشرق الأوسط فخامة وروعة واستعدادا . والأدوات والاجهزة من أحدث طراز .

وكان من نتائجه أن اعترفت منظمة الصحة العالمية بالتقدم الصحي في المملكة وأشادت به ، وتلا ذلك الاعتراف الغاء التدابير الاستثنائية التى كانت تفرض على الجموع الوافدة الى الحج في كل عام(١) .

وينقسم المحجر الى قسمين :

القسم الاول : الشرقى وفيه مبانى المحجر التى تبلغ أربعة وستين مبنى ، ألحق بها ستة عشر مبنى لأخذ النماذج . وكل هذه المبانى مجهزة بما يلزمها من حمامات ودورات مياه ومطابخ ومغاسل ، وتضاء جميعها بالكهرباء .

والقسم الثانى الغربى : ويحتوى على مكاتب الادارة وسنترال الهواتف (التلفونات) ومستودعات السيارات ومعمل للنجارة ومستودعات المحجر وحديقته . ثم مبانى المباخر والحمامات العامة التى خصص بعضها للرجال وبعضها للنساء . ثم مبانى الغسل والتجفيف والكى ، وكلها مجهزة بآلات حديثة الطراز وتدار بالكهرباء . كما يحتوى هذا القسم الغربى على مبنى المخبر ، وهو مزود بجميع الآلات والاجهزة اللازمة ، ويقوم بجميع أنواع التحاليل الجرثومية والكيميائية ، ويمكنه أن يحلل أى عدد من البراز واعطاء النتائج بسرعة معقولة .

• • •

وهذا المخبر مكيف تكييفاً مركزياً بالأجهزة الخاصة .

(١) المملكة العربية السعودية للمديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ص٨٨ وقد طبع بجدة في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ ١٢ نوفمبر ١٩٦٠م .

ثم تأتى مدرسة التدريب الصحى ، والى غربها يقوم مبنى الثلاجات وقد خصص بعضها للقاحات والامصال وغيرها . وبعضها لحفظ اللحوم والخضراوات والفواكه التى يحتاجها نزلاء المحجر .

ويحتوى المحجر على ثلاث مستشفيات : المستشفى الجراحي ، ومستشفى العزل ، والمركز الوقائى . وجميعها مجهزة تجهيزا فنيا . وبها مُعَدات من أحسن طراز .

ويدير المحجرَ الدكتورُ عليّ طَبَّالة . ومن أطبائه الدكتور حارث رفيق(١) الاختصاصى في الجراحة ، والدكتور فضل الرحمن المتخصص بالطب الباطني ، والدكتور نوري الهى المتخصص في الجراحة ، والدكتور محمد أبو المجد المتخصص في العظام ، والدكتور محمد الشورى ، وراغب زكى مدير المختبر . وبالمحجر صيدلية كبيرة يديرها صيدلى قانونى ، كما يوجد به قسم أشعة وقاعة عمليات كبيرة وعدد كبير من المهندسين والكهربائيين والنجارين والسائقين والخدم .

ويتبع المحجر ـ اضافة الى ما تقدم ـ الوحداتُ الآتية :

١ ـ المستشفيات المتنقلة .

٢ ـ المكتب الصحى .

٣ ـ مستوصف مدينة حجاج البحر .

(الميناء الجوي)

يعمل في هذا الميناء في الايام العادية طبيب وبعض الموظفين الفنيين وفي مواسم الحج يجهز تجهيزاً فنياً تاماً ليكون على أُهبَةِ استقبال أكبر عدد من الطائرات واجراء اللازم عليها طبقا للشروط المحجرية الدولية.

(١) بعد ذلك انتقل الدكتور حارث رفيق الى مستشفى الدكتور خالد ادريس وانتقل الدكتور فضل الرحمن من المحجر الصحي وصار طبيباً خاصاً لسمو ولي العهد (جلالة الملك خالد) حالياً . وانتقل الدكتور محمد الشورى الى الرياض .

(الميناء البحري)

هو مزود بطبيبين يعملان فيه باستمرار ، ويجهز في أيام موسم الحج تجهيزا قويا(١) .

هذا ومما يدل على تقدم الحالة الصحية بجدة أن بها اليوم واحدا وثلاثين مخزنا وصيدلية للعقاقير الصحية والادوية .. موزعة في شتى أنحائها . وعليها مناوبات ليلية مستديمة تنظمها مندوبية وزارة الصحة بجدة بتوزيع جدول رسمى بينها في كل شهر لتعرف كل صيدلية ويعرف كل مخزن الليلة التى عليه أو عليها أن يبيت فيها مفتوحاً ـ طبيب لتأمين العلاجات للمراجعين طيلة تلك الليلة . وهذا بيان تلك المخازن :

المخزن أو الصيدلية	الموقع
١ ـ مخزن أدوية التعاون	باب مكة
٢ ـ مخزن أدوية الأمين	باب مكة
٣ ـ مخزن أدوية ابن سيناء	شارع الأمير فيصل
٤ ـ مخزن أدوية البحر الأحمر	باب شريف
٥ ـ مخزن أدوية الشعب	باب مكة
٦ ـ مستودع أدوية الشاطيء	شارع الملك عبد العزيز
٧ ـ مخزن أدوية الثغر	شارع الأمير عبد الله الفيصل
٨ ـ مخزن أدوية الكمال	شارع الملك عبد العزيز
٩ ـ مخزن أدوية حسين ناظر	السوق الكبيرة
١٠ ـ صيدلية اسلام	شارع الأمير فيصل
١١ ـ مخزن أدوية عزمي	شارع مكة الكيلو الأول
١٢ ـ مخزن أدوية عبد الله حواري	شارع الملك عبد العزيز
١٣ ـ مخزن أدوية البحراوي	باب مكة
١٤ ـ مستودع أدوية السقاف	باب مكة
١٥ ـ مستودع أدوية جدة	باب مكة
١٦ ـ فرع صيدلية البترجي	باب مكة
١٧ ـ مخزن أدوية الشفاء	شارع الملك عبد العزيز

(١) هذه المعلومات ملخصة من تقرير كتبه لنا الدكتور هشام ملحس مندوب وزارة الصحة بالساحل الغربي بجدة اذ ذاك .

المخزن أو الصيدلية	الموقـــــــع
١٨ ـ مخزن أدوية ذاكر	شارع الأمير فيصل(١)
١٩ ـ مخزن أدوية وليد	شارع الملك عبد العزيز
٢٠ ـ مخزن أدوية السلامة	باب شريف
٢١ ـ مخزن أدوية الرازي	باب شريف
٢٢ ـ مخزن أدوية التوريدات	شارع الملك عبد العزيز
٢٣ ـ مخزن أدوية محمد نور جمجوم	شارع الأمير فيصل
٢٤ ـ صيدلية البترجي	شارع الأمير فيصل
٢٥ ـ مخزن أدوية الحبشى	باب مكة
٢٦ ـ الصيدلية السورية	شارع الأمير فيصل
٢٧ ـ مخزن أدوية نزيه	شارع الملك عبد العزيز
٢٨ مخزن الأدوية الجديدة	شارع الملك عبد العزيز
٢٩ ـ مخزن أدوية التعاون	باب مكة
٣٠ ـ مخزن أدوية الأمين	باب مكة(٢)

ونضيف الى ما ذكر ، صيدلية القبلاوي ، بمحلة اليمانين بالسبيل جنوب جدة .

(١) انتقل هذا المخزن الى باب مكة .
(٢) عن مندوبية وزارة الصحة بجدة .

قصة الماء

في مدينة جدة عبر التاريخ



لا مرية في أن ندرة الماء العذب في جُدة كانت من عوامل عدم تمددها ونموها ، خلال القرون الماضية المتتالية ، وقد ولدت جُدة على شاطيء بحر ملح شديد الملوحة ، هو البحر الأحمر ، وليس بها عيون جارية ولا تصلها أنهار متدفقة من الجبال . فالأنهار في الجزيرة منذ عصر الجفاف قد يبست ، واذا حفر انسان ما في مكان ما بجُدة ، فأغلب ما يخرج له من باطن الأرض ماء ملح أو فيه شيء من الملوحة بسبب تشبع تربة أرضها بماء بحرها الملح الأجاج .

فلم يبق اذن لأهلها من مورد مستساغ ، الا أمران :

أحدهما : ما تجود به الأمطار ، وقد اصطنعوا لهذا الوارد من الماء النمير خزانات دعــوها « صهاريج » فجصصوها وجعــلوا للماء بهــا مداخل ومصارف .

والأمر الثاني : محاولات عديدة لجلب ماء العيون البعيدة عن جدة أو القريبة نوعاً ما ـ اليها ، وهي محاولات لم يحالفها التوفيق المستمر طيلة الأحقاب الخالية ..

وقد تنبه المؤرخون والرحالون الى هذه الحقيقة ، وهي خلو جــدة من مياه عذبة جوفية أو واردة تمد أهلهــا بالشرب وقضــاء اللوازم الضرورية ، وأثر ذلك على تطورها ونموها ، بل ان هذا الخلو من الماء العذب جلب لها المتاعب ، فالماء هو مادة الحياة .

وقد أشار البَشَّاريُ الى ذلك اشارة واضحة فقال بعــد أن وصف ازدهار جُدة العمراني : « غير أنهم في تعب من الماء مع أن فيها بِرَكاً كثيرة ويحمل اليهم الماء من البعد »(١) .

(١) البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص٧٩ طبعة ليدن بهولندا .

والبشارى كان قد حج ومر بجدة في طريقه الى مكة في سنتي ٣٥٤ و٣٦٧ هـ كما صرح به في الصفحة ١٠١ من كتابه .. وربما كان يقصد بالبِرَكِ التى قال انها في جُدة : الصهاريجَ ، فهي بِرك ولكنها مسقفة ومغلقة .

وبعد البشاري بنحو قرن من الزمان وعلى التحديد بعده بستة وثمانين عاماً حج الرحالة ناصر خسرو الفارسى ، وقَدِمَ جُدة في طريقه الى مكة ، وقَدَّمَ لنا وصفاً موجزاً مركزاً لجُدة على الشكل الذى وجدها فيه ، وأشار الى أزمة الماء ، المزمنة المستحكمة فقال : « ليس في جدة شجر ولا زرع وكل ما يلزمها يحضرونه اليها من القرى »(١) .

وسبب افتقاد الشجر والزرع في البلد كما هو معلوم ـ هو شح الماء العذب الذى يروى وينمى النبات والأشجار .

ولناصر خسرو ، الحق ، في ابداء هذه الملاحظة فهو بحكم بيئته وطبيعة بلاده المملوءة بالأشجار والأزاهير والزروع والنبات ، جدير بأن يلاحظ تجرد بلد مزدهر بالعمران كجدة مما ذكر ..

وكان أبو الطيب المتنبي زار بلاد ناصر خسرو : بلاد ايران قبل ناصر بنحو قرن من الزمان ، فراعه كشاعر ذي احساس عربي مرهف وشاعرية محلقة ـ راعه منظر أشجارها المتهدلة الغصون على أنهار فياضة بماء نمير ، فسجل هذا المنظر الأخاذ بقطعة شعرية خالدة . منها قوله يصف رحلته خلال هذه الدنيا المحتفلة :

طَبَتْ فرسانَنا والخيلُ حتى	خشيتُ وأن كَرُمن من الحِران
غدونا ننفض الأغصان فيها	على أعرافها مثل الجُمَان
فسرت وقد حجبن الشمس عني	وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرق منها في ثيابي	دنانيراً تفر من البنان

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٧٤ ترجمة الدكتور يحيى خشاب طبع مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

لهـــا ثمر يشـــير البـــانُ منها   بأشربـــة وقفـــن بلا أوان
وأمواهٌ تصـــلُّ بها حصـــاها   صليل الحـــلي في أيدى الغواني(١)

وفي عصر أبي الطيب المتنبي هذا (أوائل القرن الهجري الرابع) كتب سَميّهُ أحمد بن سهل أبو زيد البلخي في كتابه : « ذكر المسافات وصور الأقاليم » عن جدة ، ولكنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد الى قصة الماء . وأغلب الظن أنه جاءها في زمن كثرت أمطاره فلم يلحظ شيئا من ندرة الماء العذب بها ..

وحينما حج الرحالة محمد بن أحمد بن جبير الأندلسى ، وقدم جدة في طريقه الى مكة بعام ٥٧٩ هـ رست السفينة التى كانت تقله وتقل الحجاج ، بمرسى « أبحر » وقال : « ان هـذا المرسى على بعض يوم من جُدة» ووصفه بالجمال والروعة قال : «وهو من أعجب المراسى وضعاً . وذلك أن خليجاً من البحر يدخل الى البر يطيف به من كلتا حافتيه فترى الجلابَ منه في قرارة مُكِنَّة هادية» . ولكن ابن جبير لم يذكر لنا شيئاً عن عُمران هذا المرسى ، ولا ما قد يكون فيه من صهاريج الماء أو من الآبار . ولا ما قد يكون به من الماء المجلوب من بعيد . ووصفه له بأنه مرسى يدل على أنه كان عامراً ، وان لم يذكر لنا شيئاً عن هذا العمران . وكان المنتظر من مثل ابن جبير أن يصف لنـــا كل ذلك أو بعضه ، لأنه أديب ورحالة ذو شم وحاسة أدبية خامسة .

وجدير بالذكر وبالمناسبة أن « أبحر » قد عاد اليها العمران ، اذا كان فيها فيما مضى عُمران ، وذلك في السنوات القليلة الماضية : من سنة ١٣٧٥ هـ الى سنة ١٣٨٣ هـ التى أتمّ بها تأليف هذا الكتاب . والماء الذى يروى السكان أو الزوار أو المتنزهين بأبحر لا يزال يجلب اليها من جُدة . وقد وضع لهـــا « مكتب تخطيط المـــدن » بجُدة ، خارطة

(١) ديوان المتنبى ج٢ ص٤٢٨ و٤٨٣ المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ و١٩٣٠م وقد أوردنا هذه الأبيات بالمناسبة التاريخية ، وتدليلا على ما ذهبنا اليه بشان اعتياد ناصر خسرو ، على مناظر الطبيعة الخصبة في بلاده .

فنية ، تنظمها ، وتزمع البلدية القيام بتنظيمها بموجب تلك الخارطة لتجعل منها شاطئاً ممتعاً ، متمتعا بوسائل الترفيه الحديثة(١) .

وقد وصف لنا ابن جبير جُدة من حيث الماء فقال : « وبها جِباب منقورة في الحجر الصلد ، يتصل بعضها ببعض ، تفوت الاحصاء كثرة ، وهي في داخل البلد وخارجه »(٢) .

ويقصد بالجباب ، خزانات الماء المعروفة من قديم ومن حديث في جدة ، بالصهاريج ، ولعل التعبير « بالجباب » حمله ابن جبير معه من بلده : الأندلس .

والذى جعل ابن جبير يعنى بقصة الماء في جدة ما كانت تتعرض له يوم قدومه من أزمة مائية مجتاحة .. قال : «ان سنة قدومه كان المطر بها قليلا ، وكان الماء يجلب اليها على مسيرة يوم ، وكان الحجاج يسألون الماء من أصحاب البيوت »(٣) .

ومما يؤكد لنا أن مقصد ابن جبير بالجباب « بكسر الجيم » : الصهاريج ، أن زميله الرحالة ابن بطوطة ذكر هذه الصيغة نفسها ، وأضاف اليها أن هذه جباب ماء (٤) .

وكذلك نتوصل الى معرفة جازمة بأن «الجباب» تعبير مغربي أندلسى جلبه الرحالتان المغربيان معهما من بلادهما وأثبتاه في رحلتيهما .

وبذلك يزول الشك الذى أشارت اليه مجلة « الحج » في مقالها : « تاريخ الماء في جدة » .

ويذكر ابراهيم رفعت باشا أن بها ٨٠٠ صهريج داخل البلد وخارجها معدة لخزن مياه المطر وبيعها في مواسم الحج ولكنها الآن —

(١) في الجزء الثاني من هذا الكتاب الذى خصصناه بتاريخ جدة منذ عام ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م وصف لما تجدد من عمران أبعر أخيرا ، فراجعه ان شئت .

(٢) ابن جبير : رحلته ص٤٢ .

(٣) ابن جبير : رحلته ص٢٤٣ .

(٤) ابن بطوطة : ص٢٤٣ من رحلته طبعة بيروت سنة ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م .

سنة ١٣١٨ هـ ـ معطلة اذ ترد المياه الى جدة من عين حفرها المصلح عثمان نورى باشا والي مكة سابقاً . وخارج البلد أيضاً . آبار مهجورة وأنابيب في الأرض مركوزة . وتخرج منها المياه بالآلات الماصة : (آبار أرتوازية)(١) .

وقد صححت مجلة الحج رقم الصهاريج وخفضته الى ما فوق الثلث(٢).

ويقول عمر رضا كحالة : « ان المياه التى في الصهاريج تنحدر اليها من سقوف البيوت وانها غير صحية»(٣) ويعقب على ذلك الشيخ محمد نصيف : « بأن بعض البيوت يتسرب الماء الى صهاريجها تحتها . وهذه صحية نظيفة . أما الصهاريج التى هي بخارج البلد فان الماء يصلها من السيول رأساً وأصحابها يُعنَونَ بتنظيفها وحراستها ويصرفون على ذلك سنوياً مبالغ من المال حتى تكون دائماً صالحة للشرب . أما الآن فقد بُنِيَ على بعضها البيوت وصارت لا ينتفع بها » .

● ● ●

هذا وقد استمر سقيا أكثر أهل جدة مقصوراً على هذه الصهاريج(٤) التى ليس ماؤها نبعاً ولا جارياً بل هو مخزون بعناية حتى جاء عهد السلطان قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك البرجية حكماً لمصر والحجاز . وذلك في القرن الهجري العاشر . فعنى بمعالجة أزمة الماء

---

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ج١ ص٢٣ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥م .

(٢) الملحق المائي للمجلة الصادر بمكة في ١٨ المحرم ١٣٦٧هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٧م ص٥٣ .

(٣) عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ص١٦١ و١٦٢ المطبعة الهاشمية بدمشق .

(٤) في جدة عدا الصهاريج آبار يستقى منها الناس بوساطة سقائين يتقاضون أجرة . ومن هذه الآبار آبار مطوية حول جدة وهي سبع : بئر السلسلى شرقي جنوب جدة وبئر الوزيرية شرقيها وهي غليل . وبئر مريخ مقابل الكندرة . وتنضب . وتقابل نزلة بني مالك الى الجنوب . وبئر الحنفية شمال بني مالك . وبئر بريمان . شمال شرقي بني مالك . ومن الآبار المطوية : السرورية والحمرة والنشارية والقرينية وثمد سليمان عند البحر الى الشرق الجنوبي . وبريدة في طريق أبي صالحة وأبو سباع الى الشرق الجنوبي . وبرود القريبة . ومويحة . وأبو صالحة . والصحيفة . والشرفية . والضفاري . والعسيلة . والآبار الحديثة التى منها : الصحيفة والشرفية . وقد حفر الصحيفة المرحوم عبد الله نصيف الجد الثاني للشيخ محمد نصيف . وحفر الشرفية حميد الشيخ المالكي في القرن الثالث عشر الهجري . انظر عدد الماء في مجلة الحج الصادر في المحرم ١٣٦٧ ص٢٣ ج١ وقد شاهد المؤلف أطلال صهاريج باقية على حالها ولكن بني عليها عمارات في حي البغدادية وحي الشرفية بسنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م .

وتحويل الشرب من الصهاريج التى قد تجود عليها الأمطار وقد لا تجود، الى ماء ثابت جار ، وذلك بجلب ماء عذب اليها من احدى ضواحيها ، فشمر عن ساق الجد ، وأنفق أموالا طائلة في هذا السبيل ، مجاراة لما قامت به زبيدة من اسقاء أهل مكة بالعين ، بدلا من الآبار الشحيحة المياه ، ولمروان الأزرق من قبلها الذى حول سقيا أهل المدينة من آبار ، الى عين . وقد كُلِّلَ مسعى الغورى بالنجاح ، فجلب ماء من وادى « قوص » الواقع بشمال الرَّغَامَة .. وتبعد الرغامة عن جُدة ساعتين سيراً على الأقدام ونحو اثنى عشر كيلومتراً .

ونظراً لقرب مصدر هذا الماء من جُدة كان ماء العين عرضة للملوحة كلما شحت الأمطار ، وللعذوبة اذا تكاثر هطولها . ولكنها ، على كل حال مرحلة جديدة وطور حديث نفذ لأول مرة في التاريخ لارواء هذا البلد من غير طريق الصهاريج والآبار .

ومن الجدير بالذكر أن السلطان الغوري كان قد اهتم باجراء فحوص كثيرة على الماء ، وأفضل طريقة لجلبه ، قبل الشروع في المشروع. وحينما تأكد لديه نجاحه قام بتنفيذه .

ولا بد أن أهل جدة والحجاج والتجار قد أكبروا هذا الصنيع «المنقذ» من السلطان الغوري واستبشروا به واعتبروه نقطة تحول كبيرة في حياتهم ، وكان الأمر كذلك فان من أهم مزايا مشروع الغوري أنه كان بداية البحث العملى الجاد في تحويل الشرب من الصهاريج الى ماء العيون.

وجاء عهد الدولة العثمانية وتسلم السلطان سليم الأول زمام حكم الحجاز من عمال الغوري ، في أواخر الربع الأول من القرن الهجري العاشر أي سنة ٩٢٣هـ بالتحديد . واستمر فيضان العين بعد ذلك فكان عليها المُعَوَّل في الشرب ، حتى اذا دخل القرن الحادى عشر الهجري انقطعت ثم أُجريت ، ثم انقطعت مرة أخرى في القرن الثالث عشر الهجري .

وبَدَهِي أن دوام حياة العيون والمشروعات المماثلة رهن بشمول الأمن العام، للحاضرة والبادية، ورهن بالاستقرار الشامل، ورهن بالاهتمام الدائم بصيانتها وترميم مجاريها وتنظيفها، وتخصيص مراقبين فنيين لهذه المهمة.

وبفقدان هذه الأسباب توقفت العين في المرتين، وأخيراً في سنة ١٢٧٠هـ أي قبل اثني عشر ومائة عام من تاريخ تأليف هذا الكتاب قام تاجر من تجار جدة اسمه «فرج يُسُر» ــ بضم الياء والسين بعدها راء مهملة ــ قام باعادة اجراء العين، بأن جمع لذلك اعانات من تجار جُدة وموسريها(١) وقد استمر جريانها بعد ذلك مع ضعف كامن فيها الى سنة ١٣٠٤هـ اذ عُنِيَت حكومة السلطان عبد الحميد الثاني بايصال العين الوزيرية التى كان أحد ولاة جُدة الأتراك عُنِيَ باجرائها، فدخلت هذه العين جُدة في عهد ولاية الوالي «صفوت باشا»، وسميت بالحميدية، مجاراة للسياسة القائمة، وبذلك انتهت عين الغوري نهائيا.

والعين الوزيرية كان فيها هي أيضاً شيء من الملوحة، وتتأثر ملوحة وعذوبة بالأمطار قلة وكثرة.

وفي كتاب «مرآة الحرمين» التركي لأيوب صبري باشا الذى ألف وطبع في استانبول سنة ١٣٠٦هـ اشادة بفرحة الأهلين واغتباطهم بدخول هذه العين الى بلدتهم، وفيه ما يدل على مدى قوة تدفقها، وما اتبع فيها من تنظيمات بعضها هندسية جدير بالدرس. وكان لها فائض زرعت عليه حدائق غناء في جُدة، وكان لها برك لنزهة الأهلين. والاستفادة من فائضها هو ما قصدنا به أن من تنظيماتها الهندسية ما هو جدير بالدرس بالنسبة لواقع العين العزيزية التى خلفتها بعد نحو ثلثي قرن، والتى كانت تنظيماتها الهندسية أدق وأعمق وأحدث.

---

(١) عن الشيخ محمد نصيف.

وكان منبع العين الحميدية أو الوزيرية ، من الجهة الشرقية عن جُدة ، ببعد ساعتين أو ثلاث . وكانت تنبع من تحت جبال هناك .

وحينما بلغ الماء الى بعد ٣٠ دقيقة عن المدينة بُنِيَ خزان للماء بالحجر ، ووضع به « مَقسَم » للماء ..

وكان قطر مائها « ١٢ » سنتمتراً ، ويفيض داخل أنبوبتين مزدوجتين ، وقُسِمَ الماء الى أربعة فروع بمجار خاصة .

ويفيدنا أيوب صبري بأنه وضع خزان كبير في محلة العيدروس بقرب باب السور المعروف بباب مكة ، ووضعت بالخزان صنابير « حنفيات » مع بركة كبيرة لسقيا الحديقة من الماء الفائض . كما سيق الماء الى محلة يعقوب آغا التى يسكنها شيخ الجاوى « ابراهيم عراقي » افندى قريباً من داره ، ووضع منهل هناك وأوصل الى رحبة الميناء ، وأنشىء هناك منهل مُثَمَّنُ الشكل باسم «الخليفة» . ووضعت في وسطه نافورة بأطرافها صنابير للانتفاع بالماء ، وأحيطت النافورة بدرابزين من الحديد ، ونقش المعلم السيد « فيضى » قصيدة تركية أرخ بآخرها انشاء هذا المنهل سنة ١٣٠٤ هـ .

وهذا نص البيت الأخير الذى يحتوى تاريخ انشاء المنهل :

يابدى بوزيبا جشمه يى   خان جهان عبد الحميد(١)

١٣٠٤

ومعناه : بَنَيَ هذا المنهلَ الجميل السلطانُ عبدُ الحميد .

وقد بنى هناك خزان للماء لتأخذ السفن الحربية التى ترسو في الميناء وغيرها الماء اللازم لها من هذا الخزان . وطوله ستة أمتار وعرضه متران . ويقال ان الطن الواحد من الماء كان يباع بفرنكين للبواخر . وتمتد الأنبوبة من الخزان الى البحر ، ووضعت الأعمدة الحديدية

(١) أيوب صبري : مرآة الحرمين ص١٩٥ طبع الاستانة سنة ١٣٠٦هـ .

وما يلزم تحت الأنابيب ، وقاية لها وتسهيلا لأخذ البواخر والسكان للماء من الأنبوبة الممتدة الى البحر ، ووضعت مناهــل في محلة المظلوم بقرب مسجد الشافعي وقرب مسجد المعمار . وفي محلة الشام . وبني صهريج كبير بقرب منهل المعمار ، وبركة للشافعية للوضوء ، وعمل منهل وسط بقرب دار أحد التجار : « الحاج محمود أفندى الخنجي » ، وبني منهل أيضاً في دائرة الحــكومة بثلاثة صنابير . وفي مواجهــة دار الحكومة بمحل مستشفى الغرباء القــديم أنشىء بستان جميل في وسطه بركة كبيرة لري البســتان ، وأحيطت البركة بدرابزينات من جهاتهــا الأربع ، وجعل لها باب من الجهة الغربية . وأنشئت بركة جميلة الشكل في الثكنة السلطانية من الطراز الحديث ، وأنشئت بها حديقة .. فكان هناك منظر جميل يؤمه الزائرون في كل مساء »(١) .

ويظهر من كلام البتنوني أن هذه العين الثرة انقطعت بعد ذلك حيث قال : «ماء الشرب في جُدة من الصهاريج القــديمة التى تُملأ من ماء المطر والعيون الموجودة خارج المدينة ، وكلما قربت تلك العيون من البحر كانت مياهها غير صالحة للشرب وفيهــا مواسير « أنابيب » كان قد وضعها عثمان نوري باشا في سنة ١٣٠٢هـ وسُيِّر الماء فيها من عين الرغامة التى تبعد عن مدينة جُدة شرقاً بنحو عشرة كيلومترات . وهي الآن مهدمة ، وقد اهتمت بلدية مدينة جُدة باصلاحها ولكن يظهر أن الحكومة لا يمكنها عمارتها الا بمعونة الأهالى ، وهم لا يساعدون على ذلك ، لأن لهم مصلحة في بيــع ميــاه صهاريجهم على الحجــاج بأثمان باهظة » .

والبتنوني حج سنة ١٣٢٧ هـ .

ولنا أن نناقشه فيما زعمه من أن الأهالى لا يساعدون على اصلاح العين لما لهم من مصلحة في عدم جريانها بتمكنهم من بيع مياه صهاريجهم

(١) أيوب صبري : مرآة الحرمين .

على الحجاج بأثمان باهظة .. نناقشه في هـذا بأنه نظـرية عابرة غـير مستندة الى واقع الحال ، فالأهالى هم الذين عمـروا العين لمـا توقفت وتقدم أحد تجارهم : « فـرَج يـُسْـر » بانجاز هذا المشروع،وهمالذين سُرّوا وقرتأعينهم بانشاء عينالغوري والعين الحميدية ، فلا يعقلأن يمانعوا أو يحولوا دون ادخال ماء عذب نمير فياض الى بلدهم . ومياه الصهاريج التى يبيعونها بأثمان باهظة انما يفعلون ذلك لشح الماء ، أكثر من اغتنام الربح الوفير كما تصور البتنوني .

ومن قبل البتنوني بعشرة أعوام حج ابراهيم رفعت باشا فأفادنا بأن العين الوزيرية التى أنشأها عثمان نوري كانت وقت حج ابراهيمرفعت، جارية . وترد منها المياه الى جدة في مجار مبنية تحت الأرض(١) .

• • •

هذا وقد ظلت فكرة اصلاح هذه العين تراود الحـكومة التركية ، والحـكومة الهاشمية من بعدها ، والحـكومة السعودية .. وقد عهدت الحـكومة الأخيرة الى المشرف على عين زبيـدة عبد الله الدهلوي المـكي باصلاحها لما له من خبرة فنية في اصلاح العيون ففعل ذلك كما حدثنى به ووصلت مياهها الى جدة ثم انقطعت .

وحينما انقطع حبل الرجاء في تزويد جـدة بمياه العيـون ، لدى الحكومة التركية ، جنحت الى اتخاذ طريق حديث لري جدة من المـاء العذب الدائم ، وساعدها على تحقيق هذا المشروع تقدم العلم في مطلع هذا القرن الهجري وتـوَصُّل أوروبا الى تقطير ميـاه البحار الملـح وتحويلها من هذا السبيل العلمي الى مياه عذبة باستقطارها بوساطة ما يعرف بالكندانسة ، فقد جلبت الحكومة التركية هذه الآلة العجيبة سنة ١٣٢٥ هـ وقد تبين أن ما تنتجه هذه المُقَـطّرَة لم يكن مطلقـاً بكاف لري جميع السكانفبقيتالصهاريج مصدر سقيا غالبية الناسفي

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ج١ ص٢٢ طبعة مصر سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م .

جدة . وكان أكثر الناس اهتماماً بماء الكنداسة هم الأجانب المقيمين في جُدة . ولا ندرى ما اذا كان السكان الأهلون يرون فيها مزايا ماء المطر ، أو انهم كانوا يرونها ثقيلة وغير مستكملة لشروط الماء الطَّبَعِي" .

وعلى كل فان دخول « المُقَطِّرَةِ » الميكانيكية الحديثة الى جُدة كان مظهراً من مظاهر التطور العصري أدخلته الحكومة العثمانية الى باب الحجاز ، وكان الذى فكر في احضارها هو الوالي عثمان نوري باشا ولكنها لم تصل الا في عهد أحمد رشيد باشا(١) .

ولم يمعن محمد لبيب البتنوني النظر حينما نسب توريد هذه المقطرة الى «الافرنج» (٢) لأنها عثمانية الاستيراد والتشغيل والانتاج .

ويذكر لنا البتنوني أن هذه المقطرة خربت نهائياً في عام ١٣٢٨ هـ أي حين وجوده في جُدة بمعية الخديوى عباس حلمي الثاني أثناء حجه(٣) .

وهذا وهم آخر يقع فيه البتنوني فان الكندانسة لم تخرب اذ ذاك نهائياً بل أصلحت واستمرت في العمل المنوط بها الى سنة ١٣٤٦هـ .

وكانت الكندانسة أهم مصدر للسقيا ابان الحصار السعودي لجدة في سنتي ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ وذلك لأن الآبار التى هي حول جدة لم يكن أحد من أهل جدة يجرؤ على الذهاب اليها نظراً للحصار المضروب على البلدة ، في آخر العهد الهاشمي .

وحينما انقطع الفحم الحجري الذى كان وقودها صاروا يوقدون عليها بالحطب مما عجل بخرابها نهائياً ، حقيقة في سنة ١٣٤٦هـ ولم تنجح المحاولات التى أجريت لاصلاحها في أول عهد الحكومة السعودية

(١) مجلة الحج : العدد الخاص بمشروع مياه جدة الصادر في المحرم ١٣٦٧ ص٥٣ و٥٤ .
(٢) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص٨ طبعة مصر سنة ١٣٢٩ هـ .
(٣) ص٨ من الرحلة الحجازية للبتنوني .

فقامت هذه باستيراد آلتين كبيرتين بدلا منها سنة ١٣٤٦ هـ(١) .

وكان سقيا البلد خلال العشرين عاماً التى سبقت ادخال العين العزيزية أي من سنة ١٣٤٦ هـ الى سنة ١٣٦٧ هـ من المقطرتين اللتين جلبتهما الحكومة السعودية بالاضافة الى ماء العين الوزيرية في فترات(٢) .

وحصل خراب في احدى الآلتين حينما تكاثر السكان والوافدون واشتغلت المكنات بما هو فوق طاقتها لتزويد جُدة ببعض كفايتها من الماء ، فأصبحت الحالة عندئذ تدعو الى اليأس . كان ذلك في سنتي ١٣٦٥هـ و ١٣٦٦هـ (٣) .

وكان من المشَاهد أن يرى البرميل(٤) الواحد من الماء يسير وراءه عشرات الأطفال والنساء والرجال لكي يحصل الواحد منهم على زفة(٥) من الماء . ولما استحكمت أزمة الماء عمدت الحكومة الى نقل الماء العذب لجُدة بواسطة «التوانك»(٦) المشدودة فوق ظهور السيارات الكبيرة من مكة ومن الآبار القريبة من مكة ، خاصة من بئر البستان .

● ● ●

ولعل من المناسب أن نورد هنا قصيدة فكاهية نظمها أحد أدباء جدة المعاصرين وهو محمد سعيد عتيبي ، عبر فيها تعبيراً ظريفاً مرحاً عن مدى ما بلغت اليه أزمة الماء أيامئذ . قال :

يا ذوى الرأي والحجى والكياسه — خلصونا من « دوشة » الكنداسه

كلكم تأخذون بالدس ماء — ويجيننا البلاء من أجل كاسه

---

(١) مجلة الحج عدد الماء ص٥٥ .

(٢) تعاقب على ادارة الكنداسة في زمن الحكومة السعودية مديرون هم محمد السليمان التركي ومحمد صالح محمود وأحمد ناظر ومحمد على عبده (من كتاب خاص بعث به الينا محمود عارف) .

(٣) مجلة الحج ، عدد الماء ص٥٤ و٥٥ .

(٤) البرميل ماعون كبير من الصفيح وصحة اسمه باللغة العربية : « الفنطاس » .

(٥) الزفة هنا بمعنى صفيحتين مملوءتين ماء يحملهما السقاء على عاتقه .

(٦) خزانات من الحديد تحمل على ظهور السيارات الكبيرة .

لو عطشتم كما عطشـــنا زعقتم وهرجـــتم(١) بشــــدة وحماسه
رحمـــــة بالفقـــير فهو ضعيف بهـــدل الفقــر عقـله وحواسه
يشـــترى اليـــوم « زفة » بريال بعـــد أن باع قشــــه ونحاسه
أو يقـــول المأمور دون حيـــاء : « خلص الماءُ » ! كسر الله راسه !
آه لو شـفتم(٢) النســاء حيـارى يتخـــدعن عمنـــــا حمبظاسه
كل عشرين «طابقـون»(٣) حماراً ويل من عضـــه الحمـــار وداسه
منظر يضحك « الخواجات »(٤) منه والأديب اللبيب من هـــز راسه
جربوها ماسورة(٥) فوق سطح الأ رض تبـــقى شــــطارة ودراسه

واذا كان البتنوني لاحظ على أهل جدة أنهم ما كانوا يرغبون فى ايصال ماء العين الى بلدهم ، وهو زعم فنـدناه فيما مر ، فان أيوب صبري في كتابه « مرآة الحرمين » الذى صدر قبل رحلة البتنوني بواحد وعشرين عاماً قد أشار مِثلَهُ الى هذه المسألة حيث قال :

« تعمير هذا المجرى بالدرجة المطلوبة يستلزم صرف أربعـة أو خمسة آلاف جنيه ويمكن لأغنياء جدة بنسبة ثروتهم أن يكون هـذا الصرف أمراً بسيطاً ، وبذلك يتمكنون بالسهولة من جلب هذا الماء ، الا أن أكثر الأغنياء لهم صهاريج خاصة فهم لا يحتاجون الى الماء كما أن جلب هذا الماء يؤثر على تجارتهم ، ولهذا لا يلتفتون الى هذا المشروع ولا يبذلون جهودهم في تأمين هذا الماء »(٦) .

وأنا أكرر أن الواقع يخالف هذا القول أيضاً .. فأهل جُدة هم الذين طلبوا بالحاح من الملك عبد العزيز بن سعود أن يجرى لهم عيناً ، بل تقدموا الى اجراء هذه العين من قَبلُ ، وتبرعوا لها بأموالهم ، ولـكن

(١) هرجتم : عامية حجازية معناها تكلمتم .
(٢) شفتم : عامية حجازية معناها : رأيتم .
(٣) طابقون : عامية حجازية ، معناها : ممسكون بشدة وحرص .
(٤) الخواجات في عرف الحجاز هم : الأجانب من الافرنج .
(٥) ماسورة : أنبوبة .
(٦) أيوب صبري : مرآة الحرمين المجلد الثالث طبعة الاستانة سنة ١٣٠٦هـ .

الملك عبد العزيز أعاد لهم تلك الأموال ، وأجراها وقفاً خالداً من عنده . كان ذلك ـ كما هو معروف ـ سنة ١٣٦٥ هـ وكان مجموع تبرعات أهل جدة لمشروع العين هو نصف مليون ريال .

وحينما تبين أن هذا المبلغ غير كاف لاقامة مشروع العين أمر الملك عبد العزيز وزير ماليته الشيخ عبد الله السليمان الحمدان بجلب الماء الى جدة مهما يكلف الأمر من نفقات وفي أقصر مدة ممكنة . وهكذا تكفلت الحكومة بالمشروع بحذافيره ، وبذلك تحقق ما كان أيوب صبري تمناه على حكومته العثمانية ولكن بعد واحد وستين عاماً ، وذلك بصفة أهم وأوسع وأعمق وأخلد . فان العين العزيزية برغم مشاركة مشروع تصفية مياه البحر الحديث لها .. لا تزال مصدراً ذا أهمية كبيرة لشرب سكان جُدة من مياهها الواردة من واديي فاطمة وخليص بكميات غزيرة وفي أنابيب كبيرة شاملة تضاف اليها مياه تصفية مياه البحر فتكوّن المصادر الثلاثة للمياه العذبة ـ مصادر تأمين الماء العذب النمير لجُدة في الوقت الحاضر .

وقد نهض وزير المال بتنفيذ المشروع بهمة وانتدب الشيخ صالح قزاز ومعه نخبة من الرجال لمفاوضة أصحاب العيون في وادى فاطمة : « مر الظهران » الذى يبعد عن جدة بنحو ستين كيلومتراً بشرقيها الشمالى ، واشتريت منهم وجبات في ثماني عيون هي : الخيف، والروضة، والبُرقة ، وأبو عُروَة ، والحسنية ، والهَنيَّة ، والجَمُوم ، وأبو شعيب .

وتعاقد الوزير مع محل « جلاتلي هنكي » بجُدة على عمليات ايصال الماء من هذه العيون الى جدة وقام بأعمال الحفر المعلم محمد بن لادن وآخوه ..

وهكذا ابتديء فعلا في انجاز المشروع المائي العظيم الذى طالما تمناه المصلحون والذى أصبح بحق « نقطة تحول » بالنسبة لتاريخ هذا البلد،

فقد أنقذه من براثن (أزمة الماء) التى كانت تهدده ، عبر القرون ، كلما شحت الأمطار وكانت كثيراً ما تشح على جدُة في ماضى القرون ، وفي الحاضر أيضاً .

وكان البدء في المشروع بمنتصف عام ١٣٦٥ هـ وقد أحضر الخبراء والمهندسون من انكلترا ومن مصر وجلبت الأنابيب اللازمة لاسالة المياه داخلها من الخِفَّانِ « الاسبستوس » والأسمنت .

وفي يوم الجمعة الموافق غرة المحرم ١٣٦٧هـ أي بعد سنة ونصف السنة من البداية في المشروع وصل الماء في الأنابيب فعلا الى جدة وكان يوم فرح عام ..

وكان وصول الماء فعلا الى داخل جدُة - في يوم الجمعة وهو عيد أسبوعي من أعياد المسلمين وفي غرة شهر المحرم(١) الذى هو رأس السنة الهجرية ومن الأشهر الحرم - فَألا طيباً ضاعف من سرور الناس وتفاؤلهم بتحسن المستقبل العمراني لمدينة جدُة بضمان وبأمان .

يقول محيى الدين رضا :

« ولقد أعجبني كثيراً في جدة ما يبدو عليها من تقدم بعد تمتعها بالماء الحلو الوافر ، فانهدم السور الذى ظل محيطاً بها حقبة طويلة ، وها هي العمارات أخذت تحتل شوارعها »(٢) .

وكان قوله هذا في سنة ١٣٧٢ هـ أي بعد وصول ماء العين بست سنوات تقريباً ..

• • •

هذا وقد أقيم مهرجان عظيم فيخامس المحرم ١٣٦٧هـ بجدُة وذلكفي الفضاء الواقع الى جانب الثكنة العسكرية من الجهة الجنوبية قبل أن يعمر

(١) هذا ما تقوله مجلة الحج ولكن الوثيقة التاريخية المذكورة في هذا الفصل تقول ان ورود الماء الفعلي الى جدة كان يوم ٥ المحرم ١٣٦٧ هـ .

(٢) محيى الدين رضا : صور ومشاهدات من الحجاز طبعة سنة ١٣٧٢ هـ بمصر .

بالمنازل ، وقبل أن يبنى مقر وزارة الخارجية ، وقد نصبت فيه الخيام الكبيرة « الصواوين » ووجه وزير المال الدعوة اليه وحضره سمو ولي العهد « جلالة الملك سعود بن عبد العزيز » وتليت فيه الوثيقة التاريخية عن هذه العين المباركة التى سميت باسم « العين العزيزية » نسبة الى مجريها : الملك عبد العزيز آل سعود ، وأنشد الشعراء ، وتلا الخطباء قصائدهم وخطبهم ، وبدىء المهرجان بتلاوة ما تيسر من آي الذكر الحكيم ، وختم بها . وكان يوماً مشهوداً اشترك في مهرجانه أهل البلد جميعاً وقدمت وفود من مكة كما اشتركت فيه الهيئات الدبلوماسية وممثلو البيوت التجارية الأجنبية وكانت الألسنة والقلوب تهتف معاً بحمد الله تعالى ثم بالثناء على جلالة الملك الموفق الذى أجرى هذه العين الفياضة لمصلحة المواطنين والحجاج(١) جزاه الله خيراً ورحمه كفاء هذا العمل الخالد ..

• • •

□ مراحل تحقيق هذا المشروع الحيوي وترتيبات تنفيذه □

وما دمنا في معرض قصة العين فلا بد من ايراد شيء عن هذا المشروع الكبير وتاريخه ومراحل تحقيقه تكملة لاطار البحث فنقول :

في يوم ٧ المحرم ١٣٦٦ هـ طلب الملك عبد العزيز حضور كبار ملاك خيف وادى فاطمة فحضروا ، وهم من الأشراف . فأبدى لهم رغبته في تأمين الماء الكافي لسقيا جُدة على أن يكون وصوله اليها من عيون الوادى العذبة ووعدهم بالاستعداد للمفاوضة على أخذ الماء منهم بالشكل الذى يرتضونه . وبتعويضهم بما يرضيهم بدون اجبار . وأعرب لهم عن تصميمه على تنفيذ المشروع مهما يكلفه من طائل الأموال . بالنظر لما يلاقيه أهل جدة من المتاعب في سبيل الحصول على الماء .. وكان لحديثه

(١) جزء ماء العين من مجلة الحج الصادر في المحرم ١٣٦٧ هـ .

أثر في نفوسهم ، فأجابوه جميعاً باستعدادهم لاجابة رغبته ، فشكر لهم الملك ذلك ، وأشار الى وزير المال وقال : «انى قد أمرته أن يجتمع بكم وأن يتذاكر معكم ، في عقد الاتفاق وأمرته أن لا يبخل عليكم بمال».. وقال : « انه عين كلا من الشريف عبد الله بن ثواب والشريف هزاع بن عبد الله والشيخ محمد صالح قزاز ، هيئة مختارة (وكانوا حاضرين بالمجلس) للاشتراك في عقد الاتفاق ووضع التقديرات اللازمة والأثمان » ..

وخرجوا من عنده واجتمعوا في دار وزير المال بجرول في مكة وحضر هذا الاجتماع من أعيان جدة الشيخ محمد بن حسين نصيف ، والشيخ يوسف زينل رحمهما الله والشيخ محمد الهزاز ..

وقال الوزير لهم : « انه يعز عليهم أخذ عين كاملة للمشروع ، لما يترتب على ذلك من اماتة المزارع (جمع مزرعة) .. والضرر الكبير على أهل العين ، ولذلك فضل أخذ الماء من عدة عيون فيؤخذ من كل عين جزء يسير لا يضر بمصلحة المزارعين ويُعطَونَ مقابل ذلك تعويضات سخية » . ووافق الجميع على الفكرة فوضعت الترتيبات مع الهيئة المختارة ، وذهب جميعهم ـ الأشراف والهيئة ـ الى الوادى ومعهم الشريف عبد الله بن جساس ..

وفي صبيحة يوم ٨ المحرم ١٣٦٦ هـ اجتمعت الهيئة والأشراف في مخيم بخيف عين « البُرقَة » بوادى فاطمة وتشاوروا في الأمر وأخيراً توصلوا الى النتائج التالية :

أولا ـ يؤخذ الثُمن ـ بضم الثاء والميم ـ من عين أبى شعيب مقابل تعويض سنوى قدره عشرة آلاف ريال عربي سعودي .

ثانياً ـ يؤخذ الثُمن من عين الجموم مقابل تعويض قدره عشرة آلاف ريال عربي سعودي .

ثالثاً ـ يؤخذ الثمن من عين أبى عروة مقابل تعويض قدره عشرة آلاف ريال عربي سعودي .

رابعاً ـ يؤخذ الثمن من عين الخيف مقابل تعويض قدره ستة آلاف ريال عربي سعودي .

خامساً ـ يؤخذ الثمن من عين الروضة مقابل تعويض قدره أربعة آلاف ريال عربي سعودي .

سادساً ـ يؤخذ الثمن من عين الحسنية مقابل تعويض قدره ثلاثة آلاف ريال عربي سعودي .

سابعاً ـ يؤخذ الثمن من عين الهنية مقابل تعويض قدره ستمائة وألف ريال عربي سعودي .

ووضعت شروط في هذه الاتفاقات من أهمها أن يبدأ أولا بتعمير العيون وتعاهدها واصلاحها وتكون نفقات ذلك مناصفة بين جلالة الملك وأصحاب العيون ، ما عدى عين ـ البُرقَة ـ فتكون نفقات اصلاحها كلها على جلالته ..

وفي ١٠ المحرم ١٣٦٦ هـ وقعت الاتفاقات بين أصحاب العيون والهيئة المختارة ، وعادت الهيئة ثاني يوم وقدمت النتائج الى وزير المال وهو بدوره عرضها على الملك فوافق عليها وأمر بتنفيذها .
وقد أعطى جلالته أهل العيون أضعاف استحقاقهم ، وأضعاف أضعاف ما تنتجه مزارعهم مما طيب نفوسهم ، ونزلت أمطار غزيرة على أثر عقد هذه الاتفاقات ـ على وادى فاطمة وسال الوادى في نفس اليوم ، فاستبشر الناس بذلك .

وفي يوم ١٢ المحرم ١٣٦٦هـ بدىء الكشف على مجارى العيون واصلاحها وتبريحها من الأتربة وعروق الأشجار التى تضيق مسالك

الماء ، كما بدىء في اصلاح قنواتها المدفونة في جوف الأرض ، واستمر العمل في التبريح والتنظيف والاصلاح ثمانية أشهر كاملة ..

وفي يوم ٥ المحرم ١٣٦٧هـ احتفل بوصول الماء الى جدة كما أسلفنا.. وقد بلغت النفقات حتى ذلك الشهر حول ستة ملايين من الريالات السعودية(١) .

○○○○

□ معلومات فنية مرتبة حول المشروع □

■ طول خط الأنابيب من عين أبى شعيب الى جدة هو ٦٥ كيلومتراً.

■ تقع عين أبي شعيب على ارتفاع ١٨٥ متراً عن سطح البحر ، ومعدل قوة الماء فيها حسب اختبار أُجرِيَ عليها ، هو مليون جالون في الأربع والعشرين ساعة ..

■ أثبت تحليل ماء عين أبى شعيب أنه من مياه الدرجة الأولى وأنه صالح للشرب تماماً ويحتوى على ٢٣٪ من الحديد ولم يظهر فيه تحت المجهر « الميكروسكوب » أحياء مائية .

■ بنيت خزانات سبعة لاحتياطي الماء في الكيلو ١٤ من جدة بطريق مكة ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٦٥ متراً ، وكل خزان منها يسع مليون جالون .

■ مدت الخطوط من جميع العيون الى الخزانات المذكورة بوساطة أنابيب .

---

(١) عدد مشروع الماء من مجلة الحج .

■ مدت فروع منها الى داخل البلدة والى ضواحيها والقصر الملكي والمطار بوساطة أنابيب أيضاً .

■ تم الاتفاق بين محل الخواجات جلاتلى هنكى وشركائهم بجدة والمملكة العربية السعودية في ١٨ المحرم ١٣٦٦ هـ على أن يقوم المحل بانشاء المشروع نيابة عن الحكومة السعودية على حساب جلالة الملك الخاص.

■ ناظر العين العزيزية هو سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز، نَظَّره عليها والده الملك وقد وَكَّلَ سموه عنه الشيخ عثمان باعثمان ، من أعيان جُدة وتجارها القدامى .. وخلفه بعد انتقاله الى رحمة الله السيد حسين الصافي على رئاسة شؤون العين .

■ الماء الذى يصل من عيون وادى فاطمة الى جدة معقم بالكيلورين ولا يصل الماء اليها الا بعد التعقيم .

■ ابتدأ هذا التعقيم من يوم تأسيس العين . ولذلك فان سكان جدة يشربون ماء نقياً صافياً(١) ..

■ تزود جدة بالمياه من ينابيع العين العزيزية الواقعة في وادى فاطمة على بعد تسعين كيلومتراً جنوب شرقي البلد(٢) ..

■ تساق هذه المياه الى جدة بوساطة قساطل من سبعة خزانات أرضية من الخرسانة في موضع الكيلو الرابع عشر في طريق جدة ـ مكة ، وقد بنيت خصيصى ، لتجميع المياه . وسعة الواحد كما قلنا آنفاً مليون جالون أو ما يعادل ٤٠٠٠ متر مكعب من الماء ..

(١) من كتابة وردت الى المؤلف من الشيخ عثمان باعثمان .
(٢) التقرير التمهيدي لدراسة مشروع تصريف المجارير لمدينة جدة .

■ تقع هذه الخزانات كلهـا على منسـوب ٥٠ر٦٧ متراً من حيث تنساب المياه الى المدينة بعامل الجاذبية ..

■ كان تقدير كميات المياه المزودة بهـا المدينـة حول نصف مليون جالون يومياً (٢٠٠٠) متر مكعب ..

■ أخذت هذه الكمية تزداد معازدياد السكان، حتى أصبح الاستهلاك اليومي بسـنة ١٣٨٠ هـ يقـارب خمسـة ملايين جالون (٢٠٠٠٠) متر مكعب .

■ يقوم المسؤولون بادارة العين باستنزاف الينابيع الى درجة قصية، ليتمكنوا من تزويد البلدة بخمسة عشر مليون جالون آخر يومياً فتصبح الكمية التي تزود بها المدينة حول عشرين مليـون جالون في اليـوم أي (٨٠٠٠٠) متر مكعب ، وهذه كمية كبيرة قلمـا تتوافر في المنـاطق الصحراوية .

■ تـُعطى الدُور من ماء العين بالعـدادات . وقيمة الطن الواحـد كانت ريالا ونصف ريال عربي سـعودي للمشـتركين ، وفي أول عام ١٣٨٢ هـ خفضت الى نصف ريال عربي سعودي .

■ يستهلك معظم الـكميات المتوافرة حاليـاً في الاستعمال المنزلى ، وينتظر في المستقبل أن يستهلك قسم كبير في الري ، حيث يكون الفائض عن حاجة الاستعمال المنزلى قد زاد بمعدل كبير مما يخفض سعر المياه فيجعل استعمالها في الزراعة اقتصادياً .

■ ان توزيع المياه في جدة الى الآن جار بوساطة الشبكة القديمة ، ولم تضخم هذه الشبكة في بداية الأمر لتموين كافة التوسعات التى طرأت وتطرأ على المدينة . وقد تنبهت ادارة العين الى ذلك منذ بضع سـنوات فقامت بالدراسـات اللازمة لتوفـر للشـبكة كل المسـتلزمات الفنيـة

الضرورية ، كيما تصبح قادرة على تحمل كميات المياه التى يتطلبها التوسع المستمر في المدينة وتوزيع المياه على الدور مع أقل انخفاض ممكن في الضغط . ولذلك أزمعت ادارة العين وضع خطوط جديدة وبأقطار كافية . وتزود الشبكة الحالية دور الميسورين أكثر بالماء اللازم . أما بقية الناس فيعتمدون في مياههم على الموارد العامة كمصدر لمياه الشرب .. وهذه الموارد مأخوذة من الشبكة العامة نفسها وقد وضعت للأهالى بعد أن أوقف الملك عبد العزيز آل سعود ، العين على مدينة جُدة(١) ..

---

(١) التقرير التمهيدي ص١ وتبلغ الموارد العامة (البازانات) «٣٠» مورداً موزعة على أنحاء المدينة في داخلها وخارجها وينقل منها السقاؤون وأغلبهم من أهل اليمن ، الماء على عرباتهم الكارو في براميل لها فتحتان ، فتحة من فوق لدخول المياه من العين الى البرميل ، وفتحة من أسفل لتفريغ الماء من البرميل الى المنزل .. وقد تلقينا بياناً من ادارة العين العزيزية بجُدة يحتوى أسماء كل المناهل الموجودة لديها باسم (البازانات) مع بيان ما يتعلق بكل منهل . وهذا هو البيان :

بازان العيدروس ، لتعبئة البراميل وبه تسعة أشياب . وبازان الصفائح (التنك) بالعيدروس ، وهو لتعبئة الصفائح وفيه عشرة صنابير : (بزابيز) . وبازان حارة التكاررة ـ للبراميل ـ وفيه ثلاثة أشياب . وبازان حارة التكاررة لتعبئة الصفائح وفيه خمسة صنابير ، وبازان الهنداوية ، للصفائح وفيه تسعة صنابير ، وبازان البخارية للصفائح وفيه تسعة صنابير . وبازان الفلاح للبراميل وفيه خمسة أشياب . وبازان الفلاح للصفائح وفيه تسعة صنابير . وبازان الثكنة للبراميل وفيه تسعة أشياب . وبازان الشام للصفائح وفيه عشرة صنابير . وبازان المظلوم للصفائح وفيه ثمانية صنابير . وبازان المعمار للصفائح ويستقى منه بالدلاء (جمع دلو) . وبازان البرحة للصفائح وفيه اثنا عشر صنبوراً . وبازان البنط (أي الميناء) للصفائح وفيه ثمانية صنابير . وبازان الثعالبة للبراميل وبه ثلاثة أشياب . وبازان مدينة الحجاج للبراميل وفيه ثلاثة أشياب . وبازان الكندرة : «جهينة» لتعبئة البراميل وفيه تسعة أشياب . وبازان الكندرة القديمة للصفائح وفيه ستة صنابير . وبازان البغدادية للبراميل وفيه خمسة أشياب . وبازان البغدادية للصفائح وفيه ستة صنابير . وبازان الرويس الفوقاني للبراميل وفيه ثلاثة أشياب . وبازان الرويس التحتاني للبراميل وفيه ثلاثة أشياب . وبازان الرويس للصفائح وبه ستة صنابير . وبازان المطار للصفائح وفيه ثلاثة صنابير . وبازان الكيلو ٣ بشارع مكة ، للبراميل وفيه أربعة أشياب . وبازان الكيلو ٣ بشارع مكة للصفائح وبه ثلاثة صنابير . وبازان الكيلو ٦ بشارع مكة للبراميل ، وبه اثنان من الأشياب. وبازان الكيلو ٢ بشارع مكة للصفائح وبه خمسة أشياب . وبازان السبيل للبراميل وبه ستة أشياب . وبازان السبيل للصفائح وبه خمسة صنابير .

وتؤدى كلمة (البازان ذي الصنابير) معنى كلمة (الكباس) في عرف أهل المدينة ، سواء أكان معداً لملء الصفائح أم لملء البراميل . و (الصفائح) تعريب لكلمة (التنك) . والبراميل كلمة تعنى الأوعية الكبار المصنوعة من مادة « الزنك » .. وتقابلها تقريباً كلمة « فنطاس » باللغة العربية الفصحى اذ هو بمعنى : (حوض) السفينة الذى يجمع فيه ماؤها العذب ، ليقوم بسقي ركاب السفينة . وكلمة (البازان ذي الأشياب) يعنى بها (المنهل الذى يرسل الماء من فوق أنبوبة أو أنابيب مرتفعة عن الأرض كثيراً . و (الشيب) بكسر الشين في اللغة العربية الفصحى معناه : (سير السوط وحكاية أصوات مشافر الابل وهي تشرب الماء) .. وربما كان أخذه في الاصطلاح من هذه المادة اللغوية .

وبعد فهذه ثلاثون منهلا (بازاناً) بجدة اليوم .

وابتداءاً من وادى فاطمة الى جدة يوجد بازان ذو صنابير في كل عشرة كيلومترات .

ولا بد لنا ونحن نروى قصة العين بأن نأتي بنص الوثيقة التاريخية المسجل فيها وصول الماء الى جدة وهذا نصها :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

أما بعد : فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » وقال الله تعالى مشيداً بفضل الماء : « وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون » .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية .. أو علم ينتفع به .. أو ولد صالح يدعو له » وقال صلى الله عليه وسلم : «أفضلُ الصدقة سَقيُ الماء» ..

وان صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية رغب في أن يكون له نصيب مما أعده الله من ثواب للمتصدقين العاملين وحرص على توفير وسائل الراحة والطمأنينة لشعبه الكريم ، ووفود بيت الله الأمين ، ولأن مدينة جُدة عاشت هذه القرون الطويلة وهي محرومة من ماء معين يشرب منه سكانها الا ما يجتمع من مياه الأمطار في الصهاريج ، أو ما يُستقطر من مياه البحر المالحة بالآلات الفنية الحديثة .. عاشت هذه المدينة هذه السنين كلها ، وهي تتلظى بآلام الحرمان من مادة الحياة التى لا حياة للناس بأمر الله الا بها ، ولا استقرار لهم الا بتوافرها ووجودها ، فقد أمر ـ حفظه الله وأمد في حياته السعيدة ـ بأن تُشتَرى المقاديرُ التى تكفى لشرب مدينة جدة من عيون وادى فاطمة ، وان يسحب هذا الماء منه وهو على بعد خمسة وستين كيلواً من جدة الى داخل المدينة ، ليستقى منه سكان البلاد والحجاج والزوار ، كل ذلك على حساب جلالته وعلى

نفقته الخاصة .. ففي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم » فكيف من سقا ألوفاً مؤلفة من المسلمين ؟!

هذا وقد تولى معالى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان ، تنفيذ الرغبة الملكية بما عهد فيه من نشاط وهمة في تحقيق الرغبات العالية ومساهمة في هذه المهمة التاريخية الغالية بكل ما تدعو اليه من جهود ، فجزاه الله وجميع من عمل فيها خير الجزاء .

وانه في يوم الثلاثاء الموافق ٥ المحرم ١٣٦٧هـ قد وصل هذا الماء الى مدينة جدة وان هذه الساعة المباركة التى وصل فيها الماء الى هذه المدينة لهي ساعة تاريخية عظيمة ـ لذلك فقد اشترك بالاحتفال بها كافة طبقات الشعب السعودي من أمراء ووزراء وأعيان وأهال والكل يشعرون بالفرحة الكبرى لنجاح هذا المشروع الجليل تحت رعاية صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم الأمير سعود ..

واننا اذ نسجل هذه الوثيقة التاريخية في هذا الموقف العظيم فاننا نسأل الله تعالى أن يطيل في عمر صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، وأن يجزل له الثواب الأوفى والجزاء الحسن ، وأن يتولى مكافأته عن المسلمين بالجنة آمين(١) .

وقد وقع هذه الوثيقة الأشخاص الآتية أسماؤهم فيما يلي(٢) :

الابن سعود ، الابن منصور ، الابن خالد ، المملوك عبد الله الفيصل، فهد بن سعود ، تركي العبد الله السعود ، فيصل بن تركي ، تركي أبو ذعار ، عبد الرحمن عزام ، عبد الله السليمان ، محمد الشيبي ، عبد الله الشيبي ، صالح شطا ، السلك السياسى بجدة ، أعضاء مجلس الشورى ، أمين العاصمة ، رئيس المجلس البلدي بمكة ، مدير الأمن

(١) و (٢) مجلة الحج : عدد الماء ص١٩ و٢٠ و٢١ .

العام ، رئيس المجلس البلدي بجدة ، رئيس بلدية جدة ، قائمقام جدة ، يوسف زينل ، محمد حسين نصيف ، محمد صالح باناجه ، أحمد ابراهيم الغزاوي ، محمد صالح قزاز ، محمد سرور الصبان ، عبد الوهاب آشى ، فؤاد شاكر ، عبد الحي قزاز ، فؤاد الخطيب ، حمزة غوث ، أحمد قنديل ، عبد السلام غالى ، رشدى ملا نيازي ، صالح سنبل ، عباس قطان ، محمد بن مانع ، السيد علوي مالكي ، محمد أمين كتبى ، محمد البيز ، فيصل المبارك ، عبد الله الجاسر ، عبد الله الخليفي ، محمد محمد المرزوقي ، مدير شرطة جدة ، على طه رضوان ، ابراهيم الطاسان ، محمد السليمان التركي ، سليمان النانيه ، محمد زاهد ، محمد رضا ، أحمد زينل ، محمد هرساني ، عبد الرحمن مظهر ، صدقة عبد المنان ، هاشم يوسف الزواوي ، الطيب السياسى ، محمد زيدان ، عبد الله سرور الصبان ، عبد الله بنقش ، عرابى سجيني ، محمد طاهر الخطاط ، سراج قاروت ، جميل آشى ، عبد الله آشى ، محمد أحمدنشار ، محمد صالح باعشن ، أحمد باعشن ، ابراهيم زارع ، ابراهيم سلسلة ، عبد الله كاظم ، بكر كمال ، عبد الله قاضى ، حسن قزاز ، عابد قزاز ، عبد القدوس الأنصاري ، عبد الله عريف ، محمد عمر توفيق ، محمود أبار ، حسن قابل ، محمد قابل ، جميل جوخدار ، ابراهيم الشورى ، يحيى باناجه ، الشريف عبد الله مهنا ، شركة الزيت ، سعيد جودت ، عثمان التويجري ، محمد بن غشيان ، محمد بن بليهد ، محمد بن عبود ، عبد الله بن قشلان ، ابراهيم الجفالى ، ابراهيم السميري ، هيئة الوزيرية ، محمد سعيد العامودي ، أعضاء الغرفة التجارية ، المجلس التجاري بجدة ، يحيى أبو الفرج ، صدقة كعكي ، بيت فلبي ، السيد حسن شربتلى ، بيت هنكي ، رئيس هيئة عين زبيدة ، زكي عمر ، هيئة رئيس القضاة ، عمد المحلات بمكة ، وجدة ، ياسين الرواف .

• • •

هذا وقد رفع كبار المحتفلين المذكورة أسماؤهم فوق ، برقية شكر وتقدير ، لجلالة الملك بهذه المناسبة الزاهرة ضمنوها شعورهم التقديري ، نحو هذا العمل الجليل(١) .

• • •

□ مقارنة بين كميات المياه العذبة التى تستهلك بجُدة مع بعض أمهات المدن العربية □

واكمالا لاطار (قصة الماء) في مختلف الجوانب نقول : ان المكتب‌الهندسى الاستشاري بالخبر قد عمل مقارنة بين كميات المياه العذبة التى تستهلك في مدينة جدة وبعض أمهات المدن العربية .

أفادنا المكتب بأن إلمعدل اليومي للاستهلاك الضروري للمياه في جُدة يعادل (٣ر٣٢) جالوناً للفرد الواحد في الوقت الراهن أي «١٣٠» ليتراً ، يومياً للفرد ، وذكر أن هذا معدل مرتفع للاستهلاك ، قلما يحظى به كثير من المدن العربية ، اذ أن معدل استهلاك المياه في مدن الشرق‌العربي يتراوح‌بين «١٠» جالونات و «٤٥» جالوناً للفرد يومياً .

وقدر المكتب أن استهلاك الفرد من المياه العذبة سيرتفع من معدل «٣ و٣٢» جالوناً ، الى «٤٠» أو «٤٥» جالوناً = «١٦٠» ليتر في المستقبل ، وبنى نظريته هذه على الاحصاءات وكمية المياه التى يمكن ايصالها الى مدينة جدة مستقبلا ، وعلق تحقيق ذلك بالوقت الذى تزداد فيه كميات المياه التى تصل الى المدينة وعندما تتحسن حالة الشبكة فنياً بحيث تصل التمديدات المائية الى كافة المساكن . وأضاف الى ما ذكر أن هذا المعدل يفوق الى حد ما متوسط معدل الاستهلاك الفردي اليومي في لبنان مثلا ، ولبنان تتمتع بكميات كبيرة من الماء . والسبب في ذلك

(١) مجلة الحج : العدد الخاص بالماء ص٢٢ .

أن الجو الحار الذى تتعرض له مدينة جدة يدفع الناس الى كثرة استعمال الماء باسراف في كثير من الأحيان .

وقد وضع لنا المكتب الهندسى (جدولا مقارناً) لاستهلاك المياه في بعض المدن العربية ونحن نرى من المفيد أن ننقله في هذا المكان :

اسم المدينة	عدد سكانها	السنة الهجرية	معدل استهلاك الفرد من جالونات الماء يومياً
دمشق	٣٩٥٠٠٠	١٣٧٤	٤٥
الاسكندرية	٤٢٠٠٠٠	١٣٣١	٢٨
القاهرة	٧٠٥٠٠٠	١٣٣١	٢٥
بيروت	٤٠٠٠٠٠	١٣٧٢	٢٠
بغداد	٩٠٠٠٠٠	١٣٧٦	١٠

وبهذا المشروع المائي العظيم الذى جدد لنا ذكريات عين زبيدة ، وهيأ لمدينة جدة مساواتها للمدن الحديثة في استهلاك الماء العذب، أبطلت « المُقطَّرةُ » وأُهمِلت بتاتاً الصهاريج ، واستُغنيَ عن الآبار والبِرَكِ ولم يعد لزوم لتبريح العين الوزيرية أو الحميدية ، ولا لوجود هيئة لادارة شؤونها . ان جُدة منذ عام ١٣٦٧هـ يأتيها ماء نمير من بضع عيون بوادى فاطمة الغزيرة عيونه قديماً وحديثاً .

وبهذا المشروع انتشرت الحدائق الخاصة في كثير من الدارات : « الفيلات » والقصور والدور ، وتمكنت بلدية جدة من زراعة الميادين التى فتحتها في عدة أنحاء من المدينة ـ بالأشجار الظليلة والأزاهير والأعشاب . كما تمكنت من غرس ما يربو على ثلاثة آلاف شجرة في الشوارع الرئيسية على الطوارين .

وبهذا المشروع سيكون « شارع الشاطيء ـ الكورنيش ـ من أجمل الشوارع بما سيغرس فيه من أشجار الزينة والظل والأزاهير المتفتحة المتموجة على شاطيء البحر فيكون هناك منظر بهيج ..

وكانت جدة خالية من الزروع والشجر كما ذكرناه في مكان آخر من هذا الكتاب باستثناء الفترة القصيرة التى أشار اليها أيوب صبري حينما أدخلت اليها العين الوزيرية في سنة ١٣٠٤ هـ .

وقد أدرك المعاصرون ، جدة ، في بعض الفترات خالية من أنواع الشجر والحدائق اللهم الا ثلاث شجرات ، اثنتان منها من نوع شجر النيم أمام دار الشيخ محمد نصيف بحارة اليمن ، والثالثة في الكندرة ويقال ان المحلة سميت باسمها ، وحديقة صغيرة أمام دار القنصلية البريطانية أشار اليها بعض الكاتبين .

وقد سمعنا قصة طريفة في هذا الباب خلاصتها أن حاجاً من الهند نزل بدار الشيخ محمد نصيف ضيفاً عليه في موسم الحج ، وأكمل حجه وعاد الى بلاده ، وتذكر هذا الرجل الذى أكرمه ونعّمه ولكنه نسى اسمه غير أنه تذكر أنه شاهد أمام داره شجرتين فكتب اليه خطاباً من الهند أودعه في البريد وكتب على ظرفه هذا العنوان : « جدة الحجاز الى صاحب البيت ذي الشجرتين » وقد وصل الخطاب الى الشيخ محمد نصيف.. وقد سألته عن هذه القصة فأيد وقوعها .

☐ معمل الأنابيب الوطني ☐

هذا ومن مكملات قصة العين ذكر معمل الأنابيب الوطني الذى قام بانشائه في الكيلو الثاني عشر بطريق مكة ، عثمان باعثمان الرئيس العام لادارة العين العزيزية .

ويصنع هذا المعمل ، من الأسمنت المسلح بأسياخ الحديد ، كل يوم عشرات من الأنابيب ذات قطر «٣٠» انشاً و «٢٠» انشاً و «١٢» انشا و «٩» و «٦» انشات .

ونحن نكتب هذه السطور يوم ٤ المحرم ١٣٨٢ هـ وقد وصل الخط الجديد الكبير الممدود من هذه الأنابيب من وادى فاطمة الى الكيلو الرابع عشر بطريق جدة ــ مكة ، والعمل قائم على قدم وساق لاكمال

خزانات المياه الكبرى التى تستقبل هذا الفيض المتدفق ، مياه العين منه الى جُدة حتى تصل الى الضاحية الجديدة بطريق المدينة المنورة .

□ العين العزيزية في الأدب □

مشروع العين مشروع ضخم من أهم المشروعات الحيوية التى قامت بها الحكومة السعودية في البلاد ، لشدة حاجة الناس في جُدة الى الماء العذب الفياض ، وجُدة هي باب مكة ، ولذلك لا غرو أن تستقبل الأمة نجاح هذا المشروع العظيم بفرحة عميقة شاملة ، والأدب هو مسجل هذه الفرحات الشاملة ومخلدها في نظيمه ونثيره .

وقد عبر الأدب ـ بشقيه المذكورين ـ عن تقديره لمدى اغتباط الأمة من جراء اجراء العين العزيزية هذه ، في وقت يشعر الناس فيه بأمس الحاجة اليها ، لانقاذ حياتهم من الظمأ الزاحف عليهم من كل جانب وظرف .

ومن خيرة من عبروا تعبيراً رائعاً عنفرحة الشعب، شاعر العرب؛ فؤاد الخطيب رحمه الله ، فقد نظم قصيدة بعنوان : « المورد العذب»(١) وها نحن أولاء ننشرها فيما يلى :

سل الدار والأجيال هل طلع الفجر ... على مثل هذا اليوم أو حدث الذكر ؟!
فقد سجل التاريخ للجود آية ... تنافس في تخليدها الشعر والنثر
فهنئت يا « عبد العزيز » فانها ... يد ، لك ، عند الله في بذلها الأجر
بللت غليل الناس بعد تشوف ... الى الماء لا مزن سقاهم ولا قطر
وكم دولة مرت بهم بعد دولة ... فكان سواء عامر الربع والقفر
وتلك « الأنابيب » المواثل حجة ... وألسنة ممتدة كلها شكر
ويوم غد في كل نبت وزهرة ... سيثنى على آلائك النبت والزهر
وقد قال ذاك الماء للبحر مومئاً : ... اليك أجل يا بحر ! أيكما البحر ؟(٢)

(١) فؤاد الخطيب : ديوانه ص٣٠٠ و٣٠١ مطبعة دار المعارف بمصر .

(٢) انما قال ماء العين للبحر : اليك ! أي أقصر عن سقيك للناس ، لانهم في جُدة كانوا قبل اجراء هذه العين يشربون من ماء البحر بعد تقطيره بالمقطرة (الكنداسة) .

لئن كنت نزر الورد للناس حقبة فقد هطلت من كفه الديم الغزر
فان جحد الأعداء فضلك صيبا فكم جحد النعماء للمنعم الكفر
و « جدة » ثغر للحجاز ولم يكن ليبسم الا بعد نائلك الثغر
بعثت اليها بالسعود فعمها بسعدك حتى كاد أن يورق الصخر
أطل عليهم فانجلت كل غمة وأشرق بدر منه أنجبه بدر
مثالك في عزم الأمور وحسبه اليك انتسابا كله المجد والفخر

● ● ●

وبهذا الشعور الوطني المشبوب استقبل أحمد بن ابراهيم الغزاوي « شاعر جلالة الملك » دخول العين فأنشأ القصيدة العصماء التالية :

رؤيا بها (العين) تصحو بعد اغفاء أم أنها (العين) رأى العين للرائي ؟
أم أنها النهر يجرى من منابعه سبائكا من لجين ذاب في الماء
أ « جدة » هذه ؟ أم دجلة نشرت بها الحياة ودبت بعد اقواء
مدينة شاب فيها الدهر واكتهلت بها القرون وعانت أي ضراء
يشكو الصدى في ثراها اليم مضطربا وحولها كوثراً أخياف حداء
ويسقط الطير عن أجوائها عنتاً بما يلاقيه من قيظ واصلاء
وفي قوادمه الأشجان مترعة وفي خوافيه نجوى ذات ضوضاء
يلقى بها الحب لا يعيا بمرتعه وكبده يتلظى دون ارواء
فكيف والناس فيها يصطلون بها حر الهجير وهجر الخنس اللائي :
يستعذبون الرباب الجون من كثب اذا السماء همت تلقاء تيماء
ويعتبون على التاريخ في حنق مر وفي زفرة حرى وازراء
أعندها الفلك فوق البحر ماخرة بكل فاكهة تزجى وسراء
وفي مرافئها من كل ناقلة ما تشتهى النفس من شيء وأشباء
وفي شواطئها العمران منبسط كأنه لؤلؤ في جيد حسناء
يمتد في زينة تبدو لناظرها أبهى من العقد أو ديباج صنعاء
فان هي استشرفت للماء تنشده جفت كراها وجفت كل خضراء
كأنها « مجهل » في مهمه قذف ضلت به الريح في أحشاء صحراء

○○○○○

يا حبذا أنت من « لمياء » باسمة في الثغر لاشفة في ثغر لعساء
مرحى الألى من وفود الله ما بذلوا في الفرض واحتملوا من فرط وعثاء

بشراكم اليوم أفياء قد اتصلت — بها « المناهل » في يسر وامراء
مشى اليكم بها (عصر السعود) مدى — عبر الجموم و « لا ماء كَصَداء »
عذب فرات كأن الطل رقرقه — ابان واكفة بالوبل وطفاء
جرت «عزيزية» في الحوض وانشرحت — بها الصدور وعبت كل عجماء
في ظرف حول رأيناها وقد قطعت — (سبعين ميلا) تخطت كل كأداء
كأنها « البرء » في جسم العليل مشى — أو أنها غادة زفت بأضواء
أمضى الوزير بها أمر المليك ضحى — كشأنه دأباً في كل انشاء
وحقق الأمل المنشود محتسباً — في همة كوميض البرق شماء
فلتملؤوه (مريئاً) في مزاودكم — ولتشربوه هنيئاً دون احماء
ولتشكروا الله من أعماقكم سحرا — بما أعد لكم من كل نعماء
ولتذكروا ما مضى من قبل من حرج — ومن أجاج واغماء واشقاء
ولتهتفوا أبدا بالفضل قلده — « عبد العزيز » المفدى بالاعزاء
المستعين بنصر الله لا برحت — اكنافه الخضر في خصب واحياء

○○○○○

يا مطلع اليمن تستهدى الشموس به — ومن به نتنوخى كل علياء
ومن اليه عيون الشعب شاخصة — الى السماكين من مجد واثراء
هيهات أطمع في الذكرى غداة غد — مالم تكن في حياة الشعب أصدائي
اني لأسمع همس العين قافية — يمتد في سرها المكنون انشائي
فيها الدلال وفيها السحر منبجس — ورجعها فتنة يبتز اصغائي
هيفاء راقصة بيضاء ناصعة — شفاء تخطر في جلباب عذراء
تقول ، وهي تهادى في غلائلها — ما ليس يحسنه شعري واطرائي
يتلو عليك الثنا مرفضها سورا — مرتلات حبابا فوق صهباء
وتستهل الندى راحاتها غدقا — من غرة كجبين الصبح غراء
في كل حنجرة منها لها وتر — بالشكر يعزف في تيه واغراء
فاروروا بها واسكبوا منها مكارمة — على الجباه وحيوا أخت ميساء
ولست أزعم لغوا أنها سكبت — من « عسجد » أو « لجين » محض املاء
لكنما هي تجرى بينكم ذهبا — من الدنانير كيلت كل أهراء
تدفقت من يدى « عبد العزيز » جدى — أعيابه الشعب من دان ومن ناء
حاشا « زبيدة » والبطحاء شاهدة — بأنها أمة من نسل حواء
ما زال « نعمان » مفتونا وساكنه — بعينها تتحدى كل نجلاء
فاسأل بها الصخر ينطق وهو منفجر — واعجب لنضاخة من جوف رمضاء
جرت فضول ذيول الريط وافترطت — في الله ذخرا وأجدت أي اجداء

○○○○○

ويح الأباطيــــل نمحــوها مزورة — بكل قاصـــــمة في ظهر مشـــاء
ترتـــــد خاسرة شــــلاء حاسرة — تجثـــو وتلهث من بهـــر واعياء
هــــذا نداكم وهـــذا ما تأثلـــه — يبقى ويفـــنى ســخاء حاتم الطائي
بذلتم الروح قبــل المـــال في بلد — بكـــم تجيش غـــواديه بأنواء
والله قد خصــكم بالخـــير عازفة — عنـــه الملوك عصـــورا رهن أطواء
برهان صدق على الاحسان قـد غشيت — أنـــواره كـــل رمـــــداء وعمشاء

○○○○○

ومن بنى أمـــــة كانت محطمـــــة — فكيف لا يسـعف الظمآن بالماء ؟!(١)
وكـــم صروح لـــكم في المجد شامخة — وكـــم لـــكم من أياد جـــد بيضاء
وكـــم بكـــم عظمت ما بيننا نعـــم — تتـــرى متابعـــة من غـــير ابطاء

○○○

عاش المليك « طويل العمر » ما سطعت — شـــمس النهـــار وغنت كل ورقاء
ولا برحت « ســعوداً » في مطالعنـــا — وآلك الشـــم في عـــز واعلاء

● ● ●

وشاعر مواطن آخر هو أحمد قنـديل جادت قريحته بهذه القصيدة الممتعة بنفس المناسبة :

تهـــاد على اســم الله يا ماءنا غمرا — وســبح بحمـــد الله يا ماءنا شكرا
وسر بأمانينـــا تحفـــك ســـبقا — اليـــك خيـــالا لا يكـــل ولا يعرى
أمان كأحـــلام الربيـــع تفتحت — على أمـــل أوهى التجـــلد والصبرا
أمان عـــذاب طائرات كأنهـــا ـ — حمـــائم تهديك الســبيل لنا يسرا
وطف بحمى الوادى الســعيد مودعا — مغانيــك اللاتي قضيت بهـــا العمرا
مغـــان بهـــا الأصباح يشرق صاحيا — وتغفو بهـــا الآصـــال تستلهم الشعرا
أفاض عليهـــا في « الجموم » حبـــاءه — من المـــزن دفاق الســجية قد أمرى
وســـح بها رغـــم الزمان شـــعيبها — على الغـــير موار المســـايل والمجرى
يفجـــر ما بين العيـــون مســـاربا — تميل بنـــا سرا وترفدنا جهـــرا
فكان كأنفـــاس الحبيب هفـــا النوى — بها فأشاحت توجـز العـــذل والهجرا
وكنت على شـــوق اليـــك وحـــرقة — حبيبا دعاه العـــذر فاقتطـــع العذرا

(١) يبدو للمؤلف أن هذا البيت الحكيم البليغ هو بيت هذه القصيدة وجوهرتها الوضنية والوضاءة وقد سار مثلا بين جماهير الشعب السعودي منذ أنشدهفي المهرجان ناظمه الشاعر العربي الكبير .

ورق الى الشـــاكي نــــواه فأهطعت | اليك رقاب تتـــلع النحر والصدرا
فعد عن المنأى وجــز بأخي الهــوى | مفاوز تســـتدنى المفــاوز والقفرا
وصــل في الهوى ما بين واديك حانيــا | عليك وبين الثغــر مــد لك الثغرا
وقف لجــلال الملك في الدهر ســاعة | هي الدهــر لم يبخــل عليك بها ذكرا
أضــاء بها « عبد العــزيز » وحسبه | مســـمى تضيء المــكرمات به قدرا
رعاك طــــلابا واجتبـــاك حقيقة | وأجـــراك فيضا من مفاخـــره تترى
فــكان وكنت اليـــوم عرشا وظله | تعـــالى على الأزمان ذكرهمـــا ذكرا
وقـــل للمنى مدت اليـــك يمينها | مبــــللة الأطراف تنضـــحها بشرا
حنـــانيك هل أرجـــو المزيد وهــذه | سعود «سعود» طالعى اليوم والبشرى ؟
رنا فرنت نحـــو النـــواظر وانثنى | الي ، فكان الفخـــر زدت به فخرا

• • •

وألقى عمر ناظر كلمة أهل جدة بمناسبة افتتاح المشروع وكانت كلمته جامعة ، وتحدث فيها عن أزمة الماء التاريخية في جدة ، والوقع الحميد في النفوس لافتتاح العين العزيزية .

• • •

كما ألقى هاشم يوسف الزواوي كلمة أهل مكة في نفس الموضوع ، وألقى أحمد عشماوي كلمة في المهرجان عن بيت هنكي ، وألقى فـؤاد شاكر كلمة من نثر وشعر باسم الوفود الاسلامية .

• • •



أوقاف العين العزيزية بِجُدَّة



هذا واستكمالا لحلقات قصة الماء لا بد لنا أيضاً من ايراد نبذة عن الأوقاف العائدة للعين العزيزية بجُدة ، والتى من شأنها أن تضمن لها دوام الجريان بسبب استمرار صرف ما تدره عليها ، في اصلاحاتها وصيانتها وتوسعتها وتعيين الموظفين وتأمين المهمات اللازمة لذلك باستمرار ، فان مثل هذه المشروعات الضخمة الحيوية لا تخلد ما لم يوجد لها ايراد ضخم ثابت على تقلبات الحدثان .

فمن الأوقاف التى أوقفت على العين : « مدينة حجاج البحر » الواقعة في طريق الميناء الجديد ، وهي مدينة سكنية كانت من طبقة واحدة ، تكتظ بمن يردون عن طريق البحر من الحجاج . وبها أسواق وأماكن لوكلاء المطوفين .. وقد أدخلت اليها الكهرباء وماء العين العزيزية ، ولها مسجد وهي واسعة الأرجاء ، وكان بناؤها سنة ١٣٧٠ هـ . وأجرة بيت الحاج بها عشرة ريالات . ولأنها بنيت على طراز لا يتفق كثيراً ومتطلبات العصر ولا يهييء تمام الراحة للحجاج خاصة في أيام الحر والقر بجُدة ـ رؤي ازالتها واقامة مدينة حديثة في مكانها . كما انه قبل هدم هذه المدينة أنشئت الى جانبها مدينة سكنية للحجاج على الطراز الحديث سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) ذات دورين ، ومن النزلين معاً تتكون مدينة حجاج البحر .. كما انه بموجب الصك الصادر من كاتب عدل جُدة في ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٣هـ تملك العين العزيزية الأرض الواقعة جنوب جُدة ، وقد أقامت عليها ادارتها مدينة لحجاج السودان، ومجموع مساحتها ٥٠٣٢ متراً مربعاً . وهي من أوقاف العين أيضاً .

ومن أوقاف هذه العين مدينة حجاج الجو .. بنيت هذه المدينة بجانب المطار القديم ، بناء حديثاً فخماً من أربعة أدوار(١) وجعلت بها المرافق والدوائر اللازمة للحجاج في حلهم وترحالهم ودخولهم وخروجهم . وسجلت وقفيتها أرضاً وبناء بموجب صك شرعي صادر من المحكمة

(١) وفي أثناء اعادة طبع هذا الجزء الاول من كتاب « تاريخ مدينة جدة » في أواخر عام ١٣٩٩هـ قامت رئاسة العين العزيزية بجدة بزيادة دور خامس على الأدوار الأربعة القديمة وعلى نفس طراز بنائه الحديث .

الشرعية بجدة برقم ٨٩ وتاريخ ١٤/١/١٣٨٢ هـ وضمت الى أوقاف المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود وأصبحت وقفا من أوقافه .. نشر ذلك رئيس هيئة ادارة العين العزيزية بجدة عثمان باعثمان رحمه الله . في الصحف المحلية في شهر ربيع الأول ١٣٨٢ هـ

• • •

□ المرسوم الملكي الذى خطط عمران جدة ونظمه ابان صدوره وفي المستقبل أيضاً □

وما دمنا بصدد أوقاف العين فان من واجبنا أن نسجل هنا للحقيقة والتاريخ ذلك المرسوم الملكي الذى أصدره الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله في ١٣٦٧/٨/٢٥هـ بشأن الأراضى الواقعة داخل جدة وخارجها ، وقد حدد به ما هو خاص بالبلدية وما هو عائد للمالية وما هو عائد للعين العزيزية . ونضيف اليه الجدول المشفوع به المشتمل على قيمة كل تلك الأراضى حسب درجاتها الموضحة بالجدول . وكان الأمر صدر من سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود نائب جلالة الملك الى كل من وزارة المالية وقائمقامية جدة بانفاذهما للمرسوم الملكي المشار اليه ، كل فيما يختص به منه . وذلك تحت الرقم ١١٤٦ في ١٣٦٧/٩/٥ هـ .

والمرسوم الملكي المشار اليه شامل لأمور ذات أهمية بالغة الأهمية ، فيه تخطيط للظرف الذى صدر به والظروف المقبلة من السنين أيضاً . وذلك فيما يتعلق بتخطيط مدينة جدة الحديثة في تنظيمها البنائي وفي تنظيمها المالى اللازم لتوسعها العمراني المرتقب آنذاك وبعد ذاك .

وهذا نص المرسوم :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . الى جناب المكرم الابن فيصل سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

وبعد ، فبالنظر الى التوسع العمراني بثغر جدة ، ولأجل التمكن من سد بعض النفقات اللازمة لاصلاح شوارع البلدة قديمها وحديثها فقد أمرنا بما هو آت :

أولا ــ تكون الأراضى البيضاء الواقعة في داخل البلدة في حدود سورها القديم عائدة للبلدية .

ثانياً ــ كل الأراضى البيضاء الواقعة خارج البلدة سواء المخطط منها حالياً أم الذى يخطط فيما بعد تكون جميعها لوزارة المالية .

ثالثاً ــ جميع الأراضى الواقعة على جانبي طريق جدة ابتداءاً من من الكيلو السادس الى أوائل العيون التى يؤخذ منها الماء لجدة ، تعود للعين العزيزية .

رابعاً ــ جميع ما يثبت من الأراضى المذكورة لأحد من الناس بحجة شرعية مسجلة مستوفية لشروطها الشرعية يستثنى من هذه الأراضى ويكون لأصحابه .

خامساً ــ يمنع تحكير الأراضى الجديدة ويستعاض عن التحكير بالبيع القطعي لطالبيها المقدمين على الانشاء عليها واستثمارها بالثمن المحدود بالجدول المرافق لأمرنا هذا . فما كان عائداً من هذه الأراضى للبلدية تدخل قيمتها لصندوقها ، وما كان عائداً منها للعين العزيزية تدخل قيمتها لصندوق العين . وما كان عائداً منها للمالية تدخل قيمته لصندوق المالية . . لتقوم هذه الجهات بصرف هذه الايرادات على الاصلاحات المطلوبة لها .

سادساً ــ يستثنى من منع التحكير المشار اليه في المادة الخامسة من أمرنا هذا ، الأراضى العائدة للعين العزيزية ، ويجوز لها أن تؤجر بعض هذه الأراضى الصالحة للأغراض الزراعية .

سابعاً ــ الأراضى التى سبق تحكيرها يخير مستحكروها بين دفع القيمة المقدرة ثمناً لها أو الاستمرار في دفع الحكر لها سنوياً بنسبة جزء من عشرين جزءاً من القيمة المقررة لها ، وعندما يكون في استطاعة المستحكر دفع الثمن يدفعه كاملا دون حسم ما سبق أن دفعه من الحكورات .

ثامناً ــ يلاحظ الاحتفاظ بكل جهة من جهات البلدة عند تخطيطها، بالأماكن اللازمة للمساجد والمدارس ومراكز الشرطة والميادين العامة، وأي مراكز تحتاجها الحكومة .

تاسعاً ــ يجب الاحتفاظ بأرض واسعة تكون حرماً لقصر خزام من الجهات التالية : شمالا ، ابتداءاً من أول خط الأسفلت الموصل الى المطار، صاعداً شرقاً الى نهاية الكيلو الخامس وشرقاً جميع الأراضى الفضاء التى حول القصر الى الكيلو الخامس وغرباً وجنوباً يقف على حد البنايات القديمة من القصر الموجود حالياً بدون احداث أي بنايات جديدة أخرى.

عاشراً ــ يحتفظ بالأرض الفضاء الواقعة أمام الثكنة العسكرية وأمام الأرض المراد انشاء وزارة الخارجية علياه خالية(١) من أي بناء الى ساحل البحر . ويحتفظ أيضاً بالجهة الجنوبية جهة الميناء الجديد بكل ما يلزم الحكومة من مبان للدوائر الجمركية وغيرها والمستودعات ومنازل الحجاج .

ينبغي اعتماد أمرنا هذا وابلاغه لمن يلزم لتنفيذه والله ولي التوفيق . حرر بقصرنا في الرياض » .

(الختم الملكي)

---

(١) فعلا فقد أقيم لوزارة الخارجية فيما بعد ، في نفس المكان المحدد بهذا المرسوم الملكي ، مبنى فخم أبيض اللون ، عربي السمات .. وعندما تم بناؤه نقلت اليه الوزارة ولا تزال به حتى يومنا هذا .. وبمناسبة اعادة طبع هذا الجزء من كتاب « تاريخ مدينة جدة » رأينا تسجيل هذه الحقيقة العمرانية التاريخية

(الجـــــــدول)

١ ــ قيمة الأراضى للمتر المربع الواحد على درجات أربع :

أ ــ ثلاثة ريالات للمتر الواحد المربع لأراضى الدرجة الأولى .

ب ــ ريالان للمتر الواحد المربع لأراضى الدرجة الثانية .

ج ــ ريال واحد للمتر الواحد المربع لأراضى الدرجة الثالثة .

د ــ نصف ريال للمتر الواحد المربع لأراضى الدرجة الرابعة .

٢ ــ تعتبر أراضى الدرجة الأولى كل الأراضى التابعة للبلدية ، والشارع الأول شرقاً وغرباً من الأراضى التى تبدأ من جنوب جدة الى رأس الميناء الجديد .

٣ ــ تعتبر أراضى الدرجة الثانية الشارع الأول من جميع الأراضى الواقعة على الخط الموصل من جُدة الى المطار شمالا وجنوباً ، والأراضى التى تبدأ من المطار في اتجاه قصر خزام الى اتصالها بطريق جدة ــ مكة ، والأراضى التى تبدأ من باب مكة حتى ابتداء قصر خزام جنوباً وحتى نهاية الكيلو الثاني شمالا .

٤ ــ تعتبر أراضى الدرجة الثالثة الشارع الثاني من الجهة الجنوبية الموصلة الى الميناء الجديد مع الأراضى الواقعة في شمال جدة ابتداء من نهاية حرم الثكنة العسكرية ووزارة الخارجية حتى منطقة الرويس ، ويدخل في ذلك الأراضى الواقعة في الكندرة والنزلة اليمانية .

٥ ــ وما عدى ذلك من الأراضى يعتبر من الدرجة الرابعة .

(الختم الملكي)



التعليم في مدينة جدة.. ماضياً وحاضراً



كان التعليم بمدينة جُدة في العهود السابقة محصوراً فيما يلقيه على الطلاب ـ العلماء الدينيون والمدرسون الوافدون من مكة ومن المدينة ومن بعض الأقطار العربية والاسلامية الى جُدة .. وبعض علمائها ومدرسيها . وقد يتخذ بعض العلماء الوافدين الى هذا البلد ، منه وطناً حسب ضرورات الحياة وملابساتها . دائماً لهم ، وقد ينزحون عنه بعد حين حسب ضرورات الحياة وملابساتها .

وكانت مدارس التعليم تتمثل في المساجد والكتاتيب وبعض دور الخاصة والكبراء . وفي الكتاتيب كان الأطفال يتعلمون مباديء القراءة والكتابة والحساب ، ويحفظون القرآن المجيد كله أو سوراً منه أو أجزاءاً ، وبعض مبادىء الفقه ، على أيدى مشايخ تلك الكتاتيب . وتقع في المساجد بعض الكتاتيب التى يحفظ فيها الأطفال القرآن المجيد .

ويدلنا على أنّ التعليم كان محدوداً وفي نطاق غير واسع ، أن الرحالين والمؤرخين الذين قرأنا مؤلفاتهم لم يذكروا لنا شيئاً عن حالة التعليم في جدة في القرون الخالية ، مع انهم دونوا الجليل والتافه من مشاهداتهم وملاحظاتهم .. وليس معنى ذلك خلو جدة من التعليم بتاتاً في تلك الحقب ، وانما معناه أن التعليم لم يكن بالشيء الكبير المهم جداً ، والموجه لأنظار أولئك السائحين العابرين . ان البلد كان بلداً تجارياً مشهوراً بتجاراته وعماراته وندرة مائه العذب وكثرة صهاريجه وما الى ذلك مما دونه لنا الرحالون والمؤرخون القدامى بايضاح وتحليل كافيين عندما وجه بروزه المحدود أنظارهم . ونستثنى من المؤرخين القدامى ياقوت الحموي فقد عني بتسجيل شيء عن ظاهرة العلم في جُدة ، اذ أورد نبأ وترجمتين لبعض مشاهير علماء جُدة . ودلنا ذلك النبأ وتانك الترجمتان الوجيزتان المفيدتان على أن جُدة كانت في عصر السلف ، مركزاً من مراكز العلم الاسلامي المعروفة .

وقد ذكر الدكتور شاكر محمود عبد المنعم ببغداد في كتابه : « ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه : «الاصابة

في تمييز أسماء الصحابة » نقلا عن كتاب (الجوهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر) تأليف محمد بن عبد الرحمن السخاوي تلميذ ابن حجر «المخطوط» ـ نقل قوله : (ومن علماء جُدة في القرن الهجري التاسع أبو المعالي عبد الرحمن الشيرازي ، وقد حج الحافظ ابن حجر العسقلاني في سنة ٨٠٦هـ وعاد الى جُدة وقرأ بها في المحرم سنة٨٠٧هـ على أبى المعالى المذكور ، أحاديث عشرة من أربعين (حديثاً) للحاكم ثم عاد الى بلده مصر)(١) .

كما أفدنا من صاحب كُتَيِّبِ : « السلاح والعدة في فضل ثغر جدة » وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري أسماء وتراجم بعض علمائها في ذلك القرن وما قبله . والمؤلف نفسه كان أحدهم . كما نستطيع أن نقتبس من ديوان شاعر جدة في القرن الثاني عشر الهجري: محمد بن يحيى قابل ، أن البيئة التى ولد وعاش فيها هذا الشاعر الفحل كانت بيئة تتسم بطابع العلم والأدب .

ولا بد أنه تلقى مبادىء القراءة والكتابة والأدب والعلم عن بعض المشايخ من مواطنيه ، وقد ترجم لنا بعضهم استطراداً في ديوانه . ورواج شعره في عصره يدل على بيئة متعلمة ووعي متفتح ، ومشاركة في العلم والأدب . وهذه أمور لا توجد في بلد الا اذا كان فيه مجال لتعليم أطفاله منذ نعومة أظفارهم .

هذا وفي عهد أحمد فارس الشدياق (١٢١٩ ـ ١٣٠٤ هـ) عثرنا في كتابه : (كنز الرغائب في منتخبات الجوائب) ذى المجلدات الخمس ، على قصيدة وجهها اليه الشاعر محمد بن ابراهيم جوهر الجُدي ، يثنى عليه فيها ثناء عاطراً ماطراً . وقد قدم لها سليم بن أحمد فارس الشدياق بهذه الكلمة التقديرية لشاعريته وأدبه ومكانته الاجتماعية .. قال :

(١) الجوهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر للسخاوي ج١ ص١٢٧ .

« من نظم من عنت له المعالى والمعـاني ، فطـاب له منهـا المجـاني والمهاني ، الشيخ الحاج محمد بن ابراهيم جوهر من أفاضل جُدة » .

ونحن هنا ننقل فيما يلى نص هذه القصـيدة (السينية) القوية برمتها من كتاب : « كنز الرغائب في منتخبات الجوائب » ، لما حظيت به من تصدير أدب هذه البلاد ، في ذلك العهـد الذى بدأت فيـه نهضـة الأدب العربي على يدى الشدياق وأجلة أدباء عصره في لبنان ومصـر والشام .. وقد اختارها ابنه سليم . وقد أشـاد فيهـا بأحمـد فارس الشـدياق وبكتابه « سر الليـال » و « بكنز الرغائب » وبجـريدته « الجوائب » .. قال الشاعر محمد بن ابراهيم جوهر الجُدي :

أفرعكِ أم جنـح من الليل دامس ؟ ووجهـكِ أم بدر جلته الحنادس
وردفكِ أم دعص ترجـرج في اللوى ؟ وقدُّكِ أم غصن من الليـل مائس
وذاكِ رضـاب أم رحيـق مدامة ؟ وخالك ؟ أم هـذا على الخد حارس ؟
وأقتـلُ مافي البيض سـود جفونها وأدعـج خـلاج ويقظـان ناعس !
وأفتَكُ مافي الغيـد أهـداب شادن وياحبـذا حمـر الخدود الأوانس !
وقد لذَّ لي فيهـا نسيب منمـق كمـا لذ ما أبداه « أحمد فارس » !
هو الفاضـل المبدى لـكل بلاغـة وان الذي تبدي عِداهُ وسـاوس !
وأنَّي لهم « سر الليالى » ونحـوه وكـل ذكي منـه قان وقابس
وما قد حوى « كنز الرغائب » واحتوت « جوائبـه » اذ كلهـن نفائس
سـتزداد في تأليفـه رغبة الورى وتزدان في آي الـزمان المـدارس
وكم طويت فيهـا حديقة جنـة وفيهـا لأفنـان الفنـون مغارس
وكم غرست فيها رياحين غضـة فطـابت بهـا من طيبهن المجالس
و « منتخبات » تثمـر الفضـل يانعـا لمقتطـف الآداب فيهـا مراغس
وان الملوك الصيد عند سماعهـا لهـا طرب تهـتز منـه القلانس
بها حِكَم أما « أرسطو » فعنـدها غبي ، و « بطليموس » للعيّ لابس
وفي بحـرها در تكـاد لحسنه تنظمـه حلياً عليهـا العرائس

○○○

اذا الحلم والعلم الجليل وذا الندى ! وياذا العلا ، لا الترهات البسابس !

صـــفاتك ؟ ماهـــذا لفضلك طامس — لأي هوى بعض الجـــرائد حـــرفت
أيحجب قرن الشمس من رام ســـترها — وأضـــواءها ؟ لكن عداك توالس !
أيُجهَلُ من قد جل في الـــكون ذكره — وحقـــك لم تجهلك هنـــد وفارس

● ● ●

« سليم » أخـــو العلياء نجلك لم يزل — على مثـــل ما ترضى ، له الله حارس
ولا زال يرقى في الـــكمال ويُرتجى — وان الـــذى عاداه من ذاك يائس(١)

وأحمد فارس الشدياق هو أحـــد علماء اللغـــة والأدب المجددين في القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر الهجري . وقد طبقت شهرته الآفاق وقد أصدر في الآســـتانة سنة ١٢٧٧هـ جـــريدته « الجوائب » وعاشت ٢٣ سنة . ومن آثاره التى جمعهـــا ابنه سليم في كتاب « كنز الرغائب في منتخبات الجوائب » المطبوع في ســـبعة أجـــزاء ـ لا مجلدات ـ كما ورد في كتاب « الاعلام » .. وقد اختارها ابنه سليم من مقالاته في «الجوائب» و «سر الليال في القلب والابدال» في اللغة(٢) .

● ● ●

ومن أدباء جُدة أيضاً كل من : علي جوهر وأحمد المشاط ومحمد ابنه ، وعمر باجنيد الكاتب ، ومحمود راجخان وســـالم رويحى ومحمد سعيد باجسير وغيرهم ، وهؤلاء وان كان أدبهم لا يصـــل الى المســـتوى الرفيع فلهم أسوة بأبناء جيلهم في كل قطر عربي بصفة عامة ، وفي كل مدينة حجازية كبيرة اذ ذاك .

وكل هذا يدل على وجود رسيس من التعليم في هذا البلد مكَّنَ من مارسوه من تعاطى الأدب النثري وقرض النظم ثمرة ذلك التعليم غـــير المتفوق . والأدب النثري والشـــعري على كل حال لا تتفتح براعمهما الا على غصون نضرة أو شبه نضرة من التعليم في عهد الصبا خاصة .

(١) راجع كتاب (كنز الرغائب في منتخبات الجوائب) ج٤ ص ١٦٥ و ١٦٦ الطبعة الأولى بمطبعـــة الجوائب بالاستانة العلية سنة ١٢٩٥هـ .
(٢) الاعلام لخير الدين الزركلي ـ الجزء الاول ص١٨٤ الطبعة الثالثة بيروت .

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري الحالى فتحت الدولة العثمانية مكتباً رشدياً في جدة ولعله كان المدرسة الأولى المنظمة تنظيما شبه عصري في جدة .. ولكن هذا المكتب كان محدود الانتاج والأهداف جداً، وقد أنشىء على قطعة الأرض القريبة من بيت موسى بغدادي الذى هدم حديثاً ، وكان يقع قريباً من القلعة في ناحية البحر ، وكان موقعه بالتحديد أما مسجد بيكير باشا من جهة الغرب(١) .

ويبدو أن الغرض من تأسيس هذا المكتب كان مقصوراً على تلقى الصغار مبادىء اللغة التركية ، ثم تغذية الدوائر الرسمية ببعض صغار الموظفين المواطنين ممن تلقوا مبادىء اللغة الرسمية للدولة في المكتب الرشدى .

ويدلنا على محدودية انتاج المكتب وأهدافه أنه كان به معلمان اثنان فقط أحدهما لتعليم المبادىء الرياضية أي الحساب ، وبواب(٢) وان تلاميذه كان عددهم «٤١» تلميذاً فقط على ما ترويه السالنامه(٣).

ويبدو أن بعض تحسينات أدخلت على التعليم خلال ستة عشر عاماً . فقد روى لنا ابراهيم رفعت باشا أن بجدة ـ وقت قدومه اليها سنة ١٣١٨هـ ـ مكتب تعليم راقياً وتسعة للصبيان(٤) وربما أراد بتسعة ، تسعة مكاتب تحضيرية للأطفال . على أن المرحوم محمد صالح باعشن ألقى لنا ضوءاً على حالة التعليم في مطلع هذا القرن من زاوية أخرى غير الزاوية الحكومية ، وهي زاوية التعليم الأهلي البحت السائد اذ ذاك بين طبقة أطفال الموسرين . قال في معرض ترجمته لنفسه : «ولقد أحسن الأخ عبد الله بن سيدى والدى علي باعشن تربيتى . أدخلنى

(١) للأهمية الأثرية والعمرانية نشرنا صورة هذا البيت الضخم الفخم العربي الطراز لأول مرة في كتابنا هذا ، بين صور البيوت الأثرية والعصرية فيمدينة جدة .. ومن تصويرنا له قبيل هدمه نقل الرسامون صورته .

(٢) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية ص٥ .

(٣) سالنامه الحجاز التركية ص٢٥٢ .

(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص٢٢ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م .

الكتاتيب ، وآخر كُتَّاب هو كُتَّاب الشيخ سالم حَبَلص حفظت فيه القرآن الكريم وجَوَّدته ، وأرسلنى الى الشيخ طه عيسوى والد على أفندى طه معاون قائمقامية جُدة حالا (سنة ١٣٥٩ هـ) ثم اعتنى بأمرى في طلب الفقه فكنت ملازماً للطلب عند الشيخ أحمد بن علي بن سليمان وكان من اعتنائه بي وحفظه لى أنه يرسل معى عبداً يحمل المحفظة والكراسة والسجادة . وتارة يرسل معي عبدين ويراقبنى عند رجوعي من الدرس لا يكتفى بمن معى من العبيد . واذا أصبحت فاما أن أنزل اليه أو أتأخر برهة يسيرة فيرسل الي ، رسولا يطلبنى . وكنت في بعض الأحيان يأخذنى النوم فاذا انتبهت وعرفت أن الوقت حضر أغسل وجهى بالماء ولا أتسوك ولا أصلى الصبح خوفاً منه ورهبة لأنه زرع هذا في قلبي لمصلحتى ، وان كنت لم أدرك في ذلك الوقت (أى لم أبلغ الحلم) واذا نزلت اليه كان يقرؤنى درساً من القرآن الكريم وأكرره عليه مراراً فاذا رحت الى الكتاب أكون حافظاً لدرسى تماماً ، وكان في ساعة قراءة الدرس يقلب من المصحف عشر ورقات أو أكثر ، ويقول لى : اقرأ هنا .. ليعلم أنى حافظ لما سبق ، وبمثل هذا كان يعاملنى في مدة (حصة) الكتابة والحساب ، وكان يسألنى في بعض مسائل فقهية ، كالوضوء والنية وما يشابه ذلك فيحمد الله ان رأى منى ما سره »(١) .

هذه صورة مركزة واضحة لما كان عليه التعليم الأهلى في جدة ، في مستهل هذا القرن ، وهو أمر يدلنا على أن القوم كانوا يعرفون أهمية تعليم أولادهم ويعنون به ويحرصون عليه كأحد مقومات حياتهم المثلى . وقد يلقى لنا هذا اللون من التعليم الأولى بعض الأضواء على ما سبق هذا العصر من عصور .

• • •

ووصف لنا حسين نصيف مستوى التعليم في جدة في فترة طفولته وما قبلها بقليل فقال : « ان المعارف في الحجاز في أيام الأتراك ليست

(١) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية ص١٠ .

براقية ، ولم نر لها أثراً سوى مدارس ابتدائية حكومية لا يستفيد منها العربي غير اللغــة التركية وشيء من المبادىء المدرسية . ولقد سمعت بمدرسة للحكومة التركية في المدينة المنورة بعد مد الخط الحديدي عامرة راقية ، أطالوا المدح فيها . أما المدارس الأهلية فليس التعليم بهــا ذا أهمية ومع قلة عددها فلا تتجاوز أصابع اليد الواحدة »(١) .

لقد وضع حسين نصــيف النقط على الحــروف ، فأماط اللثــام عن مستوى التعليم بجدة في عهد الأتراك ، فمدارس تلك الحقبــة الرسمية لا يرام منها سوى تعليم أبناء جُدة ، اللغة التركية وشــيئاً من المبادىء التعليمية ، لا تسمن ولا تغني من جوع المعرفة . واذا نظرنا الى هــذا التعليم الضحل من زاوية اتجاه أهل هذا البلد ، فقد نلاحظ أنهم ما كانوا يندفعون اليه لمــا يحسون فيه من « تتريك » أبنائهم ، ولعدم جــدوى التعليم نفسه ، ولأن التعليم الحديث لم يكن قد هضمت منافعه جيــداً في ذلك الجيل . ومن الحق أن نقول : ان الأتراك في أواخر عهدهم حاولوا أن يفتحوا مدارس حديثة قيمة في بعض مدن الحجاز ولكن لم يتسن لهم ذلك ، أو تسنى لهم ، ولم يجدوا الاقبال المنتظر من السكان ، للأسباب التى أشرنا اليها آنفاً . والمدرسة الاعدادية بالمدينة المنورة التى أشاد به حسين نصيف بناء على مسموعاته عنها لعلها كانت أحسن نماذج المدرسة التركية الحديثة في بلاد الحجاز حينئذ . وكان فيهــا مدرسون منتخبون من ترك وعرب ، ولكن التعليم فيها كان باللغــة التركيــة حتى النحــو والصرف العربيان انما يدرسهما المدرسون للطلبــة العــرب ، باللغــة التركية . وهذا من أعجب العجب .

وفي أواخر عهد الأتراك أحس أهل جدة في أول من أحس من أهــل الحجاز ، بضرورة ادخال التعليم العربي الصحيح الى البلاد ، ولعل ذلك ناشيء من أحد أمرين أو منهما معاً : شعور بخطر تتريك أبنائهم بفعل

(١) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص١١١ و١١٢ طبعة دار الفتح بمصر سنة ١٣٤٩هـ .

المدارس التركية الرسمية ، وشعور بقصورهم في ميدان التعليم عن مستوى جيرانهم من أبناء العروبة والاسلام ، كمصر والشام والعراق وتونس والمغرب والسودان، ولعل ليقظة العرب العامة حينئذ بالضرورة الملحة ، لبعث كيانهم أثراً خفياً في هذه الصحوة الجديدة .

• • •

على أنه كان في جُدة مدارس أهلية خاصة هي مدرسة السيد عبد الرحيم الطرابلسى المدنى ، ثم مدرسة الشيخ أحمد شاهين ، ثم مدرسة الشيخ شمس ، وبعد هذه المدرسة قاد تعريب التعليم واصلاحه والتقدم به الى الأمام في مدينة جُدة وبعدها مكة المكرمة ـ الحاج محمد علي زينل(١) من أعيان جُدة وتجارها وفكر وقدر في الأمر ملياً وكان من نتيجة تفكيره وتقديره أن قرر تأسيس مدرسة أهلية عربية السمات واللون والاتجاهات أولا ، في بلده ، باسم يشف عما وراء الأستار وما يهدف اليه من نهضة حقة بالتعليم ، وكان هذا الاسم هو : « مدرسة الفلاح » وقد أنشئت هذه المدرسة التى هي الأولى من نوعها بهذه البلاد المقدسة ، في عام ١٣٢٣ هـ وأقبل عليها الطلبة اقبالا جيدا ، وانتظم في سلكها تلاميذ مواطنون نجحوا في طلبهم للعلم وفي الأدب .

وهكذا كان الحاج محمد علي زينل منذ تسعة وخمسين عاماً واضع اللبنة الأولى في صرح النهضة الثقافية العربية الحديثة في مهد العرب والاسلام ، وكانت مهمة المدرسة الأولى تحفيظ القرآن المجيد وتعليم مبادىء الخط والحساب .

وكانت المدرسة في مبدأ أمرها في بيت محمد علي أكبر ، ابن عم المؤسس ، وكان طلبتها يدفعون مشاهرة كل بقدر استطاعته أو استطاعة ولي أمره .. ثم اتسع حالها فانتقلت الى بيت الجمجوم ثم الى

(١) من كتاب بعث به عمر نصيف الى المؤلف ، جواباً على أسئلة كان أرسلها اليه في هذا الشان ، مع اضمامة جديدة من المؤلف بنيت على معلوماته الخاصة والعامة .

بيت قاسم سليمان الميمني بحارة الشام ، ثم دعا المؤسس التجار الى بذل معونتهم لشراء دار لها فجادوا بذلك . ومن تلك التبرعات اشترى المؤسس الدار التى تقع فيها مدرسة الفلاح «الابتدائية» الآن من يوسف بك باشكاتب المحجر الصحي بجدة ، زمن الأتراك ، ثم تنازل بعض من لهم أراض ملاصقة للمدرسة عن أراضيهم لها ، بدون مقابل ، اسهاماً منهم في خدمة العلم ، ثم جمع المؤسس من الهند اعانات طائلة للمدرسة فوسع منها بناء المدرسة . وهناك بيوت في جُدة أوقفها بعض التجار على المدرسة ابتغاء وجه الله ولها حجج وقفية ، وقد اتسعت الدراسة بها بعد الدور الأول الذى اجتازته فشملت فقه المذاهب الأربعة وفنوناً أخرى ، وتطورت فصارت ثلاث مدارس : المدرسة الابتدائية، والمدرسة المتوسطة ، والمدرسة الثانوية . وما زال تجار جدة يقدمون للمدرسة اعانات من زكوات أموالهم حتى سنة ١٣٦٥هـ وربما استمروا في ذلك الى ما بعد هذا التاريخ(١) ، وقد خصصت لها الحكومة السعودية قرشاً على الطرود التجارية الواردة ولكن توقف صرفه بعد تشكيل وزارة المعارف . ثم أمدتها بمعونات سخية وبمدرسين منتدبين من الخارج لتقوية دراستها واستمرارها .

هذا وأما العمارة الجديدة التى بها مدرسة الفلاح الثانوية فقد أنشئت على نفقة محمد محمود زاهد سنة ١٣٧١ هـ وافتتحت في احتفال كبير تصدره جلالة الملك سعود في عام ١٣٧٤ هـ .

وقد تعاقب على ادارة مدرسة الفلاح بجُدة منذ تأسيسها حتى الآن كل من عبد الرحمن شمس ، فمحمد حامد ، فحسين مطر ، فعمر حفني ، فعبد الوهاب نشار ، فمحمد صالح ابراهيم الخزامي مديرها الحالى (حين

(١) من مقال للشيخ محمد نصيف بمجلة « المنهل» عدد ذي القعدة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م ص ٥٨٠ وتعتمد المدرسة الآن في نفقاتها على بعض المساعدات الأهلية وبعض ما يأتيها من ريع العقار الموقوف عليها - عن « محمود عارف » .

كتابة هذا الفصل من هذا الكتاب) بعام ١٣٨٢ هـ . وكان من مدرسيها العلماء : طاهر الدباغ ، فأحمد القارى ، ومحمد المرزوقي ، وحسن أبو الحمايل . ومن أوائل المدرسين بها : محمد حسن عواد ، ومحمود عارف ، وأحمد قنديل ، وعمر عبدربه ، ومحمد مطر ، وعبد الحميد مطر ، ومعتوق سيد ، وعابد شيخ وعباس حلواني(١) .

وبالمدرسة مكتبة قيمة تحوى عدداً من الكتب النفيسة في العلوم الدينية والعربية والتاريخية وفي الأدب والقصص وغير ذلك ، ويبلغ مقدار ما فيها من الكتب نحو (٥٠٠٠) مجلد في غرفة جعلت خِصيصَّى للمطالعة وهي مؤثثة بالكراسى والمناضد .

وهناك خزانة كتب فاخرة أهداها الى المدرسة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية .

أما مكتبة حسونة البصطى التى أهداها الى المدرسة ، والتى تحدثنا عنها في فصل : « المكتبات الخاصة » فهي كذلك عامرة بالكتب المجلدة النفيسة ، وهي الآن تحت اشرافه نسأل الله أن يكتب له الأجر والثواب وأن يتقبل منه ذلك الخير بفضله وكرمه (٢) .

وقد تخرج من مدرسة الفلاح هذه ، عدد كبير من المثقفين ، نذكر منهم : محمد محمود زاهد ، وأحمد درويش ، وابراهيم ضياء الدين ، وحسن أبو الحمايل ، ومحمد ناغي ، وعمر عبد البديع اليافي ، وعمر حفني ، وعابد شيخ ، وحسن نصيف ، وأحمد جمجوم ، وعبد الله الدباغ ، ومحمد ابراهيم مسعود ، وعبد الجليل عبد الجواد ، وابراهيم السليمان العقيل ، وابراهيم يوسف زينل ،

---

(١) عن محمود عارف وعبد الله باعكظة .
(٢) وقد علمنا فيما بعد أن حسونة البصطي سلم مكتبته هذه فيما بعد الى مدرسة الفلاح بجدة .

وعلي رضا ، ومحمد عبد الله علي رضا ، وحسن قابل ، وعبد السلام رضوان ، ومحمد العوضى، وصلاح جمجوم ، وعبد الله أكبر ، وابراهيم رضوان ، ومحمد باخيضر ، وعبد الرزاق هنداوي ، وأحمد محمد صالح باعشن ، وعبد الرزاق حسام الدين ، وحمزة عجاج ، وعبد الرؤوف جمجوم ، ويونس سلامة ، وعبد الله صغير لنجاوي ، وعبد الله عبد الرحمن لنجاوي، وحمزة شحاتة، ومحمد علي أبو داود ، وأحمد قنديل ، وعبد القادر محمد صالح باعشن ، وعمر غراب ، ومحمد حسين مطر ، ومعتوق سيد ، وحمزة سعداوي ، ومحمد حسن عواد ، ومحمود عارف ، ومحمد علي مغربي ، ومحمد سعيد العوضى ، وغيرهم .

وفي المدرسة لوح يتضمن أسماء أوائل المتخرجين منذ عام ١٣٢٩هـ حتى عام ١٣٧٦هـ وفيها نشاط رياضى .

□ تطورات الدراسة بمدرسة الفلاح بجُدة □

لعل من المناسب أن نرسم صورة واضحة لتطور مدارس الفلاح بما فيها مدرسة جُدة سواء في مناهجها أم في مراحلها الدراسية منذ تأسيسها في عام ١٣٢٣هـ حتى سنة ١٣٨١هـ فنقول :

أنشئت مدرسة الفلاح بجدة عام ١٣٢٣هـ ومدرسة الفلاح بمكة عام ١٣٣٠ هـ وخلال هذه الفترة تطورت مراحل الدراسة بهما ، وأسماء هذه المراحل مرات عديدة .

والبيانات التالية تعطى صورة واضحة من تطور مناهجهما في مراحلهما الدراسية :

١ ـ الفترة الأولى من التأسيس الى نهاية عام ١٣٥٥هـ .

٢ ـ الفترة الثانية : من عام ١٣٥٦هـ الى نهاية ١٣٦١هـ .

٣ ـ الفترة الثالثة : من عام ١٣٦٢هـ الى نهاية ١٣٧١هـ .

٤ ـ الفترة الرابعة : من عام ١٣٧٢هـ الى نهاية عام ١٣٨١هـ .

الفترة الأولى

أ ـ المرحلة التحضيرية ومدتها ثلاث سنوات .

ب ـ المرحلة الابتدائية ومدتها ثلاث سنوات .

ج ـ المرحلة المتوسطة ومدتها ثلاث سنوات .

د ـ المرحلة الأخيرة ومدتها ثلاث سنوات .

فالمجموع اثنا عشر عاماً .

أ ـ المرحلة التحضيرية : ينتظم فيها الطفل المبتدىء لمدة ثلاث سنوات ويدرس فيها :

الهجاء ـ القرآن الكريم (كله نظراً) ـ حفظ جزء عم ـ الاملاء ـ الخط ـ الحساب (الأعداد والقواعد الأربع) .

ومن عام ١٣٤٩هـ أضيف الى ذلك مواد «الفقه والتوحيد والمطالعة».

ب ـ المرحلة الابتدائية : وهي بعد المرحلة التحضيرية .. ومدتها ثلاث سنوات كانت تسمى : الأولى والثانية والثالثة « الابتدائية » . ويدرس فيها :

القرآن الكريم مجوداً (نظراً) ـ حفظ ثلاثة أجزاء من سورة المجادلة ـ التوحيد : والمقرر فيه منذ عام ١٣٤٣ هـ القواعد الأربع، والأصول الثلاثة وكشف الشبهات ـ الفقه : جميع أبوابه ، كل على مذهبه في متون : أبي شجاع ، والاسقاطي ، والرسالة ، ودليل الطالب ـ الحديث : الجزء الأول من كتاب الترغيب والترهيب « مختصر من

المنذرى » خاص بالعبادات والأخلاق ـ التجويد : كتاب مفتاح التجويد بكامله ـ السيرة النبوية : مختصر جامع فيها ـ النحو : ثلاثة أجزاء من كتاب الدروس النحوية « لنخبة من الأزهريين » ـ الصرف : كتاب الأمثلة المختلفة ـ الاملاء : جميع القواعد الاملائية ـ الخط : الرقعة والنسخ ـ الحساب : الأعداد والقواعد الاربع والكسور بأنواعها .

ومن عام ١٣٤٩هـ أضيف الى ذلك مواد : المطالعة ، والانشاء .

ج ـ المرحلة المتوسطة : وهي المرحلة التى تلى الابتدائية :

ومدتها ثلاث سنوات وكانت الى عام ١٣٣٤هـ تسمى « الرشدية الأولى ، والثانية ، والثالثة » ثم سميت بعد ذلك بالثانوية « الأولى والثانية والثالثة » وسميت أحياناً باسم : السنة الرابعة والخامسة والسادسة فكل هذه الأسماء مسميات لشىء واحد في خلال هذه الفترة .

وكان يدرس في هذه المرحلة :

التفسير : حوالى عشرين جزءاً من تفسير الجلالين ـ الحديث : الجزء الثاني من كتاب الترغيب والترهيب «مختصر من كتاب المنذرى» خاص بالمعاملات، والأربعون النووية ـ التوحيد: والمقرر فيه منذ عام١٣٤٣هـ العقيدة الواسطية وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ الفقه : كل على مذهبه في شروح المتون السابقة ـ السيرة النبوية : كتاب نور اليقين ـ النحو : الجزء الرابع من كتاب الدروس النحوية لنخبة من الأزهريين وأحياناً متن الألفية ـ الصرف : متن البناء ـ البلاغة : البلاغة لنخبة من الأزهريين ، وشرح الجوهر المكنون ـ الانشاء والمحفوظات : موضوعات مختلفة ، وحفظ طائفة من أشعار المتقدمين كالمعلقات وسواها ـ التاريخ : التاريخ الاسلامي لمحيى الدين الخياط (خمسة أجزاء) ـ الجغرافية : جزيرة العرب والقارات الخمس في مذكرات وافية ـ الحساب : الدرر البهية ، لادريس بك ـ الهندسة :

المبادىء والغايات ، لادريس بك ـ مسك الدفاتر : جميع أنواع الدفاتر المتنوعة اللازمة لضبط الحسابات .

وفي بعض سنوات تلك الفترة أضيف الى ذلك دراسة الفرائض في متن الرحبية ودراسة الرسم أيضا .

د ـ المرحلة الأخيرة : وقد أنشئت عام ١٣٣٦هـ لاكمال الدراسة بعد المرحلة المتوسطة السالفة ومدتها ثلاث سنوات . كانت تسمى العالية « الأولى والثانية والثالثة » كما تسمى أيضاً « السابعة والثامنة والتاسعة » .. ويدرس فيها :

التفسير : تكملة الجلالين والنسفى ـ الحديث : مختصر البخاري للزبيدي ـ أصول التفسير : منظومة الزمزمي ـ أصول الحديث : شرح نخبة الفكر لابن حجر ، وطلعة الأنوار ـ التوحيد : كتاب التوحيد ـ الفقه : كل على مذهبه في كتب شرح التحرير والقدورى والزاد وأقرب المسالك ـ الفرائض : شرح الرحبية للمارديني والشنشوري ـ أصول الفقه : الورقات والشاشى واللمع ـ الأخلاق : « أدب الدنيا والدين » ثم أبدل « برياض الصالحين » ـ النحو : ابن عقيل على الألفية ـ الصرف : كتاب المراح ـ البلاغة : شرح الجوهر المكنون والتلخيص ـ الانشاء : موضوعات مختلفة ـ الجغرافية : مذكرات واسعة ـ الحساب : الدرر البهية ـ الهندسة : هول واستفنز ـ الجبر : القواعد الجلية ، لأدريس بك ـ مسك الدفاتر : التوسع في الدفاتر ـ المنطق : وقد ألغي في عام ١٣٤٣هـ .

ثم أضيف الى ذلك في عام ١٣٤٧هـ مبادىء العلوم والصحة ، واللغة الانكليزية ، ثم أضيف أيضاً في عام ١٣٤٩هـ التربية الاجتماعية .

(ملاحظة) : عدا الأقسام الأربعة بالمدرسة ، فتح فيها قسم خاص لحفظ القرآن الكريم كله .. ويقبل فيه الطالب بعد اتمام المرحلة

التحضيرية اذا رغب في ذلك ، ومدة الدراسة فيه سنتان . وكان الطالب زيادة على الحفظ يدرس التجويد والاملاء والخط . ومن أتم الحفظ ينقل الى القسم الابتدائي لاكمال دراسته العلمية ..

وقد حفظ بهذا القسم ، العشرات من الطلاب ..

الفترة الثانية

(من عام ١٣٥٦ هـ الى نهاية عام ١٣٦١ هـ)

ظلت الكتب المدرسية في هذه الفترة على ما كانت عليه ، غير أن مراحل الدراسة قسمت كالآتي :

١ ـ التحضيري ومدته ثلاث سنوات .

٢ ـ الابتدائي ومدته أربع سنوات .

٣ ـ الثانوى : الأولى .. سنتان .

٤ ـ الثانوى العلمى : ثلاث سنوات .

فالمجموع اثنا عشر عاماً ..

وأضيفت الى المواد في المرحلة التحضيرية : السيرة النبوية والصحة والتجويد ، اكتفاء بذلك عن وضعها في القسم الابتدائي . وأضيف أيضاً الى القسم الابتدائي مواد المحفوظات والجغرافية والرسم والهندسة والصحة ومبادىء العلوم واللغة الانكليزية .

أما المرحلة المتوسطة التى كانت تسمى سابقاً بالرشدية أو الثانوية أو « الرابعة والخامسة والسادسة » والتى أخذت سنة منها وأضيفت الى الابتدائية ، وسميت السنتان الأخيرتان بالثانوى الأولى ـ فقد أضيف الى موادها الجبر والرسم واللغة الانكليزية ، وحذفت منها السيرة والصرف والبلاغة والخطابة والصحة .

وأما المرحلة الأخيرة التى سميت بالثانوى العلمى والتى كانت تسمى سابقاً بالعالى أو « السابعة والثامنة والتاسعة » فقد أضيفت اليها مواد : أدب اللغة والتاريخ وعلم النفس ، وحذفت منها مواد أصول الحديث والصرف . أما قسم تحفيظ القرآن فقد استمر الىعام ١٣٦٧هـ حيث ألغى لعدم وجود من يقبل عليه من الطلاب رغم ما بذل من تشجيع.

الفـترة الثالثـة

(من عام ١٣٦٢ هـ الى نهاية عام ١٣٧١ هـ)

في هذه الفترة أدمج التحضيري في الابتدائية وجعلت مدة الدراسة فيه ست سنوات ، باسم المرحلة الابتدائية . وبالنظر الى أن مجموع الدراسة في المرحلتين كان سبع سنوات: ثلاثاً تحضيرية وأربعاً ابتدائية، فقد جعلت الفلاح السنة السابعة قسما مستقلا بنفسه أطلقت عليه المرحلة الاعدادية ، حرصا منها على أن لا يقل مجموع السنوات عن سبع.

ثم جعلت المرحلة الأخيرة التى أطلق عليها اسم الثانوى تسير على نهج المعهد السعودي « النظام القديم » ذي ثلاث السنوات . وزادت بعد هذه المرحلة دراسة اضافية مؤقتة مدتها سنتان باسم التخصص الديني وباسم التخصص الرياضى وذلك لحاجتها الملحة الى اعداد مدرسين لمواد العلوم العربية ومواد العلوم الرياضية والاجتماعية .

وكان يدرس في القسم الأول مواد : التفسير والحديث ، ومصطلحه ، والفقه ، والتوحيد ، والفرائض ، وأصول الفقه ، والنحو ، والبلاغة، والصرف ، بتوسع في كل ذلك .

ويدرس في القسم الثاني مواد : الفقه ، والتوحيد ، والفرائض ، والنحو ، والبلاغة ، والجغرافية ، والحساب ، والهندسة ، والجبر ، واللغة الانكليزية .. فتوافر بهذه الدراسة الاضافية عدد طيب من المدرسين الأكفاء في الناحيتين ، كما أنه ابتعث فريق وافر من هؤلاء الى الجامعة الأزهرية .

وبعد أن أدى القسمان الاضافيان مهمتهما رأت المدرسة في عام ١٣٦٤هـ أن تزيد الدراسة الثانوية سنة ، ليصبح مجموعها أربعاً بدلا من الثلاث التى كانت مقررة في المعهد العلمي حينذاك ، حرصاً منها على أن تتوسع الى حد ما ، في الدراسة الدينية ، وليسير الابتعاث الى الأزهر والى بعض الكليات بالجامعة المصرية في طريقه الذى بدأ .

الفترة الرابعة

(من عام ١٣٧٢ هـ الى سنة ١٣٨١ هـ)

شوهدت رغبة الطلاب الملحة في الالتحاق بالجامعات الخارجية . وكانت مدرسة تحضير البعثات مؤسسة لهذه الغاية . فطورت الفلاح مناهجها على نحو من ذلك مع الاحتفاظ بقوة الدراسة الدينية .. ومنذ ذلك الحين أصبح طلاب الفلاح يدخلون امتحان الشهادة الثانوية العامة الذى تعقده المعارف ، ويبعث طلابها ضمن الذين يبتعثون الى الجامعات الخارجية .

ثم حسب رغبة وزارة المعارف في تطبيق مناهجها وادخال طلاب مدارس الفلاح في امتحان جميع الشهادات قبلت مدارس الفلاح أن تطبق هذه المناهج حرفياً ، الابتدائية منها والمتوسطة والثانوية ، وتم التطبيق الكلى منذ عام ١٣٧٥هـ واستمر الى اليوم(١) .

ولا ريب في أن مدرسة الفلاح بجدة قد أدت مهمتها على خير منوال ممكن وسايرت موكب التطور العلمي في البلاد خطوة خطوة وما كانت متخلفة عن مدارس الحكومة ، وشهاداتها معتبرة ، وذلك يدل على أهمية التصميم والتعليم الأهلى .

• • •

(١) من تقرير خاص بعث به الشيخ محمد صالح ابراهيم الحزامي مدير مدرسة الفلاح بجدة الى المؤلف .

هذا واذا تخطينا عهد الأتراك ، وبلغنا مرحلة دراسة حال التعليم ، بالنسبة لجُدة فقط ، في زمن الملك حسين بن علي مؤسس الحكومة الهاشمية فان حسين نصيف يكفينا مؤونة البحث عن هذه الفترة اذ يقول:

« جاء الحسين والنهضة ، فبث التعليم ولم تكن تلك المدارس الهاشمية بالراقية العظيمة أو الكلية الفخيمة ، وانما هي مدارس تجعل التلميذ ذا مقدرة على المطالعة والفهم وذا استعداد لدخول أية مدرسة ما عدا اللغة الأجنبية فانه محروم منها لبغض الحسين لها . ولكن الحسين لم يكن في ذلك الوقت راضياً عن ذلك ، ولا يودّ أن تكون الأفكار يقظة متنورة ، فقلل من وارداتها ونقص من معلوماتها . ان المدارس في الحجاز كانت ضئيلة وخصوصاً في آخر حكم الحسين ، فكأنها كتاتيب صغيرة . أضف الى ذلك اختلال معاشات الأساتذة من تأخير وتأجيل وما في هذا من هبوط في الهمم وتقاعس في الأفكار وانقباض في النفس، وعلى كل فقد اكتسب منها الحجازي معلومات جعلته يكد ويجتهد ويعرف كيف العلم وما هي فوائده »(١) .

ثم قدم لنا مؤلف كتاب : « ماضى الحجاز وحاضره » ــ جدولا يحوى أسماء المدارس الأهلية والأميرية : « الحكومية » في زمن الحكومة الهاشمية . فكان نصيب جُدة منها ، مدرسة أهلية واحدة ، هي مدرسة الفلاح المؤسسة من قَبلِ هذا العهد ، ومدرسة حكومية واحدة هي الابتدائية(٢) وربما تكون مؤسسة من قبل هذا العهد أيضاً .

واذا أردنا أن نقف موقف الدارس المحلل لما أفادنا به المؤلف حسين محمد نصيف رحمه الله ، فاننا نأخذ من كلامه أن التعليم في زمن الحكومة الهاشمية كان قشوراً وسطحياً ضئيلا ، وكان مظهراً أكثر منه مخبراً . فالانفاق عليه كان ضئيلا ، والجهود المبذولة فيه كانت

(١) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص١١٢ .
(٢) نفس المصدر ص١١١ .

محدودة . وبالجملة فان كل ما وصل اليه التعليم في زمن الحكومة الهاشمية من تقدم عما كان عليه أيام حكم الدولة العثمانية هو نقله من اللغة التركية الى العربية . وهذا أمر كان الملك الحسين معنياً به كل العناية حتى انه عَرَّب جميع الألقاب التركية المدنية والعسكرية في دولته . وللحذر الذى يجده الملك حسين في نفسه من خطر كل ما هو أجنبي خشى أن تتسرب التقاليد الأجنبية الى البلاد المقدسة من طريق تعلم اللغة الأجنبية ، ولذلك حرَّمها على المواطنين ، لأن اللغات دائماً هي مفتاح التفاهم بين البشر . وهذه النظرية من الملك حسين ، وان كانت بحسن نية منه ، فان الدين الاسلامي لا يقرها والمصلحة العربية تنكرها فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض صحابته الأذكياء أن يتعلم لغة اليهود ، واليهود أشد ضراوة وعداوة للاسلام من النصارى ، والمصلحة العربية تقضى بتعلم اللغات الأجنبية . ولله در الشاعر العربي الحكيم اذ يقول :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ... وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر الى حفظ اللغات مسارعا ... فكل لسان في الحقيقة انسان

• • •

واذا تدرجنا في دراسة حالة التعليم بجدة الى عهد الحكومة السعودية فاننا نجد التعليم ضعيفاً راكداً في أول الأمر ، ولكنه بدأ يتخذ خطوات تقدمية الى الأمام جنباً الى جنب مع انتعاش الحالة الاقتصادية ، خاصة بعد تدفق النفط ..

كان بجدة في أول عهد الحكومة السعودية ثلاث مدارس فقط احداها أهلية قاومت تقلبات الأيام وتبدل الدول وهي مدرسة الفلاح ، وثانيتها مدرسة تحضيرية واحدة وثالثتها ابتدائية واحدة .

وكان في مدرسة الفلاح نحو (٥١٠) طالب ، وبالمدرسة التحضيرية (١٧٠) طالب و (٥) أساتذة ، وبالابتدائية (١٧٣) طالب و (٨) معلمين ، فمجموع الطلبة بهذه المدارس الثلاث جميعها لم يتجاوز (٨٥٣) تلميذاً . وهذه ضآلة ملموسة في الكم والكيف .

وكان في ضواحي جدة الى جانب المدارس الثلاث كتاتيب ، في النزلة اليمانية ، وفي نزلة الرويس ، وفي نزلة بنى مالك(١) ولم يحص لنا فؤاد حمزة عدد طلاب هذه الكتاتيب وان كنا نجزم بأنه عدد ضئيل .

ثم أضيفت الى المدارس الثلاث المذكورة آنفاً ، مدرسة تحضيرية أخرى ، فأصبحت المدارس الرسمية ثلاثاً : تحضيريتين وابتدائية تضاف اليها مدرسة الفلاح ليَصِرنَ أربعاً .

وفي العهد الذى كان فيه الشيخ محمد بن مانع مديراً للمعارف بدأت بذور النهضة التعليمية تنمو وتترعرع رويداً رويداً في البلاد . وقد أشار الى ذلك في مستهل توليه منصبه ، فجاء في حديث له مع صاحب مجلة « المنهل » مؤلف هذا الكتاب ـ وقد نشر ذلك الحديث في عدد صفر ١٣٦٥ هـ ـ جاء ما يلى :

« وكذلك جدة والطائف وينبع ورابغ وعنيزة وبريدة وحائل وسائر نواحى المملكة القريبة والقصية ، سنسعى الى ايجاد نهضة تعليمية شاملة لها جميعاً ان شاء الله »(٢) .

وقد بَرَّ الشيخ بوعده ، ومن انصاف التاريخ أن نذكر بهده المناسبة ان هذا الشيخ العلامة بجهوده المخلصة كانت القفزة الأولى للتعنيم في أنحاء البلاد ومنها جُدة ، وقد تمكنت الحكومة بذلك من رفع مستوى « المديرية العامة للمعارف » وتطويرها الى « وزارة المعارف »(٣) .

في ١٨ ربيع الثاني عام ١٣٧٣هـ أنشئت هذه الوزارة وجعل على رأسها وزير معارف أول هو سمو الأمير فهد بن عبد العزيز(٤) وجعلت في يده جميع السلطات التى تعطى عادة لوزراء المعارف في الدول العربية ويساعده وكيل وزارة على ادارة دفة شؤون التربية والتعليم .

---

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٢ طبعة مطبعة أم القرى بمكة سنة ١٣٥٩هـ
(٢) مجلة « المنهل » : العدد الثاني الصادر في صفر ١٣٦٥ هـ ـ يناير ١٩٤٦ م ص٥٢ .
(٣) راجع « ذكريات مدرس » لعبد الرحمن بكر صباغ فقد قال عنه أنه (أظهر تجاوبا للتطور فاخذت المسيرة طريقها الى المضى في الابحاث) ص٦٥ نشر المكتبة الصغيرة رقم ٣٠ .
(٤) كتاب وزارة المعارف في خمس سنوات من ١٣٧٢هـ الى ١٣٧٦هـ ص..

وقد أصبح الوكيل المشار اليه ، وهو الشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ ، وزيراً للمعارف ، ثم خلفه ـ ونحن نكتب هذه السطور ـ أخوه الأصغر سناً منه الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، الذى عين بعد ذلك وزيراً للتعليم العالى بالمملكة . وقد أنيط به الاشراف على جامعات المملكة التى أنيط بها التعليم العالى .

وقد انبثق عن التنظيم الجديد لوزارة المعارف بالنسبة لمدينة جُدة وغيرها من المدن ، تطوير لخطط الدراسة ، لكي تضارع زميلاتها في بعض أقطار الشرق العربي . ورفعت ميزانية التعليم السنوية في العهد الجديد ـ في سنة « ١٣٧٣ ـ ١٣٧٤ هـ » الى «٤٨٥٩٦١٥٢» ريال ، بعد ان كانت في سنة «١٣٧٢ ـ ١٣٧٣ هـ» ـ «٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠» ريال أي أنها زيدت بما يربو عن ضعف ما كانت عليه في عهد المديرية العامة للمعارف .

لقد نال جُدة قسط طيب من هذه العناية ، أسوة بكبريات مدن المملكة الأخرى ، وازداد نشاط التعليم بها ، وأهدى جلالة الملك سعود، قصوره الملكية، بجدة، الىوزارة المعارف، لتكونمقراً لمعاهد التعليم(١).

وكان من جراء التطور التعليمي الجديد ، أن عينت وزارة المعارف أول مدير للتعليم بمنطقة جُدة التعليمية ـ أحمد بن علي المبارك وذلك في النصف الأول من سنة ١٣٧٣هـ ، الى سنة ١٣٧٥هـ ، ثم عين سفيراً بوزارة الخارجية ويتولى الآن أوائل سنة ١٤٠٠هـ ادارة الشؤون الاسلامية بالوزارة المذكورة(١) ..

ثم عُيِّنَ بعد أحمد بن علي المبارك مديراً للتعليم بجُدة ـ عبدُ الله

(١) وزارة التجارة : كتاب المملكة العربية السعودية ص٢٨٥ و٢٨٦ .

(١) بعث الينا أحمد المبارك بكتاب مؤرخ في ١٥ ربيع الاول ١٤٠٠هـ ـ ٢ فبراير ١٩٨٠م ورد فيه قوله : (والذى أعلمه من الاحصاءات الرسمية أن عدد المدارس والأساتيذ والطلاببمنطقة جدة هو (٢٨) مدرسة .. منها المدرسة الثانوية بجدة والمدرسةالثانوية برابغ والمدرسة الصناعية بجدة ، والمدرسة الليلية لتعليم اللغة الانكليزية بجدة ومعهد المعلمينالليلي بجدة . وعدد الطلاب كان اذ ذاك (٢١٩٩) طالبا . والاساتيذ (١٣٧) أستاذ .

المسعريُ لفترة وجيزة ، وبعده عين في ذلك المنصب العلمي محسن باروم منتدباً(١) .

ثم عين بعده في عام ١٣٧٥ هـ عبد الله بوقس مديراً للتعليم لمنطقة جُدة التعليمية ثم وكيلا لوزارة الحج أخيراً .. وكان قد بعث لنا بتقرير ضاف عن التعليم بمنطقة جُدة مشكوراً . وكان له مساعد ، وجهاز فني واداري لشؤون التعليم التى يشرف عليها . ثم عين بعده مديراً للتعليم بمنطقة جُدة : عبدُ الله الحُصَيّن ، وبعد انتقاله الى مدينة الرياض عينت وزارة المعارف الدكتور عبد الله الزيد مديراً عاماً للتعليم بالمنطقة الغربية ، التى تشمل مدن هذه المنطقة جمعاء .. وكان تعيينه فيها بعهد جلالة الملك خالد بن عبد العزيز . وقد وُسِّعَ جهاز التعليم بمناسبة توسعة منطقة ادارته العامة ، ويشرف مدير تعليم منطقة جُدة ، على جميع مدارس منطقتها ..ويشرف المدير العام لتعليم المنطقة الغربية فيما بعد على جميع مدارس المنطقة الغربية ما عدا مدارس البنات بجُدة وغيرها ، فقد كان لها قبل كتابة هذا الفصل « مندوبية خاصة بجدة » تتبع الرئاسة العامة لمدارس البنات في الرياض ، ثم تحول اسم هذه المندوبية أخيراً الى « ادارة تعليم البنات » أسوة بغيرها من مدن المملكة(٢) وفي هذا الصنيع تقارب واضح بين ادارة تعليم البنين التى تتبع وزارة المعارف الآن ، وادارة تعليم البنات التى تتبع الرئاسة العامة لمدارس البنات اليوم .

واليوم أى (عام ١٣٨٢ هـ) يمر « المتعلم » في منطقة جُدة بخمس مراحل :

الأولى : مرحلة رياض الأطفال .

الثانية : مرحلة التعليم الابتدائي .

---

(١) عن ابراهيم عبد العزيز المكتوم سكرتير ادارة التعليم بجدة في ذلك الوقت ومدير شؤون الطلاب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة حاليا سنة ١٤٠٠ هـ .

(٢) جريدة البلاد : العدد الصادر في صفر ١٣٨٢هـ .

الثالثة : مرحلة التعليم المتوسط .

الرابعة : مرحلة التعليم الفني « الصناعي والتجاري » ان شاء .

الخامسة : مرحلة التعليم الثانوي .

ولا بد أن يأتي يوم توجد فيه «جامعة جُدة»(١) التي تتوج هذا التعليم كله وتبلغ به المستوى المنشود ان شاء الله .

ومرحلة رياض الأطفال تمثلها الآن مدارس أهلية خاصة خاضعة لاشراف وزارة المعارف الفني والاداري ، ويوجد منها ثماني مدارس بجدة ، هي : دار الحنان ، وبيت الطفل ، وروضة المعارف للبنين ، وروضة المعارف للبنات ، وحديقة الأطفال النموذجية ، ومدارس بابا عباس ، والمعهد اللبناني ، ورياض الأطفال . ولا بد ان بعض هذه المدارس توقف عن العمل .

ويبلغ عدد الأطفال الذكور المنتسبين لهذه المدارس نحو ثمانمائة طفل ــ « وهذا عدا البنات » .

ومرحلة التعليم الابتدائي .. هي من أدق مراحل التعليم وأهمها ، اذ هي المرحلة التي ينتقل فيها الطفل من جو الى جو يختلف عن جو المنزل الذي عاش فيه . وقد استقدمت الوزارة لهذه المرحلة الهامة المعلمين الأكفاء من الأقطار العربية ، وأنشأت معاهد للمعلمين في البلاد، ليسدوا ثغرات النقص الملموس في مجال التدريس بهذه المرحلة .

وفي جُدة وضواحيها توجد الآن ثلاث وأربعون مدرسة ابتدائية ، يبلغ عدد طلابها «١٣٣٤» طالب .

ومرحلة التعليم المتوسط يلتحق بها ، من تخرجوا من الطلاب ، من المدارس الابتدائية ، وكانت هذه المرحلة ضمن مرحلة التعليم الثانوي.

(١) أنشئت جامعة جُدة فعلا باسم « جامعة الملك عبد العزيز » بعد نشر هذا في سنة ١٣٨٧ هـ ــ وهي الآن سائرة الى الامام ويتولى زمام ادارتها الدكتور عبد الله نصيف حالياً بالانابة .

ثم جعلت مرحلة مستقلة بذاتها . ويبلغ عدد مدارسها بجدة «٤» مدارس، بها من الطلاب «٩٨٣» طالب .

كما أن بالمدرسة التجارية المتوسطة «١٢٣» طالب .

ومرحلة التعليم الثانوي تعتبر أساساً للتعليم العالى . وتأميناً للرعاية الطبية وغيرها لطلبة هذه المرحلة الهامة انتدبت الوزارة مدرسين تتوافر فيهم المؤهلات التربوية الكافية .

وبجدة من هذا النوع مدرستان احداهما مدرسة الشاطىء الثانوية، والأخرى مدرسة الثغر الثانوية ، بالاضافة الى مدرسة الفلاح الثانوية الأهنية التى يبلغ عدد طلابها «١٤٣»(١) .

وقد افتتحت وزارة المعارف مدرسة ليلية ثانوية في جُدة لتعليم الكبار ومن لا تمكنهم ظروفهم من التعليم في بياض النهار . وكان افتتاحها منذ خمس سنوات وعدد طلبتها «١٣٦» طالب ، كما أنشأت مدرسة تجارية ليلية عدد طلابها «٣٠» .. و «١٦» مدرسة لمكافحة الأمية عدد طلابها «١٤٣٧» ، ومعهدين علميين ليليين لتدريب المعلمين غير المؤهلين تربوياً .

وأدخلت الى المدارس بجدة المشروعات الاجتماعية والرياضية والثقافية والصحافية ، ثم اهتمت بالاشراف الصحي على التلاميذ ، فأنشأت ادارة للوحدة الصحية ، بها أطباء ، وصيادلة ، وممرضون ، لفحص الأطفال وعلاجهم . ويعالج الأطفال من الامراض الباطنية وأمراض الأسنان والعيون والحنجرة والأذن ، على أيدى أطباء اختصاصيين ولا يُكَلَّفُ الطفل شيئاً في حالة الكشف عليه ، لأن العلاج والدراسة مجانيان لكل التلاميذ من صغار وكبار .

ومن المشاهد أن نظام الصحة المدرسية قد أحدث تحسناً طيبا في صحة الأطفال ونظافتهم .

(١) من تقرير أرسله الى المؤلف ، مدير مدارس الفلاح بجدة الشيخ صالح الغزامي .

وهذا احصاء عام لمدارس جدة وضواحيها :

أولا ـ مدارس حكومية نهارية « ثانوية »

اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد التلاميذ	عدد المدرسين	عدد الهيئة الادارية
الصناعية الثانوية	الشرفية	١٤	٢٨٢	٤٠	١٠
الشاطىء الثانوية	طريق المحجر	١٢	٢٧٢	٢٥	١٢
مدارس الثغر	الكيلو ٦ طريق مكة	٦	١٤٣	٣٣	٦
	المجموع	٣٢	٦٩٧	٩٨	٢٨

ثانياً ـ مدارس حكومية نهارية « متوسطة »

اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد التلاميذ	عدد المدرسين	عدد الهيئة الادارية
التجارية المتوسطة	مدينة سعود	٥	١٢٣	٩	٤
الفاروق المتوسطة	مدينة سعود	٩	٢٩٤	١٦	٩
السعودية المتوسطة	حي الشام	٩	٢٧١	١٦	٧
معهد المعلمين	مدينة سعود	٤	٨٩	٧	٤
	المجموع	٢٧	٧٧٧	٤٨	٢٤

ثالثاً ـ مدارس حكومية نهارية « ابتدائية »

اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد التلاميذ	عدد المدرسين	عدد الهيئة الادارية
النموذجية الابتدائية	مدينة سعود	١٢	٣٧٦	١٤	٦
الثغر النموذجية	الكيلو ٦	٩	٣٣٣	٣٢	٥٢
السعودية الابتدائية	حي الشام	١٨	٦٩٢	٢٢	١٠
العزيزية الابتدائية	البغدادية	١٣	٤٦٧	١٥	٧
الوزيرية الابتدائية	الكندرة	١٣	٤٣٥	١٥	٦
السبيل الأولى الابتدائية	السبيل	١٢	٦٦٣	١٣	٧
الشاهرية الابتدائية	النزلة	١١	٣٧٨	١٢	٧
الصحيفة الابتدائية	الصحيفة	١٣	٥٠٧	١٥	٧
الكيلو ٣ الابتدائية	طريق مكة الكيلو ٣	١٣	٤٤٣	١٥	٧
عثمان بن عفان الابتدائية	الكندرة الجنوبية	١٣	٤٦٢	١٥	٦
الفهدية الابتدائية	القريات والثعالبة	٧	٢٠٤	٨	٥
المحمدية الابتدائية	الشروق والبخارية	١٣	٤٥٨	١٦	٦
السبيل الثانية الابتدائية	غليل	٦	٨١	٦	٣
الشرفية الابتدائية	الشرفية	٨	٢٤٤	٨	٥
سعد بن معاذ الابتدائية	طريق مكة الكيلو ٦	٧	١٨٧	٧	٣
الرويس الابتدائية	الرويس	١٤	٤٦٧	١٦	٧
الخالدية الابتدائية	العمارية	١٣	٤١٥	١٥	٧
الفيصلية الابتدائية	الهنداوية	١٢	٤٢٢	١٥	٥
المنصورية الابتدائية	السبخة	١٢	٣٦٥	٣	٧
مدرسة الكيلو ١٤ الابتدائية	طريق مكة	١	٢٨	١	١
	المجموع	٢٢٠	٧٦٢٧	٢٦٣	١٨١

رابعاً ـ مدارس حكومية ليلية (ثانوية ومتوسطة)

اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد التلاميذ	عدد المدرسين	عدد الهيئة الادارية
الليلية الثانوية	طريق المحجر	٦	١٣٧	١٧	٥
السعودية المتوسطة	حي الشام	٣	٩٦	٧	٢
التجارية الليلية	مدينة سعود	١	٢	٢	٢
معهد المعلمين الليلي	العمارية	٢	١	٤	٤
	المجموع	١٢	٢٣٦	٣٠	١٣

خامساً ـ مدارس حكومية لمكافحة الأمية

اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد التلاميذ	عدد المدرسين	عدد الهيئة الادارية
السعودية الليلية	حي الشام	٦	٢٤٣	٧	٤
الصحيفة الليلية	الصحيفة	٤	١٧٠	٤	٣
الشاهرية الليلية	النزلة	٥	٢١٢	٥	٤
السبيل الأولى الليلية	السبيل	٤	١٧٢	٤	٤
الفيصلية الليلية	الهنداوية	٢	٦٠	٢	١
الوزيرية الليلية	الكندرة	١	٣١	١	١
مدرسة الكيلو ٣ الليلية	الكيلو٣ طريق مكة	١	٣٧	١	١
مدرسة الكيلو ٦ الليلية	الكيلو٦ طريق مكة	١	٢٥	١	١
الشرفية الليلية	الشرفية	٤	١٥٨	٤	٣
	المجموع	٢٨	١١٠٨	٢٩	٢٢

سادساً ـ مدارس أهلية نهارية وليلية باشراف وزارة المعارف

اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد التلاميذ	عدد المدرسين	عدد الهيئة الادارية
مدرسة الفلاح الابتدائية النهارية	حي الشام	٢٤	١١٢٤	٢٩	٨ (١)
مدرسة الفلاح المتوسطة النهارية	حي الشام	٧	٢٧٥	٧	٣ (١)
مدرسة الفلاح الثانوية (نهارية)	حي الشام	٥	١١٤	٦	٣ (١)
المؤسسة السعودية للثقافة	البغدادية	٦	١١٨	١٠	٢
المعهد الخاص	عمارة باخشب	٥	١٣٣	٨	٢
المؤسسة العلمية الكبرى	باب مكة	٨	٢٥٠	١٢	٢
الاصلاح	حي الشام	٦	١٥٠	٩	٢
دار العلم	باب مكة	٦	١١٠	٩	٢
المعهد الثقافي	حي الشام	٥	٦٥	٣	٢
المعهد اللبناني (للبنين)	البغدادية	١٤	٤٠٠	٢٥	٥
روضة المعارف (للبنين)	العمارية نهارية	٥	١١٠	٥	٢
بابا عباس (للبنين)	الكندرة	١	٧	١	١
النجاح	حي الشام	٦	٢٠٦	١٥	٤
معهد البنك الأهلي التجاري للدراسات المصرفية	باب شريف	١	٧٠	..	..
المجموع		٩٩	٢١٣٢	١٣٩	٣٨

وبذلك يكون عدد جميع المدارس التابعة لوزارة المعارف والخاضعة لاشرافها في جدة وضواحيها (٥٤) مدرسة بين نهارية وليلية وابتدائية ومتوسطة وثانوية وعلمية نظرية وصناعية وتجارية عملية وعلمية، كما يكون مجموع عدد التلاميذ بها هو الموضح آنفاً(٢) .

ooooo

(١) في تقرير بعث به الى المؤلف ، مدير مدارس الفلاح بجدة الشيخ صالح خزامي أن عدد طلبة مدرسة الفلاح الابتدائية هو (١١٢٢) كما أن عدد طلبة القسم المتوسط بالمدرسة المذكورة هو (٣١٠) لا (٢٧٥).

(٢) من تقرير خاص بعث به الأستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم بمنطقة جدة .

□ مدارس فنية تتبع جهات غير وزارة المعارف □

في جُدة مدارس فنية غير تابعة لوزارة المعارف بعضها يتبع وزارة الدفاع والطيران وبعضها يتبع وزارة الصحة وبعضها يتبع الرئاسة العامة لمدارس البنات وبعضها مستقل .

فأما المدارس الفنية التابعة لوزارة الدفاع والطيران فهي أربع مدارس، وكان أساس هذا التعليم الفني أن الحكومة كانت اشترت في سنة **١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م** سرباً جديداً من الطائرات الحديثة الصنع وعهدت الى مدربين أجانب بتعاهدها والاشراف على شؤون « مدرسة تدريب » الشبان الوطنيين على فن الطيران . وكان مركز التدريب على الطيران في بادىء الأمر يقع في دارين على ساحل الاحساء ثم نقل الى جدة ولم ينجح المشروع ثم أنشئت « مدرسة الطيران » في جدة وعهد بالتدريب فيها الى معلمين أوروبيين وأنشئت الى جانب المدرسة في بناء الكندرة حظيرة فنية حديثة تتسع لايواء «٢٥» طائرة تقريباً ،وأنشىء مطار فسيح جداً هو الأول من نوعه في الحجاز . وفي عام ١٣٥٣هـ اشتركت الحكومة مع جمعية الطيران العربية في انشاء الحظيرة الجديدة في جدة فقدمت وكالة الدفاع مبلغ خمسمائة وألف جنيه مصري من أصل المبالغ التى جمعتها(١) .

وهذه هي المدارس المشار اليها آنفاً :

١ ـ مدرسة سلاح الطيران الملكي السعودي :

وتقع في مطار جدة ، وفي النية تحويلها الى كلية طيران . وتقام لها الآن في مدينة الرياض عمارة فخمة لتنقل اليها . ويشترط فيمن يريد الانتساب اليها أن يكون سعودياً وأن يحمل الشهادة التوجيهية وأن يجتاز الفحص الطبي والثقافي وكشف الهيئة وأن لا يقل عمره عن سبعة عشر عاماً ولا يزيد عن خمسة وعشرين عاماً .

---

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص٢٥١ .

وبها موظفون اداريون كلهم سعوديون وكذلك مدرسوها كلهم سعوديون ، وعدد أفراد الهيئة التدريسية خمسة عشر : ثلاثة عشر منهم تخرجوا من نفس المدرسة ، والاثنان الباقيان تخرجا من مصر .

ومدة الدراسة بها ثلاثة أعوام ..

وقد أسست سنة١٣٧٢هـ ١٩٥٢م وتخرج منها حتى الآن سبعة أفواج ويبلغ عددهم (٧٢) متخرجاً برتبة ملازم ثان طيار .

وكان عدد المتخرجين في الدفعة الأولى خمسة ، وفي الثانية تسعة ، وفي الثالثة تسعة عشر ، وفي الرابعة ، عشرة ، وفي الخامسة ، أربعة عشر ، وفي السادسة ، ثمانية ، وفي السابعة ، سبعة .

وأول مدير لهذه المدرسة هو هاشم سعيد هاشم وكيل قائد طيار . وقد تتابع مديرون على الادارة بعده . ومديرها الحالى هو محمد حسن مسعود وكيل قائد طيران ويساعده عبد الوحد البكري الرئيس الطيار وهو أول متخرج بها .

ودروس المدرسة على نوعين : تدريب طيران ودراسة أرضية . وتشمل دراسة الطيران جميع ما يتعلق بالطيران . والدراسة الأرضية نوعان : مدنية وفنية . ويُدرَّس بالمدرسة اللغة الانكليزية .

وحينما أُسست كانت تُسمى « مدارس سلاح الطيران » وكانت تضم مدرسة الطيران ومدرسة التدريب الفني .

ولمدرسة سلاح الطيران نشاط رياضى ملموس .

٢ ـ مدرسة سلاح المظلات :

وتقع بداخل المطار وقائدها هو محمد أمين روزيّ القائد المظلي . ومساعده عبد الله بن قتلان وكيل قائد مظلي .

٣ ـ مدرسة التدريب الفني :

وهي مدرسة مدنية تقع بجوار المطار ..

آسست سنة ١٣٨١هـ ومديرها أمين سالم رويحي .

ومعدل مدة الدراسة بهـا سنتان ودروسها هي خـدمات المراقبـة الجوية . وهي من أهم الدراسات الفنية بها ، لتعلقها بسلامة الطيران ، وهندسة الراديو والأجهزة اللاسلكية سواء ما كان مختصاً ببرج مراقبة الطائرات أم اللاسلكي أم الطائرات ، ودراسة الهاتف اللاسلكي للاتصال بالطائرات ، ودراسة الآلات المبرقة أي الطابعة . وسيكون من دروسها مستقبلا قراءة الخرائط وهندسة الطائرات . وعدد طلابها الآن (٩٧) طالباً . وكان من شروط الدخول فيها : حوز الراغب لشهادة الكفاءة فما فوق في بدء الدراسة ، وفي الوقت الحاضر الشهادة التوجيهية فما فوق ، مع اجادة اللغة الانكليزية ، وذلك لأن المدرسين كلهم خـبراء دوليون ولا يتكلمون اللغة العربية ، وعدد هؤلاء المدرسين الآن ثمانية ، وهم من شتى بلاد العالم ، ومنهم هندوكيو الجنسية وباكستانيون وسويديون وانكليز وصينيون وطنيون ويابانيون ويونان . وهنـاك ثلاثة مدرسين للغـة الانكليزية هم : المستر ابراهيم مانسا وهو انكليزي دخل الاسـلام ، وفريد وحيد الفيض آبادى ، ومحمد علي مختار .

ومما ذكر لنا مدير المدرسة أن الدراسـات الفنيـة فيهـا ممتـازة وطلبتها مغتبطون وجادون ، لأنهم يشعرون بأنهم يدرسون أشياء ذوات أهمية كبيرة . ويعطى التلميذ مكافأة شـهرية قـدرها أربعمائة ريال عربي ، مع تأمين مواصلاته الى منزله . وبعد تخرجه يعين في المرتبـة السادسة من مراتب موظفى الدولة . أما الذين يتخرجون من الصيانة فيعينون في المرتبة الخامسة . وبالمدرسة أجهزة فنية ثمينة وحديثـة ، والتعليم فيها جيد حتى ان الطالب يسـتطيع أن يقطع أسـلاك أجهـزة الراديو كلها ثم يعيد تركيبها بدون الاستعانة بخريطة . وقـد أعطى الطلبة الحاضرون دروس اللغة الانكليزية لثمانيـة أشـهر وأصـدروا بالمدرسة مجلة شهرية سميت « مجلة البرج » .

٤ ـ مدرسة الخطوط السعودية :

هي مدرسة مدنية تقع في محل كوفنكو بشارع المطار .

● ○ ●

والمدارس التى تتبع وزارة الصحة هي اثنتان : «مدرسة التمريض» وعمرها الآن عام واحد ، اذ انها أنشئت عام ١٣٨١هـ وتتعاون عليها وزارة الصحة والرئاسة العامة لمدارس البنات .

والمعهد الصحي .. وقد افتتح في أوائل جمادى الآخرة عام ١٣٧٢هـ ـ نوفمبر ١٩٦٢ م ، وطلابه (١٧) في ذلك الشهر ويتدربون على شؤون الكورنتينات وأعمال مكافحة الملاريا والبلهارسيا(١) .

● ○ ●

وهنـاك أيضـاً مدارس البنـات وهي على قسمين : مدارس بنـات حكومية ، ومدارس بنات أهلية .

فالمدارس الحكومية للبنات بجدة هي :

١ ـ المدرسة السعودية الأولى واعـداد المعلمات ولها مديرة وبهـا ثلاث عشرة معلمة وأربع وتسعون وخمسمائة طالبة .

٢ ـ المدرسة السعودية الثانية ولها مديرة وبها ثلاث عشرة معلمة وست وتسعون وستمائة تلميذة .

٣ ـ المدرسة السعودية الثالثة ولها مديرة وبها تسع معلمات وسبع وثلاثون وأربعمائة طالبة .

٤ ـ مدرسة التمريض السـابق ذكرها ولها مديرة وثلاث معلمات وبها ست عشرة تلميذة . ومن معلماتها المفتشة المركزية المشرفة عـلى المدرسة : لطفية الخطيب ، وموقعهـا بمدرسـة البنـات الحـكومية في

(١) جريدة الندوة : العدد الصادر في ١٣٨٢/٦/٢٠هـ ـ ٢٧ نوفمبر ١٩٦٢م .

البغدادية . ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات مبدئياً ، والدروس فيها نوعان : دروس عادية ، وتمريضية نظرية وعملية .

وبهذه المدارس أربع مديرات وثمان وثلاثون معلمة وتسع وثلاثون وثمانمائة وألف طالبة .

• • •

وأما مدارس البنات الأهلية فهي :

١ ــ المدرسة الشعبية ولها مديرة وعشر معلمات وفيها : « ٢٤٨ » تلميذة .

٢ ــ المدرسة النصيفية أسست عام ١٣٧٦هـ وأقسامها : حضانة وروضة واعدادي وابتدائي ولها مديرة واثنتا عشرة معلمة وبها : « ٢٦٤ » تلميذة .

٣ ــ مدرسة بابا عباس ولها مديرة وعشر معلمات وفيها : « ٢٤٣ » تلميذة .

٤ ــ مدرسة الحديقة النموذجية ولها مديرة واثنتا عشرة معلمة وفيها «١١٢» تلميذة .

٥ ــ مدرسة بيت الطفل ولها مديرة وعشر معلمات وفيها : «٢٦٥» تلميذة .

٦ ــ مدرسة فتاة الجزيرة ولها مديرة وست معلمات وبها : « ٢٠٠ » تلميذة .

٧ ــ مدرسة روضة الثقافة ولها مديرة وست عشرة معلمة وفيها : « ٤١٧ » تلميذة .

٨ ــ مدرسة رياض الأطفال ، ولها مديرة وثلاث معلمات وفيها : « ٣٣ » تلميذة .

٩ ــ المعهد اللبناني وله مديرة وسبع معلمات ويدرس به « ١٥٠ » تلميذة .

فبهذه المدارس تسع مديرات و « ٨٦ » معلمة و «١٩٣٢» تلميذة .

فاذا جمعنا من بالمدارس الحكومية والأهلية من مديرات ومعلمات وتلميذات خرجنا بهذه النتيجة :

بمدارس البنات الحكومية والأهلية ثلاث عشرة مديرة و١٢٤ معلمة و٣٧٧٩ تلميذة(١) .

● ● ●

وهناك مدرسة خاصة في تعليمها وهي « معهد البنك الأهلى التجاري للدراسات المصرفية » وقد أنشأه البنك عام ١٣٧٨هـ ، لتدريس العلوم التجارية والمصرفية « كالمحاسبة وأعمال السكرتارية واللغة العربية والانكليزية » والدراسة فيه ميسورة للطلبة السعوديين وسواهم من أبناء العرب والاسلام ، فهي بدون مقابل . ويُدَرِّسُ المعهدُ طُلاَّبه ليلا بعد الفراغ من الأعمال اليومية ، ومدة الدراسة به سنتان ويشترط أن يكون الطالب ذا سلوك حميد وثقافة مناسبة بموجب مؤهلات لديه أو اختبار يجريه المعهد له عند طلبه الالتحاق به .

وتخرج من المعهد ٤٢ طالباً التحق عدد منهم بخدمة البنك وبالشركات(٢) .

● ● ●

وبهذا كله نخرج بهذه النتيجة عن التعليم بجدة في كافة أنواعه :

ان مجموع مدارس جدة حكومية وأهلية وعلمية وصناعية وفنية هو ٧٢ مدرسة ، بها من المديرين والمديرات والمعلمين والمعلمات والطلبة والطالبات من ذكروا فيما سبق .

وأخيراً ان النهضة التعليمية في جدة تقدمت كثيراً ، وهي سائرة في التقدم الى الأمام بخطوات حثيثة .

(١) من كتاب رسمي بعث به الينا حامد فطاني مفتش مدارس البنات ، اجابة على رسالة كان المؤلف أرسلها اليه حول الموضوع .

(٢) من كتاب بعث به نائب المدير العام للبنك الأهلي التجاري بجدة — الى المؤلف اجابة على رسالة منه .

المجتمع الجُدّيُّ

في سابق عهوده وفي حاضره



كأي بلد ذي موقع اقتصادي تتأثر مدينة جُدة في صعود مجتمعها وفي هبوطه ، بالظروف السياسية المحيطة بها من قريب ومن بعيد . فمتى كانت أوضاع الحجاز وما يصاليه هادئة مطمئنة تبع ذلك استقرار وازدهار في جُدة ، فيتكاثر بها السكان ، وينزحون اليها من مختلف البقاع القريبة والبعيدة ، واذا أضيف الى ذلك استقرار في العالم الاسلامي نعمت جُدة بحياة سعيدة هانئة فيمجتمعها ، والعكس بالعكس.

وأمثلة ذلك متوافرة ومتواترة في التاريخ . ففي القرن الهجرى الرابع ، على ما هو معروف ومذكور في هذا الكتاب ، كانت جُدة تَنعَم في بحبوحة من الأمن والرفاهية النسبية . وسبب ذلك كما فصلناه يعود الى ما ينعم به الحجاز والعالم الاسلامي اذ ذاك من أمن واستقرار

وتضاءل شأنها قليلا من الناحية الاجتماعية في القرن الهجرى الخامس فقل عدد سكانها . ولا بد أنه نزح عنها بعض الأُسَرِ الموسرة . وسبب ذلك على ما أوضحناه أيضا ، يعود الى عصر الاضطراب الذى كانت تعيش في محيطه يومئذ ، فان الاضطراب الذى كان يسودها حينذاك يعود في الأساس الى ما كان يعانيه العالم الاسلامي من اضطراب في شتى أنحائه ، وقد صور لنا ابن خلدون هذه الحالة العامة أحسن تصوير ، حين قال : « وأجاز الغُزُّ الى خراسان فملكوها وملكوا طبرستان من يد الديلم ، ثم أصبهان ، وفارس ، من أيدى بني بويه . وملكهم يومئذ طغرل بك ابن ميكائيلمن بنى سلجوق ، وغلب على بغداد من يد بنى معز الدولة ابن بويه المستبدين على الخليفةِ يومئذ ، « المطيعِ » ، وحجره عن التصرف في أمور الخلافة ، ثم تجاوز الى عراق العرب فغلب على ملوكه وأبادهم ثم بلاد البحرين وعُمَان ثم على الشام وبلاد الروم واستوعب ممالك الاسلام كلها فأصارها في ملكه وانقبضت العرب راجعة الى الحجاز مسلوبة من الملك كأن لم يكن لها فيه نصيب ،

وذلك أعوام الاربعين والاربعمائة »(١) .

فأنت ترى من هذا الحديث ان هناك اضطراباً سياسياً عارما أناخ بالعالم الاسلامى وخص بلاد العرب والحجاز ، ولا يؤثر في هذا كثيرا ما كان يشاطر هذا الاضطراب من استقرار صنعه هذا الملك المستبد في بعض الانحاء ، وما يتبع ذلك من ازدهار محدود في مثل هذه الظروف .

وقد قال بما قال به ابن خلدون كتاب « أطلس التاريخ الاسلامي »(٢) .

ثم رأينا جُدة في القرن السادس الهجري في حالة مؤلمة من التأخر الاجتماعى ، اذ أصبح سكانها ــ بما خيم عليهم من بؤس غامر ــ جماعة من المتسولين ، لا عمل لهم يعيشون من ورائه سوى استجداء الحجيج . وقد أشرنا في غير هذا الفصل الى مزيد من تفصيل هذه الحالة .

وازداد انكماش المجتمع في جُدة بالقرن الهجري الثامن ، فأصبحت فيه قرية صغيرة جدا ، مما يجعلنا نعتقد أن معظم سكانها رحلوا عنها .. وهذا الانكماش المستمر في القرنين الهجريين : السادس والثامن ، يعود الى اضطراب أحوال الحجاز خاصة واحوال البلاد الاسلامية قاطبة مما هو مفصل في مكانه من هذا الكتاب . ولا نريد أن نعيد تفصيله هنا مرة أخرى ، تجنبا للتكرار .

ويجمع المؤرخون الواعون لتيارات الحوادث على أن فتح قناة السويس في القرن الهجري الثالث عشر كان ضربة مسددة الى مجتمع جُدة ، والى اقتصادها فقد كانت قبل ذلك أخذت بزمام التجارة العالمية ، وكانت الموردَ العالميَّ الوحيدَ الذى تجتمع اليه بضائع الشرق من الهند والصين

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ص٢٥٩ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١ م .
(٢) ص ١٤ .

والعراق ، وما الى ذلك من بلاد الشرق الأقصى والادنى ، ومنها توزع هذه البضـائع فتنقـل منهـا بوسـاطة أسـطول مراكبهـا الشراعيـة الى مصر والسودان والشام والى أنحاء أخرى . فلما فتحت قناة السويس انكمشت جدة اقتصاديا اذ نقلت منها عالمية التوريد والتصدير البحريين الى القطر المصرى ، وزاد الطينة بلة فتح مرفأ بورت سودان من قبـل الانكليز وسعيهم الحثيث الى جعله ميناءا عالميا وتزويده بكل مستلزمات ذلك ، امعاناً في محاولة القضاء على مينـاء جُدة وضربة موجهـة الى ازدهاره .

وعجيب أن نرى أيوب صبرى ــ وهو مؤرخ تركي واع ــ يخالف عن هذا الرأي فيقول : انه حينما فتحت قناة السويس صار لجُدة أهميـة وأصبح عليها اقبال تجاري مرموق فقد استعادت بعض مكانتها التجارية فان السفن صارت ترد اليها بكثرة من جميع الجهات(١) .

ولنا أن نناقش رأيه هذا ، بأنه مجانب للصواب ، ولعله يبطن فكرة سياسية مُوصى بها أو مُوحى بها . والا فنحن نعلم أنه كان لأهل جدّة أسطول بحري على جانب كبير من الضخامة والأهمية اذ يزيد عن مئـة سفينة تجوب بحار العالم وخاصة المحيط الهندي والبحر الأحمر لتموين العالم العربي عامة وهذه البلاد خاصة . وحينما فُتحت قناة السويس كان هذا الأسطول التجاري البحري الحجازي الجُدي في أوج مجده ، ومن ثم بدأ يضمحل حتى بقى منه آخر الأمر سفينة أو سفينتان لأحمد غلُوم من تجار جُدة في أخريات القرن الماضى ، ثم اندثر الأسطول مرة واحدة بعد ذلك ، وهذا مما يدلنا على مدى ارتفاع شأن مجتمع جُدة قبل فتح قناة السويس وتأخره بعد فتحها كما قدمناه آنفاً ، وقد كانت المخازن الكبرى التى تملأ باطن البلد القديم تمتـلىء بآلاف الأكيـاس المـوردة

(١) أيوب صبري : مرآة الحرمين باللغة التركية الجزء الثالث ص١٨٩ مطبعـة البحـرية بالقسطنطينية سنة ١٣٠٦ هـ .

والمصدرة بحراً بوساطة هذا الأسطول ، حتى تصير بهـا الغلال ، شبيهة بالجبال .

ويحدثنا المرحوم محمد صالح باعشن في مذكراته بشيء من هـذا القبيل له دلالته ، ولا بأس من ايراده هنا ، من باب الاستئناس ، لما كنا وما زلنا نرى أنه هو الحقيقة في هذا الشأن . فيقول : « كان سيدى الوالد اشترى مركبا شراعيا بشركة الحاج حسن ابراهيم جوهر من أعيان وأكابر جدة ، ثم بعد شركة الوالد في نصف المركب المسمى « فتح البارى » اشترى بعده مركبا آخر ذهب من بالنا اسمه حينما نكتب هذه المذكرات »(١) .

فلو لم تكن المراكب الشراعية وافرة ورائجة النفع لأصحابها من أهل جُدة ، ما اشترى هذا التاجر « علي باعشن » مركبين ونصف مركب ، وأعتقد أن شراءه لذلك كان بعد فتح قناة السويس مباشرة ، والحجة الشرعية المنشورة صورتها في آخر هذا الفصل ، تؤيد ما ذهبنا اليه اذا علمنا أن قناة السويس فتحت سـنة ١٢٨٦هـ ١٨٦٩ م وقارنا ذلك التـاريخ ، بتاريخ صدور الحجة الشرعية ، وهو سـنة ١٢٨٨ هـ الموافقة سـنة ١٨٧١ م . وأخيراً فان الاقتصار على شراء مركبين ونصف مركب فقط من قبل تاجر سري بجُدة يدل على أن شأن المراكب البحرية اذ ذاك قد تأثر نوعاً بسبب فتح قناة السويس .

وقد تمكن مجتمع جُدة من مسايرة الوضع التجاري الجـديد ، بعد فتح قناة السويس ، فأدخلوا في وسائل تجارتهم البواخر التي يستأجرونها أو يشترونها لجلب البضائع ولتموين الحجاز ونجد .

ان الروح التجارية الاصيلة قد دفعت بعضهم الى المغـامرة بشراء بعض البواخـر التجـارية الصـغيرة ، والى اسـتعمالها في توريداتهم

(١) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية ص٢٩ .

وتصديراتهم البحرية تعويضاً عن مراكبهم الوفيرة قبل فتح القنـاة . وممن اشتروا هذه البواخر على ما نذكر ، الحاج محمد فاضل عرب .

وبذلك ظل مجتمع جُدة متماسكاً نوعاً ما ، في حياته التجارية ، وذا رفاهية ظاهرة ، وكان نشاط أهلها التجـاري والاقتصـادي قد جنبهم أو جنب كثيراً منهم التواكل والتوكل على مهنة خدمة الحجاج، واستدرار الرزق من عطفهم وحده . فالى جانب القائمين بهذه المهنة الذين يعيشون من دخلها ، يوجد أناس آخرون كانت جهودهم منصرفة الى التجارة وبناء المصانع ، كعصر الزيوت وصنع السُبَح ، وغير ذلك ، من ألوان المهن البلدية الخفيفة . وهناك أناس كان همهم شراء العقار واستثماره ، اما بالبيع أو بالتأجير..ومن هؤلاء : علي باعشن وابنه محمد صالح باعشن، فقد عقد هذا الأخير فصلا خاصاً في مذكراته وجعل عنوانه : « ملكنا من العقار والملك لله » . وقد بلغ ما دفع ثمناً لكل ذلك العقار « ٣٨٠٠ » جنيه ذهباً ، وبلغ تعداده جميعاً ١٨ موقعا(١) .

● ● ●

□ طابع المجتمع في جُدة □

المجتمع في جُدة عربي اسلامي ، ينزع الى التقاليد العربيـة ، من الكرم والوفاء بالوعد والصدق في المعاملة ، مع ضمان المصلحة الخاصة. وهو متدين في أقواله وأعماله ، يحب اسداء المعروف والخير الى الغير ، ويخرج كثير من تجاره ، الزكاة الشرعية من قديم ، لأنهم يعتقدون أنها تنمى المال ، وأنها واجبة الأداء على كل مسلم ، ويتصدقون ويساعدون على فعل الخيرات ، ويميلون الى الرفاهية ، والاستمتاع بملذات الحياة الطيبة ، وهم أهل نظافة في مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم ومساكنهم . وبحكم مزاولة التجارة فقد رُوِّضَت نفوسهم على احتمال المكاره والصبر

(١) المرحوم محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص١٣ و١٤ .

عند الصدمات ، واخفاء الهموم والنـكبات ، حبًاً في ستر أحوالهم ، واستمرار كيانهم ، وحسن سمعتهم في مختلف الأوساط ومحافظة على مكانتهم في المجتمع . وفي طبيعتهم التجارية حب الأسفار ، امّا جلباً للرزق أو للصحة أو للتنزه أو لذلك كله مجتمعاً مع بعض .

حدثنا محمد صالح بن علي باعشن بأنه « حج ثلاثين مرة » ، وسافر الى الطائف والى المدينة ثلاث مرات : الاولى سنة ١٣٠٥ والثانية في سنة ١٣٠٦ والثالثة في عام ١٣١٤ هـ وذهب الى وادى فاطمة خمس مرات ، كما ارتحل الى ينبع البحر مرتين ، وسافر الى مصر عام ١٣٢٤ هـ وتجول في كثير من بلاد الفلاحين ودخل طنطا والاسكندرية وحلوان والفيوم وبورسعيد ، ومنها الى بيروت وتجول في أنحاء لبنان : عاليه وزحلة وصوفر ، وتجاوز لبنان الى فلسطين ، رد الله غربتها وفرج كربتها ، ودخل يافا ، واللد ، والرملة ، وبيت جاله ، وخليل الرحمن : «الخليل» وصيدا ، وسواكن ، وبورت سودان ، وسنكات ، وأخيرا حج في عام ١٣٦٠ هـ بأهله وأقاربه(١) .

ومن أهل جدة من ربط معيشته بعالم الوظائف الحكومية المختلفة ، فكان منهم محتسبون ورؤساء بلديات وموظفون عموميون في العهود الخالية · وفي كتاب « حجاز ولايتى سالنامه سى » التركى لسنة ١٣٠٦ هـ أسماء كثير من أهل جدة الموظفين بالحكومة في مختلف الأعمال ، وقد أثبتنا أسماءهم في « فصل الحكام » .

ومن أهل جدة من اتخذوا المهن والحرف التقليدية طريقة لمعيشتهم ، وذلك كصناعة صيد السمك ، أو صناعة بناء السفن الشراعية ، ما بين كبيرة وصغيرة ، وعصر الزيوت ، وصبغ الملابس ، والتنجيد ، والخياطة ، وطهو الأطعمة ، وصنع الحلوى . ومنهم من امتهن صنع العربات وتأجير

(١) حج المؤلف عام ١٣٦٠هـ واجتمع بصاحب المذكرات في حفل خاص أقامه الأستاذ محمد سعيد العامودي في داره وهو خال والدته .. وكان ذلك باجياد بمكة · وحضر الحفل المقرىء الشهير الشيخ محمد عبيد رحمه الله .

واستئجار مراكب الحمير ، وغير ذلك مما كان يعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة اذ ذاك .

ومنهم من اتخذ « وكالة » مطوفي مكة مهنة لهم ، يتعيش من دخلها . وهذه الطائفة هم المعروفون « بالوكلاء » .. ولهم نظامهم وتقاليدهم . وفي كتاب « المكالمة لمحمد الطيب المكى » المطبوع بالهند في أواخر القرن الهجري الماضى كثير من التعريف بأوضاعهم وتقاليـدهم وأحـوالهم . ومهمة هذا الكتاب الأساسية هي تعريف الأعاجم باللغة العامية الدارجة في الحجاز عن طريق السؤال والجواب ..

وهناك عمال البحر ومرشدوه وحماله ، وهم طائفة أو طوائف لهم أنظمتهم التقليدية في ارشاد السفن ، وحمل البضائع ، وايصـالها الى المخازن والتجار ، ولهم شيوخهم وعاداتهم ، وهناك طبقة العمال القديمة والحديثة .

• • •

هذا وفي جدة طبقات متفاوتة : طبقة الاعيان وغالبا ما تكون من ذوى اليسار ، وطبقة المتوسطين من الموظفين ومن العلماء الدينيين ، وطبقة الفقهاء ، وطبقة العوام «الحارية»(١) . أو «الشـَّلاَ وِ يَة» كما يسمونهم. ولا تزال هذه الطبقات في جدة ويسود بين مختلفها الوئام والتعاون . الكبير يرعى الصغير ، والصغير يوقر الكبير ، وجميعهم متفاهمون فيما بينهم ، وتسود المحبة بين هذه الطبقات سواء مع بعضها أم مع غيرها في أغلب الاحيان .

واذا وجدت في جُدة أُسَر أخنى عليها الدهر ، بعد ما كانت في عز وثراء فانها تكون موطن عطف الأثرياء ورعايتهم ، في مختلف المناسبات، باسداء المعونة لهم، تحت سياج كثيف من الستر والكتمان ، ويحتسبون هذا واجبا عليهم يرون فيه لهم خيرا كبيرا في دنياهم وآخرتهم : (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)(٢) .

(١) الحارية هي النسبة الصحيحة الى « الحارة » .. أما صيغة « الحاروية» فغلط مبين .
(٢) انشئت في جدة في سنة ١٣٨٢هـ هيئة صندوق البر برئاسة الشيخ محمد صالح أبو زنادة .

وحينما أنشئت مدرسة الفلاح ، في أواخر زمن الاتراك ، بدأت بذور طبقة المثقفين بالثقافة العصرية تدخل طبقات جدة . وهذه الطبقة يمثلها اليوم الأدباء والكتاب العصريون ومع أنهم كانوا قلة فقد استطاعوا أن يطوروا بعض الشيء ، تفكير مجتمعهم ، وأن يجعلوه يقبل على التزود من الحياة الحديثة ، بما هو أكثر عمقاً ورفعة مما كان . وحينما كبر بعض هؤلاء الأدباء أصبحوا في نظر بعض الأكابر منابر . فقلدوهم زمام كثير من الأمور ، أملا منهم في أن ينهضوا ببلدهم .

وكان من وسائل النجاح الاجتماعي في جدة استقامة السلوك ، وتجنب الشبهات وأصحابها . وقد حدثنا المرحوم محمد صالح بن علي باعشن كيف انتخب بفضل هذه الاخلاق الحميدة المستقيمة عضوا في مجلس البلدية عام ١٣١٦ هـ ، وعمره اذ ذاك ٢٢ سنة فقط ، كما انتخب في تلك العضوية مرة أخرى ، كما انتخب بعد ذلك عضوا في مجلس التمييز عامين ، ومرة أخرى ، كما انتخب في مجلس التجارة قبل دخول عام ١٣٢٤ هـ(١) .

□ مجتمع جُدة ، مجتمع النزعة التجارية □

ان الدارس لمجتمع جُدة عبر التاريخ يجده مجتمعاً تغلب عليه النزعة التجارية . ودليل ذلك أن جدة مع ندرة الماء العذب بها قبلا ووقوعها على شاطىء بحر ملح أجاج ـ لم يَثنِ ذلك أهلها عن طلب الثراء بالكدح والسعى الحثيث من طريق تعاطى التجارة المحلية ، وجلب التجارة الخارجية ، وتوزيع سلع هذه التجارة الى الداخل والخارج . مما يذكرنا بالفينيقيين أيام ازدهار تجارتهم ونشاطها في مختلف أنحاء العالم القديم وقد استطاع أهل جُدة أن يُنَمّوا ثرواتهم ، فحدثنا محمد بن محمد الحِميريّ بأن من ملك منهم مائة ألف دينار ، بنى قبة على علو منزله ،

(١) مذكرات محمد صالح باعشن .

علامة لبلوغه هذه المرتبة الشامخة من الثراء بكده وجده وتجارته(١) . ويحدثنا المرحوم محمد صالح بن على باعشن بأن والده قدم جدة في أوائل النصف الثاني من القرن الهجرى الثالث عشر ، فرأى بها ما أدهشه من عظم التجارة .. وأيد صاحب المذكرات ذلك بقوله عقب ما ذكر : « وحقيقة كانت تجارة جدة تذكر ، وأرباحها مضمونة ، أرباح خارجة عن الحد ، حيث كانت الدنيا مغطاة »(٢) . ويحدثنا محمد لبيب البتنوني الذى حج سنة ١٣٢٧ هـ من مصر مع الخديوى عباس حلمى باشا ، بأن ثروة بعض سكانها في وقته تبلغ نحو مليون جنيه ، لأنهم يجدون ويكدون ، ولهم نشاط غريب في بابه(٣) .

ومعنى ذلك أن في مدينة جدة من بلغ حد الثراء العظيم ، بأن صار (مَليُونيّاً) أى صاحب مليون جنيه فما فوق ، على نحو ما نسمع من ثراء أغنياء الولايات المتحدة الامريكية ، في عصر ازدهارها المستمر الى اليوم .

• • •

ومن أثرياء جدة من هم عريقون في الثراء ، كبيت زينل وبيت باناجه وبيت نصيف وبيت باعشن ، ومنهم حديثو الثراء .

هذا وان الجانب التجارى في مجتمع جدة ، قد تداول البحث في ظاهرته المؤرخون المتعاقبون ، كما أوضحناه في مكانه من هذا الكتاب .

• • •

وأما الجانب الثقافي في هذا المجتمع فقل من تناوله بالبحث أو الاشارة ومن أقدم من لمسه لمساً هيناً رفيقاً وخفيفاً في معرض بحثه عن جُدة ـ ياقوت الحموى في « معجم البلدان » ذلك انه أشار في هذه « الموسوعة » العربية

(١) محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري : الروض المعطار في أخبار الأقطار ص١٧٤ النسخة المخطوطة بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة والتى هي بالرقم ٣٦٥ كتب التاريخ.
(٢) المرحوم محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص١٤ .
(٣) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص٩ .

الضخمة ببسط ــ على ما أسلفناه ــ الى بعض علماء جُدة القدامى وترجم لسيرهم تراجم مختصرة .

والملاحظ أنه مع غلبة النزعة التجارية على أهل جُدة ، فلم يكونوا في أزمنة التاريخ الاسلامي مُعرِضين، بمعنى الكلمة ، عن الجانب الثقافي، فكان منهم العلماء والمتعلمون وقراء القرآن المعروفون حديثا باسم الفقهاء ، وكان بها الكتاتيب ، وكانت بها مكتبات خاصة ، ونبغ فيها أدباء وشعراء ، وتَدَيَّرها علماء من أنحاء العالم الاسلامي ، ودرسوا في مدارسها ، وأقرأوا القرآن في كتاتيبها .. وكان أخذ الأطفال الى الكتاب لتعليم الخط والحساب ومبادىء الفقه شيئا معتادا ، خاصة لدى الأثرياء ، وأرباب الوجاهة ، ولا يتسامح فيه أولياء الأطفال(١) . لأن في ذلك حفظا لأموالهم وحراسة لدينهم وتحسينا لسمعتهم ، بأن أبناءهم تعلموا . وفي حفلات ختم القرآن التقليدية دليل واضح على مقام التعليم الأولى لديهم .

● ● ●

وقد أسست الحكومة العثمانية بجدة ، منذ أواخر القرن الهجرى الماضى ، « مدرسة رشدية » لتعليم الأطفال تعليما حديثا منظما ، بالنسبة لما سبقه ، لما أدركت من ضرورة ذلك ، كما أسس الحاج محمد علي زينل مدرسة الفلاح بجُدة ــ في عام ١٣٢٣ هـ فنهضت بالتعليم العربي ، وكانت أول مدرسة أهلية عربية حديثة أسست بالحجاز، لرفع المستوى الثقافي في أبناء البلاد . وبذلك صارت جدة قدوة لغيرها من مدن الحجاز في هذا الشأن . ونحن مع هذا لا ننسى الدور التعليمى الذى نهضت به المدرسة الصولتية قبلها بعشرات السنين في مكة ، ولتلك جانب ولهذه جانب ، ان المدرسة الصولتية أنشئت لانعاش العلوم الدينية في مهبط الوحي الأول ، وقد أدت مهمتها في ذلك . وأما مدرسة الفلاح فالى جانب تعليمها العلوم الدينية تقوم بتعليم الخط والانشاء

(١) المرحوم محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص١٠ .

والحساب وامساك الدفاتر والهندسة والجغرافية والتاريخ لناشئة جُدة .. وهذا طراز من التعليم جديد .

وأول من فتح هذا الباب للحجاز هو محمد على زينل بدون امتراء ، وبقى الحال في جدة من الناحية التعليمية على ما كانت عليه في أواخر عهد الأتراك . فلما دخلت الحكومة السعودية الحجاز امتد رواق التعليم في البلاد تدريجياً حتى شمل نجداً والشمال والجنوب .

ويدلنا على غلبة الطابع التجارى في جدة أن بعض المتعلمين من أبنائها أصبحوا تجارا ، يشار اليهم بالبنان ، لقد استخدموا ثقافتهم في تنمية المواهب التجارية الأصيلة لديهم ، فنجحوا : « ومن يشابه أبه فما ظلم » .

● ● ●

ولجدة نظمها وتقاليدها الاجتماعية المتواضع عليها بين أبنائها خلال الزمن . ويبدو من مذكرات المرحوم صالح بن على باعشن ، أن كثيرا من تجارات جدة كانت بيد الحضارمة(١) . وان لهم تقاليدهم الموروثة في جُدة وكان لهم شأن يذكر في المجتمع الجُـدّي باعتبار أنهم من رجالاته ، وكانت الدولة العثمانية تعتبر لهم مكانتهم الاجتماعية .

وكانت لهم امتيازات عن سكان المدن الأخرى : مكة والمدينة وملحقات الحجاز ، فكانت جميع دعاواهم وتركاتهم وبيع دورهم ومشتراها عند شيخ السادة ، ولا يتعرضهم وال ولا قاض . وكان هذا الامتياز ماشياً بينهم ابتداء من أول فرمان سلطانى عام ١٢٣٧ هـ الى مدة الملك حسين ابن على سنة ١٣٤٢ هـ . ويضيف صاحب المذكرات الى ذلك ما نصه : « بعد زواله بدخول الملك عبد العزيز طلب الحضارمة تأييد امتيازهم فأعطاهم جلالته ما طلبوه ، ولكنهم اختلفوا مع بعضهم في أمر المشيخة ، فكانت اجتماعاتهم في دارنا ، وكثر بينهم القيل والقال ، ولم يتم بينهم

(١) يؤيد ذلك ما ورد في كتاب : « السفر الى بلاد العرب لجون لويس بركهارت الذى ألفه سنة ١٨٢٩م من أن كثيراً من السكان أصلهم من حضرموت واليمن ـ وكتابه هذا طبع بلندن باللغة الانكليزية سنة ١٨٢٩م.

أمر ، وتركت الامتيازات من وقتها ، وتغير في الحضارمة كل شيء فسبحان الذى يغير ولا يتغير »(١) .

وقد أوضح لنا صاحب المذكرات أن أول فرمان تحصل عليه الحضارمة الجُـدّيُّون ، كان في زمن سعيد بَغلَف ، وكان هذا الفرمان من الخاقان الغازي السلطان محمود خان(٢) .

ولاتصال أهل هذا البلد بالأجانب من طريق البحر ، نجد مجتمعهم قابلا للاقتباس ، ونراه يتقدم مجتمعات الحجاز الاخرى في ذلك بعض الأحيان . ومع ذلك فاننا نلمس في مجتمعها : « أى جدة » محافظة على التقاليد الاسلامية والوطنية والعربية . ولعل سبب ذلك هو حب الحفاظ على الشخصية ازاء التيارات الخارجية الوافدة ، وهذه المحافظة من أهل جدة على تقاليدهم الأصيلة لا تتمثل في الملبوس والمطعوم والمشروب والمسكون فحسب ، وانما تتمثل في أشياء غير ما ذكر أيضا .

وهناك ظاهرة اجتماعية لا بد من الاشارة اليها ، وهى ما اشتهر بين الحجازيين من اتفاق كلمة أهل جدة على المصلحة العامة ، مهما تختلف أغراضهم وآراؤهم الشخصية ، وقد تمثلت هذه الظاهرة تماما ، حينما دخلت أزمة الشعب الحجازى في آخر عهد الملك حسين ، أقسى أدوارها وأخطرها ، وتعرض الشعب للمخاطر الحربية .. عند ذلك اتفقت كلمة أعيان جُدة على ضرورة تنازل الملك حسين عن عرش الحجاز ، ابقاء على حياة أهل البلاد ، خاصة بعد وقعة الطائف المعروفة . كما اتفقوا على أن يتولى العرش بدلا عنه ابنه الملك علي .

وفي هذا يقول حسين نصيف :

«ولما انهزم الحسين من الهدا(٣) ، رأى أهالى جُدة ان لا فائدة من الحرب ، وأنهم ان لم يتلافوا الامر يحصل لهم ما حصل في الطائف ، فطلبوا على

(١) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٣ .
(٢) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية ص٣ .
(٣) الهدة : بتشديد الدال المهملة بعدها تاء مربوطة . هذا في اللغة الفصحى المدونة .

ابن الحسين الى جدة ، واجتمعوا به ، وعرضوا له أن الامة ، خوفا من سفك الدماء ، قررت خلع والدك الحسين وتوليتك ملكا على الحجاز فقط ، فأبى قبول ملكية الحجاز ، فدارت في ذلك مخابرة برقية بينهم وبين الشريف الحسين بن علي ، انتهت بتنازله عن الملك وتولية ابنه الشريف علي مكانه »(١) .

ويدرك المؤرخ أن تنازل الملك حسين المعروف بصلابة الرأى وقوة الشكيمة وشدة الخصومة ، فيه جانب كبير من تيسير عدم تدفق دماء اغزر في الحجاز ، كما أن فيه من جهة أخرى تسهيل مهمة استيلاء السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز ، أكثر مما لو تصلب الحسين ومضى في التصلب الى أقصى حد ، ان كان ذلك ممكنا له في تلك الظروف .

ويبدو لى أن من دلائل تماسك مجتمع جدة ، تمكنه من قبل تولية الملك عَلي ، على الحجاز ، من تأليفحزبوطني قد يكون هو أول حزب سياسى علني أ'لِفَ في تاريخ الحجاز الحديث، وكان هذا الحزب أ'لِفَ بطريقة انتخاب أعضائه الثلاثة عشر ، وهم : محمد الطويل رئيسا ، محمد طاهر الدباغ سكرتيرا ، وسليمان قابل ، وقاسم زينل ، وعبد الله رضا ، ومحمد نصيف ، ومحمد صالح نصيف ، وعلى سلامة ، وهؤلاء الأعضاء الثمانية ، هم من جُدة ، وجُلـُّهم من أعضاء « نادى الصلاة » الذى أسس في عهد الحسين ، وسيأتى الايضاح عنه في هذا الفصل .. أما الباقون فمن مكة(٢) .. فأنت ترى أن أغلبية الاعضاء هم من جدة .. ويبدو أنه لم يكن في الحزب أعضاء من غير مدينتى مكة وجدة في الحجاز، وقد يكون ذلك ناشئا عن اضطراب الاحوال وصعوبة المواصلات وافتقاد الاتصال الشخصى بين جدة وبقية مدن الحجاز النائية عنها ، كالمدينة

(١) ماضي الحجاز وحاضره : حسين نصيف ص١٢٠ .
(٢) الأعضاء من مكة هم : السيد صالح شطا وعبد الرؤوف الصبان ومحمود شلهوب والشريف شرف بن راجح والشيخ ماجد كردي .

المنورة ، أو الاكتفاء اذ ذاك بممثلى هذين البلدين المتقاربين مسافة .

وقد أعلن الحزب أهدافه ومبادئه . وكان من أهدافه حفظ البلاد من كارثة الغزو المحدقة بها ، ومن شوائب الدسائس والنفوذ الاجنبى ، والنزول على ما يرتئيه العالم الاسلامى ، لمصلحة البلاد والعباد ، وكيفية ادارة هذه البلاد الاسلامية المقدسة .

وقد بذل الحزب جهوده في تنفيذ سياسته وأهدافه ، فكتب الى سلطان نجد : « يرغب من شهامته في ايقاف الجيوش عند آخر دقطة وصلت اليها ، والموافقة على ارسال مندوبى الحزب ، للمفاوضة معه ، فيما يجب ، لحفظ الأرواح والأموال وتأمين البلاد » .

وقد وعدهم السكرتير الخصوصى لسلطان نجد ، باعطائهم الامان ، اذا خرج الملك حسين وأولاده من البلاد(١) .

وكان من نتائج جهود الحزب السياسية أن قبل الحسين ، بعد لأى ، التنازل عن العرش ، والخروج من مكة ، فقد خرج منها يوم الخميس الموافق ١٠ ربيع الأول ١٣٤٣هـ وأقام بِجُدَّةَ أياماً ، ثم توجه على الباخرة « الرقمتين » يوم الاثنين الموافق ١٤ ربيع الاول ١٣٤٣ هـ .

وتابع الحزب جهوده السياسية ، بعد زحف سلطان نجد عبد العزيز آل سعود ، من الطائف ، صوب مكة ، فبعث ببرقيات الى مختلف الجهات في العالم الاسلامى ، وجاءته الردود المناسبة ، كما تبودلت الكتب بين قناصل الدول والقوات النجدية بمكة والطائف ، ولا بد أن ذلك كان بمساعى الحزب .

ولم يكتف الحزب بذلك ، فقرر النزول الى صعيد العمل السياسى المباشر ، وذلك بارسال وفد الى مكة بعد أن استولى عليها السلطان عبد العزيز ، ودارت مكاتبات في هذا الصدد بين الحزب والشريف خالد

(١) حسين نصيف : ماضى الحجاز وحاضره من ص١٣٢ الى ص١٤٤ .

ابن منصور بن لؤى بمكة فعرض عليهم خالد ثلاثة شروط للتأمين . وانحل الحزب بعد عودة وفده من مكة الى جـدة ، بيوم السبت الموافق ٢٦ ربيع الأول ١٣٤٣(١).

ويبدو لنا ان انحلال الحزب كان بسبب ما مُنِيَ به من اخفاق في سياسته الرامية الى ابقاء بعض ما كان على ما كان .

هذا وقد أتينا بهذه النبذة في معرض الشؤون الاجتماعية ، لندلل بها على مدى تماسك مجتمع هذا البلد ، مما هيأ له اقتحام ميدان الحقل السياسي ، نتيجة للوعي المتفتح لديه ، خاصـة ابان المخـاطر المحدقة بالبلاد يومئذ .

واذا تتبعنا الحوادث قَصَصاً ، فاننا نجد طابع التماسك هذا ماثلا، في هذا المجتمع ، منذ زمن سابق .

ومن دلائل هذا التماسك الاجتماعي ما أورده لنا أمين الريحاني عن تأسيس «ناد» عرف بنادى الصلاة في جدة، أيام حكم الملك حسين بن علي.

يقول أمين الريحاني : « ان عدد أعضاء هذا النادى سبعة ، من أعيان جدة ، وكان النادى يعنى برياضة الجسم ، في حمل كرة ثقيلة من حديد ورميها ، وبرياضة الفـكر بالمذاكرة ، وبرياضة العقـل في مطارحات الشعر والأدب والتاريخ»(٢) .

وحدثنا الريحـاني بأسماء أعضـائه ، ويصف كلا منهم بما يراه منسجماً مع شخصيته .

وأول الأعضاء : الشيخ الأكبر الحاج زينل علي رضا الذى يحترمه التجار في الحجاز وفي بومباى ، ويعرفه ويحبـه كل الأولاد في جـدة ، لاختصاصه لهم في عيد رمضان بقسم من كسبه في تجارته .

(١) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره من ص١٥٦ الى ص١٦٤ .
(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب ، الجزء الأول ص٥٠ و٥١ مطبعة صادر الريحاني بيروت سنة١٩٥١م.

وثانيهم : أخوه الحاج عبد الله ، محافظ جدة ، وهو حكيم الحلقة الأكبر ، وصاحب فكرة توازن العقل والروح والجسد ، وهو رجل عدل بر ، ومن أهم أعماله المدرسة العمومية التى أنشئت بجدة(١) .

ولنا أن نعقب على هذا القول بأن المعروف هو أن المدرسة العمومية التى يقصدها هي مدرسة الفلاح ، وهي من انشاء الحاج محمد على زينل لا الحاج عبد الله زينل .

وثالث الأعضاء : الشيخ محمد نصيف ، أديب جدة الأكبر ، وأمير الكتب فيها . ومكتبته حافلة بالقديم والحديث ، وهو كريم في انتفاع رواد المعرفة بما في كنوزها ، مجاناً ، لوجه الله . وهو دائرة معارف ناطقة ، يجيب على السؤالات التى توجه اليه ، ويهدى الى مصادر الثقة في العلوم الأدبية والتاريخية والفقهية .

ورابع الأعضاء : الشيخ سليمان قابل رئيس بلدية جدة .

وخامسهم : الشيخ عبد القادر قابل ..

ويصف الريحاني هذين العضوين ، بأنهما أنيقان ، آخذان من الحضارة والدين بنصيب وافر .

وسادس الأعضاء : هو الشيخ محمد الطويل ، أصغر الأعضاء قدا ، وآنقهم كساءا ، وألطفهم مبسماً ، وأقدرهم على عد الأموال وتصريفها. وكان ناظر الجمارك في القطر الحجازي يومها ، وكان عليه أن يدفع الكبيرة والصغيرة ، فاذا أراد جلالة الملك حسين أن ينعم على أحد بمائة روبية ، يحيله على الطويل ، واذا شاء شراء باخرة أو سرب من الطيارات ، فالدفع على الطويل .

---

(١) ملوك العرب ص١٥ من الجزء الأول .

ويقول أمين الريحاني : انه لا يوجد اختصاصى أوروبي يفوق الشيخ محمد الطويل ، في علمى الادارة والاقتصاد ، ولا يفوقه يقينا في النزاهة والاخلاص .

وسابع الأعضاء : هو الملا حسين الشيرازي، العالم بأسرار الميكانيكيات والتصوف . وكان يجيد الفارسية كما يجيدها الحاج زينل رضا(١) .

• • •

وقد سألت الشيخ محمد نصيف عن نادى الصلاة هذا ، لما نعلم في أسلوب الريحاني من التطرف والتندر ، وطلبت منه التعليق على ما كتبه الريحاني ، وكان سؤالي له في أصيل يوم ٢٤ شعبان ١٣٨١هـ بفناء منزله في محلة اليمن ، فقال لى ما نصه :

« ان نادى الصلاة ، ناد خَلَوِي ، موقعه أمام الثكنة العسكرية التى تواجه الآن بحر الطين ، على ربوة هناك ، يجتمع عليها أعيان جدة ، وكنت أحدهم ، من قبل صلاة المغرب الى ما بعد غروب الشمس وبه يصلون المغرب ، ومن هنا جاءته التسمية المذكورة ، ويتبادلون الأحاديث في مختلف الشؤون السياسية والتجارية والأدبية والدينية . وكل أعضائه شيوخ . ويقوم قريباً من هذا النادى على ربوة أخرى ناد آخر للشبان ، يجتمعون فيه للمذاكرة والحديث ، في شتى شؤون الفكر والأدب ، وما يروق لهم ، وكنا نحن الشيوخَ ، نجتمع في نادينا ، وكان أمين الريحاني ، يأتى الينا بعض الأحيان ، فاذا حان وقت صلاة المغرب ، تنحى عنا قليلا لأنه لم يكن مسلماً » .

هذا ما حدثنى به الشيخ محمد نصيف رحمه الله ، تعليقاً على ما رواه الريحاني ، وتعديلا له ، وهذا الحديث يفيدنا بأنه كان في جدة اذ ذاك ناديان ، لا ناد واحد ، كما يروى الريحاني .. أحدهما نادى الصلاة

(١) أمين الريحاني : ملوك العرب ص٥٢ ج١ .

الذى أشاد به ، وثانيهما نادى الشبان[1] ، بجواره الذى لم يذكره ، ولا بد أن نادى الشبان كان أوسع رحاباً وأكثر انطلاقاً في شؤون الفكر والسياسة والأدب والمجتمع .

وكل هذا يدلنا على تفتح وعي أهل هذا البلد ، واستعدادهم لاستيعاب مطالب الحضارة الحديثة وصحوتهم لهذا ، في أول من صحا وتنبه ، من أهل البلاد ، وكان ذلك منهم برغم ما هو معروف من نفور الملك حسين من هذه الأمور وتزمته ، لأسباب كان يعتقد أنها من مصلحة البلاد .

• • •

ومجتمع جدة كسائر مجتمعات الحجاز مشغوف بالأسمار والمنتزهات والأغاني والموسيقى والألعاب الرياضية والفكرية والمرح ، تنفيساً للهموم والغموم ، التى تَـرِينُ على النفوس فَـتَـصْـدِؤُها .

والمجتمع التجاري ، تجده أغلب الأحيان ، مفكراً هادئاً ، دمث الأخلاق ، صبواً حذوراً كتوماً ، حُوَّلا . يحل مشكلاته الخاصة والعامة بطريق المعالجة والمسايرة والاقناع والاقتناع ..

ويبدو لنا أن مجتمع جُدة مُتَحَلٍّ بهذه الصفات ، في أغلب أبنائه . فليس هنا صخب ولا ضجة ، كل الأمور تسير بهدوء .. كبيرها وصغيرها . ومن الحذر رسم الخطط السرية لما يراد تنفيذه والنجاح فيه .

والمجتمع التجاري من هذه الناحية قريب من المجتمع الزراعي . ومن هنا قد يكون تشابه أوضاع المدَنيين : « أبناء المدينة المنورة » والجـِديين : « أبناء جُدة » وتقارب سماتهم وطباعهم .

(١) نادى الشبان يتالف من كل من حمزة شحاته ومحمود عارف ومحمد عبد الله رضا . وأحمد قنديل ومحمد حسن عواد وصالح اسلام وعمر نصيف وعبد العزيز جميل ومحمد علي مغربي ويونس سلامة وعبد الوهاب نشار ويوسف عوض . عن (محمود عارف) .

هذا وقد جاء في مرآة الحرمين : أن جميع الأهالى ، مغرمون بشرب التبغ والتنباك والشاي والقهوة ، وبها كثير من الصبار يوضع على قبور الموتى ، استرحاماً للموتى(١) .

فأما اغرامهم بشرب التبغ والتنباك ، فلا يزال منه شيء كثير باقياً الى الآن ، وقد دخل عليهم شرب «الجراك» وهو مزيج من فواكه وأزاهير يؤتى به في علب الصفيح من بلاد الهند ، ويشرب في الكركرة على النحو الذى يشرب به التبغ فيها . وأما وضع الصبار على قبور الموتى فلا نرى له أثراً الآن . وأما شربهم للشاي والقهوة فلا يزال على حاله من الكثرة في المجالس الخاصة والعامة على السواء .

وعلى كل فالكيان الاجتماعي ، كثيراً ما يتأثر بالوضع السياسى والاداري والاقتصادي ، والعمراني ، ولهذا نرى أن هذا المجتمع قد طرأت عليه تطورات وتغيرات شتى ، في سماته وحياته الاجتماعية ، نتيجة عدة أمور :

أولها : قيام الحكومة السعودية الذى بدل من الأوضاع الاجتماعية لا بالنسبة لجدة وحدها ، وانما بالنسبة لربط معظم أنحاء شبه جزيرة العرب برباط دولة واحدة مما أعاد الشعور للجميع أو للأغلب على الأقل بأنهم « أمة واحدة » مزقتها ـ فيما سبق ـ عوامل السياسة المفرقة ، وعادت اليها وحدتها الآن . كما أنها قد أحيت كثيراً من تعاليم الدين الصحيح فزال على أثر ذلك كثير من الخرافات المترسبة والأوضاع التقليدية القديمة .

والأمر الثاني : يتمثل في كل من : دخول العين العزيزية التى طورت مجتمع جدة ، ودخول الكهرباء العمومية اليها ، وقد ساعدت هذه على ادخال ركن عظيم من هذا التطور الاجتماعي ، وهدم السور الذى

(١) ابراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ج١ ص٢٣ .

كان يخنق جدة ، ويمنع عنها الهواء والنسيم العذب اللطيف . وكان هدمه بسنة ١٣٦٧هـ كما حدثنا به التاريخ القريب(١) .

والأمر الثالث : تطور أسباب المواصلات في داخل البلد وخارجه ، وانتقالها من الجمل والحمار والبغل ، الى السيارة والطيارة .. وقد أدى هذا التطور ، في أسباب النقل والانتقال ، الى المساعدة الفعالة في سرعة تطور المجتمع الجِـدّي ، وتفاعله مع الحيـاة الحديثـة بصـورة أعمق وأشمل .

ان السيارات بجدة الآن تبـلغ نحـو « ١٣٠٠٠ » سـيارة ما بين خصوصية ، وسيارة أجرة ، وما بين صغيرة ، ومتوسطة ، وكبيرة ،وهي تجوب شوارع جدة ليل نهار . وجدة بها ــ اليوم ــ مثل « خلية النحل » صباح مساء(٢) . ومما لا ريب فيه أن تكاثر السيارات بهذا الشكل ، وجعلها الوسيلة الوحيدة للانتقال والنقل ، واهمال أسباب المواصلات القديمة .. البطيئة جملة وتفصيلا ــ يعـود الى نعمة توافـر النفط بالبـلاد . ومما لا ريب فيـه أن ذلك له أثر بارز وقوي على تطـور الكيان الاجتماعي والنفسي في هذا البلد الذى أقبل دفعة واحدة على استخدام هذا اللون الحديث من المواصلات ، وهجر دفعة واحدة وسائل مواصلاته القديمة البطيئة . وللمؤرخ أن يَرجِعَ جذور هذا التطور بالمواصلات الى ما قبل ثلاثين عاماً ، وأن يعزو البدء العملى الشامل فيه الى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

---

(١) محيى الدين رضا : صور ومشاهدات في الحجاز ص٨٢ .

(٢) ورد في تقرير نشره ـ بجريدة البلاد ـ الدكتور عبد الرحمن مخلوف ، في العدد الصادر في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ ـ نوفمبر ١٩٦٢ م ـ احصاء لعدد السيارات المارة بشارع الملك عبد العزيز ، في ظرف اثنتى عشرة ساعة وربع ، المبتدئة من الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة عشرة صباحاً بالتوقيت العربي ، والمنتهية مساء في الساعة الواحدة والثلاثين دقيقة ، بعد المغرب ، وقد تبين من ذلك الاحصاء أن مجموع السيارات المارة في ذلك الشارع اذ ذاك ، هو (٤٥٧٠) سيارة .

العادات والتقاليد

في مدينة جُدَّة



يشمل هذا البحث ما يدعى في اللغة التونسية العربية ب «المألوف» وفي اللغات الأجنبية التى استعملناها رغماً عن أنوفنا ب «الفولكلور»(١) الذى هو مجموع العادات والتقاليد والملاهي ، وما الى ذلك مما كان في البلد ، وزال كثير منه ، وبقى ثابتاً على أرض صلبة ، وبعضه في طريقه الى الزوال .

ويدخل في نطاق هذا الفصل بعض عادات أهل البلد الاجتماعية ، وعادات الزواج والأفراح الأخرى والاتراح والملاهي والزي والزينة والغناء والموسيقى .

١ ـ عادات اجتماعية

كان من عادات أهل جدة اكرام الضيف .. وكفايته مؤونة الطعام والشراب مدة سكناه عند مُضِيفِه . والصغير منهم يوقر الكبير ولا يلعب أمامه . والأقران في العمر هم الذين ـ عادة يتجالسون ويتسامرون ويتحادثون ، ولكبار السن مجلسهم الخاص بهم ، وللصغار مجلسهم الخاص بهم . وليست هذه العادة بالذات مقصورة على جُدة فهي شاملة لجُدة والمدينة ومكة ..

ومن العادات ، السمر ، في البيوت ، أو في المقاهي ، أو على سِيف البحر ، أو الخلاء ، ويمضون أسمارهم اما في أحاديث وقصص ، أو في مزاولة لعبة من اللعب الجسمية كالمزمار ، أو الفكرية كالورق والشطرنج وما أشبه . وهذه العادات أيضاً سائدة في مدن سعودية أخرى غير جُدة كما هو معلوم وملموس .

وكان من عادة الأكابر والأفاضل والعلماء في جدة أن يحملوا في أيديهم « عصيا » طويلة يتوكؤون عليها . وكانت هذه العصى تسمى لديهم « عِصِيّ اللّوز » . وكانت ترد من جهة مصر ، وجبال الحجاز ،

---

(١) عربت تونس صيغة « الفولكلور » هذه بكلمة عربية مناسبة هي « المألوف » وحبذا لو عمم استعمال هذه الصيغة العربية الأصيلة بدلا من هذه الكلمة الثقيلة الدخيلة : « الفولكلور » .

وبأعلى الطائف . وقد تركت هذه العصيُّ بعدئذ ، واستعمل القوم بدلا منها ما يدعى بالباسطون(١) وهو عَصاً مختلفة الحجوم مصنوعة من الخارج بدقة وملاسة في بَشَرَتِها ولها لمعان وهي من المعدن .

ومن عاداتهم ، الرغبة في عتق العبيد ، طلباً للثواب من عند الله سبحانه وتعالى – بتحرير رقاب مؤمنة . وقد أعتق علي باعشن والد محمد صالح باعشن عشرة عبيد ، في يوم واحد هو يوم ١٠ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ . ولم يكتف بتحريرهم بل أعطاهم نقوداً ليستعينوا بها على الحياة(٢) .

وكان الناس ذوى حشمة وحياء يستحيون من دخول المسالك غير المشروعة وغير المحمودة العواقب .. أكابرهم وأصاغرهم . وكانت ملابسهم معينة محددة لا يتعدونها . فلا يلبس متوسط الناس لباس أكابرهم ، وأصاغرهم لا يستعملون لباس الأواسط، وكانوا يستعمنون كسوة للأعياد واحدة ، يحتفظون بها أكثر من عشرين عاماً ، وكان للحضارمة زي خاص لا يغيرونه(٣) .

وكانوا ذوى مروءة وفضل . وكثير من الأغنياء كانت شيمتهم التسامح في حقوقهم خاصة مع ذوي قرباهم الفقراء ، يتركون لهم بعض ما تحت أيديهم من الأموال ، ليعيشوا بها ، ولا ينازعهم في ذلك ورثة صاحب المال . وقد روى لنا محمد صالح بن علي باعشن أن والده علي باعشن ذكر بوصيته ، المال والنخل والعقار ، الذى ورثه من أبيه ، والذى اشتراه من ماله ، بموجب حجج شرعية محفوظة تحت يد صاحب المذكرات . وقال والده في وصيته : ان المال والعقار والنخيل يبقى تحت يد أبناء أخيه الى أن يصلهم ورثته .. وعقب محمد صالح باعشن على

---

(١) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٢٧ و٢٩ و٣١ .
(٢) نفس المصدر ص٢٩ .
(٣) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٢٢ .

هذا في مذكراته قائلا : « فما وصلهم أحد من الورثة حتى الآن ـ أي من تاريخ كتابة الوصية في ١٠ ذي القعـدة ١٢٩٦ هـ الى عام ١٣٥٩ هـ وذلك عبارة عن ٥٣ سنة ـ فنسـأل الله أن يغنينا من واسـع فضـله وكرمه »(١) .

ومن عاداتهم حب العمل وعدم الاتكال على الغير . فتراهم يتعاطون البيع والشراء والتجارة ويُنَمُّونَ أموالهم ويستثمرونها ، حتى تتأثل. واذا أصابت بعضهم جائحة من الزمان يحاول بكل جد وصبر ودهاء أن يخفي ذلك عن أعين الناس حتى تزول الكارثة عنه ، واذا عرف أهـل البلد ما حل به ، تراهم يسـارعون الى مؤازرته باقراضـه واعطـائه بضائع بأثمان رخيصة ، حتى يستطيع أن يبيعها بسهولة ، وأن يستعيد مكانته فيما بعد ، مستوراً مجبور الخاطر(٢) .

٢ ـ الزواج

وكان وما زال للزواج رنين في كافة مدن الحجاز ، بما فيها جدة ، وكانت له ولا تزال تقاليد مرعية تتماثل تقريباً في مكة والمدينة وجدة والطائف وينبع . ويعتبر الزواج من أهم مظاهر المجتمع ، فعليه تنبني حياة الأسر وتكوينها ، ومختلف المصالح ، وهو يربط الوشائج البعيدة برباط وثيق ، حتى ان أغلب أهل البلد الواحد في الحجاز تراهم متصلين ببعض بوساطة عامل الصهر الذى يسمونه « الرحم » .

ومن عادات الزواج في جُدة أن الرجل اذا رغب في أن يتزوج من أسرته أو من أسرة أخرى أو يزوج ابناً له أو قريباً ، تتصل النساء أول

(١) نفس المصدر ص٢٠ .
(٢) نفس المصدر ص٢١ .

الأمر ببعض ، للاستطلاع ومعرفة مدى جمال الفتاة المطلوب يدها وحسن أخلاقها وخفة دمها ، وما الى ذلك ، فاذا وجدن كل شيء مناسباً ، ووجدن رائحة قبول الطلب ، فعندئذ يتقدم الرجال الى بعض ، فيتم الاتفاق بين ولي أمر الخاطب ، وولي أمر المخطوبة على الزواج ومقدار الصَّداق ، وتعين ليلة عقد القران « الملكَة » ـ بكسر الميم وسكون اللام بعدها كاف مفتوحة فتاء مربوطة ـ ويستعد الخاطب أو أهله بالحلوى أو قوالب سكر النبات . وتدعو الأسرتان الأقارب والأصدقاء من رجال ونساء ، الى حضورهم ليلة عقد القران في منزل أهل المخطوبة أو العريس حسب الاتفاق ، ويحضر الجمع لابسين أبهى الحلل ، ويجلسون اما في أحد أبهاء المنزل ، أو بفنائه المفروش : « حوشه » . وتجلس النساء في مكان آخر مفروش ، ويحضر الشاي والقهوة والمرطبات ، ثم يحضر المأذون الشرعي «المْملِك» ـ بضم الميم الأولى وسكون الثانية ، بعدها لام مكسورة فكاف ـ ويجلس بجانب الخاطب ويلقى خطبة النكاح بصوت جهوري حسن ، ثم يمسك بيد الخاطب ، ويقول على مسمع من الحاضرين : زوجتك «فلانة بنت فلان» على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجيبه الخاطب : قبلت نكاحها لنفسى . وتوزع الحلوى ، ثم يدعو المحتفلون مبدئياً بالسعادة والهناء للعروسين ويباركون لهما ولذويهما ، ثم ينزل أهل العروسين اذا كان الاحتفال أقيم في طبقة عالية من الدار ، ويقفون مصطفين أمام البيت ، ويهنؤهم الحاضرون ، وعندئذ تزغرد النساء في مكانهن من البيت ، ثم ينفض السامر .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه لا بد أن يكون في الحفل قارىء للقرآن يقرأ عشراً ، ومنشد يلقى أبياتاً مناسبة بصوت جميل مرتفع ، وكلما انتهى من بضعة أبيات تزغرد النساء ، مبالغة في اظهارهن الابتهاج ، وقد يتكلف أو يورد اسم الخاطب ولقبه في نفس الأبيات . وتلقى

الكسوة على كل من المأذون والقارىء والمنشد تكريماً لهم ، وكانت هناك عادة زالت ، تتمثل في أنه اذا كان حاكم البلدة « التركي » حضر حفل القِران عند بعض أعيان جُدة ، يدعو المأذون والعاقد للسلطان .

أما السمر فقد يبقى الى هزيع من الليل ، ولا يمكث فيه عندئذ سوى الأصدقاء الأدنين والاقارب ، حيث يتمتعون بأكلة العتمة « التعتيمة » . ويكون فيها الحلوى والمرطبات والمربيات والجبن والزيتون والمعمول والغُرَيِّبة . « بضم الغين وفتح الراء بعدها ياء مشددة مكسورة فباء موحدة فتاء مربوطة » .

وكان الناس في العهد الماضي يذهبون الى بيت العروس في « زفة » من حُمَّال ومصابيح متوهجة مع مهر العروس ولوازم الزوجية ، وقد انتهى هذا التقليد تقريباً .

ويتفق أهل الزوجين على ليلة معينة للدخول : « الدخلة » وتخاط الثياب والفساتين بعناية . وفي ليلة الدخول « الزفاف » يحضر الرجال والنساء الى بيت العرس ، مرتدين ومرتديات أزهى الملابس ، والنساء أغلى الجواهر والمصوغات ، ويكون الرجال في محل ، والنساء في محل آخر ، بحيث لا يرى أحدهم الآخر ، وتسبق ليلةَ الزفاف ، ليلةُ الحنَّاء ، فقد كان الناس في جُدة يُحَنِّون الزوجين معاً : الزوجة بحناء ثابتة والزوج بحناء رمزية عابرة ، ولا يبقى لها أي أثر في الصباح ، وتقف المغنيات على رأسه ، ويغنين بأصوات مشجية وتُشَرِّعُ[1] — « بضم التاء وفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة ، بعدها عين مهملة » — العروس على كرسي، يدعى «الريكة» : أريكة . وبجانبها قريباً ، الماشطة «المُقَيِّنَةُ» ويأتي العريس ويجلس أمام عروسه ، ويُكشَفُ له عن وجهها ،

---

(١) معنى التشريع هنا هو الباس العروس الجواهر والحلى والثياب الجميلة الثقيلة . والتخشيشة ويوضع على رأسها تاج مرصع ثقيل وفي عنقها قلادة من الورد والتفاح . وفي اللغة ان معنى التشريع هو ايراد الابل شريعة لا يتكلف الراعى معها الى نزع ماء ولا سقي بالحوض لأن الماء في متناول أفواه الابل وهو جار بين يديها . فلعل التشريع العرفي مقتبس من هذا المعنى في الأصل .

ويُلصقُ على وجهها بعض قطع النقود الذهبية الخفيفة ، كالغوازى والمشاخص والمحموديات « نسبة الى السلطان محمود » وهي من الذهب الخالص ، ويكون وجهها مدهوناً بدهن اللوز ، ليسهل الصاق قطع النقود به ، وتسترضى الماشطة عن « اللّصُوق » لأنه من حقها .

وقد وفدت عادة التشريع هذه وملحقاتها من الهند .

هذا وان العروس كانت تكتحل ليلة الزفاف ، فاذا قرب رحيل الليل كان عندئذ الزفافُ بين مظاهر البهجة وقرع الطبول وزغردات النساء . أما الآن فمع بقاء بعض العادات السالف ذكرها ، فان العروس تزف في فستان(١) خفيف غالى الثمن جداً ، تقليداً لما درج عليه الناس في الخارج الآن .

وقد حدد لنا محمد صالح باعشن مقدار المهر الذى دفعه في زواجه في منتصف شعبان ١٣٠٥هـ بأنه كان « ٥٠٠ » ريال وجارية ومفرشة وكان مصرف الزواج ٥٠٠ ريال أيضاً . وجميع ذلك ألف ريال ، وهي عبارة عن مائتي جنيه ، اذ كان صرف الجنيه وقتئذ خمسة ريالات»(٢) .

أما الآن فان المهر من ثلاثة آلاف ريال للطبقة الوسطى فما فوق ، للعالية . واذا نظرنا الى قيمة الجنيه الذهبي وقتئذ بالريالات ، وهي خمسة ريالات ، وقيمته الآن ، وجدنا الأمر في المهر متقارباً بين ما كان وما صار ، كما أن تقديم الجارية قد أُلغِيَ ..وأبدلتالجارية باحضار الثلاجة والراديو والمسجل وغيرها من الضروريات والكماليات .

وعلى حديث الزواج ، أقول : ان أكثر الحجازيين ، كانوا وما زالوا يقتصرون على الزوج الواحدة . وبعض أهل اليسار والجاه يتزوجون باثنتين وما فوق وأقصى ذلك أربع زوجات وهو أمر من الندرة بمكان حتى في قديم الزمان .

(١) الفستان كلمة أجنبية دخلت عامية كثير من بلاد العرب وهو ثوب خاص بالنساء .
(٢) مذكراته الخطية ص١١ .

ومن العادات المتبعة حتى اليوم أنه لا يؤذن للزوج أن يرى مخطوبته قبل الدخول بها . انه يكتفى بوصف الخاطبة والقريبات . والشَّبكَة' التى يتخذها الأفرنج من المتزوجين والمتزوجات وهي « خاتم الزواج » لم تكن معروفة في جُدة لأنها تقليد مسيحي ، وقد دخلت في بعض أوساط الشباب تقليداً للغرب . وكان بعض الأثرياء والسراة يتسرون بالحبشيات بالاضافة الى أزواجهم ، وذلك بسبب عدم انجاب أبناء ذكور للزوج من زوجته ، فقد تكون عقيماً ولا يريد أن يتزوج عليها . وعادة التسرى كانت في مصر الى عهد قريب ، وقد أدركها أحمد أمين ، وكتب عنها فصلا مسهباً في كتابه : «العادات والتقاليد ، والتعابير المصرية(١) على أن بعض هذه التقاليد وافد من الهند لا محالة ، نظراً للاتصال التجاري والديني الطويل المدى ، بين الهند والحجاز ، عن طريق توريد بضائع تلك دواماً ، على السفن التجارية ، كما أنه لا بد أن بعض هذه التقاليد مغربي المنشأ ، وبعضها تركي ، وبعضها مصري ، سببه التمازج بين أهل الحجاز وكل من هؤلاء بصفة مستديمة ، طيلة قرون عديدة من الزمن .

٣ ـ الاحتفال بختم القرآن

الاحتفال بختم القرآن عادة موروثة في جُدة ، اذا ختمه الطفل . وكان يحضر هذا الاحتفال جمهور من الأهلين في بيت من حَظِيَ بختم القرآن المجيد ، سواء أكان طفلا أم طفلة ، ويحضر معهم شيخه أو شيختها اللذان حفظاهما كتاب الله تعالى ، وأصدقاء وصديقات الجانبين .

ومن تقاليد هذا الاحتفال أن يعرض به « لوح » هندي مزخرف منقوش بالألوان من خشب هندي مدهون ، كتبت فيه بخط جميل كبير ،

(١) ص٢١٢ طبع مصر .

بعض آيات الذكر الحكيم . ويقرأ الطفل أو الطفلة في الحفل ما تيسر من كلام الله جل جلاله ، ليستمع الحاضرون الى قراءتهما ، فاذا أتما القراءة بادر المحتفلون الى القاء النقود الفضية على اللوح المعروض . والحاصل من ذلك يعود بطبيعة الحال الىشيخ التلميذ أو شيخة التلميذة. ويكثر الحاصل أو يقل بحسب يسر أو عسر ذوى الطفل أو الطفلة ، وأهلهما وأقاربهما وأصدقائهما الذين يحضرون الاحتفال .

ويحدثنا الشيخ محمد بن حسين نصيف بهذه المناسبة أن والده كان ختم القرآن على يد الشيخ محمد علي جميل ، وقد ألقى المحتفلون بختمه ، على اللوح المعروض عليهم « ألفي » ريال ، صارت كلها من نصيب محمد علي جميل ، وانه قد اشترى من ذلكالمبلغ الضخمبالنسبة لزمانه داراً . فقد كانت قوة الشراء في النقود اذ ذاك كبيرة . وكانوا يُحَضّرون في حفل الختم من ينشد لهم بأصوات مشجية وألحان عذبة ، قصائد مناسبة في التهنئة بهذا النجاح الميمون .

وكان من المنشدين في هذه الاحتفالات ، الشيخ محمد القمرى «بضم القاف وسكون الميم بعدها راء مكسورة فياء النسب » ـ وأبناء هذا الشيخ منهم مؤذنون اليوم .

فاذا انتهت هذه المراسم المعتادة قدمتالى الحاضرين، موائد الأفطار. فقد كانت هذه الحفلات لا تقام الا في وقت الصباح .. فيطعم الناس ويشربون ، ويتناولون من الحلوى وينصرفون مثنين .

٤ ـ حفلة الختان

هذه حفلة أخرى تقليدية ، وكانت تقام عند ختان الطفل ، فأهل البيت الذين يزمعون القيام بختان ابنهم ، يركبونه « حصاناً » مزيناً بأبهى زينة في لجامه وسرجه ، وما الى ذلك ، ويدورون به في البلد .

وهو مُرتَد أحسن لباس وأجمله . والحصان مزين بسرج فضى ولجام فضى ، ويكون أمام الحصان آلة الحلاق الذى يقوم بعملية ختان الطفل ، ويسير هذا الموكب ماراً بمحلات البلد ، محلة بعد محلة ، والأطفال من حوله يتسابقون مبتهجين .

وفي اليوم التالى تجرى عملية « التطهير » في بيت الطفل ، ويكون يومئذ اما في العام الخامس أو السادس . يجريها له « الحلاق » بعدته البلدية ، وبعد نجاح العملية تقدم موائد الافطار ، ويطعم الحاضرون. ويعطى «المطهر» دراهم مناسبة و «شاورات» ومحارم(١) ويمكث الطفل في دار أهله لا يخرج منها ، ويتردد عليه الحلاق ، ليعالجه ، وليضع المراهم والغيارات اللازمة له حتى يبرأ الجرح ، ومن ثم يخرج الطفل الى حيث يشاء .

٥ ـ حفلتا الحج والمدينة

كانت هناك حفلتان تقليديتان أخريان ، تقامان في هذا البلد . ولهما دوي وشهرة مستفيضة ، ألا وهما حفلة القدوم من الحج ، وحفلة القدوم من زيارة المدينة المنورة ، وكانوا يسمون القادم من حجه للمرة الأولى : « صرارة » ـ بفتح الصاد المهملة ، وهي صيغة عربية فصيحة وردت في مراجع اللغة ، ومثلها صيغة « صرورة » بصاد مهملة مفتوحة، وراء مضمومة بعدها واو فواو مفتوحة فهاء تأنيث » . قال النابغة الذبياني(٢) :

لو أنهـا عرضت لِأَشمَطَ راهب	عبـد الاله « صرورة » متعبـد
لرنا لرؤيتهـا وحسن حديثهـا	ولخـاله رشداً وان لم يرشـد

وكانت طريقة الاحتفال بالصرورة أو الصرارة ، أن يركب الحاج

(١) نوع من اللباس .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص٦٩ مطبعة السعادة بمصر .

الصرورة على ناقـة أو فرس أصيلين مزينين ، ويدار به في البـلد في موكب ، وترمي عليه النساء من النوافذ والشبابيك والأسطحة ـ «ملبس القمح» بالسُكَّر ، ويسمى «قليلة»(١) ـ بفتح القاف بعدها لام مكسورة فياء مشدودة فتاء مربوطة ـ فاذا انتهوا من هذا الجـولان التقليـدي بالموكب وصاحبه ، أقيم له الاحتفـال في منزل أهـله ، ومن قبلهم ، ويدعون الأصدقاء والأقرباء والمعارف .

أما القادم من زيارة المدينة المنورة فيركب حصاناً أو ناقة أيضـاً ، وهذا للأطفال تفريحاً لهم ، وترمى النساء من الرواشين، القَلِيَّةَ أو الحمص ، ويدعى الأصحاب والجـيران الى الافطار ، ويكـون عادة من «الزلابية» وهي خبز رقيق مقليٌ بالسمن البرّيّ ، ومعه محلول السكر يغمس فيه كادام .

٦ ـ الزي والزينة

كان الزي في جدة كما كان في المدينة ومكة تماماً . ويعود ذلك الى وحدة البيئة والتقاليد العامة بهذا القطر ، خاصة بين أهل مدنه الثلاث الكبيرة المذكورة الذين تربطهم ببعضـهم روابط عـديدة ، منها النسب والصهر والمصالح المشتركة ، والحيـاة الواحـدة ، عـلاوة على الدين الواحد ، واللغة الواحدة، والأقليم الواحد، بعد أن ينصهر أفراده فيه.

وكان الناس في جدة يرتدون اللباس الأحمر والأصفر والاخضر الخ .. ولا يرون في ذلك غضاضة أو مخالفة للذوق ، حتى بالنسبة للـكبار مثل ما نراه اليوم ، ولكل عصر تقاليده في زيه .. وميوله في هذا الأمر، لا ينبغي أن نربطها بعجلة عصر آخر ايجاباً أو سلباً .

وقد روى محمد لبيب البتنوني أنه : « رأى أهل جـدة يميلون الى

---

(١) هي القمح مع السكر أو الحمص مع السكر بشكل ملبس .

اللباس الأحمر ، ولا فرق في ذلك بين كبيرهم وصغيرهم . وربما كان ذلك من تأثير الوسط الذى يعيشون فيه ، فتراهم يشدون على وسطهم حزاماً أحمر ، ويضعون على رأسهم شالا من لونه . وكثيراً ما نرى صبيانهم يلبسون جلابيب بيضاً ، وعليها صدرية حمراء ، حتى الطبقة العالية منهم يكثر في لباسهم اللون الوردي أو ما يقرب منه »(١) .

فاذا تذكرنا أن محمد لبيب البتنوني قدم جدة في موسم حج عام ١٣٢٧هـ علمنا عندئذ الوقت الذى كان فيه الزي الأحمر سائداً في مدينة جدة .

وينبغي أن نعود الى قوله : « وربما كان ذلك من تأثير الوسط الذى يعيشون فيه » فقد سبق منه في نفس الصفحة من الكتاب أن وصف لنا ساحل جدة بأنه شعاب صخرية يتخللها شعب مرجانية حمراء وسوداء : « اليسر » . ووصف النبات الذى يعلو سطح مياه ساحل جدة بأن لونه أحمر قاتم ، وقال : انه يشاهد لون سنجابي قبل شروق الشمس فيما يلي الشاطيء من مياه البحر ، عند انحسار كتلة المياه عنه ، وقت الجَزرِ الذىيحصل فيه يومياً ، حتى يترآى لك الشِّعْب — بكسر الشين وسكون العين — على طول الشاطيء ضارباً في البحر بلونه الأحمر الذى يتشرب بالزرقة شيئاً فشيئا حتى يتصل بكتلة الماء الكبرى »(٢) .

وهكذا نرى أن الوسط الذى يشير اليه هو كله ضارب الى الحمرة ، وبهذا علل البتنوني ميلهم الى ارتداء اللون الأحمر .

وأنا لا أميل الى موافقته على هذا التحليل والتعليل ، فانى أرى أن اختيار أهل جدة حينئذ للون الأحمر في لباسهم ، وقت قدوم البتنوني اليها — كان مجرد عادة « موضة » . والعادة لا يتحكم فيها طقس ولا طبيعة ، وانما هي شيء له صلة بالذوق العام واتجاهاته في مختلف

(١) الرحلة الحجازية ص٦ طبعة مصر ١٣٢٩ هـ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .

تياراته ، بدليل أننا أدركنا الناس في جدة ، وقد هجروا اللون الأحمر، وآثروا عليه اللون الأبيض ، كبارهم وصغارهم ، فماذا نقول في تحليل هذا الصنيع على ضوء منطق البتنوني ؟ أننسبه الى وجود السحاب مثلا في سماء جدة أغلب الأحيان ، والسحاب أبيض ؟!..

ومع ايثار أغلب الطبقات في جدة للون الأبيض فان هناك بقايا من الذين يختارون اللون الأحمر ، وهم من الطبقة العادية ، تراهم اليوم مرتدين الثياب الحمر ، محتزمين عليها بشيلان حمر ، وفوق رؤوسهم غتر حمر أو صفر ، وهؤلاء في الأغلب اما عمال أو من أهل الحارات : « حاريين » .

والى عام ١٣٣٠ هـ كان في مكة رجل واحد يلبس هذه الملونات من الثياب ، وهو الشيخ « محمد الزرعة » شيخ خطباء المسجد الحرام . وكان الشبان يستغربون من لباسه هذا ، ويتساءل بعضهم من شدة الاستغراب : هل بعقل الشيخ خلل ؟ وعندئذ يجيبهم من هم أعلى منهم سناً ، ـ وكانوا قد شاهدوا عصر الثياب الملونة ـ : « بأنه رجل سليم الحواس والعقل » وبأنَ هذا اللباس كان زي الناس وليس فيه محل انكار »(١) .

واللباس الرسمي لأهل جدة فيما مضى ، هو « الجبة » ذات الأكمام الواسعة والضيقة ، وكانت تفصل من ألوان من الصوف ، منه الأخضر والاصفر والاحمر ، وبعضها يطرز بالفضة . وكان لأشرف أفندى جد الشيخ محمد نصيف لأمه ، جبة ياقوتية اللون ، وكان يرتديها ، فسأله حفيده : متى فصلتها ؟ فأجابه : « بأنه فصلها ليلة زواجه بجدة السائل.. وأن لها عنده في ذلك اليوم الذى وجه حفيدها فيه السؤال اليه ، أربعين سنة » .

وخير جبب الصوف لديهم ما كان من نوع « الأَنقُورِيّ » . وكان هذا

(١) عن الشيخ محمد نصيف .

النوع من الصوف يأتى من « أنقرة » فسمي الأنقروى ثم حرف الى الأنقورى . وكان ذا ألوان مختلفة .

كما كانوا يستعملون جبب « الجوخ » بألوانه ، وهو نوع من الصوف كثيف، وفيه ما هو أغلى ثمناً من الصوف الأنقروى وفيه ما هو أرخص منه.

وكانوا يلبسون جبب «الدِّبِيت» . وهو من صنع الهند، وهو أخف من الجوخ . وكلمة « دبيت » كما يبدو ، هندية أو فارسية .

وكانت كسوة الأشراف من الناس ــ بدلا من الجبب ــ هي المشالح أو العُبِيُ الثقيلة التي يؤتى بها من ايران، ويسمى أحدها «مشلح وبَر». والوبر هو صوف الجمال .

وكان بعضهم يضع على رأسه « الصمائد » ــ الشاربان المقصبة ، وكان هذا النوع يرد من العراق ، ويوضع فوقها عُقُل جمع « عِقال » مذهبة .

وتحت الجبة كانت تستعمل الشاية ، وهي أشبه شيء بما يسمى في نجد « بالدَّقلة » في الشكل ، وفتحة مقدمها ، الا أنهم كانوا يتحزمون عليها ، بحزام رقيق من الصوف المزخرف الجميل، أو من حرير الأبريسم الزاهي الألوان .

ويضعون على رؤوسهم العمامة المقصصة بدون أن يكون فيها خيزران(١) ، وكانت تحشى بالقطن ثم استعملوها بالخيزران وتركوا المحشوة بالقطن . والعمامة المقصصة عبارة عن «طربوش» بالألوان الزاهية، وأبرزها اللونان الأحمر والأبيض ، في مربعات ملونة منظمة تلف عليه كمية من الشاش الأبيض الخفيف النظيف لفاً منظماً محكماً ، بترتيب خاص ويلبسون تحتها «الطاقية» للحيلولة دون تسرب العرق من مَسَام

(١) الذى أحدث العمامة ذات الخيزران هو الشريف عبد الله بن محمد بن عون أمير مكة عن « الشيخ محمد نصيف » .

الرأس الى العمامة ، فيفسد جدتها ورونقها ، خاصة وأنها مقفلة ، ولا مُتَنَفَّس فيها للرأس، فهي من هذه الناحية مثل الطربوش التركي الأحمر أو أشد انغلاقاً على مسام الرأس، وكلاهما غير صحي، لأنه يضغط الرأس ضغطاً محكماً ، ويمنعه من التنفس ، وتتجمع قطرات العرق بين قشرة الرأس والعمامة ، ومن ثم تسيل في الصيف الى العنق ، فينال الانسان من ذلك كرب وحرارة عظيمان ، فنراه يضطر لرفع العمامة عن رأسه بين كل مرة وأخرى ، ليجفف العرق بالمنديل مرة بعد أخرى ، وقد يؤلمه رأسه بسبب ذلك أحياناً ، ويجلب له نوعاً من الصداع ، الا أنهم ما كانوا ليتركوها مطلقاً .

ان العادة تحكم الناس دائماً ، حكماً استبداديا ، قد يكون في كثير من الظروف غير عدل ولا حكيم .

وتحت الشاية كانوا يلبسون الثياب الملونة الطويلة ذات الأزرار الصدفية أو التركية أو غيرها ، ولها « ياقة » عالية قد يضعون فيها «النشاء» لتقوى على البقاء في لونها وشكلها ونظافتها أطول مدة ممكنة.

ومن تحت هذا الثوب يلبسون الصدرية وسراويل طويلة ، تشتغل ربّات البيوت بتطريز أطرافها السفلية. وكانوا يلبسون الأخفاف الصفر، وكانت مخصوصة بالرجال ، ثم اختص بها النساء . أما الشباب فكانوا يستعملون الأحذية الحجازية ، وكانت ذات طرازين : طراز مكي وطراز مدني ، يخرزها الخرازون(١) المواطنون فيهما وفي جدة ، وكان النوع الذى يصنعه خرازو مكة ذا أصبع ضخمة توضع بين كبرى أصابع القدم والتى تليها ، وكان له حزام مزخرف بالترتر والسيور الملونة يعلو مقدم القدم .. أما ما يصنعه خرازو المدينة فكان أبسط من ذلك . كل ما فيه ، الأصبع التى تدخل بين كبرى أصابع القدم، وما يليها ، وحزام أرق وأخف زخرفة من الأول .

(١) ومن هنا جاءت تسمية بعض الاسر منسوبة الى الخرازة .. وذلك في بعض مدن الحجاز .

وكان الشباب يضع على رأسه ، بدلا من العمائم المقصصة ذات الشاش الأبيض الخالص ـ عمائم مقصصة عليها شاش مقصب مطرز بالذهب أو الفضة ، وكان هذا النوع من لباس الرأس يدعى ب «شافرى» وهو لباس أصله من الهند .

وكانوا يلبسون « الكُشَح » ـ بضم الكاف بعدها شين مفتوحة فحاء مهملة ـ وهي علب فضية صغيرة بها حجب وتمائم .

وكان من الشباب من يرتدي الثياب ، ويضع على رأسه « طاقية » جاوية منشاة مكوية ، كأنها « قالب سكر » تقريباً ، ثم يضع على عاتقه شاله المفضل .

وكانوا يعنون بتطريز الثياب في أكمامها وصدورها ، ويستوى فى ذلك الشباب والرجال الكبار .

وكانت ثيابهم المفضلة في أيام الصيف ، ما كان مخيطاً من قماش «الدرابزون» . وهذا القماش منسوب الى مدينة «طرابزون» من أعمال تركيا . وهو قماش أبيض شفيف خفيف يصلح لمجابهة الحرور ذي الرطوبة والندى .

وكان السوقة والبادية يلبسون « الغتر »(١) الحَمُّودِيَّة ، وهي من قماش أحمر قان ، مخطط بخطوط حمر وبيض دقيقة .

كما يلبس السوقة ، العمائم « المسقطية » المنسوبة الى مصدرها «مسقط» في جنوب الجزيرة ، وكانت هذه العمائم ذات نقط زرق .

وكان الكبار في جدة يضعون في جيوب « صدرياتهم » ساعات أفضلها في أنظارهم ساعة « الراسكوب » المضبوطة . وكان لديهم أيضاً ساعات «ليبيا» ويربطون هذه الساعات بخيط من الحرير الملون : «قِطَان»

(١) الغترة بضم الغين وسكون الثاء أو التاء هي رداء يوضع على الرأس أو العاتق في عرف أهل الحجاز.

وكانوا يسمونه «الكردون» . ثم آل أمر هذا الكردون الى أن صار يتخذ من سلسلة فضية أو ذهبية .

وكانوا يكثرون من التكحل . وأشهر أنواع الكحل هو « كحل دلال » ـ بدال مُهملة بعدها لام ألف مخففة فلام ـ ويصطنع هذا الكحل محلياً من الشحم والهباب . وكحل الحجر ، وهو من الحجر . وأفضله ما كان من الأثمد المعروف منذ القدم بتقويته لحاسة البصر .

وما كان الناس قديماً يعرفون « الفنايل » وهي : لباس الشعار والذى يتصل مباشرة ببشرة الانسان وفوقه الثياب الأخرى ، وانما كانوا يُفَصِّلون ثوباً قصيراً خفيفاً يسمى « عراقية » ـ بفتح العين وتشديد الراء بعدها ألف ممدودة فقاف مكسورة فياء نسبة بعدها تاء مربوطة ـ واخال أنه منسوب الى العرق ـ بفتح العين والراء ـ أي مجففة العرق .

ومن ثياب العامة ما كان مصبوغاً باللون الأزرق العميق : «الغامق» والفاتح . ويسمون هذا « لبنياً » ـ بفتح اللام بعدها باء مفتوحة فنون مكسورة فياء نسبة ـ وكان من ثيابهم ما يخاط من قماش «الملَّة» الذى يدعى بالخاكي . والملة هنا بمعنى الرماد .

ومن ثيابهم أيضاً قماش « القرمسود » ـ بفتح القاف المعقودة فراء مفتوحة فميم ساكنة فسين مهملة مضمومة ، بعدها واو ساكنة فدال مهملة ـ وهو ذو ألوان وأشكال .

وكان لكل واحد من السوقة والحاريين ، سلسلة بجانب الساعة المربوطة بعنقه ، بالخيط المعروف بالقطان «بكسر القاف» وقد يربط في هذه السلسلة « خلال » ـ بكسر الخاء ـ للأذن ، و «منكاش» للشوك. و «خلال» للأسنان من الفضة . وما كان الرجال يستعملون « الفوطة » فقد كانت خاصة بالنساء في بيوتهن ، وكانت تسمى « فستاناً » وكان

لها «تكة» ويلبسها النساء في أوقات خدمتهن بمنازلهن ، ثم صار الرجال يشاركون النساء في استعمال الفوطة ، في داخل البيت وخارجه ، ولكن بدون تكة . يعقدونها عقداً أنشوطياً مركزاً . وكانت «الفُوَط» تفصل من قماش «الشيت» الذى طبعت عليه الألوان والزخارف .

والحاريون « وهم أهل الحارة » كانوا يضعون أيضاً على رؤوسهم عمائم من الغتر بنظام خاص ، وهي من قماش «الشون» باللهجة المصرية .

وكان أمراء مكة يكسون مشايخ العربان في جدة وغيرها جببا . يسمونها « جوخة » . وهي متخذة من الجوخ . وبعضها غالى الثمن . وبعضها رخيصه ، وهي – عادة – مزركشة ، ويعطونهم اياها مقابل المشالح الغالية الأثمان .

أما النساء فكانت العروس تلبس في ليلة زفافها « طَرحة » على صدرها تسمى «تخشيشة» وهي مطرزة كما سبق ، بأنواع من الجوهر والذهب والفضة .

وزي النساء اذا خرجن من بيوتهن .. كان « الملاءة » الحريرية الزرقاء المخططة باللون الأبيض ، ويضعن على وجوههن «براقع» بيضاً سميكة منشاة طويلة عريضة ، يظهر طرفاها من طرفي الرأس تحت الملاءة ، فتكون من هنا أشبه بقرنين ، وتسمى هذه الملاءة في هذه الحالة «مقرنة» – بضم الميم وفتح القاف بعدها راء مشددة مفتوحة فنون مفتوحة فتاء مربوطة .

وتضع النساء « الحلق » في آذانهن ، ويكون من ذهب ومن فضة . وقد يرصع بالماس أو ببعض الحجارة الكريمة ، ويسمى في عرفهن « حلقاً » و « خرصاً » وكلاهما عربي فصيح .

وكن يلبسن ثيابا بيضا مطرزة وسراويل مشنوقة : «ضيقة» . فوق

طرفيها السفليين : «الحجل» ـ بكسر الحاء وسكون الجيم بعدها لام ـ وهو نسيج من ذهب أو فضة تطرز به السراويل من الخارج .

ويضعن في أصابع أيديهن الخواتم الذهبية أو الفضية ، اما في الخنصر أو في البنصر أو فيهما معاً ، وقد يكون في الخواتم فصوص من حجارة كريمة .

ويزررن ثيابهن بأزارير من فضة أو من ذهب ، وقد تكون هذه الأزارير أنصاف الجنيهات العثمانية أو الانكليزية . ويتقلدن في أعناقهن عقود اللؤلؤ ، كما يحطن أعناقهن بالأطواق الذهبية أو الفضية .

ويضعن في أعضادهن ـ جمع عضد ـ ما يسمى بالمعضد ، وهو عبارة عن سوار من فضة يوضع في العضد فوق المرفق .

ويتحزمن بأحزمة من الفضة والذهب في أوساطهن ، زيادة في اظهار رشاقتهن ، ويلبسن صدرية الى المرافق ، وثياباً مفتوحة الجوانب .

ويتكحلن بكحل الدلال ، والحجر ، والأثمد ، كما يتكحل رجالهن .
ويضفرن شعورهن ، ولا يقصصنها ، ويعقصنها على ما يرين فيه الجمال .

وكان للعطر حُقٌ ـ بضم الحاء بعدها قاف مشددة ـ مخصوص يعلق في صدر المكان ، ولا يتعطرن الا في محل الزواج .. وكن ينتعلن «التواسيم» المدنية الخفيفة ، وكانت تهدى للأهل والأقارب والأصدقاء، من قبل أولئك الذين عادوا من زيارة المدينة المنورة .

• • •

وقد أصبح زي رجال جدة الآن على ما يأتي :

توضع على الرأس غترة خفيفة بيضاء تحتها طاقية بيضاء ، وفوقها

عقال أسود خفيف رقيق(١) ، وقد يرتدون فوق ذلك ، المشلح الخفيف في الصيف ، والعباءة السميكة في الشتاء خاصة في المناسبات الرسمية وغيرها ، وتحت ذلك ثوب أبيض ، وعليه معطف قصير في الشتاء ، وتحته فنيلة وسراويل وجزمة وجورب من قطن أو صوف أو من حرير ملون ، وفي معصم اليد اليسرى ساعة ذهبية اللون أو فضيته في الأغلب الأعم .

هذا الزي خاص اليوم بطبقة الموظفين ومن في حكمهم ، ومن يتشبه بهم من الناس الآخرين .

وقد يكون على الرأس طاقية منشاة جاوية بيضاء أو بخارية مطرزة بالحرير الصنعي الأبيض أو « سنارية » وعلى العاتق غترة بيضاء أو ملونة ، والثياب البيض المعتادة بدون حزام ، وما الى ذلك كالمعتاد لدى طبقة الموظفين .

أما الزي التالى فهو خاص بالشباب وبعض الحاريين منهم :

ـ الرأس حاسر والشعر مسرح ومقصوص الأطراف . وهذه عادة حديثة دخلت الى جُدة من الخارج كما دخلت أغلب مدن المملكة .

ـ ثوب أبيض طويل الى القدمين من قماش اللاس أو غيره ، فيه جيب بالناحية اليسرى من الصدر وجيب أو جيبان جانبيان سفليان . ويضاف اليه فوقه معطف «جاكتة» قصيرة في زمن الشتاء من الصوف أو غيره .

واللباس التالى يرتديه بعض الطبقات اليوم :

ـ ثوب قصير ملون ، بأزرار صدفية أو مطبوخة ، وقد يكون عليه حزام وتحته فنيلة ، وبقية التشكيلة : طاقية فوق الرأس ، وغترة ملونة

(١) كان هذا العقال الى ما قبل أربع سنوات ـ سميكاً .

تلقى على العاتق أو بدونها ، وحذاء عادى من البلاستيك(١) ، وسراويل طويلة أو قصيرة ليس فيها أي تطريز ، وهي اما من قماش القَبَاطِي « البفتة » أو الدوت . وهذا اللباس ترتديه غالبية الطبقات العادية . وقد ترى بعضهم لابساً فوطة محتزماً عليها بشال ملون ، وعلى الجزء الأعلى من جسمه صدرية ، ويكون في الحزام لوازمه الشخصية ، من حافظة نقوده أو كيسها وساعته وما أشبه .

أما في البيت فيرتدى الرجال اما الثياب أو الفوطة والفنيلة أو البيجامة .

وبعض الرجال ، وخاصة العمال ، أصبحوا اليوم يفضلون أثناء عملهم وبعده ، الزي الأفرنجي ، لسهولة ممارسة الاعمال فيه .

ويلبس الاطفال مثل ما يلبس الرجال ، الا أن أطفال بعض الطبقة العالية أصبحوا يؤثرون لهم ارتداء الزي الأفرنجي ، فتراهم يرتدون التبّان : «البنطلون» القصير والجاكتة بدون أكمام أو بأكمام ، وفى الأقدام الجزمة أو الصندل .

أما طفلات المدارس ـ مدارس البنات ـ فيرتدين الآن فوق ملابسهن ملاءة سوداء ويسترن سائر أجسامهن . ومنها الأقدام والرأس والوجه . هذا في الأغلب الأعم .

ويلبسن في بيوتهن الفساتين القصيرة .

ولباس النساء في الأفراح اليوم ، هو الفساتين القصيرة أو الضيقة الطويلة المتخذة من أقمشة الحرير المطرز بالقصب ومن قماش النايلون .

(١) يعرف لدى العامة بزنوبة .

واذا خرجن في الصباح ، لزيارة بعض أهلهن أو صديقاتهن ، يلبسن «الجونيلة» و «البلوزة» . ان الجونيلة أشبه بالفوطة ، والبلوزة أشبه بالفنيلة . فالجونيلة واسعة كالفوطة ، والبلوزة ضيقة كالفنيلة .

وقد يلبسن الفساتين المفصلة من القطن ، أو من قماش البوبلين ، أو من الحرير المناسب .

ولباسهن في المنازل اليوم فساتين عادية قصيرة الأكمام أو بغير أكمام ، من قماش « البتست » أو من البوبلين .

ويلبسن في الخروج العادى من المنزل « بوالط » من القماش الملون أو المشجر ، وقد يلبسن الجامة أو الكاب ، ويضعن على رؤوسهن « طرحات » سوداء من قماش « الجورجيك » الخفيف أو الكثيف » وفى أرجلهن أحذية خارجية ذوات كعب عال للقصيرات ، وواطىء للطويلات. وهذا الترتيب خاص بالسهرة .

ويتكون لباس العروس في ليلة الزفاف اليوم ، من فستان أبيض طويل ، قد تصل قيمته الى أربعة آلاف ريال ، وقد تنقص ، بحسب ثراء أهل العروس والعريس ، ويفصل ذلك الفستان من قماش « الستان دوشيه » المطرز باللؤلؤ الصناعي ، أو بالألماس الصناعي . وفي اليوم الثاني ترتدي العروس (فستان بَمبَه) من نفس النوع .

ويلبسن في الحزن الآن الفساتين البيض ذوات الأكمام الطوال ، ويضعن على رؤوسهن طرحات بيضا ، وبعضهن يلبسن اللون الأسود من الفساتين والطرحات .

وكل ما مضى عن لباس النساء خاص الآن بغير المتقدمات في السن. أما المتقدمات في السن فهن يحافظن على ما كن يلبسنه في زمن

شبابهن ، من الثياب المطـولة الأكمـام ، ويتفقن مع من هن دونهن في السن ، في وضع الطرحات السود على وجوههن .

٧ - المــلاهي

في جُدة من الملاهي ما هو قديم وما هو حديث ..

والملاهي على قسمين : قسم للأطفال والمراهقين ، وقسم للشـباب والكبار . فمن الملاهي : « الكرة » وكانت تزجى بالعصا : فريق هنا وفريق هناك يقابله ويسمى ما يسمى الآن « القول » بالقال ولها ستة أشواط . وكانت من شعر ..

و « الشير والشيرين » : أن يمســك واحـد طرفي العمـامة ويثب اللاعب عليها .

و « الاستغماية » وهي عبارة عن ستة أشخاص : ثلاثة راكبـون وثلاثة مركوبون ويذكرون أغنية ، ويكـون بعضـهم مغمض العين ، ويدق بعضهم الحجر .. وهكذا .. ويسأل بعضهم : من دق الحجر ؟ فاذا قال : هو فلان ، وصح – صار المركوب راكباً .

و « الزُقيطَة » – بضم الزاي وادغام اللام الشمسية فيها – هي أن يجلس شخصان أو أربعة ، وعند كل واحد خمسة أزواج من الحجر ، وكل في يده حجر مدور ، ويرفعه الى فوق ، وينزله على يده فوق الأحجار التى أخذها من الأرض ، فاذا زاد عما عنده بخمسة أزواج ، يرى النقص من آين جاء ، والذى وجد عنده نقص من الحجارة يضرب على ظهر كفه بالسبابة والوسطى مرتين أو ثلاثاً على قدر النقص .

و « المدوان » كان يربط بخيط ثم يلقى في الأرض ، وهو دائـر بأنشوطة ملفوفة عليه .

و « الكشوش » أيضاً بالطرة .

و « المداقشة بالبيض » .

و « المراجيح » التى يركبها الأطفال في أيام الأعياد ، حيث تنصب خاصة لأجلهم ولا تزال الى اليوم .

و « البربر ـ بكسر الباءين ، بعدهما راءان مهملتان ـ وهو عبارة عن حجر أملس مستدير يلقى به ـ بوساطة أصبع الرجل الكبرى ـ في مربعات من الأرض ، مع وثب من اللاعب .

و « البَشيس » هو عبارة عن لعبة بالخشب ، على شكل الدّامة . ويقال له « كلاب » بكسر الكاف .

و « الدامة » .. وهي لعبة لا تزال معروفة .

و « الشطرنج » وهو لعب الكبار من الناس .

و « تنى طبطب » ـ بفتح التاء بعدها نون مشددة مفتوحة بعدها ألف ـ وهو أن يركع طفل ، ويأتى طفل آخر ويثب من فوقه وهكذا .

و « القشاع » .. ويكون في المزمار بالعصى ، والضرب هنا يكون بالاشارة لا بالحقيقة . ويكون بالحجارة توضع في المنجنيق من شعر الغنم مربوط به حبلان شديدان من نفس الشعر ليلقى ما فيه على الخصوم من الجانب الآخر .

و « المزمار » وهو أن يجتمع أناس على النار والطيران(١) ويلعبوا بالعصى .

و « طنبرة العبيد » وتسمى كذلك لأن أهلها سود الألوان ، وهي عبارة عن طبلة صغيرة وكبيرة وعَلَم : «بيرق» وشخص يرقص ، مربوط وسطه بشريط مملوء بأظلاف الغنم ، ومبخرة ، ويدور على المحلات ، ويرمى اليه بالنقود وغيرها في الأعياد خاصة . ولهم عوائد يأخذونها . وكان العبيد يقولون : ان السلطان كل يوم يسأل : هل الطنبرة موجودة

(١) جمع طار .. أي طبل .

الآن ؟ فاذا قيل له : موجودة : يستبشر بأن الملك باق ، ويقولون : ان الطنبرة للناس الصالحين .

و « الكيرم » لعبة هندية .. عبارة عن طبلة ملساء من الخشب مربعة ذات ثقوب أربعة في جوانبها الأربعة ، لها تسعة أحجار خشبية بيض وتسعة سود وحجر واحد من الخشب أيضاً باللون الأحمر ، وتصف هذه الحجارة كلها ويتوسطها الأحمر ، في دائرة تقع في وسط الطبلة . ويزج بها بوساطة مضرب من الباغة لتقع في احدى الحفر .. فاذا وقعت كلها من يد أحد اللاعبين قبل الآخر اعتبر فائزاً والآخر مهزوماً . ويلعبها شخصان وأربعة .

« والجوقر » ـ بضم الجيم بعدها واو ساكنة ـ عبارة عن أوراق من المقوى عليها أعداد من واحد الى عشرة وفي بعضها صور آدمية ملونة وعددها ٣٢ ورقة ويلعبها أربعة أشخاص كل اثنين منهم يشكلان فريقاً .. وتكون الغلبة لأحدهما بنسبة كثرة ما يحوزه من ورق اللعب .

و « البلوت » من هذا النوع أيضاً ولكن بترتيب آخر .

٨ ـ الرياضة البدنية

كان أول من أنشأ ملاعب للعبة التنس في جدة المستر تويتشل ، وجعل اللعب على أرض الملعب ، مباحاً لكل راغب هاو ، دون تمييز بين الأجناس ، فكثر اللاعبون . وفي كل عام كانت تقام على هذه الملاعب مبارياتوتوزع الكؤوس على الفائزين ، وبعد ذلك بنيت ملاعب مثل ملعب جلاتلى هنكي الخاص بهم ، وملعب السفارة الأمريكية يدعى اليه كثرة من الأصدقاء ، وملاعب أخرى متفرقة خاصة .

وقد فكر بعض المهتمين بالشؤون الرياضية في جدة في انشاء ناد

رياضي فيها بسنة ١٩٥٢ م « ١٣٧٢ هـ » وأزمعوا أن يضم ملعبين للتنس وملعباً للكرة وملعباً للجولف وآخر للكريكيت ، ومبنى فخما يضم قاعدة للمطالعة وقاعة شاي ومكتبة عامرة بالكتب ، على أن يكون موقعه على شاطيء البحر في جدة شمالا على بعد خمسة كيلومترات تقريباً ، على تلة مشرفة على البحر ، فبسطة ، بحيث تكون صالحة لاقامة المباني والملاعب ، ويتكلف كل هذا نحو مائة ألف ريال سعودي(١) .

هذا ولم يكن الناس في هذه البلاد ، يمارسون أي نوع من أنواع الرياضة الحديثة . كل ما كان هنا ألعاب متوارثة ومن أبرزها : «الكبَت» بفتح الباء ، و « المداوين » أو « المزاويق » كما تسمى في عرف أهل المدينة و «كرة التزقير » و « البربر » بكسر الباءين ، وما أشبه . وقد مر بنا في فصل « المجتمع » تنويه بما كان يدعى بجدة في عهد الحكومة الهاشمية بنادي الصلاة ، وهو عبارة عن ارهاصات للحركة الرياضية التي بدأت ونمت في عهد الحكومة السعودية .

وقد وفدت لعبة كرة القدم مع اخواننا « الملايويين والاندونيسيين » كان ذلك في عام ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م . وأول من زاولها من تلك الأجناس هم : البوقس والفادن(٢) .

وأول فريق رياضي تكون في جدة هو الفريق الرياضي برئاسة حسين محمد نصيف ، وكان من أبرز لاعبيه محمد عبد الله رضا وحمزة شحاتة ومحمود عارف وعباس خُمَيِّس وغيرهم ، ثم انبثق عنه فريق الاتحاد . وقد أسس حول سنة ١٣٥٠ هـ .

وتنقّل ملعبه الى عدة أماكن ، فكان أولا يقع بجوار اللاسلكي في البغدادية ، ثم انتقل الى الأرض التي منحها له الشيخ عبد الله السليمان

(١) الأستاذ شكيب الأموي : اضافاته على كتاب تويتشل ص٢٨٧ و ص٢٨٨ الطبعة الثانية من كتاب المملكة العربية السعودية لتويتشل .

(٢) المنهل الفضى ص٤٣ طبع مطابع الاصفهاني وشركائه بجدة سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .

وزير المالية الأسبق(١) . وأخيراً في سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م انتقل الى أرض بطريق المدينة المنورة ، ثم عاد الى أرض تقع غير بعيدة عن المطار .

ترأس نادى الاتحاد في تلك الفترة : على سلطان ، وكان يقوم بعمل السكرتارية ، عبد العزيز جميل . وتعاقب الرؤساء التالون على النادى : عبد اللطيف لنجاوي ، وعبد الرحمن ملا ، وسليمان ابراهيم التركي، وعبد الحميد مشخص، ومحمد حسين أصفهاني، وعبد الرزاق متبولى ، والرئيس الحالى هو فتحى أبو الجدايل .

وتتكون حالياً ادارة الاتحاد من كل من :

فتحى أبو الجدايل ، وصالح بن حمد ــ بكسر الحاء وسكون الميم بعدها دال مهملة ــ ومحمد حسين أصفهاني ، وعبد اللطيف بن سفيان باناجه ، وخليل رشيدي ، ومعتوق قنديل ، وحسن رجب، وعمر بالبيد، وأحمد باعيسى ، وعبد الرزاق متبولى ، وقد استقال محمد حسين أصفهاني في سنة ١٣٨٢ هـ .

وثالث أندية الرياضة القديمة في جدة ، هو نادى الهلال البحرى .

وكان مختلطاً من العدنيين والجاويين والأهلين(٢) .

أنشىء حوالى ١٣٥٤ هـ ، وكان مؤسسوه هم : عمر مسعود ، وحمزة بجو ، ومحمد مختار ، ومعهم نخبة من أهل محلة البحر ولذلك سمي بالبحري ، وقد انحلّ وأعيد تأسيسه ثانية في عام ١٣٨١ هـ ، بوساطة جميل قمصاني . وكان موقع ملعبه سابقاً في الجهة الجنوبية المسماة بالسبخة ، ولا يزال بها حتى الآن .

(١) ثبتت هذه الأرض أخيراً لوقف آل نصيف فانتقل الملعب منها .
(٢) الكتاب الفضى للمنهل ص٤٣ . طبع في مطابع الاصفهاني وشركائه بجدة سنة ١٣٧٩هـ .

ورابع أندية الرياضة القديمة في جـدة ، هو النادى الأهلي . وقـد أنشىء بنحو سنة ١٣٥٦ هـ ، وكان ملعبه سابقاً بجوار اللاسلكي أيضاً ، ثم انتقل الى جوار المصانع الفنية الحديثة ولا يزال بهذا المكان .

وقد أنشأه حسن شمس ، وساعده نخبة من شباب جدة ، نذكر منهم ابراهيم نشار ، وعمر أديب الأعمى ، وعباس حسنين . وقد انحل هذا النادى ، وأنشىء بدلا عنه « نادى الثغر » برئاسة عبد الفتاح عبد ربه . ثم أعيد النادى الأهلى ثانية برئاسة عبد الفتاح عبد ربه نفسه في سنة ١٣٨٣ هـ .

وخامس أندية جدة : نادى الشاطيء . ومؤسسه هو صالح سعبل ، ويقع ملعبه بجوار ملعب الصبان في جنوب جدة . وقد انحل أخيراً .

وكانت في جدة فـرق رياضية توقفت ، نذكر منها ، فـريق الفلاح وفريق الاتفاق وفريق التعاون .

ولا بد لنا ونحن في صدد الرياضة والرياضيين ، أن نسجل هنا أن أول وأكبر ملعب نظم على الطريقة الحديثة تقريباً ، هو «ملعب الصبان» بجنوب جدة ، ففيه تقام المبارياتالكبيرة ، بين الأندية الوطنية وبعضها، وبينها وبين من يفد الى جدة من الرياضيين من الخارج .

وقد أنشأت وزارة المعارف ملعباً رياضياً كبيراً قرب الكيلو ٥ بشارع مكة المكرمة ، ويقع الى يمين الذاهب الى مكة ، على خط الأسفلت .

وفي مدرسة الثغر النموذجيـة بجدة ملعب رياضى منظم على أحـدث طراز ، وفي سائر المدارس التابعـة لوزارة المعـارف والمدارس الأهلية كالفلاح ، ملاعب رياضية لفرق تلك المدارس ، ونخص بالذكر منهـا الملاعب التى تقع في مدينة الملك سعود العلمية في شمال جدة الغربي قريباً من شاطيء البحر الأحمر .

هذا وقد تنوعت الألعاب الرياضية الحديثة في جدة .. فهي اليوم لا تقتصر على كرة القدم وحدها وان كانت هي أذيع الألعاب الرياضية .

٩ ـ الغناء والموسيقى

حب الغناء والموسيقى ، قديم . في الحجاز كله ، ومنه جدة ، ولا يزال بعض المغنين الوطنيين في جدة حتى اليوم . وكانت طريقة الغناء على «السلّم العربي» وكان للموسيقى منذ عهد الأتراك مكانتها لدى الأهلين ، ويطرب الأهلون للغناء والموسيقى كثيراً ، وأذواقهم في هذا الشأن مرهفة . ونلاحظ أحد مظاهر ذلك في التفاف الأطفال على فرقة الموسيقى في الشرطة والدفاع ، عندما تصدح بنغماتها ، فيتمايلون طرباً واستحساناً على نغمات أوتارها وطبولها .

١٠ ـ المطعوم والمشروب

أوضح الشيخ محمد نصيف في مقال له في مجلة « المنهل » أن الشاي دخل الحجاز حوالى سنة ١٢٦٠ (١) وقد جاء تحديد ضمني لهذا من قبل الشيخ محمد صالح بن علي باعشن . فقال : « ان أكثر الناس ، ومنهم والده « علي باعشن » كانوا يشربون « القشر الصناعي » وهو جميل جدا ، مُصَفّ للدم ، ونافع للبدن . ويضاف اليه الهيل(٢) والزنجبيل ، لأن الشاهي في وقتهم لا يعرف »(٣) .

وكان من عادتهم أن يستعملوا مسحوق الذهب ، ضمن معاجين مرتبة لتقوية الباه ، وكانوا يستعملون « الخبز المرجوف » وغيره ، وهو خبز طري كأنه «كَمَاج» وكانوا يأكلون فراخ الدجاج ، والزغاليل(٤) ، كما

(١) الشيخ محمد نصيف : المنهل الصادر في ذي القعدة ١٣٧٦ يونيو ١٩٥٧م .
(٢) هو « حب الهان » وبذلك يدعى في الحجاز ونجد .
(٣) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية .
(٤) نفس المصدر ص٢٨ .

كانوا وما زالوا يأكلون « الخبز المفرود » و « الصامولى » و « التميز » البخـــاري . والأرز بأنواعـــه ، وأنواع الادام وأنواع الحـــلوى والمربيات والعسل والفول المدمس والهريسة والكنافة واللحوم المشوية والمقلية والسليق العربي ، والبُـرَيك وغير ذلك . كما يشربون «عصير» أنواع من الفواكه وخاصة الرمان والتوت وغيرهما . والآن انتشر في جدة شرب المرطبات الغازية، مثل الكوكاكولا ، والبيبسى كولا والسفن آب وغيرها.



الكِيانُ الاقتصاديّ
لمدينة جُدَّة أولاً وأخيرًا



رجعنا في تحديد معالم هذا الفصل الى ما يلي :

أولا ــ كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا العربية القديمة والحديثة.

ثانياً ــ المذكرات الخطية للمرحوم محمد صالح بن علي باعشن .

ثالثاً ـ التقرير الخاص الذى كتبه لنا السيد محمد العوضى رئيس الغرفة التجارية الصناعية بجدة .

رابعاً ــ دليل الغرفة التجارية لعام ١٣٧٩ وعام ١٣٨٠ وعام ١٣٨١هـ .

فنقول : أورد مؤرخو العرب ورحالوهم الأقدمون وصفهم الاجمالى للكيان الاقتصادي ، لهذا البلد ، فقالوا بازدهار عمرانه وكثرة تجاراته وأمواله ، ولكنهم لم يقدموا لنا أرقاماً حقيقية أو تقريبية عن وارداته وصادراته السنوية ، ولا ألوان تجاراته ومقدار دخله السنوي العام .. الا أن أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحِميرِيّ ، انفرد بأن أشار اشارة عابرة ، الى ضخامة «دخل» تجار جُدة، فقال : « وفي أعلى منازلها قباب محكمة ، ويذكر أهلها أن من بلغ كسبه مائة ألف دينار ــ بنى على داره ، يُعلِمُ بذلك أن كسبه قد بلغ العدد المذكور »(١) .

وأورد بطرس البستاني ، من المتأخرين أن : « تجارتها متسعة جداً ، تجرى على الأكثر بواسطة مراكب انكليزية ومراكب عثمانية ووطنية صغيرة ، محمولها نحو ٨٠ طناً وأن « من صادراتها ، البن والصمغ والطيوب والبلسم والبخور والسنا والعاج والعطر والخيار شنبر وصدف اللؤلؤ ، واللؤلؤ وتروس السلاحف وريش النعام والتمور والسكاكين

---

(١) الحميري : الروض المعطار في أخبار الأقطار الجزء الأول الصفحة ١٧٥ النسخة الخطية بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة المكتوبة سنة ٩٧١هـ وهي تحت الرقم ٣٦٥ قسم التاريخ في سجل المكتبة العام.

والخزف والجلد .. وأن « وارداتها هي الأقوات : الحنطة من مصر ، والمعادن والزجاج وقناني العطر والسكاكين والصابون والجوخ والحرائر، والمنسوجات القطنية من أوروبا ، والأرز ، والسكر ، والخشب، والقطن، والموصلينا للعمائم ، والمناطق من الهند ، والعاج وريش النعام والمسك والبغال والعبيد من أفريقية(١) .

ويفيدنا محمد صالح بن علي باعشن بأن التجارة كانت في جدة ، في عهد والده بالقرن الهجري الثالث عشر ، تجارة استيراد وتجارة عقار . فأما الاستيراد فكان من بلاد البنغالة بالهند، وجاوة وسنغافورة، يجلب منها الأرز والغباين(٢) البنغالية .. ومن مصر ، وقد سافر والده الشيخ علي باعشن الى مصر للتجارة وتزوج بها ، وصار رئيساً لتجارها.

وكان والده قدم من بلاده حضرموت الى جدة ، حوالى سنة ١٢٧٥هـ. وبعد أن أقام بمكة نحو خمس سنوات في تعاطى أسباب التجارة ، نزل الى جدة فرأى ما أدهشه من عظم تجارتها ، وقد أيد صاحب المذكرات ذلك فقال معلقاً : « وحقيقة ، كانت تجارة جُدة تذكر ، وأرباحها مضمونة ، وهي أرباح خارجة عن الحد ، حيث كانت الدنيا مغطاة »(٣)

وكانت الأرباح تقدر بالريالات ، وأعتقد أن المقصود بها الريالات المجيدية العثمانية وربما كان مقصده الريالات المعروفة بالريال الفرانسا وهذا احتمال فقط . وكان من يبلغ رأس ماله ستة عشر ألف ريال يعتبر تاجراً ناجحاً مرموقاً(٤) .

وكان من تجار جدة المرموقين ، السيد عبد الله السقاف ، ومحل السقاف وشركائه ، وسعيد باجسير، وعبد الله بن جنيد، وعبد الرحمن

(١) بطرس البستاني : دائرة المعارف ص٤٠٤ ج٦ .
(٢) نوع من الشيلان معروف . مفردها : غَبانة .
(٣) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٢ .
(٤) نفس المصدر ص١٦ .

باجنيد ، وسالم بامحرم ، وأحمد باعبيد(١) وكان منهم عمر نصيف جد الشيخ محمد نصيف . وكان تجار جُدة كثيرى الأسفار في طلب التجارة وللاستجمام .

وقد عدد لنا محمد صالح بن علي باعشن سَفَراتِه فكان منها الى ايطاليا ومصر ولبنان وفلسطين والسودان(٢) . والتجارة تقتضى الأسفار دائماً لفحص الأسعار، وجلب البضائع المناسبة في الوقت المناسب، وبالسعر المناسب .

لقد كانت التجارة في جدة ناجحة مائة في المائة ، والأرباح طائلة ، ولذلك سرعان ما نرى أن من يزاول هذه المهنة يصبح عما قريب من الأثرياء . ونعلل ذلك بأمرين مزدوجين : هما الرخاء الضارب أطنابه في البلاد الداخلية والخارجية يومئذ ، وعدم تفتح الوعي العام ، فقد كانت الدنيا ـ كما يقول محمد صالح باعشن ـ مغطاة ، وكان كثير منهم مع ذلك ذوى ديانة وأمانة في تجاراتهم وودائعهم وأماناتهم . وقد حدثنا محمد صالح بن علي باعشن في مذكراته كيف أن صاحباً لوالده أَمَّنَه ألفي جنيه ذهباً ، حينما عزم على الحج، وخاف عليها من اللصوص فما كان من علي باعشن الا أن قيدها ، ووضعها في صندوق أمين ، ثم سعى لتنميتها واستثمارها بالاتجار بها ، فقد أرسل النقود المذكورة في جملة مراكب ، تذهب الى بنغالة في الهند ، واشترى بها أرزاً وباعه، وربح الأرز المبيع مبلغاً عظيماً ، سلمه التاجر الأمين لصاحبه كله، وروى لنا روايات أخرى مماثلة في هذا الشأن(٣) وقد ذكرتنا هذه الأمانة بالحديث الذى رواه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم عن أحد ثلاثة الأشخاص الذين أطبقت عليهم صخرة كبيرة في سفر لهم فدعوا الله وتوسلوا اليه بأحسن عمل لهم ، فانفجرت الصخرة عنهم ونجوا من الكرب العظيم .

(١) نفس المصدر ص١٧و١٩ .
(٢) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٢٣و٢٤ .
(٣) المذكرات الخطية لمحمد صالح باعشن .

وكان أحدهم عمل عملا يشابه ما عمـله علي باعشن ، مع صاحبه ، وكان ما أودعه لديه ، عبارة عن غنم .

وفي مجال الأمانة العميقة والربح الوافر اللذين كان تجـار جـدة يتمتعون بهما فيبارك الله لهم في تجارتهم وأرزاقهم ، يحدثنا محمد صالح باعشن فيقول : « كنت أنا محمد صالح ، محرر هذه المفـكرة ، أخبرت الشيخ صالح بن عبد الله الفضل آحد تجار جُدة فقال : ان مثل هـذا وأعظم منه كائن . قال : كنا نأتي بالمسك ونبيعه في مواسم الحج : المائة بثلاثمائة ، الا أن مبالغ المسك لا تكون مثل مبالغ البنغالى (قـد يكون قصـده ، الأرز البنغالى) وقال : « كانت المراكب اذا قامت من جُدة تمر على اسكلَةَ : « ميناء » المُخَا من أعمـال اليمن ، وكانت عامرة غاصة بالتجارة ، كل مراكب الهنـد تمر عليهـا ذهاباً واياباً . وكنـا نشترى منها فَرقَ الليمون المخاوي الناشف بريال واحـد ، ونبيعه في البصرة بعشرة ريالات ، وكان الناس يشتغلون في التجارة ويربحون(١).

وعطف صاحب المفكرة أو المذكرات على ذلك ، بحديثه عن نفسه في هذا الميدان ، فقال : « أما الكاتب لهذه السطور فانى كنت أشتغل فى البحر ، بين مصر وجاوة وسـنغافورة واليمن ، وأجلب منهـا أشـياء بسيطة على قدر الحال وما من رسالة أجلبها الا وأربح فيها ان لم يكن ربحاً كثيراً ، فقليل ، والخسارة لا تعرف بين الناس الا في النادر بخلاف وقتنا هذا « سـنة ١٣٥٩ هـ » فالتجـار في كرب عظـيم ، من ضـعف الأسباب ، بسبب كشف الأسرار ، وكثرة الحسد ، فانه اذا صادف أن زيداً من النـاس جلب صنفاً وعاش منه قام ألف زيد بطلب هذا الصنف حتى يسقط الصنف ويسـقطوا هم جميعـا ، ومثل هذا في كل أحـوال التجارة : التاجر يطلب جملة أصناف في محله ومثله الآخـر ويتخبط الجميع وينزلون الأسعار على بعضهم »(٢) .

(١) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٢٥ .
(٢) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية ص١٣ .

وكان من تجاراتهم شراء العقار واستثماره ، من باب الاحتياط للمستقبل ، وفي هذا يقول محمد صالح باعشن : « كنا نعشق الانشاء والمشترى في العقار ، وان كنا نعلم علم اليقين ، أن الفائدة في هذا ضعيفة ، ولا مصلحة تَجزِي ، في هذه البلدة (أى جُدة) ولكن قال المتقدمون من الرجال : «العز والفخر فيمن يملك العقار والمال . والعقار مقدم في اظهاره بين الناس » وفي الحقيقة ان الرجال تظهر بأعمالها وأفعالها المجيدة ، والمال يكسو الرجال مهابة ، والعقار يكسوهم جمالا »(١) .

ثم أورد ما تَمَلَّكُوه من عقار في جُدة وأثمانه وما أنشأوه .. بلغت تكاليف انشاء دار لهم «ألفي جنيه» بما في ذلك قيمة الأنقاض والحجارة والخشب والنورة والأجرة . ويقول صاحب المذكرات : « ان الخشب في ذلك الوقت غال جداً ، فقيمة الكُورَجة خمسة جنيهات ذهباً افرنجياً والحجر من ٨٠ الى ١٠٠ ريال »(٢) و «الكورجة» هي : عشرون لوحاً .

وكان من جملة تجاراتهم اشتراء المراكب التى تمخر عباب البحار ، وتجلب الى جدة ألوان البضائع من كل فج عميق . وقد أفادنا محمد صالح بن علي باعشن بأن والده كان اقتنى مركباً ونصف مركب شراعيين بشركة الحاج حسن ابراهيم جوهر ، من أعيان وأكابر جدة ، واسم المركب الذى اشترى نصفه هو « فتح البارى » . وقد بيع ذلك وأدخل في شركة علي باعشن التى قسمت على ورثته(٣) .

وقد ذكر تويتشل أن بعض اللآلىء وجدت على طول البحر الأحمر قرب جُدة الى الجنوب ، ولكن الغوص لم يكن حتى الآن أحد المشروعات التجارية الناجحة(٤) .

(١) نفس المصدر والصفحة ١٣ .
(٢) نفس المصدر ص٢٦ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) توتشل : المملكة العربية السعودية ترجمة شكيب الأموي ص٣٦ و٣٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م .

وقد حددت «دائرة المعارف الاسلامية» واردات جُدة بأنها كانت بعد فتح قناة السويس « ١ر٥٠٠ر٠٠٠ » جنيه وقالت : انها تزود مدن الحجاز بالمؤن ، ولكنها لا تكاد تصدر شيئاً مقابل هذه الواردات .

ونعلق على ما ذكر بأن واردات جدة بعد فتح القناة قد تضاءلت وانكمشت كما هو معروف ، كما ان صادراتها تبعت وارداتها في الانكماش اذ ذاك ، والا فاننا اذا تذكرنا أنها كانت المركز التمويني الرئيسى لبلاد الشرق الأوسط ، لا للحجاز وحده ، قبل فتح القناة ، على ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية وغيرها ، فأننا عندئذ نقدر مدى ضخامة وارداتها وصادراتها الخاصة والعامة . وما أشارت اليه دائرة المعارف الاسلامية ، من أنها تزود « مدن الحجاز » فقط ، بالمؤن ، هو من القاء الكلام على عواهنه ، فأنها حتى بعد فتح قناة السويس كانت تزود الحجاز ونجداً بالمؤن ، وما توقف تزويدها لنجد الا بعد قيام ثورة الملك حسين بن علي ومنعه تموين نجد من الحجاز ، ثم عادت الأمور الى مجراها بعد انتهاء حكومته التى استمرت قرابة تسع سنوات .

وفي دائرة المعارف البريطانية أن : «حركة جدة التجارية زادت عند تسلم ابن سعود لها ، كما أشار المستر تويتشل الى صيد الأسماك بجدة، وقال : انه يوجد بمحاذاة البحر الأحمر كثير ممن يعنون بصيد الأسماك، وقال : ان موانيء البحر الأحمر مليئة بالأسماك(١) التى يعود بها البحارة الذين يخرجون الى البحر . ويصاد السمك أحياناً بالشِّبَاك المستديرة قرب الشاطيء ، وهناك نوع من السمك يدعى «الباراكودا» في شعاب البحر الأحمر ، ومنه في بورت سودان على الشاطىء الآخر من البحر ، مقابل جدة . ويمكن لصناعة صيد الأسماك أن تكون واسعة الانتشار ، بتجفيفها وارسالها الى داخل البلاد ، لتزويد السكان بمادة غذائية دسمة ، ويُرَى القرشُ بوفرة في البحر الأحمر ، وقد وصعتفي

(١) عقدنا فصلا خاصة بالأسماك .

الطرف الجنوبي من البحر الأحمر مصيدة منذ بضع سنوات ، لاصطياد القرش على نطاق واسع فتباع جلوده لاستعمالها في صنع الأحذية والزعانف للصينيين كطعام»(١) .

وقد أسست شركة وطنية لصيد الأسماك في جدة ولم يظهر انتاجها حتى كتابة هذه السطور .

واذا ذكرنا أن ما أوردته دائرة المعارف المطبوعة في سنة ١٩٦٠ م من أن جدة تورد من الخارج بضائع بخمسة ملايين جنيه استرليني والعجز يغطى من الحجاج ـ انما كان حديثاً عن سنة ١٩٥٥م كما ورد في الدائرة ، واذا رجعنا الى ما سجل من صادراتها ووارداتها بعدئذ ، ندرك أى تقدم مطرد قد حدث في اقتصادياتها في هذه الفترة الوجيزة .

ولقد حدثنا التقرير الخاص المرسل الينا من رئيس الغرفة التجارية الصناعية بجدة في ١٢ شوال ١٣٨١ هـ بأن الكيان الاقتصادي لمدينة جدة يعتبر أقوى كيان اقتصادي بالمملكة كلها .. فهي المدينة الأم للتجارة والاستيراد والتصدير ، وبها عدة مصانع ، وشركات ضخمة(٢) ، لها توكيلات هامة في جميع ما تستورده المملكة ، وحالتها التجارية الآن أحسن من ذى قبل ، وعلى العموم تعتبر مدينة تجارية ضخمة تمتد تيارات كيانها الاقتصادي الى كافة أرجاء المملكة ، وتستقبل مئات الألوف من الحجاج ، وفيها حركة واسعة النطاق ، وبها كذلك المراكز الرئيسية لجميع البنوك الوطنية والعربية والاسلامية والأجنبية ، والمركز الرئيسى لمؤسسة النقد العربي السعودي الذى كان بها الى سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م حيث نقل هذا المركز الى مدينة الرياض وأبقي في جُدة فرع كبير له حل محل المركز الاصلى في مقره قرب المطار الحالي .

(١) تويتشل : المملكة العربية السعودية : ترجمة شكيب الاموي ص٣٧ طبعة القاهرة ١٩٥٥م .

(٢) زادت المصانع في جدة بعد عام ١٣٩٥هـ زيادة كبيرة حتى أنشئت لها مدينة خاصة فيما بعد في جنوب جدة ، كما زادت الشركات والمؤسسات زيادة ضخمة جدا نقلت جدة الى طور ضخم عظيم اقتصاديا (راجع هذين الموضوعين بالجزء الثاني من هذا الكتاب في بحثي (مصانع جدة الحديثة) و (الشركات والمؤسسات الحديثة في مدينة جدة) .

وتعتبر جُدة أكبر موانيء المملكة ، والمركز التجاري الهام لتموين المنطقة الغربية بها ، كما تعتبر عروس البحر الأحمر اعتباراً غير مركز سابقاً ولكنه في سنة ١٤٠٠هـ اعتبار حقيقي بلا مرية (راجع الجزء الثاني من كتابنا هذا) .

وبها عدد وافر من البيوت التجارية الهامة والشركات ووكالات الاستيراد . وكمية الاستيراد تتبع حالة الأسواق المحلية داخل المملكة ، فتنخفض الكميات ، وترتفع حسب متطلبات السوق . وقد بدأ ازدهار جدة منذ عشر سنوات ، وخاصة منذ عام ١٣٧٥هـ عندما اتخذتها الحكومة مقراً لدوائرها الرسمية ووزاراتها ، وذلك بعد أن تم الطريق «المسفلت» الذى يربطها بمكة ، وبعد ايصال الماء العذب اليها ، وبعد اتمام بناء الميناء البحري الجديد والميناء الجوي فيها . وكل هذه العوامل جعلت منها مدينة عامرة بالسكان ، واسعة العمران ، الى مسافات بعيدة ، شمالا وجنوباً وشرقاً وغربا ، وكانت مساحتها نحو كيلو متر مربع واحد وأصبحت الآن أربعة عشر كيلومتراً مربعاً .

وبعد انتقال الوزارات منها الى الرياض تأثرت اقتصادياً الى حد ما، نظرا لنزوح كثير من المواطنين عنها ، وفي مقدمتهم الموظفون الحكوميون وانتقالهم الى الرياض ، مما أدى الى انخفاض مستوى حركة البيع والشراء . غير أنه مما يلاحظ في الأعوام الأخيرة ، عودة ازدهارها تبعاً للمشروعات العمرانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التى قررت الحكومة القيام بها فيها .. مما يبشر بانتعاش اقتصادي مقبل لها.

وزاد من أهميتها التجارية الآن ارتباطها بكافة مدن المملكة الهامة تقريباً بخطوط مسفلتة ، مما جعل الحركة التجارية فيها ، تتقدم وتزدهر باطراد .

والتقرير الخطى الذى بعث به الينا رئيس مجلس ادارة الغرفة التجارية والصناعية بجدة يضع بين أيدينا مجموع قيم واردات جدة

وصادراتها من البضائع ، سواء ما كان منها عن طريق البحر ، أم ما كان عن طريق الميناء الجوي ، وذلك في آخر احصائية لعام ١٣٧٩ هـ .

فمجمل قيم التصدير من المملكة لذلك العام بلغ «٣ر٣١٣ر٥٠٦ر٧٤٤ ريال عربي . وبلغ مجمل قيم الاستيراد للمملكة للعام نفسه : « ٩١٧ر٦٣٢ر٧٠٢ » ريال عربي . والميزان التجاري للمملكة لذلك العام بلغ « ٢ر٣٩٨ر٨٧٤ر٠٤٣ » ريال عربي . بنسبة ١٨٦٪ .

ومما سبق يتضح أن الكيان الاقتصادي العام للمملكة يسير في خطى واسعة متزنة قوية الى الأمام . وتعتبر جدة احدى المحركات التجارية الهامة في هذا الكيان ، كما ينتظر لها مستقبل زاهر في عالم الاقتصاد والتجارة .

١ - جذور الكيان الاقتصادي :

هذا وللكيان الاقتصادي في جُدة جذور تتمثل في تجارة بعض أُسَرِهَا التجارية ، فلا بد من ايرادها هنا ، تكملة للصورة . ومن هؤلاء : آل نصيف وآل زينل وآل باناجه وآل باعشن وآل زاهد وآل الهزاز وآل الجمجوم وآل باغفار وآل اللنجاوي وآل الطويل وآل البسام وآل الفضل وآل المتبولى وآل المغربي وآل قابل وآل الأبار وآل الكابلى وآل الشبكشى وآل عرب وآل الدخيل وآل عبد الفتاح وآل التركي وغيرهم .

وقد جاء اسم بعض هذه الأسر وأجدادها من التجار في كتاب «خلاصة الكلام» عَرَضاً أثناء حديثه عن بعض الحوادث المتعلقة بجدة . فهذه الأُسَر قد ساهمت فيما مضى ، وبعضها في الحاضر ، في بناء الكيان الاقتصادي لهذا البلد، كما أسهم بعضها في كثير من الشؤون السياسية العامة بسبب تحكم الاقتصاد في السياسة دائماً . . فالحزب الوطني الذى أسس في جدة سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م انما أسسه بعض رجال هذه

الأسر ، بالاضافة الى بعض رجال مكة المشرفة ، ومقـره كان بجدة . ومن مؤسسيه : محمد نصيف ومحمد طويل وسليمان قابل وقاسم زينل وعبد الله علي رضا زينل .. وهؤلاء كلهم رجال تجارة ومال في جدة(١).

ومن أقدم هذه الأُسر في عالم التجارة ، بيت زينل ، الذى اطـَّلـعتُ في دفاتره القديمة على ما يدل على أن لهم في مزاولة التجارة بجُدة نحو مائة عام .

وفي جـدة الى أولئـك بيوت تجارية أخرى من المواطنين ، ومنهم : ابراهيم شاكر ، ومحمد العوضى ، وصلاح الدين عبد الجواد ، وحسين فايز ، وأبو بكر باخشب ، وشنكار ، وابن زقر ، وأبو داود ، وبقشان وغيرهم .

وأغلب اعتماد تجارة جدة على التوريد ، كما كان عليه الحال ، مع ملاحظة أن كثيراً من الصناعات المتعلقة بالسيارات والعمارات والغذاء والمياه الغازية أصبحت تصنع محلياً الآن .

واذا استثنينا شركتين احداهما كبيرة والأخرى صغيرة ، وأولاهما شركة الأسمنت العربية المحدودة التى أسسها ويرأسها عبد الله السليمان، وتستخرج مادة الأسمنت وتصنعه محلياً وتعبـؤه وتبيعـه . والثانيـة شركة الصـَّدف التى تعمل في «أَبحُر» وتجمع الصـَّدف من البحر وتصدره(٢) ، فان الأكثرية الساحقة ممن يزاولون الأعمـال الاقتصـادية في جـدة يعتمدون على التوريد . وتحت التأسيس الآن شركة المصافي السعودية ورئيسـها سـمو الأمير خالد بن تركي ، واذا تم تأسيسـها ، وبـدأت أعمالها ، فانها ستفيد الاقتصاد الوطني فائدة هامة .

وفيما يلي احصاء عام ، يشمل جميع الأصناف التى يوردها تجـار جدة ، والاشارة الى التجـار الحقيقيـين ، والمعنويين ، الذين يوردون ذلك ، مع ما يـُتـَاجـَرُ به محلياً ، وما يُصنعُ في البلد من الأساس :

(١) حسين نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ص١٣٣ .

(٢) توقفت هذه الشركة عن العمل منذ أمد بعد عام ١٣٨٣هـ .

وهذه أنواع التجارات المستوردة :

١ ــ الوكالات التجارية عن الخارج « قومسيون » :

يختص بهذا اللون من تجار جدة ووكلائها عشرة أشخاص ، ما بين حقيقيين ومعنويين ، وردت أسماؤهم في الدليل التجاري الذى أصدرته الغرفة التجارية سنة ١٣٨١هـ(١) .

٢ ــ الأدوية والمستحضرات الطبية : يقوم بتوريدها من الخارج ، اثنا عشر شخصاً ، ما بين حقيقيين ومعنويين .

٣ ــ الروائح : يوردها أربعة من تجار جدة .

٤ ــ الأقمشة : يوردها تسعة من التجار .

٥ ــ ملابس الأطفال : يوردها تاجران : حقيقى ومعنوى .

٦ ــ الخردوات : يوردها خمسة .

٧ ــ الحقائب والملابس : يوردها شخصان : حقيقي ومعنوى .

٨ ــ أدوات التجميل : يوردها ثمانيــة أشخاص ما بين حقيقيين ومعنويين .

٩ ــ الملابس الجاهزة : يوردها سبعة تجار ما بين حقيقيين ومعنويين .

١٠ ــ توكيلات عامة : يقوم بتوريدها خمسة تجار ما بين حقيقي ومعنوي .

١١ ــ مكاتب استيراد : لشخصين من المشتغلين بالتجارة .

١٢ ــ مكاتب التصدير : لأربعة أشخاص معنويين .

١٣ ــ مطابع : لأربع شركات وشخصين حقيقيين .

---

(١) الدليل التجاري الاضافي للغرفة التجارية بجدة سنة ١٣٨١ .

١٤ ـ توزيع الصحف والمجلات : لشخصين حقيقيين .

١٥ ـ أدوات قرطاسية « أدوات مكتبية » يوردها خمسة أشخاص ما بين حقيقي ومعنوى .

١٦ ـ آلات طبع ومستندات : تقوم بتوريدها شخصية معنوية واحدة .

١٧ ـ الآلات الكاتبة الحاسبة : توردها شخصية معنوية واحدة .

١٨ ـ المفروشات المكتبية : يوردها شخصية معنوية واحدة .

١٩ ـ مُعَدَّاتُ المصانع : توردها شخصية معنوية واحدة .

٢٠ ـ أدوات بناء : يوردها سبعة أشخاص ما بين حقيقي ومعنوى .

٢١ ـ أدوات منزلية : يوردها خمسة أشخاص ما بين حقيقي ومعنوى

٢٢ ـ مواد غذائية : يوردها سبعة عشر شخصاً ، ما بين حقيقي ومعنوى .

٢٣ ـ دهون « سمن » يورده ثلاثة أشخاص حقيقيين .

٢٤ ـ خضراوات : يوردها شخص حقيقي واحد .

٢٥ ـ فواكه : يوردها شخصان حقيقيان .

٢٦ ـ حَلَوِيَات : يوردها شخصان حقيقيان .

٢٧ ـ فضيات « مجوهرات » يوردها شخصان معنويان .

٢٨ ـ راديوهات : يوردها عدة أشخاص .

٢٩ ـ موبيليات : يوردها خمسة أشخاص ما بين حقيقي ومعنوى .

٣٠ ـ قطن : يورده شخص حقيقي واحد .

٣١ ـ بن « قهوة » يورده شخص واحد حقيقي .

٣٢ ـ المواشي : يوردها شخص حقيقي واحد .

٣٣ ـ بسكويت : يورده شخص واحد حقيقي .

٣٤ ـ عطارة : يوردها خمسة أشخاص حقيقيين .

٣٥ ـ معلبات : يوردها ثلاثة أشخاص حقيقيين .

٣٦ ـ تعبئة المشروبات الغازية : يقوم بها شخص معنوى واحد .

٣٧ ـ مخابز كهربائية : يقوم بها أشخاص .

٣٨ ـ أوان منزلية : يوردها شخص حقيقي واحد .

٣٩ ـ ملابس مستعملة : يوردها شخص واحد حقيقى .

٤٠ ـ الشاي : يورده ثلاثة أشخاص حقيقيين .

٤١ ـ التعهدات : يقوم بها شخص معنوي واحد .

٤٢ ـ أعمال مصرفية ، يقوم بها اثنا عشر شخصاً ما بين معنوي وحقيقي « وهؤلاء هم المسجلون في الغرفة التجارية » .

٤٣ ـ تأسيس شركات : يقوم بذلك شخص حقيقى واحد .

٤٤ ـ تخليص جمركي : يقوم به شخص معنوى واحد .

٤٥ ـ هندسة معمارية « مقاولات » يقوم بها أربعة أشخاص معنويين

٤٦ ـ بطانيات : يوردها شخصان حقيقيان .

٤٧ ـ أحذية : يوردها ثلاثة أشخاص حقيقيين .

٤٨ ـ ساعات : يوردها أربعة أشخاص ما بين معنوى وحقيقى .

٤٩ ـ مكنات الخياطة : توردها شخصيات حقيقية ومعنوية .

٥٠ ـ مشتقات الأسمنت والجير ، تقوم بصنعها محلياً شخصية معنوية واحدة .

٥١ ـ صناعة الجير : تقوم بها نفس الشخصية المعنوية التى تقوم بصنع مشتقات الأسمنت والجير .

٥٢ ـ صناعة الأسمنت : تقوم بها نفس الشخصية المعنوية التى تقوم بصناعة الجير ومشتقات الأسمنت والجير .

٥٣ ـ الأدهان « بويات » يوردها أربعة أشخاص حقيقيين ومعنويين

٥٤ ـ الأخشاب : يوردها شخص معنوى واحد .

٥٥ ـ الزجاج : يورده خمسة أشخاص حقيقيين .

٥٦ ـ نجف : تورده شخصية معنوية واحدة .

٥٧ ـ مشمع : يورده شخص واحد حقيقى .

٥٨ ـ كماليات : يوردها شخص حقيقى واحد .

٥٩ ـ مصاعد كهربائية : يوردها شخصان معنويان .

٦٠ ـ زوارق بحرية : توردها شخصية معنوية واحدة «ويلاحظ أنه يوجد مصنع في البغدادية لصنع هذه الزوارق محلياً » .

٦١ ـ رافعات ماء زراعية : يوردها خمسة شخصيات ، ما بين معنوية وحقيقية .

٦٢ ـ مصانع الأوكسجين : تقوم بها شخصية معنوية واحدة .

٦٣ ـ مصانع الأستلين : تقوم بها نفس الشخصية المعنوية التى تقوم بمصانع الأوكسجين .

٦٤ ـ مصانع الصفائح : تقوم بها نفس الشخصية المعنوية التى تقوم بمصانع الأوكسجين والأستلين .

٦٥ ـ الصناعات الحديدية : تقوم بها نفس الشخصية المعنوية التى تقوم بمصانع الأوكسجين والأستلين والصفائح .

٦٦ ـ مُعَدّات ثقيلة : تقوم بها شخصية معنوية واحدة .

٦٧ ـ أدوات كهرباء « منزلية » يوردها ستة أشخاص ما بين معنوى وحقيقى .

٦٨ ـ مكيفات وثلاجات و « أدوات كهرباء » يوردها خمسة عشر شخصاً ، ما بين حقيقي ومعنوي .

٦٩ ـ توليد التيار الكهربائي : تقوم به شخصية معنوية واحدة .

٧٠ ـ مولدات كهربائية : يوردها خمسة أشخاص معنويين .

٧١ ـ تمديدات كهربائية : تقوم بها شخصية معنوية واحدة .

٧٢ ـ انشاء محطات كهربائية : تقوم بذلك شخصية معنوية واحدة

٧٣ ـ ترانسفورات ومحولات كهربائية : توردها شخصية معنوية واحدة هي التى تقوم بانشاء محطات كهربائية .

٧٤ ـ كابلات وأسلاك كهربائية وهواتف : تقوم بتوريدها شخصيتان معنويتان .

٧٥ ـ أسلاك هواتف : توردها شخصية معنوية واحدة .

٧٦ ـ سنترالات هواتف آلية أوتوماتيكية وغير آلية : توردها شخصية معنوية واحدة وهى التى تورد أسلاك الهواتف .

٧٧ ـ تصميمات وتركيب مكيفات هامة : تقوم بها شخصية معنوية واحدة .

٧٨ ـ خراطيم ماء : يوردها شخص حقيقى واحد .

٧٩ ـ زيوت سيارات : يوردها سبعة أشخاص ما بين حقيقيومعنوى

٨٠ ـ مُعَدّات مرائب (جمع مرأب) وهو (القراج) وورش : توردها شخصيتان معنويتان .

٨١ ـ دراجات بخارية «نارية» توردها شخصية معنوية واحدة هي نفس الشخصية التى تورد مُعَدّات المرائب والورش .

٨٢ ـ مكنات ديزل : توردها شخصيتان معنويتان .

٨٣ ـ دركترات وجرارات : توردها شخصية معنوية واحدة .

٨٤ ـ مُعَدَّات نفطية وصناعية : توردها شخصية معنوية واحدة وهى التى تورد الدراجات البخارية .

٨٥ ـ مكنات نجارة وأدواتها : يوردها شخص واحد حقيقي .

٨٦ ـ ورش نجارة : يوردها خمسة أشخاص معنويين .

٨٧ ـ السيارات : يوردها خمسة أشخاص معنويين .

٨٨ ـ قطع غيار السيارات : يوردها عشرة أشخاص ما بين معنوى وحقيقى .

٨٩ ـ اطارات السيارات «الكفرات» يوردها سبعة أشخاص حقيقيين

٩٠ ـ البطاريات : يوردها أربعة أشخاص حقيقيين .

٩١ ـ وكالات مختلفة : يشتغل بهذه الوكالات للطائرات والبواخر والتأمين والتوكيلات العامة أربعة عشر شخصاً ، ما بين معنوى وحقيقى.

٩٢ ـ أعمال مصرفية : يشتغل بها خمسة عشر شخصاً ، ما بين معنوى وحقيقى .

٩٣ ـ تجارة عامة : يشتغل بها أربعة وثمانون ومائة شخص ، ما بين حقيقى ومعنوى .

فأنت ترى مما سبق بيانه أن هناك ثلاثة وتسعين لوناً من ألوان التجارة والصناعة ، يمارسها في هذا البلد نحو أربعمائة شخص مابين معنوى : « الشركات » وحقيقى : « الأفراد » وهذا أمر يدل على مدى التوسع الاقتصادى والتجارى بجُدة .

وكانت جُدَّة الى عهد غير بعيد من أيام الحكومة السعودية تصدر بحراً الى الخارج : السويس وغيرها ، المنتجات الداخلية من أغنام وجمال وفحم خشب وحِنَّاء الخ ..

ويقول فيلبى : ان تجارة الموانىء الشمالية للبحر الأحمر في الأزمنة القديمة ، كانت تقتصر على تصدير ما ذكر ، الى الجهات المشار اليها ، غير أن هذا النشاط قد توقف ، بأمر الحكومة السعودية التى شجعت استيراد الأغنام من الصومال وغيرها، لسد حاجات أسواقجدة ومكة»(١)

وفي جدة فرع لشركة الزيت العربية الأمريكية ، وممثل الشركة هو « كلارك سايفر » ووكيل ممثلها أحمد راشد محتسب ، وممثل العلاقات العامة فيها شكيب الأموي ، وممثل العلاقات الحكومية عبد القادر طاهر ، ومراقبا محطة توزيعالمواد البترولية هما : درويش كتوعة ومحمود سلطان .

وفي جدة عدة محطات لتوزيع النفط على السيارات ومختلف المشروعات التى يلزمها النفط وهي موزعة على شوارع جدة الحديثة وليس في داخل البلدة القديم محطة واحدة .

وهذه أغلب المحطات منسوبة الى أصحابها :

محطة سامى كتبى .
محطة محمد أحمد بخارى
محطة عبد العزيز غرباوي .
محطة أحمد بافيل : وتقع في شارع الملك عبد العزيز ، ثم انتقلت الى طريق المدينة .
محطة عبد اللطيفجميل : وتقعفي الكيلو السابع بشارعمكة المكرمة
محطة طاهر قرملى
محطة سالم بامصلح .
محطة محمد العبد الله السليمان : وتقع أمام المطار في شارع الملك « سعود » وقد ألغيت أخيراً .

(١) سنت جون فيلبي : أرض الأنبياء مدائن صالح : الترجمة العربية للديراني ص٣٢٧ .

محطة حسن سمسم .
محطة محمد بن عيسى .
محطة عرين : تقع في شارع المدينة المنورة ، على الجانب الشرقي ولا تزال هناك حتى عام ١٤٠٠ هـ .
محطة أنور أبو الجدائل .
محطة حسن أبو العلا ، وتقع في شارع المدينة المنورة .
محطة عبد الله أبو الحسن .
محطة محمد جميل جمجوم : وتقع في شارع المطار وقد ألغيت فيما بعد .
محطة شركة التبريد .
محطة ابراهيم الدغيثر .
محطة محمد شريف خالد .

الجوهريون :

وممن يدخل في عداد التجار بجُدة الجوهريون ، وأقصد بهم بائعى الجواهر وناقديها ، وهي الحجارة الكريمة ، من لؤلؤ وزمرد وياقوت الخ وتعرف هذه الطائفة في عامية الحجاز ومنها لهجة أهل جدة باسم « الجوهرجية » وهي كلمة اختلطت فيها العربية بالتركية .

قالت « دائرة معارف القرن العشرين » : « انه يوجد في جدة مغاص اللؤلؤ والمرجان(١) فاذا أضفنا الى ما ذكر أن أهل هذا البلد مياسير(٢) وذوو تجارة واسعة في متوالى الأجيال ، وأن بلدهم هو أول ميناء يدخل منه الحجاج كل عام الى مكة المكرمة ، وأن من تجارها فُرساً ، وأنه توجد في الخليج العربي القريب من بلاد فارس مغاصات اللؤلؤ العالمية . ومن الميسور نقل شيء من محصولها الى جدة للتجارة والربح ، وأن تجارة

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارفه ص ٤٢ من المجلد الثالث طبعة مصر .
(٢) الحميري .. الروض المعطار في أخبار الأقطار الجزء الاول ص ١٧٤ من النسخة الخطية بمكتبة شيخ الاسلام السيد عارف حكمت بالمدينة المنورة .

العرب والفرس كانت متداخلة من هذه الناحية ، ولا تزال ، فقد كان يُنزِل جُدة ملوك الفرس التجارَ القادمين من الآفاق(١) ـ اذا أضفنا جميع ما ذكرَ ندرك أن لا محالة من وجود جوهريين بجدة يقومون بشراء الجواهر الثمينة ، وبيعها على التجار والحجاج والأهلين .

وقد كان وما زال لهذه الطائفة شيخ يرجع اليه في شؤونها الخاصة والعامة . ومرجعه كسائر مشايخ المهن هو « بلدية جدة » . وربما كان المرجع « المُحتَسِبَ » قبل تأسيس البلدية بجُدة .

وكان شيخها قبل الشيخ الحالى ، هو عبد الغني سليمان الجوهرجي ، وقد خلفه على المشيخة بعد وفاته ، ابنه صالح عبد الغني ، ولديه دكان يعرض فيه مختلف الأحجار الثمينة ، وهو بنفسه يشارك في شرائها وبيعها ، كما يقوم بفحصها ، اذا طلب منه ذلك، واعطاء تقرير عن حالتها : هل هي حقيقية أم مزيفة ؟ وقد تَلَقَّى خبرته فيها بالمران والتجربة من والده ، وهذا تلقى خبرته من المشايخ أسلافه

وهناك جوهريون ، غير الشيخ ، في جدة ، هو مرجعهم وهم :

١ ـ ناصر آل عبد الوهاب وله دكان تحت مسجد عكاشة ومعرض لتجارة اللؤلؤ الأصلي . وهو في الأصل من تجار البحرين . وأهل البحرين من أخبر الناس باللؤلؤ لوجود مغاصاته المشهورة لديهم من قديم الزمان .

٢ ـ حمزة عجاج .

٣ ـ سليمان النّانِيه(٢) .

---

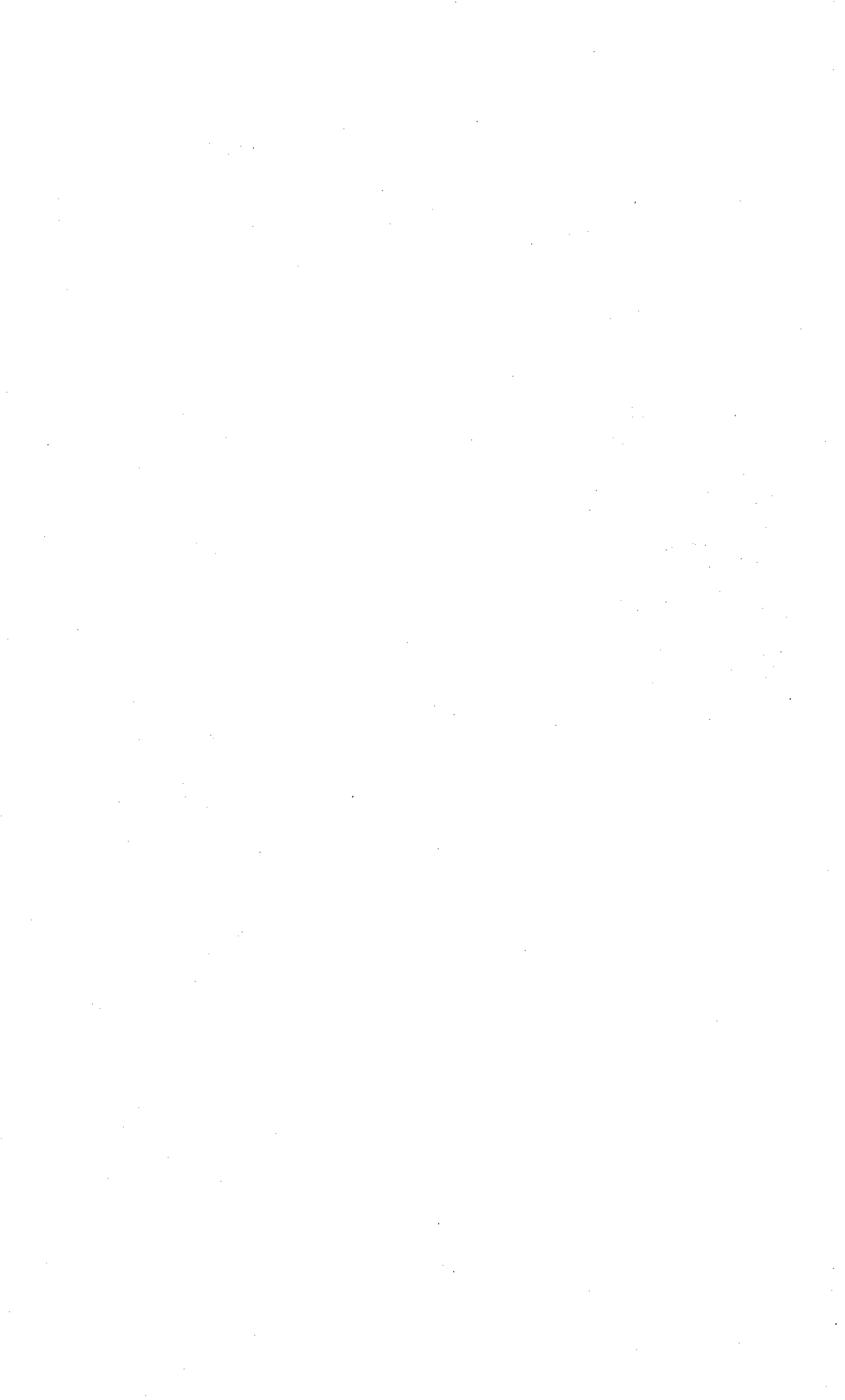
(١) نفس المصدر والصفحة السابقة في آخر هامش بها .

(٢) النانيه : لقب الاسرة . وهو بنونين ثانيتهما مكسورة وبامالة الكسرة الى الالف .

٤ ــ محمد علي زينل ، وهو من أهل جُدة ومؤسس مدرسة الفلاح بها ، وهو تاجر اللؤلؤ في بومباي بالهند أيضاً .

٥ ــ حسين عبد الجواد ، وهو تاجر لؤلؤ ، ويشتغل في هذا الصنيع مع شيخ الجوهرية صالح عبد الغني . ولهؤلاء الأشخاص جميعاً ، معرفة دقيقة بالجواهر وألوانها، صحيحها ومزيفها، ويتعاطون بيعها وشراءها.

حكام جُدة ماضيًا وحاضرًا



لا بد أنه منذ اتخذت جدة بلداً وميناءاً لمكة ، كان لها أمراء وحكام، ولهؤلاء موظفون يقومون بالأعمال والمهام باشراف أولئك ، شأن كل بلد . فقد ذكرت كتب الأدب أن سعداً مولى معاوية بن أبي سفيان كان والياً على مكة والطائف وجُدة معاً .

ووجدنا في كتاب « سفرنامه » لناصر خسرو ، أن « أمير جُدة ، المعاصر لناصر خسرو كان تابعاً لأمير مكة تاج المعالى ابن أبى الفتوح ، الذى هو أمير المدينة أيضاً » .. كان ذلك سنة ٤٤٢ هـ(١) .

ولكن ناصر خسرو ، لم يسم لنا أمير جدة هذا ، ولا عرض لنا شيئاً من سيرته وأخباره . اكتفى عن ذلك بالاشارة اليه والاخبار بأنه تابع لأمير مكة ، وقد أشاد ضمنا بخلقه وحصافته ، حيث أكرمه وكتب الى رئيسه وسيده أمير مكة بأنه أعفى ناصر خسرو ، من المكس ، لعلمه وفضله(٢) .

ويمكننا أن نفهم من قوله عنه : انه كتب الى رئيسه وسيده ، أن أمير جدة المشار اليه اما أن يكون أحد عبيد أمير مكة الذين رأى فيهم عقلا ونبوغاً وولاءاً تاماً ، فولاه امارة جُدة ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان مع مولاه سعد ، أو يكون محسوباً عليه ومقرباً اليه ، ولذلك ولاه هذه الامارة .

وقد يرجح الرأي الأول أن صيغة : « سيده » كثيراً ما تستعمل فى القديم لمن كان من الصنف الأول ، وكم في الموالي من حكام وأمراء في مختلف عهود الحضارة الاسلامية التى تقرر المساواة بين المسلمين فى الحقوق والواجبات .

وبعد تلك الاشارة العابرة لم نجد أية اشارة عن أمراء جدة وحكامها، حتى دخل القرن السادس الهجري ، فرأينا الرحالة «ابن جبير» يحدثنا بأنه « نزل في جدة بدار القائد علي ، وهو صاحب جدة ، من قبل أمير

(١) ناصر خسرو : سفرنامه (الترجمة العربية) ليحيى خشاب . ص٧٤ .
(٢) نفس المصدر ص ٧٤ و ٧٥ .

مكة : مكثر بن عيسى بن فليتة الحسنى ، وقد أنزله صاحب جدة بصرح من صروح الخوص التى يبنونها في أعالى ديارهم ويخرجون منها الى سطوح يبيتون فيها »(١) .

ويبدو من المقارنة بين ما ذكره ناصر خسرو ، في منتصف القرن الخامس الهجري ، وما أورده ابن جبير في أواخر القرن السادس الهجري ـ أن « تبعية » حاكم جدة لأمير مكة ظلت على حالها خلال الفترتين .

● ● ●

وفي أواخر عهد المماليك البرجية حدثنا التاريخ بأنه كان في جُدة حاكم من قبل السلطان قانصوه الغوري آخر ملوك هؤلاء المماليك بمصر .. وكان اسم حاكم جدة في عهد هذا السلطان هو « حسين الكردى » . وكان حسين هذا شديد الوطأة على الأهلين ، وكانجباراً صارماً..فعندما أمره سيده قانصوه الغوري ببناء سور جدة لتحصينها من حملات البورتغال البحرية شمر عن ساق الجد ، وفرض على عامة الأهالى والتجار بجُدة،حمل الطين والحجر ، حتى أتم السور في أقل من عام ، وقد بلغ من قسوته أو حزمه أن أحد البنائين تأخر عن موعده فبنى عليه السور وتركه يموت في جوفه(٢) .

وحسين الكردي هذا هو الحاكم الذى قام ببناء قلاع جدة في سورها المذكور ، ومن هذه القلاع : القلعة البحرية التى صدت حملة البورتغال البحرية بعد نحو ثلث قرن من انشائها .

وكان من سوء حظ هذا الحاكم ، أن أُغرِقَ في بحر جُدة بأمر صدر الى الوالي الذى خلفه في امارة جُدة واسم هذا الوالي كما سيأتي قريبا : قاسم الشرواني ، وذلك من السلطان سليم ، أول السلاطين العثمانيين الذين حكموا الحجاز .

(١) ابن جبير : رحلته ص ٥٢ .
(٢) أحمد السباعي : تاريخ مكة ص٢١٧ طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٢ هـ .

ولا بد أن هذا الصنيع معه كان نتيجة شكايات صارخة من أُسَر أو أبناء بعض من عنفهم أو ظلمهم حسين الكردي من أهل جُدة ابان ولايته عليها .

• • •

وفي عهد الدولة العثمانية وجدنا مصدرين أمدانا بأسماء ولاة جدة منذ أوائل القرن العاشر الهجري : أي منذ سنة ٩٢٣هـ ، الى أواخر القرن الثالث عشر الهجري فأوائل الرابع عشر .

وهذان المصدران هما كتاب : « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» للسيد أحمد زيني دحلان ، وكتاب « حجاز ولايتى سالنامه سى » المطبوع في الآستانة باللغة التركية عامي ١٣٠٣هـ و ١٣٠٦هـ .

وجاءت في أول المرجعين المذكورين تراجم موجزة ونتف مبعثرة عن حيوات بعض أولئك الولاة وعن مجريات السياسة الخاصة والعامة في أيامهم ، ووردت في المصدر الثاني منهما ملاحظات طفيفة في ذلك .

وقد عملنا مقارنة بينهما ، فوجدناهما متطابقين في تسلسل الولاة وفي أسمائهم ، مع وجود فوارق طفيفة في بعض الأسماء ، وزمن ولاية أصحابها ، وفي بعض الحروف . ولعل السبب في هذا يعود الى تغير هذه الحروف أثناء تعريبها من اللغة التركية ، والى كثرة استعمالها وترددها في اللغة العربية .. مما يستوجب « اقليميتها » وخروجها بعض الشيء عن أصلها .

وفيما يلي بيان بأسماء أولئك الولاة ، وتواريخ تعيينهم وفصلهم أو وفياتهم ، وشذرات من تراجمهم ، ونبذ عن مجرى الأحوال السياسية السائدة في عهودهم ، ممن كان لهم ضِلَع في حدوثها او في ملابساتها ..

وقد كان أول ولاة جدة في عهد السلطنة العثمانية هو الخواجا قاسم

الشرواني ، ولاه السلطان سليم العثماني على جدة ، سنة ٩٢٣هـ وهي السنة التى حكم السلطان المذكور فيها على الحجاز بعد قضائه على دولة السلطان قانصوه الغوري بمصر . وكان من أوائل أعمال هذا الوالى أن انتقم من سلفه حسين الكردي فأغرقه في بحر جُدة كما أشرنا اليه آنفاً ، وذلك بأن ربط على ظهره صخرة ، وألقاه معها في اليم فابتلعه ...

وجاء اسمه في « خلاصة الكلام » على أنه « الشرواني » بالنون ، أما في كتاب « الاعلام » للقطبي فهو « الشروالى » باللام ..

وكان الخواجا قاسم الشرواني أو الشروالى ، تاجراً يقيم بمكة ، ثم سافر الى مصر واتفق وصوله اليها مع دخول السلطان سليم فاتحاً لها .. فخدمه وتقرب اليه .. فأرسله السلطان « أميناً في بندر جدة ، وأميراً عليها ، فوصل اليها وتمكن منها »(١) .

وبعد الخواجا قاسم ، تولى علي بك ، وكانت ولايته بسنة ٩٣٢هـ ثم اوزدمر باشا سنة ٩٦٢هـ فخوش كلدى بك سنة ٩٦٧هـ ، فقاسم بك سنة ٩٩٦هـ ، وبعده محمود بك سنة ١٠١٢هـ ، فمحمد بك سنة ١٠٢٠هـ ، وحسين باشا في نفس السنة ، ومحمود باشا سنة ١٠٣٣هـ، فمحمد باشا الكورجى سنة ١٠٣٥هـ ، ثم آيدين باشا سنة ١٠٣٨هـ ، فمصطفى بك عام ١٠٤٠هـ ، وقد ضمت اليه مشيخة الحرم المكي ، وبعده جاء دولار بك سنة ١٠٤٦هـ ، ثم مصطفى بك مرة ثانية سنة ١٠٥٢هـ ، وبعده قيطاس بك سنة ١٠٦٠هـ .

وجاء في « خلاصة الكلام » أن اسمه « غيطاس بك » . وقد حدثتنا عنه فقالت : « ثم تعسكروا لغيطاس بك أمير جدة ، ونزلوا معه ، واتفق أنه في نزوله هذا الى بندر جدة كان مغاضباً لمولانا الشريف زيد بن

(١) قطب الدين الحنفي : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ط. مطبعة السعادة بمصر سنة١٣٧١هـ ص١٩٠

محسن ، لأسباب ذكرها المؤرخـون ، أقواها وأعظمهـا تردد السـيد عبد العزيز ابن الشريف ادريس المذكور سابقاً في دولة الشريف نامي، على غيطاس بك ، وافساده على الشريف زيد : وايغـار خاطر البيك المذكور عليه ، فواطأه على الباسه شرافة مكة ، ونودى به في البلاد » .

ويذكر لنا أحمد زيني دحلان أن قتالا عظيماً نشب بين الطرفين قرب مكان يقع قريباً من السيدة ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وأن عدداً كبيراً من الجانبين أصيب في تلك المعركة ، فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الأمان له ولغيطاس بك ولمن معهما ، فأعطُوه ، وأرسـل الشريف زيد مع غيطاس بك أشخاصاً ، يوصلونه الى جدة ، ثم بعـد مدة جاء الأمر بعزله ، فتوجه الى مصر ولحقه السيد عبد العزيز(١) .

وهكذا دس غيطاس بك أو قيطاس بك أنفه في شؤون الامارة ، ولم يقتصر طموحه على ولايته الخاصة ، فنـال جزاءه الأخير ، وهو الفصل من الولاية ، واعادته الى مصر مع الأمير الذى سبق أن تآمر معه على أمير مكة الشرعي .

ويبدو من حديث «السالنامه» أنه بقى في ولاية جدة ست سنوات .

وغيطاس بك أو قيطاس هو أحد مماليك رضوان العقادي أمير الحج المصري ، ولاه سيده امارة جدة ، نكاية بالشريف ، بسبب ما كان ناله من أذى الشريف ، وكانت مصر اذ ذاك تابعة لسلطان تركيا ، فلا بد أن رضوان بك وَسَّطَ لدى الخليفة في القسطنطينية من يحسن له تولية هذا المملوك ففعل .

يقول لنا أحمد زيني دحلان :

---

(١) خلاصة الكلام لاحمد بن زيني دحلان ص١٢٥ .

« وكتبت الأتراك لرضوان بك بما وقع .. فدخل مطوياً على حنق ، فحج ورجع وهو جاهد في هوى نفسه ، فأخذ صنجقية « أي قائمقامية » جدة لغيطاس بك وقربه ، لانتهاز فرصته حتى وقت تلك الفتنة »(١) .

وجاء بعد غيطاس بك ، محمد بك سنة ١٠٦٦ هـ ، فمصطفى باشا سنة ١٠٦٦ هـ أيضاً ، وفي سنة ١٠٦٧ هـ تولى سليمان بك . وفي سنة ١٠٧٥ هـ كان عماد الدين أفندي أمين جدة ، ووليها يوسف بك سنة ١٠٧٧ هـ وضمت اليه مشيخة الحرم .

وكانت ولاية محمد بك سنة ١٠٧٨ هـ ، وبعده حسين باشا سنة ١٠٧٩ هـ ، وقد ضمت اليه مشيخة الحرم .

وتقول عنه « خلاصة الكلام » : انه في سنة ١٠٧٩هـ ورد مع الحاج الشامي الى الديار الحجازية ، حسن باشا(٢) وفوضت الدولة اليه أمر جدة ومشيخة الحرم المكي ، والنظر في أمر مكة .. وقد كان هذا الأمير طموحاً ، غاضب الشريف سعد بن زيد أمير مكة وعاكسه في توزيع (الصُرّ) المرسل معه لمستحقيه ، ولم يعتن به ، حتى توسط بينهما بعض أمراء الحج ، فتواصلا على مضض وحذر ، ثم بعد انتهاء حج عام ١٠٧٩ هـ وفي المحرم من سنة ١٠٨٠ هـ توجه الى جدة مقر امارته ، فظهر منه شقاق كبير على الشريف سعد ، وبارزه بالعداوة ، وقطع معاليمه من جدة ، وطلع الى الحج في ختام سنة ١٠٨١ هـ فلما كان اليوم الثالث من أيام منى ، رمي برصاصة ، وقيل بثلاث رصاصات عند غروب الشمس تجاه جمرة العقبة ، وهو منحدر الى مكة فأصيب في فخذه ، فوقع من فوق حصانه ، فاحتمله العسكر الى « التخت » ونزلوا

---

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص٧٨ .

(٢) يلاحظ أن السالنامه تسميه حسين ، وزيني دحلان يسميه حسن . وأعتقد أن قول السالنامه أصح لأنها رسمية وتركية ورب الدار أدرى بما فيها . هذا وقد ذكرت خلاصة الكلام مغاضبة حسن باشا للشريف في الصفحة ٨٣ و ٨٤ وما بعدها .

به وقتلوا من وجـدوه تجاههم من الحجـاج والفقراء ، الى أن وصلوا « باب الباسطية » : مسكنه بمكة ، وبلغ الخبر الشريف سعداً ، فـنزل من منى بمن معه من العسكر والأشراف ، في لباس الحـديد ، ونزل الى بيته واستعدت عساكر حسن باشا للحصار ، وجعلوا المدافع على باب السدرة ورباط الباسطية ، ومن جهـة باب الشـبيكة بمكة ، وحـذر الشريف من حسن باشا ، واجتمع أمراء الحج بالشريف ، فأخبرهم بأن هذا الأمر ليس له به خبر ولا بفاعله ، وطلب الشريف محاسبة حسن باشا عما هو له من مدخول جدة ، لأنه منعه منه من غـير أمر يقتضى ذلك بعد انعام السلطنة على الشريف به ، ووكل الشريف ، الخـواجا « محمد بن سعيد بن مصطفى السبورى » وزير جدة من جهته ، فأقام الدعوى لدى القاضي ـ قاضى مكة ـ على الباشـا ، وأحضر « دفاتر » بندر جدة ، فصح للشريف عنده « ٢٤٠٠٠ » قرش وتوسط الأمراء ، فأخـذ عشرة آلاف وسـامح في الباقي » ثم توجه الباشا الى جدة في ١٧ ذي الحجة ، ومنها الى المدينة المنورة ، فلما دخلها وأقام بها أياماً حسن له « محمد ظافر » أن يبعث الى السـيد أحمد بن محمد الحـارث بن الحسين بن أبى نمي ، ويوليه « شرافة مكة » فبعث اليه . وجاء المدينة فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة ، ونادى له في البـلد ، وأمر بالدعاء له على المنبر ، وأرسل الى جدة ، يريد ذخيرة ليتوجه بها الى مكة ، وبلغ الخبر الشريف سعداً ، فتوجه الى ينبع ، ليقـاتل حسن باشا ، ثم توالت الحوادث ، حتى ورد عزل حسن باشا الى الشريف سعد وجاءته البشرى بامداده بالذخيرة والخـزانة التى طلبها حسن باشـا ، فأرسلت اليه من جدة ، ثم وافي خبر العـزل حسن باشـا ، فتوجه من المدينة على طريق غزة وتوفي بالطريق(١) .

وهكذا كان العزلُ مَصِـيرَ حسن باشا ، كما يدعوه أحمد زيني دحلان،

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام من ص٨٣ الى ص٨٧ .

وحسين باشا ، كما تسميه السالنامه ، وذلك بسبب تجاوزه لسلطاته ، ودسه لأنفه في شؤون امارة مكة بصفة عميقة ومباشرة لغرض في نفسه .. فكان في هذا المصير مماثلا لزميله السابق غيطاس أو قيطاس بك سواء بسواء ...

ومن لم يصانع في أمور كثيرة — يُضَرَّس بأنياب ويُوطأ بمنسم

ويمكن للباحث أن يستخلص من هذه الحوادث أن الأمراء في مكة وبني عمومتهم لم يكونوا على وفاق ، لا مع بعضهم ولا مع ولاة الأتراك، فترى هؤلاء يستميلون اليهم بعض أولئك ، ضد بعض ، ويولونهم الامارة ، ويعزلون الأمراء الشرعيين ، ويَقبَلُ الاشراف المقربون الى الولاة ، هذا الواقع ، اما طمعاً في الأمارة أو لشيء كانوا يجدونه فى أنفسهم على القائم بالأمر .. والولاة الأتراك يصيدون في الماء العكر ويزيدون النار ضراماً ، والأحقاد اشتعالا ، ليتمكنوا بهذه التفرقة بين أبناء العم ، من السيطرة عليهم جميعاً ، خاصة وانهم يشعرون في قرارة أعماقهم بأن هذا هو الطريق الوحيد لبقائهم وتسنمهم لمنصب الولاية ، أكبر أمد ممكن . كما تدلنا هذه الأحداث التى نرى « أبطال مسرحياتها » هم ولاة جدة — على أن لجدة دخلا كبيراً في تصريف أمور البلاد ، وتوجيه دفة السياسة العامة الى الوجهة التى يقصدها ولاتها ، فهي بذلك تكون مدينة منافسة لمكة من هذه الناحية ، ولعل السبب في ذلك أنه كان بيدها زمام الشؤون الاقتصادية والتموينية بالنسبة لمكة يومئذ .

وتولى جدة بعد حسين أو حسن باشا ، سعيد باشا في سنة ١٠٨٢هـ ، وبعده تولاها أحمد باشا سنة ١٠٩٥هـ ، فسليمان باشا تيردار سنة ١٠٩٦هـ ، فاسماعيل باشا كتخدا في نفس السنة . ثم كانت ولاية سليمان باشا الثانية سنة ١٠٩٧هـ فمحمد بك سنة ١٠٩٨هـ ، وقد أضيفت اليه مشيخة الحرم المكي ، فأحمد بك سنة ١١٠٣هـ ، فمحمد

باشا بيقلى سنة ١١٠٤ هـ . وقد أضيفت اليه محافظة سواكن الواقعة على الشاطىء الغربي للبحر الأحمر .

ويقول أحمد زيني دحلان : «ان الشريف سعيد بن سعد بن زيد حينما ولي شرافة مكة[١] كتبوا الى الباشا صاحب جدة وهو محمد باشا بيقلى هذا ــ فامتنع عن النداء له ، ثم روجع في ذلك ، فوافق ، ونادى له بجدة سلخ المحرم من سنة ١١٠٣هـ[٢] .

ويفيدنا أحمد زيني دحلان بأن هذا الباشا تولى جُدة سنة ١١٠٣هـ كما مر بنا آنفاً . أما السالنامه فتجعله والياً عليها من سنة ١١٠٤هـ[٣] .

ومحمد باشا بيقلى شخصية طموح ، بعثته الآستانة والياً لها على جدة ، وأضافت اليه محافظة سواكن من بر السودان . وكان من المعتاد آنذاك أن ينصب شريف مكة « وزيراً » من جهته بجدة يكون الى جانب الوالي التركي ، لكي يشرف وزير مكة في جدة على أمور الشريف الخاصة والعامة ، وليكون « عيناً » ساهرة له ، في ثغر الحجاز المهم ، وربما تدخل هذا « الوزير الشريفي » بلباقته وأمواله ونفوذه ، في شؤون الولاية من طرف خفي أو جلي ، فيستميل الى جانب سيده ، من في مصلحته استمالتهم من التجار والأعيان ، مما يخفف من شدة سطوة الباشا اذا كان داهية أو صارماً .. وقد يحسن هذا الوزير الشريفي القيام بالموازنة المعقولة بين السلطتين المتناحرتين ، تارة في الجلاء وتارة في الخفاء .

وقد حدثت مشاحنات بين محمد باشا بيقلى هذا ، وعثمان حميدان الوزير المُولَّى من قبل أمير مكة ، فهم الوالى بقتله ، ولكن الله أنجاه من

(١) يقصد مؤرخو الحجاز بشرافة مكة امارتها من قبل الأشراف أي الهاشميين .
(٢) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص١١٧ .
(٣) السالنامه ص١٢٦ .

القتل بأعجوبة(١) .

وليس هذا بالحادث الوحيد أو الأول أو الأخير يقع بين الوالى التركي والوزير الهاشمي ، حيال تنازع السلطة ، ومحاولة كل منهما اجتذاب الأنصار في جُدة ، فقد سبقت هذا الحادث حوادث مشابهة ، من أبرزها قضية « الخواجا محمد سعيد بن مصطفى السبورى » وزير جُدة من قبل الشريف سعد بن زيد .. ولقد مر بنا أنه أقام دعوى لدى قاضي مكة على حسن باشا أو حسين باشا والي جُدة ، باسم سيده الشريف ، وأحضر معه دفاتر بندر جُدة الناطقة بما حبسه الوالي من « معاليم جُدة » ومدخولها ، العائدين للشريف سعد(٢) .

ولم تهدأ هذه الحوادث المتتالية عبر السنين بعد ذلك ، الى عهد وكالة عمر أفندى نصيف .. الجد الأول للشيخ محمد بن حسين نصيف ، فقد وجه اليه الوالى تهمة غير صحيحة ، فأمر السلطان بحبسه ، ثم استبدل الحبس بالتغريب الى القسطنطينية مدة من الزمن .. حدث ذلك في مطلع القرن الهجري الرابع عشر الذى نعيش الآن في آخره(٣) .

وليس من المستغرب أن تهتم امارة مكة بشؤون جدة ، وأن تعين لها رقيباً من قبلها ، يرقب مجريات الأحوال من كثب ، وأن تسعى جهدها لتمكين نفوذها الأدبي والمادي في الأوساط الوطنية ، بشتى الطرق والأساليب ، خاصة وان أهل البلد ، أقرب نسباً ووطناً ولغة ، من هذا الوالي التركي الطارىء عليهم ، والذى قد يزدرى ، أو لا يفهم تقاليدهم وعاداتهم ، وقد يزدرى كبراءهم في قرارة نفسه ، وربما أتى

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص١٢٢ طبع المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٥هـ . وقد توفي عثمان حميدان سنة ١١٢٣هـ . ويقول أحمد زيني دحلان : أنه قد استوزره عدد من ملوك مكة المشرفة وانه ارتفع صيته ، واجتمع عنده من الأموال ما لا يحصى ومشى في جنازته أمير مكة الشريف عبد الكريم ، لأن موته كان في مدة شرافته (خلاصة الكلام ص١٦٦) .

(٢) خلاصة الكلام ص ٨٥ .

(٣) الشيخ محمد نصيف .

من الأقوال أو الأعمال ، ما يؤاخذ عليه من لدنهم ، اما بسبب جهله لعادات البلد أو لعنجهية فيه ، أو باغراء من بعض خصوم أهل البلد بخصومهم منهم ، أو بغير ذلك من الدواعي والأسباب .

وجُدة هي باب مكة ، ومصدر أَقواتها وقُوَّاتِها ، ومخزن أسلحتها وعتادها . ونلاحظ أن شريف مكة بدهائه وبوسائله الخاصة ، قد يستطيع بعض الأحيان أن يجعل هذا الوالى ، يدور في فلكه ويحلب في قدحه ، فيوطد نفوذه ، ويقضى على خصومه من بني عمومته ، بهذا التعاون بين السلطتين .. وقد رأينا أحد باشوات جدة ذات مرة يطلع منها ومعه العساكر لنجدة أحد الأشراف الأمراء الشرعيين على بعضهم، ممن يريد احتلال مكة ، عنوة ، وانتزاع صولجان الامارة ، من الأمير الشرعي قوة(١) .

ومن الأمور الملاحظة أن « ثنائية الحكم » في جدة ، بهذا الشكل قد خلقت جواً من الاضطراب والبلبلة والفوضى ، لا في جدة ومكة فحسب، بل في جميع بلاد الحجاز ، مما استدعى في كثير من الأحيان ، اختلال الأمن وحلول القلاقل والفتن والنهب والسلب والسرقات والعدوان في أرجائها .

وتولى بعد محمد باشا البيقلى ، أحمد بك المصري سنة ١١٠٧ هـ وضمت اليه مشيخة الحرم المكي . وفي سنة ١١١١هـ تولى جدة سليمان باشا ، واستمرت ولايته لها حتى سنة ١١١٨هـ .

وكدأب الولاة الأتراك نراه يتدخل في شؤون السياسة العامة في طول بلاد الحجاز وعرضها . وكان تدخله في حقيقة الأمر لمصلحة الأمن العام .. وذلك أن أشراف مكة اختلف بعضهم مع بعض ، وعارضوا أمير مكة الشريف سعيداً ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وأقلقوا راحة الآمنين،

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ١٢٣ .

ونهبوا المسافرين بين مكة وجدة ، واستشرى شرهم ، فتصدى لهم « سليمان باشا » وكاتبهم ووعدهم ومنّاهم ، وضمن لهم تخليص حقوقهم من أمير مكة ، واشترط عليهم حفظ طريق مكة ، لئلا يفوت الحج ، الحجاج القادمين من بلاد بعيدة، فاطمأنوا اليه، وأمنوا الطريق، وسارت القوافل بين جدة ومكة ، وصاروا يمشون معها ذهاباً واياباً ، وأخبر الباشا أمير مكة بما فعل، وبما وعد. .ولما لم يتم للباشا ما أراده من الأمير ، وعلم الأشراف المعارضون ، قاموا بعزل الشريف سعيد من الأمارة ، وبايعوا الشريف عبد المحسن .

وقد رأينا جموع الأشراف تصل الى جدة ، وتنزل بماء قريب منها يعرف باسم «غلَيل» بالتصغير ، ويقع جنوب شرقي جدة ، وهو بئر العين الوزيرية وسابعة الآبار المطوية حول جُدة(1) وأرسلوا رسولهم الى سليمان باشا يذكرونه بما سبق أن حصل الاتفاق عليه بينه وبينهم، فأشار عليهم بدخول البلد ، فدخله بعضهم ، وخشى بعضهم مغبة دخوله فمكث غير بعيد ، على غليل ، يرقب الحوادث . ولكن سليمان باشا ، بدلا من أن يأخذ بناصرهم ، حينما قدموا عليه ، تمادى في مؤازرة الشريف سعيد ، فبعث اليه برسالة ، وبعث بمثلها الى والده الشريف سعد الذى كان توسط بين جبهة الأشراف المعارضين وابنه الأمير .

وجاء في رسالته :

« أن الأشراف نزلوا غليلا ، لمحاصرة جدة ومنعهم أهلها من «الماء» وربما يحدث منهم خلاف على البندر « مدينة جُدة » وليس لنا قدرة على دفعهم ، وأرجو أن تخرجوا اليهم ، ونحن ، ومن عندنا ، معكم ، أو تدفعوا لهم ما هو لهم من المعاليم ، ليرجعوا عما هم فيه من مضرتنا ومضرتكم ، وليدخلوا تحت الطاعة . وان كنتم عاجزين عن ذلك

(1) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ١٣٣ .
و « غلَيل » الآن حي من أحياء جُدة الشعبية يقع في ضاحيتها الشرقية الجنوبية .. ولا يزال يسمى بغلَيل ، الذى هو اسم لماء هناك .

فاخرجوا من البلاد ، فقد تعين لها من يقوم بحفظها »(١) .

وهذه الرسالة تعتبر من الرسائل السياسية البارعة ، وتدل على حنكة سليمان باشا(٢) ومرونته ومكره واخلاصه أيضا ، فهو قلباً وقالباً مع الشريف سعيد أمير مكة ، اذا استطاع القيام بأحد أمرين .. فاما أن يدفع ما عليه لجبهة معارضيه ، ليسكن هياجهم ، وتطمئن البلاد من قلاقلهم ، أو يرسل جيشاً ليحاربهم، والباشا سيكون بمن معه في نصرته بما لديه من جيش وعتاد ، واذا لم يقبل الشريف سعيد احدى الخطتين فما عليه الا أن يسلم بالأمر الواقع ، ويعلن عجزه عن تحمل أعباء الامارة ، ويؤذن باخلائه لكرسيها ، ليجلس عليه الشريف عبد المحسن ، مرشح خصومه .

اننا نرى أن قول الباشا في رسالته : « انه يخشى على جدة من حصار الأشراف الذين وصلوا غليلا » ـ هو من باب جعل « الحبة » قبة ، لغرض في نفس الباشا ، والا فهو يعلم أنه لم يكن في استطاعة الأشراف الذين بغليل أن يقتحموا عرين جُدة، أو يمنعوا عنها الماء ، لضعف شوكتهم بالنسبة لقوة شوكة الباشا ، وسيطرته على جدة وضواحيها . والدليل على ذلك أنه أمرهم بالدخول اليها ، فدخلها بعضهم حسب اشارته ، وخاف بعضهم على نفسه من مكر الباشا ، فبقى في غليل .

وهكذا استعمل الباشا سلاحاً ذا حدين ، أرهب أمير مكة ، ليرضخ لرغبته ، ولينفذ ما وعد به « جبهة معارضة الأمير » ليقربها اليه .. انه أسلوب سياسى بارع وحكيم مُحكَمُ الحلقات . لقد صاد بحجر واحد ، عصفورين .

---

(١) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة لكلام ص ١٣٣

(٢) من دأب الدولة العثمانية أن تورد ـ في الغالب ـ أسماء ولاتها او وزرائها مفردة بدون أسماء الآباء .. وتضيف الى تلك الأسماء المفردة لقب(باشا) وهذا بالطبع وان كان أخف على الألسنة الا أنه كان مضيعة للتاريخ الدقيق لهؤلاء الولاة ، فلسنا نعرف مثلا نسب سليمان هذا ولا شيئا عن أسرته .

وقد ورد جواب الشريف سعيد ، متضمناً رفض مقترحات سليمان باشا وجاء في رسالته الجوابية قوله : « ليس لهم عندنا الا السيف ، أو يرضون بالحيف » . . .

وعندها يئس الباشا من الأمير سعيد فأدار ظهره له ، والسياسة قُلَّب ، ومن ثم استدعى الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد ، مع جماعة من الأشراف ، وقاضي جدة ، وبعض الأعيان ، فولاه شرافة مكة ، وهيأ له كل ما يحتاجه الأمر والملك من نوبة(١) وصنجق(٢) وسعاة وعساكر دبابة : « مشاة » وخيالة ، وقام بكفايتهم في الملبس والمطعم والمشرب ، وأخرج لهم الذخيرة الكافية ، وأرسل الى المدينة المنورة ، فنودي بالشريف عبد المحسن أميراً على البلاد ، وخُطِبَ باسمه على المنبر النبوي ، وكتب الباشا الى قبائل حرب بامارته ، فأطاعوا . . أطاعته قبائل حرب والنواحي الشمالية من الحجاز ، كما أرسل الباشا الى جبال الحجاز بالجنوب ، والى اليمن وسائر النواحي ، بامارته ، فأطاعوا . وأوفد الشريفُ عبدُ المحسن أخاه الى الطائف فدخلت في طاعته بعد لأى . حدث كل هذا ، والشريفُ عبدُ المحسن مقيم بجُدة في ضيافة واليها سليمان باشا ، ولم يذهب منها الى مكة مقر امارته ، لوجود خصمه فيها : أمير مكة الشريف سعيد .

ويلوح لنا من تأمل هذه الحوادث ، أن سليمان باشا كان مطلق اليد في شؤون الحجاز وقتئذ ، فاما أن يكون ذلك ناتجاً عن أوامر تلقاها أو حملها معه من الآستانة ، أو يكون بأمر من عنده رأساً . فالدنيا وقتئذ لمن غلب ، والمغامرة من شؤون السياسة التي ينتهجها الحكام الذين لا يجدون من يردعهم من قريب أو من بعيد .

---

(١) النوبة : موسيقى ذات آلات صغيرة من الصَّفَّارات وطبلات وهي خاصة بالأشراف ، وكانت تخرج في مواكب الأشراف الحكام في الحج .
(٢) الصنجق : العلم .

وما لسليمان باشا لا ينفض يده من الشريف سعيد الذى لم يرضخ لتوجيهاته الحكيمة المخلصة ، والذى أخلص له ورسم له منهج النجاح والقضاء على خصومه من كثب ، فأبى الا أن يسير في طريقه الذى رسمه لنفسه : «ليس لهم الا السيف أو يرضون بالحيف ؟!» ومن دأب السياسة المرتجلة أن تورط صاحبها في هوة وهو لا يشعر ، فيسقط من حيث يظن أنه قد نجا أو أنه قد نجح ...

وهذا ما حصل للشريف سعيد ، فقد ركب رأسه وأبى أن يسير على خطة معتدلة ، تضمن له بقاء كرسى الامارة تحته ، وتُحنِي رؤوس معارضيه له طوعاً ورغبة . أبى الا أن يرغمهم على الرضوخ له عنوة ، وما أحب أن يبقى الى جانبه في ساعة الحرج ، حتى صديقه القوي الأمين الداهية : « سليمان باشا » والى جُدة ، بل انه عمل على اقصائه عن حماه ، وتقريبه لأعدائه ، بالسياسة المرتجلة التى ارتأى اتباعها معه ومع معارضيه .

ولكن الشريف سعيداً مع ذلك ما كان نائماً ولا أبله ولا بليداً أو مُغَفَّلا مستسلماً ، بل انه ركن الى استعمال الدهاء ، في صراعه السياسى ، مع أبناء عمومته المناوئين له ، ومع سليمان باشا الذى أدار له ظهره آخر الأمر ، وانقلب عليه ، واتفق مع خصومه ، وأراد محاولا سحب كرسى الامارة من تحته ، محاولا أن يجلس غيره عليه .

وفي هذا الميدان السياسي استصدر الشريف سعيد فتوى شرعية وهو بمكة ، بعدم صحة بيعة الشريف عبد المحسن ، وبعزل سليمان باشا من حكم جدة ... انه بحجر واحد صاد عصفورين أيضاً ، وساعده على ذلك أن الشريف عبد المحسن كان لا يزال قابعاً في ضيافة « مؤيده » سليمان باشا في جدة .

وقد كتب الشريف سعيد بمضمون هذه الفتوى الى حاكم جدة .. فأجابه هذا ، بهجوم سياسى « مضاد » لخطته الرامية الى فصله .. وفصل

ضيفه من الحكم الذى ألبسه خلعته ، ونادى به أميراً على البلاد في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، فقد كشف له أنه يحمل أوامر سلطانية من السلطان « مصطفى » ومن أخيه المتولى بعده ، بأن له الحق في أن يعزل من يشاء عزله وأن يولى من يرى فيه الصلاح لمنصب الامارة . وبحكم هــذا التــأييد الممنوح له من ولي الأمر فعل ما فعل . وهكذا قضى دهاء سليمان باشا السياسي على براعة « الحركة السياسية الالتفافية » التى قام بها شريف مكة ليطوقه بها ، وليطوق بها الشريف عبد المحسن معه .

وقد نجحت آخر الأمر، خطة سليمان باشا فدخل الشريف عبد المحسن مكة ، أميرا لها ، وخرج منها الشريف سعيد شريداً طريداً(١) .

ثم حدث شيء ما ، فيما بين الشريف عبد المحسن وسليمان باشا ، أدى الى اتمام الباشا لمراسيم تنازل عبد المحسن عن منصب الأمارة ، للشريف عبد الكريم بن محمد .. وكان ذلك على ما يبــدو في ظاهــر الأمر ، عن طيبة خاطر منه ، وأمر الباشا المفوض بقراءة المرسومين الواردين اليه من السلطانين : مصطفى وأحمد بعزل من يراه وتولية من يراه . وهكذا تمت البيعة للشريف عبد الــكريم بأمارة مكة(٢) في هدوء نسبي وبلا مكدرات ..

ولعل مما حدا بالباشا أن يبادر الى فعلته هاته أنه استشف أو وشى له واش ، بأن الشريف عبد المحسن قد قام أو قــد يقوم بحركة خفيــة يرمى من ورائها الى اقصاء نفوذ الباشا . فسارع في ترتيب فصله بهذا الشكل السلمي العجيب ، ويبدو أن المفاجأة أذهلت عبد المحسن ، فلم تَبدُ منه معارضة لما حدث ، فان من حق من يُوَلّي أن يَعزِل .

---

(١) احمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام ص ١٣٧ .
(٢) نفس المصدر ص ١٣٧ .

وجدير بالذكر أن جدة ساهمت مساهمة فعالة في ارساء قواعد حكم الشريف عبد الكريم ، فجردت حملة بحرية الى الشمال ، على السفن الشراعية : « الزعائم » ، وكان القائم بأمر هذه الحملة البحرية التأييدية ، هو سليمان باشا المتصرف اذ ذاك في أمور الحجاز أجمع ، وقد جردها على الشريف عبد الله بن سعيد خصم الشريف عبد الكريم أو خصمه هو بالأحرى .. وكان الشريف عبد الله قد استولى على مدينة ينبع ، كما جرد حملة بحرية أخرى الى القنفذة جنوبي جدة .. تتعقب أثر الشريف سعد « والد الشريف سعيد أمير مكة الأسبق » الذى أغرى الأعراب بانتزاعها من سلطة الشريف عبد الكريم(١) .

وهكذا ثبت لنا أن بجدة قوة بحرية حربية اذ ذاك ..

تم تدور الدنيا احدى دوراتها المسرحية العجيبة ، فاذا بنا نشاهد سليمان باشا ذا القوة التى لا تقاوم ، وهو ينكمش وينطوى عَلَمُهُ ، فلقد تمكن الشريف سعيد بشبانه وجده ، وبشجاعته ودهائه ، من أن يستولى على مكة .. وأن يعيد الى يده صولجان الامارة الذى انتزعه منه عنوة ، سليمان باشا ، ووضعه في يد غيره . وقد أَمَّنَ الباشا علىحياته، ولم يطمئنّ الباشا لهذا الأمان ، ولكنه بايعه مرغماً بالامارة ، مبايعة صورية وظاهرية وعلى دَخَل ، فقد سعى سعياً خفياً الى اقالته .. كتب للسلطان أحمد « سراً » يخبره بما جرى من الحوادث بعد عزل الشريف عبد الكريم ، وبعد استيلاء الشريف سعيد على مكة ، ولا بد أنه دس في كتابه السري جُمَلا وعبارات ، أوغرت صدر السلطان على الشريف سعيد ، فما كان من السلطان الا أن استجاب لرأيه ، وبعث اليه بمرسوم يؤكد له فيه تفويضه في اقصاء من يرى اقصاءه وتولية من يرى توليته(٢) وأخيراً تمكن الباشا مرة ثانية بسبب دهائه وقوة

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص١٣٨ .
(٢) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص١٣٨ .

احتماله وكتمان أسراره .. من اعادة « صولجان الحكم » الى يد صديقه الشريف عبدالكريم سنة ١١١٧هـ وألبسه فرو الامارة في حفل مشهود.

هذا وقد وردت عبارة في « المرسوم » السلطاني ، دلتنا بوضوح على أن يد سليمان باشا الخفية ، كانت وراء اقصاء الشريف سعيد عن امارة مكة ، ووراء تسليمها الى الشريف عبد الكريم : « وأنا قد عزلنا الشريف سعيد عن شرافة مكة ، بموجب ما رفع الينا من عبد أعتابنا سليمان باشا ، بجميع ما صار في الحرمين الشريفين من الشريف سعيد من الشقاق الخ »(١) .

وجاء بعد سليمان باشا، ايوازبك، والياً على جدة فيسنة١١١٧ هـ نفسها .. ورد الأمر بتوليته ، وضمت اليه مشيخة الحرم الشريف ، وفصل سنة ١١٢٠ هـ(٢) ولم يذكر كتاب السالنامه « ايواز » هذا ضمن ولاة جدة .

وتقول السالنامه : ان حسن باشا تولى جدة سنة ١١١٩ هـ(٣) .

وبعده جاء محمد محسن باشا والياً لجدة سنة ١١٢٠هـ وقد ضمت اليه الحبشة ، وتوفي فى ٢٥ من شهر رمضان سنة ١١٢١ هـ(٤) .

ثم جاء محمد باشا خازندار .. وتقول خلاصة الكلام : « ان محمد باشا هذا ، ولاه الشريف ، مكان حسن باشا بعد وفاته ، وانه كان صهره ، وكان ذلك بصفة موقوتة ريثما يجيء الوالى المعين من قبل

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص١٥٥ و١٥٦ .
(٢) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص١٥٦ .
(٣) ص١٥٦ من نفس المصدر والسالنامه .
(٤) ص١٦٥ من نفس المصدر .

الآستانة بدلا عنه »(١) ولم تذكره « السالنامه » ضمن ولاة جدة ، وربما كان ذلك منها ، لأنه لم يكن معيناً من قبل السلطان ، رسمياً ، وهي كتاب رسمي لا يذكر الا الرسميين .

ثم ولى اسماعيل باشا ،حسب ما ورد في خلاصة الكلام(٢) . واسماعيل أغا خازندار ، طبقاً لما جاء في السالنامه . وتعنى كلمة « أغا » : الأمي الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وقد تولى قائمقامية جدة سنة ١١٢٢هـ .

وتولى جُدة ابراهيم باشا في نفس سنة ١١٢٢ هـ على ما تقوله السالنامه(٣) وتذكر لنا خلاصة الكلام أنه كان والياً على جُدة سنة ١١٣٤(٤) .

وأرى أن ما جاء في السالنامه هو الصواب ، لأنها رسمية وتعنى بتسلسل ولاة جدة . وقد جاء فيها أنه تولى سنة ١١٢٢هـ ومكث بها الى سنة ١١٢٥ هـ .

وفي سنة ١١٢٦هـ تولى جدة حسن باشا ، ولعله حسن باشا الذىكان والياً عليها سنة ١١١٩هـ ، واذا صح ذلك فتكون هذه ولايته الثانية . ولم يشر أحمد زيني دحلان الى ولايته هذه .

ومن بعده علي باشا كُتَاهيَلِي بسنة ١١٣٤ هـ . وقد اتفقت السالنامه وخلاصة الكلام على هذا التاريخ ، الا أن السالنامه(٥) لم تذكر لقب « الكوتاهيلى » . وقد سمتاه كلتاهما بالوزير(٦) .

وجاء عقبه الوزير أبو بكر باشا ، وتسميه السالنامه : « جاوش باشى بكر باشا » . ولى جدة وضمت اليه الحبشة ومشيخة الحرم سنة

(١) ص١٦٢ .
(٢) ص١٦٤ .
(٣) ١٦٥ من نفس المصدر .
(٤) ص١٧٣ .
(٥) أثرنا الآن استعمال هذه الكلمة الوجيزة المعربة في اصطلاح الحجازيين للكتاب الرسمي الدوري الذى ننقل عنه في هذا الكتاب والذى اسمه باللغة التركية « حجاز ولايتي سالنامه سى » .
(٦) ص١٧٣ .

١١٣٤ هـ وكان ذلك في زمن امارة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد .

وفي عهده حدثت فتنة أهلية في المدينة المنورة . وممن اتهم فيها العالم الديني السيد عبد الكريم البرزنجي ، اتهمه أغوات المسجد النبوي بأنه من رؤساء الفتنة وزعمائها ، ووشوا به الى الدولة العثمانية في الآستانة ، فصدر أمرها بقتله وقتل من اتهموا معه باثارة الفتنة .. وقد مكث السيد عبد الكريم في المدينة خائفاً يترقب ، وشق على الدولة القاء القبض عليه فيها ، لما قد ينجم عن ذلك من قلاقل ، فأغروا به من زَيَّنَ له الانتقال الى جُدة ، مكراً به ، وأقنعوه بأنها آمن له من المدينة . وحينما وصل الى مكة في طريقه الى جدة قبض عليه الوزير أبو بكر باشا هذا وأنفذه الى جدة ، فحبس بقلعتها ، وقتل خنقاً ، وألقي بجسده في سوق جدة يوماً كاملا . وكان قتله بهذه الصفة الشنيعة ، ثم القاؤه في السوق ، مثار حنق وسخط من أهل جدة على الحكومة العثمانية فسموه « المظلوم » وسميت المحلة التى ألقى بها جسده باسم : « محلة المظلوم » من يومئذ الى اليوم(١) .

وكانت حادثة قتله بسنة ١١٣٤هـ ، أي في السنة الأولى من ولاية الوزير أبى بكر باشا ، لجُدة(٢) ، وقد ظل «جاوش باشى بكر باشا» أو « أبو بكر باشا » في ولاية جدة حتى عام ١١٣٥هـ ومن بعده تولى اسماعيل باشا سنة ١١٣٦هـ . وأعيد أبو بكر باشا الى الولاية ، مرة أخرى ، سنة ١١٣٧هـ ، وضمت اليه الحبشة فقط في هذه المرة ، على ما تورده السالنامه(٣) . وقد مكث في الولاية ثلاث سنوات على قول السالنامه(٤) . أما خلاصة الكلام فتحدثنا عنه حديثاً غير ذلك . انها تذكر في حوادث سنة ١١٤٥هـ أنه كان والى جدة في هذا العام ، وأنه

---

(١) أما كتاب السلاح والعدة في فضل ثغر جدة فيسمي البقعة التى في داخل السور بالجهة الشامية باسم بقعة المظلوم نسبة الى عفيف الدين مظلوم المدفون فيها . ولا ندرى أي بقعة يقصد .

(٢) ص١٧٣ و ١٧٤ من خلاصة الكلام .

(٣) ص١٢٧ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

طلب اليه أن يكسو الشريف مسعوداً ويوليه امارة مكة فامتنع ، وقال : « كيف أقبل ذلك وأنتم ذهبتم لقتال الشريف محمد فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المرة بسببكم ؟ وانما يكون هذا في المستقبل ان شاء الله، لأنى قد أرسلت الىالدولة العلية عما حدث فيهذهالقضية ، فأرجو أن يصل الأمر السلطاني ناطقاً باسم الشريف مسعود »(١) .

واذا صح هذا فانه يدل فيما يدل على حنكة أبى بكر باشا . ولا غرو فقد أكسبته تجارب الولاية حنكة سياسية ، وهو الذى برهن على اخلاصه للدولة أول عهد ولايته الأولى ، بالقائه القبض على السيد عبد الكريم البرزنجي ، وقتله أشنع قتلة ، والقاء جسده في السوق ، امعاناً في ارضاء الدولة في الآستانة ، ومهما يجلب ذلك من سخط الأهلين عليه ، فانه ما كان مبالياً بذلك .. ولهذا ولما أدركته الدولة من صرامته أعادته والياً على جُدة مرة أخرى، هذهالولاية التىاستمر بها تسع سنوات ، فاذا أضفنا مدة ولايته الأولى ــ وقدرها عامان ــ كان مجموع سِنِي ولايته أحد عشر عاماً ، وهو رقم قياسى نادر الوقوع في ذلك العهد الذى لا يستقر فيه قرار للآستانة ، في الابقاء على أي وال لجدة الا بأقل فترة ممكنة من الزمان .

وأسندت ولاية جدة سنة ١١٤٦هـ الى علي باشا . وقد غرق هذا الباشا في خضم السياسة الى أذنيه .. وقعت بينه وبين الشريف مسعود أمير مكة ، فتنة ، سببها منازعته له في كثير من المقررات الخاصة بالشريف مسعود ، ولم تفد الوساطات بينهما ، وبدت في الأفق نُذُرُ الحرب بينهما ، فقام الوالى بتحصين مدينة جُدة وحماية سورها ، واستعد للحصار ، وبالفعل قَدِمَت جنود الشريف ، وحاصرت جُدة ، ونشبت معارك بينهما ، ولم يَرُق ما صنعه الباشا لوزير شريفمكة بجُدة ،ومن كانوا ضالعين معه منأهل جُدة ، فأسَرُّوا الى أمير حملة الشريفبدخول

(١) ص١٩٨ و١٩٠ من نفس المصدر .

المدينة من جهة اليمن ، لضعف الحامية هنـاك ، وهكذا تسلل جنـود الشريف الى داخل أسوار جُدة من تلك الثغرة التى دلهم عليها مؤيدو الشريف في البلد ، أو من يدعون حديثاً بالطابور الخامس ، فما وسع الباشا الا أن يهرب بحراً مع خواصه . وتمكن قائد الحملة الشريف جعفر من الاستيلاء على المدينة ، وانتزاع مفاتيحها « قسراً » من قبضة الباشا . وعندما لم تتمكن مساعى الباشا من العودة به الى مقر ولايته ، لمعارضة الشريف الواقفـة له بالمرصـاد ، وبسبب كتب الشريف المتواليـة على القسطنطينية ضد الوالى علي باشا ، سلمت الدولة ـ على عادتها ـ بالأمر الواقع ، ومن ثم بعثت والياً غيره الى جُدة .

هذا ولم تتطرق « السالنامه » الى البحث في ولاية علي باشا ، ولم تذكره ضمن ولاة جدة . وربمـا لأنه كان سيء السـياسة ، فغضبت عليه الآستانة ، ومن ثم أهملت السـالنامه ذكره لأنهـا كانت بمثـابة الصحيفة الرسمية الدورية التى تعبر عن آراء الدولة ، الرسمية ، وتتبع فيما تنشره اتجاهاتها .

وجاء عهد الوزير أبى بكر باشا فولى متصرفية جدة وضمت اليـه ولاية الحبشة(١) سنة ١١٥٨هـ ، ولعلها الولاية الثالثة له .. فمصطفى يكن باشا .. وقد ولى متصرفية جدة ، وضمت اليه الحبشة ومشيخـة الحرم سنة ١١٥٩هـ وجاءت الولاية الثانية للصدر السابق الحاج محمد باشا بسنة ١١٦٣هـ وقد ضمت اليه الحبشة ومشيخة الحرم .

وكانت الولاية الثانية لعثمان باشـا سنة ١١٦٣هـ وضمت اليـه ولاية الحبشة ومشيخة الحرم . وقد دفن في جدة على ما تذكره السالنامه .

وتولاها أبو بكر باشا سنة ١١٦٥هـ .

(١) كان والى الحجاز يقيم في جدة .. وكان لقبه الرسمي هو : « والى جدة وشيخ الحرم المكي ، ووالى سواكن ومصوع » من القليمي السودان والحبشة « عن الشيخ محمد نصيف » .

وكانت ولاية الصدر الأسبق سيد محمد باشا سنة ١١٦٥هـ وضمت اليه ولاية الحبشة ومشيخة الحرم ودفن في جدة .

وتولى قائمقامية جدة ، مصطفى كتخدا أغا سنة ١١٦٦هـ .

وتولى جُدة الصدر الأسبق عبد الله نايلى باشا سنة ١١٧١هـ وضمت اليه ولاية الحبشة ومشيخة الحرم ودفن في المعلى بمكة ، وبعده جاء الوزير سعد الدين باشا والياً على جُدة ، وضمت اليه الحبشـة ومشيخة الحرم سنة ١١٧٢هـ .

ثم مصطفى باشا .. ولى جدة والحبشة ومشيخة الحرم سنة١١٧٣هـ.

ثم وليها صالح باشا ، وضمت اليه محافظة المدينة عام ١١٧٥ هـ وقد دفن بالمدينة المنورة .

ووليها سيد أحمد باشا ، مع محافظة المدينة سنة ١١٧٩هـ .

ثم الوزير محمد راقم باشا ، وضمت اليه محافظـة المدينـة سـنة ١١٨١هـ .

وتولاها الصدر الأسبق حمزة باشا مع الحبشة سنة ١١٨٣هـ .

وجاء في « خلاصة الكلام » : أن حسن أغا شبكة كان والياً لجدة سنة ١١٨٣هـ من جهة مصر ، وذلك أن أبا الذهب قد ارتحل الى مصر في ٢٠ جمادى الأولى وأبقى حسناً المذكور وجعله والياً على جدة وأبقى عنده شيئاً من العسكر(١) .

وكان لحسن شبكة هذا ضِلَع في شؤون السياسة العامة ، علاوة على ما يختص منها بجدة فانه « توجه الى الوادى ــ وادى فاطمة ــ ومنه الى جدة فأرسل له الشريف أحمد بن سعيد يأمره بالخـروج فأبى ، فوجه

(١) ص ٢٠٥ .

اليه جيشاً ينيف على (٤٠٠٠) مقاتل وآخرين من قبائل اليمن ، فأغلق حسن باشا أبواب جدة وحصنها ، وأخرج المدافع الكبار على الكدوة(١) وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الرغامة(٢) فوصلت السرية الى جُدة بليل ، وأقاموا على غُلَيل ، وأرسلوا كتاباً من الشريف أحمد الى كتخدا(٣) العساكر ليفسد من معه من العساكر في جدة ، وجعلوا له شيئاً من المال ، فسعى في نقض تلك المباني وتواطأ معهم على أن يهجموا من الباب اليماني ، فهجم الشريف ومعهم وكيل السرية وملكوا جدة في غاية جمادى الآخرة ، بعد أن قتلوا جملة من الأتراك ، وأخرجوهم من البلدة ، ولم يبق في يدهم غير القلعة ، فترسوها(٤) لتصونهم ، فاجتمع عساكر الشريف حولها ، فتحقق الصنجق(٥) أن القلعة لا تحميه ، فخرج من الباب الصغير في مؤخرة القلعة وخاض بخيله في الماء وتوجه بمن معه الى رابغ وتبعه الشريف عبد الله بن حسين ومن ثم توجهوا الى مصر(٦) ، وبذلك انتهى أمر حسن أغا شبكة الى ما انتهى اليه بعض من سبقوه من ولاة جدة الذين يدسون أنوفهم في كل شيء ويأبون الا أن تكون لهم السيادة المطلقة ..

وممن حدث لهم مثل هذا من ولاة جدة ، علي باشا الذى مر ذكره ، فقد دخل جيش الشريف المناوىء له جدة من الباب اليماني وهرب هو ، بحراً الى الآستانة ولم يعد ..

ويظهر لنا أن سلطة حكومة جدة على بابها اليماني كانت ضعيفة ، وأن الاستعداد الحربي في هذا الباب كان طفيفاً ، وقد يكون حدث ذلك عن قصد ، لتسهيل مهمة العبور منه ، أو اتفاقاً .

(١)و(٢) علق الشيخ محمد نصيف على نسخته من خلاصة الكلام عند هذين الموضعين بان الكدوة تقع جهة باب مكة في جنوبها الشرقي . والرغامة تشرف على جدة بعد الجبال شرقي جدة .
(٣) معناه الرئيس وهو اصطلاح تركي قديم .
(٤) اي حصنوها .
(٥) لعل المراد ب « الصنجق » هنا : حامل العلم وهي تركية .
(٦) خلاصة الكلام ص٢٠٥ .

ولم تذكر السالنامه حسن أغا شبكة ضمن ولاة جدة ولعلها تجاهلته، لأنه لم يكن مُوَلَّى عليها من قبل السلطان العثماني .

وفي سنة ١١٨٨هـ تولاها خليل باشا وقد توفي ودفن بها .

وفي سنة ١١٨٩هـ كانت ولاية عثمان باشا دفتردار لجُدة .

وفي سنة ١١٩١هـ تولاها أحمد باشا النابلسى .

وفي سنة ١١٩٩هـ وليها مصطفى باشا .

وفي سنة ١٢٠٠هـ وليها محمد باشا أَغرِيُوزِى ، وقد توفي بعرفة ودفن بها .

وبعده في نفس العام تولاها الحاج أحمد باشا بوليلى .

وفي سنة ١٢٠٣هـ وليها محمد عزت باشا .

وفي عام ١٢٠٧هـ وليها الصدر الأسبق يوسف باشا قوجه(١) ، وضمت اليه محافظة المدينة . وبها توفي ودفن .

وفي عام ١٢١٥هـ وليها ابراهيم باشا شيخى زاده ، وقد ضمت اليه ايالة الحبشة ومحافظة المدينة .

وفي عام ١٢١٦هـ تولاها محمد طوسون باشا ، وتوفي بها ودفن .

وفي عام ١٢١٧هـ كانت ولاية محمد شريف باشا ، وضمت اليه الحبشة وتوفي ودفن بجدة .

وشريف باشا هذا هو الذى انهزم اليه الشريف غالب من مكة الى

---

(١) لعله هو يوسف باشا الذى وصفه الشوكاني في « البدر الطالع » بانه من أعظم الأمراء في الدولة العثمانية وأنه كان صدراً أعظم (أي رئيس وزراء) وفتح فتوحاً عظيمة في بلاد الأفرنج « وقد وصل في عامي ١٢١١هـ و ١٢١٢هـ رجل الى صنعاء وأخبرنا بان المترجم له بعد رجوعه من جهاد النصارى وفتح كثير من معاقلهم ولاه السلطان الوزارة العظمى وهي القيام بجميع أمور السلطنة وأنه بقى في الوزارة أربع سنوات ثم رغب في مجاورة الحرم الشريف والقبر النبوي فطلب أن يولى بندر جدة مع ولاية المدينة المنورة ، ليتفرغ للعبادة فولاه السلطان ذلك ، فامنت به البلاد وقد توفي بالمدينة سنة ١٢١٥ » (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) ج٢ ص٣٥٧ و ٣٦٨ مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨ هـ .

جدة حينما نهد عبد العزيز بن سعود لهما . ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على جدة ، وظهر الطاعون في هذه الجهة ، فكف عن الحصار ، وانكفأ قاصداً المدينة المنورة ، فلم يتمكن من أخذها ، فعاد أدراجه الى نجد، ولم يستبق بمكة من جنده سوى (٢٠٠) رجل، فثار عليهم أهل مكة وقتلوهم(١) .

وفي عام ١٢١٧هـ كانت ولاية أحمد باشا أبو مراق .

وفي عام ١٢٢١هـ ولاية أحمد باشا زاده عثمان حلبي ، بالاضافة الى محافظة المدينة .

وفي عام ١٢٢٧هـ كانت ولاية طوسون باشا المصري، وضمت اليه ايالة الحبشة .

وفي عام ١٢٣٢هـ كانت ولاية ابراهيم باشا المصري ، وضمت اليه ايالة الحبشة .

وفي عام ١٢٥٦هـ ولاية لاَزْغلي باشا .

وفي عام ١٢٥٧هـ وليها عثمان باشا تاتار ، وضمت اليه ولاية الحبشة . وبها توفي ودفن .

وفي خلاصة الكلام : أن عثمان باشا كان والى جدة سنة ١٢٥٦هـ من قبل السلطان عبد المجيد بعد حوادث محمد علي ومعاركه ، وقدم عثمان باشا الى مكة سنتئذ ، وحدث بينه وبين الشريف محمد بن عون تنافس ، فنزل الى جُدة ، وأقام بها ، وأخيراً طلب محمد علي باشا من الدولة العثمانية أن تفصل عثمان باشا عن ولاية جدة ، لمضارته للشريف محمد بن عون وتعيده الى مشيخة الحرم المدني ، وتولى على جدة شريف باشا ، فأذعنت الدولة لهذه المطالب(٢) .

(١) الامير شكيب أرسلان : حاضر العالم الاسلامي ص١٦٣ ج٤ طبعة الحلبي بمصر ١٣٥٢هـ .
(٢) خلاصة الكلام ص٣١٣ .

ولا بد أن طلب محمد علي باشا ما طلب من الدولة العثمانية كان بناء على كتاب ورد اليه من الشريف محمد بن عون بتضرره من عثمان باشا ، ورغبته في ازاحتـه عن كرسى الحكم ، كما يلوح من فحوى ما سردناه .

وفي عام ١٢٦١هـ كانت ولاية شريف باشا . وضمت اليه ولاية الحبشة . وفي ليلة توليه جدة اغتم عثمان باشا فمات كمداً . وقدم شريف باشا من المدينة بعد أن بلغ أمر الدولة القاضى بتعيينه والياً على جدة(١) .

وفي عام ١٢٦٥هـ ولاية حسيب باشا ، وضمت اليه الحبشة .
وفي عام ١٢٦٧هـ ولاية آكاه باشا ، وضمت اليه ولاية الحبشة .
وفي عام ١٢٦٩هـ ولاية عزت باشا ، وضمت اليه الحبشة .
وفي عام ١٢٧٠هـ ولاية كامل باشا ، وضمت اليه الحبشة .
وفي عام ١٢٧٣هـ ولاية محمود باشا ، وضمت اليه ولاية الحبشة .

وتُلَقِّبُ «خلاصة الكلام» هذا الوالى بالكردي ، وقالت : انه كان والياً على اليمن ، وانه مكث في ولاية جدة ثم فصل(٢) .

وفي عام ١٢٧٤هـ ولاية نامق باشا ، وضمت اليه الحبشة .

وفي عام ١٢٧٥هـ ولاية على باشا الكوتاهيلى ، وضمت اليه الحبشة .

ويقول محمد لبيب البتنوني : ان والى الحجاز يسكن سابقاً ، مدينة جدة ولكن نقل مركزه عنها الى مكة سنة ١٢٨٠هـ لأهميتها(٣) .

وفي عام ١٢٨١هـ ، ولاية وجيهي باشا ، وتوفي في الطائف ودفن بها.

وفي وثيقة رسمية أن محمد نوري كان قائمقام جدة سنة ١٢٨٣هـ(٤).

---

(١) خلاصة الكلام ص٣١٤ .
(٢) نفس المصدر السابق ص٣٢٠ .
(٣) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص١٠ .
(٤) الوثيقة منشورة في هذا الكتاب .

وجاء في « السالنامه » أن معمر باشا ولى الحجاز سنة ١٢٨٤هـ وأضيفت اليه مشيخة الحرم المكي ، وأنه دفن بالطائف . وفي « خلاصة الكلام » أن معمر باشا عزل من ولاية جُدة سنة ١٢٨٧ هـ .

وفي سنة ١٢٨٧هـ كانت ولاية خورشيد باشا على الحجاز مع ضم مشيخة الحرم المكي اليه .

وفي سنة ١٢٨٨ هـ ولى مُتَصَرِّفيَّةَ جُدة الفريق قاسم باشا ، وكان خورشيد باشا قد عزل في شوال وفي نفس الشهر الذى وصل فيه الى مكة لمباشرة مهام منصبه ولكن بعد سنة كاملة عين الفريق قاسم باشا متصرفاً لجدة من بعده ، كما ترويه لنا السالنامه ، وكان الفريق قاسم باشا محافظاً على المدينة ، ثم عين محافظاً لجدة قائمقام خورشيد باشا ، ثم وجهت اليه الولاية ، بعد أن فصل منها خورشيد باشا ، مع بقائه فريقاً ، ولم يعط، رتبة الوزارة ، وأنزلت الى جدة معه الخزانة والكتبة، ومكث سنة(١) .

وتُحَدِّثُنا خلاصة الكلام بأنه في شهر شوال من سنة ١٢٨٩هـ فصل قاسم باشا ، وولى مكانه محمد رشيد باشا الملقب بأكز ، واستمر في منصبه الى سنة ١٢٩١ هـ .

وفي السالنامه أنه تولى ولاية الحجاز ومشيخة الحرم المكي سنة ١٢٨٩هـ(٢) .

ويبدو أن ولاية جُدة اذ ذاك كانت قد اندمجت في ولاية الحجاز وأصبحتا ولاية واحدة يدير شؤونها من يسمى « والى الحجاز » .

وبفصل محمد رشيد باشا حل مكانه محمد رشدى باشا الشرواني

(١) خلاصة الكلام ص٣٢٦ .
(٢) ص١٣٠ .

الداغستاني . وتسميه السالنامه رشدي باشـا الشرواني(١)، وكان عالماً متفنناً . ويبدو من « خلاصة الكلام » أن الدولة العثمانية نقلت مقر اقامة ولاة جدة الى مكة ليكونوا بجانب أميرها ، اعتباراً من عهـد هذا الوالى(٢) .

وتوفي رشدى الشرواني بالطائف ، ودفن بها سنة ١٢٩١هـ أي في عام ولايته نفسه . وفي العام ذاته ولى الحجاز ومشيخة الحـرم المكي ، تقي الدين باشا ، وتُلَقِّبُه خلاصة الكلام بالحلبي .

وفي عام ١٢٩٤ هـ تولى الحجاز مع مشيخة الحرم المكي ، حالت باشا. وتجعل خلاصة الكلام زمن ولايته سنة ١٢٩٦هـ وهو على ما يلوح لنا سهو من المؤلف أو خطأ مطبعي ، وذلك بالنظر لأن تسلسل الولاة فى كتاب السالنامه الرسمي يوضح أن مكان ولاية هذا الوالى من التاريخ كان سنة ١٢٩٤هـ وأما سنة ١٢٩٦هـ فـكان عهـد ولاية وال آخـر سيذكر اسمه فيما بعد .

توفي حالة باشا بجدة ودفن بها (٣) .

وفي سنة ١٢٩٦هـ ولى الحجاز ومشيخة الحرم ناشد باشا .

وفي عام ١٢٩٧هـ ولى الحجاز ، ومشيخة الحـرم المـكي ، صفوت باشا . وصفوت هذا هو الذى كان له الفضل في مشروع ايصـال ماء العين الوزيرية التى دعيت بوقته باسم : « العين الحميدية » الى جدة . وكان قد خلف عثمـان باشـا في ولايتهـا . وتم هـذا المشروع سـنة ١٣٠٤ هـ(٤) في عهد ولاية صفوت باشا الثانية لجُدة(٥) .

(١) ص١٣١ .
(٢) الشرواني هذا هو الذى انشا مكتبة الحرم المكي .
(٣) السالنامه ص١٣١ .
(٤) أيوب صبري : مرآة الحرمين م٣ ص١٩١ .
(٥) سالنامه ص١٣١ .

وفي سنة ١٢٩٨ هـ تولى الحجاز عزت باشا ، مع ضم مشيخة الحرم المكي اليه .

وفي عام ١٢٩٩هـ ولى عثمان باشا نوري ، الحجاز ، كما كان آمراً للقوة العسكرية ، وضمت اليه مشيخة الحرم المكي . وفي عهده وصلت الى جدة ، العين الوزيرية المسحوبة من وادي غليل ، على ما تقوله مجلة « الحج »(١) .

أما أيوب صبرى فيقول : ان هذه العين أجراها عثمان باشا حينما كان والياً للحجاز وقد بذل في جلبها الهمة العالية بعد الموافقة السلطانية . والحقيقة ان دخولها الى جُدة كان من قبل الوالى صفوت باشا ، في ابان توليته الثانية بعد عثمان باشا سنة ١٣٠٤ هـ كما قدمناه آنفاً .

وفي عام ١٣٠٣ هـ كان والى جُدة هو توفيق باشا(٢) .

وفي عام ١٣٠٤هـ ولى الحجاز ومشيخة الحرم المكي للمرة الثانية ، صفوت باشا .

ومن ولاة جدة بعد ذلك ، القائمقام عالى بك وأحمد رشيد باشا وعلي يُمنِي « بضم الياء بعدها ميم ساكنة فنون مكسورة فياء » . ومحمد راغب بك الذى كان رئيس ديوان الولاية ، وأسعد بك الذى كان مديراً لشرطة مكة . وقد أصبح بعدها قائمقام جُدة(٣) .

وكان متصرف جُدة في أول عهد الحرية ، سُورِياً ، وهو الذى أوجد اضاءة المحلات بالمصابيح الغازية سنة ١٣٢٧هـ وبعده جاء عبد الغني ، وهو سوري أيضاً ، وبعده طاهر بك وهو تركي ، ولكنه كان يجيد اللغة العربية الفصحى ، وبعده ابراهيم باشا وهو تركي في عهد والى

(١) مجلة الحج ص٥٢ العدد الخاص بمشروع الماء في جدة الصادر في المحرم ١٣٦٧هـ ٣١ نوفمبر ١٩٤٧م.
(٢) حجاز ولايتى سالنامه سى سنة ١٣٠٣ هـ ص٩٨ .
(٣) هذه المعلومات عن الشيخ محمد نصيف .

الحجاز وهيب باشا ، وفي زمن امارة الشريف الحسين لمكة . قامت الثورة الهاشمية على الأتراك فَأَخذَ المتصرف أسيراً وكان من المدنيين كما أُسِرَ قائد الحامية التركية في جدة رجب بك أيضاً(١) .

وفي زمن الملك حسين كان أول قائمقام لجدة .. الشريف محسن بن منصور وحينما نقل الى قائمقامية مكة المكرمة عين الملك حسين في قائمقامية جُدة بدلا عنه ، الحاج عبد الله علي رضا زينل من أعيان جُدة ، وقد مكث فيها الى زمن الدولة السعودية . وبعد وفاته في عهد هذه الدولة ، عين في القائمقامية بالتسلسل كل من عبد العزيز بن معمر وعيد الرواف وابراهيم بن معمر فالشيخ عبد الرحمن السديري الذى عين فيها بأمر ملكي من الملك عبد العزيز آل سعود بعد فصله من امارة منطقة الظفير مباشرة سنة ١٣٦٦ هـ(٢) .

وحدث بعد فصل ابراهيم بن معمر من القائمقامية أن عين فيها بالوكالة الشيخ على طه رضوان وبقى فيها الى أن تم تعيين الشيخ عبد الرحمن السديري .

وكان الشيخ علي طه يقوم بمعاونية قائمقام جدة منذ سنة ١٣٤٥ هـ حتى الآن ، أى سنة كتابة هذا الفصل من هذا الكتاب أي سنة ١٣٨٣ هـ ثم تُوفي بعد ذلك رحمه الله ، وكان قد عين بأمر الملك عبد العزيز معاوناً للخارجية بمكة ، ثم صدر الأمر باعادته الى معاونية جُدة ، مع قيامه بمعاونية الخارجية ، ثم استقل بمعاونية القائمقامية .

• • •

هذا واكمالا لحلقات بحث « حكام جدة » لا بد لنا من الاتيان بالمامة عن وكلاء الشريف بها وما يتعلق بذلك ..

---

(١) هذه المعلومات عن الشيخ علي طه رضوان . ومما تجدر الاشارة اليه أن أحمد راتب باشا والي الحجاز حينما فصل ونزل الى جدة استقبله الأهلون بمظاهرات الامتهان والازدراء « لما عرف عنه من الاستبداد ايام ولايته » . (عن الشيخ عبد الله سرور الصبان) .

(٢) عن الشيخ علي طه رضوان . هذا ولا يزال الشيخ عبد الرحمن السديري يشغل هذا المنصب حتى سنة اعادة طبع هذا الجزء سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩/١٩٨٠ م .

يقول عمر رضا كحالة : « كانت حكومة جدة في العهد العثماني سنة ١٩٠٩م محصورة في القائمقام ووكيل الشريف ، فيختص الأول بأعمال الحكومة المالية غالباً ، والثاني بجميع أشغال العرب ، وأمر القوة العسكرية موكول الى قائدها(١) .

ويقول لنا الشيخ محمد نصيف :

ان متصرفية جدة في عهد المتصرف صادق باشا المؤيد ، كانت مرتبطة بوالى الحجاز العثماني التركي في مكة ، لا بأمارة مكة ، وكان لأمير مكة وزير بجدة يعينه الشريف من كبار عبيده المقدمين لديه ، ثم صار الشريف يُعَيِّن في جدة وكيلا له ، بدلا من الوزير ، حدث هذا في امارة الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ، وكان وكيله في جدة الشيخ عبد الله نصيف سنة ١٢٦٦هـ وحينما خلفه ابنه الشريف عبد الله ، عَيَّن وكيلا له بجُدة عمر أفندي نصيف ابن عبد الله نصيف . ومكث عمر أفندي في وكالة الامارة ، بجُدة ، حتى امارة الشريف الشهيد الحسين بن محمد بن عون(٢) . وحينما نقلت الامارة الى الشريف عبد المطلب بن غالب، عَيَّن وكيلا له حسن بن محمد الهزاز ، ثم عزل عن الوكالة وأعيد اليها عمر أفندي نصيف ، وعندما تولى امارة مكة ، الشريف عون الرفيق ، عَزَل عمر أفندي ، وعَيَّن بدلا منه موسى أفندي بغدادي ، وبعد أشهر فصله ، ووكل الشريف محمد بن مهنا العبدلى ، وبعد رجوع عمر أفندي نصيف من منفاه بالآستانة ، عينه الشريف عون الرفيق وكيلا له بجُدة(٣) . وبقيت وكالة امارة مكة له ، حتى أوائل عهد الشريف

(١) عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ص١٦٤ .

(٢) في سنة ١٢٩٩هـ طعن الشريف حسين الشهيد ولم يكن في ذلك الوقت يوجد (تلغراف) بين جدة وغيرها من المدن وبعدها بعام أو عامين اشترت الحكومة التركية من أوروبة (سلك كابلو) بستين ألف جنيه ذهباً ، ومدته من سواكن الى جدة عبر البحر الأحمر ، فكان أول ارتباط هاتفي بين الحجاز والخارج (محمد نصيف) .

(٣) المؤلف : كان ثلاثة من وكلاء امارة مكة بجدة لامعين وهم : الوزير يوسف قابل في القرن الثاني عشر الهجري ، وعمر أفندي نصيف في القرن الرابع عشر الهجري ، وموسى بغدادي من بعده . وكان وكيل الشريف في جدة يلبس جنبية «خنجرا كبيرا» في وسطه الى أن أعفى الشريف عبد الله ، الشيخ عمر نصيف من هذا التقليد .

حسين بن علي ، ثم فصله هذا وعين محله الشريف طه بن مهنا ثم أعاده الى الوكالة مرة أخرى . وعمر أفندي نصيف ولد بجدة في ٨ ربيع الأول ١٢٣٨هـ وتوفي بها سنة ١٣٢٦هـ . فجعل وكيل الأمارة بجدة من يومئذ حفيده الشيخ محمد بن حسين بن عمر نصيف وحينما استقل الملك حسين بالحجاز ألغيت وكالة أمارة مكة بجدة وجعلت جدة قائمقامية(١) .

ويقول ساطع الحصري : « ان المدينة وجدة كانتا متصرفتين في أوائل القرن الميلادي الحالى ، وان متصرف جدة يسمى « القائمقام الوالى » . وكان عدد المتصرفيات اذ ذاك خمساً ، وكان منها لبنان ، الا أن متصرفية جدة كانت ممتازة ، وكان أهل جدة معفيين من التجنيد الاجباري بحكم أنهم من أهل الحجاز(٢) .

●●●●

(١) عن الشيخ محمد نصيف .
(٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص٢٤١ و٢٥١ طبعة مصر .



قُضَاة مدينة جُدَّة



كان القضاء بين الناس في معاملاتهم وخصوماتهم بمقتضى أحكام الشرع الاسلامي أمراً جارياً في جدة منذ بدء نشأتها الاسلامية ، أسوة بغيرها من المدن . فالناس في أية مدينة لا بد أن يختلفوا في مصالحهم وأهدافهم ، ولا بد لهم من وازع يفصل في منازعاتهم ، وهذا الوازع هو القاضى الشرعي في جدة . وفي الحجاز ، في العهود المتتابعة حتى الآن .

ولم نطلع بعد ، على تفصيل المذاهب التى كان يحكم بها القضاة قبل الدولة العثمانية في جُدة . وأغلب الظن أنها اما أن تكون شافعية أو مالكية وذلك بعد نشأة المذاهب الأربعة .. أما قبلها فباجتهاد القاضى ..

هذا ويجرى الحكم الآن في المحاكم الشرعية بجدة على المذهب الحنبلى : مذهب الدولة السعودية القائمة حالياً .. وكان من قبل ، يجرى كذلك على مذاهب الدول القائمة . ففى زمن الحكومة الهاشمية كان على المذهب الحنفي وغيره ، وفي عهد الدولة العثمانية كان مقصوراً على المذهب الحنفي وحده(١) .

الحنبلى : مذهب الدولة القائمة .. وكان من قبل ، يجرى كذلك على مذاهب الدول القائمة . ففى زمن الحكومة الهاشمية كان على المذهب الحنفي وغيره ، وفي عهد الدولة العثمانية كان مقصوراً على المذهب الحنفي وحده(١) .

وفي هذا المعنى كتب الينا الشيخ محمد حسين نصيف رسالة بخط يده يقول فيها :

« في عام ١٢٣٠هـ وما قبله وما بعده بزمن الحكومة العثمانية حينما كان الحجاز ولاية من ولايات الدولة التركية كانت الدولة تعين

(١) حسين نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ص١١٠ .

قاضى مكة والمدينة من علماء استانبول . ومدة حكم القاضى بمكة عام واحد . ومدة حكم قاضى المدينة عامان .. وكان قاضى مكة يتولى الخطابة في عرفات ، ولذلك ذكر في الصك الذى نشر عقب هذا الفصل مباشرة، بأنه خطيب ، آخر عام ١٢٣٠ هـ ..

وكان قاضى مكة يَنصِبُ من قِبَله نُوّاباً ، في محكمة جُدة والطائف ورابغ والليث والقنفذة . وكان قاضى المدينة يعين نواباً عنه في محكمة ينبع والوجه وضباء وخيبر ..

وكان نواب قاضى مكة وقاضى المدينة يعينون من علماء المدينة ، واستمر الأمر على ذلك الى عام ١٣١٣هـ ومن ثم صاروا يعينون رأساً من استانبول من خريجي مدرسة القضاء الشرعي بها .

وكان بعض المُستَقدَمين لتولى القضاء لا يعرفون اللغة العربية . ولذلك كان اعتمادهم على رؤساء الكتاب . وكانت بأيدى هؤلاء أمور القضاء . وبعد اعلان الدستور العثماني بعام ١٣٢٦هـ صارت الدولة العثمانية ترسل قضاة الى هذه البلاد المقدسة ، ممن يعرفون اللغة العربية .

وقد تولى قضاء جدة في عهد الدولة الهاشمية ١٣٣٤هـ ـ ١٣٤٣هـ رأساً ، علماء وقضاة بعضهم من أهل مكة وبعضهم من أهل جُدة .

وفي عهد الدولة السعودية تولى قضاءها رأساً علماء وقضاة، بعضهم من مكة ، وبعضهم من المدينة ، وبعضهم من نجد ، وبعضهم من أهلها..

ومن قضاة جدة في القرن الحادي عشر الهجري أو قبله ، صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعي(١) وله تاريخ في جدة ذكره صاحب « كتاب السلاح والعدة في فضل ثغر جدة . ولم نطلع عليه بعد(٢) .

(١) عبد القادر بن فرج : السلاح والعدة في فضل ثغر جدة « النسخة المخطوطة » بمكتبة شيخ الاسلام ، عارف حكمت ، وهي مترجمة الى اللغة التركية .
(٢) فيما بعد اطلعنا على النسخة المكتوبة من المؤلف باللغة العربية .

ومن قضاتها أيضاً الشيخ عبد الحي في القرن المذكور(١) .

ومن قضاة أو نواب القضاة فيها على التعبير الدقيق في القرن الثالث عشر الهجري ، الشـيخ ابراهيم عبـد الفتاح جـد أسرة عبـد الفتاح المعروفة الى اليـوم بجُدة ومنهم الشـيخ المعـاصر صدقة عبد الرحيم عبد الفتاحَ صاحب مطابع الفتح التى كانت أول مطابع نقلت من داخل بلدة جُدة الى طريق المدينة بطواره الشرقي الموالى للحي المعروف أولا بعنيكش تسمية له باسم أحد سكانه المزارعين به قبل عمرانه والذى عدم اسمه رسمياً في سنة ١٣٩٨ هـ الى اسم « مُشرِ فَةَ » بالنظر لاشرافه على مدينة جُدة والبحر الأحمر ، لعلوه الملموس .. وكانت تسميته باسم « مشرفة » في الأساس من وضع مؤلف هذا الكتاب وقـد أقرته اللجنـة الرسمية التى ألفها رئيس بلـدية جُدة المهندس محمد سـعيد فارسي الذى له اليد الطولى في عمران جُدة وتوسعها وتنظيمها الكبير الذى لم يسبق له مثيل حتى أصبحت بحق «عروس البحر الأحمر» بل عـروس مدن السواحل العالمية البحرية بالنسبة لـكثير من هذه المدن الشاطئيـة للبحار .

هذا وفي السالنامه التركية لسـنة ١٣٠٣ هـ أن ابراهيم عبد الفتاح المشار اليه آنفاً كان عضواً دائماً في المحكمة التجارية ، وهذا يدل على أنه كان موجوداً في مطلع هذا القرن . وكان هذا الشيخ عالماً تاجراً في آن واحد(٢) .

ومن قضاة جُدة ونوابهم الشيخ كمال ،والشيخ علي كمال ،والشيخ محمد علي خراز ، والشيخ جعفر لبني(٣) .

وقد طلبنا من سراج عمر سُرتّي المحامي الشرعي بجُدة ـ وكان من قدماء موظفى المحاكم ـ أن يستخرج لنا بيـاناً مسلسلا عن القضـاة

(١) ص٩٩ من المصدر السابق .
(٢)و(٣) عن الشيخ محمد نصيف . وفيـه ربط لتسلسل ولايات القضاة بجدة .

الذين له اطلاع بهم ، من الصكوك والسجلات التى كانت تحت يديه وقد استجاب لذلك فكتب لنا هذا البيان عنهم ، وهانحن نثبته فيما يأتي مع بعض اضافات اليه :

١ ـ الشيخ عبد القادر بن عبد الرزاق القادري . كان قاضياً لجدة في عام ١٢٧٤هـ وفي كتيب « مختصر تاريخ جدة » لحسن أبي الحمائل أن الشيخ عبد القادر شيخ ، كان قاضياً لجدة في سنة ١٢٧٤هـ وقد نفي من جدة في فتنة سنة ١٢٧٤هـ ثم عاد الى جـدة . ويبـدو لنا أنه هو الشيخ عبد القادر القادري .

٢ ـ الشيخ ابراهيم عبد الفتاح .. تولى القضاء في أواخر القرن الهجري الثالث عشر .

٣ ـ الشيخ محمد سعدي آفندي .. تولى القضـاء فيما قبـل عام ١٣٠٠هـ في فـترات متقطعـة حتى عام ١٣١٠هـ وعام ١٣١٣هـ وعام ١٣١٤هـ وعام ١٣١٥هـ .

وفي السالنامه التركية لسنة ١٣٠٣هـ أن النائب الشرعي سـعدي أفندي كان عضواً في هيئة أركان لواء جدة سنة ١٣٠٣هـ(١) .

٤ ـ الشيخ أحمد عاصم ، تولى القضاء في عام ١٣١١هـ واستمر حتى عام ١٣١٢هـ .

٥ ـ الشيخ سليمان شكرى ، تولى القضاء في عام ١٣١٦هـ وانتهى منه في عام ١٣١٧هـ .

٦ ـ الشيخ سليمان سرى ، تولى القضـاء في عـام ١٣١٧هـ حتى نهايته .

٧ ـ الشيخ محمد سَرَائِلِيّ ، تولى القضاء في عام ١٣١٨هـ واستمر حتى عام ١٣١٩هـ .

(١) السالنامه التركية ص٩٨ .

٨ ـ الأعوام ١٣٢٠هـ و ١٣٢١هـ و ١٣٢٢هـ مجهول لدى «سراج عمر سُرَّتِي» من تولى فيها القضاء بجُدة . ومن المحتمل أن يكون القضاء فيها مشتركاً بين الشيخ محمد سَرَائِلي والشيخ حسن فهمي .

٩ ـ الشيخ حسن فهمي ، تولى القضاء بجُدة في عام ١٣٢٣ هـ واستمر قاضياً لها حتى عام ١٣٢٤ هـ .

١٠ ـ الشيخ محمد سالم ، تولى القضاء بها في عام ١٣٢٥ هـ وانتهى منه في عام ١٣٢٧هـ .

١١ ـ الشيخ ابراهيم الخطيب ، تولى القضاء في عام ١٣٢٧هـ وانتهى منه في عام ١٣٣٠هـ .

١٢ ـ الشيخ حسن خليل ، تولى القضاء بالوكالة في عام١٣٣٠هـ .

١٣ ـ الشيخ أحمد مختار تولى القضاء في عام ١٣٣٠هـ حتى نهايته .

١٤و١٥و١٦ ـ تولى القضاء بجُدة الشيخ حسن خليل بالوكالة ، وكذلك الشيخ عبد المجيد أفندى ، والشيخ مصطفى صبرى ، تولوا القضاء فيها بالتعاقب خلال الأعوام ١٣٣١هـ و١٣٣٢هـ و١٣٣٣هـ .

١٧ ـ الشيخ محمد جلال الدين أفندى ، تولى القضاء بها في عام ١٣٣٣ هـ وانتهى منه في عام ١٣٣٤ هـ(١) .

١٨ ـ السيد محمد حامد أحمد ، تولى القضاء بجُدة في عام ١٣٣٤هـ وانتهى منه في عام ١٣٣٧هـ ومرض وارتحل الى الهند للعلاج وتوفي بها .

١٩ ـ السيد عبد الهادى كتبى من أهل مكة المكرمة(٢) .

٢٠ ـ الشيخ عبد الرحمن بن سليمان قاضي، تولى القضاء بجُدة في عام ١٣٣٨هـ الى عام ١٣٣٩هـ وهو من أهل الطائف .

---

(١) في ذلك العام انتهى حكم الأتراك في الحجاز ومنه جدة .. والقاضى الذى يليه في البيان : السيد محمد حامد أحمد تولى قضاء جدة في عهد الملك حسين بن علي .

(٢) هذا عن الشيخ محمد نصيف ، وفيه ربط لمسلسل ولايات القضاة بجدة .

٢١ ـ الشيخ حامد رويحي ، تولى القضاء بالنيابة في جُدة في عام ١٣٤٠ هـ الى عام ١٣٤١ هـ .

٢٢ ـ الشيخ أحمد القارى المـكي ، تولى القضـاء في جُدة من عام ١٣٤١ هـ الى عام ١٣٤٤ هـ(١) .

٢٣و٢٤ ـ الشيخ عبد الله حداوي والشيخ أحمد عوض الغراوي، توليا القضاء بجُدة في عام ١٣٤٥ هـ ، واستمرا حتى عام ١٣٤٦ هـ .

٢٥ ـ الشيخ أحمد كماخي ، تولى القضـاء في جُدة عام ١٣٤٧ هـ واستمر حتى عام ١٣٤٨ هـ وكان نائبـه الشـيخ عبد الحفيظ كردي الذى استمرت نيابته بقضاء جُدة حتى عام ١٣٤٩ هـ .

٢٦ ـ السيد محمود أحمـد ، تولى القضـاء في جُدة عام ١٣٤٨ هـ واستمر فيه حتى عام ١٣٥١ هـ حيث مرض واستأذن من جلالة الملك في العودة الى المدينة المنورة للعلاج ، فأذن له ، ولما طال الأمر أقاله الملك ، وفي مدته تولى القضاء وكالة عنه الشـيخ عمر ناظر والشـيخ عبد الله حداوي .

٢٧ ـ الشيخ عبد الله حـداوى ، تولى القضـاء في عام ١٣٥١هـ واستمر حتى عام ١٣٥٢هـ .

٢٨ ـ الشيخ عمر جان ، تولى القضاء في عام ١٣٥٢هـ وانتهى منه في نفس العام .

٢٩ ـ الشيخ سـعيد بـكـُلكـَا ، تولى القضـاء في جُدة بالوكالة عام ١٣٥٢ هـ وانتهى منه في نفس العام .

٣٠ ـ الشيخ محمد علي البـَيز ، تولى قضاء جُدة في عام ١٣٥٣ هـ واستمر به حتى عام ١٣٧٢ هـ وكان نوابه بوقته كـُلا من السيد محمد

(١) في عهد هذا القاضى دخل الحجاز ومنه جدة . في حكم آل سعود .

علي الدباغ ، ثم السيد محمد محمد المرزوقي الذى أسـند اليه القضاء بالوكالة عنه .

٣١ ـ الشيخ محمد بن علي الحركان ، تولى القضاء عام ١٣٧٢ هـ واستمر حتى عام ١٣٨٣هـ وكان مساعده السـيد محمد المرزوقي . وفي عهده زيد في المحكمة قاضيان هما الشـيخ محمد البِشرُ والشـيخ عبد العزيز العِيسَى . وفي عام ١٣٨١ هـ أحيل السيد محمد المرزوقي الى التقاعد فانتهى من القضاء ، وعُين مساعداً لقاضي جُدة ، الشيخ محمد البِشر ، وعين قاضياً : الشيخ محمد عبد الرحيم .

• • •

هذا وقد ورد في كتاب « حجاز ولايتى سالنامه سى » المطبوع باللغة التركية سنة ١٣٠٦هـ اسم محمد سـعدى أفنـدى بصفة كونه « نائب المحكمة الشرعية »(١) بجُدة ، وهـذا يؤيد ما أفادنا به كل من فضيلة الشيخ محمد نصيف والشيخ سراج عمر سُرَّتِي .

(١) « حجاز ولايتى سالنامه سى » ص٢٤٨ .



العلماء الدّيـنيون بِجُدَّة



أورد معجم البلدان اسمي عالمين من علماء جدة القدامى مع ترجمة موجزة لكل منهما قال :

« وينسب الى جـدة جماعة ، منهم عبد الملك بن ابراهيم الجدى ، وعلي بن محمد بن علي ابن الأزهر أبو الحسن العليمي المقري القطان، يعرف بالجُـدِّي، سمع أبا محمد بن أبى نصر ، وأبا الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، وأبا بكر محمد بن عبد الرحمن القطان ، روى عنه عبد الله ابن السمرقندي ، ومولده سنة ٣٩٠هـ ومات سنة ٤٦٨هـ»(١)

ولنا أن نستخلص من هذا الحديث أموراً :

أولها ـ أن جدة أخرجت علماء كانوا معروفين في العالم الاسلامي في القرون الأربعة الأول للهجرة بدليل قوله : « وينسب الى جدة جماعة منهم الخ » .

ثانيها ـ ان المترجم له الثاني وهو علي بن محمد العليمي كان من كبار علماء العالم الاسلامي في القرن الهجري الخامس ، بدليل كثرة من سمع منه ومن روى عنه ، وقد سجل المؤلف سنة مولده وسنة وفاته ، وهذه عناية خاصة بشأنه ، لعلمه وفضله .

ثالثها ـ ان معجم البلدان كتاب جغرافي ، وذكره لترجمة هذين العالمين يدل على أهميتهما وشهرتهما المستفيضة . ونعتقد أن من علماء جدة كثيرين لا تزال تراجمهم مدونة في بطون مئات الكتب المبعثرة في أرجاء الدنيا . واستخراجها من تلك الكتب يحتاج الى جهود لجان علمية مُركَّزَة ، والى طول زمان واستيعاب مراجعة لكثير من الكتب المبعثرة في أرجاء مكتبات المعمورة .

ويغيب عنا وجه التاريخ العلمي طي الحوادث في جدة بمتوالى القرون

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص١١٥ المجلد الثاني طبعة بيروت ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

بعد اشارة ياقوت ، حتى يصل بنا المطاف الى القرن الحادى عشر الهجري، فنجد من علماء جدة في ذلك القرن الشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد فرج الشافعي خطيبَ جُدة وعالمها والمقدم فيها بالعلوم الشرعية ، وقد ولد فيها ونشأ بها وتلقى العلم عن الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي وغيره من علماء عصره ، كما تلقى عنه جماعة من العلماء منهم الشيخ أحمد بن محمد الخلى ، وللشيخ عبد القادر مؤلفات منها كتيب « السلاح والعدة في فضل ثغر جدة » وهو لا يزال مخطوطاً ، وترجم الى اللغة التركية وتوجد نسخة خطية من هذه الترجمة بدار كتب السيد عارف حكمت بالمدينة . وتوفي بجدة ودفن فيها يوم السبت ١٧ رمضان ١٠١٠هـ(١) .

وقد حدثنا عبد القادر بن فرج الخطيب بجُدة عن قضاتها ، وربما يعني بهم علماءها الدينيين ، فيذكر لنا نفراً منهم وهم بنو ظهيرة القرشيون الذين هم في الأصل من مكة ، وقد ذكر أن أحدهم وهو عبد الحي كان قاضياً في جدة ، كما ذكر من الفقهاء بها ، الشيخ علي بن الصديق من بيت المجانين ، والشيخ أحمد بن الصديق ، والفقيه فرج اليمني ، جد بيت ابن فرج وجد المؤلف عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج ، صاحب كتاب « السلاح والعدة في فضل ثغر جدة » والسيد أحمد بن سعيد الجبني اليمني المدفون بجدة ، والشيخ حميد بن جمعة اليمني ، والشيخ علي بن عمر الأموي القرشي ، من بني الشاذلى ، وفقهاء بنى الزيلعي العقيلي .

وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين نجد في مجلة «المنهل» تراجم لبعض علماء جدة في هذين القرنين(٢) كما نجد في غيرها اسم

(١) خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للمحبي ص ٤٣٥ المطبعة الوهبية بمصر .
(٢) الشيخ محمد نصيف : علماء جدة المعاصرون من ص١٥٠ الى ص١٥٢ من عدد « المنهل » الصادر في شهر ربيع الثاني ١٣٦٥هـ .

عبد القادر بن عبد الرزاق قاضي جدة في سنة ١٢٧٤هـ أيام الفتنة التى حدثت بجدة .

هذا وقد كتبَ بحث العلماء في « المنهل » ، الشيخُ محمد نصيف وراجعناه بعدئذ ونحن نؤلف هذا الكتاب فأضاف تراجم الى تلك ومن كل ما ذكر تألف محصولنا الآتي بيانه :

الشيخ ابراهيم عبد الفتاح :

هو جد أسرة عبد الفتاح . وأحد الأفراد الأحياء من هذه الاسرة. ابان تأليف هذا الكتاب هو صدقة عبد الرحيم عبد الفتاح صاحب مطابع الفتح بجُدة الذى سبق ذكره .

تولى الشيخ ابراهيم عبد الفتاح قضاء جدة ، كما تولى رئاسة محكمة التجارة بها ، وكان مع علمه وفضله تاجراً له متجر معروف في السوق ، وقد وسع تجارته ففتح لها فرعاً في السودان . وحينما استولى محمد أحمد المهدي على السودان سنة ١٣٠٢هـ ١٨٨٥م(١) نهبت أموال عبد الفتاح وتجارته في السودان كما حدث لغيره من التجار فمكث هناك مدة ولما وجد طريق العودة الى وطنه الحجاز مفتوحاً قدم الى سواكن ومعه ابنه فقبض عليهما الانكليز وزجوا بهما في سجن سواكن بتهمة التجسس لمحمد أحمد المهدي . وفي ذات يوم دخل الحاكم سجن سواكن لتفتيش أحوال المسجونين فوقفوا كلهم احتراماً له . ماعدا الشيخ ابراهيم فانه بقى جالساً في مكانه ، ولم يتحرك . فاسترعى ذلك نظر الحاكم الانكليزي ، فجاء اليه ودار بينهما هذا الحوار القصير « وكان الحاكم الانكليزي يعرف اللغة العربية » :

(١) نعوم شقير : تاريخ السودان جلد ٢ ص ٢٩٦ وما بعدها .

الحاكم الانكليزي ـ كل الناس قاموا احتراماً لى ، فلم لم تفعل كما فعلوا ؟!

الشيخ ابراهيم ـ ديني يمنعني من ذلك !

الحاكم الانكليزي ـ « وقد اقتنع بأن هذا الشيخ ليس جاسوسا ، وانما هو من صلحاء علماء المسلمين ، ومن الحجاز ، وقد نكب في أمواله » .

ـ اذن بعد شهر سنخرجك من السجن ونرسلك الى بلدك جُدة .
الشيخ ابراهيم ـ أشكر لك ذلك ولكن معى ولدى هنا في هذا السجن أيضاً .

وقد وفى الحاكم الانكليزي بوعده للشيخ وابنه ، فعاد أدراجه الى بلده حامداً لله وشاكراً على هذه العودة الميمونة ، بعد الشدة والعناء المبرح ، وقد اشتغل في أعماله التجارية ، وكان لبعض التجار ديون عليه يبلغ مجموعها خمسة وأربعين ألف ريال ، وكان هذا المبلغ يعتبر يومئذ ثروة عظيمة ، فلما علموا بما مُنِيَ به من خسارة فادحة في أمواله وتجارته بالسودان ، سامحوه فيما هو لهم عليه ، ولكنه أبى ذلك عليهم فأمدوه بالبضائع التجارية ، وتعاطى البيع والشراء ، وفي ظرف عشر سنين سدد لهم جميع حقوقهم(١) .

هذا وقد عاش الشيخ ابراهيم الى سنة ١٣١٠هـ تقريباً .

○○ الشيخ ابراهيم الشورى « بكسر الراء بعدها ياء النسبة » :

كان من علماء جدة في القرن الهجري الثالث عشر وهو دمياطي قدم الى جدة ودرس فيها . وزوجه الشيخ عبد الله نصيف الجد الثاني

(١) عن الشيخ محمد نصيف .

للشيخ محمد نصيف ، بابنته ، وأنجب منها ، ووقف عليه وعلى ذريته منها داراً للسكنى ، وحينما انقرض عقبه عادت الدار الى آل نصيف بموجب شرط الواقف ولا تزال لديهم الى الآن .

الشيخ محمد سليمان :

كان من علماء جدة بعد الشيخ ابراهيم الشُّورِيّ .

السيد محمد حامد بن أحمد عوض الحنفي :

ولد في ضباء شمال الحجاز ، على ما يرجحه الشيخ محمد نصيف ، ثم انتقل الى المدينة المنورة ، وطلب بها العلم مدة مديدة ، ثم سافر الى مصر ، ودرس في الجامع الأزهر ، وأخذ منه الشهادة العالمية ، ثم انتقل الى جُدة ، وظل مدرساً بها زمناً طويلا ، ثم ارتحل الى مكة ، وعاد الى جدة وتولى القضاء بها في زمن الحكومة الهاشمية . وبقي في المنصب عامين ، ثم اضطره المرض الى الاستقالة فسافر من جدة الى الهند للمعالجة ومكث بها الى عام ١٣٤١هـ وتوفي بها عن عمر يناهز السبعين عاماً ، وخلف ابناً مات بعده ، اسمه محمد ، وثلاث بنات لا يزلن على قيد الحياة .

الشيخ أحمد بن محمد الزَّهرَة الشافعي :

ولد بدمياط من بلاد مصر وطلب بها العلم وتلقى علم القراءات فيها ونال الشهادة العلمية ثم رحل الى الشام فيصدر شبابه بزمن الدولة العثمانية ثم انتقل الى الحجاز فأقام مدة بالمدينة وارتحل منها الى جُدة وكان ذلك في عام ١٣٠٧هـ : واستوطنها مدة أربعين عاماً متوالية ، وكان يدرس فيها العلوم بمسجد الشافعي بعد صلاة المغرب من كل ليلة وبداره أيضاً وقد توفي بالمدينة عقيماً في شهر رمضان ١٣٦٤هـ .

وكان الشيخ يحسن تلاوة القرآن وله صوت حسن رخيم ، ويقرأ بسبع القراءات ، وكان غيوراً على القرآن الحكيم ، وغيوراً على النحو فلا يرضى أن يأتى أحد بخطاء فيه ، واذا سمع الخطأ ثارت ثائرته وكان مع ذلك لطيف المعشر والمحضر .

○○ الشيخ سليمان الحضرمي الشافعي :

ولد بجدة حوالى سنة ١٢٨٧ هـ وكان في مبدأ أمره صائغاً يصوغ الحُلِيَّ من الذهب والفضة بيده، واستمر يزاول هذه المهنة ويعيش من دخلها ، وهو يطلب العلم مع ذلك حتى بلغ مرتبة العلماء الدينيين ومن ثم واظب على القاء الدروس في مسجد الحضارمة بعد صلاة المغرب من كل ليلة .

وكان غيوراً على الدين ومتبحراً في فقه الامام الشافعي . وتوفي بجدة سنة ١٣٢٧هـ عن ابن وحيد مات بعده .

○○ الشيخ أحمد باجنيد الشافعي :

ولد بجدة حوالى عام ١٣٠١هـ وتعلم العلوم الشرعية فيها ودرّسها للناس بمسجد لؤلؤة وانتفع بعلمه كثيرون من الأهلين . وكان يدرس الفقه والتوحيد للطلاب ومات وهو شاب حوالى ١٣٣٠هـ عن ابن لا يزال حياً .

○○ الشيخ أحمد ابن العلامة الشيخ علي باصبرين الحضرمي الشافعي :

ولد بحضرموت فيما يقرب من عام ١٢٨٠هـ وتلقى العلم فيها ثم انتقل الى جدة ودرّس فيها الطلبة فقه المذاهب الأربعة، وألف كتاباً في الفقه على المذاهب الأربعة ولا يزال مخطوطاً . وتوفي بعدن فيما يقرب من عام ١٣٣٩هـ عن عمر يناهز الستين عاماً ، وخلف أبناءاً ذكوراً

وبنات عائشات ، ومن أبنائه الدكتور محمد صالح بك من أطباء الاسكندرية ، فقد كان الشيخ سافر ذات مرة الى مصر واقترن باحدى المصريات ورزق منها بمحمد صالح هذا . وقد بقي مع والدته بمصر فأحسنت تربيته وأدخلته المدارس حتى صار طبيباً وعين في الاسكندرية وكان يقدم الى الحجاز مندوباً عن الحكومة المصرية في شؤون الحج .

○○ الشيخ أحمد عجلان الحضرمي :

كان شافعي المذهب وكان يُدَرِّس العلوم للمستفيدين ، ويتعاطى مع ذلك مهنة الصياغة .

○○ الشيخ محمد بن حسين نصيف(1) :

عالم جدة وأمير الكتب فيها كما وصفه أمين الريحاني . يمتاز بذاكرة واعية على تقدم سنه ، وبيته بيت الأمة ينزل فيه وافدون من أنحاء العالم الاسلامي ، ومكتبته مرجع عام للمستنيرين والباحثين ، وله مقالات دينية وعلمية وتاريخية وأدبية واجتماعية مفيدة في صحافتنا وصحافة العالم العربي والاسلامي ، وعني بنشر مفيد الكتب وتوزيعها مجاناً على طلاب العلم ابتغاء ثواب الله ، وله اطلاع واسع على شتى العلوم والتواريخ ، وهو دائرة معارف عن تاريخ جدة ، وهو معروف في الأوساط العلمية العالمية بعلمه وسماحة خلقه ومساعدته لطلبة العلم وكرمه وشهامته . وكان ينطق بكلمة جُدة حتى في حديثه العامي مضمومة الجيم يلتزم ذلك التزاماً . ولم يسمع منه أنه نطق بغير ذلك مطلقاً .

ولد الشيخ محمد نصيف بجدة سنة ١٣٠٠هـ وله أبناء منهم : حسين نصيف صاحب كتاب « ماضى الحجاز وحاضره » وعمر نصيف

(1) هذه الترجمة من مؤلف الكتاب .

عضو مجلس الشورى ، وقد توفيا في حياته المديدة ، وله ابن ثالث هو عبد القادر نصيف لا يزال على قيد الحياة ، ولابنه هذا أبناء وبنات . وتوفي الشيخ محمد نصيف في مدينة الطائف بعد مرض قصير في سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م(١) رحمه الله . وقد أصبح حفيده الدكتور عبد الله عمر نصيف مديراً لجامعة الملك عبد العزيز بجُدة وقد كان وكيلا بأمر ملكي في ٤ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ فنائب مدير لها .

○○ الشيخ محمد بن حسين ابراهيم المشهور بالفقيه :

ولد بدمنهور في نحو عام ١٣٠٤هـ وأقام بها زمناً ، ثم قدم جدة وتعلم بها القراءات على الشيخ أحمد الزهرة ، والسيد أحمد حامد أبو تيج المدني المدرس بمدرسة الفلاح بمكة ، رحمه الله . وكان حريصاً على طلب العلم ، كفيف البصر وكان له أصحاب يقرؤون له ، واقتنى مكتبة كبيرة وأصبح عالماً يشار اليه بالبنان ، ودرس للناس التفسير والحديث ، وانتفع بعلمه كثيرون .

وتوفي بجدة سنة ١٣٥٤هـ وله أبناء أحياء .

○○ الشيخ عبد الرحمن أبو حجر المالكي :

ولد بالجزائر في نحو سنة ١٢٨٠هـ وتعلم بها ثم دخل الأزهر طالباً للعلم ، ومن ثم رحل الى بلاد السودان ، للتجارة . وعاد منها الى مصر ثم قدم الحجاز ، وأقام بمكة المكرمة مدة ، ثم اختار مدينة جدة موطناً له ، ومات بها عام ١٣٥٨هـ وكان من علماء السنة المخلصين ، وفيه دعابة لطيفة مع أصدقائه ، وعين رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف بجُدة في عهد الحكومة العربية السعودية .

(١) مجلة « المنهل » العدد الصادر في رجب ١٣٩١ هـ ص ٧٥٣ .

○○ **الشيخ محمد محمد المرزوقي :**

ولد بضبا بشمال الحجاز ، وتعلم العلوم الدينية ، ودرس الطلاب في مدرسة الفلاح بجدة ثم صار أحد نواب قاضي جدة وقد أحيل على التقاعد سنة ١٣٨١هـ كما ذكرناه في محله .

○○ **الشيخ حسن بن حسين أبو الحمائل :**

وُلِدَ بمدينة جُدة سنة ١٣١٤هـ في محلة المظلوم ، وتلقى مبادىء القراءة والكتابة في كُتَّاب الحارة ، ثم التحق بمدرسة الفلاح عام ١٣٢٨هـ وتخرج منها عام ١٣٣٤هـ فعين مدرساً بها وكان يتلقى دروساً خصوصية على يد الشيخ أحمد الزهرة والشيخ يوسف اليماني .. درس الفقه والحديث والتفسير على الشيخ أحمد الزهرة والفرائض على الشيخ يوسف اليماني والنحو على الشيخ حسين مطر وحفظ القرآن وجَوَّدَهُ على الشيخ فتح الله الصاوي . وفي عام ١٣٣٧ هـ عُين مدرساً بمدرسة الفلاح بمكة ، وكان يحضر دروساً خصوصية على يد علماء المسجد الحرام ، فقرأ البلاغة على الشيخ علي مالكي ، والحديث على الشيخ عبد الرحمن دَهَّان بالمدرسة الصولتية ، والفقه على الشيخ سعيد اليماني .

وفي عام ١٣٤٠هـ أجيز بالتدريس والوعظ بالمساجد . وفي عام ١٣٤٣هـ بعد دخول الحكومة السعودية عين عضواً في اللجنة العلمية الاصلاحية برئاسة الشيخ محمد نصيف للاشراف على تأسيس المدارس ومناهج الدراسة وعين مدرساً من قبل هذه اللجنة بالمسجد الشافعي ومدرساً بالمدرسة السعودية للدروس الدينية والعربية . وفي عام ١٣٤٩هـ ترك التدريس بالمدرسة ثم عاد له عام ١٣٥٧هـ ، وفي عام ١٣٦٢ هـ عُين مديراً للمدرسة الابتدائية بجُدة . وكان يقوم بالخطابة والامامة والتدريس بالجامع الشافعي وله مؤلفات مخطوطة لم تنجز

بعد ، منهـا كتيب في تاريخ جُدة اقتبسنا منه بعض المعلومات لهـذا الكتاب ، وآخر في فقه الحديث وآخر في « الطلاق في الاسلام » وتفسير للقرآن وكان يذيع بالاذاعة السـعودية تفسـير بعض آيات القـرآن الكريم ، وله مجموعة أحاديث الاثنين وديوان في الخطب الجمعية .

○○○○

هذا وقد ورد في كتيب « تراجم علماء جُدة من الحضارمة » جمع الشيخ علي بن سالم بن عمر بن أحمد العميري تراجم لبعض علماء جُدة من الحضارمة(١) وكتابته بخط يده وقد كتب في ختامها قوله : (وكان الفراغ منها في اليوم التاسع من شهر ذي القعدة ١٣٦١ هـ) .

ولقد رأينا أن نلخص ببعض تصرف واختصـار تراجم أولئـك العلماء الذين توفي أغلبهم ودفنوا في جدة في أوائل القرن الرابع عشر الذى نحن على مشارف نهايته . وهم :

○○ الشـيخ علي أحمد بن جنيـد باصـبرين الحضرمي الشـافعي « ولم يذكر مؤلف الكتيب المشار اليه آنفاً سنة وفاته ولا مكانها » وقد اتخذ جُدة موطناً له بعد أن تضلع من العلوم . وكان مفيداً للطلاب وقد تلقى العلوم من مشايخ كثيرين بمصر وكان حريصاً على تربية طلبـة العلم مواظباً على دروسه وشغل أولاده في طلب العـلم ، ومنهم الشـيخ العلامة أحمد ابن صاحب الترجمة .. أرسـله الى مصر لتلقى العـلوم وأنفق عليه من ماله ، ولما رجع الى جُدة بعـد تفقهـه أنابه في بعض دروسه . وسافر الشـيخ علي أبو صبرين الى مصر ، وقـد ألف كتاب « اثمد العينين في بعض اختـلاف الشيخين المشهورين : العلامة الشـيخ أحمد بن محمد الهيتمي . والعلامة الشيخ محمد بن أحمد الرملى » .

ومن مؤلفاته أيضاً «الجدول المشهور في حساب الفلك لعرض جُدة»

(١) قمت بتصوير نسخة هذا الكتيب من مكتبة جامعة الرياض وتوجد في خزانة كتبي بجدة .

وكان معمولا به وقد اعتُرِضَ عليه في سنة ١٣٦١ هـ. ولم يتحقق اخلاله .. وتوفي الشيخ علي أبو صبرين في عام ١٣٠٦ هـ. ودفن في مقابر جُدة . ومن طلاب العلم على يديه مؤلف الكتيب : سالم بن عمر العميري ، وأحمد عبد الرحمن باجنيد .

« هذا ومما يسترعى الانتباه ان مؤلف هذا الكتيب المخطوط بخط مؤلفه والذى سماه « تراجم علماء جُدة من الحضارمة » - يكتب اسم (جُدَّة) البلد بضم جيمها في مخطوطة تأليفه هذا » .

○○ الشيخ أحمد بن علي باصبرين . سبق أن ترجمه لنا الشيخ محمد نصيف رحمه الله وأوردنا تلك الترجمة في الصفحة ٢٧٥ من الطبعة الأولى من هذا المجلد ، وفي الصفحة (٢٤٨) من هذه الطبعة الثانية . وقد قال الشيخ محمد نصيف أنه ولد سنة ١٢٨٠هـ بحضرموت.

وقد كرر الشيخ علي بن سالم بن عمير (ربما سهواً) ترجمته مرتين في رسالته وقال : انه سافر لطلب العلم الى مصر ثم عاد الى جدة وتوفي بعدن ، عام ١٣٠٦هـ(١) ودرس في مساجدها وكان من طلابه الشيخ محمد حسين ابراهيم الفقي . الذى لم يترجم له علي بن سالم ابن عمير . وأضاف أن أحمد باصبرين كان مؤلفاً بالنظم والنثر .

○○ الشيخ محمد حسين ابراهيم الفقي .

○○ الشيخ عبد الله بن بركات باحكيم .. أفادنا المؤلف بأنه كان شيخه ، وبأنه كان محققا في أحكام العبادات والفقه ومدرساً مواظباً على التدريس وانتفع به ناس كثير ، وكان له درسان يومياً درس للطلبة

---

(١) كتيب تراجم علماء جدة من الحضارمة ، المخطوط بخط مؤلفه ص ٢ . أما الشيخ محمد نصيف ففي ترجمته له قال انه توفي فيما يقرب من سنة ١٣٣٩هـ عن عمر يناهز الستين عاماً ..

الكبار وآخر للصغار من ذوى التمييز والادراك . وأضاف انه حدث خلاف بينه وبين ولاة الأمر من الأتراك في جُدة بسبب عدم تنفيذهم لبعض أحكام الشرع الحنيف ثم سلمه الله منهم . وقد توفي بنحو سنة ١٣١٦ هـ بمكة ودفن بها .

○○ الشيخ أحمد بن محمد بن عجلان باعجاجة الحضرمي ، كان من مدرسى الفقه الشافعي في جدة وله تلاميذناجحون بلغوا رتبة التدريس

وكان أحمد بن محمد باعجاجة يُدَرِسُ الناس غالباً من بعد صلاة المغرب حتى العشاء في زاوية « أبى سيفين » التى هي بسوق الندى في حارة الشام بجدة وكانت وفاته نحو عام ١٣١٨هـ .

○○ الشيخ أحمد صنعان باسودان .. كان من طلاب الشيخ أحمد ابن محمد باعجاجة المذكور آنفاً .

○○ الشيخ محمد صالح بازرعة .. كان من تلاميذ الشيخ أحمد ابن محمد باعجاجة أيضاً .

○○ الشيخ مشهور ابن الشيخ عابد شيخ . كان مدرساً أيضاً بمسجد الشافعي وخطيباً واماماً له توفي بعد وفاة والده بسنتين (لم يحدد لنا المؤلف سنة وفاة والد الشيخ مشهور) .

○○ الشيخ أحمد بن علي بن سلمان الحضرمي . أحد مدرسى الفقه الشافعي بجُدة . ومن تلاميذه الناجحين الشيخ مشهور الآنف ذكره .

○○ الشيخ عابد شيخ والد الشيخ مشهور كان أحد التلاميذ الناجحين للشيخ أحمد بن علي بن سلمان الحضرمي الآنف ذكره .

○○ الشيخ محمد صالح بن عابد شيخ . توفي في عام ١٣٢٧هـ . كان يدرس من بعد صلاة المغرب حتى العشاء غالباً ، في مساجد جدة

أو في رباط السادة . دفن في مقابر جُدة . وكانت وفاته في نحو عام ١٣٢٧ هـ .

○○ الشيخ عبد القادر التلمساني . ذكره المؤلف عرَضاً ، في ترجمته للشيخ أحمد باصبرين .. وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ تقريباً . وهو ليس حضرمياً على ما يظهر من لقبه التلمساني .

○○ الشيخ أحمد بن عبد الرحمن باجنيد .. كان مدرساً للفقه والنحو .

○○ الشيخ عبد الرحمن باوارث . كان من تلاميذ الشيخ أحمد ابن عبد الرحمن باجنيد . وقد أذِنَ له في التدريس والتعليم في المساجد . وفتح دكاناً بالسوق لتعليم الناس فيه وله مؤلفات طبع منها بمطبعة الاصلاح بجُدة رسالة : (الاجارة وفعل الأجير) . توفي بنحو سنة ١٣٣٢ هـ . ودفن في مقابر جُدة ورثاه بعض تلاميذه الذين تعلموا منه الحساب .

○○ الشيخ علي بن سالم العُمَيري مدرس الفقه في زاوية الحضارم وهو مؤلف الكتيب الذى نقلنا عنه تراجم علماء جدة المذكورين هنا . وكان وكيل ابراهيم ميرة في تجارة العطارة بجدة . توفي في جدة في القرن الرابع عشر الهجري .

● ● ●

□□ طائفة الفقهاء بجدة :

وبمناسبة ايرادنا لطائفة العلماء .. نرى من المناسب أن نتبعهم بنبذة عن طائفة الفقهاء بجُدة ، والفقهاء في عرف أهل هذه البلدة يُعنى بهم حفظة القرآن المجيد التالون له في مختلف المناسبات ، بتجويد وأنغام مشجية ، وبعض هؤلاء الفقهاء علماء فناسب المقام ايراد شيء عنهم هنا .

وكان من هؤلاء الفقهاء مشاهير ، منهم الشيخ محمد الطنطاوي ، والشيخ أحمد الزهرة ، والشيخ محمد حسين (وقد مضت ترجمتهما آنفاً) والشيخ أحمد حزنبل ، والشيخ محمد سعيد قاضى ، وكان والده الشيخ عبد القادر بن عبد الرزاق القادري ، أحد قضاة جدة بسنة ١٢٧٤هـ ، وهي سنة حادث قتل قناصل الدول في جدة . ونفى هذا القاضى مع من نفي من أهل البلد ، ثم عاد اليه ، والشيخ أحمد يوسف ، والشيخ أحمد مصري ، والشيخ عبد الحميد الفقي .

ولهذه الطائفة شيخ .

●●●●

التشكيلات الحكوميّة بجُدَّة



١ ـ التشكيلات الحكومية في زمن الدولة التركية :

قبل سنة ١٣٠٣ هـ لا نعلم شيئاً مهماً عن واقع التشكيلات الحكومية في مدينة جُدة . وكل ما نعلمه أن جُدة كانت امارة ملحقة بمكة في عهد الدول الاسلامية قبل العثمانية ، وأن لها أميراً وقاضياً ولا بد أن للأمير معاونين وكتبة ، ولا بد أن للقاضى كذلك ، ولا بد أن بها ادارة مكوس لجباية العوائد من الحجاج ، ومن التجار مُوردي البضائع اليها والمصدرين لها منها بحراً وبراً . ولا بد أن بها محتسباً أو شبه محتسب يتدخل في اصلاح الشؤون العامة والخاصة بالبلد ، ولا بد أن بها مدرسين محتسبين وكتاتيب ، ومشايخ لبعض المهن كالصرافة والجوهرية ومكاسين ، وسقائين ، وجنداً ، وقابلات بلديات ، وأطباء بلديين وصيادلة هم « العطارون » وما الى ذلك مما تحتاج معرفته أو معرفة جله أو بعضه الى بحوث مستفيضة مرهقة تمتد جذورها الى مصادر يبدو أنها بعيدة الصلة بتاريخ جُدة المباشر ..

أما في سنة ١٣٠٣هـ و١٣٠٦هـ فقد فصلت لنا السالنامه تشكيلاتها بتوسع ..

وهي تشكيلات تتسم بمسايرة التطور الذى حدث في عصر النهضة الأوروبية بعض الشيء . ففيها بعض ما يلزم لمواجهة مختلف الأعمال والظروف والمهمات من ادارات .

كان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وكانت جُدة وقتئذ تابعة في شؤونها الكبيرة لأمارة مكة ، وان كان ذلك رسمياً فحسب . وكان أمير مكة يومئذ الشريف عون الرفيق ، وكان والى الحجاز صفوت باشا .

وقد تطرقت السالنامه في فصل تشكيلات جدة الى وصف حالة السكان

من ناحية لغة تخاطبهم فقالت : « انه وان كانت اللغة العربية هي لغة أهل الحرمين وأهل جدة الا أنهم يتكلمون التركية والألسنة الاسلامية بطلاقة » .

كان الوالى يدعى القائمقام ، وهو محمد عارفي بك وكان صاحب رتبة ممتازة .

وهناك مستشاروه المعروفون بأركان اللواء ، وهم أربعة : نائب الشرع ، والمحَاسَبجي : « مدير المال » ومدير الأوقاف ، ومدير التحريرات . وللواء جدة مجلس يسمى مجلس ادارة اللواء ، ويتكون من أعضاء طَبَعيين ، ومن أعضاء مُنتخبين ، ويرأسه القائمقام. والأعضاء الطبعيون أربعة : النائب الشرعي ، والمحاسبجى « مدير المال » ومدير الأوقاف ، ومدير التحريرات ، أي ان أركان اللواء هم أنفسهم الأعضاء الطبعيون لمجلس ادارة اللواء . وأعضاء المجلس المنتخبون أربعة أيضاً ، وكانوا اذ ذاك هكذا : الشريف محمد بن مهنا، وعبد القادر أفندى محتسب ، ومحمود أفندى طبيلة ، ومحمد مشاط أفندى ، وهؤلاء كلهم من أهل جدة ، وكانت أمانة سر المجلس منوطة بمدير التحريرات .

وهنا ما يعرف بمجلس تمييز اللواء ، ورئيسه النائب الشرعي وأعضاؤه ستة ، وله مستنطق(١) كاتب .

وقلم المحاسبة : أي مكتب مدير المال ، يتألف من : المحاسبجى « أي مدير المال » ، وكاتب المحاسبة ، ومساعد المحاسبة وموظف كان مدرساً.

وتتألف ادارة تحرير اللواء من مدير تحرير ومعاون وملازم .

ومديرية الأوقاف تتكون من موظفين اثنين فقط : المدير وكاتبه .

(١) المستنطق في العرف العثماني هو « المحقق » الموكولة اليه رسميا شؤون التحقيق مع الأفراد والجماعات فيما يهم الحكومة الوقوف على حقيقته من الأمور .

والمحكمة التجارية تتكون من رئيس تركي ، وثلاثة أعضاء من تجار البلد ، هم : السيد(١) أبو بكر صائم الدهر، والسيد مصطفى تَوَكُّل والشيخ عبد الله بن علي باعشن ، ولها رئيس كتاب تركي وكاتب ثان ومقيد ومراسلان .

وفي ادارة « شونة الجراية » أي مستودع الجراية موظفان : أمين الشونة وكاتبه . وكذلك الأمر في ادارة التخريجة(٢) فلهـا موظفان : المأمور والمراقب .

وهناك وظائف كانت تدعى : « مأموريات » فيها موظف واحد ، وهي مأمورية الجوازات والمرور ، ومأمورية بيت المال ، ومأمورية العقار والايجار ، ومفتشية الدخان « الريجي » وموظف هذه الأخيرة أجنبي .

وتشكل بلدية جدة من رئيس ومن أعضاء هم : طبيب البلدة ومهندسها ، وعبد الله هزازي ، والسيد أحمد زارع ، وأحمد باحاج ، وقاسم سليمان ، والكاتب عمر أفندى ، وأمين الصندوق ، ومساعد الكاتب ، والمعمار ، ومأمور السوق ، وقابلة تركية ، ومحمد سلام ، ومأمور تنظيفات ، ومأمور مراحيض ، ومأمور طلمبات : « رافعات المياه » .

وادارة اللواء العسكرية لها رئيس أمي ، وقائد مشاة ، ومساعده ، وقائد خيالة ، وقائد خيالة ثان ، ومساعد قائد مشاة آخر ، ومساعد آخر للخيالة أمي .

وتشتمل ادارة الهاتف اللاسلكي والبريد على مدير أجنبي ، ورئيس مخابرة ، وسكرتير مخابرة ومأمور مخابرة « أتراك » وكاتب بريد واحد تركي(٣) .

---

(١) السيد هنا – كما ورد في السالنامه – يعني به المنتسب الى الحسن بن علي بن أبي طالب .. وهذا في عرف أهل الحجاز .

(٢) ادارة التخريجة هي الادارة التى كانت تتولى شؤون تنقلات «الجمالة» القادمين الى البلد ، والخارجين منه .. وقد ألغيت بالغاء اتخاذ الجمال وسائل مواصلات بعد كثرة السيارات في البلاد .

(٣) يلاحظ أن هذه الادارة أغلبها مؤلف من موظفين اتراك .. وذلك اما لأهميتها ولثقة الحكومة اذ ذاك بأبناء جلدتها الأتراك دون غيرهم..واما لعدم وجود من يستطيع ادارة شؤونها المعتبرة فنية من أبناء جدة والحجاز .

وفي المكتب الرشدي : « المدرسة التحضيرية » معلمان : أحدهما لمبادىء العلوم ، والثاني لمبادىء الرياضيات ، وبواب أمي ، وكان عدد طلبة هذه المدرسة « ٤١ » طالباً فقط .

أما خفر السواحل ففيه موظفان اثنان فقط : رئيس وكاتب ، وهما تركيان .

ومن أوسع دوائر جدة يومئذ نظارة الرسوم البحرية ، أو ما يسمى الآن بادارة الجمرك . فقد كان بها واحد وعشرون موظفاً كلهم أتراك وهم : الناظر ، والمفتش ، ورئيس كتاب المحاسبة ، وكاتب التحريرات ، ومساعد رئيس كتاب المحاسبة الأول ، ومأمور المانيفستو ، والكاتب العربي ، ومساعده ، وكاتب التذاكر ، وكاتب المستودع ، وكاتب سندات المصاريف ، وكاتب ، ومأمور الميناء ، ومبصر ، ومأمور الأوراق ذات القيمة ، وأمين صندوق « خازن » ومبصران آخران ، ووظيفة ثالثة للمبصر منحلة ، ومأمور ستامى ، وكاتب يومية .

وفي ادارة الديون العمومية موظفان : مدير وكاتب .

وفي ادارة الكورنتينة : « المحجر الصحي » سبعة موظفين ورئيسهم أجنبي . وكذلك الطبيب ، وبقية الموظفين : هم الكاتب العربي أشرف أفندى ، خال الشيخ محمد نصيف ، وكاتب تركي ، وأمين صندوق ، وكاتب لغة افرنجية أجنبي ، ورئيس مراسلين .

وهكذا نرى أن ادارة المحجر الصحي ــ وهي من أهم الادارات في جُدة يومئذ ــ رئيسها وطبيبها وكاتب اللغة الافرنجية بها ــ وقد تكون الفرنسية الذائعة الصيت اذ ذاك ــ كلهم أجانب ، وهذا أمر يدل اما على ما كانت الدولة العثمانية تُعنَى به أو تُعَانيه من مجاملة الأجانب على حساب رعاياها ، أو عما تكابده من عدم وجود الأكفاء لديها لشغل هذه الوظائف . وعلى كل فمما لا ريب فيه أن هؤلاء الأجانب كانوا

أو كان كثير منهم «عيوناً» ساهرة لدولهم داخل جهاز الدولة العثمانية، وهو أمر لا بد أنه ساعد على القضاء أخيراً مع عوامل أخرى على «الرجل المريض » كما كانت تسمى دول الأفرنج حينئذ تلك الدولة .

وفي ادارة وكلاء البواخر ستة وكلاء : وكيل الادارة الخاصة ، ووكيل البواخر الخديوية ، ووكيل البواخر الفلمنكية والانكليزية ، ووكيل البواخر الهندية ، ووكيل بواخر البصرة ، ووكيل بواخر النمسا . وبين هؤلاء الوكلاء ثلاثة أجانب : أحدهم وكيل البواخر الفلمنكية(١) والانكليزية . والثاني وكيل البواخر الخديوية ، والثالث وكيل بواخر النمسا .

أما المستشفى العسكري ففيه أطباء عسكريون ثلاثة ذوو مراتب عسكرية ممتازة ، وهذا المستشفى ، وان كان اسمه هكذا ، فانه يقوم بعلاج الجند والأهلين والغرباء ، معاً ، مجاناً

وكان به مائة سرير وأدوية كافية كما ترويه لنا السالنامه .

وقد فهمنا من سالنامة سنة ١٣٠٣ هـ(٢) أن عدد موظفي جُدة الحكوميين كانوا كلهم «٢٩٠» موظف فقط .. في تلك السنة .

كما فهمنا من سالنامة سنة ١٣٠٦هـ أنهم كانوا يبلغون «١١٧» موظف بمعنى أن عددهم انخفض بالنسبة لما كان عليه سنة ١٣٠٣هـ بأكثر من النصف .

٢ ـ التشكيلات الحكومية أيام الحكومة الهاشمية :

كانت الدوائر الحكومية في جدة ضئيلة الكم والكيف في عهد الحكومة الهاشمية الذي لم يستمر سوى تسع سنوات .

---

(١) الفلمنكية ، نسبة الى الفلمنك . وتطلق على سكان فلاندرا .. وفلاندرا هذه هي مقاطعة في أوروبة .. وهي فلاندرا الفرنسية ، وقاعدتها ليل .. والبلجيكية الشرقية ، وقاعدتها غاند . والبلجيكية الغربية وقاعدتها بروج .. عن « المنجد » ص٣٩١ الطبعة الخامسة ببيروت .

(٢) بخزانة كتب السيد عبيد مدني بالمدينة المنورة .

وكان قائمقام جدة في أول هذا العهد هو الشريف محسن بن منصور، وكان معاونه مصطفى فهمي وهو والد جواد وبشير نعمان ، وهو موظف تركي قديم يجيد اللغتين : التركية والعربية ، ويقرض الشعر العربي . وحينما نقل الشريف محسن من قائممقامية جدة الى قائممقامية مكة عين الحاج عبد الله علي رضا ، قائممقام جدة ، وعين الشيخ علي طه رضوان معاوناً له . وكان للقائممقامية مجلس ادارة سمي « الهيئة المالية » وكان أعضاؤه عشرة من أعيان البلد(١) .

وكان آخر رئيس للبلدية في عهد الأتراك هو «أحمد عارف» وكان حازماً ، يقوم بالتفتيش على الأسواق بنفسه ، تارة ماشياً على قدميه ، وتارة راكباً بغلة ، وكانت « صحون » الفوالين والطباخين من الخشب في تلك الأيام ، قبل استفحال توريد القدور والصحون المصنوعة بالغرب من المعدن المطلي بمادة سميكة ملونة ، وكان الرئيس أحمد عارف يعنى بالتفتيش على نظافتها حماية للآكلين من التلوث بالفضلات ، التى تبقى بعد الأكل فيها بدون غسل أو بغسل يحتاج الى غسل آخر ينظفها تنظيفاً جيداً . وكان يعنى بالغ العناية بالتنظيفات(٢) .

ومن بعده عين الشيخ سليمان قابل في زمن الحكومة الهاشمية ، وظل في رئاسة البلدية الى نهاية حكم الأشراف ، ولم يكن معه مجلس بلدى ، بل كان معه أعضاء بلدية ، وكان معاونه والد السيد أحمد ناس .

أما الشرطة فكانت ادارة محدودة التشكيلات ، وكان مديرها الأول في زمن الملك حسين بن علي ، هو عبد اللطيف عَالَم ، من أهل مكة ، وتلاه محمد ز بِيدِيّ وهو من مكة أيضاً ، وبعده محمد بشناق من مكة كذلك .

وكان زي مدير الشرطة في الغالب ، هُو الجبة والعمامة والحذاء البلدي ، أسوة بجميع الموظفين الحكوميين وقتئذ . كما أصبح زي

(١) عن الشيخ علي طه رضوان .
(٢) عن الشيخ علي طه رضوان .

الموظفين الرسمي بجُدة وغيرها من المدن بعد دخول الحكومة السعودية هكذا : على الرأس غترة أو شماغ فوقهما عقال من الصوف الاسود مبروم يميل الى الضخامة أولا ، ثم رُقق تدريجياً . وفوق الملابس المعتادة التى هي الثوب وتحته الفلينة والسروال وربما المعطف في الشتاء ، فوق تلك الملابس مشلح مُحلًّى في أعلاه بقصب ذهبي اللون غالباً . وحذاء بلدى أو جزمة افرنجية .

وكانت دائرة المالية صغيرة الحجم تتألف من رئيس وموظفين قليلين .

وكذلك الشأن في مديرية الأوقاف ، وكان مديرها ، هو الشيخ عبد الرؤوف جمجوم ، ثم أخاه الشيخ محمد صالح جمجوم . وكانت نظارة عموم الرسوم بجدة من أوسع الدوائر بجدة ، وأحفلها بالحركة والنشاط ، وكان مديرها العام هو الشيخ محمد طويل ، وكان في عهد الأتراك رئيساً للكتاب ، ثم رقاه الشريف حسين الى رئاسة نظارة عموم الرسوم حينما تولى مُلكَ الحجاز ، وظل في هذا المنصب الى آخر عهد الملك حسين بن علي .

وكانت المحكمة الشرعية مثل غيرها من الدوائر ، وكان قضاتها في زمن الأشراف هم بالترتيب التالى : السيد محمد حامد من أهل جدة . ثم السيد عبد الهادي كتبي من أهل مكة ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن سليمان قاضى من أهل الطائف ، ثم الشيخ حامد رويحي من أهل جدة .

ولم يَرتَق التعليم الى مديرية خاصة به . وانما كانت هناك مدرستان : احداهما ابتدائية حكومية ، والأخرى أهلية ، هي الفلاح .

وبالجملة فان تشكيلات جُدة الحكومية في زمن الدولة الهاشمية كانت منسجمة مع ضآلة موارد الدولة ، وانكماش اقتصادياتها .

٣ ـ التشكيلات الحكومية في عهد الحكومة السعودية :

في عهد هذه الحكومة أبقى تشكيل المالية في جدة على وضعه الذى كان عليه في زمن الحكومة الهاشمية .

يقول فؤاد حمزة : « كما أنها ـ أي الحكومة السعودية ـ أبقت مالية جدة على حالها السابقة ، وأطلقت على متوليها اسم : « أمين الأموال » وأناطت به الشؤون المالية العائدة لجدة وللجمارك والادارات المالية في الملحقات .. وتولت مالية جدة معالجـة أكثر الشؤون الماليـة للدولة ، وأصبحت المرجع الأول والمهم في تصريف شؤون المالية وادارة أعمالها . واستمر الوضع على ذلك حتى سنة ١٣٤٧هـ ، حيث أحدث مرجع رئيسى واحد ، تخضع له الادارتان في مكة وجدة ، وترتبط به جميع المعاملات المالية في المملكة بالحجاز ، اذ أنشئت ادارة عامة أطلق عليها اسم «وكالة المالية العامة» وعين الشيخ عبد الله السليمان الحمدان رئيساً لها ، باسم وكيل المالية العام . وفي سنة ١٣٥١هـ تحولت الى وزارة مقرها بمكة المكرمة(١) .

هذا وقد وضع فؤاد حمزة بين أيدينا التشكيلات الحـكومية بجدة سنة ١٣٥٥ هـ أي بعد تشكيل وزارة المالية بأربع سنوات حسب ما يلي بيانه :

١ ـ أمارة جـدة :

وتسمى قائمقامية ..ولا تزال على هذا الاسم الى أول عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

القائمقام : الشيخ محمد عيد الرواف .

المعاون : الشيخ علي طه .

وللقائمقامية « مجلس ادارة » كما كان عليه الأمر في زمني الأتراك

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ١٥٠ و ١٥١ .

والأشراف ، ويتألف مجلس الادارة هذا من قاضي جُدة الشيخ محمد البيز ، والشيخ محمد باعشن ، والشيخ عبد القادر قابل ، والشيخ يوسف زينل ، والشيخ عبد الله ابراهيم الفضل ، والشيخ أحمد محمد صالح باعشن . وكان في القائمقامية اذ ذاك خمسة موظفين وسكرتير للمجلس الاداري(١) .

أما الآن فتتألف قائمقامية جدة من قائمقام ، هو الأمير عبد الرحمن السديري عين فيها سنة ١٣٦٦هـ بأمر ملكي ، ومعاون هو الشيخ علي طه ، ومن نحو أربعة عشر موظفاً(٢) .

وكانت القائمقامية في أول دخول الحكومة السعودية مرتبطة بنائب جلالة الملك الذى كان مقره بمكة وهو سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز ، ثم ارتبطت بوزارة الداخلية بعد تشكيلها ، ثم ارتبطت برئاسة مجلس الوزراء . وفي ١٨/١١/١٣٧٩هـ ، وبرقم ٢٤٤٧٤ صدر الأمر السامي بربطها بامارة منطقة مكة المكرمة المرتبطة هي وسائر امارات المناطق بالمملكة ، بوزارة الداخلية .

وتتبع القائمقامية الآن من الضواحي والقرى : أُمُّ السَّلَم ، والنَّزلة اليمانيـة ، ونزلة بني مالك ، والرويس ، وذهبـان ، والقَضِيمَة ، والخُمرة ، وغُلَيل ، وخُلَيص ، وأَبحُر .

٢ ـ الخارجيـة :

في ربيع الأول ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م أنشئت بجُدة شعبة خاصة للشؤون الخارجية سميت « مديرية الشؤون الخارجية » وعين الدكتور عبد الله الدملوجي مديراً لها . وهو عراقي .

وفي رجب ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م صدر الأمر الملكي بتحويلها الى وزارة وعين سمو الأمير فيصل النجل الثاني للملك عبد العزيز رحمهما الله

(١)و(٢) عن الشيخ علي طه رضوان معاون قائمقام جدة .

وزيراً لها ، وفـؤاد حمــزة وكيلا لها وقائماً بأعمــالها . وكانت وزارة الخارجية أول وزارة أحدثت في الحكومة ، ولم تكن لها بناية فخمة ، ثم رؤى نظراً لتوسعها أن تنشأ لها عمارة ضخمة على الطراز العربي أمام بحر الطين بجُدة فأنشئت وانتقلت اليها مكاتبها جميعاً ولا تزال بها حتى سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م على انه قد شرع في تهيئة مقر لها بمدينــة الرياض العاصمة في مكان يقع قرب المدينــة الجـديدة لجامعــة الرياض غربا عنها .. فاذا تم بنيانه وتنظيمه انتقلت اليــه وزارة الخارجيــة وانتقل معها السفراء الى العاصمة السياسية للمملكة .

وفي عهد الملك سعود بن عبد العــزيز عين الشيخ ابراهيم الســويل وزيراً للخارجية .

ووزير الخارجية الآن هو سمو الأمير فيصــل ولي العهـد ورئيس مجلس الوزراء ، ووكيلهــا الدائم هو الســيد عمر السقاف . وقد عين فيما بعد وزير الدولة لشؤون وزارة الخارجية ثم انتقل الى رحمة الله وهو في هذا المنصب .

وجدير بالذكر أن بعمارة هذه الوزارة مصعدين كهربائيين ، وتكييف الهواء عام للمبنى، وفيها قاعة كبيرة للحفلات والاجتماعات الهامة .

٣ ـ الماليــة :

استهللنا هذا الفصل بذكر المالية ، ونعود فنقول : ان المالية بجدة سنة ١٣٥٥ هـ كانت تتــألف من مدير ، ومحــرر ، ومحاسب ، وأمين صندوق « خازن » ومأمور كوشان(١) وأحد عشر موظفاً(٢) .

وأثناء تأليف هذا الكتاب كانت مالية جُدة تؤلف من موظفين أربعة

---

(١) الكوشان هو ورقة المرور الرسمية التي كانت تسلم للمتنقلين بين مدن المملكة يومئذ ، ولا يمكن سفرهم من بلد لآخر الا بحملها وتقديمها لمراكز الشرطة ، في أبواب المدن . وقد الغيت هذه الورقة بترتيب أجراه الشيخ محمد سرور الصبان حينما كان مديراً عاماً لوزارة المالية بمكة المكرمة .

(٢) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ١٥٧ .

عشر وعلى رأسهم مديرها عمر عبد ربه ، من أهل جُدة . وبعد تقاعده عين مكانه محمد جميل خوجه ولا يزال بها حتى كتابة تلك السطور .

وتتبع مالية جدة ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني رأساً .

٤ ـ مكتب التعدين :

أنشىء هذا المكتب بجُدة سنة ١٣٥٤ هـ ليكون همزة الوصل بين وزارة المالية والشركات الأجنبية ، صاحبة الامتيازات : مثل شركة زيت استندر بكاليفورنيا ، وبلاد العرب ، وهي شركة أمريكية تعمل على استخراج الزيت من المنطقة الشرقية في المملكة ، ويشمل امتيازها منطقة ساحل الأحساء ، الى الدهناء ، ونالت امتيازها سنة ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م وحفرت تسع آبار حتى سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٧ م ومديرها اذ ذاك المستر «دايفز» في الأحساء ، وفي جُدة المستر «لنهان» .. وشركة « سنديكات » التعدين العربية السعودية ، وهي شركة دولية نالت امتيازاً من الحكومة بالتحرى والتنقيب عن الذهب والمعادن الثمينة فى المنطقة الغربية ، وباشرت أعمالها منذ عام ١٣٥٤ هـ ومديرها بجُدة اذ ذاك المستر « راتسلو » .

وكان موظفو مكتب التعدين هم : نجيب ابراهيم صالحة (اللبناني) ومحمد العوضي وسامي كتبي (السعوديين)(١) .

واستمر هذا المكتب يؤدى مهمته تابعاً لوزارة المالية ، وأخيراً عندما أنشئت وزارة خاصة للبترول والثروة المعدنية أدمج المكتب فيها أو بالأحرى تحول اليها وأصبح جزءاً منها .

والآن سنة ١٣٨٢ هـ يوجد في جُدة وكيل وزارة مساعد هو الدكتور فاضل خيري قباني ، ومديريتان تابعتان للوزارة المذكورة ، تقعان في بناية واحدة قريبة من مقر مؤسسة النقد العربي السعودي بشارع الملك

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ١٥٧ .

سعود . واسم احداهما « المديرية العامة للبترول » والثانية « المديرية العامة للثروة المعدنية » ويدير الثانية « شرف كاظم » ، ويتبع مُديريّةَ الثروة المعدنية مَعمَلُ الأبحاث والمتحف الواقعان جنوب القصر الملكي ، ويفصل بينهما شارع ، وفي أولهما خبراء ، وكلتا المديريتين مرتبطة بوزارة البترول والثروة المعدنية التى مقرها العاصمة « الرياض » .

وفي سنة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م أنشئت مؤسسة النقد العربي السعودي، وهي بمثابة البنك المركزي العام ، بالنسبة لتسمية الخارج وهي : المؤسسة الأم للمصارف « البنوك » في المملكة السعودية . ومحافظ المؤسسة (سنة ١٣٨٣هـ) هو السيد أنور علي . وتعاقب عليها محافظون ثلاثة هم بالتوالى « جورج بلاورز » و « آر. د. استاندش » الأمريكيان . وثالث المحافظين هو المحافظ الحالى «أنور علي» الباكستاني . وبالمؤسسة في جُدة «٥٩» موظفاً ، وتحتل المؤسسة كامل العمارة الضخمة القائمة بجانب وزارة الاعلام ، وترتبط هذه المؤسسة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني رأساً .

٥ ـ الاذاعة السعودية :

في سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م ، ١٩٤٩ م انطلق صوت محطة الاداعة السعودية في جُدة لأول مرة في التاريخ . وقد بدأت بثلاثة كيلوات حتى آل أمرها الى المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر التى أنشئت سنة ١٣٧٤هـ فصارت قوتها عشرة كيلوات(١) ثم « ٥٠ كيلوات » .

وقد تعاقب على الاذاعة مديرون هم : الشيخ ابراهيم الشُورى ، والسيد محمد شطا ، والأستاذ ابراهيم أمين فودة . وكانت مربوطة بوزارة المالية رأساً .

(١) المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر : أضواء على المملكة العربية السعودية ص ٢٢٣ .

وحينما صارت مديرية عامة سنة١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م انفك ارتباطها من الوزارة المذكورة ، وتولاها الشيخ عبد الله بلخير . وفي فترات ، تولاها الشيخ ابراهيم الشورى . ثم الشيخ جميل حجيلان. ثم صار مديرها العام بالنيابة الأستاذ محمد عبد الرحمن الشيباني وكان يشرف عليها عبد الله بلخير وزير الدولة لشؤون الاذاعة والصحافة والنشر . ثم طورت الى وزارة من وزارات الدولة(١) وجعل وزيرها جميل حجيلان ، ووكيل الوزارة حمزة بوقري ، ومدير الاذاعة العام ، عباس فائق غزاوي ، ومدير الصحافة العام غالب أبو الفرج .. حدث ذلك في أواخر سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م

○○○○○

ولوزارة الاعلام فروع في أمهات المدن السعودية ويبلغ الموظفون بها في جدة نحو « ٣٠٠ » موظف ، وتصدر هذه الوزارة صحيفتين هما « أم القرى » الأسبوعية ومجلة « الاذاعة » الشهرية مع نشرة الثقافة الأسبوعية ، كما تصدر كتباً ونشرات دورية للاعلام بتطور المملكة .

وقد افتتح الاذاعة لأول مرة ، الملك المؤسس : عبد العزيز آل سعود، بكلمة نشرت في الصحف ، وافتتحها جلالة الملك سعود بعدئذ .

٦ ـ المحكمة الشرعية الكبرى :

سارت المحكمة الشرعية الكبرى في جدة بعهد الحكومة العربية السعودية على ما كانت عليه في عهد الحكومتين : التركية والهاشمية تقريباً .. الا أن المذهب الذى يَحكُمُ بموجبه قضاتُها بين الناس أصبح المذهب الحنبلي وحده ، بعدما كان في عهد تركيا ، المذهب الحنفي وحده ، وفي عهد الحكومة الهاشمية ، المذهب الحنفي وغيره ..

(١) كان ذلك الى أوائل شهر ذي القعدة ١٣٨٢ هـ حيث صدر أمر ملكي بتعيين أول وزير للاعلام هو الشيخ جميل حجيلان الذى كان قبل توليته هذا المنصب مباشرة ، سفير المملكة بالكويت .

ورئيس المحكمة الشرعية الكبرى اليوم(١) هو محمد بن علي الحركان ، وقد عين في هذا المنصب منذ مطلع سنة ١٣٧٢ هـ بأمر عال، ومعاونه هو محمد بن ابراهيم البشر .

وللمحكمة جهاز من الموظفين الكتابيين وغيرهم ، وكان مقرها الى سنة ١٣٨١ هـ بمحلة الشام ثم انتقلت الى باب مكة في أول سنة ١٣٨٢ هـ .

وجدير بالذكر أن المحكمة تحتفظ بسجلاتها مرتبة من عام ١٣٠٠ هـ الى الآن(٢) . أما ما قبل ذلك فتحتفظ بأكداس من الدفاتر والسجلات ، ممزقة وغير مرتبة ، من سنة ١٢٧٠ هـ الى ١٢٩٩ هـ ، على أنه من الممكن الاستفادة من بعض هذه « الدشوت » فيما لو رتبت(٣) .

٧ ـ المحكمة المستعجلة :

كانت المحكمة المستعجلة في جدة مندمجة في المحكمة الكبرى في كل شيء في أعمالها ودفاترها ، وما تصدره من أحكام .. وكانت المحكمة المستعجلة قبل ادماجها في سنة ١٣٥٥ هـ تتألف من قاض ، هو محمد البيز ، ونائبه محمد علي الدباغ ، وعدد كاف من الموظفين والمحررين(٤) .

وأخيراً انفصلت هذه المحكمة واستقلت بنفسها في مقرها وفي سائر أعمالها وقراراتها وسجلادها . وقاضيها اليوم هو حسن الأهدل .

٨ ـ كاتب العدل :

وهنا ادارة كتابة العدل ويرأسها الآن محمد حريري . ولكتابة

---

(١)و(٢) أى بسنة ١٣٨٢ هـ التي كتب فيها هذا الفصل من الكتاب . هذا واذا ورد في هذا الجزء كلمتا (اليوم) و (الآن) فهما تعنيان تلك السنةالهجرية .

(٣) عن الشيخ محمد الحركان .

(٤) عن المصدر نفسه .

العدل عدد كاف من الموظفين الكتابيين وهي ترتبط برئاسة القضاة ، ومقرها الآن قرب باب مكة .

٩ ـ بيت المال :

وكان مأمور بيت المال محمد كتبي(١) والآن يوجد مدير ادارة بيت مال جُدة وهو حالياً « حسين بشاش » من مكة . ومقر بيت المال في نفس العمارة التى بها الآن كاتب العدل .

١٠ ـ مديرية الشرطة :

كانت ادارة الشرطة في أوائل عهد الحكومة سنة ١٣٥٥ هـ يرأسها مدير ، هو عبد الله بك العراقي الأردني ، وتلاه خليل هجان ومعه مفوض قسم عدلى ومفوض وكانت ادارة شرطة جدة مربوطة بادارة الشرطة العامة في مكة المكرمة ، وحينما تحولت هذه الى « ادارة الأمن العام » ارتبطت بها أيضاً ولا تزال . وترتبط ادارة الأمن العام بوزارة الداخلية .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن نسرد أسماء مديري شرطة جدة في عهد الحكومة السعودية فهم : ١ ـ عبد الله بك ، ٢ ـ خليل هجان ١٣٤٩ هـ ، ٣ ـ فسعيد الكردي سنة ١٣٥٠ هـ ، ٤ ـ فخليل هجان مرة ثانية سنة ١٣٥١ هـ ، ٥ ـ حسني العلي سنة ١٣٥٢ هـ ، ٦ ـ فخليل هجان سنة١٣٥٦هـ ، ٧ـ فطلعت وفا في ١٣٦٦/١/٢١هـ ، ٨ ـ فصالح باخطمة في ربيع الأول ١٣٦٩هـ ، ٩ ـ فحسن ألفى سنة ١٣٧٠هـ ، ١٠ ـ فغالب توفيق في١٣٧٢/٣/١هـ ، ١١ ـ فعبد المجيد شبكشى في شوال ١٣٧٣ هـ ، ١٢ ـ ففريد صبان في ١٣٧٦/٦/٣ هـ ، ١٣ ـ فحسن شيبة ، ١٤ ـ فعبد المجيد بخش ، ١٥ ـ فطه خصيفان . وهؤلاء الثلاثة بانتداب ، ١٦ ـ ثم عبد الهادى عبد الغنى من

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ١٩٤ .

١٣٧٨/٨/٩ هـ ، ١٧ ـ فناصر العساف من ١٣٨٢/١١/١ هـ . ١٨ ـ فحسين زقزقوق في ١٣٨١/١٢/٢١ هـ ، ١٩ ـ فحسن ألفى في ١٣٨٢/٣/١٦ هـ .

وكانت الجوازات والجنسية مرتبطة بالشرطة، ثم انفصلت بقسميها، وارتبطت بمديريتها العامة التى يرأسها الآن عبد الله يحيى جفري ، وكان مديراها على التعاقب : عزيز المصري ، فصالح نور ، ثم أنشىء مكتب مراجعة الأجانب في جدة ورأسه غالب توفيق في سنة ١٣٦٨هـ ثم عبد المجيد شبكشى سنة ١٣٧٢ هـ ثم عمر شمس سنة ١٣٧٤هـ فعبد العزيز أوليا حالياً .

وكان المرور تابعاً للشرطة أيضاً ثم انفصل عنها ومديره الآن دليم العسيري .

١١ ـ مديرية الأوقاف :

كان مديرو ادارة الأوقاف في عهد الحكومة العربية السعودية . هم على التوالى : محمد صالح نصيف ، فحسين نصيف، ثم صدقة منصوري، ثم عمر نصيف(١) ، والآن مديرها هو علي نصيف .

وجاء في كتاب « البلاد العربية السعودية » لفؤاد حمزة ، أن هذه الادارة كانت في سنة ١٣٥٥ هـ مؤلفة من مديرها محمد صالح جمجوم ورئيس كتاب ، وأمين صندوق ، وجاب ومفتش ، وكاتب سجل ، ومبيض ، ومأمور مخزن(٢) .

ويتبع مديرية الأوقاف موظفو المساجد بجدة من أئمة وخطباء ومؤذنين ومدرسين وخدم مساجد ويبلغ عددهم «٨٠» موظفاً(٣) .

---

(١) من كتاب بعث به المرحوم عمر نصيف الى المؤلف .

(٢) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ٢١٨ . وصيغة امين صندوق هي من مخلفات الدولة العثمانية في هذه البلاد ، وعربيتها الفصيحة هي (خازن) وقد هجرت هذه الصيغة لطغيان الصيغة التركية المعربة عن (صندوق أميني) وهي (أمين صندوق) .

(٣) عن مدير أوقاف جدة الشيخ علي نصيف .

وترتبط مديرية أوقاف جدة بمديرية الأوقاف العامة التى كانت ترتبط بوزارة الداخلية ثم ارتبطت في أواخر سنة ١٣٨١هـ بوزارة الحج والأوقاف .

١٢ ـ ادارة البرق والهاتف والبريد واللاسلكي :

وفي جدة ادارة للبرق والهاتف ، وادارة للبريد ، وادارة للاسلكي.

وادارة البرق يرأسها صالح كيال ، وادارة الهاتف يرأسها عبد الكريم بشاوري . وكانت ادارة البريد تتألف من مدير بريد ، هو عبد القادر محتسب ورئيس موظفى الحوالات والطرود وأمين صندوق. وكان عدد الموظفين في أول عهد الحكومة السعودية سبعة عشر موظفاً فقط . وذلك في عام ١٣٤٤هـ . وفي عام ١٩٢٩م ـ ١٣٤٨هـ شكلت ادارة البريد على أساس الجهاز الكامل، فارتفع عدد موظفيها الى مايقرب من «٣٢» موظفاً ثم توسعت تدريجياً حتى بلغ الموظفون بها الآن نحو «٧٠» موظفاً . ومدير البريد الآن هو علي شيخ .

وكان مقر ادارة البريد قبل انشاء هذه العمارة الحديثة التى تستقر فيها الآن ، غرفتين سفليتين ومثلهما علويتان من «قسم الشرطة».

وفي سنة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م شرع في بناء العمارة الحالية للبريد، وتقع بجانب مقر رئاسة الصحة البحرية والكورنتينات الى الجنوب منه مباشرة . ومن الجدير بالذكر أن هذا المكان الذى تقوم عليه عمارة البريد الحالية كان مقر الكنداسة ، في عهد الأتراك قبل تحويلها الى المكان الذى يقع في شمال جدة وشمال هذه العمارة ، وقد وجد بالمكان من آثار الكنداسة التركية القديمة ـ كما حدثني به عبد القادر محتسب ـ فرن الكنداسة المبنى من الطوب ، وأزيل ذلك الأثر وبنى مكانه .

وكان انشاء هذه العمارة بأمر خاص من الملك عبد العزيز آل سعود

عن طريق وزير ماليته عبد الله السليمان وعهد بالاشراف عليها الى عبد القادر محتسب . وتعتبر عمارة البريد في جُدة من أوائل العمارات المبنية على الطراز الحديث ، وان كانت سقوفها من خشب .

ومما يجدر بالذكر أن البريد الى عام ١٣٤٤هـ كان لا يصل الى الخارج الا عن طريق السويس سواء الخطابات العادية أم المسجلة ، وكانت كميات ضئيلة ، وكان غير منظور الى التعقيب عليه لتفاهته . وفي عام ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م بدىء في تشكيل جهازه بصفة عامة « للتبادل المغلق » مع جميع مصالح البريد العالمية رأساً بدون واسطة وفي سائر فروع البريد من طرود ومؤمنات وخلاف ذلك طبقاً للاتفاقية الجوية العالمية(١) .

ويوجد في مقر ادارة البريد أيضاً مقر البرق والهاتف .

وللبرق والهاتف قصة تبدأ مراحلها الأولى بسنة ١٢٩٩هـ حينما رَبَطَ أول خَط هاتفي بحَرِي سلكي : «كابلو» بين سواكن وجُدة .

وتتبع المديريتان ، مديريتا البريد والبرق والهاتف العامة ـ وزارة المواصلات .

وتتبع مديريةَ بريد جُدة مكاتبُ وَزعت على مختلف أنحاء البلدة لتسلم الخطابات البريدية .

وهذه هي مراكز المديريتين بجُدة في الوقت الراهن :

١ ـ المكتب العمومي : خلف عمارة الأمير نواف .
٢ ـ مكتب بريد الهنداوية : بشارع الهنداوية .
٣ ـ مكتب بريد مدينة حجاج البحر : شارع الميناء .
٤ ـ مكتب بريد النزلة : خلف القصر الملكي بالدارات .

(١) عن مديره السابق عبد القادر محتسب .

٥ ـ مكتب بريد الصحيفة : شارع غزة .
٦ ـ مكتب بريد الكندرة : شارع أبي عبيدة .
٧ ـ مكتب بريد البغدادية : بجوار مركز الشرطة .
٨ ـ مكتب بريد المطار : بمدينة حجاج الجو .
٩ ـ مكتب بريد الرويس : شارع السيد بالرويس .
١٠ ـ مكتب بريد الكيلو ٣ : طريق مكة بالكيلو ٣ .
٢١ ـ وكالة بريد السبيل : تقوم ببيع الطوابع وقبول المسجلات ، وهي في شارع أبو شال .

١٢ ـ وكالة بريد الرويس : بطريق المدينة ملحمة الرويس تقوم ببيع الطوابع وقبول المسجلات .

ويوجد « ٢٠ » متعهداً لبيع الطوابع في المنطقة الرسطى بجدة وفي سائر المناطق(١) .

أما مراكز الهاتف حالياً فهي كما يلي :

○○ أولا ـ المراكز اليدوية :

١ ـ (سنترال) المركز .
٢ ـ مركز البغدادية .
٣ ـ مركز الكيلو .
٤ ـ مركز الكندرة .
٥ ـ مركز مدينة الحجاج .
٦ ـ مركز الفلل (الدارات) .

○○ ثانياً ـ المراكز الآلية :

١ ـ المركز الآلي بمدينة الحجاج الجوية .

(١) عن مدير بريد جدة السابق علي شيخ جمل الليل .

٢ ـ مركز الشرفية الجديد(١) .

١٣ ـ مندوبية وزارة الصحة :

أسست هذه المندوبية في رجب سـنة ١٣٧٤ هـ والمندوب هو دكتور يشرف على الأعمال والأحوال الصحية بمنطقة جدة أي بجدة وما يتبعها.

ومندوب وزارة الصحة بجدة الآن هو الدكتور هشام ملحس ومعه مُدِيراً للكورنتينات الدكتور علوي جفـري ، ومفتش مالي مركزي هو عمر فقيها ، ومفتش اداري مركزي هو اسماعيل محمد علي .. وقسم الادارة ويرأسه حسن علي مفتي ، وفي نفس الوقت يقوم بأعمال الثقافة الصحية ، وقسم للمحاسبة رئيسه محمد أحمد بديوي مدير الحسابات، وقسم الموظفين يرأسه خضر زَمّو ، وقسم المسـتودعات رئيسه صالح أبو داود ، وقسم الأرشيف يرأسه عبد الله مظفر خوجه ، وقسم لادارة الكورنتينات رئيسه شحات سروجي ، ومحاسبه جميل عاشور .

ومقر المندوبية ، عمارة حديثة تقع على شاطىء البحر الأحمر من الناحية الجنوبية الغربية بالنسبة لجدة .

وتتألف المندوبية من جهاز كامل يتمثل في موظفين اداريين وفنيين وأطباء وممرضين وممرضات وصيادلة وخدم ، وتشرف على المستشفيات، والمستوصفات ، والصيدليات ، ومخازن الأدوية ، ومن يتعاطون مهنة الطب من الأطباء .

ويرتبط بوزارة الصحة رأساً :

١٤ ـ مديرية الجمارك العامة :

١٥ ـ جمركا جدة :

وفي جدة مقر المديرية العامة لجمارك المملكة وكانت في عهد الحكومة

(١) الدليل العام لمشتركي الهاتف بمدينة جدة لسنة ١٣٨٢ هـ .

الهاشمية تسمى نظارة عموم الرسوم وهي أفصح من اسمها الحالى الذى نصفه عربي أصيل ، ونصفه الآخر أعجمى دخيل .

وفي أول عهد الحكومة السعودية الى زمن رئاسة زكي عمر للمديرية المذكورة آنفاً ، كانت تسمى نظارة عموم الرسوم على ما كانت عليه في زمن الحكومة الهاشمية .. ثم جعلت في فترة رئاسة أحمد لارى باسم أمانة جمارك المنطقة الغربية . وفي عهد رئاسة محمد نور رحيمي طورت الى مديرية الجمارك العامة . وقد تولاها منذ أول عهد الحكومة السعودية: قاسم اسماعيل ، فعلي يحيى ، فمصطفى بدر الدين ، فأحمد ناظر ، فزكي عمر ، فأحمد لاري ، فمحمد نور رحيمي(١) وكان فيها برتبة وكيل وزارة نظراً لضخامة مسؤولياته وله معاونان هما عثمان ناظر وطه ضليمي ومفتش عام هو مدني بن حمد . وبالمديرية العامة في جُدة جهاز كامل من الخبراء والموظفين الفنيين والاداريين والكتابيين والعمال والخدم .

ومقر المديرية العامة بالميناء الجديد في الجانب الشرقي الشمالى من مبانى الميناء ، ليسهل عليها الاشراف على ما يرد وما يصدر من البضائع.

وتشترك مع المديرية العامة في هذا المبنى ، مديرية جمرك البحر ، ومديرها : علي كامل خجا ، ومديرية جمرك الجو ومديرها : أحمد باعيسى ومقر هذه بالمطار .

وترتبط ادارة جمرك جدة بالمديرية العامة للجمارك أسوة بغيرها من ادارات جمارك المملكة . وترتبط المديرية العامة للجمارك بوزارة المالية والاقتصاد الوطني رأساً .

١٦ ـ البلدية :

كان في جُدة منذ مطلع هذا القرن الهجري الرابع عشر ـ بلدية لها

(١) عن محمد نور رحيمي .

رئيس ، واستمر ذلك الى اليوم . وفي عهد الحكومة السعودية كان رئيسها علي سلامة ، ومعه أعضاء اداريون ثلاثة هم : حسن يحيى ، وعبد الله موسى بخارى ، وحمزة نور . وفخريون هم : محمد صالح أبو زنادة ، ومحمد علي قابل ، ومحمد نور شنكار ، وحسين فايز ، وأحمد عبد الرحمن باعشن ، ومحمد بن حمد ، والسكرتير : محيى الدين ناظر .

وقد تعاقب عليها رؤساء .

وهي مؤلفة الآن : سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م من عبد الله القصبي رئيساً ، وعبد الوهاب سلامة معاوناً ، وابراهيم عراقي مديراً للادارة العامة ، وصالح دردير مديراً لقسم الأراضى وابراهيم التركي مساعداً له ، وحسن الحسيني كبيراً للمهندسين ، وعبد الكريم الفصين رئيساً للقسم الفني .

وللبلدية مجلس ادارى في القائمقامية برئاسة قائمقام جدة عبد الرحمن السديري . ويتألف من محمد السليمان التركي ، ومحمد صالح أبو زنادة ، ومحمد باحارث ، وعبد الرحمن مؤمنة .. كما أن لها مجلساً بلدياً برئاسة عبدالقادر عثمان، ونائب الرئيس هو عبدالرحمن مؤمنة . وأعضاؤه ، الحاليون هم : عمر عبدر ربه ، ومحمد سعيد متبولى ، وحسن كتبي ، ومحمد حسن عواد ، ومصطفى يوسف ، وحسن ادريس .

وتتبع البلدية قائمقامية جُدة التى تتبع امارة منطقة مكة المكرمة التى تتبع بدورها وزارة الداخلية .

١٧ ـ العين العزيزية :

منذ دخلت العين العزيزية مدينة جُدة في المحرم ١٣٦٧ هـ وضعت لها ادارة مستقلة لتدير شؤونها الفنية والادارية ورئيس هذه الادارة العام ووكيل الناظر هو عثمان باعثمان ويعاونه حسين الصافي .

وللعين جهاز اداري وجهاز فني كامل ، يشرف على ادارتها وأوقافها وجريانها ، وتوزيع مياهها على البلد وما الى ذلك .

وترتبط ادارة العين العزيزية بسمو الأمير فيصل الذى هو ناظر على هذه العين وعلى أوقافها .

١٨ ـ مصلحة خفر السواحل العامة :

تقوم هذه المصلحة على حراسة الشواطيء من التهـريب والمهربين وما الى ذلك ، وفيها فصائل وقادة وضباط وجنود وموظفون اداريون. ويقع مقر الرئاسة العامة للمصلحة بجدة على شاطىء البحر الأحمر في شارع الملك عبد العزيز من الناحية الغربية . وكان رئيسها منذ سنة ١٣٥٥هـ سليمان النانيه ومديرها العام الآن هو سليمان الجارد .

وقد اتسعت تشكيلاتها عن ذي قبل كثيراً .

وتتبع مصلحة السواحل ، وزارة الداخلية .

١٩ ـ مديرية التعليم :

ومديرية التعليم لمنطقة جدة تابعة لوزارة المعارف ورئيسـها هو عبد الله بوقس .

وتشغل هذه المديرية احدى عمارات مدينة الملك سعود العلمية : « القصور الملكية » على شاطيء البحر الأحمر من الناحيـة الشماليـة الغربية . وتتبعها جميع مدارس منطقة جدة التعليمية وتشرف عـلى التعليم بجدة وبرابغ . وما بينهما من قرى الريف .

ويبلغ مجموع موظفي الجهاز الاداري للتعليم بجدة «٧٧» موظفاً . وهم موزعون على أقسـام الادارة والامتحـانات والتربيـة الرياضـية والمحاسبة والتفتيش والتربية الفنية ورعاية الشباب وشـؤون الموظفين

والمستودع والوحدة العلاجية المدرسية والتحريرات والصيانة والاشراف على مدارس رابغ(١) .

٢٠ ـ مديرية تعليم البنات :

وبجدة أيضاً مديرية لتعليم البنات، وكان اسمها «مندوبية مدارس البنات» ثم حول اسمها الى ما ذكر . ومدير تعليم البنات بالمنطقة الغربية هو يحيى الأيوبي الأنصاري ، ومعه جهاز كاف من الموظفين ، ومقرها بشارع مكة المكرمة عند الكيلو « ٣ » وتتبعها مدارس البنات الحكومية في جدة كما تشرف على مدارس البنات الأهلية .

ومديرية تعليم البنات مرتبطة برئاسة مدارس البنات العامة بالرياض .

٢١ ـ فرع مديرية الحج العامة :

حينما أسست مديرية الحج العامة اتخذ مقرها بمكة ، ليسهل اتصالها بالوافدين من الحجاج الى البلاد والعناية بشؤونهم . وأول من تولاها محمد سرور الصبان ثم محمد صالح قزاز ثم أحمد قنديل ثم عادل كردي ثم هاشم يوسف زواوي ثم نقلت الى جُدة . وفي شهر ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ الموافق لسبتمبر ١٩٦٢ م عادت مديرية الحج العامة الى مكة ، وأنشيء لها فرع بجُدة يديره عباس خُمَيس ، وكانت مربوطة بوزارة المالية ثم أنيطت بوزارة الداخلية الى أن أنشئت وزارة الحج والأوقاف وتولاها لأول مرة : حسين عرب سنة ١٣٨١ هـ فربطت بها هذه المديرية مع مديرية الأوقاف ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٨١هـ .

وكان مقرها بجُدة ، قبل عودتها الى مكة بالقرب من الميناء الجديد على طوار شارع الملك سعود الى الشرق من الميناء ..

(١) التقرير الرسمي الخاص المرسل الينا من مدير التعليم السابق بمنطقة جدة : عبد الله بوقس .

٢٢ ـ مصلحة الطيران المدني :

وفي جدة تقوم مصلحة الطيران المدني وهي تشرف على الطيران المدني .. بداخل المملكة وخارجها ، وتتبع هذه المصلحة وزارة الدفاع والطيران .

٢٣ ـ ادارات مدارس وزارة الدفاع والطيران :

هي أربع مدارس في جدة :

مدرسة سلاح الطيران الملكي السعودي ، وتقع في مطار جدة ، وأسست سنة ١٣٧٢هـ ومديرها حالياً محمد حسن مسعود وكيل قائد طيار .

ومدرسة سلاح المظلات بداخل المطار ، وقائدها محمد أمين روزى « قائد مظلى » .

ومدرسة التدريب الفني ، وتقع بجوار المطار ومديرها : أمين سالم رويحي .

ومدرسة الخطوط السعودية ، وتقع في محل كوفنكو بشارع المطار .

٢٤ ـ هيئة الأمر بالمعروف :

مقر هذه الهيئة بخارج باب شريف قريباً من الشارع المسفلت الى الجنوب في زقاق ، ورئيسها الحالى هو عبد الرحمن آل الشيخ . وللهيئة أعضاء وموظفون ويتبعها جنود لتنفيذ الأوامر الصادرة اليهم من رئيس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتتبع هذه الهيئة الرئاسة العامة للهيئات الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر بالحجاز ورئيسها العام هو عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ ومقرها بمكة المكرمة .

٢٥ ـ مصلحة الزكاة والدخل :

وفي جدة مصلحة عامة للزكاة والدخل يرأسها أيوب صبري ، وتقع في مقر وزارة المالية قريباً من شارع المطار .

٢٦ ـ ادارة الميناء :

كانت ادارة الميناء الجديد منذ أنشىء عام ١٣٧٠هـ حتى عام ١٣٨٠هـ ادارة تجارية منوطة ببيت زينل ، تحت اشراف وزارة المالية. وكان هذا البيت يقوم بشؤون ادارة الميناء بجُدة وتشغيله نيابة عن الحكومة ، وينفق على ذلك من وارداته ، نظير تقديمه مبلغاً معيناً للحكومة بموجب اتفاق عقد على ذلك بين البيت ووزارة المالية ، ثم رؤى قبيل انتهاء العقد أن من المناسب نقل ادارة الميناء ودشغيلها ـ الى الحكومة . وفي عام ١٣٨١ هـ تم نقلها الى الحكومة(١) وربطت بوزارة المواصلات ورئيسها الآن هو ابراهيم رضوان .

وتتألف ادارة الميناء الآن من جهاز موظفين وفنيين وعمال .

وتتبع هذه الادارة ، ادارة الموانيء العامة بالرياض التى تتبع وزارة المواصلات بالرياض أيضاً .

٢٧ ـ الغرفة التجارية الصناعية :

أسست منذ سبعة عشر عاماً متمشية مع نظام الغرف التجارية الصادر بمرسوم ملكي .

ومحمد العوضى هو رئيسها الأول الحالى ورئيسها الثاني هو سامى كتبى ، وللغرفة مجلس ادارة مؤلف من اثنى عشر عضواً انتخبوا في الدورة الأخيرة من بينهما الرئيسان المذكوران آنفاً .

---

(١) من كتاب لمدير الميناء نشر في العدد الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١ نوفمبر ١٩٦٢ م من جريدة « الندوة » بمكة .

والأعضاء هم : محمد نور جمجوم ، وعبد الرحمن مؤمنة ، وعبد الرؤوف أبو زنادة ، وعمر السبيع بادحدح ، ومحمود عطار ، وحسين علي رِضَى ، وحسن أبو العينين ، وأحمد عبد الوهاب .

ويتكون الجهاز الاداري للغرفة من مدير الغرفة وهو نفسه مدير تحرير « مجلة التجارة » الشهرية ، وسكرتير الغرفة وهو سكرتير المجلة ، وسكرتير مجلس الادارة ، ورئيس محاسبة ، وخازن « أمين صندوق » ومترجم ، وكاتب ، ومندوب المجلة ، وكاتب آلة ومحاسب. كان ذلك سنة ١٣٨٢ هـ وقد حدثت تعديلات في جهاز الغرفة التجارية هذه .

وللغرفة موازنة عامة يشرف عليها مجلس الادارة ، ورئيس الغرفة ، ويدقق حساباتها محاسب قانوني ، هو « مكتب سابا وشركائه » .

وتتبع الغرفةُ التجاريةُ الصناعيةُ وزارةَ التجارةِ بالرياض .

٢٨ ـ دوائر حكومية أخرى :

○○ **ديوانا سمو ولي العهد ورئاسة مجلس الوزراء : ووزارة الداخلية :**

في جدة مقر ديوان سمو ولي العهد وهو في البغدادية ، ومقر ديوان رئاسة مجلس الوزراء في شارع مكة .

○○ **وزارة الداخلية :**

ووزارة الداخلية يقع مقرها بجانب القصر الملكي الشرقي الشمالي منه ، وقريباً من شارع مكة المكرمة ..

وضع عليه لوح مكتوب عليه : « وزارة الداخلية » بخط عريض .

○○ **فرع ديوان المظالم :**

وفي جدة فرع لديوان المظالم يرأسه المدير العام عبد المؤمن مجلد ، ويتألف من « ١٥ » موظفاً ومقره بشارع الملك سعود قريباً من المطار .

○○ **فرع الحرس الوطني بجُدة :**

وفرع الحرس الوطني بجُدة ، يقع مقره الآن بشارع مكة المكرمة .

○○ **مصالح تتبع وزارة الدفاع والطيران :**

وفي جُدة أيضاً مصالح تتبع وزارة الدفاع والطيران .

○○ **فروع وزارة الزراعة :**

في جُدة ثلاثة أجهزة تتبع وزارة الزراعة وهي :

١ ـ مندوبية الوزارة بالمنطقة الغربية .

٢ ـ ادارة شؤون المياه بالمنطقة الغربية .

٣ ـ مصلحة الجراد .

يرأس مندوبية الزراعة عبد الجليل جمجوم ويتبعها قسم البساتين، ورئيسه عبد القيوم عبد القادر ، وقسم الوقاية ورئيسه ابراهيم الحسيني ، وقسم الخدمات الآلية ورئيسه غرم الله مغربي ، وقسم الأسماك ورئيسه المهندس الزراعي حمد محمد العُيَيدِيّ ، والقسم البيطري ويرأسه الدكتور حسنى فرج الله ، وقسم التربة ورئيسه خالد الناصر ، وقسم المستودعات ورئيسه عثمان باعثمان ، وقسم التحرير ورئيسه عبد العزيز أزهر ، وقسم المحاسبة ورئيسه حامد الرحيلى .

ويبلغ عدد موظفى المندوبية نحو «١٤٠» موظفاً ، ومقرهم جميعاً بجدة .

أما ادارة شؤون المياه فيرأسها أسعد جمجوم ، وبها قسم الخدمات ويرأسه عوض الشمراني . وقسم المحاسبة ، ويرأسه على عناني .

والمكتب الفني ، ويرأسه المهندس محمد الجـزار ، ومكتب العيـون ، ويرأسه يحيى قطان . والتحرير ، ويرأسه محمود نصيف . ومشروع جازان ، وله رئيس أجنبي مقاول .

ويبلغ عدد موظفى ادارة شؤون المياه نحـوأ من «١٧٠» موظفاً ، أكثرهم خارج جُدة .

وأما مصلحة الجراد فرئيسها سالم حضرمي ، ولها خمسة أقســام : قسم أبحاث الجراد والقسم الفني ، ورئيسه محمد جداوي . وقســم الخدمات ، ورئيسه تاج الدين بن عثمان . وقسم المحاسبة ، ورئيســه ابراهيم شوشه . وقسم المستودعات ورئيسه سالم باعثمان .

ويبلغ عدد موظفي المصلحة نحواً من « ٢٠٠ » موظف .

○○ فرع وزارة التجارة :

ولوزارة التجارة والصناعة فرع في جدة ، يرأسه أحمد حريري ، ومن موظفى الفرع زهران اسماعيل ، وأمين العوضى ، ومنير رضوان، ومحمد ابراهيم جدع . ويبلغ عدد الموظفين بالفـرع ثلاثة وعشرين موظفاً .

ومقره بشارع المدينة المنورة ، في حي البغدادية ، قريباً من مقر مندوبية وزارة الزراعة .

○○ فرع الاستخبارات العامة :

وللاستخبارات العامة فرع في جدة ..

○○ مكتب العمل والعمال :

وفي جدة مكتب للعمل والعمال ، يتبع وزارة العمـل والشـؤون الاجتماعية ، ومقره في عمارة حمد السليمان، ويرأسه رشاد برنجي..

○○ **مكتب تخطيط المدن :**

منذ عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٧م قامت شركة بيكر الاستشارية بأول محاولة لتخطيط جدة . وفي يناير ١٩٥١م أنجزت تلك الشركة خريطة عليها تخطيط لمدينة جدة للمنطقة المعمورة منها : « جـدة القديمة » والحلقة المحيطة بها دون طريق مـكة وطريق المدينـة . وكان في ذلك محاولات لانشاء جهاز تخطيط بها ، وتحقق ذلك بانشـاء جهـاز فني بوزارة الداخلية عام ١٩٥٥م ـ ١٣٧٥هـ قام بانجاز بعض مشروعات تخطيطية لمدينة جدة . وفي عام ١٩٥٨م ـ ١٣٧٨هـ قررت الأمم المتحدة تزويد الحكومة السعودية بمعونة فنية طويلة المدى بتعيين خبير مقـيم لتخطيط المدن ابتداء من عام ١٩٥٩م .

وفي نفس السنة عينت الأمم المتحدة الدكتور عبد الرحمن مخلوف خبيراً مقيماً لتخطيط المدن بالمملكة ، وباشر عمله في ١٣ ابريل١٩٥٩م ـ شوال ١٣٧٨ هـ .

وأنشيء مكتب لتخطيط المدن بجدة يرأسه الدكتور المذكور ، وبدأ المكتب في تخطيط جدة ، ووضع الخرائط التنظيميـة لهـا .. وفيـه مهندسون ورسامون ومساحون .

وبعد أن كان مرتبطاً بوزارة الداخلية ارتبط أخيراً بالمجلس الأعلى للتخطيط بموجب قـرار صـدر من مجلس الوزراء بذلك في ٣ صفر ١٣٨١هـ(١) وتوجـد محـاولة لربطـه بوزارة الداخليـة في أول عام ١٣٨٣ هـ .

ومقر المكتب في مبنى فرع وزارة البترول والثروة المعدنية بجانب مؤسسة النقد السعودي ، قريباً من الطرف الشرقي لشارع المطار وله مقر آخر غير بعيد من هذا ، وخريطة جدة المساحية التى هي في هـذا الكتاب من وضع هذا المكتب .

(١) تقرير عن مكتب تخطيط المدن للدكتور عبد الرحمن مخلوف من ص٢ الى ص٧ وهو مكتوب بالآلة الكاتبة .

○○ **مديرية المباحث العامة :**

وبجدة مقر المديرية العامة للمباحث في المنطقة الغربية ، ومديرها العام هو ابراهيم برزنجي ، ورتبته العسكرية « عقيد » .

وتتبع هذه المديرية وزارة الداخلية .

□□ **ادارات ألغيت :**

١ ـ ادارة الكنداسة :

كانت منذ عهد الأتراك .. وقد ألغيت في سنة ١٣٦٧ هـ ، للاستغناء عن ماء الكنداسة المقطر من ماء البحر الملح ، بماء العين العزيزية الذى فاض الى البلد نميراً ، من : « وادى فاطمة » .

وكان رئيس الكنداسة سنة ١٣٥٥هـ هو محمد السليمان التركي(١) يعاونه عدد من الموظفين والمهندسين يبلغون واحداً وسبعين في جدة ، وعشرة في ينبع . وبعده محمد صالح محمود ، فأحمد ناظر ، وكان يرأس الحسابات في عهده : محمود عارف ، وكان آخر مديريها محمد علي عبده .

٢ ـ المجلس التجاري :

ألف فيما سبق « مجلس تجاري » لمدينة جدة ، بسبب كثرة المعاملات التجارية فيها .. وجعل له نظام يتفق وأحكام الشرع الاسلامي الحنيف ، وكان تشكيل هذا المجلس في أوائل عام ١٣٤٥هـ .

وكان موضوعه حل النزاعات والمشكلات التى تحدث بين التجار والصيارفة وأرباب السفن الشراعية .

وكان المجلس في سنة ١٣٥٥ هـ مؤلفاً من : سليمان قابل رئيساً ، وفيصل المبارك عضواً شرعياً ، وقاسم اسماعيل ، ومحمد بن حمد ، وعبد الله التركي ، ومحمد بادكوك ، ومحمد اسماعيل ـ أعضاء ، وكان رئيس كُتّابه هو عبد الجليل عبد الجواد(٢) .

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية .

(٢) وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية السابق . وكان من قبل مديراً عاماً لمصلحة الزكاة والدخل بجدة .

٣ ـ ادارة مراقبة البندرول :

كانت في جدة مصلحة البندرول ، وكانت تتولى تحصيل رسوم البندرول عن الدخان والتنباك وورق السجائر المستورد ، كل ذلك من الخارج ، والصاق طوابع البندرول على العلب والغلافات داخل مستودعاتها عند الاستيراد .

وبحكم القرار الذى أصدره وزير المالية برقم ٥٧ الصادر في ١٣٥٨/٦/٢٧هـ ألغيت هذه المصلحة ، وسُرِّحَ موظفوها من الخدمة، اعتباراً من غرة رجب ١٣٥٨هـ ، وكُلِّفَت بمقتضى ذلك القرار المصلحةُ الجمركيةُ في جُدة بتحصيل رسوم البندرول عن الأشياء المستوردة المذكورة(١) .

٤ ـ مأمورية التغريجة :

كانت هذه المأمورية موجودة حين كانت المواصلات تعتمد على الأبل والبغال والحمير .

وقد ألغيت بعد هجر تلك الأسباب واتخاذ السيارات ، الواسطة الوحيدة للنقل والانتقال . وكان الغاؤها أمراً طبعياً فقد أصبحت غير ذات موضوع .

(١) القرار الوزاري رقم ٥٧ الصادر في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ المطبوع في مكة المكرمة بمطبعة الحكومة سنة ١٣٧٧ هـ .

التمثيل القنصلي والسياسي بجدة



يبدو أنه بعد خروج محمد علي باشا من الحجاز ، وعودة الحكم « العثمانى » التركي اليه ، بدأ في جُدة التمثيل القنصلى الذى ظاهره العناية بالشؤون التجارية ، وباطنه العناية بالشؤون السياسية .

ويترآى لى أن ذلك بدأ حول منتصف القرن الثالث عشر الهجري ـ « التاسع عشر الميلادي » . ومن قبل ذلك ـ على ما يلوح لى ـ لم يكن للأفرنج تمثيل قنصلى بهذه البلدة .

وقد أيد هذه النظرية ما ورد في كتاب « مختصر تاريخ جدة » لمؤلفه الشيخ حسن أبى الحمائل من علماء جدة المعاصرين من أنه « في سنة ١٢٥٢هـ كان وصول أول قنصل انكليزي بجُدة وتوطنه بها ونصبه أول عَلَم نُصِب للأجانب بجُدة » .

ولعل من الأسباب التى تذرعت بها دول أوروبة آنذاك لايجاد هذا التمثيل القنصلى أن لها رعايا في جدة من أبناء البلاد الاسلامية التى استعمرتها كالهند وحضرموت وجاوة والجزائر مثلا ، كما أن كثيراً من حجاج العالم الاسلامي اذ ذاك كانت أقطارهم رازحة تحت نير الاستعمار لبعض هذه الدول ، وهم يحجون ويزورون بأعداد كبيرة ، بحكم أن الحج ركن من أركان الاسلام ، فلا بد لدول الأفرنج المسيطرة عليهم من ايجاد تمثيل قنصلى لهم في الظاهر ، لتأمين لوازم الحجاج الوافدين من البلاد الاسلامية التى مُنِيت باستعمارهم ، وللاشراف على صحتهم وعلى ترحيلهم ، قدوماً وذهاباً الى ديارهم .

وكانت القنصليات الأجنبية بجدة في أوائل القرن العشرين الميلادي الحالى ، تابعة لبريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا وهولندا وبلجيكا وايران(١) . ويلاحظ أن كلا من بريطانيا وفرنسا وروسيا وهولندا

(١) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام ص٣٢١ . وبطرس البستاني : دائرة المعارف ص٤٠٤ المجلد الثالث بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٨٣ م ، ودائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ص٣٠٩ من المجلد السادس .

لديهن مستعمرات اسلامية . أما النمسا وبلجيكا فلعل قنصلياتهما للتجارة المحضة . وقد وردت اشارة في « خلاصة الكلام » وفي « دائرة المعارف » لبطرس البستاني ، وفي دائرة المعارف الاسلامية ، الى وجود رعايا تتبع بريطانيا في جدة من أهل الهند وغيرهم « وأن القنصلين : الانكليزي والفرنسي» اغتيلا بجُدة سنة ١٨٥٨م ــ ١٢٧٤هـ. وهذا يدل على وجود تمثيل قنصلى في مبادىء النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي بجدة .

هذا ويبدو لنا أن هناك تلازماً بين وجود التمثيل القنصلى من جهة، واقامة أفراد أو جَوَال (جمع جالية) من رعايا الأجانب ، بجُدة ، سواء منهم المسلمون المستعمرة بلادهم أم أبناء تلك الدول الأجنبية من موظفين ، أم تجار أم شركات للانكليز أو الفرنسيين أو اليونانيين أو البلجيكيين أو خلافهم .

وقد أفادنا الشيخ محمد نصيف بأنه قرأ في بعض التواريخ أن دحول الأجانب،جُدة كان في عهد أحد ولاتها من الأتراك . وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه آنفاً .

واذا أضفنا الى ذلك ماتتابع وروده في دوائر المعارف : لبطرس البُستاني ، ودائرة المعارف الاسلامية ، والبريطانية من أنه كان بجُدة نحو ألف من الهنود التابعين لبريطانيا ، وغير هؤلاء من التجار الأغنياء، وأن بها بعض اليونان ، وعدد تجار من الانكليز والفرنسيين ونحواً من «٥٠» نصرانياً وشركات من أوروبة وأمريكة وهولندة وغيرها ــ أدركنا ما لدينا من رصيد قوي لدعم نظريتنا المذكورة آنفاً .

وقد أنبأنا محمد صالح بن علي باعشن ببعض مواقع قنصليات الدول الأجنبية في جدة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري فقال ما خلاصته : « ان الشريف محمد بن مهنا أجر الباب القبلى من داره قرب الميدان الذى كان أمام دار الحكومة على القنصلية الروسية ، كما

أجر بيته على القنصلية الفرنسية . والمفوضية الانكليزية كانت تستأجر داراً أخرى قرب بيت موسى البغدادي »(١) .

كما بين لنا ابراهيم رفعت باشا البيوت التى كان بها نزول القناصل التابعين للدول الأجنبية ، قال : «ان تلك هي البيوت العالية الجميلة» .
هذا وفي خلال أشهر سنة ١٩١٦م ـ ١٣٣٥هـ استقرت بعثات

بريطانية وفرنسية في جدة ، فكان أول الواصلين اليها اللفتاننت كولونيل«ولسن» أحد أعضاء الادارة السياسية بالسودان ليكون معتمداً بريطانياً لدى الشريف حسين بن علي .

وفي أيلول « سبتمبر » نزلت في جُدة بعثة فرنسية يرأسها الكولونيل أ. بريمون. ثم لحق من بعده ، ضباط آخرون ، لكل واحد منهم مهمة معينة .

وحددت دائرة المعارف البريطانية الجهة التى بها القناصل من جدة بأنها « الجهة الشمالية » منها . وقالت : ان بها السفراء من بريطانيا وهولندا وأمريكا وروسيا وتركيا ومصر والعراق وأفغانستان وايران(٢) .

ويقول تويتشل : « ان هذه البلاد كانت مقفلة عن أهل الغرب منذ زمان طويل ، وأساس ذلك أنها قلب العالم الاسلامي ، وكان تحريم الدين الاختلاط بالأجانب ، لا البخل وعدم الضيافة ، عائقاً للتجول بحرية في قلب الجزيرة ، وخاصة في الحجاز ، ونجد » .

وعلق على ذلك شكيب الأموي الذى ترجم الكتاب الى اللغة العربية، بأن الدين لا يحرم الاختلاط بالأجانب : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) . ويضيف الى ذلك أنه قد أسست في جدة مفوضيات : الأفغان وأمريكا وانكلترا والصين وهولندا ومصر وفرنسا وأندونيسيا

(١) محمد صالح باعشن : مذكراته الخطية : ص ٦ و ٧ .
(٢) دائرة المعارف البريطانية .. ص٦٦ المجلد ١٣ طبعة أمريكا .

وايران والعراق وتركيا ، وأنشئت المفوضية الأمريكية في مارس ١٩٣٤م ـ ربيع الأول ١٣٦٣هـ والوزير المقيم بصورة دائمة : الكولونيل « وليم أدى مولود » من المبشرين في صيدا ، بسورية[١] وقد أمضى عدة سنوات في البلاد العربية . وفي منتصف سنة ١٩٤٦م ـ ١٣٦٦هـ خلفه المستر جيمس فيفز تشيلدر[٢] .

وقد أعطانا فؤاد حمزة بياناً يحتوى على أسماء الحكومات التى تم انشاء العلاقات السياسية بينها وبين هذه البلاد على ما يأتي[٣] :

الاسم	تاريخ انشاء العلاقات	ملاحظات
حكومة السوفيت	سنة ١٣٤٤ هـ ـ ١٦ فبراير ١٩٢٦ م	وحوالى سنة ١٩٣٨ م انقطعت العلاقات السياسية بين الحكومة السعودية وحكومة السوفيت[٤] .
الحكومة البريطانية	سنة ١٣٤٤ هـ ـ أول مارس ١٩٢٦ م	انقطعت العلاقات السياسية معها عقب أزمة قناة السويس وعادت سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣ م وقدم ممثل بريطانى من انكلترا الى جدة .
الحكومة الهولندية	سنة ١٣٤٤ هـ	
الحكومة الفرنسية	سنة ١٣٤٤ هـ	انقطعت العلاقات السياسية معها عقب أزمة قناة السويس وعادت فى سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م اذ قدم سفير فرنسى الى جدة .

(١) تتبع صيداء اليوم . لبنان .
(٢) تويتشل : المملكة العربية السعودية ص ٥٢ الترجمة العربية .
(٣) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ١٢٦ .
(٤) الذكرى العربية الذهبية لعبد الله فلبي ـ طبعة مصر ص ٢٤٣ .

الاســـــم	تاريخ انشاء العلاقات	ملاحظـــــات
الحكومة التركية	سنة ١٣٤٤ هـ	
الحكومة السويسرية	سنة ١٣٤٥ هـ ـ ١٨ يناير ١٩٢٧ م	
الحكومة الألمانية	سنة ١٣٤٧ هـ	
الحكومة الايطالية	سنة ١٣٤٨ هـ	
الحكومة الايرانية	سنة ١٣٤٨ هـ	
الحكومة الأمريكية	سنة ١٣٤٩ هـ ـ ٤ مايو ١٩٣٠ م	
الحكومة البولونية	سنة ١٣٤٩ هـ	انقطعت العلاقات معها بعد استيلاء الروس على بولندا .
الحكومة العراقية	سنة ١٣٥٠ هـ	

كما أوضح لنا أن الحكومة العربية السعودية ، عقدت مع حكومة السودان في جُدة اتفاقية ملكيـّة سلكِ الكابلو، بين جُدة و بورتسودان، السودان في جدة اتفاقية ملكية سلك الكابلو ، بين جدة و بورت سودان، بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٢٦م ، كما عقدت معاهدة أخرى في نفس الشهر والسنة مع حكومة السودان وشركة الأسترن ، حول تشغيل خط الكابلو ، بين جُدة وبورت سودان، وفي جُدة أيضاً ، كما عقدت في جدة بتاريخ ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ هـ « ٢٠ مايو ١٩٢٧ م » مع الحكومة البريطانية معاهدة تأسيس العلاقات والغاء معاهدة القطيف وتنظيم العلاقات اجمالا(١) كما عقدت في جدة بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٥٠هـ « ١٠ نوفمبر ١٩٣١ م » معاهدة صداقة وحسن جوار مع الجمهورية الفرنساوية بالنيابة عن سورية ولبنان(٢) .. كما عقدت في جُدة بتاريخ ٣ شوال ١٣٥٠ هـ (١٠ فبراير ١٩٣٢ م) معاهدة

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ص ١٣٨ .
(٢) نفس المصدر ص ١٣٩ .

تجارة مع المملكة الايطالية ومع مملكة أفغانستان في ٢٩ ذي الحجة ١٣٥٠هـ معاهدة صداقة بجدة ، ومع مملكة شرق الأردن معاهدة صداقة وحسن جوار بجدة في ٥ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ (تموز ١٩٣٣م). ومع المملكة اليمانية معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية في جدة بتاريخ ٦ صفر ١٣٥٣هـ وكذلك مع اليمن عقدت في جدة عهد التحكيم في نفس المكان والزمان . ومع المملكة العراقية في ٣ ذي القعدة ١٣٥٣هـ (٢ شباط ١٩٣٥ م) عقدت بجدة الاتفاقية المؤقتة بشأن طريق الحج البري ، ومع شركة تلغراف الأسترن المحدودة والكابلو واللاسلكي المحدودة ، اتفاقية بجدة في ١٣ المحرم ١٣٥٤ هـ (١٧ ابريل ١٩٣٥م) لاعادة النظر في الاتفاقية المعقودة في ١٨ ديسمبر ١٩٢٦م لتشغيل الكابلو البحري الممتد من جدة الى بورت سودان[١] .

كما عقدت بجدة في غرة شعبان ١٣٥٤ هـ (١٦ نوفمبر ١٩٣٥م) اتفاقية بشأن تجارة العبور « الترانزيت » ، ومع الحكومة البريطانية اتفاقية تمديد معاهدة جدة المعقود في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ (٢٠ مايو ١٩٢٧م) وذلك بجدة في ١٧ رجب ١٣٥٥ هـ ـ ٣ أكتوبر ١٩٣٦ م[٢] .

وأعطانا المؤلف المذكور بياناً آخر يحتوى على أسماء المفوضيات الأجنبية في سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م وهو حسب ما يلي :

١ ـ المفوضية الأفغانية :

الوزير المفوض : محمد صادق خان المجددي .

السكرتير الأول : عبد الرحمن خان رؤوفي .

(١) نفس المصدر ص ١٤٠ .
(٢) نفس المصدر ص ١٤١ .

٢ ـ المفوضية السوفيتية :

الوزير المفوض : كريم بك حكيموف .

السكرتير الأول : علي فتاحوف .

٣ ـ المفوضية الايرانية :

الوزير المفوض : سلطان أحمد مراد .

السكرتير : كاظم أرزمي .

٤ ـ المفوضية الفرنساوية :

الوزير المفوض : المسيو ر. ميغريه .

السكرتير : المسيو س. طويل .

٥ ـ المفوضية البريطانية :

أ ـ وزير صاحب الجلالة البريطانية .

السر ريدر بولاردك س. ام. جي. س. آي. أى. مندوب فوق العادة ووزير مفوض وقنصل جنرال . قدم أوراق الاعتماد في ٢١ سبتمبر ١٩٣٦ م

ب ـ الادارة :

١ ـ اس. كلوت قنصل صاحب الجلالة البريطانية برتبة سكرتير أول « ٢٢ ابريل ١٩٣٣ م » اتش. ام. ايرزو وكيل قنصل صاحب الجلالة البريطانية برتبة سكرتير ثان « أول يوليه ١٩٣٤م » ب. ج. وكيل قنصل صاحب الجلالة البريطانية برتبة سكرتير ثالث «١٦ مارس ١٩٣٦ م» ن.ل. فورتر محاسب « ١٣ يناير ١٩٣٥م » .

آر. في. هول : أمين المحفوظات الأول ـ ٤ أكتوبر ١٩٣٣ م .

و. جى. نيمو : أمين المحفوظات الثاني ـ ٢٤ أكتوبر ١٩٣٣ م .
محمد اسماعيل : المترجم الأول ـ ١١ يوليه ١٩١٦ م .
مشيل سمعان : المترجم الثاني ـ ١٦ مايـو ١٩٣١ م .

ج ـ القلم الهندي :

خان بهادر احسان الله : وكيل القنصل البريطاني الهندي ومأمور الحج الهندي ـ أول مارس ١٩٢٦ م .
شاه جهان أمير كبير كاتب الحج الهندي ـ ٧ ديسمبر ١٩٣٧ م .
اقبال دين : كاتب الحج الهندي ـ ٧ ديسمبر ١٩٣٣ م .

د ـ القلم الملايوي :

الحاج عبد المجيد : مأور الحج الملايوي ـ ٢٥ يناير ١٩٢٤م .
الحاج محمد جميل : كاتب الحج الملايوي ـ ٣ ديسمبر ١٩٢٩م .

٦ ـ ا.غوضية الايطالية :

الوزير المفوض : السنيور جيوفاني برسيكو .
السكرتير الأول : السنيور بلليني .
السكرتير الثاني : السنيور باستاكالدى .
المترجم : محمد علي ظافر بك .

٧ ـ المفوضية الهولندية :

القائم بالأعمال : المستر سى. أدريانسى .
نائب القنصل : عبد القادر أتماجو .
السكرتير : رادين عبد القادر .
السكرتير العربي : محمد علي عبده .

٨ ـ المفوضية المصرية :

الوزير المفوض : عبد الرحمن عزام بك .

السكرتير الأول

السكرتير الثاني

٩ ـ المفوضبة التركية :

القائم بالأعمال : باى محيى الدين راشد بالساى .

السكرتير : أحمد شكرى جلالى .

١٠ ـ المفوضية العراقية :

القائم بالأعمال : سيد حمدي صدر الدين .

السكرتير : سيد ابراهيم البسام .

□□ القنصليات :

١ ـ القنصلية المصرية :

القنصل : عبد الحميد بك منير .

المأمور :

٢ ـ القنصلية البلجيكية :

القنصل : الكولونيل شريف ابراهيم الدبوى .

٣ ـ القنصلية التشيكوسلوفاكية :

القنصل : محمد بك رضا(١) .

أما الآن سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٣٦م ففيما يلي بيان شامل للسفارات العربية والاسلامية والأجنبية الموجودة بجدة ، أخذناها من أوثق المصادر(٢) :

١ ـ السفارة الأمبراطورية الأثيوبية ، مقرها بدارة شنكار بحي الشرفية ، شارع خالد بن الوليد .

(١) فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية من ص١٤٣ الى ص١٤٥ .
(٢) القائمة الدبلوماسية لوزارة الخارجية .

٢ ـ السفارة الأسبانية . ومقرها بدارة سراج زهران ، بطريق المدينة المنورة .

٣ ـ السفارة الأفغانية ، ومقرها بطريق المطار .

٤ ـ السفارة الباكستانية ، بشارع الملك عبد العزيز .

٥ ـ سفارة الجمهورية العربية المتحدة ، ومقرها بالدار ١١٦طريق المدينة بالكيلو ٣ بالرويس .. « في جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ ـ نوفمبر ١٩٦٢م قطعت العلاقات السياسية بين هذه الحكومة والحكومة السعودية فأغلقت السفارة » ثم عادت لعملها بعد ذلك .

٦ ـ سفارة الدانمرك .

٧ ـ سفارة جمهورية السودان . ومقرها بشارع القصر الملكي .

٨ ـ سفارة السنغال ، ومقرها بالكيلو ٢ طريق مكة في عمارة عبد الله بلخير .

٩ ـ السفارة السويدية .

١٠ ـ سفارة الصين الوطنية ، ومقرها بشارع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدار رقم ٢٨ بالبغدادية .

١١ ـ السفارة العراقية ، ومقرها بالرويس خلف محطة أبى العلا .

١٢ ـ سفارة الكويت ، بدار عبد الله بن عدوان في الكيلو ٣ طريق مكة .

١٣ ـ سفارة المملكة المغربية بشارع الملك سعود بالشرفية .

١٤ ـ سفارة المكسيك .

١٥ ـ قنصلية الملايو بدارة سالم بامحرز في شارع دير ياسين .

١٦ ـ المفوضية النمساوية .

١٧ ـ سفارة الهند ، بمُلك سليمان التركي بحي الشرفية .

١٨ ـ سفارة الولايات المتحدة ، بطريق المدينة المنورة ، الرويس في تقاطع شارعي فلسطين والأندلس .

١٩ ـ السفارة اليابانية ، بدارة محمد العنقري بحي الشرفية .

٢٠ ـ مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية ، ومقرها بالدار ٢٢٦ شارع الملك سعود الأول بالشرفية .

٢١ ـ المفوضية اليابانية .

٢٢ ـ سفارة الجمهورية الأندونيسية ، بدارة خالد العبد الله السليمان رقم ٢ .

٢٣ ـ السفارة الايرانية ، بدارة اللنجاوي ، طريق المطار .

٢٤ ـ السفارة الايطالية ، في بيت العمودي بالشرفية شارع الملك سعود .

٢٥ ـ مفوضية الأرجنتين .

٢٦ ـ مفوضية المملكة الأردنية الهاشمية ، بشارع المطار .

٢٧ ـ المفوضية البلجيكية ، بالبغدادية .

٢٨ ـ المفوضية التركية ، بطريق مكة الكيلو ٣ .

٢٩ ـ السفارة التونسية ، طريق مكو بالكيلو ٣ .

٣٠ ـ القنصلية الملكية العامة لتايلاند ، بعمارة البترجي في الكيلو ٥ طريق المدينة .

٣١ ـ سفارة الجمهورية العربية السورية ، بدارة الأمير محمد بن تركي طريق المدينة ، الكيلو ٤ شارع بنزرت .

٣٢ ـ سفارة غينيا ، بفندق الحرمين مؤقتاً .

٣٣ ـ سفارة فنزويلا .

٣٤ ـ السفارة السويسرية بالكيلو ٢ طريق المدينة .

٣٥ ـ السفارة اللبنانية ، بدارة بقشان في طريق المدينة .

٣٦ ـ سفارة المملكة الليبية المتحدة ، بعمارة الحركان ، بشارع المطار .

٣٧ ـ سفارة مالى ، بشارع الملك سعود بالشرفية .

٣٨ ـ سفارة نيجيريا .

٣٩ ـ المفوضية الهولندية .

٤٠ ـ سفارة الجمهورية الصومالية بحي الشرفية . وقد قدم سفيرها أوراق اعتماده في جمادى الثانية ١٣٨٢هـ ـ نوفمبر ١٩٦٢م .

٤١ ـ سفارة بريطانيا ، فقد أعيدت العلاقات السياسية بينها وبين الدولة السعودية في سنة ١٣٨٢هـ بعد أن انقطعت منذ حرب السويس ومقرها الآن في دارها السابقة قريباً من الساحل .

٤٢ ـ سفارة فرنسا ، وهي في عودة العلاقات بينها وبين الدولة السعودية مثل بريطانيا تماماً . وتقع في حي الشرفية .

فهذه اثنتان وأربعون سفارة ومفوضية وقنصلية تمثل مختلف دول العالم توجد الآن كلها بجدة مما يدل على مدى أهمية المملكة العربية السعودية في العالم .

وبالمقارنة بين البيانين السابقين .. البيان الذى قدمه لنا فؤاد حمزة عن الممثليات والقنصليات الموجودة للدول العربية والاسلامية والأجنبية بجدة سنة ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م وبيان وزارة الخارجية في قائمتها الدبلوماسية لسنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م وما أضفناه اليه مؤخراً، يظهر لنا مدى التوسع الكبير في التمثيل السياسى هنا . فقد كانت

الممثليات سـنة ١٣٥٥ هـ مفوضـيات وقنصـليات فقط ، ولم ترتق مفوضة واحدة الى مرتبة السفارة ، أما الآن فأغلبها سفارات . هـذا من جهة ومن جهة أخرى فان عددها يومئذ لم يتجـاوز الاثنتى عشرة ما بين مفوضية وقنصلية . أما الآن فقد بلغ عددها اثنتين وأربعين ، أي بزيادة نحوِ أربع مرات على ما سبق . وهذا يدل بطبيعة الحال على أهمية المملكة دولياً كما يدل على اتساع دائرة التمثيل الديبلوماسى في العالم .

هذا ومن الجدير بالذكر أن مقر التمثيل السياسى والقنصلى منـذ عهد الأتراك حتى الآن بالنسبة للحجاز ، وبالنسبة للدولة الهاشمية ثم بالنسبة للدولة السـعودية ، كان بمدينـة جُدة ، ففيهـا تتجمـع كل القنصليات والسفارات الاسلامية والعربية والأجنبية .

●●●●



بَلدية جُدّةَ ومشروعَاتها



كان يدير شؤون بلدة جدة قبل عام ١٣٠٠ هـ محتسب واسع الاختصاصات . فقد كان هو المتصرف في شؤونها وكان بيده أبوابها ، وهو المسؤول عنها ، وكان لديه مراكب مؤلفة من بغال وحمير وجمال، ولديه رجال شجعان مسلحون ، لنشر الامن في البلدة . واذا حدث أمر هام في الليل مثلا . فان الكتب الرسمية التى يكتبها حاكم جدة الى امارة مكة في هذا الشأن ، لا ترسل الا مع رجل خاص من رجالات المحتسب .وكان من هؤلاء الرجال من يستعملون نفوذهم الرسمي في مصالحهم الشخصية فَيُهَرِّبُونَ ما يريدون تهريبه من الجمرك ، للتجار الذين هم من أصدقائهم ، أو لهم ، معهم ، مصالح . وسبب ذلك أن حراسة أبواب المدينة موكولة اليهم .

وكان المحتسب اذا فصل من منصبه لسبب من الأسباب ، يبادر الى الاتصال الشخصي بمن خلفه ، ويفهمه سياسة أمور الحسبة ، فلا يتركه على غرة من أمره ، يتخذ بذلك يداً عنده للمستقبل ، حتى لا يرهقه تفتيشاً أو محاسبة اذا بدا للحكومة أن تحاسبه في يوم من الأيام .

وكانت امارة مكة المكرمة تبيع الحسبة لطلابها ، بمعنى أنها تعين المحتسب مقابل مبلغ من المال ، يدفعه لخزانة أمير مكة ، وربما كان الحال في جُدة شبيهاً بذلك في بعض الظروف .

وكانت الحسبة في عام ١٢٧٠ هـ تدور بين ثلاثة أشخاص من أهل جدة ، هم : محمد طويل جد محمد طويل رحمه الله ، وعبد الله المحتسب ، وآخر من بيت الجاسر(١) .

وفي مطلع القرن الهجري الرابع عشر الحالى ، حولت الحسبة الى « رئاسة بلدية » في جدة وفي سواها من مدن الحجاز بمكة والمدينة ، تمشياً من الدولة التركية مع أساليب التطور الغربي الحديث ومظاهره.

---

(١) عن الشيخ محمد نصيف .

كانت مهمة رئاسة البلدية مراعاة الحالة الصحية والعمرانية فى البلدة ، لا سيما التنظيفات وحالة المباني(١) وكانت هذه المهمة ضيقة النطاق حينئذ ، بدليل ضآلة تشكيلاتها الواردة في كتاب السالنامه التركي لسنة ١٣٠٦هـ فجملة الموظفين بها سبعة أشخاص فقط ، وعلى رأسهم رئيس البلدية نفسه . وكان في البلدية طبيب ومهندس ضمن أعضائها ، وجرى الأمر على هذه الوتيرة فيما بعد ، مع بعض تعديلات، وربما كانت في عهد الملك حسين أقل شأناً وتشكيلات مما كانت عليه قبله .

وكان أوّل رئيس لبلدية جُدة هو محمد محتسب وذلك في عهد الدولة العثمانية فعبد الكريم حبيب في نفس العهد ، ثم أحمد قمصاني «بضم القاف بعدها ميم مشددة مضمومة فصاد مهملة بعدها ألف ، فنون مكسورة ، بعدها ياء النسب » ثم عبد الكريم حبيب ، وتسميه السالنامه عبد الكريم أفندى ، على دأب الأتراك ــ غالباً ــ من اهمال الأنساب بالنسبة لموظفيها ، واحلال لقب « آفندى » أو «بك» أو «باشا» محلها .

وتحدد لنا السالنامه أن عبد الكريم أفندى كان رئيس بلدية جدة سنة ١٣٠٦ هـ(٢) ، ثم أحمد عارف . وهؤلاء الرؤساء كانوا في عهد الدولة العثمانية . ثم سليمان قابل وحده في آخر الدولة العثمانية وفي عهد الحكومة الهاشمية كله . وكان سليمان قابل يومئذ من شخصيات جدة اللامعة ، كان أحد أعضاء نادى الصلاة ، على ما أورده لنا الريحاني في كتابه « ملوك العرب » ورئاسته للبلدية في عهد الدولة العثمانية عن الشيخ أحمد محمد صالح باعشن أطال الله عمره ، أملاه علَيّ ضمن بيان سلسل فيه رؤساء بلدية جدة هكذا من عهد محمد محتسب ولم يذكر أحمد قمصاني، وذكر في البيان المذكور كلا من عبد الكريم حبيب

(١) « حجاز ولايتى سالنامه سى » ص ٢٥١ طبع الأستانة سنة ١٣٠٦ هـ .
(٢) كتاب « حجاز ولايتى سالنامه سى » ص ٢٥١ طبع الأستانة سنة ١٣٠٦ هـ .

بعد محمد محتسب رأساً ، فأحمد عارف ، فسليمان قابل ، فمحمد صالح نصيف ، فعلي سلامة . وقال انه كان يلبس العمامة الحجازية وقد أخذنا صورته من المغفور له الشيخ محمد نصيف وهو معتجر بالعمامة الحجازية ومرتد الجبة الحجازية أيضاً ، فجميل جوخدار ، فمحمد هزازي ، فعبد الله بحيري ، فعمر باناجة ، فعبد الله القصبي(١) الذى كان رئيساً للبلدية الى الظرف الذى بدأنا فيه بطبع هذا المجلد من كتابنا هذا في سنة ١٣٨٣ هـ وبعده تولى رئاسة البلدية خمسة رؤساء أوردنا ذكرهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب في فصل « بلدية جُدة » أيضاً .

وقد وضع عمر باناجه النقط على الحروف حينما حدثنى بأن البلدية وقتئذ كانت لا عمل لها ، مثلما كان عليه الأمر في عهد الأتراك ، فلم يكن بها سوى عشرين شخصاً لتنظيفات البلدة كلها ، هذا وقد أخذنا أيضاً تسلسل رؤساء بلدية جُدة عن الشيخ محمد نصيف أيضاً . ويختلف قليلا عما أملاه عليّ الشيخ عمر باناجة في ذلك وكان عبد الله القصبي منتدباً لرئاسة البلدية ثم أُحِلَّ فيها بأواخر سنة ١٣٨٢هـ(١) .

OOOOO

واذا أردنا أن نعرض الى ما حققته البلدية من مكاسب للبلدة خلال السنوات القريبة الماضية ، فان لنا أن نذكر في طليعة هذه الأعمال ، الاهتمام بصب سائل الأسفلت ، على كثير من شوارع جُدة ، واضاءة القسم الممتد من شارع الملك سعود ، جنوباً الى الشمال والمسامت للمطار - بالأنوار الكهربائية المتلألئة ، مع شارع مكة وشارع المدينة وشارع المطار وشارع الميناء وشارع الملك عبد العزيز وشارع الملك سعود ، وطلاء شارع الملك عبد العزيز بالأسفلت داخل البلدة القديمة ، وعمل طبقة من الخرسانة وفوقها الأسفلت بشوارع تقع داخل البلدة كشارع

(١) وكان يديرها بصفة كونه رئيساً منتدباً .

قابل(١) ، وشارع سوق العلوي ، وشوارع جانبية بعد سوق الندى ، وفي ناحية بابشريف.. لقد قرر المهندسون كثافة رطوبة الأرض في منطقة هذه الشوارع ، ومن ثم رؤى تعليتها بالخرسانة أولا ، ثم بالأسفلت من فوقها . فنفذت هذه العملية ، ثم عملية تشجير طوارى القسم الموازى للمطار من الشارع بأشجار النيم ، وقد نمت الآن وبدأت تؤتى ظلالها للمارين . كما نفذ مشروع تسمية الشوارع عموماً وترقيمها وترقيم المنازل التى تقع فيها ، وهو أول مشروع من نوعه نفذ في بلدان المملكة العربية السعودية(٢) .. لقد سبقت به جدة ، غيرها . كما فتحت البلدية بعض الشوارع المغلقة من ناحيتي الرويس والشرفية .

وقد أفادني رئيس البلدية السابق عمر باناجه ، بأن واردات البلدية كانت لا تسمن ولا تغنى من جوع الى أن قررت الحكومة لها ضريبة العقار ٥٪ فنشلتها من وهدة ، ورفعتها الى مستوى خير من ذي قبل كثيراً ..

هذا وقد تتابعت في عهد رئيس البلدية عبد الله القصبي المشروعات تخطيطاً وتحقيقاً وتنفيذاً . ومن أجَلّ المشروعات التى حققت في عهده من سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م مشروع الاضاءة العامة للبلدة ، وهذا المشروع الكبير قد رسا على شركة بيكار بمبلغ يقارب المليون والنصف من الريالات . وقد أشرق به وجه البلد في كثير من شوارعه وخرج من لجج الظلام المخيمة عليه طيلة القرون الغابرة .

وهنا مشروع انشاء سوق الخضراوات والجزارين ، لقد حققته

---

(١) وفي شهر المحرم ١٣٨٣ هـ بدئت عملية تنظيم سفلتة القسم الواقع أمام وزارة الخارجية بشارع طريق المدينة المنورة على طراز يقي هذا الشارع من طفح مياه البحر عليه .

(٢) من مقال لعبد القدوس الانصاري نشر في جريدة « البلاد » بالعدد الصادر في ٢٠ شوال ١٣٨١هـ. ومما تجدر الاشارة اليه بالمناسبة ، أن للشيخ أحمد عبد الجبار حين كان معاوناً لرئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء ضلعاً في تحقيق هذا المشروع، وقد عهد بوضع أسماء الشوارع كلها مقتبسة من التاريخ العربي والاسلامي القديم والحديث الى مؤلف هذا الكتاب .. فقام بذلك وحينما عرض المشروع على صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز وافق عليه وأمر بتنفيذه ،فنفذته البلدية في عهد رئيسها السابق عمر باناجه .

البلدية في عهد رئيسها عبد الله القصبي ، أيضاً بسنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م ، وفعلا قامت البلدية بنقل الجزارين وبائعي الخضراوات اليها ـ من سوقهم القديمة في « النورية » المملوءة بالتراب والذباب .. ـ الى هذه السوق الحديثة النظيفة ، التى هيأتها لهم قريباً من شارع الملك عبد العزيز من ناحيته البحرية .

كما قامت البلدية في عهده أيضاً بانشاء سوق حديثة للأسماك(١) ، وبذلك أنقذت هذه الطائفة وأسماكهم وعملاءهم من قذارة السوق القديمة التى تتقزز من منظرها أعين المشترين وأنفسهم . وحقاً كانت عناية البلدية بانشاء سوق جديدة للأسماك والسماكين على الطراز الحديث ، حدثاً هاماً فيحد ذاته ، بالنسبة لنظافة هذا الغذاء الهام المعروض مكشوفاً للبيع في سوقه ، وبالنسبة لتحسين مرافق البلدة وتطويرها وتنظيمها .

ooooo

هذا ولا مناص لنا هنا من أن نأتي على وصفسوق الأسماكالقديمة، فقد كانت تقوم في بقعة تقرب من البحر في مكان يملؤه حطام السفن الشراعية القديمة الخربة وتملؤه الاتربة والتجاويفوالكلابوالقطط والحواتون الذين يبيعون الحوت ، يحمله بائعو الحوت معلقاً في عِصِيّ على عواتقهم ، واقفين ومتجولين ، على غير نظام ، ويتعرض الحوت معهم لضربة الشمس وللتراب والذباب والتلف ، ولهم هناك عريش بال أكل الدهر عليه وشرب ، منظره مُزر وغير لائق ، وبأطرافه وحواليه صناديق الصفيح المبعثرة التى تستعمل كثلاجات للحوت .

لقد أزمعت البلدية ـ لكل هذا ـ أن تغير من هذه الحالة الى حالة أحسن ، فعمدت الى بناء هذه السوق الحديثة للأسماك التى تقع في حي

(١) تقع هذه السوق في الهنداوية قريبا من فندق الحرمين الكبير .

الهنداوية لنقل سوق السمك والسماكين اليها . ومنذ يوم ٢٥ جمادى الأولى ١٣٨١هـ باشر المتعهد بانشائها .

ومن المشروعات التى حققتها البلدية أخيراً ، مشروع فتح ميادين جديدة منسقة مغروس فيها الأزاهير ونباتات الزينة وأشجار الظل الجميلة ، وقد أحيطت بدرابزينات جميلة من شبابيك الحديد ، تحقق هذا في كل من ميدان المطار وميدان القصر الملكي اللذين يعتبران من أهم ميادين جدة وأوسعها وأحفلها بالتنظيم المنشود ، اذ يمتد منهما جانب من شارع مكة ، وجانب من شارع الملك سعود ، وشارع المطار.

وقد تم تنظيم هذين الميدانين على أحدث طراز ودُهِنَا بالأسفلت ووضعت في وسطهما جزر الأزاهير وحدائق عامة زينت بمغروس الأشجار ومزروع النباتات الجميلة .

وكانت بلدية جُدة قد وسعت «ميدان المطار الجوي» ونظمته وسفلتته وجعلت بداخله دوائر مثلثات ومستطيلات زرعت بها نباتات الزينة وأشجار الظل ، وجعل طوله ٨٠٠ متر في متر في اتجاه واحد ، وبعرض اثنى عشر متراً ، حسب المخطط والمواصفات المعتمدة لذلك.. وكان من نتيجة ذلك توسعة هذا الميدان الهام توسعة كافية ، فقد تمكنت البلدية من أخذ موافقة مالك السور المحيط بالأرض الواقع أمام ميدان المطار نفسه ، على هدمه وتوسعة الميدان به ،وقامت بذلك، البلديةوأعادت بناء السور من جديد ، ولكنه أصبح متقلصاً عما كان عليه ومعطياً للميدان الذى يقع أمام مدينة حجاج الجو ـ السعة الضرورية له . هذا الى بناء رصيف له عريض بالبلاط المحزز الملون في ناحيته الغربية ، واصلا ذلك الى أوائل شارع المطار .

● ● ●

ومن مشروعات البلدية الحديثة تعميم سفلتة جميع شوارع جدة .. ما كان منها رئيسياً وما كان فرعياً .. وقد حققت البلدية خطوات طيبة

في هذا الشأن ، وهي في سبيل تحقيق البقية عما قريب ان شاء الله .

ومشروع المجارى العمومية من أهم مشروعات البلدية الكبرى لتنظيم جدة ، وجعلها في مستوى المدن العالمية الراقية . وهذا المشروع يأخذ اهتماماً كبيراً من البلدية ، وقد تمت دراساته الفنية وأعدت خرائطه ومواصفاته من قبل المكتب الهندسى ووافق عليه المجلس الأعلى للتخطيط سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م وعرض للمناقصة العالمية ، وهو الآن على أبواب التنفيذ .

ومن مشروعات البلدية مشروع « شارع الشاطىء » ـ شارع الكورنيش ـ وقد بدىء فعلا في هذا المشروع وذلك بعد وضع مخططه وبعد دراساته . ويمتد شارع الشاطىء المرتقب من شرقي الميناء الجديد ذاهباً الى الشمال ، وقد ردم جزء كبير من البحر لهذا الهدف .

ومن أجل فتح شارع جديد في جدة القديمة ، ـ المنطقة الوسطى ـ ليخفف من وطأة المرور عن شارع الملك عبد العزيز وشارع الملك سعود ـ فتحت البلدية شارعاً جديداً واسع الجوانب ، يبدأ من « ثلاجة باخشوين » شمالا ، وينتهى الى بيت عمر حفنى جنوباً . ويخترق هذا الشارع المفتتح حديثاً المدينة القديمة فهو كالرئة لها ، وقد اقتضى فتحه هدم عشرات الدور والقصور ، وأعطى أصحابها التعويضات المناسبة . والمأمول أن سيكون هذا الشارع من افخم شوارع جُدة ، اذا أعيد بناء ما بطواريه من دور ودكاكين بشكل منسق وجميل وحديث.

وفي تصميم البلدية فتح شارع آخر ، يمتد من شرق جدة الى غربها ، بحيث يلتقى الشارعان في نقطة معينة تكون ميداناً ومتنفساً للسكان .

وغرست البلدية في أواخر عام ١٣٨١هـ ما يناهز ثلاث آلاف شجرة في الشوارع الرئيسية ، ونجح الغراس . وترى تلك الأشجار خُضراً

متموجة غصونها النضرة على جوانب الشوارع التي غرست بها . قام بهذه الحركة رئيس البلدية « عبد الله القصبي » كما وسع في عهده ، وفي أواخر سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ـ شارع المطار ، في قسمه الغربي ، بهدم دور ودكاكين هناك ، حتى مقبرة حواء ، وبعد هدم هذه الأماكن ظهر سور المقبرة في ناحيته الشمالية ، وفيه باب مسدود باللَّبِن ، وقد بدا السور وهو مطلي في خارجه بالنورة ، مما يدل على أن البنايات التي أنشئت أمامه حتى الشارع ملتصقة به ، كانت أحدث منه بناءاً بكثير..

كما جلبت البلدية ضمن مشروعاتها التجديدية أربع سيارات مكيفة الهواء ، وبكل منها ثلاجة كبيرة تعلق بها الذبائح من الداخل ، لنقل اللحوم من المجزرة الى الأسواق .

وكان أول شارع في جُدة وضع به قناة من تحته ، لتصب المياه الفائضة منه في البحر ، هو شارع الأمير فيصل .

ومن المشروعات التي يحتقبها رئيس البلدية الحالي انشاء مكتبة عامة بجُدة ، على غرار «مكتبة الاسكندرية» ، وستقام هذه المكتبة في نقطة حساسة من البلدة ، وتبنى لها عمارة فخمة ، وتجلب لها آلاف الكتب .

ومن مشروعاته انشاء دار واسعة للبلدية بها قاعة كبيرة تسع الآلاف ، للاجتماعات العامة وللمحاضرات .

وانشاء مجزرة فنية حديثة لجُدة في « الخُمرَةِ » جنوب جُدة . وستكون قادرة على استيعاب «٧٥٠» رأساً من الغنم و «١٠٠» رأس من البقر و «٥٠» رأساً من الجمال .

وستدار هذه المجزرة بالوسائل الكهربائية الحديثة .

وتقدر التكاليف التقريبية لانشائها ، بنحو مليون ونصف المليون من الريالات .

ومن المشروعات الحديثة ، انشاء أفران لحرق القمائم ، ودلك نظراً لتكاثر السكان ، وتوسع المدينة وتكاثر الفضلات تبعاً لذلك . وتزمع البلدية القيام بهذا المشروع ، وفعلا اعتمده المجلس الأعلى للتخطيط ، وقرر تكليف أحد المكاتب الاستشارية ، باعداد مواصفاته. ومن الممكن أن يضم هذا المشروع الى مشروع المجزرة للانتفاع بالأسمدة المتخلفة من المشروعين لصالح الزراعة والمزارعين .

ومن مشروعات البلدية انشاء دار لها واسعة على أحدث طراز عربي ، وقد كُلِّفَ المكتب الاستشاري الهندسي بالخُبَرِ ، بوضع المواصفات التفصيلية لمبنى البلدية . على أن تشتمل الدار على ما يأتي:

١ ــ مدخل عام للجمهور ، وبهو كبير لمراجعاته ، مع الادارات المختلفة على نظام البنوك .

٢ ــ مكاتب للموظفين ، تتسع لنحو « ٣٠٠ » موظف و « ١٢٠ » مراجع .

٣ ــ قاعة محاضرات واجتماعات دولية تضم « ١٠٠٠ » مقعد ، مزودة بأجهزة الاستماع والترجمة ، ويكون لها مدخل مناسب ، وتكون « مكتبة البلدية » بجانب القاعة .

و « ملاعب البلدية » من مشروعاتها ، وهي تدرس مع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بناء « استاد رياضى » عالمي كبير وقد استعدت البلدية لتقديم الأرض المطلوبة ، ورشح المجلس الأعلى للتخطيط ، منطقة « أبحر » لهذا الغرض . وتوجد دراسة في هذا الموضوع بمكتب تخطيط المدن بجدة ، ودراسة مماثلة في مكتب العمل والعمال في جدة .

وهناك مشروع « نادى الصيد » .. وقد وافقت البلدية على تقديم قطعة أرض ، مساحتها كيلو متر ، في كيلو متر بالمنطقة الجنوبية على

ساحل البحر الأحمر ، لاقامة مبنى هذا النادى . وسيضم النادى جميع أنواع الألعاب الرياضية .

ومن مشروعات البلدية مشروع « تحضير البادية واسكانهم » .. ان البلدية خطت خطوة طيبة في هذا المجال .. وقد أكملت تخطيط منطقة ، لاسكان البادية ، في شمالحي الشرفية ، تبلغ مساحتها «٤٠٠» في «٤٠٠» متر ، وقسمت الى عشر مناطق خصص منها اثنتان للخدمات العامة وللأسواق . واثنتان للملاعب ، وواحدة للمقبرة وللمسجد ، والباقى منها للاسكان . ويبلغ طول القطعة الواحدة عشرة أمتار ، في اثنى عشر متراً .

ووضع لهم خزان مياه . وستمد خطوط البلدة للسيارات الى هذه المنطقة ، تأميناً للمواصلات بينها وبين بقية أجزاء المدينة . وقد ساهم بعض أهل الخير في انشاء بعض هذه القطع .

وجدير بالذكر أن البلدية تدرس الآن هذا المشروع ، وتوليه بالغ العناية لما له من أهمية في تحسين مستوى البلد والسكان مستقبلا .

ومن مشروعاتها انشاء المرأب : « القراج » والمستودعات ، فقد أتمت مواصفات تفصيلية لانشاء المرأب الحديث لسياراتها ، والمستودعات الحديثة للوازمها ، في الأرض الواقعة بالسبخة ، جنوب جُدة على قطعة أرض مساحتها مائة متر في ستين متراً .

وسيكون المرأب مزوداً بجميع ما يلزم لصيانة السيارات .

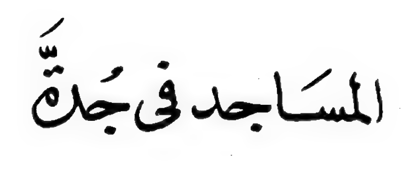
ومن مشروعاتها بناء دورات مياه عامة فيشتىأنحاء البلد..وقد باشرت فعلا في بناء مجموعة من هذه الدورات ، منها اثنتان في الميناء الجوي :

احداهما للرجال ، والأخرى للنساء . وكذلك في الميناء البحري ، فى الجنوب الغربي ، والبقية موزعة على أنحاء المدينة .

ومن مشروعاتها ، انشاء « حديقة البلدية العامة » . وفعلا وافقت وزارة الدفاع والطيران على أن تسلم البلدية ، لهذا الغرض ، قطعة الأرض التى هى بموازاة شارع الملك سعود ، في عرض أربعين متراً ، وذلك ابتداء من أول حرم المطار ، في ناحيته الغربية الجنوبيـة ، الى ميدان المطار . وفي ناحيته الغربية الشماليـة . وقـد تم تسليم تلك القطعة للبلدية وأنشأت ـ فعلا ـ بها الحديقـة الشـعبية الممتـدة ، مستطيلة ، في هذا الجانب من البلد . ويدرس الآن امتداد الحديقـة مبتدئاً ذلك من مدينة حجاج الجو الى الغرب فى اتجاه حي الشرفية .






المساجد فى جُدَّة



من أقــدم من تحــدث عن مساجــد جُــدة ناصر خسرو ، قال · ان « قبلة مسجدها الجامع ناحية الشرق وليس بخارجها عمــارات أبدا ، عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم »(١) .

كما تحدث البشارى عن أحد مساجدها في كتابه : « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » فقال : ان « بها جامعاً سرياً »(٢) .

وتحدث الرحالة محمد بن أحمد بن جبير عن بعض مساجدها فقال : « وفيها مسجد مبارك منسوب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومسجد آخر له ساريتان ، من خشب الآبنوس ينسب أيضاً اليه رضى الله عنه ، ومنهم من ينسبه الى هارون الرشيد رحمة الله عليه »(٣) .

ولم يتعرض ابن المجاور في « تاريخ المستبصر » للمساجد بجدة .. لقد فاته ذلك مع انه عقد فصلا عاماً لفضيلة جدة(٤) .

أما « ابن بطوطة » وهو الرحالة الذى يعنى بذكر المساجد والجوامع والمعابد فقد ذكر أن « بجدة جامعاً يعرف بجــامع الآبنوس معــروف البركة يستجاب فيه الدعاء »(٥) .

ولم يذكر بطرس البستاني من المساجد سوى «جامع الآبنوس»(٦). الذى ذكره ابن جبير وحده في رحلته من مساجد جدة .

ويحدثنا ابراهيم رفعت باشا في « مرآة الحرمين » : ان « بها خمسة جوامع وثلاثين مسجداً مفروشة بالحُصُر الناعمة الجميــلة النظيفة الا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو ، وهي مرتفعة عن مستوى الشوارع بنحو ثلاثة أمتار ، يصعد اليها بدرج منظم ، وليس بها بيوت خــلاء ولا ميضآت »(٧) .

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، الترجمة العربية ، طبعة مصر سنة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٤٥ م .
(٢) البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص١٠١ طبعة ليدن ١٩٠٩ م .
(٣) ابن جبير : رحلته ص ٥٣ طبعة دار صادر ببيروت ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .
(٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٤٧ طبعة ليدن ١٩٥٩ م .
(٥) ابن بطوطة : رحلته ص ٢٤٣ طبعة بيروت ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .
(٦) بطرس البستاني : دائرة معارفه ص ٤٠٤ .
(٧) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢ .

أما البتنوني فكان كابن المجاور في عدم تعرضه لذكر مساجد جُدة بتاتاً ، مع أنه قد أطنب في تحقيقاته عن «جبانة جدة وقبر أمنا حواء» وقد انتهى منها الى القول بأن قبر أمنا حواء مزعوم وأسطورة ، وأنه لا يبعد أن يكون من الهياكل المقدسة في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام ولى أثر الشرك من هذه البلاد ، ودالت دولة الوثنية ، وهدمت هياكلها التى كان منها بالطبع هذا الهيكل ، وبقى أثره في نفوس القوم ، برأ بحقوق الأمومة . وأقاموا قبة « لا ندرى متى كان تشييدها لتكون مزاراً للناس »(١) .

وكان ابن جبير يرى أن « موضع القبة كان منزلا لحواء أم البشر ، عند توجهها الى مكة ، فبنى ذلك المبنى عليه ، تشهيراً لبركته وفضله ، والله أعلم »(٢) .

وجاء في « صفة جزيرة العرب » أن حواء توجهت من جدة الى عرفة، فتعارفت هي وأبو البشر عندها ، فسميت عرفة(٣) .

ومن كل هذه الآراء ، يمكن أن نقول : انه كان لحواء أم البشر علاقة ما ، بجُدة .. فقد يكون الموضع المعروف في شمالها بقبر حواء ، منزلا لها .

هذا ولقد نشر الشيخ اسماعيل بن محمد الأنصاري ، وهو من هو في التحقيقات الاسلامية والعلمية والتاريخية ــ نشر مقالا بالعدد الصادر في مجلة « المنهل » لذى الحجة ١٣٨٣ هـ ، أكد فيه بالدلائل العلمية والتاريخية الدقيقة أن ادعاء كون حواء دُفِنَت في جُدة هو ادعاء لا أساس له من الصحة .. وقد أعدنا نشر هذا المقال التحليلي بذيل هذه الطبعة من هذا الكتاب . في باب « التقاريظ » .

(١) ص ١٣ .
(٢) ابن جبير : رحلته ص ٥٣ .
(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٢٣ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٣ م .

والمساجد الجوامع التي لم يحددها لنا المؤرخون ، ولم يعرفونا بهـا تعريفاً كافياً ظلت خمسة الى عهد قريب ، قبيل فـترة هـذا التطـور العمراني الكبير لجُدة الذى سرى في أنحائها من النصف الثاني من القرن الهجري الحالى من بقعة صغيرة محدودة جداً الى مساحة تبلغ أربعة عشر كيلو متراً .

وكانت كل تلك الجوامع داخل البلد القديم ، وكانت موزعة على محلاته : المظلوم ، والشام ، والسوق الكبيرة ، وسوق النورية .

وهي :

١ ـ مسجد الشافعي :

أقدم مسجد وأجمله في طراز البناء القديم في جُدة ، ويسميه صاحب كتيب « السلاح والعُدّة في فضل ثغـر جُدة » ـ بالجـامع العتيق .. ومعلوم أن من معانى صيغة : « العتيق » ـ القديم . ويقول المؤلف : انه بنى في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو قول فيه نظر ، فلم تكن جدة بلداً في عهد هذا الخليفة مطلقاً ، فكيف يبنى بها مسجد في زمنه ؟ ويقول أيضاً : انه عمره الملك المظفر من ملوك اليمن . وفى سنة ٩٤٠هـ جاء تاجر من الهند ، اسمه الخواجا محمد علي ، وأتىمعه بمؤونة وخشب وأعمدة منحوتة حاضرة من اليمن ، فهدمه وبناه أحسن بناء ، ولم يعمل شيئاً في مئذنتـه . ويفيـدنا المؤلف بأن هذه المئـذنة باقية الى وقته منذ عهد الملك المظفر ..

واذا عرفنا ان الملك المظفر هو سليمان بن سـعد الدين شاهنشاه الثاني وهو أحد ملـوك اليمن الأيوبيين ، وقـد توفي سنة ٦٤٩ هـ(١) عرفنا مدى قدم هذا الجامع .

وأقول : لعل تلك المئذنة هي القائمة بقدها الرشيق الى اليوم فوق

(١) المستشرق زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي : ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وطبع مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ م بمصر .

هذا الجامع العتيق .. ثم قال : ان ذلك التاجر عمل للمسجد منبراً لطيفاً ، وان وزراء الهند أرسلوا معه نقوداً كثيرة ، وبنى بها دكاكين وبيوتاً ، ومات قبل انتهائها ، وظهرت له بنت وادعت انه بنى هذه البيوت والدكاكين من ماله لنفسه وطلبت ارثها منه ، ولم تظهر حجة شرعية لمنعها ، فأخذت الدكاكين والبيوت ، ولم يبق شيء للصرف على مقبرة المسجد ، والى وقت المؤلف « القرن الحادي عشر الهجري » ـ لم يكن للمسجد شيء من الأوقاف ..

وذكر أن فيه صهريجاً قديماً عمره الملك المظفر ، ويقول : انه في وقته ـ أي وقت المؤلف ـ هو خراب ..

ونقول تعقيباً على ذلك : ان الصهريج المذكور لا يزال عامراً حتى الآن : سنة ١٣٧٣ هـ ، ومملوءاً بالماء العذب الذى ينزل من الأمطار ، فيتسرب من سطح المسجد وصحنه الى الصهريج . وهو صهريج كبير ، يملأ سفل ساحة المسجد كلها ، وله فتحة مرتفعة مغطاة بقطع من الخشب .. مثل غطاء البئر ، وقد فتحها لنا خادم المسجد فاذا هو عميق ، وأفادنا بأن الماء الذى به عذب ، ومن المطر ، وبأنه كان يستعمل للشرب قبل دخول العين العزيزية ، وانه لا يزال يستعمل الى الآن في بعض الأغراض .

وهذا المسجد ضخم فخم، عربيُّ الزخرف مُورق،قوي البناء..وأرضه واطئة عن مستوى أرض الشارع ، لقدمه ، وله باب خشبي ضخم ، كأنه لضخامته ، قُدَّ من الحديد وهو بضبة وله خوخة .. ومحراب المسجد آية في ابداع الزخارف والنقوش ، وقد نقش عليه انه بني من قبل أحد سلاطين بنى عثمان ، ومئذنته رشيقة ، مستديرة وهي من حجر منحوت ، وعلى بابه حجران منقوشان ، أحدهما ينطق بعمارة «الخواجا محمد علي» له سنة ٩٤٠هـ . والثاني حجرٌ مِسَنٌّ قديم ، أقدم من البناء الجديد للجامع ، وقرأ لى بعضهم شيئاً مما فيه بعد جهد،

فكان مما فيه اسم حسن بن عجلان . والشريف حسن بن عجلان من أمراء مكة فيما بين سنتي ٧٩٨هـ ـ و ٨٢٩هـ(١) وللمسجد أربعة أبواب، وبجانبه ملاصقاً له ، منزل يعود اليه . ويذكر عبد القادر صاحب كتيب « السلاح والعدة » ان الذى بناه هو المعلم أبو العيد من تجار جدة .. ومن قول صاحب كتيب السلاح والعدة انه لم يبق شيء للصرف على مقبرة المسجد ، فهمنا بوضوح أنه كان به مقبرة تنسب اليه ..

وقد أخذنا رسوماً للمسجد من داخله ، ومن خارجه ، لما فيه من جمال عمارة الحضارة الاسلامية وروعة زخارفها . ويقع في محلة المظلوم .. وبجانبه سوق للصاغة .. وأكثرهم صاغة لحُلِيّ البادية ، ومعهم في السوق دكان حجام أنيقة .. وبعض دكاكين لبعض النحاسين ، والى الشرق منه بعض دكاكين الصاغة والنحاسين ، وسوق أقمشة البادية المعروفة بسوق البدو .

٢ ـ مسجد عكّاش أو عكّاشة :

يقع بداخل البلد ، قبيل رأس شارع قابل الغربي .. وقد بناه أو جدد بناءه عكاشة أباظة ، ويترآى لنا أن له علاقة ما بالمسجد المعروف في زمن عبد القادر آل فرج ـ القرن الحادى عشر الهجري ـ باسم مسجد « الدامغاني » الذى كان على ساحل جدة .. ملاصقاً لبيت الشريف حسن أبى نمى . ويقول عبد القادر آل فرج : ان سبب تسميته بالدامغاني ، أن تاجراً هذا اسمه قام بتعميره بعد ذلك . وقلنا : ان مسجد عكاش قد يكون مسجد الدامغاني نفسه .. بالنظر لما هو معروف من أنه كان على ساحل البحر أيضاً .

جدد بناء مسجد عكاشة هذا منذ عهد قريب ، وعمر بالأسمنت المسلح في طراز حديث ، ورفعت أرضه عن أرض الشارع ، بحيث يصعد اليه

(١) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣٢ .

الناس بسلالم ، وكان تجديده من غلة أوقافه الخاصة به ، بوساطة حسن هزاز بسنة١٣٧٩ هـ وسبق أن جدد بناؤه سنة ١٢٨٠هـ .. وليس تابعاً لادارة أوقاف جدة .

٣ ـ مسجد المعمار :

يقع بمحلة المظلوم ، في شارع قابل أيضاً .. قريباً من بيوت آل الجمجوم وآل نصيف .. عمره مصطفى معمار باشا ، فسمي باسمه .

وفي كتاب : « حجاز سالنامه سى » التركي ، أن أحد ولاة جدة من الترك، كان اسمه معمر باشا . عمره لا معمار ، فلعله هو ،وحصل بعض التحريف في اسمه وشاع هذا التحريف على الألسنة . وقد ولي معمر باشا جدة سنة ١٢٨٤ هـ .

ومسجد المعمار تابع لادارة أوقاف جدة الآن . وله أوقاف .

٤ ـ مسجد الحنفي :

يقع بمحلة الشام ، على طرف من شارع الخراطين .

بنى هذا المسجد في عام ١٢٤٠ هـ حسب ما هو منقوش على حجر فيه ، كتبت عليه أبيات شعرية باللغة التركية ، تتحدث عن عمارة هذا المسجد وبانيه وما الى ذلك ، وأرض هذا المسجد مرتفعة عن سطح أرض الشارع بخمس درجات ، وله بابان .. باب جنوبي وباب شمالى .. وبجانبه دكاكين تابعة للأوقاف ، ولعلها من أوقافه ، منها دكان « حداد بلدي » .

والمسجد نفسه تابع لادارة الأوقاف بجُدة .

٥ ـ مسجد الباشا :

بناه والى جُدة « بكر باشا » الذى وَلِيَ جُدة سنة ١١٣٧هـ . وهذا المسجد تابع لادارة أوقاف جُدة .

يقع في محلة الشام ..

٦ ـ مسجد عثمان بن عفان :

يذكره ابن جبير في رحلته ، ويسميه : « مسجد الآبنوس ، وكذلك فعل بعض المؤرخين والجغرافيين ومنهم البستاني في « دائرة معارفه » .. حيث ذكر فيها أنه مسجد مبارك ، ويقول ابن جبير : ان به ساريتين من خشب الآبنوس ، وانه ينسب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كما ينسب الى هرون الرشـيد ، وهو المعروف ـ على أصح الروايات ـ بمسجد عثمان بن عفان . وبعض سكان جدة يسميه «زاوية ابن عفان».

وهو مسجد صغير يقع في زقاق متعرج من حارة المظلوم ، وله مئذنة ضخمة ، ويبدو عليه وعليها آثار القدم ، في طراز البناء ، وكيفيته .. وقد يكون بنى ـ على ما يترآى لى من تتبعى لطرز مبانى مدن الحجاز ـ في القرن الحادي عشر أو العاشر أو التاسع الهجري على أكبر تقدير ..

وكانت الساريتان من خشب الآبنوس فيه بجانب محرابه . ويقول عبد القادر آل فرج : ان احداهما باقيـة في عهـده والأخرى فقـدت ، ويضيف ان عبد الله بن عباس كان يجيء الى جُدة في الشتاء ويعتـكف بهذا المسجد في شهر رمضان .. وحدثنى الشيخ محمد نصيف بأن الناس قبل العصر الحـديث ، وقبل دخـول « خشب الكينا » الى البلاد ، لعلاج حمى البرداء « الملاريا » كانوا ينحتـون من السـاريتين جزءاً يسـيراً منهما ويبخرون به المحموم ، علاجاً له من الحمى . اما نسبته الى عمر بن الخطاب فهي مستبعدة لأن مدينة جُدة انما اتخذت مدينة بعد خلافة عمر ، في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وعمر بن الخطاب لم يدرك اتخاذ جُدة بلداً وميناء لمكة ، فكيف يبنى بها مسجد في عهد خلافتـه ؟ اللهم الا أن تكون نسـبته اليـه من باب الذكـرى ، كمـا نسب بنـاء هذا المسجد الى هارون الرشيد العباسى ، وقد يكون أمر بتجديده ، أو

جدد في عهده ، فأطلق بعض الناس ـ على غير تمحيص ـ نسبته اليه ، كما رأينا له أمثلة كثيرة في التاريخ الاسلامي .

ويتبع مسجدُ ابن عفان أو زاويتهُ مديريةَ الأوقاف ، وله أوقاف.

هذا وقد سبقت لنا رواية ابراهيم رفعت بأن في جُدة ـ غير الجوامع الخمسة ـ ثلاثين مسجداً . وقد يكون في ذلك شيء من المبالغة ، بدليل ما نلمسه من أنه مع التوسع العمراني الذى بلغته المدينة في السنوات الأخيرة ، وبعد مرور اثنين وستين عاماً على كلام ابراهيم رفعت فان مساجدها كلها لا تصل الى مائة مسجد ، وكل الذى أحصته لنا مديرية أوقاف جُدة هو «تسعة وخمسون» مسجداً .. كان ذلك ابان تأليف هذا الجزء الأول من الكتاب ثم قامت وزارة الحج والأوقاف باحصاء مساجد جدة فيما بعد فاذا هي (٢٤٥) مسجداً .

□□ ومساجد جدة على أربعة أقسام :

١ ـ القسم الأول تابع لادارة أوقاف جدة ، وله أوقاف ..

وهذا القسم تمثله هذه المساجد :

مسجد المعمار ، ومسجد الشافعي، ومسجد الحنفي، ومسجد الباشا. «وقد مَرّ بنا ذكر مواقعها منجُدة» ومسجد العلوانية،زاوية الحضارم، بمحلة الشام بسوق الندى ، ومسجد أبى سيفين بمحلة الشام بسوق الندى ، ومسجد لؤلؤة بمحلة الشام بسوق الندى ، ومسجد القنفذية ، بمحلة اليمن في جدة بحارة البحر ، ومسجد العقيلي في محلة اليمن بباب شريف ، ومسجد الكيكي بمحلة السبيل ، ومسجد الميمني بمحلة السبيل ، ومسجد الكندرة بمحلة الكندرة ، ومسجد عثمان بن عفان بمحلة المظلوم ، ومسجد الهنود بمحلة المظلوم ، ومسجد فرج يسر داخل البلد بمحلة الشام ، ومسجد فرج يسر خارج البلد بباب مكة ،

ومسجد فتن بمحلة اليمن ، ومسجد حسوبة بمحلة اليمن ، ومسجد الباكستاني بمحلة الهنداوية .

٢ ــ القسم الثاني .. كان تحت يد مديرية الأوقاف ، ومنذ غرة رجب سنة ١٣٧٨ هـ ضم الى موازنة المحكمة الشرعية..وهذا بيان به:

مسجد البرخلي بمحلة المظلوم ، مسجد العزيزي بالمحلة البغدادية ، مسجد الهنداوية ، بالمحلة الهنداوية ، مسجد الرويس الفوقاني بمحلة الرويس ، مسجد الرويس التحتاني بمحلة الرويس ، مسجد الحج بشارع الملك عبد العزيز ، مسجد الشاذلي بمحلة اليمن ، مسجد بنى مالك بمحلة بنى مالك ، مسجد جلالة الملك سعود بالرويس بمحلة الرويس ، مسجد الهنداوية الجديد بالمحلة الهنداوية ، مسجد الجميح بمحلة الكندرة ، مسجد الينبعاوية ، بمحلة الصحيفة ، مسجد النزلة اليمانية بمحلة النزلة اليمانية ، مسجد المشورة بمحلة اليمن ــ حارة البحر ، مسجد الشرفية بالمحلة الشرفية .

٣ ــ القسم الثالث .. مساجد ضمت الى ادارة الأوقاف :

ويمثل هذا القسم مسجد جلالة الملك سعود الكبير بمحلة الرويس في طريق المدينة المنورة ، وهو غير مسجد جلالة الملك سعود بالرويس الذى سبق ذكره ، ومسجد الراجحي بمحلة الكندرة ، ومسجد الكيلو الخامس على يسار الذاهب الى مكة بجوار دار الأمير متعب ، مسجد عبد الكبير بحارة « بَرّا » ــ بفتح الباء بعدها راء مهملة مشددة فألف: أي « خارج » في لهجة العوام وهي من العامية القديمة(١) .

٤ ــ والقسم الرابع : مساجد مستقلة لا تتبع مديرية الأوقاف ولا غيرها من الجهات الحكومية . وقد يكون لبعضها أوقاف كمسجد عكّاش وهذه هي :

(١) في نسخة مذكرات أسامة بن منقذ : (الاعتبار) وردت هذه الصيغة مراراً . والنسخة التى نشير اليها هي المطبوعة في بغداد .

المسجد وقف عبد الله نصيف داخل البلدة ، ومسجد عبد الله نصيف خارج البلدة ، والمسجد وقف المغربي فتيح ، بباب مكة ، ومسجد السنوسى بجوار المستشفى العام بباب شريف ، ومسجد حرم الطويل بالكيلو الخامس في شارع مكة ، ومسجد آل الشيخ بالنزلة اليمانية ، ومسجد البخارية عند القوزين ، ومسجد البخارية في باب شريف ، ومسجد غَلُوم ، ومسجد الأسنَوِيّ بمحلة اليمن ، ومسجد عكَّاش بداخل البلد ، ومسجد سالم بن محفوظ بين باب شريف وباب مكة ، وهو من أفخم مساجد جُدة الحديثة بناءاً وطرازاً وجمالا ، ومسجد آل زينل بطريق المحجر الصحي ، ومسجد أبى زنادة(١) في الشرفية ، ومسجد أبى زنادة(٢) في شارع الملك عبد العزيز ، ومسجد مدينة الحجاج البحرية ، ومسجد مدينة الحجاج الجوية ، ومسجد حمد السليمان بالشرفية ، ومسجد عبد الله السليمان في الكندرة ، ومسجد الهدة في الكيلو ٣ بشارع مكة ، ومسجد بجنوب محطة الاذاعة ، ومسجد البقسماطي في الحلقة .



(١)و(٢) بانيهما هو محمد صالح ابو زنادة من تجار جدة وأعيانها .

الفنادق في جُدَّةَ



لعل ابن جبير كان من أوائل من وصفوا ، وأوردوا شيئاً عن فنادق جُدة المخصصة لسكنى الحجاج ، حيث قال : «وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين ، وفي أعلاها بيوت من أخصاص كالغرف وبها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر »(١) . ولم ينزل ابن جبير في فندق بجُدة ، وانما نزل بدار القائد علي صاحب جُدة من قبل أمير مكة وكان نزوله من الدار المذكورة في صرح من صروح الخوص التى يبنيها أهل جُدة في أعالي دورهم .

فهذا وصف دقيق لفنادق جدة في القرن الهجري السادس .

وجاء بعده ابن المجاور في القرن السابع الهجري فحدثنا عن فنادق جُدة حديثاَ أشمل وأكثر تركيزاً ، اذ سمي بعض هذه الفنادق بأسمائها ، وعين مواقعها ، وذكر من بناها وتاريخ بنائها . قال : « كلها « أى جدة » خانات . والخان المعروف فيها « خان البصر » وهما خانان متقابلان بمخازن كبار ويقال انه بنى بظاهرها شمس الدين طنبغا ، خاناً كبيراً عظيماً سنة ثلاث وعشرين وستمائة »(٢) .

والخان فيما هو معروف من اصطلاح قدماء المسلمين، هو الفندق.

ولا بد من الاشارة الى قول ابن المجاور ، ان جدة كلها خانات . وقد يكون قصد بذلك، أن جميع منازل جُدة أي ما كان خاصاً بسكنى أهله وما كان غير ذلك ، تصبح كلها فنادق في مواسم الحج ، من أجل انزال الحجاج بها أو بجزء منها بالكراء . فاذا كان هذا ما يقصده فاننا قد أدركنا شيئاً منه ، قبل بناء ادارة العين العزيزية بجُدة لمدينتي الحجاج: البحرية والجوية . فقد كانت منازل جُدة ، أو أغلبها بأدق تعبير ــ مُعَدَّة

---

(١) ابن جبير : رحلته ص ٤٢ .
(٢) ابن المجاور الدمشقي : تاريخ المستبصر ص ٥١ .

لنزول الحجاج بها . وأما الآن بعد بناء المدينتين فقد زالت هذه الصبغة عن منازل جُدة ، واختصت المدينتان بنزولهم ، والمدينتان همـا من أوقاف العين العزيزية التى تروى جُدة بالماء العذب المجلوب من وادى فاطمة : « مر الظهران بوساطة الأنابيب ، كما هو موضح في فصلـه الخاص في المجلد الأول من كتابنا هذا ، ويحتمل أن قول ابن المجاور المذكور انما يهدف منه الى مجرد وصف الفنادق هنا بالكثرة ، وهو احتمال بعيد نوعاً ما . ويحتمـل أيضـاً أن يكـون غرضـه بلفظـة « الخـان » الدكاكين المجتمعة في مكان واحد في هيئة مستديرة مثل خان المفتى في مكة المـكرمة . وهي التى كانت تسمى في الحضـارة الاسـلامية باسـم (القيساريات) .. وهذا احتمال غير قريب من ناحيـة مفهـوم التعبـير المذكور اصطلاحاً وواقعياً .

ولم يشر ابن بطوطة في رحلته الى بحث الفنادق بجدة .

وفي كتاب « الروض المعطـار في أخبـار الأقطـار » لأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري اشارة عابرة الى وجود « رباط » لأبى هريرة رضى الله عنه بجـدة(١) . ولا ندرى كيف نسب هذا الرباط الى أبى هريرة ، اللهم الا أن يكون من باب التقدير والذكرى ، وقد يكون ذلك الرباط مخصصاً لسكنى فقـراء الحجاج ، ولم يوضح لنـا الحميري موقعـه ولا نوع من كان يقيم به من الناس .

وفي كتاب « السفر الى بلاد العرب » لبوركهارت أنه توجد في جدة فنادق كبيرة ينزل فيهـا الأجانب القـادمون للتجـارة مدة اقامتهـم القصيرة(٢) .. وكتاب بوركهارت ألف وطبع سنة ١٨٢٩م «١٢٤٥هـ».

ولم يذكر أيوب صبرى باشا في كتابه « مرآة الحرمين » المطبـوع

(١) الحميري : الروض المعطار في أخبار الأقطار ص١٧٤ من النسخة الموجودة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المخطوطة سنة ٩٧١ هـ وهي تحت الرقم ٣٦٥ قسم التاريخ بالسجل العام للمكتبة .

(٢) جون لويس بوركهارت : السفر الى بلاد العرب (باللغة الانكليزية) طبعة لندن سنة ١٨٢٩ م .

باللغة التركية والمطبوع سنة ١٣٠٦هـ شيئاً عن الفنـــادق ، في ذلك الفصل المسهب الذى عقــده عن مدينة جدة ، من الصفحــة ١٨٩ الى ١٩٦ .

أما ابراهيم رفعت باشا فقد وَجَدَ بهـا سـنة ١٣١٨ هـ فنـدقين اثنين ، ولكنه لم يسم لنا صاحبيهما ، ولم يحدد لنا موقعيهما(١) .

ونستنتج من عدم ذكر الفنادق بجدة في القرن الهجري العـاشر ـ فيما اطلعت عليه من المراجع ـ وفي ندرتها في مطلع القرن الرابع عشر ـ تغَلُّبَ عمليةِ اسكان الحجاج بمنازل الأهلين ووكلاء المطوفين ، لتعم الفائدة المقيمين بجدة ، من تأجـيرهم لهـا ، لأكبر مقـدار ممكن من السكان .

ومدينتا الحجاج ، مشروع قيم ، أزاح عن كاهل مدينة جدة أزمة تكاثف الحجاج بها وبمنازلها وبشوارعها ، وان كان لم يَرُق ذلك لبعض من كانوا ينتفعون من سكانها ، من وراء تأجير منازلهم للوافـدين الى جُدة في مواسم الحج .. وقد كانت تحدث أزمة من هذا القبيل في كل موسم حين يتكاثر ورود الحجاج بالبواخر دفعة واحـدة ، أو دفعـات متتابعة فلا تتسع لهم بيوت جُدة القديمة المحصورة بالسور ، والضيقة.. لاحظ ذلك كثير من المفكرين والمشاهدين ، ودونه محيى الدين رضـا فقال : « واذا تراكم الحجاج في جُدة لم تتســع للذين يأتون اليهـا من جديد ، اذ أن البواخر تصل اليها في كل يوم محملة بحجاج جدد في أيام معدودة »(٢) .

وبمناسبة الحديث عن مدينة الحجاج البحرية الواقعـة في شـارع الميناء قريباً من مُرسَى البواخر التى تقلهم فقد كانت رئاسـة العين العزيزية لاحظت ضرورة ايجاد مدينة حديثة تكون ذات طبقات، مستوفية

(١) مرآة الحرمين ص ٢٢ من الجزء الاول .
(٢) محيى الدين رضا : صور ومشاهدات من الحجاز ص٨٩ المطبعة التجارية الحديثة بالقـاهرة سـنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م .

للشروط الصحية ، ولها روعة منظر خير من السابقة التى كانت أشـبه بمخازن واسعة .. فأقامت بدلا من مدينتها القديمة ، مدينة حديثـة أدت الغرض المنشود .

ومدينتا الحجاج البحرية والجوية تعتبران أكبر فندقين بُـنِيـَا للحجاج خاصـة في تاريخ جُدة حتى اليوم على ما أعلم ، اذا اعتـبرنا أن معنى الفندق هو النُـزل الذى ينزل به المسافرون سواء صغر حجمه أم كبر . وهما أشبه بمدينتين ، فيهما نوع من الاكتفاء الذاتي في جل ما يحتاجه الحاج أو يلزمه أو يخطر على باله شراؤه أو اقتناؤه من مطعوم وملبوس ومن ضروريات وكماليات .

ففى كل مدينة توجد الادارات الحكومية والمصالح الوطنية اللازمة للحجاج من شرطة للأمن وغيره وفروع لوزارة الحـج ووكلاء مطوفين ، وصيارفة للنقود ، ودكاكين لمختلف السلع المتنوعة المتكاثفة في دكاكينها بصورة موجهة للأنظار ، الى الماء العذب الفياض من الصنابير ، والكهرباء المضيئة .

● ● ●

وفي سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م ورد في المصادر الحديثة ذكر فنـادق جُدة ، فكان في مقدمتها : « فندق التيسير » و « فندق الشرق » و «فندق البساتين» .

وقد أسف المؤلف الذى ذكر هذه الفنادق . لأن فندق بنك مصر بمكة ليس له فرع في جدة . ووصف لنا فندق البساتين في جدة بأنه يماثل فندق الزاهر في مكة وأنه مكيف الهواء ، وينزل فيـه رؤسـاء الدول وزعماء المسلمين الضيوف ، ومن يشاء أن يدفع أجـراً ضـخماً يمـاثل أجر فندق الزاهر في مكة . وقال : « ان فندق الشرق تغلب فيه الأناقة على الفخامة ، ويمثل المرتبة الثانية . وفندق التوفيق يمثل الدرجـة الثالثة » .

وقال : أما فندق التيسير فبناء قديم خلق منه « العم عطا » الياس فندقاً مقبولا بما أدخل عليه من تحسينات ولكنها تحسينات العطـار الجبـار .. وأضـاف الى ذلك أن الحجـاج سـيرون في العـام الجـديد ١٩٥٤م فنـدق الكندرة الفخـم الجـديد ، الذى أقامتـه شركة مصرية سعودية لتزاحم به فندق البساتين » . ويضيف الى ذلك قوله : « وجُدة التى وثبت في ست سنوات بفضل عبد العزيز وسعود والأعوان ــ من ميناء قديم مخرب يقطنها خمسة وعشرون آلفاً الى ميناء جديد عالمي يقيم فيه ربع مليون من الأنفس ــ جُدة هذه في حاجة الى فنادق أرقى وأرخص »(١) .

وأقول تعقيباً على ما سبق : ان فندق التيسير قـد أزيل من الوجود في بعض عمليـات توسـعة شـوارع جُدة .. وفندق الشرق ، لأمين العبـد العزيز ، أغلق ، لصـغره ، ولعـدم تكييف هوائه . ولانصراف النزّال عنه ، ولميلاد فنادق مكيفة أضخم منه . وكذلك فندقا التوفيق بجُدة ، والبساتين . وقد جعل مكان الثاني المستشفى اللبناني .

وفنادق جدة الآن على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : فنادق الدرجة الأولى ويمثل هذه المرتبة ثلاثة منهـا هي :

أولا ــ فندق قصر الكندرة(٢) ــ بفتح الكاف ــ وهو ملك لعبد الله السليمان ثم لورثته ، ووراءه دارات «فيلات» ملحقة به الى جنوبه قريباً منه تنزل بها الأسر الكبيرة والضيوف الرسميون الكبار وغيرهم ، ويضاء هذا الفندق وداراته بالكهرباء وهو مزود بالماء العذب وبمطعم ومقهى

(١) السوادى : مملكة في الميزان ص ٦٢ و ٦٣ ط. مصر ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤ م .
(٢) لا أفهم مغزى اقحام كلمة (قصر) بين الكلمتين : فندق والكندرة . الا أن يكون ذلك تقليـدا محضا لاصطلاح أجنبي ، وأرى الاكتفاء بكلمتي (فندق الكندرة) كتعبير عربي فصيح .

وبه مصعد كهربائي خاص ، وهو مكيف الهواء ، وكذلك داراته . وبه أبهاء جميلة بها رسوم مناظر طبيعية زيتيـة بارزة رائعـة التـكوين والتلوين والملامح ، وله حديقة كبيرة ، ويقع بجواره الى الشمال منـه «مربعة» السيد عمر السقاف المشهورة التى أطنب في وصفها أيوب صبرى باشا في مطلع هذا القرن ، وذلك بكتابه : « مرآة الحـرمين » المطبـوع باللغة التركية .

ويسمى المستر تويتشل هذا الفندق : « الكندرة » ويقول : انه بيت الضيافة ، ولم يذكر غيره . وهو مفتوح الأبواب للنزلاء طيلة أيام العام.

وقد أجريت تجديدات وتحسينات هامة في طلاء هذا الفندق وعدل بعض تقسيماته الداخلية والخارجية وما الى ذلك بسـنة ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٣ م وما بعدها .

ويقع فندق الكندرة في مرتفع من الأرض وقد أشاد بجمال موقعه وطيب مناخه أيوب صبرى باشا، قبل نحو ثمانين عاماً من بنائه، وتمنى أن يكمر ليكون متنفس جدة ، وقد حقق الله أمنيته ، فعمرت هـذه المرتفعات جمعاء بمئات القصور الضخمة ، والدارات الرائعة ، والمساجد والمستشفيات والمصانع والمعارض والدكاكين وبهذا الفندق الذى احتفظ بمكانته في المرتبة الأولى في تصنيف فنادق جُدة باسـتمرار ، منـذ بني حتى سـنة ١٤٠٠ هـ .. وقد فتحت بلدية جُدة ــ في المرتفعات المشار اليها آنفاً ــ الشوارع الكبيرة والصـغيرة ، وسفلتتها وشـجرتها ، فصـارت هـده المنطقة « زينة مدينة جُدة » ويقع فيها المطار القديم الموسع تدريجياً ، ومدينة الحجاج الجوية التى تبدو في ظلام الليـل كتلة نورانيـة مشرقة بالكهرباء في ستة أدوار شامخة بديعة هندسة البناء ، وكان تحقيق حلم أيوب صبرى بعد نحو ثمانين عاماً ، ولكن تحقيق ذلك لم يكن في ظل الدولة الشاهانيـة كما تَمَنَّى ، بل تم ذلك في ظل الدولة السَعودية

الثانية الحالية ، وفي عهـود كل من الملك سعود بن عبد العـزيز والملك فيصل بن عبد العزيز والملك خالد بن عبد العزيز على التوالى .

ولا بأس من ايراد نص كلام أيوب صـبرى فيما يلي مترجمـاً الى العربية ، للاستئناس والمقارنة بين ما كان يتمنى ـ وكان خيالا محضاً بعيد المنال يومئذ ـ وما تحقق بعده .. فكان واقعـاً رائعـاً ملموسا . قال أيوب صبرى ، بعد أن أطنب في الثناء العاطر على قصري السيدين : عمر السقاف وعبد الرحمن طاهر باشا :

« على كل حال حيث ان أغنياء جـدة توجهـوا الى هذه البنـايات الجديدة وحصلت عندهم فكرة بذلك ، فمن الممكن أنه في آقرب زمان تكون جميع المرتفعات المذكورة دارات « فيلات » وعمارات في ظـل المملكة الشاهانية ، وسيكون ذلك خـير باعث للتوسـع العمـراني . والمرتفعات المذكورة لقربها من جـدة لا توجـد صـعوبة لسـكانها في استحضار ما يحتاجونه من البلد كل يوم(١)

ثانياً ـ فندق قصر البحر الأحمر ، الرابض على كتف شاطيء البحر الأحمر بطوار شارع الملك عبد العزيز ، شمال غربى جدة القديمة ، قريباً من موضع القلعة البحرية المشهورة . وهـذا الفنـدق مفتـوح الأبواب للنزلاء طيلة العام .

وبهذا الفندق مصعد كهربائي وهو مزود بالماء العذب وبمطعـم وبمقهى ، وهو مكيف الهواء بالكهرباء ، وبه أبهاء واسعة ، فيها صور مناظر طبعية رائعـة . ولا يزال يحتفظ بمرتبتـه الاولى المتـازة بين فنادق جُدة حتى عام ١٤٠٠ هـ .

ثالثاً ـ فندق جُدة ويقع أمام بحر الطين الذى حُـوّلَ فيما بعد الى

(١) أيوب صبرى : مرآة الحرمين : المطبوع باللغة التركية بحروف عربية : المجلد ٣ ص ١٨٩ طبـع الآستانة سنة ١٣٠٦ هـ .

ميدان بعد ردم البحر وقد أقيمت حديقة للفندق في البقعة الواقعة بغربه مباشرة على مرتفع من الأرض . وهو من أفخم فنادق جُدة ، عمـارة وتأثيثاً ، وبه كهرباء للاضاءة والتكييف ، ومصعد كهربائي ، وهو مزود بمطعم ومقهى وله أبهاء متسعة مزينة بصور مناظر طبيعية وفنية بارزة ورائعة . وعلى جدار بهوه الكبير ، خريطة مجسمة للمملـكة العربيـة السعودية . ويملكه عبد الله السليمان ثم ورثتـه وتحتـه معـارض . ولا يبرح محتفظاً أيضاً بمكانته العمرانية الممتازة بين فنـادق الدرجة الأولى بجُدة حتى بالنسبة لما أحدث منها بعده بأمد من الزمن .

• • •

وأما فنادق الدرجة الثانية ففى طليعتها فنـدق قصر قريش الذى يقع بمحلة المظلوم ، وقد بنى عـلى الطراز الشرقي وفرش على هـذا الطراز أيضاً بأفخم الطنافس والرياش، وبه كهرباء للاضاءة والتكييف. وماء عذب وهو مفتوح طيلة أيام العام ، وبه مطعم ومقهى . ويملكه عبد الله اللنجاوي . ويعتبر من فنادق الدرجة غير الأولى .

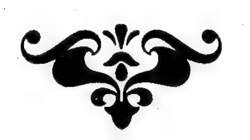
ومن فنادق الدرجة الثانية الممتازة فندق الحرمين الـكبير ببـاب شريف جنوبي جُدة على طوار شارع الملك عبد العزيز المحيط بالمدينـة القديمة احاطة السوار بالمعصم ، وبالفندق مصعد كهربائي وهو مزود بالماء العذب وبالكهرباء والتكييف ، وتبلغ طبقاته تسـعاً ، فهـو اذن أعلى فندق في جُدة فيما مضى . أما الآن سنة ١٤٠٠ هـ فيوجد من فنادق جدة ما هو أعلى منه .

وهنا ثلاثة فنادق باسم الحرمين هي : فنـدق الحـرمين المتوسـط بجانب الكبير غرباً عنه قليلا . وفندق قصر الحرمين الجديد بالشرفية . في شارع عرفات قريبـاً من مستشفى الملك سـعود الذى أزيل في توسعة شـوارع جُدة . وفندق الحـرمين الـكبير ذو الطبقات التسع المتحدث عنه آنفاً ..

وفنادق الدرجة الثالثة هي : فندق التيسير قرب شارع الملك عبد العزيز من الناحية الشمالية الغربية بالنسبة لمدينة جدة القديمة ويملكه عطا الياس ، وقد أزيل من الوجود كما سلفت الاشارة اليه ، وفندق النهضة السعودية بشارع الميناء وصاحبه عبد العزيز الدخيل . وفندق السلام أمام فندقي الحرمين : الكبير والمتوسط وصاحبه حمزة بَجّو . ـ وينطق الحرف الثاني بحرف بين الجيم والشين ـ . بحيث يلصق أعلى وسط اللسان بالحلق الصاقاً فوق الصاقه به عندما ينطق الشين والجيم الحجازية .

وكانت بجدة الى عهد قريب فنادق أغلقت ، منها فندق الشرق بشارع مكة وصاحبه أمين العبد العزيز ، ويصفه محمد السوادي بأنه تغلب عليه الأناقة على الفخامة(١) وفندق التوفيق ، وفندق البساتين الذى كان من طبقة فندق الزاهر بمكة ، وكان مكيف الهواء ، وكان ينزل فيه رؤساء الدول وزعماء المسلمين ومن شاء أن يدفع أجراً عالياً ، مثل فندق الزاهر بمكة(٢) وفندق السعادة بجدة بباب شريف .

ومن الفنادق قديمة العهد بجدة ، ما كان يقع قرب القلعة بدار آل باجنيد ، وكانت الحكومة تستأجره من أصحابه وتتخذه فندقاً لضيوفها(٣) .



(١) مملكة في الميزان ص ٦٢ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) محمد صالح بن علي باعشن : مذكراته الخطية ص٦ .



المصارف والصّيارفة

بجُدَّة



ونعني بالمصارف : « البنوك » وبالصيارفة من يتعاطون أعمال صرف النقود بقصد الربح من هذه العملية التجارية القديمة .

وصيغة « المصرف » و « المصارف » لما يعرف بالبنك والبنوك ، هي الصيغة العربية الأَولَى بالاستعمال لدينا لأنها عربية أصيلة ، وأما صيغتا « البنك والبنوك » فهي أجنبية دخيلة لا نرى حاجة ماسة لاستعمالها وهجر الكلمتين العربيتين الفصيحتين وأحلالهما محلهما . فمن واجبنا أن نَدعَمَ مركز لغتنا المعطاء ، دعماً لكياننا واحياءاً لقدرة لغتنا السمحة الجميلة على الذيوع والنماء والثبات أمام تيار الغزو الفكري واللغوي الذي يهاجمنا من كل جانب ليقضى على جوهرة من أهم جواهر مجدنا وتراثنا .

كان من أقدم من زاول مهنة المصارف في جدة شركة « جلاتلى هنكى » البريطانية فقد أسست هذه الشركة فرعاً في جدة سنة ١٨٨٤ م — ١٣٠٢ هـ وظلت مدة مديدة تتعاطى أعمال المصارف . وأخيراً تخلت عن مهمتها للبنك البريطاني بجدة، واقتصرت على أعمال التجارة الاستيرادية وما أشبه .

وفي أيام الحرب بين نجد والحجاز قدم الى جدة حبيب لطف الله ، وطلب منه الملك علي بن الحسين قرضاً ، فأعطاه اياه ، على شرط أن يؤسس مصرفاً في جُدة ، ولما انتهت الحرب المذكورة الغي هذا المصرف رسمياً ، ولكنه ظل يعمل حتى سنة ١٣٤٩ هـ بدون أن تكون له صفة رسمية .

كما أسس في أيام تلك الحرب « البنك الأهلى » الذى كان بمثابة « صراف عام بامتياز » لدعم عملة الحكومة الهاشمية المتدهورة ، بسبب تلاعب صيارفة جُدة في صرفهم للنقود حينذاك ، وقامت الحكومة الهاشمية بانشاء هذا المصرف المركزي ، استجابة لطلب رئيس البلدية

محمد صالح نصيف ، وعارض المشروع محمد طويل ، فأوعز الى من سلب نقوده ، وكان ذلك قرب انتهاء الحرب الهاشمية السعودية فأغلق المصرف(١) .

وزاول « البنك الهولندى » أعماله بجدة منذ ١٥ نوفمبر ١٩٢٦م ـ ١٣٤٥ هـ وهو شركةهولندية مقرها الرئيسى أمستردام . وله فروع في الدمام والخبر(٢) .

وفي سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م افتتح « مصرف ابراهيم اسماعيل زهران » وهو ملك خاص له ، وهو من أهل جُدة ، وهذا المصرف هو مصرف سعودي معترف به من قبل السلطات المختصة بالمملكة ، وهو مسجل بمؤسسة النقد العربي السعودي بجدة ، وزاول جميع أعمال المصارف، ورُخِّصَ له بفتح حساب «غير مقيم» في الخارج ، وله مراسلون في جميع مراكز العالم المالية ، وبه أقسام للتوكيلات العمومية والاستيراد وأعمال الطيران خصوصاً الفروع الخارجية في الخرطوم وبورتسودان حيث التوكيل العام للخطوط الجوية السعودية.

ويربو رأس ماله ، مع الاحتياطي والودائع على ثلاثة ملايين ريال سعودي ، يضاف اليها قيمة ممتلكات ثابتة بنحو نصف مليون ريال(٣).

وفي ١٨ جمادى الأولى ١٣٦٧ هـ مارس ١٩٤٧ م افتتحت شركة الهند الصينية فرع « بنك الاندوشين » بجدة ، وهي شركة مساهمة مقرها الرئيسى في مدينة باريس عاصمة فرنسا . ولهذا الفرع فروع في الدمام والخبر(٤) .

وفي سنة ١٣٦٨هـ زاول «البنك العربي» عمله بجُدة ، وهو شركة

(١) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص١٧٨ و ١٧٩ .
(٢) وزارة التجارة : المملكة العربية السعودية ص٢٨١ طبع دمشق سنة ١٣٧٥ هـ .
(٣) وزارة التجارة : المملكة العربية السعودية ص٢٨٢ .
(٤) نفس المصدر ص ٢٨٢ .

مساهمة مقرها الرئيسى بالقدس ثم عَمَّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية ، وذلك بعد احتلال الصهاينة للقدس أعادها الله قريباً الى حظيرة حكم الاسلام والعرب ، ومديره أثناء تأليف هذا الجزء الأول من كتاب « تاريخ مدينة جُدة » هو : عدنان العلمي وكان مديره قبله اسحق خورشيد وله فروع في مكة والرياض والدمام والخبر .

وفي ٢٢ ابريل ١٩٥٠ م ـ رجب ١٣٧٠ هـ افتتح « البنك البريطاني » في جدة ، وهو شركة مساهمة مقرها الرئيسى بلندن عاصمة بلاد الانكليز .

وفي ١١ يونيو ١٩٥٠ م ـ شهر رمضان ١٣٧٠ هـ افتتح « البنك الأهلي الباكستاني » وهو شركة مساهمة مقرها الرئيسى بكراتشى عاصمة دولة باكستان الاسلامية المستقلة المؤسسة من المسلمين الذين استقلوا بدولتهم الاسلامية عن الحكومة الهندوكية بزعامة محمد علي جناح .

وفي ٢٠ ربيع الثاني ١٣٧٣ هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩٥٣م افتتح « البنك الأهلى التجارى » بجدة وهو شركة تضامن بين المواطنين : صالح كعكي وعبد العزيز كعكي وسالم بن محفوظ ، وله فروع في أنحاء البلاد وأرجاء العالم العربي . فكان ثانى مصرف أنشيء بجُدة بهذا لاسم .

فمما يلاحظ متتبع تاريخ المصارف الحديثة بمدينة جُدة أن اسم « البنك الأهلى » قد سبق أن أطلق على البنك الذى صدر الترخيص به في جُدة ابان الحرب الأهلية بين الملك علي بن الحسين والملك عبد العزيز آل سعود ثم أغلق بعد ذلك .

وكان أساس البنك الأهلي التجاري المشار اليه قد وضع في عام

١٣٥٧ هـ حيث أسست شركة تضامنية لتعاطى الأعمال التجارية وخاصة أعمال الصرافـة وتطورت الشركة فأبدلت اسمها باسـم مصرفي ليتفق الاسم مع المسمى ، وفي التاريخ المذكور آنفاً وافقت الحكومة على انشاء هذا البنك باسمه الحـالى ، وهكذا برز الى الوجود هـذا البنك الوطني بالمملكة ومؤسسوه هُم : صالح كعكي وعبد العـزيز كعكي وسـالم بن محفوظ . ويزيد رأس ماله عن « ثمانيـة وثلاثين » مليون ريال عربي سعودي . أما الآن فقد ارتفع رأس ماله عما كان عليه من قبل كثيراً . ومركزه الرئيسى في جُدة ، وله عدة فروع في داخل المملكة وخارجها ، وخاصة في العالم العربي .

وللبنك عدا أعماله المصرفية مشروعات عُمرَانيَّة كبيرة في مختلف مدن المملكة خاصة في جدة ، حيث أنشأ عمارات سكنية تحتوى على شقق مزودة بالماء والكهرباء وتحتها دكاكين ومعارض وشوارع منظمة(١) .

• • •

○○ مؤسسة النقد العربي السعودي :

بموجب المرسوم الملكي رقم ١٠٤٦/٤/٣٠ في ٢٥ رجب١٣٧٤هـ ـ فبراير ١٩٥٤م أنشئت « مؤسسة النقد العربي السعودي » بجدة ، لدعم النقد العربي السعودي وتوطيد قيمته الماليـة ، بالنسبة لِقيَمِ العملات الأجنبية ، وكان ذلك من الحكومة تحقيقـاً لمصلحة الشعب التى تقتضى الحرص التام الواعي على تجنيب خزانة الدولة والأفراد للخسائر التى تنجم عن تقلبات أسعار النقـد الأجنبي في العـالم . وكان مقـر المؤسسة الرئيسى في جُدة ثم نقل أخيراً الى الرياض (العاصمة) وحل في مكانه فرع المؤسسة بجُدة .

---

(١) المملكة العربية السعودية لوزارة التجارة ص٢٨٠ .. ولهـذا المصرف الكبير عمارة ضخمة كبيرة في باب قباء بالمدينة المنورة معدة للسكنى والايجار .. وهي من أكبر العمارات بها .

هذا ولا تتقاضى المؤسسة ولا تدفع أية فائدة على ما تقبضه أو تصرفه ولا تباشر أي عمل يتعارض مع الشريعة المحمدية السمحة .

● ● ●

وفي ١ يوليو ١٩٥٤ م ـ ذي الحجة ١٣٧٤ هـ زاول «بنك القاهرة» أعماله بمدينة جدة ، وهو شركة مساهمة مصرية مقرها الرئيسى بالقاهرة . وقد تحول هذا البنك أخيراً الى بنك سعودي باسم بنك القاهرة السعودي .

وفي ١٥ ديسمبر ١٩٥٤ م ـ جمادى الأولى ١٣٧٥ هـ زاول « بنك لبنان والمهجر » عمله في جدة ، وهو شركة مساهمة مقرها الرئيسى ببيروت عاصمة لبنان .

وفي ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٥ هـ ـ ديسمبر ١٩٥٤ م .. مارس « بنك ذي فيرست ناشيونال » عمله في مدينة جدة ، وهو شركة مساهمة مقرها الرئيسى بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي ٤ يوليو ١٩٥٦ م ـ ذي الحجة ١٣٧٥ هـ زاول « بنك مصر » أعماله في هذه البلدة ، وهو شركة مساهمة مصرية ، مقرها الرئيسى بالقاهرة . ولا يوجد في جُدة الآن (٢٦ ربيع الأول ١٤٠٠هـ)مصرف باسم بنك مصر على ما أعلم .

وفي ١٧ جمادى الأولى ١٣٧٦ هـ ـ ديسمبر ١٩٥٦ م أسس « بنك الرياض » بجدة ، وهو شركة مساهمة سعودية(١) .

---

(١) جاء في التقرير السنوي لمؤسسة النقد العربي السعودي لعام ١٣٨٠ هـ أن المصارف العامة في المملكة العربية السعودية هي اثنا عشر مصرفاً . وقسمها التقرير الى ثلاثة أقسام : مصارف محلية ، وهي ثلاثة : البنك الأهلي التجاري ، وبنك الرياض، وبنك ابراهيم اسماعيل زهران . والقسم الثاني مصارف عربية هي : بنك القاهرة ، والبنك العربي ، وبنك مصر ، وبنك لبنان والمهجر ، والقسم الثالث مصارف أخرى هي : الشركة التجارية الهولندية ، وشركة الهند الصينية، (بنك الاندوشين) وذي فيرست ناشيونال سيتي ،والبنك البريطاني للشرق الأوسط ، والبنك الأهلى الباكستاني .. ص٦٣ من ذلك التقرير .

وأكثر هذه المصارف يقع على طواري شارع الملك عبد العزيز فى القطاع الذى يطوق مدينة جدة القديمة من الناحية الغربية والغربية الجنوبية . أما مؤسسة النقد العربي السعودي فمقرها على طوار شارع المطار بجانب مقر وزارة الاعلام الذى كان الى أواخر سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م مقر المديرية العامة للاذاعة والصحاعة والنشر التى يشرف عليها وزير دولة .

ويقع مقر البنك العربي بجانب سوق السمك القديم قريباً من الشاطىء في الناحية الغربية الجنوبية لجُدة .

فهذه اثنا عشر مصرفاً بجُدة ، مابينوطني وعربي واسلاميوأجنبي. وعلى رأسها جميعاً مؤسسة النقد العربي السعودي : مصرف الدولة الرسمي . ووجود المصارف بهذا العدد في جُدة ، يدل على الجدوى الاقتصادية للمدينة التى تعمل فيها هذه المصارف .

الصّناعة والمصانع بجُدَّة



الحالة الصناعية في جُدة في تحسن مطرد ، بالنسبة لما كانت عليه .

وكانت فيها صناعات يدوية قديمة أخذ بعضها يضمحل تحت وطأة عوامل التغيرات العصرية الحديثة ، وبعضها لا يزال على ما كان عليه ، وبعضها تناوله التحسين والتجديد .

كما دخلت اليها صناعات حديثة جُل اعتمادها على الآلة الحديثة حسب ما يجرى في العالم الحديث . دخلت هذه الصناعات جُدة منذ زمن غير بعيد . ثم طرأ عليها شيء من الانكماش ، بانكماش الحالة الاقتصادية ، ثم طرأ عليها شيء من التحسن والتقدم أخيراً ، بانتعاش الحالة الاقتصادية في البلد .

ونحن في هذا الباب ذاكرون ما توصلنا الى وجوده ، في مدينة جُدة ، من ألوان الصناعات القديمة والحديثة .

فمن الصناعات اليدوية العريقة في جُدة ، صوغ الحلي الذهبية المختلفة ، كالأساور والسلاسل والأقراط والخواتم وما أشبه . وصياغة الفضة في مثل ذلك ، والخلاخل التى تكاد يبطل استعمال النساء لها في جُدة .

وكذلك صناعة أواني الفخار ، من أزيار وقُلَل ومغاريف وأباريق ، وربما كان من ذلك صنع الدوارق والبرم «بضم الباء بعدها راء مفتوحة مهملة» جمع برمة وهي قدور الخزف .

والبرم صناعة حجازية قديمة ولها ذكر في شعر نابغة بنى ذبيان في حجه الى مكة(١) أيام الجاهلية القريبة جدا من مبدأ الاسلام ..

وكذلك صناعة الزخرفة لأخشاب سقوف المنازل ونوافذها وأبوابها وخزائن الكتب وخزائن الملابس وصناديقها وأرائك المنزل ،

---

(١) ذكر النابغة البُرَم في ديوانه بقصيدته التى هي من وزن البحر البسيط . وذلك في هذا البيت الغزلي بالذات :

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت ... ولا تبيع بجنبى نخلة البرما

« ديوان النابغة الذبياني ص٥٢ مطبعة السعادة بمصر » .

وكراسي الشريط البلدية التى لا بد أن تنقرض يوماً مَّا . اذا لم يدخلها الكثير من التحسين وكذلك صناعة التطريز لأكمام الثياب والصدريات وياقات الثياب وأطراف السراويل، والثياب، وصناعة السُّبَح (بضم السين بعدها باء مفتوحة) جمع سبحة من المرجان الأسود المعروف هنا بِاليُسْرِ وخلافه .

ومن الصناعات القديمة صناعة عصر الزيوت واستخراجها من السمسم ، وكانت مَعَاصِرُها البلدية تدار بالجمال والحمير . ومن هذه المعاصر القديمة معصرة أبى الخيول في حارة الشام ، ومعصرة قداف اليماني بحارة الشام ، ومعصرة آخرى في سوق العلوي . ولاتزال بقية من هذه المعاصر البلدية تعمل الى الآن، ففى خارج باب شريف من ناحية السبيل توجد اليوم معصرتان متجاورتان ، لعصر السمسم واستخراج الزيت منه ، ولا تزالان تداران بالجمال ، ويملكهما « جابر اسحاق » من أهل جازان . وهذه المعصرة عبارة عن جذع شجرة مجوف على شكل المهراس يوضع فيه السمسم ويُهرَسُ بِقُطب من نفس الشجرة . وكانت المعصرتان في داخل السبيل ثم نقلتا منه الى هذا المكان ، كما أن هناك مصنعاً لعصر الزيوت أسسه حسين فايز أحد تجار جُدة .

ومن صناعات جدة القديمة صناعة صبغ المنسوجات القطنية بمختلف الأصبغة ذات الألوان المختلفة(١) . وغالباً ما تكون ثابتة عليها .

وصناعة بناء السفن ذوات الشُرُع وذوات المجاديف ، هي من صناعات جُدة العريقة(٢) ولا تزال بقية منها موجودة بجُدة الى اليوم ، وقد حدد لنا محمد صالح باعشن المكان الذى تصنع فيه هذه السفن في عصره فقال : « وكان من وراء هذا الحوش فضاء ثم باب ملتصق بسور البلدة منفذ الى جهة البحر ، وهذا الباب يسمى باب شريف(٣) ، وكان

(١) دائرة المعارف لبطرس البستاني م٦ ص٤٠٤ .
(٢) أضواء على المملكة العربية السعودية ص٢١٩ طبع جدة .
(٣) لعل سبب تسميته بذلك أن جند أحد الأشراف دخل منه على جنود شريف آخر . وقد هدم السور الذى كان في مكان باب شريف .. وجدير بالذكر أن الاتراك كانوا قد كتبوا على هذا الباب بحروف بارزة عليها طلاء أحمر : (يا ستار) كما كتبوا على باب المدينة « باب جديد » : (يا لطيف) وعلى باب مكة : (يا حافظ) « عن الشيخ محمد نصيف » .

الصناع الجُديون يصنعون بأيديهم وبمطارقهم في ذلك الفضاء . السواعِي الكبار والصغار والهواري وكانت ورشة عظيمة لا يستهان بها تقريباً مثل القودى « أي مصنع السفن » الذى تُبنَى فيه المراكب الكبار . وكل ما تم بناء سفينة أنزلوها الى البحر ، ويكون في أيام نزول السفينة شأن عظيم من مجتمع العالم الذين يخرجونها . وبعد ذلك أهمل بناء السواعي ، وزالت دولتها من الحجاز ، وبقى المحل متروكاً الى مدة الملك حسين بن علي . فبنى في ذلك الموضع مُقهَى سُمِّي بالمنتزه . ثم بعد زوال ملك الحسين باعها الملك علي لورثة صالح الفضل . وبنى هذا عليها طبقات . وسكنها البنك الهولندي سنة كاملة . ثم ظهر في سفلها خراب حيث كان بناؤه للمقهى . بناء دَشتاً « أى بدون أساس » ثم نقل البنك منها ولم تؤجر حتى يومنا هذا»(١)

● ● ●

هذا وقد أدت صناعة السفن بجُدة خدمة كبيرة لاقتصاد الحجاز خاصة وبلاد العرب عامة ، عبر القرون الغابرة(٢) . وحينما أقبل عصر البخار على البلاد كان يعيش من دخل هذه الصناعة كثير من تجار جُدة وعمالها وأهلها ، كما أفاد منها صيادو الأسماك ومستخرجو اللؤلؤ من أعماق البحر الأحمر . وكذلك رجال البحر ، ومُوَرِّدُو أعواد الأشجار التى تصنع منها السفن . وكان لهذه الصناعة طائفة مخصوصة يتزاور أفرادها ويتحاورون لمعرفة ما يتجدد في فن بناء السفن ، وكانت كل طائفة تخضع للقوانين الخاصة بها ، وكان لكل طائفة شيخ .

وكانت هذه الصناعة الوطنية تقوم على مواد أغلبها مَحَلِي ، عدا ألواح الخشب الكبيرة التى تستورد من الخارج . ويدخل في صناعة السفن أعواد أشجار الأثل والسدر والطلح . وتستورد الى ميناء ينبع

(١) محمد صالح باعشن : مذكراته الغطية ص٦ ويقصد بقوله (الى يومنا هذا) سنة ١٣٥٩ هـ .
(٢) ورد في الروض المعطار في أخبار الأقطار أن لجدة مراكب كثيرة ، ويصطاد بها السمك الكثير (النسخة الغطية بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة) .

البحر من صحراء بُواطـ وبعض الصحارى من ينبع النخل ، والى ميناء الوجه وضبا ، كما تستورد من صحراء وادى الحمض الى جدة . أما الدُسُر «بضم الدال والسين المهملة بعدها راء مهملة» أى المسامير التى تربط بين أخشاب السفينة ، فكانت طائفة الحدادين الوطنيين تصنعها في كل الموانىء الحجازية التى تصنع بها السفن ، وكان أصغر هذه المسامير ذا ثمانية سنتيمترات وأكبرها ذا خمسين سنتيمتراً .

وتنقسم السفن الى عدة أقسام ، فتبتدىء من التى تحمل ثلاثة أطنان ، وتنتهى بما حِملُه مائة طن ، وهي السفن الشراعية الكبار التى تمخر عباب البحار ، وتسمى السفينة ذات حمل ثلاثة أطنان أو خمسة باسم : «البُوت « بضم الباء بعدها واو ساكنة سكوناً ميتاً فتاء فوقية مربوطة «أو الهُورِي» بضم الهاء بعدها راء مكسورة فياء » . ويستعمل هذا النوع صائدو الأسماك ، وتسمى التى تحمل عشرة أطنان أو خمسة عشر طناً بالساعية . ويستعملها مستخرجو اللؤلؤ والأصداف والمحار ، ويباع هذا في أسواق السودان بأسعار جيدة . وتسمى السفينة التى تحمل خمسين طناً الى سبعين ـ بالقطيرة أو السنبوق أو السنبوك .. ويستعمل هذا النوع لنقل المواد التجارية بين جدة وجازان وينبع وضبا وأملج والوجه ، ويسمى ما يحمل منها ثمانية وتسعين طناً الى مائة طن بالسفينة ، وتستعمل في نقل المنتجات المحلية كالفحم والحناء والتمور الى الموانيء الخارجية ، كالسويس وعدن . كما تستعمل في نقل المواد الغذائية والسلع والبضائع من الموانيء الخارجية النائية في البحرين : الأحمر والهندي ، وفي البحر العربي ـ الى جُدة ، ومنها الى السودان وغيرها . وكل هذه السفن شراعية تجرى بهبوب الريح وتهتدى في رحلاتها بالبوصلة وبالنجوم ، ويدير حركة سيرها ربابنة مَهَرَة من أهل البلاد(١) .

(١) مجلة التجارة بجدة : العدد الصادر في شعبان ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢ م ص ٣٥ ومصادر أخرى .

وكتب مستر تويتشل تحت عنوان : « بناء السفن » : « ان بناء السفن يعتبر صناعة هامة في معظم موانيء البحر الأحمر وعلى الأخص في جُدة وجازان . فالهَرَّاب والأضلاع تصنع من الخشب المقطوع في الجبال الداخلية وتقوسات جذوع الشجر الطبعية ، وأما الأطراف والخطاف فتثبت بمهارة في اطار السفينة ، وليس هناك تنجير أو تقويس صناعي للخشب ، أما تصفيح الجوانب أو القشرة كما هو الحال في ظهر المركب فيكون عادة من فصيلة خشب شجرة الساج الذى يستورد من الهند أو جاوة . وكثيراً ما تعمل مسامير الحديد محلياً ، عند الحدادين الوطنيين ، وتدفع داخل خروق مثقوبة ، وتصنع رؤوسها المسطحة الكبيرة بحيث لا ينفذ منها الماء حيث يلف حولها القطن الغفل المحلي . وفي أحوال كثيرة تشق الألواح الجانبية بحيلة بارعة بوضع الألواح واحداً فوق آخر حتى يسهل تركيبها . وأما جلفطة السفينة فتتم بنقع القِنَّبِ في الزيت أو القطران ، ويستعمل زيت الشحم وبعض الزيوت المستوردة للدهان أو لمزجها بالطلاء ، وتعمل أصباغ محلية بيضاء وخضراء وحمراء وهذه الأصباغ منتشرة الاستعمال بشكل عام.

ويقال : ان سنابيك الصيد الرشيقة المزدوجة الرأس التى تمخر عباب البحر الأحمر ، مماثلة لتلك السنابيك الفينيقية القديمة التى كانت تحمل التجارة لأول مرة بين شرق البحر الأبيض المتوسط وكورنوال ، ولكن السنابيك المستعملة كصنادل في الموانيء المختلفة تختلف عن القديمة تلك ، فهي أعرض منها كثيراً بدعامتها ، كما أنها ذات تقوس أَحَدّ ، ومؤخرتها مربعة ، وليست جميلة المنظر كالقديمة ، الا أن الصارى المنفرد المائل الى الأمام ، الثلاثي الشكل ، عادى في كلا النوعين . وسنابيك الخليج العربي تختلف كذلك عن هذه ، اللهم الا في القلاع ، والشُرُع فتقوسها ومؤخرتها عموديان ، ومؤخرتها معلقة على درجة « ٤٥ » ويجرها عادة صندل يستعمل كخزان للماء العذب

خلف سنابيك اللؤلؤ كلما كثر الملاحون من الغواصين والبحارة »(١) .

ooooo

وقبل بضعة أعوام كنتُ وَقَفتُ في جُدة على عملية بناء سفينة متوسطة الحجم، بشاطىء البحر بالجهة الغربية الجنوبية لجُدة(٢) ، كان بها نجارون وطنيون يثبتون ألواحاً بالدُسُر : « المسامير » الكبيرة المصنوعة محليا ـ بوساطة المطارق ، فلما انتهوا من عملية بنائها وربطها رأيناهم يطلونها من الخارج حتى لا يتسرب ماء البحر الى داخلها ، وقد استحال لونها المبيض بهذه العملية الى لون داكن وبعد ذلك رأينا عملية انزالها الى البحر وهي تنزلق اليه بانتظام وبهدوء .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أنه فيما بين عامي ١٢٦٠ هـ و ١٢٨٠ هـ كان يرد الى جدة « مائة مركب ومركب شراعي » في كل عام.. كان هذا الأسطول التجاري الشراعي الجُدِّي يرد محملا بمختلف البضائع المصدرة من بلاد العالم الى جدة ، لتموينها وتموين الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العرب. وكانت مصادر تلك البضائع الواردة الى جُدة على هذا الأسطول، من كلكتا بالهند، ومن البصرة بالعراق ومن بلاد الشرق الأقصى كاندونيسية وملايو وما أشبه . والعادة أن يرد هذا الأسطول التجاري الى جدة دفعة واحدة وفي موعد محدد من السنة(٣) فتتفرغ هذه السفن شحناتها الكبيرة فى المخازن المعدة لذلك ، بداخل جُدة المعروفة « بالأحوشة » وتمتلىء هذه الأحوشة بمختلف البضائع والسلع من أرز الى أنواع الحلوى وأقمشة ومصنوعات وغيرها . ومن ثم تغرق جُدة أسواق العالم العربي ببضائعها من أطعمة وألبسة الخ .. وتوزع

---

(١) تويتشل : المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية : ترجمة شكيب الأموي الى اللغة العربية ص٤٢ و ٤٣ .

(٢) يعتبر هذا المحل بالذات امتداداً لمحل صناعة السفن .

(٣) وكان ذلك في الاغلب بشهر رمضان حتى نهاية شهر صفر في السنة التالية ، وهو زمن يتفق مع كثرة الاستهلاك لانه يصادف مواسم الحج .

من جُدة كل هذه الأصناف على مدن الحجاز ومصر والشام وغيرها من بلاد الشرق العربي(١) .

كان ذلك قبل فتح قنــاة السويس وكانت تلك السفن الشراعيــة تقوم في جرأة باختراق المحيط الهندي ، وكان ربابنتها وطنيين عرباً من جدة ، وكان ملاكها أغنياء من أهل جدة أيضاً ، وكان آخر مركب من هذا النوع هو المركب الذى كان يملكه الحــاج أحمد غلُّوم حــول مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري .

ومن باب الاحتياط لحوادث الغرق ان التاجر الجُـدِّيّ الواحد كان يوزع بضائعه أو نقوده الواردة اليه من الخارج على مراكبه توزيعــاً يأمن معه من الخسارة الفادحة فيما اذا قدر على بعض هذه المراكب أن يغرق مثلا في عرض المحيط الهندي أو البحر الأحمر ، وهذا دليل قائم على حذق وبراعة تجارية جديرين بالتقدير ، وهو لا محالة نتيجة تجارب مرت بهم في هذا الميدان .

وقد بلغ من تدفق الأرزاق على جدة من هذا الأســطول التجــاري الشراعي أن هبطت قيمة كيس الأرز الجيد في عام ١٢٦٠هـ الى روبيتين هنديتين اثنتين فقط .

وقد أشارت « دائرة المعارف الاسلامية » الترجمة العربية بمصر ، الى الازدهار التجاري الذى كان يرفرف على جــدة ، ونسبت ذلك الى كونها مصدراً عالمياً من مصادر التجارة البحرية ، فقد أثارت المكوس التى تجبى من السفن الهنـدية الموردة للبضــائع الى جــدة ، اضــافة لأسطولها التجاري الوطني الخــاص ــ جشــع أمراء الحجاز وحــكام مصر : « المماليك » ــ فتولوا هم بأنفسهم جمع هذه الرسوم(٢) .

ومن دلائل وفرة موارد جُدة التجارية من البحر ، أن دَخلَ مرفئها كان يُقتَسَمُ أيضاً في عهد الترك(٣) .

---

(١) عن الشيخ أحمد محمد صالح باعشن رحمه الله رحمة واسعة ، فقد انتقل هذا الشيخ المعمر الطيب الذكر والفعال الى رحمة ربه في ليلة الجمعة الموافقة ٢٨ من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ هـ .

(٢) المجلد السادس ، من دائرة المعارف الاسلامية : ص٣٠٩ و ٣١٠ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

وحينما فتحت قناة السويس بدأت تجارة جدة وصناعاتها في الانكماش والضمور ، كما استعملت البواخر في النقل والانتقال بدلا من المراكب الشراعية .

تقول دائرة المعارف الاسلامية : ان « مصر تزود مكة بالمؤن عن طريق جدة ومن ثم كانت جدة مفتاحها ، كما أن البلدتين اعتمدتا على مصر اقتصادياً فسياسياً »(١) .

ويترآى لى أن هذا القول لا يصح اطلاقه هكذا بل يحسن أن يقيد « ببعض الأحيان » فقد مضى على جدة زمن كانت فيه قطب رحى التجارة في هذه المنطقة بوساطة أسطولها الشراعي التجاري الذى كان يُصنَعُ في مرفئها . ويدلنا على ذلك أن دائرة المعارف الاسلامية نفسها تحدثت بأن نجاح جدة التجاري العظيم يؤرخ من ابتداء القرن الخامس عشر الميلادي ، عندما أصبحت مركز التجارة بين مصر والهند .

وفي جُدة صناعات السعف والجريد ، وكلاهما يصنع من نخيل وادى فاطمة القريب من جدة بنحو « ٦٠ » كيلومتراً الى الشرق الشمالى منها، وكان يصنع من السعف ، المراوح والمكانس والمكاتل والزنابيل وسجاجيد الصلاة والخسف الكبير والصغير الذى تفرش به المنازل ، والمساجد ، كوقاء للمفارش والمصلين من تراب الأرض قبل عصر البلاط . وقد وصف لنا ابراهيم رفعت باشا في كتابه : « مرآة الحرمين » الحُصُر التى شاهدها مفروشة في مساجد جُدة سنة حجه ١٣١٨ هـ فقال : « وبها ــ أي بجدة ــ خمسة جوامع وثلاثون مسجداً مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة الا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو »(٢) .

ويبدو لنا من فحوى قوله : ان تلك الحُصُرَ ناعمة ، أنها من صنع

(١) نفس المصدر في هامش الصفحة السابقة ، ص٣٠٩ .
(٢) مرآة الحرمين ص ٢٢ .

مصر أو الهند . وليست من سعف نخيل الحجاز ولا من صنعه ، لأن ما يصنع محلياً من هذا السعف خشن ، كما هو معروف ولم يستطع الصناع الحجازيون أن يرطبوه .

كما تصنع الحبال من سعف النخيل ، وتستعمل حبال السعف هذه في شد الأمتعة ، وفي صناعة كراسى الشريط ، البلدية المستطيلة المترهلة التقليدية التى توضع في المقاهي البلدية بجُدة وغيرها حتى اليوم .

وصناعة بناء المنازل صناعة أتقنها أهل جُدة . . وربما كانت أصولها قد تسربت اليهم من تركيا أو من مصر أو من الهند أو من الجميع ، بدليل أن أبنية جُدة القديمة فيها ملامح من طراز بناء هذه الأقطار . وتمتاز البيوت القديمة بالرواشن المزخرفة البارزة الى الأمام ، عن حدود جدران العمارات ، وبالأبواب المنقوشة نقشاً زاهياً رائعاً . وهذه الرواشن والأبواب تصنع من الخشب الهندي الأحمر المخروط ، وربما نقش سقف بعض الغرف بها وخاصة المجلس الكبير نقوشاً عجيبة ملونة بأصباغ ثابتة منسجمة .

وتمتاز البيوت القديمة بسقوفها العالية لتتسرب أكبر كمية من الهواء الى داخل المنزل ، كما تمتاز بأبهائها الواسعة .

وكان من أجمل هذه البيوت ، بيت السيد عمر السقاف ، ومنزل المُحَافِظ(١) . وقد أخذ صاحب كتاب مرآة الحرمين «العربي» بعض رسوم لهذه البيوت الشرقية الطراز الجميلة الهندام . كما أخذت بعضها دائرة المعارف البريطانية « طبعة سنة ١٩٤٦ م » كنموذج رائع من نماذج طراز البناء الشرقي الأصيل .

بل ان أيوب صبرى باشا في كتابه الذى ألفه باللغة التركية وأسماه: « مرآة الحرمين » الذى طبع في القسطنطينية سنة ١٣٠٦ هـ وصف لنا قصر السيد عمر السقاف الذى أشار اليه ابراهيم رفعت في كتابه العربي

(١) المحافظ بضم الميم هو حاكم جدة في زمن العثمانيين .

«مرآة الحرمين» أيضاً ــ وصفه بأنه أروع وأضخم وأفخم بكثير وكثير، من أفخم قصور القسطنطينية نفسها . نص على هذا في كتابه المذكور حين قال :

« وقد عمر فيها ــ أى في احدى مرتفعات جُدة بالكندرة ــ السيد عمر السقاف عمارة مكملة متينة وأثثها بأثاث فاخر ، كلفته من « ٢٠٠٠ » جنيه الى « ٣٠٠٠ » جنيه « أى جنيه عثماني ذهباً » وذلك قيمة المزخرفات الهندية والصينية التى جلبها لهذه العمارة » .

ثم قال : « والذى يظهر من رواية الراوي أن معرض «بدلتمارشه» المشهور في القسطنطينية اذا نسبناه لهذه العمارة فكأننا نمثل المعرض المذكور بدكان ألاعيب في محلة أيوب سلطان » .

كما وصف عمارة السيد عبد الرحمن طاهر باشا الواقعة قريباً من عمارة السيد عمر السقاف ، بأن عمارة القسطنطينية المشهورة المذكورة تكون الى جانبها مثل « كوخ حوَّات »(١) .

وكان يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي ، أعطانا في كتابه « تاريخ المستبصر » وصفاً مركزاً لمبانى جُدة في عهده : القرن السابع الهجري قال :

« وبناؤهم من الحجر الكاشور وخوص ، وكلها خانات » ، والخان المعروف بها « خان البصر » وهما خانان متقابلان بمخازن كبار ، ويقال : انه بنى بظاهرها « أى جُدة » الأمير شمس الدين طنبغا ــ خاناً كبيراً عظيماً ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة » .. كما أشاد المؤلف بالدور المبنية بالحجر والجص(٢) .

وكان محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامي المقدسى المعروف

(١) أيوب صبرى : مرآة الحرمين م ٣ ص ١٩٦ .
(٢) ص ٥٢ طبعة ليدن سنة ١٩٥١ م .

بالبشاري وصف لنا من قبل ، قصور جُدة ، بأنها قصور عجيبة . وكان البشاري حج في سنتي ٣٥٦ و ٣٦٧هـ كما أورده في الصفحة « ١٠١ » من كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » وبعض هذه البيوت التى بناها بناؤون حجازيون قبل عصر التطور الحالى أى قبل عام ١٣٤٨ هـ قد ظل ثابت الأركان متين البنيان ، مع أن بعضها قد مر عليه ما ينيف عـلى مائة عام ، مثل بيوت : عبد الله نصيف الجد الثاني للشيخ محمد نصيف الواقعة في حارة اليمن .

وكان بعض هذه المباني تجلب له حجارة أعتابه من الهند ، صقيلة جميلة ، وذلك مثل بيت محمد صالح بن علي باعشن ، التاجر الجُدّي المعروف . وكان لبعضها أبواب مزخرفة زخرفة عربية، تذكرنا ببغداد، في عصر الرشيد ، وقرطبة في عصر الأمويين ، كما يشاهد في رسم باب وعتبة دار آل باعشن في حارة الشام . وكما يشاهد في رسم المنزل الذى نشرته دائرة المعارف البريطانية .

وكانت في جُدة صناعة الشقادف(١) وهي المحامل التى يركبها الحجاج ، وتوضع على جمل في هيئة قبة ، وهي على نوعين : شقادف ذوات طابع بدائي مهلهل ، تتكون من الخسف وما أشبه ، ومن عيدان السَلَم ـ بفتح السين واللام ـ وهو شجر معروف في الحجاز ، وتعرف باسمه المحطة الأولى بين جُدة ومكة : (أم السَّلَم) . وشقادف من خشب خارجي ، مخروطة منظمة أحسن بكثير من تلك .

كانت هذه الصناعة رائجة أيام كان النقل والانتقال يتم على الجمال بين مدن الحجاز .

وهناك صناعة الرحال : رحال الجمال والذُلُل (جمع ذلول) التى تسير بِرُكَّابِها في سرعة أكثر من سرعة القوافل المترابطة .

(١) في القاموس : ان الشقدف مركب معروف في الحجاز .

وصناعة السروج للخيل والبغال ، والبراذع للحمير ، واللُجُم (جمع لجام) للبغال والحمير .

وكان من مستلزمات البناء وجود نجارين يصنعون الأبواب والسقوف والشبابيك والخزائن الجدارية للبيوت . وهؤلاء النجارون كانوا يتعلمون نجارة ما ذكر وزخرفته على أيدى نجارى الهند الذين كانوا يفدون على السفن الشراعية في أيام مواسم الحج وغيرها حيث يبقون مدة ثلاثة أشهر ونحوها بجُدة كل عام ريثما يتم حجاج الهند حجهم وزيارتهم للمدينة المنورة . فاذا عادوا الى جُدة ركبوا معهم السفن قافلين الى بلادهم(١) .

• • •

ومن الصناعات الباقية لليوم صناعة القِطَانَة وهي ندف القطن وعمل المراتب ، (الطراريح) واللُحُف والمَخدات منه ، وكسوتها بزاهى الأقمشة أو عَادِيّها . ويلاحظ في صناعة بعض اللُحُف حتى الآن دقة تطريز وخياطة تجعلها قيد الأنظار .

ونَحتُ حجارة بناء البيوت كان سائداً . وهذه الحجارة التى تُنحت بشكل مربعات اما أن تكون من الحجر المَنقبِيّ ، أو حجر البحر ، وبها تشاد البيوت ليس غير ، فيما مضى . ويستلزم ذلك وجود نحاتين في البلد ، ولا تزال بقايا ضئيلة جداً من هؤلاء .

والتطريز من المهن القديمة في جُدة ، كسائر مدن الحجاز . والعادة أن يقوم به النساء في بيوتهن ، يطرزن بأيديهن ثيابهن وأطراف ثياب ذويهن ، وقد تطور التطريز قبل أمد فصار بالآلات الحديثة ، وصارت سجاجيد الصلاة وغيرها تطرز بهذا الشكل السريع ، والآن اختفت هذه الصناعة أو كادت لطغيان وارد الأقمشة المزخرفة المطرزة والاستغناء بها عن تلك .

وكان من مبادىء دخول الصناعة الحديثة في جُدة أمور ثلاثة :

(١) عن الشيخ محمد نصيف .

الأول : مُقَطِّرَةُ الماء «الكنداسة» التى جلبتها الدولة العثمانية الى جُدة لتخليص الماء العذب للشرب من ماء البحر الأجاج بطريقة التقطير(١) فهذه الآلة التى أدخلت الى البلد في أوائل القرن الماضى تعتبر ـ في نظرى ـ من ارهاصات التطور نحو الصناعة الحديثة، وقد أدرك الناس منها أمراً عجباً ، يتمثل في أن الصناعة الحديثة بوسعها أن تحول الماء الملح الطَّبَعِيّ الى طبيعة أخرى مضادة هي العذوبة المطلقة ، ولا بد أنه كان بكنداسة جُدة بعض موظفين وعمال من سكانها ، اطلعوا على سر هذا التحويل العجيب ، فوجه ذلك أنظارهم الى أهمية الصناعة الحديثة بالنسبة لما يمكن أن تفيد به الحياة العامة والخاصة على السواء .

الثاني : الطباعة . والطباعة حدث عظيم في كل بلد تنشأ فيه ، وتتمثل أهميتها في التطور الذى تخلقه في تفكير الناس ونشر الوعي بين طبقاتهم ، بتمكنها من تحويل النسخة الواحدة من الكتاب الى ألوف ومئات ألوف في أمد محدود ، وتحتاج الطباعة الى عمال فنيين صفافين وطباعين وغير ذلك .

دخلت الطباعة مدينة جُدة في عهد الدولة العثمانية في أوائل هذا القرن الهجري .

الثالث : مصنع الآلات الحديثة الذى كان في جُدة أيام الملك حسين ابن علي ، فقد أبدى لنا حسين نصيف أنه « كانت في جُدة ورشة صنعَت دبابة للملك علي . وكم مرة وقفت وسحبت بالجمال»(٢) وكانت هذه الورشة في محل عمارة البنك الأهلى بالجانب الجنوبي ، لشارع الأمير فيصل .

وفي عهد الحكومة السعودية سارت الصناعة الحديثة ، خطوات

(١) كان موضع عمارتها في محل ادارة بريد جدة الآن على ساحل البحر .
(٢) حسين نصيف : ماضى الحجاز وحاضره ص ١٨٩ .

تقدمية بالنسبة لما كان عليه أمرها من قبل . فقد بدأت الآلة تحل محل اليد العاملة في كثير من الأعمال .

وقد أسس مصنع للصابون في شارع الملك سعود بالقسم الجنوبي منه برأس مال حكومي وزيد الى قيمته الأساسية سنة ١٣٧٦ هـ مبلغ خمسة ملايين من الريالات السعودية ، وقُدِّرَ انتاجه سنة ١٣٧٧هـ ، بما يقارب « ٩٠٠ » طن من الجلسرين ، ونحو سبعة آلاف طن من السمن النباتي . أما الصابون فيقول عنه كتاب « أضواء على المملكة العربية السعودية » ان بامكانه أن يقوم بالكفاية المحلية من الصابون(١) .

فان كان يقصد بالكفاية المحلية، كفاية المصنع لمدينة جُدة وحدها ، بما ينتجه من الصابون ، فذلك يعود تقديره الى الجهات المختصة التى تعرف مدى كفايته من عدمها ، وان كان القصد ، كفاية المملكة فانى لا أرى أن هذا المصنع كان بوسعه أن يقوم بذلك ، على أنه قد أغلق فيما بعد .

وقد أنشأ عبد العزيز جميل برأس مال قدره أربعمائة ألف ريال سعودي ، مصنعاً لدباغة الجلود وصناعتها ، ليقوم بهذه المهمة بدلا من أن تصدر الى الخارج الجلود الخام التى تسلخ مما يذبح في البلاد أو يورد اليها من الأنعام خاصة أيام موسم الحج . وزيد رأس المال بعد ذلك الى مليوني ريال ونصف المليون ، واشتغل المصنع بعمل الأحذية وما أشبه ، فقارب انتاجه « ٧٠٠ » زوج من الأحذية يومياً ، عدا الأنواع الأخرى من حقائب السفر وحقائب النساء وما الى ذلك(٢) .

وأخيراً تسرب العجز الى شركته ، حتى عجزت عن شراء جلود البقر

(١) المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر : أضواء على المملكة العربية السعودية ص ٢٢٠ طبع جدة سنة ١٣٧٧ هـ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .

الداخلية التى تصنع منها الأحذية والحقائب . فسمح للتجار بتصديرها الى الخارج ريثما تستعيد الشركة قدرتها الصناعية والشرائية .

وهناك صناعة اصلاح السيارات .. بدأت هذه الصناعة تدخل جُدة بصورة جدية خلال الحرب العالمية الثانية ، وعقب انتهائها مباشرة . والسبب ما عانته البلاد من ندرة أدوات السيارات التى بدأ استعمالها ينتشر في المملكة اذ ذاك . وكانت السيارات تسير في طرق غير معبدة ولا مسفلتة ، مليئة بالحجارة والمطبات مما يعرض أجزاءها وأجهزتها للتلف السريع والحاجة الى قطع غيار جديدة . وفي الحرب العالمية الثانية افتقدت هذه القطع أو كادت بما فيها الكفرات واللساتك فاقتضت الحاجة ايجاد بديل محلي يسد هذا الفراغ الكبير فنشأت من ذلك هذه الصناعة الجديدة التى تقتصر على اصلاح القطع الخربة ، أو انتاجها في مصانع وطنية بالآلات الحديثة الميسرة .. والحاجة أم الاختراع دائماً .

أغلب هذه المعامل التى قامت بهذه المهمة كانت توجد في ناحية باب مكة وشارع مكة . ولما تواردت الأدوات وقطع الغيار والكفرات اللازمة من الخارج بعد ارفضاض الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات ـ بالكثرة المنشودة الكافية الوافية بالمرام فتحت لها دكاكين ومعارض في نفس الشارع والمكان ، وأبدلت ورش اصلاح السيارات بورش سبك أسياخ الحديد وأبواب الحديد اللازمة للمباني في نفس الشارع أيضاً ، تمشياً مع الحركة العمرانية التى نشأت مؤخراً . وهكذا صفيت المعامل الوطنية الصغيرة التى كان بامكانها أن تكون شيئاً مذكوراً ومفيداً في الحركة الصناعية هنا لو وجدت تشجيعاً وتنظيماً يمكنانها من مقاومة حركة التوريد .

• • •

وقد استتبعت النهضة العمرانية بجُدة انشاء مصانع للطوب الأحمر

الحراري في الكيلو الحادي عشر بطريق مكة المكرمة ، وجهز مصنع هذا الطوب بفرن كهربائي ، وبالأجهزة الميكانيكية الآلية الحديثة . وكان ينتج الألوف من هذا الطوب المجوف القوي الخفيف . أنشأ هذا المصنع عبد العزيز جميل أحد تجار جُدة ، في ضاحيتها الشرقية ولكنه توقف أخيراً وبقيت أطلاله شاخصة للعيان . وكان موضع هذا المصنع قريباً من الكيلو العاشر صوب مكة . ولا تزال أطلاله ماثلة للعيان على طوار الشارع العام المؤدى الى متنزه « الكيلو العاشر » الذى أنشأه ورفع مستواه محمد بادكوك حتى صار أول متنزه ، فيه ما يطلبه قاصدوه من ألوان الطعام والشراب الحلال ، وهو مضاء بالكهرباء النيرة منظم تنظيماً عصرياً حديثاً واسع الأرجاء ، حافل بالأشجار الظليلة والنافورات والأماكن الأنيقة الواسعة على خير ما يرام ، وبأماكن حفلات الزواج والأفراح والحفلات الخاصة . وقد صار ملتقى شعبياً عاماً لأهل جُدة ولمن يفدون اليها من الداخل والخارج ، يقضون به الأسمار البهيجة آناء الليل وأطراف النهار ، ويلعب به الأطفال في أراجيح قائمة هناك في أسعد أوقاتهم .

وفي الكيلو ١٤ بطريق مكة أنشأت رئاسة العينالعزيزية أول مصنع وطني لأنابيب الأسمنت الضخمة الواسعة الفوهات ، لتواجه بها متطلبات أعمال العين العزيزية حيال امدادها بها من منابعها بوادى فاطمة : « مر الظهران » حتى مدينة جُدة .

وقد أنتج هذا المصنع الوطني مئات أنابيب الأسمنت القوية ، وأغنى رئاسة العين عن استيرادها من الخارج ، كما فتح عملا لعمال سعوديين ، وضمن دخول صناعة حديثة في البلاد . والفضل في ذلك يعود بعد الله الى تصميم رئيس العين العزيزية : عثمان باعثمان وخليفته على رئاسة العين : حسين الصافي .

وفي الكيلو ٢٤ طريق جُدة ـ مكة قبل بحرة أنشأ محمد بن لادن

مصنع الطوب الجيري الأبيض ، وزود المصنع بفـرن كهربائي متـأجج لحرق ذلك الطوب ، وأنشئت بجواره مبان للادارة والموظفين والعمال، تبدو كقرية نموذجية صغيرة محاطة بجبال جُرد دُكن .

وقد أنتج هذا المصنع ألوفاً من هذا الطوب الذى أقبل الناس لأول وهـلة على شرائه لبنـاء منازلهم وعماراتهم في جُدة وفي مكة . وكان المصنع في بداية تشغيله نشطاً ، ثم فترت حـرارة نشـاطه ، ثم توقف نتيجة لما لحقه من خسائر مادية . والآن أعيد تشـغيله بصورة أصـغر مما كان ثم توقف فيما بعد .

وفي جُدة مصانع عديدة لصناعة جديدة لم يكن لها عهد بها قبل هذا العهـد . مثل صـناعة بلاط الموزايكو المزخرف بقطع المرمر الملونة ، والأسمنتى الابيض والأدكن والمخدد(١) وقد أغنت هذه المصانع البلد عن جلب كثير من هذا اللون الضروري للبيت الحديث من الخارج ، بل ان هـذا البلاط صار يصدر منه الى مكة وغيرها .. كما أنشئت أمثال له في مكة والمدينة أيضاً . وهكذا أوجدت بالبلد صناعة حديثة شغلت أيدى كثير من العمال المواطنين وغيرهم ، وقد انخفضت أسـعاره لكثرة الانتـاج وللمنافسة ، فقيمة المتر المربع من أنفس نوع هي حول خمسة ريالات عربية ، ومن غيره نحـو ثلاثة ريالات ونصف ريال . وحينما ارتفعت تكاليف صنعه كثيراً حل محله غالباً ما يستورد منه ، من الخارج في كثير من الأحيان .

ويوجد أغلب هذه المصانع في شرق جُدة على شـارع مكة المكرمة ، ومن أهمها مصانع الجردى والكعكي والقطان وشركائهم .

والى جانب هذه المصانع البلاطية ، مصانع لصقل صخور المرمر الخام المجلوب من الخارج بألوانه الابيض الناصع والأسـود البراق والأخضر والأحمر والأزرق . وتصقل هذه المصانع الحديثة ، المرمر الخام وتقطعه

(١) أى الذى له أخاديد ، اي شقوق .

الى المربعات أو المثمنات المطلوبة للبناء . وبهذه المصانع الحديثة تمكنت عشرات القصور والدور والدارات : « الفيلات » من التزين بحجارة المرمر سواء في أرضها أم في جدرانها أم درجها أم بِرَكِها ونافوراتها.

وهناك مصنع مرمر كبير أنشأه المعلم محمد بن لادن في حي الكَنْدَرة، وهو المصنع الوحيد في البلاد من حيث ضخامة الجهاز ووفرة اللوازم ، مما يمكنه من قطع صخور المرمر المحلي من مناجمه وجباله المتوافرة في المملكة ، حسب اللزوم والطلب .. فقد جهز بجميع الآلات والمكنات الحديثة اللازمة لمصنع مرمر ضخم حديث من آلات نشر الرخام وتشذيبه واصلاحه وصقله وتقطيعه وتلميعه ، حتى يخرج الرخام أملس براقاً سوياً كما يراد له بعد أن كان «خاماً» وكُتَلا من صخور المرمر غير سوية الكيان ولا صالحة للبنيان .

وجدير بالذكر أن هذا المصنع انما يعتمد في عمله على الرخام الوطني المستخرج من جبال شرق جُدة فيما بينها وبين مكة قبل بحرة وفي وادى فاطمة والجبال الواقعة الى شمال جُدة صوب المدينة المنورة ..

وفي منطقة «مُدرِكَة» شمال جُدة بنحو ١٨٠ كيلومتراً توجد جبال مرمر أبيض رائع الألوان متوافر اكتشفها محمد بن لادن . وفي فَرَسَان مرمر أسود . ومن هذا المرمر ، وبتشذيب معمله بجُدة له – يُبنى المسجد الحرام بنايته السعودية التاريخية الخالدة التى لم يسبق لها مثيل في التاريخ .

ويقوم مصنع المرمر هذا ، بالكندرة ، كخلية نحل ، ينشط فيها عشرات العمال الوطنيين والفنيين الأجانب والاداريين في أعمالهم المختلفة(١) .

(١) يدير هذا المعمل سنة ١٣٨٣ هـ محمود أبو خضراء .

ومن المناظر المألوفة أن ترى السيارات الضخمة . كالدارات المتحركة . من ذوات العجلات العديدة تنقل كتل الصخور دكنا ضخاما على ظهورها ، من شرقي جُدة وجنوبيها وشماليها ـ اليها .. وهذه الصخور هي المرسر الخام قبل تشذيبه وتلميعه وتقطيعه ، فاذا دخلت المصنع فسرعان ما يتحول حالها الى حال آخر . ومن المألوف أن ترى مثل تلك السيارات ذاهبة الى مكة شرقي جُدة ناقلة فوق متونها قطعاً منظمة لامعة مشذبة من انتاج ذلك المعمل الوطني ليبنى بها المسجد الحرام بمكة المكرمة .

● ● ●

وفي جُدة على شارع مكة بالكيلو السادس مصانع التيسير لصناعة الصاج وصناعة الخيزران .. أنشأ هذا المصنع الرجل العصامي : « عطا الياس » في سنة ١٣٧٤ هـ . ويصنع هذا المصنع خزائن الصاج وأرائكه وخزائنه وكراسيه ومناضده ومشاجبه البراقة : «الشماعات» ونملياته كما يصنع في الخارج مما هو من هذا القبيل ، بحيث لا تكاد تجد أى فرق كبير بينها وبين ما يصنع في الخارج ، لا فى المتانة ولا فى الجمال ولا فى الصقل ولا فى اللمعان .

ويزود هذا المصنع البلاد بمنتجاته ، حسب امكاناته ، وحسب التشجيع والتقدير والحاجة .

وقد استوردت آلات مصانع التيسير من ألمانيا ومن السويد . واستيراد أجهزة المصانع من الخارج هو الأساس التاريخي المبدئي لنهوض الصناعات الوطنية . كما هو ملموس من مراجعة تاريخ تصنيع أي بلاد في العالم قديماً وحديثاً .

وفي شارع المدينة المنورة : شارع البغدادية ـ « مصنع زوارق اللؤلؤ » وهي الزوارق التى تسير بالآلات الميكانيكية في البحر بقصد النزهة والمتعة . وهذا المصنع يصنع هذه الزوارق بشكل لا يكاد يقل جودة

في كثير من أشكاله عما تنتجه أوروبة رونقاً وجاذبية ، ويملكه زهير حمزة فطايرجي وهو مديره . وقد بدأ العمل بالمصنع المذكور بسنة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م وأشرف مدير المصنع على تصميم زورق خفر السواحل الكبير : « أُحُد » الذى ترى رسمه بين صور هذا الكِتاب .

كما توجد ورش للحام الأوكسجين ، وتصدر من الأوكسجين الذى يلزم للصناعة الحديثة كميات الى داخل البلاد .

وهنا معامل لانتاج الموبيليات الفاخرة ، وتوجد هذه المعامل منتشرة في أطراف جُدة في شرق وفيشمال وجنوب، وهي مزودة بالآلات الحديثة . وبالعمال المهرة . وقد امتلأت بانتاجها معارضها ، ويقبل عليها المواطنون . وانتاجها يكاد يضارع أحدث الموبيليات التى تخرجها المصانع في الخارج .

• • •

وجدير بالاشادة مصنع الأسمنت . فخر صناعة جُدة ، الذى أغنى البلد عن استيراد كمية كبيرة من هذه المادة الحيوية بالنسبة لمتطلبات العمران الحديث .

ويرى بناء مصنع الأسمنت بين صور المباني الموجودة في هذا الكتاب ـ يرى شامخا كمدينة صناعية متكاملة في الكيلو الرابع عشر بشمال جُدة على طريق المدينة المنورة المسفلت .

وينتج هذا المصنع الآن سنوياً نحو « ١٠٧٠٠٠ » طن من الأسمنت الوطني الذى يعبأ في أكياس من الورق عليها شعاره الخاص . وقد أنتج ذلك فعلا عام ١٣٨٠هـ(١) . وقد ارتفع انتاجه مضاعفاً بعد ذلك بما استورد له من عُدد وأجهزة جديدة في عهد ادارة شؤونه من قِبَل عبد الله السعد العضو المنتدب .

أسس هذا المصنع عبد الله السليمان، وجعله شركةوطنية مساهمة، وأرسى حجر الأساس ، جلالة الملك سعود في ١٧ ذى القعدة ١٣٧٦ هـ ـ

(١) عن مديره العام السابق : سهل خيري قباني .

١٩٥٦ م واستغرق تركيبه وبناؤه ثلاثة عشر شهراً ، وتم تشغيل فرن الأسمنت فيه . في غرة ربيع الأول ١٣٧٨ هـ .

ولمصنع الأسمنت مجلس ادارة يرأسه مؤسسه . ويتألف المجلس من أعضاء هم : سمو الأمير فهد بن سعود واخوانه ، ومحمد بن لادن ، وكمال أدهم ، وعبد الرحمن سرور الصبان ، وعبد العزيز بن عبد الله السليمان ، والبنك الأهلي التجاري وبنك الرياض .

وكان أول مدير عام له هو أحمد صلاح جمجوم عضو مجلس الادارة المنتدب ، ثم عبد الرحمن ابا الخيل ، ثم علي عقيل ، ثم عبد الله السعد عضو مجلس الادارة المنتدب ، ثم عبد العزيز السليمان ، ثم يوسف بنّان(١) .

• • •

وفي جُدة معامل لصنع المياه الغازية المرطبة ، وهذه هي :

١ ــ مصنع البيبسى كولا في شارع مكة المكرمة .

٢ ــ مصنع الكوكاكولا في نفس الشارع (وقد توقف بعد صدور قانون المقاطعة العربية لنظام الصهاينة) .

٣ ــ مصنع «الفروت باول» في نفس الشارع .

٤ ــ مصنع الكيتى كولا في نفس الشارع .

٥ــ مصنع السفن آب في شارع عبد الرحمن بن عوف شمال جُدة بالقرب من شارع المدينة المنورة في ناحية الرويس .

٦ ــ مصنع السينالكو عند الكيلو الرابع في شارع مكة المكرمة .

• • •

وبجُدة عدة أفران كهربائية لصنع الخبز ، تقع في مختلف شوارعها وأسواقها ، هذا الى جانب أفران الخبز العادية التقليدية . وتنتج هذه الأفران الكهربائية والبلدية خبزاً منوعاً الى جانب ما تنتجه من أنواع

(١) عن الشيخ عبد الله السعد .

الحلوى والكعك وغير ذلك . ومن أشهر الأفران الكهربائية بجُدة . فرن «بدر» بشارع المطار ، وفرن «فينيسيا» بشارع المدينة المنورة في منطقة البغدادية ، وفرن الصومالى بشارع العمارية .

وبجُدة مصنع للمكرونة أسسه في شارع مكة المكرمة عبد السلام رضوان لصنع هذا اللون من الغذاء محلياً . وللمصنع عمارة خاصة به ترى على طوار شارع مكة المكرمة .

ومعمل المكرونة بشارع مكة المكرمة هو الأول من نوعه في المملكة .

وفيها كذلك مصنع جديد للتايد « أحدث صابون » . وقام بانشائه محمد علي آبو داود واخوته ، من تجار جُدة . وقد أغنى جُدة وغيرها من مدن المملكة عن كثير من استيراد هذه المادة الحديثة المبتكرة لتنظيف الملابس وغيرها .. ولا يزال قائماً سائرا في مهمة اثراء البلاد من هذه الناحية الاقتصادية والاجتماعية الهامة .. ويقوم شامخاً في شارع مكة الذى يمتد من داخل جُدة صوب مكة المكرمة .

ومصانع الثلج بجُدة ستة ، ولقد انتشرت هذه المصانع مع دخول العين العزيزية الى جُدة . وتنتج هذه المصانع من الثلج ما يكفي السكان صيفاً وشتاءاً ، وفي أيام المواسم . ويصدر منها الفائض الى مكة المكرمة وعرفة ومنى في أيام الحج . وقد حد من انتاج هذه المصانع نوعاً ما . انتشار الثلاجات الكهربائية في البيوت وهي تبرد الماء وتصنع الثلج .

وهذه هي مصانع الثلج بجُدة :

١ ـ مصنع التيسير في الكيلو الخامس بشارع مكة المكرمة .

٢ ـ مصنع محمد رفيق الهندى في الكيلو الرابع من نفس الشارع.

٣ ـ مصنع البيبسى كولا في نفس الشارع .

٤ ـ مصنع الكوكاكولا في نفس الشارع (وقد سبق أن أبدينا قبلا أنه توقف بسبب صدور نظام المقاطعة العربية لاسرائيل اقتصادياً) .

٥ ـ مصنع حسن الشربتلى في الشارع المفضى الى الميناء الجديد .

٦ ـ مصنع محمد صالح أبو زنادة بجهة باب شريف .

وفي جُدة معمل لتعبئة الغاز لاستعماله وقوداً مريحاً للطهي وما الى ذلك . ومركز المعمل في شارع الاذاعة ، جنوب جُدة ، ومقر شركته الأهلية في شارع الملك عبد العزيز تحت فندق قصر جُدة . ومؤسسه سراج حامد زهران وشركائه .

وفي جُدة معامل للألبان هي :

مصنع نبيل بشارع مكة المكرمة . عند الكيلو الخامس . وينتج الألبان والجبن وهو شركة وطنية .

ومصنع ألبان الشرق في شارع المدينة المنورة بالمنطقة البغدادية .

وفيها معامل لتفريخ الدواجن وبيعها ، كمعمل فقيه بشارع الملك سعود ، ومعمل آخر في نفس الشارع .

وقد أ'لّفَت شركة مساهمة سعودية لتكرير النفط السعودي وتصفيته في جُدة وهي الشركة المعروفة بشركة المصافي السعودية . ويرأس الأمير خالد بن تركي مجلس ادارتها . وليس من ريب في أن هذه الشركة اذا باشرت أعمالها بجد وكفاية فانها ستؤدى خدمات جليلة للاقتصاد السعودي . وقد قامت مؤسسة بترومين بشأن هذه التصفية للنفط السعودي فأقامت صهاريج ضخاماً لهذه المهمة في جنوب جُدة لتمد البلد بما يلزم له من النفط نقياً مُصَفّىً .

وفي جُدة عدة مصانع لسبك الحديد وانتاج لوازم العمارات منه . ومن مصانع سبك المعادن وطلائها المعمل الذى يقوم في الشرفية بحي عرفات قريباً من مستشفى الملك سعود، ويديره على مصطفى (وقد توقف المصنع منذ أمد) .. وهذا بالاضافة الى معامل اصلاح السيارات وتنجيد أفرشتها وصبغها بالدهانات المناسبة وسمكرتها ، وبالاضافة الى مصانع النجارة التى تصنع الهياكل الخشبية للسيارات الكبيرة وتزخرفها بمختلف النقوش ، الى مصانع أخرى خاصة ، لصب قوالب الأسمنت المصمت والمفرغ ، ومصانع خاصة لصنع الحلوى بمختلف أنواعها . ومن أهمها « مصنع الحرمين للحلويات » في طريق مكة بالكيلو « ٣٤ » وصاحبه عبد الحميد كردي المدني ، ومقر ادارته بجُدة .

ومصنع عبد الرشيد المكي . لصنع أنواع الحلوى الحديثة التى تباع بكثرة في الأعياد وخلافها .. وقد أثرى هذا المصنع الكبير البلاد من مادة الحلوى بأصنافها المختلفة .. ويقوم على الطوار الجنوبي لطريق مكة ــ جُدة ــ بعد الكيلو العاشر .. في مجموعة دور كأنها بلدة صغيرة خاصة بالمصنع وبمديريه وعماله ومستودعاته .

وبجُدة مصنع للصفيح أنشىء عام ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٤م وانتاجه اليومي « ٢٠٠٠ » صفيحة ، سعة كل منها خمسة جالونات، يملكه ويديره عبد الله هاشم .

ومعمل للغاز الخفيف الخاص بالطائرات أيضاً .

كما يوجد عدة مصانع لتركيب كراسى النيلون الخفيفة ذوات أشرطة النيلون الملونة .

وفي شارع المدينة بالمنطقة البغدادية مصنع لأراجيح الأطفال وألعابهم، الى جانب ورش خاصة تابعة لوكالات الشركات لاصلاح أجهزة الراديو والمسجلات ، وورش خاصة لاصلاح مكنات الماء والمكنات الأخرى .

ooooo

والى جانب هذه الصناعات فان الحكومة مزمعة أن تستخرج المعادن الكامنة في منطقة الجبال المجاورة لجُدة لافادة الاقتصاد والصناعة الوطنيين . ومن أهم هذه المعادن معدن الحديد الموجود في جبال مر الظهران : « وادى فاطمة » .. ومما يسهل عملية استثمار هذه المعادن اقتصادياً بشكل تجاري مرموق كونها قريبة الموقع من جُدة التى تقع على ساحل البحر الأحمر ، وبالفعل فقد بدأت محاولات لاسهام « الصندوق الخاص » التابع لهيئة الأمم المتحدة في تمويل الدراسات اللازمة لعمل « مسح جيولوجي » لهذه المنطقة بغية استيعاب ما تحتويه من مختلف المعادن .

ومن أجل بحث المعادن وتحليلها ووزنها أنشأت الحكومة في سنة ١٣٦٩ هـ « معمل أبحاث المعادن » الذى كان تابعاً وقت تأسيسه لمكتب المعادن التابع لوزارة المالية فيما مضى . والآن بعد انشاء وزارة البترول(١) والثروة المعدنية أصبح تابعاً لها .

ويقع هذا المعمل في غرب القصر الملكي : «خزام» يفصل بينهما طريق المحجر المسفلت .

ويقوم المعمل بمهمتين :

المهمة الأساسية هي الكشف على الخامات المعدنية ، وتقدير نِسَب المعادن فيها . والمهمة الاضافية هي الاشراف على المواد الغذائية التى ترد من الخارج من ناحية مطابقتها للمواصفات الدولية . وصلاحها للاستعمال ، وهل فيها شيء تالف ؟ حتى لو كان هذا التلف ضئيلا فبامكان المعمل الكشف عنه .

ويقوم المعمل بالتحقيق في الغش التجاري . والمشكلات التى تطرأ بين التاجر والمُوَرِّد .

(١) البترول : كلمة افرنجية وعربيتها : النفط ، كما هو معلوم .

كما يقوم بالفصل في هذه الأمور بوساطة التحليل الفني الكيمائي الدقيق .

هذا وتوجد في المعمل أجهزة فنية دقيقة حديثة . للتحليل والكشف واظهار النتائج المطلوبة .

وقد دخلناه وهو يقوم بتحليل نماذج الحديد الذى استكشف في وادى فاطمة . وفهمنا أن القائمين بالتحليلات الفنية فيه ، قد وجدوا أن نسبة الحديد هذا ، بين ٣٩ و ٤٢ في المائة . وأنه توجد هناك كميات تجارية كبيرة تصلح للاستغلال التجاري وللتصدير لأمد من الزمن مديد .

ومن أجهزة هذا المعمل الحساسة . جهاز ا : « فلوروميتر » و « أنالايزر » لتقدير العناصر المشعة . وجهاز « اسبكتروفوتوميتر » لتقدير العناصر بوساطة الطيف .

وفيه مستودعات مملوءة بلوازم التحليل من أنابيق وعقاقير وما الى ذلك . وأجهزة كثيرة علمية أخرى .



الآثار والفنون بِجُدَّة



ليست الآثار الماثلة للعيان كثيرة في هذا البلد . ولعل السبب في ذلك يعود الى طبيعة جو البلد الرطب الذى ينخر كالسوس كل أثر وبناء بعد مرور وقت طويل على وجوده مكشوفاً تحت وطأة جوه الرطب الحار صيفاً وبيئته ، اذ تصطلح عليه عوامل الرطوبة والحرارة فيقضيان عليه تدريجياً وبصورة منتظمة . يضاف الى ذلك ملوحة الآرض ، فان أغلب أرض جُدة ـ لقربها من البحر الأحمر الملح ـ سبخة ـ حتى العمارات تتأثر بهذه الطبيعة الغلابة فلا تبقى قروناً على أي شيء لم يُوهَبْ قوة وتماسكاً في البناء يستطيعان بهما مقاومة عوامل الجو والأرض القاسية.

وكل الآثار التى اطَّلَعتُ عليها في جُدة . أياً كان لونها أو شكلها . لا ترتقي الى العصر الجاهلي . بل لم أر حتى الآن أثراً شاخصاً يرتقى الى صبح الاسلام أو ظهره .

وأقدم الآثار الشاخصة التى شاهدتها مسجدان هما : مسجد الشافعي القائم في حارة المظلوم ، فان بناءه الماثل للعيان الآن كان بعضه في سنة ٩٤٠ هـ وبعضه قبل ذلك ، كما هو مثبت على الحجرين الملصقين ببابه الى اليوم ، ولا يمنع هذا من أن يكون قد حدث فيه ترميم أو اصلاح بعد بنائه ، الا أن أكثر البناء القديم باق الى اليوم . وقد لاحظت أنه أصبح لتقادم عهده ، أخفض مستوى من الشارع الذى يقع أمامه . وقد تلقيت رسالة من عمر نصيف رحمه الله ، كتبها بخط يده أواخر شعبان ١٣٨١ هـ عن أقدم الأماكن الأثرية الباقية حتى اليوم بجُدة .. قال :

« وأقدم عمارة في جُدة هي الدار وقف الجد عبد الله نصيف أمام دار سيدى الوالد بمحلة اليمن ، ثم تليها الدار ملك فرج يُسر سابقاً،

وهي سكنى آل الجمجوم الآن وتقع بالقرب من مسجد المعمار. وأقدم جامع هو جامع الشافعي، وأقدم مسجد هو مسجد ابن عفان رضي الله عنه».

ولعله يقصد بقوله: «وأقدم مسجد الخ» قِدَمَ بناء المسجدين المذكورين الماثل لليوم.

هذا وقد أشار عمر نصيف الى دارين قديمتين في جُدة، هما: دار جَدّه، ودار فرج يسر سابقاً. وأعتقد – بناء على القرائن الأثرية – ان الدارين بنيتا في القرن الثالث عشر الهجري.

ومن الدور القديمة، دار الحكومة التي يملكها آل باناجه والتى كانت فيها قائمقامية جُدة الى عام ١٣٧٨ هـ وتقع أمام «برحة» سيارات الأجرة الذاهبة الى المدينة، والذى قام ببنائها هو الدكتور عارف بك التركي. وكان من أغنياء الترك العثمانيين، جعلها مستشفى حينما لم تبن الحكومة مستشفى بجُدة ثم وهبها للحكومة فانتقل اليها الوالى ودائرته، وبقيت الدار مقراً لولاة الترك وللأمراء من بعدهم، الى ما قبل أربعة أعوام من كتابة هذا الفصل من الكتاب سنة ١٣٨٢ هـ. وقد بنت الحكومة التركية بعد ذلك المستشفى العام بباب شريف. وجدير بالذكر أن الوالى كان يقيم قبل انتقاله الى هذه الدار – بالدار المعروفة بالمشورة، وكانت تقع غرب دار آل الزاهد وراء المسجد هنالك. وكانت تطل على البحر لعلوها عن غيرها وقد هدمت(١).

واذا بحثنا في بطون الكتب عن الآثار القديمة الباقية في جُدة الى الآن فانئنا واجدون بينها مسجد الآبنوس، وقد تواتر ذكر هذا المسجد لدى الرحالة والمؤرخين قديماً وحديثاً. ذكره الرحالة ابن جبير في القرن الهجري السادس، وقال عنه: «وبها مسجد آخر له ساريتان من خشب الآبنوس» ينسب الى عمر بن الخطاب، ومنهم من ينسبه الى

(١) عن الشيخ محمد نصيف.

هارون الرشيد(١) . وذكره غيره . وأظن البشارى يقصده بقوله : « وبها جامع سَرِىُّ »(٢) كما ذكره بطرس البستاني فقال : « وبها جامع الآبنوس يقال أنه يستجاب فيه الدعاء »(٣) .

وقد تأملت بناءه الحالى ، فاذا هو من طراز أبنية القرن الثاني عشر الهجري . ان له شرفات ، وبناؤه ما زال متماسكاً ، وهو مبنى على « تل في جُدة » في نقطة مرتفعة وهو صغير . ولا تقام فيه الجمعة الآن . وان كان فيما مضى جامعاً تقام فيه الجمعة .

• • •

وقبر حواء من الآثار المذكورة في التاريخ . وهذه مزية تاريخية لجُدة لو ثبتت ، ولكن دون ثبوتها خرط القتادْ .

ان قبر حواء على طرازه المعروف هو قبر طويل كمجرى نُهَير ذاهب الى الشمال بمسافة مائة وخمسين متراً . وشكله يشبه قناة مسدودة من طرفها الجنوبي بثلاثة جدران . وفيه مكان لرأسها . ومكان لسرتها . ومكان لقدميها . وكان به حجر من الصوان يبلغ طوله نحو متر . محفور من وسطه .

وقد ذكر ابن المجاور هذا القبر فقال : « وما أظن هذه البَرَكَة لجُدة بمضاعفة أجر الصلاة والصدقة فيها ، الا من جهة أم البشر حوى صلوات الله عليها ، لأنها مدفونة بظاهر جُدة . وكان الفرس قد بنوا عليها ضريحاً بالآجر والجص ، محكماً . فبقى الى سنة احدى وعشرين وستمائة . فعند هذا التاريخ تهدم . وارتدم بعضه على بعض . وهو موضع مبارك مستجاب فيه الدعوة »(٤) .

---

(١) ابن جبير : رحلته ص٥٣ طبعة بيروت .

(٢) المقدسي البشاري في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) ص ١٠٨ ط. أولى .

(٣) بطرس البستاني : دائرة المعارف ص٤٠٤ طبع بيروت .

(٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص٤٨ .

ولو أخذنا بقول ابن المجاور ، لقلنا : ان قبر حواء المزعوم وجوده في جُدة هو أقدم أثر بشري عُرِفَ على وجه الأرض .. ذلك أنه يقول : « ويقال انما سميت جُدة ، لأنها دفنت بها أم البشر حوى عليها السلام ، فهي جَدّةُ جميع العالم ، فلما بُني هذا البلد عرف باسم جُدة ، أى حواء زوج أبى البشر عليه السلام »(١) .

وتطرق ابن المجاور الى مضاعفة أجر الصلاة والصدقة في جُدة ، وعلل ذلك ببركة وجود قبر حواء فيها وهو تعليل لا نوافقه عليه . فاذا كان أجر الصلاة والصدقة يُضاعَف في جُدة فلعل ذلك يعود الى أنها دار « رباط » للمسلمين ، وثغر من ثغور الاسلام الأولى ، وباب الحرمين الشريفين ، للرباط فيها أجر كبير ، بالنسبة للرباط ذاته عامة ، وبالنسبة للرباط بها من أجل حماية الحرمين الشريفين من أى تسرب عدوان أجنبي . ولا يمكن أن يُعزَى ذلك شرعاً الى وجود قبر مزعوم لحواء فيها .

على أننا استفدنا من ابن المجاور أن الذين بنوه ضريحاً بالآجرّ والجص هم الفرس ، وأنه بقى على بنائه لهم الى سنة ٦٢١هـ وان لم يذكر لنا تاريخ بنائهم له . ولعله يقصد بعض جواليهم في عهد الاسلام . ثم أعيد بناؤه بعد ذلك ، وهكذا .. وقد رآه ابن المجاور عامراً وخراباً .

هذا وقد سبق أن فندنا في فصل : « أصل التسمية وصحتها » الزعم القائل بأن اسم جُدة هو بفتح الجيم ، أخذاً من اسم جَدّة البشر . لقد اختلف نطق الصيغتين وكتابتيهما مشكلتين حين تضم جيمها وحين تفتح ، فاختلف المعنى فيهما لغوياً باختلاف المبنى .

• • •

ومن آثار جُدة ، هذه الصهاريج التى كانت مخازن للماء العذب في القرون الخالية .

---

(١) كتاب ابن المجاور نفسه ص٥٢ .

ومن الصهاريج القائمة أطلالهـا الى اليوم صهريج المَشَّاط العـائد للشيخ محمد نصيف وصهاريج أخرى في المحلتين : البغدادية والشرفية ، وهي كلها قديمة البناء متينته ، ولربما يكون من بينهـا ما له عـدة قرون . وهذه الصهاريج بنيت بالطوب الأحمر والنورة البلدية بناءاً محكماً ، يُمَكِّنُها من اختزان المياه ومقـارعة عوامل الجو ، والدفاع عن كيانها منه وذلك بقوة بنائها .

ومن صهاريج الماء الخاصة ، صهريج مسجد الشافعي الذى يشغل ساحته الـكبيرة ، وصهريج دار الشـيخ محمد نصيف في حارة اليمن ، وهو يشغل سُفلَ بهو داره ، ممتداً وشاملا كل ما تحت مكتبه المطل على الشارع . والصهريج في شكل عقود كالأقبية المتينة أو المخابيء الحديثة .

• • •

○ متحف جُدة ○

والمتاحف هل يوجد شيء منها في جدة ؟..

ان المتاحف لها أهمية كبيرة في وصل حضـارة اليـوم بحضـارات القرون الغابرة . ويوجد في جُدة « متحف » حكومي للعاديات يقوم في دار كبيرة بجوار دار معمل الأبحاث ، ويتبعان اليوم وزارة البترول والثروة المعدنية .

كان المُتحَفُ قبل انشاء هذه الوزارة تابعاً لمكتب المعادن ، ويشغل الطابق المتوسط من الدار .

ويفيدنا « سنت جون فيلبى » أنه جلب اليه مجموعة لا بأس بهـا من قطع الحجارة المنقوشة وبقايا أوانى الخزف وقطع النقود وما أشبه ذلك مما جمعه في رحلاته الى شمال المملكة السعودية ومن خرائب تيماء

القديمة ومداين صالح . ويقول فيلبي : انه عرض ذلك كله بالمتحف لمن شاء أن يجرى عليه دراسة(١) .

كما حدثنا بأن أحمد فخري الذى هو أحد تلاميذ «ك.س. تويتشل» كان المسؤول عن هذا المتحف الذى أنشىء استناداً الى مبادهة من رجل انكليزي من «ويلز» يدعى «جيبس» . ثم مُلِيءَ هذا المتحف بالكثير من الآثار خاصة تلك التى كان فيلبي قد جمعها في رحلاته السابقة ، ثم أضيفت اليه النقوش والآثار التى وجدها في رحلته الحالية والرحلات التى تلتها .. ويقول : « انه أثاره سَفَرُ « جيبس » بعد أن انتهى تعاقده مع الحكومة السعودية ، وذلك لأن المتحف وما يحتويه ـ وكان بعضه ذا قيمة كبيرة ونادرة ـ سيكون عرضة للدمار(٢) ، وكان فيلبي يخشى أن أحداً من رجال الحكومة لن يكلف نفسه مشقة زيارة المتحف أو حتى القاء نظرة واحدة على محتوياته ، رغم أنه « أى فيلبى » كثيراً ما ذكر أمام المسؤولين أهمية الموجودات فيه ، وكذلك أهمل اقتراحه الذى قدمه فيما بعد ، بأن يُشرف الملك هذا المتحف بزيارة سامية »(٣) .

هذا ولقد أزمعتُ زيارة هذا المتحف ، التابع للشؤون الفنية للثروة المعدنية بجُدة ، فذهبتُ اليه في يوم الخميس الموافق ١٦ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ ـ ١٦ أغسطس ١٩٦٢ م واستقبلني معتوق باحجرى مدير معمل الكيمياء التابع لوزارة البترول والثروة المعدنية ، وبعد تجوالي معه في معمل الأبحاث دَلَفنا الى المتحف الماثل بجواره في عمارة مستقلة كبيرة ، فوجدناه مكتظاً بالآثار والعاديات العربية . وجلها من جزيرة

---

(١) سنت جون فيلبي : أرض الأنبياء ، مداين صالح ص٩٥ و١١٣ ـ ترجمة عمر الديراني طبع بيروت.
(٢) لم يحدث ولله الحمد ما توقعه فيلبي فبقي المتحف سليما ولم يدمر وقد نقلت آثاره الى مدينة الرياض بعد ذلك .
(٣) أرض الأنبياء ص ٨١ طبع ببيروت .

العرب . وأغلبها من نواحي المملكة العربية السعودية . فهو يمثل حضارات جاهلية قديمة خير تمثيل ، كما أن به بعض آثار اسلامية قديمة . وآثاراً وعاديات من بلاد اليمن ، وآثاراً رومانية في جوانب المملكة العربية السعودية ، لا بد أن العرب القدامى جلبوها أو نحتوها، وقد حصرنا موجودات المتحف فكانت حسب ما يلي :

١ ــ مبخرة حجرية من آثار سباء ، وهي مربعة الشكل مرتفعة القامة من حجر القرانيت ، وقد أَتَى بها من تعز ، ابراهيمْ بن معمر أيام كان سفيراً للمملكة في اليمن . وقبض ثمنها من الحكومة .

٢ ــ تمثال روماني من القُصَيِر جنوب بلدة الوجه في وادى الحمض، جاء به فيلبي وقدمه هدية للمتحف .

٣ ــ كتابة سَبَئِيَّة منقوشة على حجر جيري أبيض، أتى بها ابراهيم ابن معمر ، من تعز باليمن ، وقبض ثمنها من الحكومة .

٤ ــ جزء من عمود مرمر وجد في أم القريات ، قرب الوجه . قدمه فيلبي للمتحف هدية .

٥ ــ عديد من مطاحن الذهب العربية التى تُدار باليد ، صغيرة ومتوسطة وكبيرة مصنوعة من حجر البازلت الأسود ومن حجر القرانيت، وجدت في منجم ظَلَم وفي المهد .

٦ ــ حجر لذبح القرابين داخل معبد، وجد في قرية وادى الدواسر، وجاء به فيلبي هدية للمتحف ، وهو من حجر رملى أبيض .

٧ ــ تماثيل صغيرة لأشخاص من حجر مختلف بين حجر رخام ورملى ، وهي سبئية ، أتى بها ابراهيم بن معمر من تعز وصنعاء ..

٨ ــ هاوون حجر بازلت وجد في مهد الذهب .

٩ ـ قطعة من نحاس منقوش عليها كتابة سبئية أتى بها ابراهيم ابن معمر من تعز وصنعاء .

١٠ ـ كتابات سبئية على حجر رملي ـ أهداها فيلبي للمتحف .

١١ ـ بيضة نعام متحجرة جاء بها فيلبي من « الفَوّ » قرب تبوك وأهداها للمتحف .

١٢ ـ قطع فخار كثيرة صغيرة ومتوسطة ، نقلت من الجنوب الشرقي للطائف ، أهداها فيلبي للمتحف .

١٣ ـ مكاحل زجاجية صغيرة قديمة . لم يبق الا أعناقها .. أهداها فيلبي للمتحف .

١٤ ـ هاوونات من البازلت وجدت في منطقة ظَلم ، جاء بها الى المتحف موظفو المعادن .

١٥ ـ هاوون كبير من حجر البازلت قطره « ٦٠ » سانتيماً ، وجد بجُدة وعليه كتابة محفورة أو نقش قديمان .

١٦ ـ أوان من حجر الصابون وجدت قرب قصر ازلام أو اسلام ، هدية من فيلبي .

١٧ ـ قطعة حجر سوداء كبيرة من حجر الحديد عليها رسم جمل منقوش بطريقة فنية بارزة .

١٨ ـ قطع كثيرة من فخار نبطي ، وجدت في قرية تبعد عن تبوك في شمالها الغربي بـ « ٤٥ » كيلومتراً في « أم الدَّبَّة » بفتح الدال المهملة بعدها باء مشددة مفتوحة فتاء مربوطة .

١٩ ـ جُمجُمة انسان نبطي ، وجدت في مقابر الأنباط بالشمال ـ هدية من فيلبي .

٢٠ ـ طست رخامي جميل صقيل من آثار الثموديين قطره « ٦٠ » سنتيمتراً وعمقه « ٢٥ » سنتيمتراً . أهداه جلالة الملك سعود للمتحف حينما كان ولياً للعهد . وجد هذا الطست في تَلّ الجعافرة(١) قرب جازان.

٢١ ـ تدوين كتابي على حجر وجد في (قوز الجعافرة) قرب جازان . أهداه للمتحف الملك سعود رحمه الله حينما كان ولياً للعهد .

٢٢ ـ قطعة حجر منقوش . عليها كتابة عربية كوفية محفورة حفراً واضحاً جميلا . والخط جميل وكبير .

٢٣ ـ جزء علوى من عمود . وجد في « قوز الجعافرة » بقرب جازان . أهداه للمتحف جلالة الملك سعود حينما كان ولياً للعهد .

٢٤ ـ قطع زجاجية كثيرة خضر وبيض . وجدت في مدينة خرائب « حرة خريدة » هدية من فيلبي .

٢٥ ـ قطع فخارية وزجاجية وجدت في « هوارة ـ مَديَن » بالشمال من آثار ثمود هدية من فيلبي .

٢٦ ـ قطع صدف وجدت في مسكنة مَديَن . من آثار ثمود . هدية من فيلبي .

٢٧ ـ عمود من حجر رملي أبيض فيه زخرفة عربية على شكل مُعَيَّن. وجدت في « قوز الجعافرة » بقرب جازان . أهديت للمتحف من جلالة الملك سعود . حينما كان ولياً للعهد .

---

(١) تل الجعافرة : تل مرتفع على ساحل البحر الأحمر الشرقي بين صبيا وجازان « عن محمد بن علي السنوسي » . ويلاحظ أنه مكتوب في تعريف هـذا الأثر بالمتحف اسم : « قوس الجفيرة » وهو تعريب خاطيء .. صحته ما ذكرناه آنفاً .

٢٨ ـ تدوين كتابى على حجرين رمليين من نجران .. أهداهما فيلبي وريكمان للمتحف .

٢٩ ـ قطع فخار وجدت في الأخدود بنجران من آثار السبئيين ، هدية من فيلبي .

٣٠ ـ مجموعة قطع فخارية وجدت في قرية : « الفَوّ » على بعد « ١٠٠ » ميل جنوب وادى الدواسر .

٣١ ـ تدوين كتابى على حجرين من الرمل الأبيض من آثار السبئيين ، الى ما بين عام ٢٠٠ ق.م و ١٠٠ ب.م .

هذا وقد أهدى الى المتحف حمد محمد العُبَيدِي بعض ما اكتشفه في رحلاته بالمملكة وذلك :

٣٢ ـ قطع فخارية وجدها قرب قصُر السموأل بن عادياء بتيماء .

٣٣ ـ مجموعة فخارية وزجاجية وجدها بميناء المدينة القديم : « الجار » . ويعرف حالياً بالبريكة ـ بضم البـاء الموحـدة بعدها راء مهملة مفتوحة فياء مثناة تحتية فكاف فتاء مربوطة .

٣٤ ـ قطعة من جمجمة انسان وجدها مدفونة في سور قصر السموأل بن عادياء في تيماء .

هذه جملة موجودات المتحف ساعة كتابة هذا البحث . وكل التحف موضوعة على مناضد خشبية ومكتوب بجانبها التعريف بها ، واسم من أهداها ، أو جلبها ، ولمن تعود ، ومن أين جلبت .

هذا وقد نقل هذا المتحف الحكومي من جُدة الى مدينة الرياض منذ أمد وَوُضِع تحت اشراف دائرة الآثار التابعة لوزارة المعارف هناك التى مديرها العام الدكتور عبد الله حسن مصري السعودي .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أنه قد عثر في وادى البويب على بعد ١٥ كيلومتراً شمال شرقي جُدة ـ على نقش ثمودي نصه وتفسيره فيما يلي :

الأصل	التفسير باللغة العربية الواضحة الآن
هكهل اثمن ورد	يا كاهل (اله) اجعلني كاملا سلام (ود)
شمل اكه التبب فلل	رسول التباب ذهب (فل)
هارضؤ سمع للملوك هاولت	يارضى اسمع للملوك الرئيس (ورضى اسم صنم معروف في عهد الجاهلية الأولى)
هسكت بن يشمن بت	هنا ساكت بن يشعن بات ليله
محل حب مت	محل حب ماوات
حممت جمأت	جمأت أصيب بالحمى(١) (وجمأت ـ على ما أرى اسم امرأة : «جمعة» و «حممت» أي أصيبت بالحمى ، ولم يدغم الكاتب الميمين في بعضهما لأن الادغام لم يعرف في الكتابة العربية يومئذ . وقد ألحق كاتبالنقش الاثرى تاء التأنيث بالفعل الماضى المبنى للمجهول فكتب (حممت) أي (حمت) .. وهذا خلافاً لما رآه نسيب وهيبة الخازن من أن (جمأت) اسم رجل .

كما أن بجُدة متحفاً آخر خاصاً ، وهو أقدم بكثير من المتحفالحكومي الذى أشرنا اليه آنفاً . وكان قد أنشأه الشيخ المعمر محمد صالح بن علي باعشن المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ .

وكان مبدأ تأسيسه لهذا المتحف الخاص بسنة ١٣٢٠ هـ وقد جمع فيه آثاراً وتحفاً من مختلف بلدان العالم : من مصر ومن السودان ومن ايران ومن الهند وحتى من الصين . والتحف والآثار التى جمعها لا تزال مصفوفة ومرتبة في غرفتها المخصصة لها في الدور الثاني من داره في محلة الشام .

وكانت طريقة تجميع محمد صالح باعشن لهذه التحف أن يوصى بعض أصدقائه الذين اعتادوا أن يجوبوا بعضأنحاء العالم ـ باحضارها

(١) نسيب وهيبة الخازن : من الساميين الى العرب ص١٦١ مطبعة الحياة ببيروت ١٩٦٢ .

له ، ويأخذها منهم بثمن مرتفع ، وكان من هؤلاء الأصدقاء محمد العروسى المدنى الذى كانت بلاد الهند منطقة جولاته ، وصديق آخر اسمه محمد باشراحيل المولود في أندونيسيا .

ولم يشر محمد صالح بن علي باعشن ، رحمه الله تعالى ، الى هذا المتحف ، في مذكراته الخطية التى بدأ في املائها سنة ١٣٥٩ هـ وانتهى منها في سنة ١٣٦٥ هـ . والمتحف المذكور لا يزال باقياً في مكانه برعاية ابنه أحمد بن محمد صالح باعشن وقد أفادنى في سنة ١٣٨٢ هـ بأنه مستعد لتسليمه لبلدية جدة اذا طلبته منه ، وسيقدمه لها هدية منه حينئذ .

وأخبرنا محمود عارف بأنه يوجد لدى محمد اسماعيل التاجر بجدة متحف خاص في داره بمحلة اليمن يحتوى على تحف قديمة من الخزف ، ذوات أشكال منوعة .

○○ الفنون في جدة :

أما الفنون فلا ريب في أن بجدة منها ألواناً من أهمها هذه الزخرفة من النقوش التى نرى وجهات بعض قصورها تزدان بها ، والى جانبها هذه النقوش الفنية التى تحلى بها بعض أبواب المنازل وبعض سقوفها وأعمدتها ورواشينها ونوافذها وبعض الجدران .

هذا وقد روى أيوب صبرى باشا ــ كما أسلفنا ــ أن السيد عمر السقاف حينما بنى قصره المنيف في الكندرة جلب له مزخرفات هندية وصينية خاصة(١) .

ومن الفنون الجميلة فن التطريز ، وقد كانت النساء في جدة يقمن بتطريز يدوي لبعض الملابس والفرش بألوان من الخيوط الحريرية والذهبية والفضية والترتر البراق وبغيره .

(١) مرآة الحرمين باللغة التركية .

وقد دخل فن الرسم الى مدارس جُدة حكومية وأهلية ، وهو أمر نأمل أن ينتج لنا رسامين فنيين كباراً ذوى مواهب ممتازة ..

ومن الفنون الجميلة الحديثة بجُدة « فن التصوير الآلى » . وأول دخوله كان في عهد الأتراك .. حدثنى الشيخ محمد نصيف بأنه في سنة ١٣٠٠ هـ أخَذَ رَسمَه (وهو ابن ستة أشهر) ، المستشرقُ الهولنديُّ « سنوك هرجرونه » الذى كان يومئذ نزيل جُدة قادماً اليها من مصر .. وكان ذلك برغبة من الشيخ عمر نصيف جد محمد نصيف . وهذا يدل على أن الرسم الفوتوغرافي كان معروفاً بجُدة في مطلع هذا القرن الهجري ، كما يدل على أنه كان وقتئذ مقصوراً على الافرنج من نزلاء هذا البلد ، وخاصة دور القناصل بها .

ونحن نكتب هذه السطور ويوجد سبعة عشر محلا لهذا « التصوير في جُدة » خلاف المصورين الجوالين :

١ ــ استديو الفن للتصوير .

٢ ــ استديو أوروبا .

٣ ــ استديو فينوس للتصوير .

٤ ــ استديو سمير جدة كوداك .

٥ ــ استديو الشرق .

٦ ــ استديو هوليوود .

٧ ــ استديو متروبول .

٨ ــ استديو الحرمين .

٩ ــ استديو الشعب .

١٠ ــ استديو النجمة .

١١ ـ استديو عادل .

وهذه الأحد عشر استديوها ، توجد في شارع الملك عبد العزيز .

١٢ ـ استديو الجنوب العربي .

١٣ ـ استديو النصر .

١٤ ـ استديو الأندلس .

١٥ ـ استديو معروف .

١٦ ـ استديو الورد للتصوير بالكهرباء .

وهذه توجد في باب شريف .

١٧ ـ استديو الصحافة لصاحبه عبد الكريم مرزا في باب مكة .

وكل هذه الاستديوهات السبعة عشر تقع في شارع الملك عبد العزيز في نواح متقاربة ومتفرقة .

وفي جُدة اليوم رسام فني من أهلها يجيد رسم الكاريكاتور ، وهو محمد راسم الذى كان رئيساً لتحرير مجلة الغرفة التجارية بجُدة . ورسامون فنيون تنشر رُسُومَهم بَعضُ الصحف اليوم في جُدة .

كما أن في جُدة ساعة كتابة هذه السطور ستة خطاطين معظمهم من الأقطار العربية وواحد منهم سعودي هو رشيد سنبل. والخطاطون الخمسة الآخرون هم : أحمد الذهب وزكريا الحفني ونبيه كنج وسعيد صنع الله وكمال حفني . ولكل منهم محل خاص به .. وهذا عدا خطاطي المطابع والمدارس .

الأمثال العامية في مدينة جُدّة



الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بايجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية . ولا تكاد أمة من الأمم ، تخلو منها . ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب وهي مصدر هام لتاريخ كل أمة(١) .

وهذه طائفة من الأمثال المستعملة في مدن الحجاز ومنها جُدة :

١ ـ أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب ..

يقال في الحض على عدم البخل ، ويستعمل بمصر في هذا المعنى تقريبا .

٢ ـ العروسة للعريس والجري للمتاعيس ..

يضرب فيمن ينصب نفسه فيما لا طائل له من ورائه .

٣ ـ زيّ أم العروسة فاضية ومشغولة ..

٤ ـ جحا أولى بلحم تُوره ..

يضرب مثلا في أن الانسان أولى في الافادة من قريبه أو صديقه من غيره .

٥ ـ القرد في عين أمهُ غزال ..

يضرب في الاستحسان النسبي للأمور .

٦ ـ ضربتين في الراص توجع ..

يضرب مثلا لمن جاءه الأذى من جهتين .. وقريب منه قول الشاعر :

ولو كان رمحاً واحداً لاتقيته ولكنه رمح وثان وثالث

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص ٦١ .

٧ ــ غشيم ومتعافي ..

يضرب مثلا لمن يزاول بتصميم ما لا يحسنه .

٨ ــ يا غريب كن أديب ..

يضرب مثلا لمن يعمل شيئاً غير مناسب ، مع أنه غريب .

٩ ــ الضرب في الميت حرام ..

يضرب مثلا لمن يعمل شيئا لا تأثير له .

١٠ ــ أصحاب العقول في راحة ..

يضرب مثلا لمن يقول أو يفعل شيئاً بدون تبصر ووعي .

١١ ــ اسأل مجرب ولا تسأل طبيب .

١٢ ــ بيت في غير بلدك لا ينفعك ولا ينفع ولدك .

١٣ ــ زي فقراء اليهود : لا دنيا ولا دين .

١٤ ــ واحد شايل دقنه والثاني تعبان منها .

يضرب مثلا لمن يدخل فيما لا يعنيه .

١٥ ــ النواة تسند الزير ، وفي المدينة : (الجَرَارة ترَكز الجَرَّة) . والجرارة في لهجة أهل المدينة المنورة : هي نواة النبق . والجرة بفتح الجيم والراء المشددة المفتوحة هي قدر كبيرة من النحاس المبيض يطبخ فيها الفول المدمس ..

يضرب مثلا للشيء الضئيل يستفاد منه للشيء الكبير .

١٦ ــ الجمل ما يشوف سنامه .

يضرب مثلا لمن يعيب الناس وهو معيب .

١٧ ــ ريحة أبو علي ولا عدمه .

١٨ ـ ما شتمك الا اللى بلغك .

١٩ ـ من جاور الحداد انكوى بناره .

٢٠ ـ ساعة لقلبك وساعة لربك .

٢١ ـ المَشترى يُعَلِّمْ البيع (والمشترى هنا بفتح الراء أي الشراء وهي كلمة فصيحة) .

٢٢ ـ شيلنى وأشيلك .

٢٣ ـ الدُّبَّانة ما تقتل ولكن تخبت النفس .

والدُّبَّانة ـ بضم الدال المهملة وهي الذبابة باللفظ الفصيح وتجمع على ذباب ، وذِبَّانة ـ بكسر الذال المعجمة مع تشديد الباء وفتحها ومؤنثه ذِبَّانة ـ بكسر الذال ـ والدبَّانة ـ بالدال المهملة التى تنطق بها عامية الحجاز هي تحريف الذبابة للمفردة بالتاء المربوطة(١) .

٢٤ ـ ضربوا الأعور على عينه قال خايسه .

٢٥ ـ في الوجه مِرَايه وفي القَفا سَلاَّيه .

٢٦ ـ صاحب الحق عينه قويه .

٢٧ ـ صباح القرود ولا صباح العجرود (والعجرود هو الذى لا شعر في وجهه وأصله أجرود) .. وهي محرفة عن الأجرد .

٢٨ ـ اذا كان المتكلم مجنون يكون المستمع عاقل .

٢٩ ـ خد من التل يختل .

٣٠ ـ جبال الكحل تفنيها المراود .

٣١ ـ جا يكحلها عماها .

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي (مادة ذبّ) .

٣٢ ـ لُم القرش الأبيض ، لليوم الأسود .

٣٣ ـ ضبة النجار مخلوعة .

٣٤ ـ ابن البط عوام .

٣٥ ـ مين يقول للغول عيونك حمره (وفي المدينة يقال : « مين يقول للغول عيونك على طول ») .

٣٦ ـ عمر الشقي بطى ـ وفي المدينة : « عمر الشقي بقي » .

٣٧ ـ العافية تجى من خرم الأبرة .

٣٨ ـ افتكرنا القط جا ينط .

٣٩ ـ فص ملح وداب .

٤٠ ـ كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا .

٤١ ـ كله عند العرب صابون .

(ويقصدون بالعرب هنا الأعراب أي البادية) .

٤٢ ـ اللى جمعته النملة في سنة ياخدو الجمل في خفو .

٤٣ ـ النار ولا العار .

٤٤ ـ نَضَرُه على قدّه (أى نظره على مقداره) بمعنى محدود

٤٥ ـ اللى تحبه تبلع له الظلط . ويعنون بالظلط ما يسمى بالخرسانة وهي الحجارة الصغار غير المتساوية في الأحجام والأشكال .

٤٦ ـ النيه مطيه (١) .

وهذا المثل يتفق فيه الحجاز ونجد(٢) .

(١) محمد العبودي : الأمثال العامية ص٣٤٩ .
(٢) محمد العبودي : الأمثال العامية في نجد ص٣٤٩ .

٤٧ ـ نصيبك يصيبك .

٤٨ ـ النار تخلف رماد .

يضرب مثلا للشيء القوي ينتج ضعيفاً أو غير ذي نفع . وفي نجد يقال : (النار ما تـَخَلـَّف الا الرُّماد)(١) .

٤٩ ـ اللى لو عينين وراس يساوى زي ما تساوى الناس . وفي نجد : « من له عيون وراس سوى ما سوى الناس »(٢) .

٥٠ ـ اللى غاب غيبتك جاب الهدية . وفي نجد : « من طول الغيبات جاب الغنايم »(٣) .

٥١ ـ من عاشر القوم أربعين يوم صار منهم ، أو صَـرَّ منهم .

٥٢ ـ من خاف سلم : « وهو بهذه الصيغة في نجد تماماً » .

٥٣ ـ المقدر كاين « يتفق في صيغته الحجاز ونجد تماماً » .

٥٤ ـ راحت السكرة وجات الفكرة « وهو مثل مشـهور في نجـد والحجاز ومصر والشام ولم يشر محمد العبودي الى شهرته في الحجاز»(٤).

٥٥ ـ اللى فات مات .

٥٦ ـ قِيس قبل الغطيس . وفي نجد : « اللى ما يقيس قبـل يغيص ما ينفعه القوس عقب الغرق »(٥) .

٥٧ ـ أهل مكة أدرى بشعابها ، وفي نجد : « أهـل مـكة أعـرف بشعابها » .

٥٨ ـ جمل المحامل .

يضرب مثلا لمن تعود حمل المشاق والمسؤوليات الجسام « ويستعمل في الحجاز ونجد معاً » .

(١) الأمثال العامية في نجد ص٣٤١ .
(٢) نفس المصدر ص٣٢٣ .
(٣) نفس المصدر ص٣٢٧ .
(٤) نفس المصدر ص١٠٥ .
(٥) نفس المصدر ص٣٤ .

٥٩ ـ حسن السوق ولا حسن البضاعة : (من أمثال التجار في جُدة وغيرها من مدن الحجاز) . وفي نجد : «جود السوق ولا جود البضاعة» وهما بمعنى واحد .

٦٠ ـ الحال من بعضه ، وفي نجد : « الحال من بعضها » وهما بمعنى واحد ، والحال تذكر وتؤنث .

٦١ ـ الجود من الموجود ، وفي نجد : « الجود من الماجود » .

٦٢ ـ وما خفى أعظم .. وفي نجد : «لخَفِيّ أعظم» وهما بمعنى واحد .

٦٣ ـ خير البر ما كان عاجله ، وفي نجد : « خير البر عاجله » .

٦٤ ـ الدار دار أبونا والناس يطاردونا ، وفي نجد : « الدار دار أبونا والقوم طردونا » .

٦٥ ـ الرضا سيد الأحكام « يستعمل هكذا في الحجاز ونجد » .

٦٦ ـ الصلح خير « يستعمل كذلك في البلدين » . والصيغة مقتبسة من القرآن المجيد .

٦٧ ـ قديمك نديمك ، وفي نجد : « رفيقك القديم عديم » أى عديم المثال .

٦٨ ـ الزائد أخو الناقص ، وفي نجد : « الزود أخو النقص » .

٦٩ ـ أهل السماح عاشوا ملاح ، وفي نجد : « السماح رباح » بضم الراء .

٧٠ ـ سم الخياط مع الأحباب ميدان ، وفي نجد : « سم الخياط للأصحاب ميدان » .

٧١ ـ سمنهم في دقيقهم . وفي نجد : « سمنكم في آديمكم » .

٧٢ ـ ما يعقلها الاشايب .

٧٣ ـ شايب وعايب (وهو في نجد كذلك تماماً) .

٧٤ ـ أمسك لى واقطع لك . وفي نجد : « شد لى واقطع لك » .

يضرب مثلا في تبادل المصالح .

٧٥ ـ شَى يبغى لو . شاهد . وشى شاهِدُو مِنُّو فيه . وفي نجد : « شى يبى شاهد وشَى شاهِدو مِنه » .

٧٦ ـ الصباح رباح . وفي نجد كذلك بضم الصاد والراء .

٧٧ ـ صَبِّح القوم ولا تماسيهم . وفي نجد : « صبح الملوك ولا تماسيهم » .

٧٨ ـ الصبر مفتاح الفرج « وكذلك هو في نجد » .

٧٩ ـ ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى . وفي نجد : « ضربنى وبكى وسبقنى وشكا » .

٨٠ ـ الفقير في القافلة أمير .

يضرب مثلا فيمن لا يخاف ايذاء الناس له . لعدم وجود مطمع من مال لديه .

وهذا المثل يدل على حالة الحجاز في عهود الفوضى حيث كانت وسائل المواصلات بين مدنه هي القوافل .. وحيث كان السلب والنهب يسودها ويسود الحاضرة والبادية .. وعندئذ يفرح الفقير المسافر الذى لا يملك شروى نقير ، لأنه آمن من الأذى والسلب والنهب . فليس لديه ما يسلب منه أو ينهب ..

٨١ ـ طارت الطيور بأرزاقها « وهو بهذا النص تماماً في نجد » .

٨٢ ـ طويل وهبيل ، وفي نجد : « الطول طول النخله والعقل عقل الصخله » . والصخلة هي السخلة أى الشاة الصغيرة

٨٣ ـ العبد وما ملكت يداه لسيداه . وفي نجد : « العبد وما ملك لسيده » .

٨٤ ـ شهر هل ، عـُدْو ، زل « والمثال يقال في نجد أيضاً » .

٨٥ ـ بعد ما شاب ودوه الكتاب ، وفي نجد : « عقب ما شاب خط عريفه » .

٨٦ ـ مد رجلك على قد لحافك . وفي نجد : « على قدر لحافك مد رجلك » .

٨٧ ـ الجادة ولو طالت ، وفي نجد : « عليك بالجادة ولو طالت، وبنت العم ولو بارت » .

٨٨ ـ غالى طلب رخيص « وفي نجد كذلك تماماً » .

٨٩ ـ الغايب حجته معاه . وفي نجد : « الغايب حجته معه » .

٩٠ ـ اذا غاب مَـرسُولَـكَ استرجِيه .

٩١ ـ الغربه كربه ، مثل قديم يستعمل في نجد بهذه الصيغة .

٩٢ ـ قوت لا يموت ، وفي نجد « القوت على حي ما يموت » .

٩٣ ـ الغلط مرجوع ، وفي نجد « الغلط مردود » .

٩٤ ـ اللى أوله شرط ، آخره سلامه ، وفي نجد : « كان شرط كان سلام » . ويبدو لى أنه قد حذف منه حرف الشرط للعلم به أى : ان كان شرط كان سلام : « وحذف ما يعلم جائز » . كما تقرره قواعد اللغة العربية .

٩٥ ـ يا مُترَخِص يا مُتنَغِص .

٩٦ ـ كتر الدوي يغلب السحر .

٩٧ ـ أحيينى اليوم وأمتنى غداً .

٩٨ ـ الكترة تغلب الشجاعة . وفي نجد : « الكثر غلب الشجاعة » .

٩٩ ـ كلب ينبح لك ولا كلب ينبح عليك « وهو كذلك في نجد » .

١٠٠ ـ الحي مالو قاتل .

١٠١ ـ كل حجره لها أجره « وفي نجد كذلك » .

١٠٢ ـ رحم الله امرأ عرف قدره .

١٠٣ ـ لكل زمان دولة ورجال ، وفي نجد : « كل زمان له دولة ورجال » وأصله مثل شعري قديم .

١٠٤ ـ كل مطرود ملحوق « وفي نجد هو كذلك » .

١٠٥ ـ لكل مقام مقال ، وفي نجد : « كل مقام له مقال » .

١٠٦ ـ كل واحد يجر النار لقرصه ، وفي نجد : « كِلّ يجر النار لقريصه » .

١٠٧ ـ لسانك حصانك ان صنته صانك وان هنته هانك .

١٠٨ ـ لولا المربي ما عرفت ربي .

١٠٩ ـ اذا طعمتم فانتشروا «يقصد به أن على الطاعم أن يخرج بعد ان يتناول الطعام ليبرح المكان لغيره من المدعوين أو ليرتاح أهل المنزل » . وأصل هذا المثل من قوله تعالى : « فاذا طعمتم فانتشروا » (الآية ٥٣ من سورة الأحزاب) .

١١٠ ـ الموت مع الجماعة رحمه « وهو كذلك في نجد أيضاً » .

١١١ ـ الناس بالناس والكل بالله « وهو كذلك في نجد » .

١١٢ ـ وجه تعرفه ولا وجه تنكره « يضرب في الحجاز ونجد معاً » .

١١٣ ـ الوحدة عبادة . وفي نجد : « الوحادة عبادة » وكلتاهما فصيح .

١١٤ ـ خير الأمور الوصط ، وفي نجد : « الوسط حابه الله » .

١١٥ ـ وعد الكريم دين . وفي نجد : « وعد الحر دين » .

ولهذا المثل أساس من الأدب العربي ، قال الصاحب بن عباد :

وميعاد الكريم عليه دين   فلا تزد الكريم على السلام

وأصل هذا المثل هو المثل الجاهلي : « أنجز حر ما وعد » . ويفيدنا الأصمعي بأن معنى هذا المثل هو حث الحر على أن يقوم بانجاز وعده . . لا الاخبار بأن من شأن الكريم أن ينجز الوعد ، والأمر في المثلين : الجاهلي والعامي واحد أو متقارب .

١١٦ ـ ادهن السير يسير « يضرب مثلا لاستعمال الحلوان : (البقشيش) أو الرشوة في تسهيل قضاء الحاجات » .

١١٧ ـ اليد الوحدة ما تصفق « وهو كذلك في نجد » .

١١٨ ـ حرامي يصرق الكحل من العين .

يضرب مثلا في البراعة المتناهية في السرقة . ويستعمل في نجد هكذا: « يسرق الكحل من العين » .

فهذه تسعة عشر ومائة مثل عامي . ترسل ، في جُدة وفي نجد وفي غيرهما من مدن المملكة . وليس هذا بحصر للأمثال التى تقال في شتى المناسبات بجُدة وغيرها . وانما هي المامة من شأنها أن تعطينا صورة عن طراز هذه الأمثال .

والأمثال المستعملة في جُدة كثيرة ومتنوعة ومتجددة ، ترسم كل طائفة منها حالة البيئة وعقلية الجيل الذى تطلق فيه أو تنشأ أو تسير .

وان للرجال أمثالا كما أن للنساء أمثالا ، خاصة بهن .

وتوجد ثمة أمثال غير مهذبة يقصد بها الاهانة . . .

اللهجة العامية في جُدّة



« اللهجة العامية » في جُدة ، هي اللهجة نفسها في مكة والمدينة وسائر مدن الحجاز ، مع فوارق طفيفة لا تكاد تظهر أو تذكر .. مما يدل على وحدة التفكير والعقلية والمجتمع .

وتمتاز اللهجة الحجازية عموماً على ما حققناه من المقارنة بينها وبين اللهجات العربية العامية في شتى أقطار العروبة ، بوضوح الألفاظ وعدم السرعة في الأداء ، وباخراج الحروف من مخارجها الصحيحة عدا الثاء والذال والظاء .. فقد أثرت عليها العجمة في النطق الصحيح بهذه الحروف . واندفعت حدة جنوحها عن الصواب ، من جراء قدوم آلاف الحجاج كل سنة الى هذه الديار ، واستيطان الكثيرين منهم بها .

ooooo

هذا ومن الألفاظ العربية الفصحى الباقية الى الآن في جُدة وفي الحجاز قولهم : « فلان ما يضام » بضم الياء أى لا يظلم ولا يهان . و « فلان ما يَعلم » أو « يِعلَم » بفتح الياء وكسرها ، وكلها تُنطَق بصورة صحيحة فصيحة . وقولهم : « هيا » لطلب التهيؤ لأمر ما ، وقولهم مثلا : « أنا كنت أشتغل » وقس على ذلك جملا وكلمات كثيرة مثل قولهم : « في أمان الله » بكسر النون على النطق العربي الفصيح بدون أي تحريف . وقولهم: « صرارة » بمعنى صرورة .

ومن عادة عامية الحجاز الاختصار ، والقلب ، والاختزال ، والتبديل .. وتغيير مفهوم الكلمة العربية الفصحى الى مفهوم آخر قريب من المفهوم الصحيح أو بعيد عنه .

فمن الاختصار قولهم : « ايوه » بكسر الهمزة ، بمعنى « نعم » . ويبدو لى أن أصلها : « اى والله » .

ومنه قولهم : « بِدّي » بكسر الباء بعدها دال مشددة مكسورة أيضاً فياء ساكنة سكوناً ميتاً . . ويبدو لى أن أصلها : « بِوُدّي » .

ومنه قولهم وهو قول قديم : « ايش »(١) وأصله : « أى شيء » .

ومن القلب والاختصار معاً ، قولهم : « جِبتُه » أى أتيتُ به . وأصله : « جئت به » .

ومن القلب وحده : الجوز ، بمعنى : « الزوج » .

ومن عادتهم في لهجتهم قلب بعض الحروف الى بعض تخففاً من الحرف الذى ثقل على ألسنتهم لدخول العجمة اليهم ومثل ذلك كثير ، نذكر منه : «كِدَا» بكسر الكاف بعدها دال مفتوحة فألف بمعنى : «كذا» بفتح الكاف بعدها ذال معجمة ، و «كِدِب» بمعنى : «كذب» ، و « ازا » أى « اذا » ، و « هدا » بمعنى « هذا » ، و « تقيل » أى « ثقيل » .

ومن تعديلهم لبعض مفاهيم الكلمات قولهم : « فلان تَنبَلَ » أى كسول . وصحة المفهوم العربي : قصير . والقصير غالباً ما يكون خفيف الحركة نشيطاً .

وهذه طائفة من الكلمات العامية في جُدة وسائر مدن الحجاز :

١ ـ « الجبا » ـ بفتح الجيم والباء المخففة بعدها ألف ـ يعنى بها تكريم الضيف الطارىء على المقهى باعطائه الشاي أو القهوة على نفقة المضيف ، وحينئذ يقول صاحب المقهى للضيف : هذا من فلان ! فيجيبه الضيف قائلا : الله يوسع عليه .

ويستعمل « الجَبا » بمصر في هذا المعنى وفي هذا الموقف تماماً ، على ما ورد في كتاب : « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » لأحمد أمين .

(١) استعملها أسامة بن منقذ كثيراً في مذكراته : « الاعتبار » .

٢ ـ حِيلَة أمُّه » أى واحدها . وتستعمل هذه الصيغة في مصر .

٣ ـ « خايب نايب » .. ان في «خائب» و «نائب» اتباعاً . وتستعمل هكذا في مصر .

٤ ـ «الرِّجّال» بكسر الراء بعدها جيم مشددة فألف فلام بمعنى : الرجل ، وهو تعديل غريب على العامية اذ تركت اللفظ الأخف الى الأثقل .

٥ ـ « حرمة » للمرأة ولها أصل فصيح .

٦ ـ « حرامى » أى لص نسبة الى أكل الحرام .

٧ ـ « الرّكّ » بتشديد الراء والكاف التشديد أى الثقل « حطْ رَكَّك على فلان » بمعنى ثقلك على فلان .

٨ ـ « راح » بمعنى : ذهب ، بدون التقيد بالمساء .

٩ ـ «حوش» ، لِفِنَاءِ الدار المسور ، أو لأى مكان مسور بدون أن يكون فيه بناء غير السَور المحيط به .

١٠ ـ « خوجه » للمعلم وهي في الأصل تركية .

١١ ـ « درويش » بمعنى الصوفي .

١٢ ـ «دَحِين» أى ذا الحين . وفيها قلب وحذف في آن واحد . قَلب لذال (اذا) .. وحذف (ال التعريفية) ..

١٣ ـ «دُغرِي» بضم الدال وسكون الغين المعجمة ، بعدها راء مكسورة فياء ساكنة سكوناً ميتاً ، أى مستقيم ، وهي كما يبدو لى تركية ، وتكتب بالتركية : « طوغرى » وتنطق دالا .

١٤ ـ « الزار » . وقد دخل هذا التخريف الى الحجاز من الخارج ، وكان يوجد بجُدة زاران : حضرمي وحبشي .

١٥ ـ «الغُطر ِيفَة ُ»ـ بضم الغين بعدها طاء ساكنة فراء مُمَالَة الى الكسرة الخ ـ رفع النساء لأ صواتهن مع ادارة ألسنتهن في الفم في مناسبة فرح .

١٦ ـ « السبحة » بمعنى المسبحة : آلة التسبيح المعروفة .

١٧ ـ « السجادة » و « السجاد » و « المفرشة » و « الحنبل » و « الشملة » لأنواع معروفة من البُسُطِ المزركشة والمزخرفة .

١٨ ـ «السحلب» لمشروب نباتي يُدَقُ ويُمزج بالحليب وبالسكر ويشرب في الشتاء بعد أن يُغلَى ، كما يشرب الشاي .. وهذا النبات يشبه الصمغ .

١٩ ـ «السُّفرجي» لِنَدُل الطعام ومنظم أوانيه قبيل تقديمه للأكل . وقد وهم أحمد أمين حينما قال : ان السفرة عند الأتراك المائدة(١) فالسفرة عند العرب قبل الأتراك هي ما يوضع تحت أواني الطعام لوقايته من السقوط على الفراش . ومن العربية أخذتها التركية فتَر َّكتها هكذا : « سِفرجِي » .

٢٠ ـ « السقا » هو من ينقل الماء بِالقِرَبِ أو بالصفائح أو بالفناطيس الى المنازل .

٢١ ـ «سِكتِر» بكسر السين بعدها كافساكنة فتاء مكسورة فراء ساكنة : تركيةَ محضة بمعنى : « أخرج أو اذهب » وقد نقلتها عامية الحجاز طبقاً للأصل . والملاحظ أن هذه الصيغة تكاد تهجر اليوم ان لم تهجر فعلا .

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص٢٣٣ .

٢٢ ـ « علق » بكسر العين وسكون اللام بعدها قاف معقودة أى جيم مصرية ، يطلق في العامية على سيء السلوك . وأصله عربي حرف لفظاً ومعنى ، فمعنى « العلق » في الفصحى « الشيء النفيس » .

٢٣ ـ « الشال » وهو أنواع : الكشميري والغباني ، وغيرهما ، ويقول أحمد أمين(١) : ان أصل الغباني أو الغاباني على حد تعبيره أن أهل مكة يسمون « يابان » .. « غابان » . وفي هذا نظر ، فليس أهل مكة يسمون اليابان غابان . بالغين . والغباني طيلسان مطرز يأتي من الهند ومن الشام يلبسه الرجال والنساء قديماً ويلبسه المغاربة قديماً .

٢٤ ـ « العمامة » بمعنى الفترة المزخرفة .

٢٥ ـ « شحات أي سائل .. محرفة عن كلمة « شحاذ » الفصحى. لقد حصل في هذه الصيغة قلبان : قلبت الذال دالا ثم قلبت الدال تاء فصارت الكلمة « شحات » .

٢٦ ـ «شُرُم بُرُم» معناها الحال المزرية من الضنك وقلة ذات اليد.

٢٧ ـ « شربيت » بضم الشين بمعنى : « الشراب المصنوع من ماء بارد وسكر وشيء من عصير الفاكهة أو ما أشبه » وأصلها عربية مستتركة .

٢٨ ـ « الشيشة » وهي النرجيلة أو الكركرة ، وهي آلة شرب الدخان الهندية .. يوضع الماء في اناء عمودى زجاجي أو خشبي من النارجيل ثم تركب فيه أنبوبة طويلة لينة ويركز فوقها اناء من الفخار مخصوص يملؤونة فحماً ، وعليه نوع من الدخان يسمى « الحُمِّي » ويمتصونه بأفواههم وهم يتحدثون أو يفكرون أو يعملون . و «الحمى» بضم الحاء وكسر الميم مع تشديدها وبعدها ياء ساكنة ـ نوع من

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص٢٩٧ .

الطُّبَّاق «التنباك» أصفر اللون، ويقول أحمد أمين: انه منسوب الى «حماة» وانه محرف عن «حموى»(١)، ويقول الشيخ محمد نصيف: ان أصله من حضرموت ويسميه الحضارمة «حمومي». ويوجد نوعان آخران من دخان الشيشة هما «الكيزرون» وهو شبيه بالحمى ويستورد أيضاً من حضرموت، والنوع الآخر هو «الجُرَاك» ويستورد من الهند(٢).

٢٩ ـ «صُباعُه مُدَوحَس» أى فيه دمل مؤذ له، وهو الداحس أو الداحوس(٣).

٣٠ ـ «الصالون» للبهو الكبير في الدار.

٣١ ـ «الصيوان» للخيمة الكبيرة.

٣٢ ـ «صَهيِن» بصيغة الأمر (أي تَغافَل) وغُضَّ النظر. وأصلها كما يبدو لى كلمة: «صه» ونونت الهاء للمبالغة، كما هو في اللغة الفصحى: «صَه». وزاد العامة الياء واقتضى ذلك سكون الهاء فقالوا: «صَهيِن» أى «صه» بتنوين الهاء. وللعامة عادة في زيادة الياء كما يقولون في «عادى»: «عايدى».

٣٣ ـ «العايدى».. وزيادة الياء لدى العامة أمر معتاد كما قلناه، ومن ذلك تحريفهم لصيغة العادى في قولهم: «هذا كتاب عايدى وهذا مسجل» لقد حرفوها هكذا مثل ما فعلوا بِصَه تماماً.

٣٤ ـ «العمة» ـ بكسر العين ـ للعمامة المقصصة وقد كادت تبطل الآن.

٣٥ ـ «الضبة» وهي القفل الخشبي العربي القديم الذى يشبه الصليب، وبطل الآن صنعه. وكلمة الضبَّة هذه صحيحة.

---

(١) نفس المصدر ص ٢٥٥. (٢) عن الشيخ محمد نصيف.

(٣) في المنجد: دحست اصبعه: أصابها الداحس ص٢٤٠ الطبعة الخامسة ببيروت. وفي القاموس: ان الداحس والداحوس قرحة أو بثرة تظهر بين الظفر واللحم، فينقلع منها الظفر. والاصبع مدحوسة ج ٣ ص ٢٢٢ المطبعة الميمنية بمصر.

٣٦ ـ « العمدة » شيخ الحارة . ولا يزال يعرف بهذا الاسم في جُدة .

٣٧ ـ « علشان » أو « عشان » اختصار ونحت عجيب ، من كلمة : « على شأن » بمعنى « لأجل » كما أراده العامة لهذه الصيغة .

٣٨ ـ « الغُرَيِّبَة » ـ بضم الغين وفتح الراء بعدها ياء مشددة مكسورة ـ وهي في مصر بالمعنى الذى هو نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكر .

٣٩ ـ « الغول » حيوان خيالى له ذكر في شعر العرب القدامى ، ويقول أحمد أمين : انه ميراث من القدماء .

٤٠ ـ « فَرَجِيَّة » جُبة واسعة طويلة الأكمام .

٤١ ـ « شاية » وهي ما يسمى في الشام بالقمباز .

٤٢ ـ « سَديريَّة » أى صدرية للثوب القصير الذى كان يستعمل شعاراً من قبل عهد الفنايل .

٤٣ ـ «الفقى» معلم القرآن وتاليه في المناسبات ، وأصله «فقيه».

٤٤ ـ « الفنار » مصباح تهتدى به المراكب البحرية قبيل دخولها الميناء ، وربما كان أصله من الايطالية ، لأنه عندهم «فانور»(١) .

٤٥ ـ « المحتسب » قام مقامه رئيس البلدية بتقلص في بعض سلطاته المدونة في كتب الأحكام الشرعية .

٤٦ ـ « المحسوب والمحسوبية » نسبة الى محسوب ، أى مستند الى فلان .

٤٧ ـ « المدفع » الآلة الضخمة ذات الفوهة التى تطلق منها القنابل

(١) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية .. ص٣١١ .

أو القنابر (على التعبير الصحيح) في الأعياد والمناسبات والحروب .

٤٨ ـ « المسحر » رجل يدور في أواخر ليالى شهر رمضان ، ليوقظ الناس الى السحور بطبلته وأغانيه البلدية، ويذكر أسماء من هم في كل بيت . وفي أيام العيد يدور على البيوت يجمع الحلوان من أهلها الذين مر عليهم في ليالى شهر رمضان .

٤٩ ـ « المسطول » : أى الثمل . وفي مصر معناها متعاطى المنزول(١) أى المخدرات .

٥٠ ـ « معليش » أى لا بأس ، وهي من « معلهش » المصرية المشهورة . وأصلها كما يبدو لى : « ما عليك شيء » أو « ما عليه شيء » فيما صنعت أو صنع أو قلت أو قال ، فنحتت هكذا .

٥١ ـ « هرج ومرج » .. والهرج في عامية الحجاز بمعنى الكلام .

٥٢ ـ « المقويات » المعاجين والأدوية التى تقوى الباه .

٥٣ ـ « الملاية » ما تلبسه المرأة فوق ملابسها ساتراً لجسمها اذا خرجت من بيتها . ولعل أصلها العربي هو (الملاء) .. كما ورد في معلقة امرىء القيس .

٥٤ ـ « المنسج » ما تطرز عليه النساء في منازلهن المناديل وغيرها.

٥٥ ـ « المداس » الحذاء البلدي الحجازي والنجدي .

٥٦ ـ « النشوق والسعوط » ورق الدخان الذى يسحق ويضاف عليه قليل من النطرون ويوضع في الأنف لجلب العطاس أو لاراحة الدماغ أو لانزال المخاط من الأنف .

٥٧ ـ « الفنجان » الاناء الزجاجي أو الفخاري الصغير الذى يصب فيه الشاي أو القهوة .

(١) نفس المصدر ص٤٤٨ .

٥٨ ــ « الميضة » أى « الميضأة » وقد حدث فيها حذف ، حذفت الهمزة .

٥٩ ــ « الفول المدمس » وهو طعام مصري أدخل الى جُدة والحجاز ونجد من مصر ، ويتناوله الناس غالباً في الافطار والعشاء ، بعد أن يضيفوا اليه شيئاً من السمن أو الزيت والبصل مع كراث ، أو الباذنجان الأحمر والخل اذا شاءوا .

٦٠ ــ « القرينة » داء الصرع .

٦١ ــ « كفشه » بمعنى عثر منه على خطأ . وفي مصر تستعمل « قفش » .

٦٢ ــ «قمر الدين» المشمش المجفف المكبوس المبسوط حتى يصير رقيقاً مثل ورق المقوى .

٦٣ ــ « الكارو » بتشديد الراء وضمها : عربة يجرها حمار أو حصان أو بغل .

٦٤ ــ « كانى مانى » تستعمل هذه العبارة في الكناية عن كلام غير مفهوم .

يقول أحمد أمين : انها كلمتان قبطيتان « كانى » معناها السمن و «مانى» معناها العسل . وقد يضيف اليها الحجازيون عبارة : و «دكان» الزلباني» ولعلها مجرد اتباع لتجميل العبارة .

٦٥ ــ « قعقع » هو الجوز .

٦٦ ــ « الكرت » و « الكراكب » للأمتعة المتراكمة القليلة النفع .

٦٧ ــ «كباب» هو : اللحم المفروم المشوى في أسياخ من الحديد مضلعة .

٦٨ « كُتَّاب » ــ بضم الكاف ــ أول معهد لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن المجيد .

٦٩ ــ « اللـُّبـَان الذكر » معروف .

٧٠ ــ «ليلة الحـنـَّة» وصحتها « الحناء » ومثل هذا « الرفه » بمعنى « الرفاء » .. وكانت معروفة في جُدة من ليالى العرس ، وقد انقرض هذا التقليد .

٧١ ــ « ليلة الدخلة » للعريس وتسمى أيضاً ليلة النَّصـَّة . لأن العريس يدخل على العروس وهي فوق منصتها مغمضة العينين ومدهونة الوجه بدهن اللوز لتلصق الغوازي(١) عليه .

٧٢ ــ « اليافطة » اللافتة المكتوبة بخط كبير جميل .

٧٣ ــ « ياما » بمعنى طالما . ويبدو أن لها أصــلا مصرياً .. ففى احدى الأغنيات الحجازية الشعبية التى كنا نحفظها منذ نعومة الأظفار بالمدينة المنورة ولا نفقه مغزاها يومئذ وحتى الآن :

ياما طَـلَـعنا في سُطوح الباشـَه والتمره حِـنـَّا والعرب حَـشـَّاشـَه

وغير ذلك كثير وكثير .



(١) الغوازي : عملة ذهبية تركية قديمة خفيفـة الوزن جيدة الذهب جمع (غازية) نسبة الى السلطان العثماني الذى كان يلقب بالغازي وسميت العمـلة يومئذ بالغازية نسبة اليه .

المكتبات الخاصة بمدينة جُدة



فيما قبل القرن الهجري الرابع عشر لم نقف على أنبـاء وجـود مكتبات علمية خاصة أو عامة بهذا البلد .. ومع ذلك فأني أعتقد أنه كان لبعض علمائها وأدبائها مكتبـات خاصـة .. يرجعـون اليهـا في مطالعاتهم ونوازلهم ، فمثل الأديب الشاعر محمد بن يحيى قابل ــ وهو من أهل القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ــ لا بد أن له مكتبة يعود اليها في مطالعاته الأدبية واستلهاماته الشعرية . وقس على ذلك من تقدموه ، ومن جاءوا بعده .

وأول نبأ مُسنَد عن مكتبـة خاصة وصل الى علمى ، يتمثل فيمـا رواه لي الشيخ محمد نصيف من أن الشيخ محمد بن حسين بن ابراهيم أحد علماء جدة في أوائل القرن الحالى كان قد اقتنى مكتبة كبيرة ، ولا ندرى ماذا حدث لها بعدئذ .

وفي طليعة المكتبات العلمية الزاخـرة بجُدة الآن ــ مكتبـة محمد نصيف وقد بدأ في انشائهـا وهو ناعم الأظفـار . وبهـا الآن نفائس الكتب ، من شرق ومن غرب ومن جنوب ومن شمال ، ولا يزال صاحبها يغذيها بمختلف الذخائر مما يشتريه ويجلده فاخر التجليد ، أو يُهدَى اليه ، وهي مرجـع علمي ، لا يكاد ينضب ، للمراجعـين الذين يفتـح صاحبها لهم صدر داره للمطالعة والاستفادة .

وقد أشاد بها أمين الريحاني ضمن ثنائه العاطر على صاحبها فقال :

« وهذا الشيخ محمد نصيف أديب جُدة الأكبر وأمير الكتب فيها ، فان عنده مكتبة حافلة بالقديم والحديث من التأليف لا يقتنيها للعرض فقط ، بل لينتفع وينفع بها . يجيء الأدباء الى دار الشيخ محمد ، كأنها دار الكتب العمومية ، فيعيرهم ما يشاؤون منها ، ويشترى ما يعرضون عليه من مخطوط أو مطبوع ، وهو دائرة معـارف ناطقـة يجيب على

السؤالات التي توجه اليه ، ويهدى الى مصادر الثقة في العلوم الأدبية والتاريخية والفقهية »(١) .

وتقع هذه المكتبة التي تحوى ذخائر الكتب المطبوعة ونفائس المخطوطات ومجموعات الصحف العربية والتركية القديمة والحديثة في دار صاحبها بمحلة اليمن . وتعتبر من أقدم المكتبات العلمية الخاصة بجدة .

وتوجد مكتبة أخرى حافلة بالذخائر ولكنها أحدث عهداً كثيراً من سالفة الذكر ، وهذه هي مكتبة محمد سرور الصبان الموجودة هي الأخرى في داره بمحلة الرويس . وفيها ألوان الكتب المطبوعة والمخطوطة والصحف القديمة والحديثة . وقد ضم اليها صاحبها جزءاً كبيراً من مكتبة رشدى الصالح ملحس .. وهي مكتبة زاخرة بالنفائس والنوادر من كتب مخطوطة ومطبوعة ومجموعات صحف قديمة وحديثة، وكان ذلك الضم بشراء الجزء المذكور من ورثة رشدى ملحس .

وهنا أيضاً مكتبة محمد صالح بن علي باعشن ، فهذه المكتبة تحتل غرفة خاصة من دار آل باعشن بمحلة المظلوم ، وفيها نفائس من الكتب المجلدة أنفس تجليد افرنجي وغيره مما يدل على العناية بها .

وقد أشاد محمد صالح بن علي باعشن في مذكراته الخطية، بهذه المكتبة العامرة بنفائس الكتب المجلدة أحسن تجليد والتي خلفها والده فقال في أسلوب مبسط : « وقد عثرت ــ أي بعد وفاة والده ــ على سحارتين ــ (صندوقين) كبيرتين مقفلتين ملآنتين بشيء لا أعلمه ، وأخبرت سيدى الأخ فقال : انى لا أتذكر هاتين السحارتين ، وقال لى : اكسروا الأقفال ، وشوفوا : (انظروا) الذى في باطنهما . فجئنا بالأقفال فوجدت مملوءة صدأ ودائبة (أى بالية) فكسرناها فوجدنا بالسحارتين كتب

(١) أمين الريحاني : ملوك العرب . الجزء الاول ص٥١ و ٥٢ .

فقه على مذهب الامام الشافعي ، وهي كتب نفيسة مجلدة بجلد أحمر (سختيام) وكل جزء منها داخل غلاف جديد ، لها لمعان ورهجة (أى بريق) وكل كتاب منها وجدناه مكتوباً عليه بخط سيدى الوالد المرحوم : « مشترى بعض الكتب من مصر ومن مكة وجُدة ومن تركات بعض الناس الأكابر » وعلى كل كتاب قيمته ، وبعض الكتب قيمتها « ٥٠ » ريالا و « ١٠٠ » ريال و « ٢٠٠ » ريال وجميعها موقوفة على السيد عبد الله بن ... العطاس(١) .

ويبدو لنا أن صاحب المذكرات أزمع عندئذ أن ينشىء مكتبة علمية زاخرة في داره ، فكانت نواتها هذه المكتبة التى لا تزال الى اليوم في دارهم مصفوفة في خزائنها .

وبجُدة مكتبة علمية أخرى جمعت فأوعت من النفائس والذخائر ، وهي مكتبة حسونة البصطى ، وتقع في داره بحارة المظلوم . وهذه المكتبة الكبيرة المنسقة على خير منوال تملأ غرفة كبيرة خاصة بدارة صاحبها ، وبعض غرفة أخرى بجوارها . وجل كتبها مجلد تجليداً فاخراً ، وبها نفائس الكتب المطبوعة والمخطوطة ومجموعات الصحف العربية القديمة والحديثة عربية ووطنية . فهي مرجع هام للمستفيدين . وقد جعلها صاحبها وقفاً مع العمارة التى تقع فيها ، على مدرسة الفلاح بجُدة .

ومكتبة مدرسة الفلاح ، هي مملوءة بالكتب ، وقد وضعت في خزائن بعمارة المدرسة .

وفي محلة الرويس على طوار شارع المدينة المنورة توجد مكتبة شرف رضا ، وهي مكتبة فيها كتب قيمة ، قديمة وحديثة .

---

(١) المذكرات الخطية : ص ٣٤ . ومن الجدير بالذكر أن المرحوم محمد صالح بن علي باعشن ذكر في مذكراته أنه كف بصره في عام ١٣٢٤ هـ والمذكرات انما أملاها املاء من عام ١٣٥٩ هـ الى عام ١٣٦٥ هـ على أحد أقاربه فكتبها هذا بخطه .

وفي شارع مكة المكرمة مكتبة محمد خليل عناني .

وبجُدة مكتبة مؤلف هذا الكتاب بداره في حي الشرفية بشمال جُدة الشرقي أولا ثم بحي مشرفة شمال جُدة بعد ذلك . وفيها كثير من المراجع العربية القديمة والحديثة والمراجع الغربية والصحف والمجلات العربية والوطنية قديمة وحديثة . وكثير من مادة هذا الكتاب مستقى منها .

ولا بد أن هناك مكتبات خاصة أخرى ، توجد لدى بعض مثقفى جُدة وتجارها وأثريائها وعلمائها وموظفيها ومدارسها وبعض دوائرها . وذلك مثل بيت زينل وغيرهم ، كما توجد مكتبات خاصة لدى بعض السفارات والسفراء والممثلين السياسيين .

وهنا أيضاً مكتبة وزارة الاعلام ، وهي لا تزال في مبادىء التكوين ، ولها بهو خاص ، فيه خزائن خشبية مدهونة جميلة . والمكتبة منسقة على أحسن طراز ، ولها موظفون خاصون ، ومدير . وهي حكومية . وقد أهدت السفارة الهندية في عهد ابراهيم الشورى مدير الاذاعة والصحافة والنشر المنتدب خزانة عربية كاملة تحتوى على المطبوعات القيمة التى طبعتها دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد دكن بالهند وهى التى تكونت من أكثرها المكتبة المتحدث عنها .

وما دمنا في معرض الحديث عن المكتبات فلنا أن نشير هنا الى أمرين :

أولهما : أن وجود المكتبات العامرة الخاصة بكثرة أو بقلة في أى بلد هو دليل حيوي على مدى انتشار الثقافة والوعي به ارتفاعاً وانخفاضاً . أما اذا لم يوجد شيء من ذلك ، فذلك دليل قائم على نضوب البلد من أهم مصادر التفكير .

وهذا المعيار الصادق الدقيق يعطينا نسبة ما كانت عليه جُدة من قبل ومن بعد من ناحية الثقافة والوعي .

وثاني الأمرين : أنه حتى الآن لم توجد مكتبة عامة بمعنى الكلمة في مدينة جُدة . وهذا مع استبحار عمرانها وانتشار دور التعليم فيها، ومع أنها ثغر الحجاز الأول بل ثغر المملكة العربية السعودية الذى هو أقرب ثغورها صلة بالعالم الخارجي . ومثلها في ذلك مثل الاسكندرية بالنسبة لمصر(١) .

هذا وقد كنت اقترحت عند تأليف هذا المجلد الأول من الكتاب في عام ١٣٨٢ هـ أن تقوم « بلدية جُدة » بمشروع تأسيس « المكتبة العامة » فيها باسم « مكتبة بلدية جُدة العامة » وأن تزودها بمختلف الكتب ، على أن تقوم بعمارة لها في نقطة متوسطة بالبلد . وعلى أن تكون العمارة مثالية وآية في الروعة والسعة والتنظيم الحديث . وأن يكون طراز مبناها عربياً مبيناً . خاصة وانه سيكون لدينا عما قريب – ان شاء الله – مواطنون من خريجي الجامعات تخصصوا في فن المكتبات(١) . ولا نزال ننتظر تحقيق ذلك وبخاصة في عهد الرجل الهمام المهندس الذى نهض بعمران جُدة حتى تجاوز به المدى المتصور : (محمد سعيد فارسي رئيس بلدية جُدة) .

المكتبات التجارية

لم أطلع فيما اطلعت عليه من المراجع التى تتحدث عن جُدة اما قصداً أو عرضاً – على أنه كانت بها مكتبات تجارية في أزمنة التاريخ القصية المتوالية . ومع ذلك لا أستبعد أن تكون بها مكتبات صغيرة متواضعة لا تسترعى الأنظار كثيراً ، لتغذية أفكار الحجاج والطلاب مما يتسنى وجوده فيها من المصاحف الخطية والكتب النحوية والدينية والأدبية والحسابية وغيرها الموردة اليها قبل عصر الطباعة . ومن مطبوعها بعد عصر الطباعة .

---

(١) علمنا فيما بعد أنه أنشئت مكتبة عامة حكومية في مدينة جدة .. وسنتحدث عنها ان شاء الله بتفصيل في المجلد الثاني من هذا الكتاب عندما نذكر المكتبات بجدة ..

(١) في فصل « بلدية جدة ومشروعاتها » ما يدل على اهتمام بلدية جدة بهذا المشروع وتنفيذه .

وكانت المكتبات العـامرة من هذا النوع موجودة في مكة والمدينـة المنورة في بابي السلام بهما ، وقد استمر ذلك الى حين عمارتي المسجد النبوي فالمسجد الحرام الأخيرتين ، ومن ثم هدمت الدكاكين التى كانت بها هذه المكتبات من حول المسجدين لتوسعة الشوارع فتحول أصحابها الى أماكن أخرى من البلدين .. ولم يهيأ لهم ، بعد ، سـوق خاصـة كالتى كانوا بها .

ومن أوليات المكتبات التجارية في جُدة على ما حدثنـا به الشـيخ محمد نصيف ـ مكتبة السـيد عبد الفتـاح الرشـيدي جـد الأسـتاذ عبد العزيز الرفاعي لأمه ، بأول القرن الهجري الحالى . كانت مكتبتـه عند بيت باناجه في محلة الشام أولا ، وعندما اتسعت نوعاً ما ، صـار يجلب لها الكتب من مصر في صناديق . ثم نقلها الى سـوق الندى أمام مطبعة الفتح . وكان يشترى لهـا الـكتب من سـوق المزاد العلني من « الدشوت »(١) وكان يبيع بها الكتب القديمة ، كما كان يشترى كتب الحجاج منهم .

ثم جاء بعده عثمان بن أحمد اليمـاني المشـهور بكريكة « بضـم الكاف بعدها راء مهملة مفتوحة بامالة ، فياء ساكنة فكاف مفتوحة فتاء مربوطة » .

ويفيدنا الشيخ محمد نصيف بأنه حينما فتح عثمان مكتبته هذه ، صـار يشـترى منها الكتب ، ويقول لنـا : انه زميله في طلب العلم . وانه ـ أى عثمان ـ كان مَزّاحاً . وقـد قال فيه الشـيخ أحمد ظافر المدنى :

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن   لـكنه يبتغى حمداً بمجـان

(١) جمع دشت بمعنى « مجموعة غير منظمة ولا مبـوبة ولا كامل بعض الكتب التي هي بها ولا مجلد غالبها أيضا .. و « الدشت » وهي بدال مهملة بعدها شين مثلثة ساكنة فتاء مفتوحة وليست عربيـة الأصل .

وقد بقيت مكتبته مفتوحة سنين عديدة . وبعده جاء أحمد باخريبة الحضرمي السوداني ففتح مكتبة لتسويق الكتب بسوق الندى في جوار مسجد الحضارمة . وكان فتحه لها في زمن حكم الملك حسين بن علي ولم تدم كثيراً من الزمن .

وجاء بعده محمود يغمور ففتح مكتبته في السوق الكبيرة ثم انتقل الى حوش عكاش ، وقد شاهدتُ هذه المكتبة وكانت فيها الكتب الأدبية الحديثة والصحف العربية الخارجية والروايات البوليسية . وكان محمود يغمور رجلا مزاحاً مثل سلفه عثمان كريكة . وقد أغلقت مكتبته بوفاته .

ومن بعده رأينا مكتبة محمد حسين أصفهاني تحت مسجد عكاش . وكانت تورد الروايات والصحف العربية . وتوكل عن بعض الصحف المحلية كصوت الحجاز ومجلة المنهل ومجلة النداء الاسلامي . ولا تزال هذه المكتبة موجودة في سوق التوفيق وكان لها فروع عديدة في البلد لبيع الصحف والكتب الأدبية الحديثة في أكشاك حديثة(١) .

ومنذ عصر نهضة جُدة رأينا توسعاً عظيماً في فتح المكتبات التجارية بها ، واقبالا متزايداً من الناس عليها ، يشترون منها الكتب العلمية والدينية والأدبية والمدرسية ، والصحف الداخلية والخارجية والروايات المختلفة .. حتى الصحف الأجنبية صارت تباع في هذه المكتبات . وكذلك الكتب الانكليزية والفرنسية من أدبية وعلمية وخلافها .

هي قفزة كبيرة بالمكتبة التجارية .

■ وهذا بيان بالمكتبات التجارية في الوقت الحاضر :

١ ـ مكتبة الارشاد : لصاحبها سالم بالاعمش ، تقع بسوق الندى،

(١) توقفت بعد سنة كتابة هذا الفصل .

وتعتبر من كبريات المكتبات وبعد وفاته تولى أمرها أخوه محمد بالاعمش حتى اليوم .

٢ ـ مكتبة شاكر ، لصاحبها شاكر مصطفى باعشن ، في شارع سوق الندى ، ولها فرع في باب مكة .

٣ ـ المكتبة السعودية : لصاحبها أحمد بن سليمان الحضرمي ، بشارع سوق الندى ، ولها فرع في باب مكة .

٤ ـ مكتبة عادل : لصاحبها عبد الرحيم صدقة عبد الفتاح، بشارع سوق الندى .

٥ ـ مكتبة الفتح : وتتبع مطبعة الفتح لصاحبها عبد الرحيم صدقة عبد الفتاح وتقع بشارع سوق الندى

٦ ـ مكتبة الحَبَّال : بسوق الندى ولها فرع في باب شريف .

٧ ـ المكتبة الأهلية : بسوق الندى ، لصاحبها علي سالم أبو منذر الحضرمي .

٨ ـ مكتبة الري : بجانب مسجد عكاش ، على طرف من شارع قابل ، لصاحبها سعيد باريان الحضرمي .

٩ ـ مكتبة مطابع التوفيق : بشارع سوق الندى .

١٠ ـ مكتبة الرضوان : بسوق الندى .

١١ ـ مكتبة الريان : بسوق الندى ، لصاحبها باريان .

١٢ ـ مكتبة الأصفهاني : بشارع التوفيق ، لصاحبها محمد حسين أصفهاني .

١٣ ـ مكتبة القلم : لصاحبها صالح صابر ، بعمارة باخشب بباب جديد ، ولا تزال هذه المكتبة مفتوحة وعاملة حتى عام ١٤٠٠هـ .

١٤ ـ مكتبة دبوس : في شارع الملك عبد العزيز ، لصاحبها محمد علي خزندار ، وكان دبوس اللبناني منشئها ثم باعها للخزندار .

١٥ ـ مكتبة الصلاح : تحت عمارة البنك الأهلي التجاري في شارع الملك عبد العزيز ، لصاحبها صلاح .

١٦ ـ مكتبة المكتبة : بشارع الملك عبد العزيز بجوار كازينو المنتزه ، لصادق الحسيني .

١٧ ـ مكتبة الصحافة ، بجوار « محلات شيك » بشارع الملك عبد العزيز .

١٨ ـ مكتبة جُدة : بحارة اليمن أمام دار الشيخ محمد نصيف ، لصاحبها أحمد عمر بايزيد وكانت قد تنقلت من محل الى محل . ولا تزال بمحلها المذكور حتى العام ١٤٠٠ هـ .

١٩ ـ مكتبة عبد المحسن الحضرمي بسوق العلوي .

٢٠ ـ مكتبة الحرمين : بجوار فندق الحرمين بشارع الملك عبد العزيز ، لصاحبها منصور الهتارى .

٢١ ـ مكتبة الميرزا ، لبيع أدوات المدارس ودفاترها وما الى ذلك ، بسوق الندى .

٢٢ ـ مكتبة الحرمين ، بباب شريف جنوباً عنه .

٢٣ ـ المكتبة العامة : بحي الشرفية ، على طرف شارع الملك سعود، لصاحبها السيد هاشم نحاس .

فهذه ثلاث وعشرون مكتبة لتسويق الكتب وأدوات المدارس والصحف ، مفتوحة الأبواب بجُدة اليوم .. وهو عدد غير قليل اذا ما قيس بماضى جُدة من هذه الناحية .

ويلاحظ أن نصف هذه المكتبات التجارية موجود في شارع سوق الندى . ومن أجل ذلك أقترح على البلدية أن تسميه : « شارع المكتبات » .



الطباعة والمطابع بمدينة جُدة



المطابع أجهزة فنيــة حديثــة مهمتها أن تنشر الصحف والكتب من طريق طبعها بها كما تطبع البطاقات والدفاتر التجارية وغيرها ، ولم يكن حظ جُدة في هذا المجال واسعاً ومغرياً ، هي في ذلك تساير أمهات مدن الحجاز . وأول ما علمناه من وجود طبــاعة ومطابع بجُدة كان في أوائل هذا القرن الهجري .. لقد تأخر قليلا دخول فن الطباعة والمطابع الى جُدة بالنسبة لمكة التى تجاورها .

ولم يحدثنا بطرس البستاني ولا دائرة المعارف البريطانية « طبعة سنة ١٩١١ م » ولا دائرة المعارف الاسلامية ، ولا ابراهيم رفعت باشا عن وجود مطابع في جُدة .

وقد حدثنا محمد لبيب البتنوني بأن لجريدة « الاصلاح » الجُدية التى شاهد لوح عنوانها على محل لم يعينه لنا ـ مطبعة . ويقع المحــل في حي قصبة الهنود بمحلة الشام ، وقال : ان هذه المطبعة لا عمل لها . كان ذلك في سنة ١٣٢٧ هـ حينما قدم بمعية الخديوي الى الحج(١) ولابد أن هذه المطبعة هي من المطابع القديمة التى تدار باليد ، وهي المطبعة المعروفة بمطبعة رمزي .

ويفيدنا حسين نصيف بأن : « المطابع في عهد الملك حسين من الجنس القديم التى تدار باليــد ، واحــدة بالمدينة للحكومة ، وواحدة بجُدة لأحد الأهالى(٢) .

وأعتقد أنه لم تجلب مطبعــة من الخــارج الى جُدة في عهــد الملك حسين .. فتعين أن يكون ما هو موجــود بالحجــاز ، من مطابع في زمن حكومته ، من بقايا التراث العثماني ، ليس غير ، وهي مطابع هزيلة ضئيلة الكم والكيف والانتاج ، كما هو معلوم .

---

(١) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص٩ .
(٢) حسين نصيف : ماضي الحجاز وحاضره ص١٠٢ .

وفي أوائل عهد الحكومة السعودية ، وبالدقة في سنة ١٣٤٩ هـ أسس عبد الرحيم صدقة عبد الفتاح من أهل جُدة ـ « مطبعة الفتح » . وقد حدثني بأنها مرت عليها سنوات عجاف طوال ، وأن النشاط في العمل والاقبال ، لم يسريا اليها الا منذ بضع سنوات . وقد وسعها فجلب لهـا مطابع أخرى ونقلها من عهد قريب « بسبب التوسع الذى أحدث فيها » الى عمارة حديثة تابعة لمديرية الأوقاف بحارة الشـام . وكانت تدار باليد فأصبحت تدار بالكهرباء ، وتقوم بطبع الأشغال التجارية للتجار وللمصارف : « البنوك » في نفس البلد ، وتتألف من خمس آلات طبع ، بعضها صغار ، ومنها مطبعتان كبيرتان نسبياً ، ثم نقلت فيما بعد الى حي مُشرِفَة على طوار الشارع الشمالى المعروف باسم : (طريق المدينة) وهو الذاهب الى الشمال لأن المدينة تقع في شمال جُدة ، وصار للمطبعة عمارة خاصة بها على ناصـية الطوار الشرقي لذلك الشـارع ، وقـد استقرت المطبعة هذه بهذا المكان ولا تزال فيه الى أوائل سنة ١٤٠٠ هـ التى نكتب فيها هذه السطور .

وفي سـنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢م(١) قـام أحمـد عبيـد بانشاء : «مطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر» في الكيلو الخامس بطريق جُدة ـ مكة ، وهي شركة مساهمة محدودة تملـكها أخـيراً حسن شربتلى . وكانت المطابع الأولى في المملكة التى تصف فيها الحروف بالآلة الطابعة المعروفة بـ « اللينوتيب » وقد طبعت عدة صحف ومجلات وكتب وكراريس مدارس بشكل لم يسبق له نظير لا في الاخراج ولا في الانتاج ، وبالجملة انها كانت فاتحة عصر التطـور الحـالى للطبـاعة بالمملكة ، وقد فتحت الباب لتأسيس مطـابع من هـذا النـوع تماشى متطلبات العصر وتشبع رغبات النـاس وطمـوحهم الى السرعـة والى التجديد والى أناقة الطباعة . وبالجملة فان « مؤسسة الطباعة » هي أول

(١) الدكتور خليل صابات : تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص٣١٢ طبع دار المعارف بمصر .

مؤسسة طباعية في المملكة وردت الآلة الطباعية الأوتوماتيكية الحديثة.. كما أنها أول مطبعة وطنية أدخلت الى البلاد معمل زنكوغراف ، وأول مطبعة أدخلت الصف الآلى باللينوتيب . وأول مطبعة أصدرت مجلة مصورة . وأول مؤسسة أدخلت الى هذه البلاد ، أخذ الأخبار العالمية من وكالة رويتر .

ومن بعدها أسس محمد حسين أصفهاني : « مطابع دار الأصفهاني وشركائه » سنة ١٣٧٤هـ وكانت حديثة منذ انشائها ، الا أنه لم يدخل عليها آلات اللينوتيب الا بعد مدة من الزمن ، وفيها الآن ثلاث آلات حديثة من هذا النوع ، بخلاف آلات الطباعة الكبيرة والصغيرة وآلات القص والحزم والتطبيق والتجليد والتغرية ، وزاد اتخاذ خطوة جديدة بالنسبة للطباعة في المملكة بأن استحضر من الخارج آلتي « أوفست » وهما أول آلات طبع من نوعهما دخلت هذه البلاد ، وقد طبعت بها طوابع بريد الحكومة السعودية ، وكان ذلك المرة الأولى التى طبعت فيها هذه الطوابع البريدية في داخل المملكة . وفي المطابع قسم للخطاطين وقسم للزنكوغراف .

وقد تمرن بهذه المطابع شابان سعوديان على الطبع باللينوتيب فأنقذا مع زميل لهما لبناني(١) الصحف التى تصدرها هذه المطابع من التوقف في شهر رمضان ١٣٨١هـ ـ فبراير ١٩٦١م وذلك حينما سحبت الحكومة المصرية عمال المطبعة المصريين ليلا مفاجأة بدون سابق انذار على أثر الخلاف الذى نشب بينها وبين الحكومة السعودية . وقد توسعت مطابع دار الأصفهاني أخيراً ، ونقلت الى عمارتها الجديدة الكبيرة في شمال جُدة . وهي بها الآن سنة ١٤٠٠ هـ .

وفي جُدة بداخل البلد قريباً من شاطىء البحر « مطبعة الشرق »

(١) اسم هذين الشابين : احمد حامد الغامدي وسعيد احمد الغامدي واسم زميلهما اللبناني حسن مقلد .

وتقع بجانب فندق التيسير بشارع الملك عبد العـزيز ، ومؤسسها هو عبد الرحمن الحمد السليمان في الشرفية . وقد اشتراها أحمد صادق نجيب وقام بتركيبها في موقعها الحالى ، بجانب فندق التيسـير سـنة ١٣٧٧ هـ وبهـا عدة مكنات طبـاعة ما بين كبـيرة وصـغيرة وتدور بالكهرباء ، وتطبع كل أنواع المطبوعات ، ما عدا الصحف .

و «مطابع التوفيق» : تقع بشارع الملك عبد العزيز بباب شريف ، وصاحبها شعبان بكر عنان . أسست سنة ١٣٧٨ هـ وتطبـع مطبوعات تجارية ودفاتر مدرسية . وبها مكنات كبيرة وصغيرة ألمانية حديثة تدار بالكهرباء .

و « مطبعة فضل الرحمن الوطنية » « وهذا هو اسمها سـماها به « تفاؤلا » صـاحبها محمد رضا حسين(١) سـنة ١٣٧١ هـ . وقد بدأت آلاتها تدور منذ سنة ١٣٧٥ هـ وهي عبارة عن مكنات صغيرة تطبع الدفاتر التجارية وبطاقات الدعوة والأشياء الصغيرة . وموقعها بداخل البلد القديم ..

فهذه سبع مطـابع أنشئت في جُدة منـذ أوائل هـذا القـرن إلى أواخره ، واحدة منها وهي مطبعة الاصـلاح ورمزى لا نعلم مصـيرها وان كنا لا نرى اليوم لها أثراً وقد تكون كل أو بعض أجهزتها وأجزائها أدمجت في غيرها وقد تكون عطلت وأهملت .

وليس من ريب في أن ارتفاع مستوى الطبـاعة بجُدة قـد أسهم بنصيب وافر في النهضة الفكرية والثقافية والتجارية . وقد ساعد على انشاء صحف ومجلات ونشرات ما كان لها أن تنشـأ لولا هـذا الفيض من سرعة الانتاج وحسن الاخراج . وأعتقد أنه لو وسعت هذه المطابع أو بعضها وجلبت لها مطابع « الروتغرافور » مثلا وغيرها من أحـدث

(١) تعلم فن الطباعة بمطبعة الفتح بجدة .

ألوان المطابع في العالم لكان لنا من ذلك كسب كبير من ناحية انتشار الصحف والكتب بصورة أوسع ، بسبب سرعة الطبع وروعته ، ورخص التكاليف ، ولَضَمِنَ ذلك لمن يقدم على هذه الخطوة الجبارة مكاسب مادية أضخم وأكثر .. وقد يخفض ذلك تكاليف الطبع المرتفعة . فيغرى هذا التخفيض الى مزيد من الاقبال على الاكتفاء الذاتي بطبع الكتب العلمية والأدبية والدينية والمدرسية هنا بدلا من طبعها في الخارج(١) وفي ذلك مزية أخرى أدبية واقتصادية في الوقت نفسه ، تتمثل في شدة اقبال المثقفين على التأليف وطبع ما ينتجون في مطابع بلادهم .

وخير لجُدة ومطابعها أن تأخذ بزمام المبادرة في هذا الشأن .



(١) مما يسر على المطابع أداء مهمتها وجود مطلبين حيويين في جدة هما : الماء العذب المتوافر الذى أدخل على البلد منذ عام ١٣٦٧ هـ والكهرباء العمومية التي أدخلت عليه بعام ١٣٧٠ هـ .



الصّحف والمجلات في مدينة جُدة



على سبيل التقديم لهذا الموضوع نقول : ان الصحافة هي مما أدخله الغربيون في حضارتهم الحديثة على بلاد شرقنا العربي والاسلامي وذلك منذ سنة ١٧٩٨ـ١٨٠١م أى من سنة (١٢١٣ـ١٢١٦هـ) .. حيث كان الفرنسيون أنشأوا أثناء مقامهم بمصر ، جريدتين فرنسيتين هما « دكار اجبسيان » و « كورييه ديجيبت » كما أنشأوا صحيفة عربية باسم « التنبيه » ينشرون فيها ما يجرى في ديوان القضايا الذى أنشأوه بمصر . ثم كانت الصحيفة العربية الاولى هي « الوقائع المصرية » التى صدرت سنة ١٨٢٨م ـ (١٢٤٤هـ) ايام حكم محمد علي لمصر(١) .

وتتابع صدور الصحف بعد ذلك في مختلف الأقطار العربية .

فما هو نصيب جُدة من هذا الحدث الجديد ؟

جوابنا على ذلك أن جُدة ، بحكم كونها باب الحجاز الذى هو أقرب الى ديار العرب الغربية والشمالية التى تقدمت فيها الصحافة ـ قد تأثرت في أخريات عهد الدولة العثمانية تأثراً بسيطاً وضئيلا الى الغاية ، بهذا الحدث الجديد على العالم العربي والاسلامي .

وقد يكون ذلك ناشئاً عن أمور .. من أهمها عدم انتشار التعليم في أبنائها وشبابها وكهولها ، وعدم تشجيع الحكومة القائمة يومذاك لهذا اللون من الأعمال ، يضاف الى ما ذكر اختلال الأمن وسيادة فوضى الادارة الحكومية وتذبذبها بين الأتراك والأشراف والبادية ، مما لا يترك مجالا واسعاً لانتشار الصحافة ولا لقوتها ولا لرواجها في مختلف الأوساط . ولذلك رأينا صحف ذلك العهد تُوأَد ، حينما تُولَد . وقد أنبأنا التاريخ بأن الصحيفة الأولى ، انشاءاً ، بجُدة كانت «جريدة الصفا» باللغة العربية ، ولم يصدر منها سوى عدد واحد .

---

(١) جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الرابع ص٥١ و ٥٢ طبع مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة .

وصدرت بعدها «جريدة الاصلاح» لصاحبها راغب مصطفى تَوَكُّل، وتولى تحريرها صحفي لبناني اسمه أديب داود هرّاوي واستمر صدورها بضعة أشهر ثم توقفت(١) .

وشاهد محمد لبيب البتنوني لوحاً على محل مكتوباً عليه : « جريدة الاصلاح ومطبعتها » . ولما سأل عنها علم بأنها « ابتدأت بعد اعلان الدستور العثماني » ولكنها لم تجد رواجاً ، فاضطر صاحبها الى اغلاقها . وقفل محررها (التركي) راجعاً الى الآستانة ، وقال البتنوني: انه يوم قدومه الى جُدة « بأواخر عام ١٣٢٧ هـ » لم يكن للمطبعة عمل يذكر(٢) .

وقد أعلن الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨م وكان من نتائجه تدفق صدور الصحف في بعض أقطار العروبة المجاورة ، ووصول تيار ضئيل من هذا الى الحجاز ، فصدرت به صحف منها «جريدة الاصلاح» بجُدة سنة ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م ولكنها سرعان ما توقفت بسبب العوامل التى أسلفناها .

والى آخر عهد الأتراك في الحجاز لم تصدر بجُدة صحيفة غير ما ذكر، ومضى عهد الملك حسين بن علي ولم تر فيه جُدة ميلاد صحيفة بها . وفي عهد خليفته الملك علي بن الحسين ، صدرت صحيفة « بريد الحجاز » الأسبوعية السياسية . وكان صدورها في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٤٣ هـ واستمر صدورها الى « ٥٥ » عدداً . وتولى تحريرها الطيب الساسي .

ويقول حسين نصيف : لم يكن القصور في اصدار الجرائد والمجلات

---

(١) محمد سعيد العامودي : من تاريخنا ص ٩٧ طبع دار مصر للطباعة سنة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .. وفي كتاب « حجاز ولايتى سالنامه سى » لسنة ١٣٠٢ هـ أن مصطفى توكل والد هذا الشخص ، كان عضواً في المحكمة التجارية بجدة سنة ١٣٠٢ هـ ص٩٩ .

(٢) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص٩ .

ناشئاً عن خمول الحجازيين أو لضعف منهم ، وانما لأن الحرية ضيقة(١)

وخلال قيام الحكم السعودي ظلت جُدة بلا صحافة حتى سنة ١٣٦٦ هـ .

وفي سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م صدرت بها «مجلة الغرفة التجارية» شهرية محدودة الكم والكيف .·. صدر منها عددان فقط ، ورأس تحريرها محمد راسم ، وكانت أول مجلة خاصة ، لأنها كانت معنية بالشؤون الاقتصادية فقط(٢) .

وحدث في النصف الثاني من العقد الثامن من القرن الرابع عشر الهجري الحالى ، أن انتقل معظم دوائر الحكومة السعودية من مكة الى جُدة ، وكان ذلك في مستهل حكم جلالة الملك سعود . فكان في هذا فرصة سانحة لوجود الصحافة والطباعة في جُدة ، وحدث أن أنشئت بها مطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر من قبل أحمد عبيد ، فأصدر منها « صحيفة الرياض » الشهرية بجُدة ، وكانت كبيرة الحجم ، مصورة ، وكانت مجلة الرياض الجُدية مولداً ، الصحيفة الأولى التى جعلت من الصورة عنصراً أساسياً من عناصر موادها وموضوعاتها . وقد احتجبت عن الصدور .

وانتقل صاحب مجلة « المنهل » ورئيس تحريرها ـ من مكة الى جُدة في سنة ١٣٧٤ هـ فطبعت « مجلة المنهل » الشهرية بمطابع المؤسسة المذكورة مدة من الزمان . ويرأس تحريرها منذ صدورها ويدير شؤونها الادارية صاحبها عبد القدوس الأنصاري ، وسكرتيرها هو نبيه بن عبد القدوس الأنصاري .

وكان بالمطابع مكنات الصف المعروفة باللينوتيب وقد أدخلت هذه الآلات لأول مرة ، الى المملكة ، وبها طبعت المجلتان المشار اليهما آنفاً في

(١) ماضي الحجاز وحاضره .
(٢) مجلة قافلة الزيت : العدد الصادر في ربيع الأول ١٣٨١ هـ ـ أغسطس سبتمبر ١٩٦١ م (من مقال لمؤلف هذا الكتاب .

ظرف معين ، وانتقل طبعها بعدئذ الى مطـابع الاصفهاني التى طبعت بها مجلة الحج المكية حيناً من الزمن أيضاً .

وفي عام ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م صدرت بجُدة ، « مجـلة الاذاعـة السعودية » الشهرية وكانت تصدرها المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ، والآن « وزارة الاعـلام » وقـد توقفت بعـدئذ ، وكانت ولا تزال مستمرة الصدور . وهي مصورة أنيقة المظهر كبيرة الحجم .

وفي عام ١٣٧٧ هـ صدرت « مجـلة عرفات »(١) بجُدة . ورئيس تحريرها حسن عبد الحي قزاز ، وقـد اندمجت مع جـريدة « البـلاد السعودية » التى كانت تصدر وقتئـذ بجُدة أيضـاً ، بدلا من مـكة . وصارتا تصدران بعد ذلك ، باسم « البلاد » في ثماني صفحات مصورة يومياً بالألوان . وكانت البلاد قد رأس تحريرها لأول مرة من صدورها بهذا الاسم الموجز كل من فؤاد شـاكر وحسن قزاز وعين محمد حسـين زيدان ، مديراً للتحرير مع بقاء رئيسي التحرير السابقين في منصبيهما ثم عين حسن قزاز رئيساً لتحريرها وعبد الغنى قستى مديراً للتحرير وحامد مطاوع مديراً للادارة . وعندما انتقل امتياز البلاد الى مؤسسة البلاد الصحافية انتخبت الجمعيـة العموميـة للمؤسسـة ، عبـد المجيد شبكشى رئيساً لتحريرها وعبد الغنى قستى مديراً لتحريرها . ثم أضيف فيما بعد هاشم عبده هاشم وعبد الغنى قستى نائبين لرئيس التحـرير عبد المجيد شبكشى ، ولا يزال وضعها كذلك حتى كتـابة هـذه السطور سنة ١٤٠٠ هـ .

وجريدة (البلاد) هي أول صحيفة صدرت يومياً بالمملكة .وتحتاج هذه الصحيفة هي وزميلتاها : « الندوة » المـكية و « المدينة المنورة » المدنية المنشأ لتكون صحفاً كبرى كزميلاتها الخارجية ـ الى أن يكون لها مراسلون يتجولون في الداخل والخارج ، ويوافونها بالأنباء الطازجـة وبالتعليقات السياسية المدعومة بالاستقراء والمشاهدة أول فأول .

(١) الكتاب الفضي لمجلة المنهل ص١٥٨ .

وفي عام ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م نُقِلَ طبع جريدة المدينة المنورة (اليومية) ورئاسة تحريرها من المدينة الى جُدة فكانت تطبع بمطابع شركة الطباعة والصحافة والنشر بجُدة وأسندت رئاسة تحريرها آنئذ الى محمد علي حافظ وأسندت الادارة الى خالد حافظ ثم انعكست الآية فأسندت رئاسة التحرير الى هشام حافظ وادارة التحرير الى أخيه محمد حافظ ثم أسندت رئاسة التحرير الى محمد حافظ لانتقال أخيه هشام الى وزارة الخارجية ثم أسندت رئاسة التحرير الى المرحوم عبد الحميد عنبر ثم عين عزيز ضياء مسؤولا عن التحرير ثم أسندت رئاسة التحرير الى محمد عبد القادر علاقي ، ثم الى عثمان حافظ .. ثم ألحقت بالمؤسسات الصحافية وتولى رئاسة تحريرها أحمد محمد محمود ولا يزال بها حتى كتابة هذه السطور في عام ١٤٠٠ هـ .

وفي عام ١٣٧٩ هـ أصدر أحمد عبد الغفور عطار جريدة (عكاظ) أسبوعية بجُدة وكان صدور أول عدد منها في ٣ ذي الحجة ١٣٧٩ هـ وعندما صدر نظام المؤسسات الصحفية تخلى عنها الأستاذ العطار وصدرت جريدة (عكاظ) عن مؤسسة عكاظ للصحافة وعين مديراً عاماً لها عمر عبدربه ورأس تحريرها عبد الله خياط ثم صار على شبكشي رئيساً لتحريرها ومديرا عاما لها . ثم عين في عهد ادارته علي رضا لاري رئيسا لتحريرها ، ورأس عزيز ضياء تحريرها فترة من الزمن عندما كانت تطبع في مطابع مؤسسة الصحافة والنشر بشارع مكة ، وعين مديران لتحريرها هما أولا : سباعي عثمان وأضيف اليه فيما بعد عصام عبد البديع .

وثَمَّ جرائد ومجلات صدرت في عهد الأفراد بجُدة ثم توقفت وأدمجت في غيرها كالأضواء صدرت في مدينة جدة في العهد السعودي أصدرها : محمد سعيد باعشن وعبد الفتاح أبو مدين ومحمد أمين يحيى في عام ١٣٧٧ هـ ، وعرفات والأسبوع التجاري والرياض الحديثة وحماة الأمن وعلمية وغيرهن .

وفي عام ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧م صدرت مجلة «الأضواء» (لصاحبيها) محمد سعيد باعشن وعبد الفتاح أبو مدين(١) . وقد توقفت .

وصدرت مجلة « الرائد » لصاحبها عبد الفتاح أبو مدين عام ١٣٧٩ هـ ، وكانت تصدر كل نصف شهر ، ثم صارت أسبوعية وبحجم كبير . وقد توقفت .

وفي عام ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٦٠ م صدرت « مجلة التجارة » شهرية وهي المجلة التى حلت محل مجلة الغرفة التجارية المحتجبة . والاشراف عليها لمجلس ادارة الغرفة .

وفي جُدة تصدر وزارة الاعلام ـ اضافة على مجلتها الشهرية ـ نشرات ثلاثاً احداهن يومية والأخريان أسبوعيتان عربية وانكليزية . وقد توقفت النشرة اليومية والنشرة الانكليزية .

وفي عام ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م صدرت « مجلة الأسبوع التجاري » لصاحبها عبد العزيز مؤمنة ، وهي أسبوعية كما هو ظاهر من اسمها . وقد توقفت .

وفي عام ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م صدرت بجُدة مجلة « رابطة العالم الاسلامي » الشهرية وتصدرها الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي . وقد رأس تحريرها أولا : حسين عبد الله سراج ، ثم ابراهيم الشورى ، ثم محمد سعيد العامودي أطول فترة وأخيراً .. محمود أحمد حافظ . وكانت في حجم « المنهل » ثم كُبِّرَ حجمها ، ولا تزال على ذلك حتى سنة ١٤٠٠ هـ .

• • •

وبالمناسبة نقول : ان المتتبع لحركة الصحافة بهذه البلاد في العهد السعودي يجد أن خيوط فجرها بدأت تظهر لأول مرة من مكة ، ممثلا ذلك في « جريدة أم القرى » الرسمية ، وفي « صوت الحجاز » الأدبية ، وفي « مجلة الاصلاح » الدينية المحتجبة التى كان يشرف على

(١) الكتاب الفضي لمجلة المنهل ص ١٥٨ . وقد صدرت الأضواء في ١٣٧٧/٧/٩ هـ .

تحريرها محمد حامد الفقى ، وفي مجلة « النداء الاسلامي الشهرية المحتجبة » لصاحبها مصطفى اندرقيرى المكي رحمه الله . وقد امتدت هذه الخيوط في وقت مبكر الى المدينة ، ثم انعكست أضواؤها أخيراً على جُدة فالظهران فالرياض . وأخذت جُدة بزمام المبادرة في تطوير الصحافة السعودية واصدارها يومية ، وأسبوعية ،وشهرية ، في الاخراج وفي الانتاج معاً ، اذ تبلورت فيها أغلب صحف مكة والمدينة والرياض(١) وتنافسها مكة في المهمة الصحفية . بما يصدر فيها من « الندوة » اليومية والشهرية ، و « مجلة الحج » و « مجلة قريش » و « مجلة الرياضة » اضافة الى جريدة « أم القرى » الرسمية .

ويبدو لى أن من أسباب ذلك أن الصحافة في صميم كيانها عبارة عن عملية أدبية مادية مزدوجة .. وأعنى بالمادية هنا ، الناحية التجارية . و « جُدة » مدينة مارست شؤون التجارة قديماً ، وقد مهرت في فنونها بحكم الممارسة العريقة ، وبها بيوت وشركات تجارية ، وكانت تتطلع الى حرية من الرأي والقول منذ عهد الأتراك والهاشميين .. فقد مر بنا ما حدثنا به أمين الريحاني عن «نادى الصلاة» في جُدة وخوض أعضائه الكبار على مسمع ومبصر من الملك حسين بن علي ، في الحديث عن شؤون السياسة العامة وقبوله ذلك منهم(٢) وحينما ازداد تفتح الوعي بزيادة انتشار الثقافة ونشأة الاذاعة ، وسطع قبس من حرية الرأي والقول في عهد جلالة الملك سعود بتوجيه من جلالته وبعناية من سمو الأمير فيصل ولي عهده ورئيس مجلس الوزراء كان لا بد لجُدة أن تحوز قصب السبق في ميدان الصحافة . فالثقافة فيها أصبحت تضاهى المدينتين الكبيرتين بالمملكة ، والمال متوافر فيها ، والاعلان التجاري الذى هو روح الصحافة الحديثة ، وممولها الناهض بجناحيها ـ ميسور بها . وأهلها

(١) حتى جريدة « المدينة المنورة » التى كانت تصدر بالمدينة بدأت تطبع وتصدر في جدة منذ شهر جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ وبذلك تمكنت من أن تصبح ، الجريدة اليومية الثالثة صدوراً في المملكة .. وكذلك جريدة اليمامة التى تصدر في الرياض كانت تطبع في جدة ، وصارت تصدر مرتين أسبوعياً بمطابعها ـ أى مطابع جدة ـ .. كان ذلك سنة ١٣٨٢ هـ أيضاً .

(٢) أمين الريحاني : ملوك العرب .. الجزء الأول ص ٥٠ طبع بيروت ، والشيخ محمد نصيف في حديثه للمؤلف عن « نادى الصلاة » .

ربما كانوا أسبق الناس في هذه البلاد الى ادراك مزية الاعلان الصحفي في رواج بضائعهم وتصريفها . ولهذا كله كان من الطبيعي أن تدخل الصحافة في جُدة طوراً جديداً أول ما دخلت مدن المملكة ، فنشرت الصورة الى جانب الخبر ، والرسم التوضيحي الى جانب الرأي ، وطبعت الصحف طبعاً حديثاً أنيقا ، وصفت حروفها بآلات اللينوتيب ، ولونت بالألوان المختلفة زيادة في التشويق ، وكتبت عناوين موضوعاتها المهمة بحروف كبيرة من خطاطين ، زيادة في التجميل ، ووضعت على رؤوسها ، العناوين الضخمة : «المانشتات» للأحداث والأنباء الطازجة ذات الأهمية البالغة ، داخلية وخارجية . وبذلك كله أصبحت صحافة جُدة نبراساً يحتذى منذ عام ١٣٧٤ هـ ، وأصبحت مركز الثقل الصحفي ، بالنسبة للبلاد ولا تزال في مركزها من هذه الناحية ..

واذا كانت هذه الصحف الجُدية «بضم الجيم» لا يزال الطابع المحلى غالباً عليها ، ولم تحلق بعد في سماء الذيوع والانتشار ، أسوة بصحافة العالم العربي الأخرى ، فذلك يعود في نظرنا الى بداية نشأتها والى عدم استكمال أهبتها ، الأدبية والمادية ، فأغلبها فَردِي الاصدار تصدره جهود فردية سواء من الناحية المادية أم الأدبية .. وجهد الفرد مهما يكبر فهو محدود الثمار وقد بقى اصدار الصحف فردياً حتى تاريخ كتابة هذا الفصل سنة ١٣٨٢هـ وقد تحولت بعدئذ الى صحافة المؤسسات .

وعسى أن يأتي قريباً ذلك اليوم الذى نرى فيه صحافتنا تنطلق في الآفاق ، وتصول وتجول في عالم الرواج والانتشار في أنحاء العالم ، وتكون لها كلمة مسموعة وصوت مدو في الآفاق ، وذلك رهن بارتفاع مستوى التحرير فيها وزيادة بذل العون لها وتضافر الجهود الأدبية والمادية في اصدارها(١) .

---

(١) ومن الجدير بالذكر هنا أنه كانت توجد مجلات حكومية دورية وشهرية ونشرات كانت تطبع في مطابع جدة الى اول شهر صفر ١٣٨٣ هـ كمجلة الزراعة ومجلة المالية وندوة المواصلات وحماة الأمن وغيرها .. وقد صدر قرار مجلس الوزراء في ٩ المحرم ١٣٨٣ هـ بايقاف صدور جميع المجلات التى تصدرها الوزارات .

أحياء مدينة جُدّة وشوارعها وأسواقها



سنبحث في هذا الفصل أحياء جُدة ، وشوارعها وأسواقها . وقد رأينا ادماج هذه الأماكن في فصل واحد . لما بينها من وثيق الارتباط .. فالأحياء تحدد الشوارع وَتُكَوِّنُ الأسواق ، والاسواق لا بد أن تكون اما في الشوارع أو في الأحياء . وفي الشوارع كثير من الأحياء ، وكثير من الاسواق .

وتسمى الأحياء في عرف أهل جُدة ــ كأهل الحجاز جميعاً ــ بالحارات أو المحلات .. وكلاهما لُغَوِيٌّ فصيح ..

وهذه أحياء جُدة القديمة :

١ ــ حارة اليمن : وتعتبر حارة البحر جزءاً منها . وبها دار آل نصيف ودار آل الجمجوم .

٢ ــ حارة المظلوم : سميت بهذا الاسم نسبة للسيد عبد الكريم البرزنجي المدنى الذى قتلته بها الحكومة العثمانية .. وفي هذا الحي يقع منزل محمد صالح باعشن . وهو منزل أثرى ، ودار آل قابل الأثرية ومسجد الشافعي وسوق الجامع .

٣ ــ حارة الشام : وهي المحلة التى تقع شمالى البلد القديم بداخل السور الذى هدم ، وبها دار آل السُرتِي ، ودار آل باناجة .. ودار الزاهر ودار الشريف مهنا العبدلى التى كان يسكنها الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله بفترة من الزمن .

وهذه المحلات كانت في داخل سور جُدة القديم .

أما الضواحي القديمة فهي :

١ ــ النزلة اليمانية : وهي الى ناحية اليمن في الجنوب الشرقي .. وسميت بالنزلة اليمانية لوقوعها جهة اليمن .

٢ ــ الرويس الأعلى : مما يلى البر ، والأدنى مما يلى البحر ، وكلاهما في شمال جُدة .

٣ ـ نزلة بني مالك : وتقع في الشمال الشرقي من جُدة وهي تحاذى المطار الى الشمال ، وفيها الآن نحو ألف نسمة . وبنو مالك سكانها ، من العمور من حرب ، وفي النزلة شجرتا دوم وسدر ، وأغلب بنيانها من اللَّبِنِ النييء وهو من دور واحد .

٤ ـ الكَندرَة : جنوب غربي جُدة .

٥ ـ الثعالبة في جنوب جُدة الغربي ، وبها مكنات كهرباء جُدة .

٦ ـ القريات : في جنوبها الشرقي .

٧ ـ حارة بيشة .

وقد اتسعت جُدة في الآونة الأخيرة اتساعاً ملموساً فبلغت محلاتها اثنتين وعشرين محلة ، وهي : محلة اليمن ، ومحلة المظلوم ، ومحلة الشام ، وهذه المحلات الثلاث من المحلات الكبرى ، والمحلة البغدادية ، ومحلة الكندرة ، والمحلة الشرفية ، ومحلة الرويس ، ومحلة الصُّحَيفة ، والمحلة الهنداوية ، والمحلة العمارية ، ومحلة السبيل ، ومحلة النزلة الشرقية ، ومحلة القريات ، ومحلة السبخة ، ومحلة الثعالبة ، ومحلة الكيلو ٣ ، ومحلة الكيلو ٥ ، ومحلة البخارية ، والنزلة اليمانية ، ومحلة نزلة بني مالك ، ومحلة بَرَّا ، « بفتح الباء بعدها راء مشددة فألف مقصورة » بمعنى (الخارج) ومحلة الحروب وجهينة(١) هذا الى جانب حارات أكواخ الصفيح التى توجد في جنوب جُدة وشمالها .

وبالمناسبة فقد أورد بعض الرحالين والمؤرخين في الأزمنة القديمة أن أغلب بيوت جُدة في بعض الأزمان كان من الأكواخ المعروفة بالأخصاص ، والمنشأة بجذوع النخل والسعف وما يشبه ذلك .

---

(١) عن علي محمود عبد الصمد عمدة محلة اليمن وفي النشرة الأولى لحصر السكان والمؤسسات لمدينة الرياض ومدن المنطقة الغربية قد وردت أسماء حارات جدة الحالية على أنها واحدة وعشرون فقط .. باسقاط محلة الحروب وجهينة .. وقد حدث في النشرة المذكورة ان سمت حارة نزلة بني مالك بالنزلة الشمالية ، وحارة السبخة بالصبيخاء وهو خطـا صحته السبخة عرفا ولغة ، كما سمت حارة الكيلو ٥ باسم غلَيل وهو صواب واضح . ص ٣٨طبع شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

كما أشار أولئك المؤرخون الى أن ذلك انما يكون خاصة في عهود ضمور جُدة وانكماشها الاقتصادي والعمراني .. فيحدثنا « جون لويس بوركهارت » أن في مدخل المدينة كثيراً من العشش يسكنها البدو ، وبعضٍ منازل حجرية ، وباب مكة كذلك ، ويعمل هؤلاء البدو في اقتطاع الحطب من الجبال من مساحات بعيدة وبيعها في جُدة وغيرها .. كان ذلك في أوائل القرن الميلادي التاسع عشر .

كما حدثنا بطرس البستاني بأن ضواحي جُدة سنة ١٣٨٣ م كانت قذرة جداً ، ومنازلها دنيئة جداً(١) .

ولا تزال بعض منازل هذه النواحي على ما كانت عليه ، حينما وصفها بطرس البستاني ، مع بعض تحسينات طفيفة أو جسيمة فى شكل البناء ..

وجاء في دائرة المعارف البريطانية المطبوعة سنة ١٩١١ م بانكلترا أن الضواحي الخارجية مجموعة أكواخ مصنوعة من جذوع النخل وسعفه ليس غير(٢) .

وضواحي جُدة المعمورة بهذا الشكل البدائي هي ثلاث : السبيل وما حولها ، والمحلة الكبيرة الواقعة بجانب المحجر الصحي الى ناحية الغرب ، وجزء من الرويس في شمال جُدة ، قريباً من البحر .

ومعظم سكان هذه المحلات هم اما من اليمن ، أو من الزنوج ، أو من البادية ، وبعض أجناس أخرى من السودان أو الهند وغيرهم من الحواتين ومن يماثلهم .. على أن العمران الحديث قد زحف الى هذه الأماكن فعلا اما بتحسن في المركز المالى لبعض سكانها ، أو بفعل التقدم العمراني الشامل .

(١) المجلد السادس من دائرة معارفه م ٦ ، ص٤٠٤ .
(٢) دائرة المعارف البريطانية : الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩١١ م مطبعة كمبردج بانكلترا ص٤١٤ ج١٥ .

وجدير بالذكر أن هذه الحارات التى يقيم بها رقاق الحال أو العمال موجودة مثيلاتها في مدن العالم الحديثة الضخمة كلندن ونيويورك وسواهن .. وقد رأينا حارات تماثل هذه الحارات في بنائها بالصفيح والخشب في القاهرة أيضاً .

• • •

أما شوارع جُدة فمنها ما هو قديم ، وهذا كان في البلد القديم الذى كان يحيط به السور الذى هدم .. ويسمى هذا الجزء الأصيل من البلد ، بالمنطقة الوسطى .. ومنها ما هو حديث . وأغلب الشوارع الحديثة فتح بعد تقدم العمران بهذا البلد وبعد سنة ١٣٦٧ هـ على وجه التحديد . وأغلب هذه الشوارع لا يخلو من انحناء وتعرج ولم تكن مبلطة ..

فأما الشوارع القديمة فقد كان طابعها العام أخيراً أنها كانت ضيقة ومتعرجة وهذا هو الواقع المطابق للحقيقة ، وهذا ما يكاد يتفق عليه مؤرخو جُدة في العصور الأخيرة ، أما في العصور القديمة في القرن الرابع الهجري بالذات فقد أورد المقدسى البشاري في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) مشاهداته في جُدة : « وفي سيراف باقليم فارس وقال : انه شاهد دوراً شاهقة وكذلك بالنسبة لمدينة الجار بالجزيرة العربية . وتعجب من قصور جُدة واستقامة أزقتها »(١) .

أما قول بطرس البستاني في دائرة معارفه : ان أزقة المدينة مستقيمة ومنتظمة فهو من القاء الكلام على عواهنه بدون تمحيص ، فالذين حدثوا البستاني بهذا القول لم يحدثوه بالواقع اذا كان تلقى هذا من أناس ، واذا كان من باب التخيل فالواقع يناقضه . وحينما حج ابراهيم رفعت سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠١م وشاهد شوارع جُدة وصفها بأنها مختلفة السعة من «٨» أمتار الى «١٥» متراً وقال الحقيقة حينما قال :

(١) المقدسي البشاري : حياته ومنهجه ، دراسة لكتابه « أحسن التقاسيم » تاليف عدى يوسف مخلص ، ط. مطبعة النعمان ـ النجف ص١٩٢ .

ان حاراتها ضيقة وغير منتظمة(١) .

وعن شوارع جُدة يقول محمد لبيب البتنوني : « وشوارع جُدة لا نظام فيها »(٢) .

وبهذا ، وبالمشاهدة يتأكد لنا صحة ما قاله ابراهيم رفعت ، كما يتوطد لدينا عدم صحة ما ذكره البستاني .

وشوارع جُدة القديمة هي

١ ـ الشارع الممتد من الخاسكية الى سوق الندى ، وكان هذا الشارع متعرجاً بعض الشيء وتسمى أجزاؤه بأسماء خاصة تقع فيها سوق الخاسكية وسوق البُنط ـ بضم الباء ، بعدها نون ساكنة فطاء مهملة ـ أى الميناء ، وسوق النَّدَى . ويستمر الى قبر « أبو سرير » خلف مسجد الباشا .

٢ ـ الشارع الممتد من سوق الحراج الى سوق النورية وحتى سوق العلوى .. وجدير بالذكر أن سوق العلوى دعيت بهذا الاسم ، لوجود مقبرة ، فيها قبر السيد أبى بكر العلوى ، ويمتد هذا الشارع الى باب مكة .

ولكل قسم منه اسم خاص .

وفي هذا الشارع تعرج ملموس .

٣ ـ شارع الأسكلة ـ بكسر الهمزة وسكون السين المهملة بعدها كاف مكسورة فلام مفتوحة فتاء مربوطة ـ والأسكلة كالبنط ، كلاهما غير عربي وبمعنى الميناء .. ويبتدىء هذا الشارع من الشمال حتى

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص٢٣ طبع مصر سنة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥ م .
(٢) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٧ .

الجنوب ، ماراً بالمحجر الصحي جنوباً ، أى « الكورنتينة القديمة » الواقعة بجانب ادارة البريد اليوم على شاطيء البحر غرب جنوب جُدة وقد جددت عماراتها ، وتقيم بها اليوم (أى في سنة ١٣٨٣ هـ) المندوبية التابعة لوزارة الصحة بجُدة ..

ويمتد هذا الشارع الى باب المغاربة . وكان هذا الباب يقع أمام عمارة معرض الجفالى .. ولعل منشأ تسميته بهذا الاسم انه كان مدخل حجاج المغاربة أيام كانت تفرض عليهم رسوم حج باهظة من قبل أمراء مكة ، كما حدثنا به ابن المجاور الدمشقي من أهل القرن السابع الهجري في كتابه : « تاريخ المستبصر »(١) وقد أفادنا ابن المجاور بأن «صلاح الدين الأيوبي أنفذ (من مصر) الى الأمير مكثر ـ أربعة آلاف أردب حنطة ، (والأصح ستة آلاف أردب حنطة) الى جُدة والى مكة ، وقال له : خذ هذا القدر واترك عن المغاربة الجزية مع دية الكلب فأزال الأمير مكثر ذلك كله في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ثم أراد الأمير قتادة أن يرد الشيء الى أصله ، يعنى أخذ الجزية من المغاربة فأدركه الموت وارتفع عنهم »(٢) .

وكان ابن جبير الأندلسى حج في زمن امارة الأمير مكثر في أواخر القرن السادس الهجري ، فوصف ما كان يُمنَى به الحجاج من ارهاق في أخذ المكوس على أشخاصهم .

وقال ابن جبير بعد ما وصف ما يعانيه الحجاج بسبب الزامهم بالمكوس : « ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات الحجازية بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده(٣) ولا يلين شديده ، فانه رفع ضرائب المكوس عن الحاج ، وجعل عوض ذلك مالا

---

(١) عقد ابن المجاور فصلا خاصاً في كتابه تحت عنوان : (ذكر أخذ الجزية من المغاربة) ووصف فيه ما كان ينالهم من متاعب بسبب استيفاء هذه الرسوم منهم .. وكان يأخذها ـ حسب ما تحدث به اسماعيل البغدادي الى المؤلف المذكور ـ الأمير علي بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر بن هاشم .. وقال : انه كان يأخذ من المغاربة جزية في جدة اذا قدموا للحج ، من كل رأس ، سبعة يوسفية ، كما كان القواد في جدة يأخذون من كل رأس منهم يوسفياً .

(٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص٤٨ و٤٩ طبعة ليدن سنة ١٩٠٩ م .

(٣) اى لا يزجر وليده اذا اختلس شيئاً .

وطعاماً يأمر بتوصيلهما الى مكثر أمير مكة ، فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم ، عاد هذا الأمير الى ترويع الحاج واظهار تثقيفهم(١) بسبب المكوس واتفق لنا من ذلك أن وصلنا جُدة فأُمسِكنا بها خلال ما خوطب مكثر الأمير المذكور فورد أمره أن يضمن الحاج بعضهم بعضاً ويدخلوا الى حرم الله ، فان ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صلاح الدين والا فهو لا يترك ماله قِبَلَ الحاج » .

ثم قال ابن جبير : « والذي جعل له صلاح الدين بدلا من مكس الحاج ، ألفي دينار اثنين وألفي أردب من القمح ، وهو نحو الثمانمائة قفيز بالكيل الأشبيلى عندنا ، حاشا اقطاعات أقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم ، بهذا الرسم المذكور ، ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الأفرنج ، لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحاج »(٢) .

والذى ساقنا الى الاستطراد بذكر ما ورد في التاريخ عن رسوم الحجاج المغاربة وابطالها ، هو ما أوردناه عن أصل تسمية باب المغاربة بجُدة . .

وهذه الرسوم التى كانت تستوفى على الحجاج بجُدة من عهد الأمراء أشراف مكة ، الى زمن الدولتين : العثمانية والهاشمية ـ ألغيت دفعة واحدة عن الحجاج القادمين بأمر من الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود . ولم يبق الآن الا ما يدفعه الحجاج من نقد طفيف مقابل الخدمات التى يؤديها مطوفوهم بمكة ، وأدلاؤهم بالمدينة لهم .

٤ ـ شارع الصحية : والصحية هو الاسم الذى كان يعرف به قديماً المستشفى العام بباب شريف . ويمتد هذا الشارع من الجنوب الى الشمال حتى مدرسة الفلاح . . وصيغة « الصحية » في العرف هنا تؤدى

(١) التثقيف : التقويم والتهذيب .
(٢) ابن جبير : رحلته ص ٥٤ و ٥٥ .

معنى المستشفى ، فانها نسبة الى الصحة التى تعالج أمراضها في المستشفى ، وأقول : لعل (الصحية) تعريب معنوى لصيغة (خسنه خانه) التركية ، التى سادت في العهد العثماني ثم بادت في العهد الهاشمي ، ثم بادت دفعة واحدة فيما بعد .

٥ ــ شارع يمتد من مدرسة الفلاح غرباً عنها ، الى بيت عبد الرشيد الهندى الذى يقع بالقرب من فندق قريش ، والذى لا يزال باقياً الى اليوم .

٦ ــ شارع من الصحية ــ المستشفى العام ، يمر غرباً على المحجر الصحي القديم غرب جُدة ، على شاطيء البحر الأحمر .

هذا ما أخذناه عن الشيخ محمد نصيف . وقد عد الشيخ حسن أبو الحمائل أسواق جُدة القديمة ستاً أيضاً وقال انها : سوق الندى ، وبها بعض أحوشة للتجار ، وسوق الجامع المسمى باسم الجامع الشافعي ، وسوق البنط ، وهي سوق فيها مجمع الصيارفة وبها يباع السمك والتمر وسبح اليسر ، وبحذائها خان صغير يوصل الى سوق الحراج « المزاد العلني » ، وسوق باب مكة وفيها يباع ما يصلح للعربان ، وسوق الخاسكية .

ويذكر حسن أبو الحمائل « خانات جُدة » فيقول : « ان خاناتها منها خان الهنود الشهير بالقصبة ، وهو محل تجارة الأقمشة ، وخان الدلالين ، وخان العطارين » . (ولعل معنى « الخان » هنا ، ما كان يسمى بالقيسارية) أى السوق التى تتألف من مجموعة دكاكين تفتح وتغلق) .

ويضيف الى ذلك بالمناسبة ان دكاكين جُدة تزيد عن خمسة آلاف ، ومقاهيها تزيد عن المائة[1] .. وقد نقل هذا الشطر من كلامه عن كتاب

(١) في نشرة « حصر السكان والمؤسسات » التى أصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني في ذي القعدة عام ١٣٨٢ هـ أن عدد مباني جدة هو (٣١٧١٧) مبنى . ص٣٨ طبع شركة مطابع الجزيرة بالرياض .

« الجواهر المعدة » للحضراوي كما يضيف الى ما ذكر ان لمحمد علي باشا في هذه المدينة مباني كثيرة منها دار الولاية ودار البلدية وثكنات العسكر وغيرها . والخان الذى يشير اليه الشيخ حسن أبو الحمائل يبدو أنه ليس بمعنى الفندق .. كما كان اصطلاح المسلمين قديماً ، وانما هو مجموعة من الدكاكين الكبيرة والصغيرة التى تفتح وتقفل كما سبق أن بيناه آنفا .

هذا ، وبقية ما في البلدة غير ما ذكر ، هي عبارة عن أزقة ضيقة متعرجة . ومن الأزقة المشهورة زقاق الخنجي ، وزقاق قصبة الهنود وغيرهما .

ooooo

أما شوارع جدة الحالية فقد بلغت «١٣١» شارعاً من أهمها :

١ ـ شارع الملك عبد العزيز آل سعود :

ويعتبر الشارع الرئيسى الأول والأكبر الذى يطوق جدة كما تطوق القلادة العنق ، يبتدىء هذا الشارع من نقطة في باب جديد ، ويستمر في سيره الدائري فيمر بالبحرية ثم منطقة المعارض ، في محاذاة شارعي الأمير فيصل وقابل ، وما حول هذه المنطقة يميناً وشمالا على الجانبين . وفي هذه المنطقة يقع بنك لبنان والمهجر ، والى جانبه وكالة الخطوط الجوية اللبنانية ، والعيادة اللبنانية لطب الأسنان . وبالشارع جملة من المصورين ، وعمارة البنك الأهلى التجاري ذات عشرة أدوار ، ومقر بنك الرياض وبنك باكستان وعمارتا سمو الأمير عبد الله الفيصل وعمارة الجفالى .. وفي احدى عمارتي الأمير عبد الله الفيصل يوجد « مُتَنَزَّه الشاطيء » ومطعمه على الجانب الموالى للبحر .

وبهذا الشارع مقر الغرفة التجارية الصناعية بجدة ومكتبات علمية وعيادات أطباء ، وبه أيضاً مقر ادارة شركة كهرباء جدة ، ومقر شركة جلاتلى هنكي ، ومعرض بيت زينل للسيارات ، ومقر تصليح

الآلات الكاتبة والحاسبة والتوكيلات الدولية السعودية للطيران والسياحة ، وفندق السلام ، ومعارض ، ومصانع الموبيليات ، والمستشفى الأهلي ، ثم السعودي ، وبه مسجد قديم قرب باب شريف وشرطة رئاسة المنطقة الرابعة . وبالشارع المتفرع منه الى ناحية البحر مقر رئاسة بلدية جُدة . ويلتف الشارع ذاهباً الى ناحية باب شريف ماراً في دورانه بمطعم محمد صالح أبى زنادة وثلاجته وورشته ومخبز وحلواني وبنك القاهرة والبنك الأمريكي والبنك الوطني وفندقا الحرمين ودكاكين وكلاء البواخر الذاهبة الى اليمن . ويتجاوز منطقة باب شريف في زحمة من الدكاكين والمعارض والورشات ومخازن الأدوية فيمر بالمستشفى العام ثم بمسجد سالم بن محفوظ .. وهناك خطاطون محترفون ، ثم الى ميدان باب مكة ، حيث دكاكين أدوات السيارات وأدوات المنازل وغيرها . ويتفرع منه قسم يذهب شرقاً نحو سوق العلوى وفيه بعض الجزارين وبائعي الخضراوات وبائعي الفواكه ومختلف أنواع الأغذية ، وبهذا الجزء مخفر للشرطة . ويذهب الشارع في دورته الى باب جديد ماراً بدكاكين الزجاجين والمصورين ، وبعض المطاعم ، وبعض عيادات الأطباء ، وهناك معمل للتحليل الطبي ، ومخازن الأدوية ، ويستمر حتى يمر بمركز الشرطة المعروف بالبحرية .

نظم هذا الشارع بهذا الشكل بعد أن أجريت به بعض تعديلات وتوسعات وإصلاحات في عدة نقط في أوقات متفاوتة وقد سفلت جميعه أخيراً وعملت في ناحيته الشرقية ميادين غرست بها نباتات الزينة وأشجار الظل .

وبهذا الشارع المعارض الكبيرة من أحدث طراز وهي ذوات وجهات زجاجية مشرقة ، وبه الدكاكين المملوءة بأصناف البضائع والسلع ، وبه العمارات الكبيرة الشاهقة مثل عمارة خالد السعد

وعمارة باخشب التى بها مقر « شركة الزيت العربية ـ الأمريكية » والادارة العامة لمؤسسة الخطوط الجوية السعودية ، وادارة جريدة « البلاد » ، ومكتبة القلم .

وبه معرض التوكيلات الدولية للآلات والسيارات لصاحبه صلاح الدين عبد الجواد ، ومعرض أنابيب البوتغاز الذى أنقذ البلد من متاعب الطهي بالكاز والفحم والحطب ، وتكاليفه أقل بكثير من تكاليف الطهي بالكهرباء . وفندق جُدة الفخم ، وأول دار بنيت بمادة الأسمنت في جُدة ، وهي دار آل زينل القريبة من وجهة فندق جُدة . وكانت شركة الزيت العربية ـ الأمريكية قد اتخذتها مقراً لها .

وبالشارع في غربه الشمالى فندق البحر الأحمر ، وفندق التيسير ، والمنتزه الجديد .

وبه مطاعم عديدة ومصانع ومقاه .

ويتفرع منه في ناحية المستشفى العام شارع يتجه الى الشمال به ادارة اللاسلكي والمبرقات ، ويتفرع منه في الشمال شارع متعرج تقع فيه مكتبة حسونة البصطى التى أوقفها على مدارس الفلاح مع عمارتها . وقريب منها فندق قريش ، ومدرسة الفلاح ، ورئاسة العين العزيزية .

وبناحيته الشرقية قريباً من ميدان باب مكة ، وبناحيتيه الشمالية والشرقية قريباً من باب جديد، تقع مقبرتا الأسد وحواء . وهما مسورتان وواسعتان . ومقبرة الأسد منسوبة الى عبد الرحمن الأسد وهو رجل جبرتى الأصل ، أي من مسلمي الحبشة ، وكانت له عشة ، ويتبرك به الناس ويعتقدون فيه الصلاح ، وكان يعطيهم حُجُباً ـ جمع حجاب ـ ويكتب لهم تمائم ، ويقدم لهم بخوراً لمقاومة الجن . ولما مات في عشته عملوا عليها قبة ، ثم سوروا المحل ، وبذلك عرف المكان باسم « مقبرة

الأسد » . ومقبرة حواء قد سبق لنا الكلام عنها فلا حاجة هنا الى تكرار ما سبق .

٢ ـ شارع الملك سعود بن عبد العزيز .. ويجمع بين هذه الشوارع : شارع قصر الزاهر ، وحي الشرفية ، وشارع ولي العهد حتى الميناء ، وهو ثانى شارع ذى أهمية كبيرة .

وهذا الشارع : شارع الملك سعود مسفلت كله وقد غرست في بعض أجزائه المهمة أشجار النيم للتظليل وسط رصيفين عملا بالبلاط الأسمنتى الملون المخدد ، كما وضعت فيه أعمدة أنوار الكهرباء المشرقة ، وهي كالمظلات ، وزين الميدان بزرعه بنباتات الزينة والأزاهير وأشجار الظل .

قامت بذلك بلدية جُدة سنة ١٣٨١ هـ تجميلا لشارع مهم من شوارعها الرئيسية ، وزادت البلدية ميدانه اتساعاً بسنة ١٣٨٢ هـ وذلك بأخذها لقسم من أرض تختص بوزارة الدفاع والطيران سنة ١٣٨١هـ . وتقع هذه النقطة من الأرض مقابل مدينةحجاج الطائرات. وقد كانت هذه المدينة قبل هذه التوسعة تعانى ضيقاً من عدم اتساع الرقعة الأرضية التى تقع أمامها ، للسيارات وللناس .

وبجانب هذا الشارع الى الشرق ، مطار جُدة وعلى طوار الشارع الغربي بالنسبة للمطار يوجد معرض للموبيليات ومشحمة النيلين ومقر البعثة العراقية ، ومطعم الزهراء ومستشفى الرمد الحكومي . ومحل حديث لتنظيف الملابس ، ودكاكين لبيع الدواجن .

وفي هذا الشارع تقع عدة سفارات ومفوضَيات هن : سفارة المغرب ومفوضية اليمن وسفارة ايطاليا وسفارة الهند وسفارة مالى . وبطرفه الغربي سفارة بلجيكا .

وقريباً من المطار الى الناحية الغربية الشمالية كان يقع ملعب

الاتحاد عند مفترق الطرق ، وقد تحول الآن الى ساحة أقرب الى المطار في نفس الشارع .

وبنهاية شارع الملك سعود على سِيفِ البحر الى الجنوب الغربي ، المديرية العامة للجمارك ومستودعاتها ومصلحة خفر السواحل والشرطة وفرع ادارة الحج العامة(١) ومَمَالِحُ يستخرج منها الملح من ماء البحر الراكد بالطريقة البدائية القديمة التى تتمثل في أن تحفر حُفَر متفرقة بقرب البحر ، وعندما يحصل الجزر عنها تبقى المياه بها حتى تكاد تنضب ومن ثم تتبخر المياه ويبقى الملح راسباً في المكان ، ثم يجمع الحاصل منه في أكوام ويعبأ في الأكياس ويباع في الأسواق بثمن بخس زهيد ..

ويذهب شارع الملك سعود بعد مدينة حجاج الجو الى الغرب بتعرج حتى يتصل بشارع المدينة المنورة .

٣ ـ شارع المطار :

بهذا الشارع في طرفه الشرقي المحاذى للمطار عمارات سكنية ضخمة ودارات جميلة ومحطات لضخ النفط الى السيارات ولغسل السيارات وتشحيمها ، ومعارض للمفارش وغيرها ومقاه ومطاعم ، وفي جانبه الغربي الممتد رأساً من ميدان المطار يقوم فندق قصر الكندرة ، والمستشفى اللبناني ، ومؤسسة النقد العربي السعودي ، ومكتب تفتيش صحة جُدة التابع لوزارة الصحة ، ومستشفى الولادة وأمراض النساء الحكومي ، ومقر المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر : « وزارة الاعلام » ، ومستشفى الملك سعود(٢) ومعرض الخريجي ،

---

(١) كانت فيه ادارة الحج العامة . وقد نقلت الى مكة بعد ارتباطها بوزارة الحج والأوقاف بسنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

(٢) أسس هذا المستشفى ، الدكتور خالد ادريس ونظمه ثم أخذته منه الحكومة باتفاق معه على التعويض المناسب . ومن ثم سمته بالاسم المذكور . وكان اسمه من قبل ذلك ، مستشفى الدكتور خالد ادريس .

ومستشفى الدكتور طاهر الحسيني للعيـون ، ودار الحنـان التابعـة لقصر سمو ولي العهد ، وروضة المعـارف الأهليـة للبنين ، ومطـابع الأصفهاني وشركائه ، ومستشفى الدكتـور خالد ادريس ، وورشـة الاخلاص لاصلاح السيارات ، وبعض بائعي الفاكهة وبعض المطاعم ودكاكين أخرى والثكنة العسكرية .

ويبتدىء شارع المطار من المطار شرقاً ، حتى فندق جُدة غرباً .

٤ ـ الشارع الجديد الذى شقته البلدية مؤخراً سنة ١٣٨١هـ .. يبتدىء من شمال جُدة .. « البلدة القديمة » الى جنوبها أى من ثلاجة باخشوين شمالا ، قاطعاً القسم الشرقي من شارع قابل بحذاء مسجدي فرج يسر والمعمار وذاهباً الى قـرب باب شريف جنـوب جُدة . وقـد استلزم فتحه هدم دور به وأعطى أهلها تعويضات مالية دفعتها بلدية جُدة لأصحاب الأماكن التى هدمت .

ولا شك أن فتح هذا الشارع سيخفف من ضغط المرور ، على شارع الملك عبد العزيز ، كما أنه سيفتح مسالك جديدة لتخلل الهواء للبلد القديم .

٦ ـ شارع الشاطىء(١) : «الكورنيش» . بدىء فعلا في ردمه وتغطية البحر فيه بالأتربة تمهيداً لدكها وسفلتته وفتحه وتقوم بهذه العمليات بلدية جُدة . ويقع الشارع قريباً من الميناء الجديد آخذاً امتدادُه الى الشمال بتعرج ..

٧ ـ شارع الأمير فيصل بن عبد العـزيز .. تقع فيـه سوق كبيرة مهمة ومعارض تجارية ومخـازن أدوية وصـيدليات ومكاتب عـديدة للتجار ووكالات للبواخر والطائرات في علو العمارات التى تكون فيها ، وفي سفلها . وهذا الشارع مع شارع قابل والشـارع الشرقي الموصل الى باب مكة هُنّ الشوارع الثلاثة المسقفة في جُدة . وقد حُفِر بهذا

(١) عرّب مؤلف هذا الكتاب لأول مرة كلمة «الكورنيش» الافرنجية الخشنة ، الى اسم «شارع الشاطىء» الجميل الكيان الخفيف على اللسان والحاوي للمعنى المروم بوضوح كبير .

الشارع مجرى لتسريب مياه المطر وفائض المياه غير النظيفة الى البحر . ويبدو لي أنه الوحيد في هذا الصنيع حتى الآن(١) .

وهذا الشارع ملك لسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وله مدخلان: الغربي ، من شارع الملك عبد العزيز ، والشرقي ، من شارع السوق الكبير .

٨ ـ شارعا قابل والعَلوى ـ بباب مكة .. وأصل شارع قابل كان « الشُونَةَ التركيةَ العثمانية » ومعنى كلمة « الشونة » : المستودع الحكومي العام للأرزاق .

هذا وفي سنة ١٣٣٦ هـ بعد النهضة الهاشمية بعامين ، فتح الملك حسين بن علي ، هـذا الشـارع ، من قلب الشـونة المذكورة ، وبنى فيه دكاكين ، وكان باب الشونة يقع في الناحيـة الغربيـة ، وتلاصقه دكاكين كانت هناك ، وقد استولت حكومة الملك حسين بن علي ، على الشونة والدكاكين الملاصقة لها ضمن ممتلكات الأتراك في جُدة . وفي زمن حصار الملك عبد العزيز آل سعود لجُدة باع الملك علي بن الحسين هذا الشارع بكامله لسليمان قابل ، بثلاثة آلاف جنيه ذهباً . وأعطاه سليمان قابل أرزاً وشعيراً بدلا عن النقود المشار اليها ، ومن ثم صار الشارع ملكاً له ، فبناه على هذا الطراز المسقف الموجود الى الآن . وقد جُددت مظلته وغيرها .

٩ ـ شارع مكة المكرمة .. يبتدىء هذا الشـارع من ناحيـة باب مكة ذاهباً الى ناجية الشرق صوب مكة ولذلك سمي بهـذا الاسم تسمية موفقة .. أي من الكيلو الواحد الى الكيلو التاسع وربما امتد غداً أو بعد غد الى الكيلو الـ ١٤ .. وما بعده ..

وهو من أهم شوارع جُدة وأحفلها بحركة المرور الدائمة ، لأنه صلة

(١) وأمام وزارة الخارجية شارع بدأت البلدية فيه بوضع أنابيب كبيرة لتصريف مياهه الى البحر القريب منه المعروف ببحر الطين . وستقوم بتعلية هذا الشارع ودكه بالغرسانة وسفلتته حتى لا يطفح عليه البحر .

الاتصال بينها وبين البلد الحرام ، فما من حاج وفد أو يفد الى جُدة الا ويسلك هذا الشارع الى مكة ومنه يدخل جُدة في عودته من مكة اليها .. سواء أكان راكباً أم راجلا ، وتجوبه السيارات ليل نهار .

وهو من أوسع شوارع جُدة ، وأحسنها استقامة وطولا وازدحاماً في أوله بمعارض التجارة ودكاكين الباعة ومعامل صناعة الحديد ، ومعامل المرطبات مثل البيبسى كولا ، والكوكاكولا ، والفرت باول ، والكيتي كولا ،والسينالكو ،وغيرها ،وبه العمارات السكنية الفارهة، والدارات الجميلة ذوات الحدائق الغُلب ، وصفت به أعمدة أضواء الكهرباء ، وأنشئت في وسطه جزر النبات والأزاهير وأشجار الظل ، وبه العمارة التى تستقر فيها قائمقامية جُدة . انتقلت اليها مؤخراً من عمارتها القديمة .

وبهذا الشارع عمارة آل زاهد الحديثة ذات المعارض الرائعة للسيارات التى هم وكلاؤها ، ومقر ادارة فرع رئاسة مدارس البنات ، وعمارة سالم بن محفوظ التي يقيم فيها وهي ذات حدائق مسورة كبيرة، وبالشارع مركز للشرطة ، وفندق الشرق المعطل ، ومستشفى الدكتور أمين المغربي لأمراض العيون وجراحتها ، والدار التى بها مقر ديوان رئاسة مجلس الوزراء وهي ملك لعبد اللطيف جميل ، وهي مستأجرة للديوان ، وبالشارع أيضاً مركز السقيا التابع لادارة العين العزيزية .

وفي الكيلو ٢ منه المقر المزمع وضع الساعة الكبيرة التى أهداها سمو الأمير عبد الله الفيصل لمدينة جُدة ، في الدائر الواقع بوسط الميدان على برج سيرتفع نحو ١٤ متراً ومساحة قاعدته متران ونصف المتر في مثل ذلك . وللساعة أربعة وجوه .

وفيه مدرسة الثغر النموذجية التى عمارتها تشبه عمارة جامعة ، ومصانع البلاط والمرمر ومطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر .

ومحطات ضخ النفط لتعبئة السيارات به ، وعمارة محمد أبو بكر باخشب وهي من أوائل ما بنى في هذه المنطقة ، ووكالة شركة سيارات مرسيدس الألمانية للجفالى ، ومدينة آل فهد ، ذات الحدائق الغناء والممرات المنسقة .

وبآخره عند الكيلو التاسع ، الحديقة العامة التى قامت بانشائها المديرية العامة للزراعة قبل أن تتطور الى وزارة . وفي هذه الحديقة كثير من أشجار الحمضيات المثمرة ، وأشجار الزينة والظل ، ونباتات كثيرة ، وشتلات توزع على الراغبين بقيمة رمزية ، وبجوارها الى الشرق ، المتنزه الذى أنشأه محمد بادكوك للترفيه عن المواطنين ، وفيه استراحة ومطعم ومقهى وحديقة منسقة وأماكن مخصصة لوقوف السيارات ..

١٠ ــ شارع المدينة المنورة .. سُمي هذا الشارع بهذا الاسم لكونه الطريق الوحيد ، الى المدينة ، وهو في هذا مثل « شارع مكة » الذى سُمي بهذا الاسم لأنه يقوم بنفس المهمة بالنسبة للسير منه الى مكة . وهو وشارع المدينة صنوان بالنسبة لامتدادهما وسفلتتهما ، وبالنسبة لايصالهما المسافرين الى البلدين المقدسين .. وبالنسبة لوجود مصنعي أسمنت وأنابيب وطنيين ، عند الكيلو الرابع عشر بكل من الشارعين .

يبتدىء شارع المدينة المنورة من قرب باب جديد الواقع الى الشمال ، عند الكيلو الواحد ويستمر حتى الكيلو الرابع عشر حيث يوجد مصنع الأسمنت والنورة وداراته وعماله .

ويمر هذا الشارع على قسم من أحياء البغدادية والشرفية والرويس ، مخترقاً لها في تعرج محدود .

وفيه معارض متنوعة للسيارات الكبيرة ولأدوات الزينة والملابس والكماليات ، وملاحم (جمع ملحمة : محل بيع اللحم) وباعة أغذية

وفواكه ، ودكان تصنع فيه هياكل زوارق الصيد والنزهة البحريين .. وهذه الزوارق تُدار وتُحرك بالآلات الأوتوماتيكية .

وبأول هذا الشارع يقع «مبنى وزارة الخارجية» الأندلسي الطراز ، وفي وسطه عند مفترق الطريق بينه وبين شارع الملك سعود سفارة بلجيكا ودار سمو الأمير فيصل ومقر سفارة الجمهورية العربية المتحدة وقد أغلقت في جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ بالنظر لقطع العلاقات الدبلوماسية بين الحكومة العربية السعودية والحكومة المذكورة . وفيه بيت الخريجي الحديث البناء ، ومنزل عبد الله السعد وزير المواصلات الأسبق ، ومنزل محمود أبار ، ومنزل شرف رضا ، وبالقرب منه الى ناحية البحر منزل محمد سرور الصبان ، كما أن به دارات وقصوراً ذات بهاء رائع . وبه محطات لضخ النفط بالبيع الى السيارات التى تجوب شوارع جُدة .. وبالمحطات المذكورة مغاسل للسيارات وتشحيمها ، ودكاكين لبيع أدوات السيارات وورشة لاصلاحها ، ودارات جميلة وعمارات سكنية كثيرة ، وعمارات البنك الأهلي التجاري السكنية ، وفيه اشارات مرور كهربائية .

وبطرفه الشمالى ، المسجد الجامع الذى شاده جلالة الملك سعود سنة ١٣٨١هـ ومقاه قديمة وحديثة تمتد حتى الكيلو ١٠ ومخفر للشرطة بعدها ، ودكاكين لبيع المرطبات الغازية .

١١ ـ وهناك شارع يتفرع من شارع الملك عبد العزيز في ناحيته الجنوبية الغربية ذاهباً الى الميناء ، وبأول هذا الشارع من ناحية الشمال يقع مبنى ادارة بريد وبرق جُدة ومقر وزارة المواصلات سابقاً ، وبنك القاهرة والرئاسة العامة لخفر السواحل والموانىء في المنطقة الغربية ومحطة لضخ البنزين وتسويقه وعمارة الأمير نواف بن عبد العزيز ورئاسة الصحة البحرية والكورنتينات (الكورنتينة سابقاً) وبها مقر مندوبية الساحل الغربي التابعة لوزارة الصحة ، وعمارة البنك العربي ، وسوق السمك القديمة ، والشركة التجارية العربية ، وشركة

فاضل عرب ، وفندق النهضة ، ومعرض محمد علي مغربي ومصانع موبيليات ونجارون .

وهذا الشارع مسفلت كله ، وهو ذو ممرين : ممر للسيارات(١) الذاهبة ، وممر للقادمة ، وفصل بينهما بجزر نباتية .

□□□

وبعد فهذا بيان عام شامل لأسماء شوارع جُدة الواحد والثلاثين بعد المائة ، وقد وضعنا الأسماء القديمة للشوارع الى اليمين وبجانبها أسماؤها الجديدة حسب ما ألصقت بها بلدية جُدة ألواحاً معدنية مسمرة على ناصية كل شارع ، وواضح ما في نشر الأسماء القديمة للشوارع والى جانبها الأسماء الحديثة ، من سهولة ادراكها والاهتداء اليها ، ومعرفة مواقعها وحدودها .

(المنطقة الوسطى)

	الأسم القديم	الاسم الجديد
١	ـ شارع الملك عبد العزيز ، باب شريف ، باب مكة ، باب جديد	شارع الملك عبد العزيز آل سعود
٢	ـ شارع زاوية القنفذية ، الخاسكية السوق الكبير ، سوق الندى	شارع سوق الندى(١)
٣	ـ شارع قابل ، العلوى ، باب مكة	شارع قابل
٤	ـ شارع الأمير فيصل بن عبد العزيز	شارع الأمير فيصل بن عبد العزيز
٥	ـ شارع العيدروس	شارع العيدروس
٦	ـ شارع مقبرة الأسد	شارع الأسد
٧	ـ شارع الشام ، الخزنة	شارع الشام
٨	ـ شارع الفلاح	شارع الفلاح
٩	ـ شارع العزيزية	شارع العزيزية

(١) بالمناسبة نذكر هنا أن أول سيارة دخلت جدة كانت سيارة الملك حسين بن علي . ثم سيارة الملك علي . وكان لمحمد الطويل ناظر عموم الرسوم بجدة يومئذ . سيارة « فيات » كان يركبها . واذا حضر الملك حسين بن علي من مكة الى جدة أخفاها .

(١) مما يقال ويشيع أن سبب تسمية هذه السوق بهذا الاسم يعود الى اطعام أهلها للفقراء حتى انهم كانوا يتسابقون الى ذلك . ومعلوم أن من معاني الندى الكرم .. على انه قد يكون أساس التسمية راجعاً الى كثرة نزول الندى بهذه السوق لقربها من البحر ..

الاسم القديم	الاسم الجديد
١٠ ـ شارع باب شريف الى عمارة الشيخ محمد نصيف	شارع باب شريف
١١ ـ شارع الشركة العربية ، وابن محفوظ	شارع الشركة العربية
١٢ ـ شارع حلقة الفحم	شارع الحلقة
١٣ ـ شارع البقماني	شارع أمية
١٤ ـ شارع الحسون بباب مكة	شارع تميم
١٥ ـ شارع أحمد موصلي بباب مكة	شارع الأنصار
١٦ ـ شارع الأشراف آل غالب بالسوق الكبير	شارع الأشراف

(منطقة البغدادية ، الشرفية ، الرويس ، الجهة الشمالية)

الاسم القديم	الاسم الجديد
١٧ ـ شارع المدينة المنورة	شارع المدينة المنورة
١٨ ـ شارع قصر الزاهر ، الشرفية ، المطار ، شارع ولي العهد حتى الميناء	شارع الملك سعود بن عبد العزيز
١٩ ـ شارع محطة سامي كتبي بالبغدادية	شارع طلحة بن الزبير
٢٠ ـ شارع البترجي بالبغدادية	شارع معن بن زائدة
٢١ ـ شارع مدينةسعود العلمية بالبغدادية	شارع المدارس
٢٢ ـ شارع علي طه بالبغدادية	شارع عمر المختار
٢٣ ـ شارع وزارة الزراعة بالبغدادية	شارع أسامة بن زيد
٢٤ ـ شارع حمد السليمان بالبغدادية	شارع حمد السليمان
٢٥ ـ شارع السفارة التركية بالبغدادية	شارع سعد بن أبي وقاص
٢٦ ـ شارع سليمان النانيه بالبغدادية	شارع معاوية بن أبى سفيان
٢٧ ـ شارع محمد علي أبو داوود بالبغدادية	شارع عبد الملك بن مروان
٢٨ ـ شارع باغفار بالبغدادية	شارع هشام بن عبد الملك
٢٩ ـ شارع بادكوك بالبغدادية	شارع زيد بن ثابت
٣٠ ـ شارع وزارة الخارجية بالبغدادية	شارع المزدلفة
٣١ ـ شارع الأمير مشعل بن عبد العزيز بالبغدادية	شارع الأمين
٣٢ ـ شارع الأمير ثامر بن عبد العزيز بالبغدادية	شارع رضوى
٣٣ ـ شارع الجمجوم بالبغدادية	شارع النور

الاسم القديم	الاسم الجديد
٣٤ ـ شارع فندق الحرمين بالبغدادية	شارع المأمون
٣٥ ـ شارع محمد سعيد متبولي بالبغدادية	شارع القريات
٣٦ ـ شارع العمودي بالبغدادية	شارع بدر
٣٧ ـ شارع مرزوق الريحان بالبغدادية	شارع منى
٣٨ ـ شارع سفارة المغرب	شارع ينبع
٣٩ ـ شارع سراج زهران بالبغدادية	شارع تبوك
٤٠ ـ شارع البغدادية القديمة ، القشلة العسكرية	شارع الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٤١ ـ شارع أحمد العناني بالبغدادية	شارع عنيزة
٤٢ ـ شارع علي الحمراني بالبغدادية	شارع بريدة
٤٣ ـ شارع فريد صبان بالبغدادية	شارع الهفوف
٤٤ ـ شارع سعيد باعشن بالبغدادية	شارع حطين
٤٥ ـ شارع نصيف بالبغدادية	شارع رأس تنورة
٤٦ ـ شارع صالح رجب بالبغدادية	شارع الغزالي
٤٧ ـ شارع محمد الحريري بالبغدادية	شارع عروة بن الزبير
٤٨ ـ شارع حسن القرشي بالبغدادية	شارع عفيف
٤٩ ـ شارع البغدادي بالبغدادية	شارع أملج
٥٠ ـ شارع أحمد فخرى بالبغدادية	شارع الفرات
٥١ ـ شارع محمود فخرى بالبغدادية	شارع رأس مشعاب
٥٢ ـ شارع الخريجي بالشرفية	شارع أبى بكر الصديق
٥٣ ـ شارع القائمقام بالشرفية	شارع عمر بن الخطاب
٥٤ ـ شارع محيى الدين نعمان بالبغدادية	شارع ضبا
٥٥ ـ شارع الجفالى بالشرفية	شارع عثمان بن عفان
٥٦ ـ شارع أحمد عبد الجبار بالشرفية	شارع على بن أبى طالب
٥٧ ـ شارع شنكار بالشرفية	شارع خالد بن الوليد
٥٨ ـ شارع عبد الملك ناظر بالشرفية	شارع الهدى
٥٩ ـ شارع محطة الشرفية	شارع الأحساء
٦٠ ـ شارع أنور أبو الجدايل	شارع عرفات
٦١ ـ شارع وزارة المالية بالشرفية	شارع ابن خلدون
٦٢ ـ شارع عبد الرحمن مؤمنة بالشرفية	شارع الوجه
٦٣ ـ شارع على مصطفى بالشرفية	شارع أبى هريرة
٦٤ ـ شارع السروجي بالشرفية	شارع بلال بن رباح

الاسم القديم	الاسم الجديد
٦٥ ـ شارع المطوع ناصر بالشرفية	شارع صهيب الرومي
٦٦ ـ شارع سفارة الجمهورية العربية المتحدة بالشرفية ، خلف السفارة الهندية بالرويس	شارع عمر بن عبد العزيز
٦٧ ـ شارع محمد على مغربي بالشرفية الى محل شكيب الأموي بالرويس	شارع الطائف
٦٨ ـ شارع الأمير بدر بطريق المدينة منطقة الرويس	شارع الجوف
٦٩ ـ شارع اسماعيل قطب الدين ، بطريق المدينة منطقة الرويس	شارع أحد
٧٠ ـ شارع مدرسة حديقة الأطفال بطريق المدينة منطقة الرويس	شارع الزبير بن العوام
٧١ ـ شارع الأمير سعد بن عبد العزيز بطريق المدينة منطقة الرويس	شارع عبد الرحمن بن عوف
٧٢ ـ شارع محطة أبو العلا ، شارع الامير فيصل بن عبد العزيز	شارع العلا
٧٣ ـ شارع محطة أبو العلا ، طريق المدينة، المحروقات ، مقبرة الرويس	شارع أبى الطيب
٧٤ ـ شارع الشيخ محمد سرور الصبان بالرويس	شارع القادسية
٧٥ ـ شارع الرويس	شارع الرويس
٧٦ ـ شارع غازى شاكر بالرويس	شارع أسامة بن منقذ
٧٧ ـ شارع على مختار بالرويس	شارع أبى فراس الحمداني
٧٨ ـ شارع رجاء الحسيني بالرويس	شارع أبى تمام
٧٩ ـ شارع السفارة الامريكية بالرويس	شارع فلسطين
٨٠ ـ شارع النيابة ، محل ابراهيم شاكر، شركة التعدين بالرويس	شارع حسان بن ثابت
٨١ ـ شارع البحر أمام السفارة الهندية الرويس ، السفارة الامريكية ، قصر الامير فيصل بن‌عبد العزيز بالرويس	شارع حائل
٨٢ ـ شارع أمام قصر الزاهر بالرويس	شارع الزاهر

الاسم القديم	الاسم الجديد
٨١ ــ شارع الدكتور رشاد فرعون بالرويس	شارع تيماء
٨٤ ــ شارع غرب قصر الامير فيصل بن عبد العزيز بالرويس	شارع الأندلس
٨٥ ــ شارع السفارة اليابانية ، طريق المدينة بالمنطقة الشمالية	شارع أحمد شوقي
٨٦ ــ شارع السفارة العراقية ، طريق المدينة ، بالمنطقة الشمالية	شارع عقبة بن نافع
٨٧ ــ شارع عبد العزيز العبد اللهالسليمان بطريق المدينة ، بالمنطقة الشمالية	شارع عمار بن ياسر
٨٨ ــ شارع الامير محمد بن سعود الكبير بطريق المدينة ، بالمنطقة الشمالية	شارع عبادة بن الصامت
٨٩ ــ شارع السفارة السيامية بطريق المدينة ، بالمنطقة الشمالية	شارع عبد الله بن العباس

(منطقة الكندرة ، العمارية ، الصحيفة ، طريق مكة)

الاسم القديم	الاسم الجديد
٩٠ ــ شارع المطار ، من المطار حتى فندق جدة الجديد	شارع المطار
٩١ ــ شارع مستشفى الكندرة	شارع الشيخ عبد الله السليمان
٩٢ ــ شارع الحركان بالكندرة	شارع بيشة
٩٣ ــ شارع عبد الرحيم كابلي بالكندرة	شارع المجمعة
٩٤ ــ شارع صالح بن شلهوب بالكندرة	شارع القطيف
٩٥ ــ شارع ابراهيم اسلام بالكندرة	شارع الظفير
٩٦ ــ شارع حمزة عجاج بالكندرة	شارع بقيق
٩٧ ــ شارع ابراهيم بن عيدان بالكندرة	شارع الرس
٩٨ ــ شارع الامير تركي السديرىبالكندرة	شارع ميسلون
٩٩ ــ شارع عبد العزيز الشقيحي	شارع ثقيف
١٠٠ ــ شارع أحمد عبيد ، محل يوسف الرشيد ، بازان الكندرة	شارع أبى عبيدة عامر بن الجراح
١٠١ ــ شارع الجزار بالكندرة	شارع ابن زيدون
١٠٢ ــ شارع الراشد بالكندرة	شارع بالجرشى
١٠٣ ــ شارع على البترجى بالكندرة	شارع أبى الفرج الاصفهاني

الاسم القديم	الاسم الجديد
١٠٤ ـ شارع مسجد الجميح بالكندرة	شارع عمرو بن العاص
١٠٥ ـ شارع السفارة الليبية بالكندرة	شارع غامد
١٠٦ ـ شارع السفارة الافغانية بالكندرة	شارع المضيق
١٠٧ ـ شارع مستشفى الرمد بالكندرة	شارع سدير
١٠٨ ـ شارع الحكومة الجزائرية بالكندرة	شارع الخرج
١٠٩ ـ شارع محمد بن بطى بالكندرة	شارع طريف
١١٠ ـ شارع فاضل قبانى بالكندرة	شارع الدرعية
١١١ ـ شارع السندى بالكندرة	شارع الشميسى
١١٢ ـ شارع الامير فيصل بن سعد بالكندرة	شارع طليطلة
١١٣ ـ شارع عبد العزيز جميل بالكندرة	شارع دجلة
١١٤ ـ شارع مدرسة دار الايتام ، الكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع تطوان
١١٥ ـ شارع الاميرة موضى بنت سعود ، بالكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع ابن القاسم الثقفي
١١٦ ـ شارع حامد دخيل ، بالكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع أبى موسى الأشعري
١١٧ ـ شارع محمد السليمان التركي ، بالكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع جرير
١١٨ ـ شارع ابراهيم الصنيع ، بالكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع الظهران
١١٩ ـ شارع محمد باقيس ، بالكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع جميلة أبو حيرد
١٢٠ ـ شارع محمد بن ملوخ ، بالكيلو الواحد ، منطقة الكندرة	شارع أَبهَى
١٢١ ـ شارع العمارى بالعمارية	شارع العمارية
١٢٢ ـ شارع حواء بالعمارية	شارع حواء
١٢٣ ـ شارع الحسين بالعمارية	شارع بحرة
١٢٤ ـ شارع الصحيفة	شارع الصحيفة
١٢٥ ـ شارع عبد الرحمن اليوسف بالصحيفة	شارع الكوفة
١٢٦ ـ شارع معمل ثلج الكعكي بالصحيفة	شارع النيل
١٢٧ ـ شارع معمل الكوكاكولا بالصحيفة	شارع الدمام

الاسم القديم	الاسم الجديد
١٢٨ ـ شارع عبد الله بن ناصر ، محل باخشوان بالصحيفة	شارع مسلمة بن عبد الملك
١٢٩ ـ شارع مكة المكرمة	شارع مكة المكرمة
١٣٠ ـ شارع الطبيشى ، بالكيلو الثاني ، بطريق مكة	شارع بَرَدَى
١٣١ ـ شارع عمر عبد ربه ، بالكيلو الثاني ، بطريق مكة	شارع تهامة

وأسواق جدة القديمة هي :

١ ـ سوق السمك .. وتسمى هذه السوق في مصطلح أهل البلد حتى الآن : «البَنقَلة» وهي صيغة يبدو أنها تَمُتُّ بصلة الى اللغة الهندية .. وتقع هذه السوق بجوار البحر قريباً من البنك العربي وشارع الميناء . ويعرض فيها أنواع السمك المصطاد من البحر طازجة ومثلجة، على السواء ،عرضاً عادياً : بِشكِهِ في سعف أو نحوه ،ووضعه على عواتق العارضين من السماكين .. كما يباع بالجملة والتفريق في عريش متخرق من الخشب المهلهل نصب هنالك منذ زمن مديد ..

وبجانب هذه السوق فضاء وبقايا سفن شراعية وسفن شراعية قديمة مهملة مرصوصة بجانب بعضها . فمن اشترى حوتاً وأراد تنظيفه سلمه لأحد العمال المختصين ، فيذهب هذا به الى شاطيء البحر القريب من السوق ، ويغسله بماء البحر بكشط الزعانف عنه ، وينظفه ومن ثم يعود به الى صاحبه ، فينفحه بحلوان أو بأجر زهيد على مقدار ما نظف من السمك .

وقد أنشئت سوق جديدة للأسماك على الطراز الحديث بحي الهنداوية . وكان البدء في انشائها يوم ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٨١هـ وتم بناؤها وتنظيمها وستقوم البلدية بنقل الحواتين الى هذه السوق الملائمة لتطور البلد وتقدمه العمراني .

٢ ـ سوق الخضراوات والجزارين . كانت الى أواخر سنة ١٣٨١هـ في النورية الواقعة في نهاية شارع قابل الى ناحية الشرق ، وكانت سوقاً غير صحية ، مليئة بالأتربة والغبار والذباب .. فعمدت بلدية جُدة الى نقلها من موقعها المذكور الى الناحية الغربية ، قريباً من شارع الملك عبد العزيز ، في ناحيته الجنوبية الغربية ، في شارع مبلط ودكاكين حديثة منظمة . لا غبار فيها ولا تراب ولا ذباب .

٣ ـ السوق الكبير : وهي المعروفة بهذا الاسم الى اليوم ، وتقع هذه السوق في قلب جُدة وتباع بها الأقمشة في دكاكين كبيرة وصغيرة مكتظة بفاخر الأقمشة من صوفية وقطنية ونيلونية وحريرية ، ومذهبة ، ومفضضة ..

كما تباع بها الفواكه والمأكولات كالجبن والزيتون والحلوى والخبز والمكسرات والكماليات وغير ذلك من مطالب العيش والحياة .

ولا يزال بهذه السوق دكان يوناني . وتقوم هذه الدكان على احدى نواصي هذا الشارع الملاصقة لشارع قابل .

وتتفرع من السوق الكبير أسواق استحدثت أخيراً في الناحية الغربية الموالية لشارع الملك عبد العزيز . وبهذه الأسواق الفرعية كثير من معارض الأقمشة والروادي(١) والمسجلات وأدوات الشاي وملابس الأطفال والساعات والنظارات والمفارش وغيرها .

٤ ـ سوق الخاسكية .. وتقع خلف دار الشيخ محمد نصيف وهي من الأسواق القديمة .

٥ ـ سوق الندى .. وهذه السوق قديمة وتقع في شَارع سوق النَّدىَ .. وهي عامرة بالمكتبات وبدكاكين الأغذية . وبها مخزن

(١) الروادى : هو الجمع الذى اخترناه لسهولته لصيغة (الراديو) .

أدوية ومطاعم وسماكون وخضريون وفرن شيخ فرانة جُدة ، وبجانبها مطبعة الفتح . وبها مسجد لؤلؤة وهو صغير ومئذنته كذلك ، وبها صانعو الأحذية ومصلحوها، والسروجية : صانعو الحقب والهميانات(٢) ومصلحوها .

٦ ـ سوق الجامع ـ جامع الشافعي .

٧ ـ سوق الحراج ـ أي المزاد العلني ـ باللغة العامية الحجازية . وفي هذه السوق حتى الآن سوق المزاد العلني لما يراد بيعه من الحاجيات المستعملة وغيرها بصورة فورية وبالمزاد العلني . وتقع بجانب شارع قابل .

٨ ـ سوق العصر .. وتقع في باب شريف .. ولا تزال تقام في عصر كل يوم حتى اليوم .

٩ ـ سوق الحبابة . وتقع في باب مكة ولا تزال على حالها الى اليوم.

١٠ ـ سوق البدو .. تقع في باب مكة أيضاً . ولا تزال حتى الآن كما كانت من قبل .. وتباع فيها الأقمشة الخاصة بالبادية وأبازيرهم ومصوغاتهم ولوازمهم(١) .

١١ ـ سوق البراذعية .. كانت تصنع فيها براذع الحمير والبغال وسروج الخيل في زمان استعمالها كأدوات نقل وانتقال .

١٢ ـ سوق السبحية (بضم السين وفتح الباء بعدها حاء مكسورة فياء مشددة فتاء مربوطة) وهم بائعو السبح أى المسابح .

(٢) جمع هميان .. بفتح الهاء والميم بعدها ياء تحتية . فالف فنون .. وهو المعروف بالكمر الذى يشد على وسط الانسان وقد يكون فيه نقوده أو بعض لوازمه الخفيفة .

(١) في كتاب « السفر الى بلاد العرب » لجون لويس بوركهارت : انه يباع في جدة ، المواشي والحطب والفحم والفاكهة والخضراوات بالجملة .. كما يباع كذلك فيها البن في دكاكين كثيرة في وقت قصير مبكر .. ويحضر هؤلاء التجار الى هذه السوق لبيع البن ولاستنشاق أخبار مكة التجارية فيها حيث يرد البريد يومياً .

كانت هذه السوق في موقع الخاسكية ، وكان لدى أصحابها معامل : « ورش » لصنع المسابح من المرجان الأسود ، المعروف هنا «باليسر» . ومن هذه الورشات ورشة الناغي ، وورشة الزامكة ، وورشة دخيل . وورشة الموصلى . وكان يعمل في كل ورشة من هذه الورش نحو خمسين عاملا .

١٣ ــ ومن أسواق جُدة القريبة العهد ، سوق باب شريف . وفي هذه السوق تباع الأطعمة والألبسة والفواكه والاقمشة واللوازم الاخرى والكماليات ، وهي مكتظة وعامرة بالناس ، وبكل المطالب ، وبالمقاهي.

١٤ ــ سوق الصُحَيفَة ــ وفيها دكاكين ومطاعم ومقاه ومكان لوقوف سيارات الأجرة .

١٥ ــ سوق السبيل : وأغلب أصحابها من أهل اليمن الذين نزحوا عن بلادهم ابتغاء الحصول على لقمة العيش ووفرة المال .

١٦ ــ سوق الرويس .. في شارع الرويس ، وبها دكاكين تباع فيها الأغذية والمعلبات وأنواع الحلوى واللوازم الأخرى . وفيها موقف لسيارات الأجرة .

وعلاوة على ذلك نقول : كان يباع في مختلف أسواق جُدة القديمة، التمر والجبن البلدى الحلو والملح .. وكان الناس لا يوردون الجبن المصري ولا يرغبون فيه .. كانوا يكتفون بالبلدى وحده .. وكان كثيراً وفيراً ، يكفى حاجات السكان ، وربما فاض فصدروه الى نواح أخرى من البلاد الحجازية ، خاصة اذا هبطت أسعاره لكثرته ووفرته. وكان الناس يشترون من هذا الجبن البلدى بخمسين أو ستين ريالا في كل عام ، ويختزنونه في بيوتهم ، لاستعماله ، طيلة السنة ..

وكان محل «الخواجا يَنّي» اليوناني يورد من الخارج الجبن الأصفر المضغوط : « الكشكبان » .

وكان السمانة (بائعو السمن) وبائعو الفاكهة منتشرين في سائر الأسواق ، وكانوا يبيعون عسل النحل والطحينة الى جانب السمن .

وكان للبنائين مقهى معروف بهم .

وكان للفقهاء مقهى معروف بهم يجلسون فيه .

وكان لبائعي الحلوى دكاكين خاصة ببيع الحلوى .. ومن قدمائهم « محمد كريمة » وكانت دكانه في سوق العلوى . ومحمد حلوانى ، ودكانه في سوق الندى . وعتيق شنكار .

وكان من اليمانين من يتعاطى بيع الحلوى الهندية ، وكان أكبر وأشهر هؤلاء هو الشخص المعروف بـ « قداف اليماني » ـ بالجيم المصرية المعقودة ـ .

وكانت بهذه الأسواق مطاعم لاطعام الناس مقابل نقد ، يدفعونه لأصحابها . وكان غالب الطاعمين في المطاعم الشعبية من غير ذوى البيوت ، وكان في هذه المطاعم ، الادام والأرز والخبز وغير ذلك ، من أصناف المأكول . وكانوا يسمون المطعم : « المطبخ » ولا يزال على اسمه عندهم الى اليوم ..

ومن هذه المطابخ :

١ ـ مطبخ خميس . ويقع بسوق العلوى .

٢ ـ مطبخ ابراهيم حلواني في محلة المظلوم .

٣ ـ مطبخ في الخاسكية خاص بالرؤوس : «رؤوس الغنم المشوية»: المَنـَدي ـ (بفتح الميم بعدها نون ساكنة فدال مهملة مكسورة فياء) .

٤ ـ وفي سوق الندى مطابخ عديدة لبعض أهل اليمن ، وكان يطبخ بها طبخة (العقدة) وتتخذ من اللحم وشيء من الخبز به سمن

كانوا يسمونه (سبايا) وهو شيء غير ما هو معروف بالمعصوب .

وكان بجُدة مطابخ خاصة لصنع أطعمة الولائم والدعوات . وهي ألوان تحتاج الى استعداد ومهارة . ومن هذه المطابخ ـ تلك المطابخ المشهورة بعمل « الكوازى » وولائم « حفلات الزواج » وولائم الأفراح المتنوعة ، مثل ختم القرآن والحج والزيارة والختان .

وكان من هذه المطابخ بالذات :

١ ـ مطبخ ابراهيم الحلواني . ودكانه خاصة ببيع الحلوى بأنواعها . وتقع بالقرب من سوق جامع الشافعي في محلة المظلوم .

٢ ـ مطبخ عبد القادر حلواني الواقع بالقرب من سوق الجامع المذكور أيضاً . وعبد القادر الحلواني هذا هو من أصل مصري ، أما ابراهيم الحلواني فهو من أصل هندى . وقد اتفق لقباهما واختلفت أصولهما وبلداهما وجمعتهما الصنعة والبلد ..

وكان بأسواق جُدة طوائف عديدة من أهل الحرف نذكر منهم :

١ ـ المُطَبَّقَانية : وهم صانعو المُطبَّق (بضم الميم وفتح الطاء بعدها باء موحدة مفتوحة مشددة فقاف) . والمطبق أكلة حجازية تعمل من دقيق معجون بالسمن يفتل ويبسط حتى يصير رقيقاً جداً ثم يقطر عليه شيء من السمن ويوضع في جوفه شيء من اللحم المفروم وشيء من الباذنجان الأحمر والبقدونس أو البيض أو الجبن أو الموز أو القشطة والسكر ، ثم تطوى الفطيرة على نفسها في شكل مربع ويلقى بها في الصاج الذى يكون على جمر من النار . أو في الفرن ، ويترك بأحدهما ويلقى عليه قطرات من السمن بين الفينة والفينة بأطراف الأصابع حتى ينضج ثم ينقل من الصاج ، أو الفرن بمعلقة مفلطحة ويؤكل بعدها . وأغلب أكل الناس له اما في الصباح أو في المساء .

ولهؤلاء « المطبقانية » شيخ يرجع اليه في شؤونهم ، وأشهرهم كان أبا عوف في الخاسكية .

٢ ـ القطانون : وهم نادفو القطن وصانعو المخدات والمراتب : « الطراريح » واللحف ـ جمع لحاف ـ منه ، ولهم شيخ يرجعون اليه حتى الآن .

٣ ـ النجارون : وهم طوائف منهم صانعو الكراسى الخشبيةذوات الحبال الليفية المعروفة باسم «كراسى الشريط» ومنهم صانعو الشبابيك للبيوت والأبواب ، ومنهم صانعو الخزائن : «الدواليب» . ولهم شيخهم.

٤ ـ البناؤون : وهؤلاء هم الذين يقومون ببناء البيوت والدكاكين، اما مقابل أجر يومي أو بتعهد . وكان البناء مقصوراً على الحجر المنقبي الأبيض قبل دخول مادة الأسمنت الى البلاد ، وينضوى تحت لواء هؤلاء ، الحجارون .. وهم ناحتو الحجارة ومشذبوها المعروفون بالقَرَارِيَّة . ولطائفة البنائين شيخ .

٥ ـ السماكرة : وهم صانعو الأباريق والعلب والسماورات والعلب ولاحمو الصفائح وغيرها بالقصدير . وهؤلاء غير السباكين الحديثين . ولهم شيخهم .

٦ ـ الخرازون وهم الذين يخرزون ويصنعون الأحذية البلدية على اختلاف أنواعها .

كانت هذه الأحذية على ثلاثة أنواع : نوع يدعى (المكي) يمتاز بزخرفة كبيرة وبشراك مزخرف عريض بعض الشيء يغطى ظاهر مقدم القدم تقريباً ، ويدخل في صناعته أسلاك تشبه الذهب أو الفضة لا تلبث أن يبهت لونها . ونوع يسمى « المدنى » وهو أقل وأبسط تركيباً وتصميماً من النوع الأول . ونوع يسمى «بالشرقي» وهو أخف

من الاثنين وأرشق . وقد انقرض النوعان : الأول والثاني وبقى النوع الثالث يغالب انتشار أحذية البلاستيك الرخيصة الأخف منه المعروفة الآن « بزنوبة » .. على أن النوع الثالث من الأحذية قد أدخلت على بعضه تحسينات عصرية في جُدة ومكة والمدينة ، فجعل شراكه من النيلون الأبيض أو الأسود البراق ، وبذلك استعاد بعض حيويته وانتشاره ، والاقبال عليه . ويبدو أنّ أول من أدخل هذه التحسينات عليه كان أحد خرازى المدينة المنورة ثم وصل ذلك الى جُدة ومكة وربما الى غيرهما .

٧ ــ البراذعية : وهم صانعو البراذع للحمير التى كان لها سوق رائجة ، اذ كانت احدى وسائل النقل والانتقال الرئيسية . وكان هؤلاء يصنعون أيضاً السروج للخيل ولكنها سروج كانت غير نفيسة . كانت السروج المكية تفضلها بكثير من الرشاقة والمتانة والجمال ولهؤلاء شيخ خاص بهم ، وقد انقرضوا الآن .

٨ ــ حُمّالُ البحر : وهم يكونون احدى طوائف جُدة ، وهم « الكرّانيّة » وتتعلق مهمتهم بتفريغ حمل البواخر والسفن من البضائع الى وسائط النقل بالميناء .

٩ ــ حُمّال مقادمة الأحوشة أو الحيشان .. كما يسمونها : وكانت الأحوشة هذه في داخل مدينة جُدة القديمة عبارة عن مخازن ومستودعات كبيرة تستوعب كل أو جل ما يرد اليها بحراً من الأرزاق والبضائع .

يقول حسن أبو الحمائل في كتيبه المخطوط «مختصر تاريخ جُدة» : « وأما أحوشة جُدة فهي لا تحصى ، وأعظمها حوش الشريف بناه الشريف عبد الله ابن الشريف محمد بن عبد المعين ، وهو معد للحجاج والتجار .. وحوش مثقال ، وهو لأحد خواص الشريف غالب ، وحوش الدولة ، وحوش أبى اليسر ، وحوش الصالح ، وحوش عكاش ، وجملة أحوشتها تزيد عن المائة » .

وكان لحمالة البحر ثلاثة أقسام : حمالة الفرضة وهي الميناء ، وحمالة الزملة ، والكوبرى . ولكل هذه الطوائف شيخ يرجعون اليه في أمورهم .

١٠ ـ السقاؤون كانوا على نوعين : قديم وحديث ، فالسقاؤون القدماء هم حاملو القرب الكبيرة على ظهورهم الى البيوت ولا تزال بقية ضئيلة منهم الآن . شاهَدتُ بعضهم في عام ١٣٨١ هـ . والسقاؤون الحدثاء هم ناقلو الماء بالصفيح ، وهو ما يسمى بالزفة : أي صفيحتين متقابلتين توضعان في حبلين مشدودين بعصا مرنة توضع على العاتق . ومن هؤلاء من يحمل الصفيحة المملوءة بالماء على رأسه ، ويكاد هؤلاء ينقرضون أيضاً . ولكن خَلَفهم الآن ناقلو الماء بالبراميل : «الفناطيس» التى تشد على حمير .

١١ ـ الفرانون : كانوا منتشرين بجُدة ولا يزالون ، وكانوا وما زالوا يخبزون (الخبز السوقى) كما يخبزون فيما مضى ، الخبز البيتى . وهذا أكبر وأنظف من الخبز السوقى .

والخبز بجُدة على أنواع : البلدى المعروف بالمفرود ، وهو مستدير مفلطح خفيف القشرة واللب ، والصامولى وهو مستدير منتفش ، كثير اللب ، وغالباً ما يصنع الأول من القمح ، والثاني من دقيق الفينو الأبيض . ومن هذا الصامولى : المستطيل والمستدير وغير ذلك . وهناك الكعك والشابور والتميز وألوان أخرى كالقطائف وما شاكل ذلك .

١٢ ـ الطحانون : وهم الذين يطحنون القمح المزروع في المملكة والمستورد من الخارج بطواحين من حجر تدار بالحيوان أولا ، ثم بالمكنات ثانياً . وتكاد تنقرض هذه أيضاً .

١٣ ـ الفخرانية : وهم صانعو أوانى الفخار من قلل متوسطة

وصغيرة وأزيار كبيرة ومغاريف وأباريق خزفية وما الى ذلك . وقد قل رواج هذه الأواني الفخارية حديثاً ، لطغيان وسائل التبريد الحديثة في البلد وهي الثلاجات الكهربائية الموجودة في البيوت التى توضع فيها القوارير الزجاجية وغيرها وسرعان ما تحيل الماء ذا الحرارة العادية ــ الى ماء مثلج .

١٤ ــ السمانون : بائعو السمن البلدى المتخذ من لبن الأنعام بالجملة والتفريق .

كان هؤلاء منتشرين في كل سوق بدون أن تجمعهم سوق واحدة .. وكانوا يبيعون ــ كما سبق أن أشرنا اليه ــ سمنهم الأصلى الوافر ، الى جانب عسل النحل الأصيل ، ولم يكن الناس يعرفون السمن الصناعي. ولم يدخل الى جدة هذا السمن النباتي ، الا بعد الحرب العالمية الثانية. حينما قل ناتج السمن الطبعى ، لقلة الأنعام . وكان لهؤلاء السمانين شيخ .

١٥ ــ الفكهانية : وهم بائعو الفاكهة . كانوا أيضاً كالسمانين متفرقين في الأسواق ، وكانوا يبيعون ما يرد من الطائف ووادى فاطمة من الفاكهة فحسب ، وكانت فاكهة هذين الموقعين ، وافرة وجيدة وكثيرة وكافية للاستهلاك المحلي جداً ، وذلك بعامل خصب البلاد ، لكثرة هطول الأمطار ، ورخص الأيدى العاملة ، واهتمام كثير من الناس بتنمية الزراعة الوطنية .

١٦ ــ السُبحِيَّة : صانعو السُبَح وبائعوها بالجملة والتفريق.. كانت لصناعتهم معامل خاصة ، أشرنا اليها آنفا . وكان لهم شيخ .

ooooo

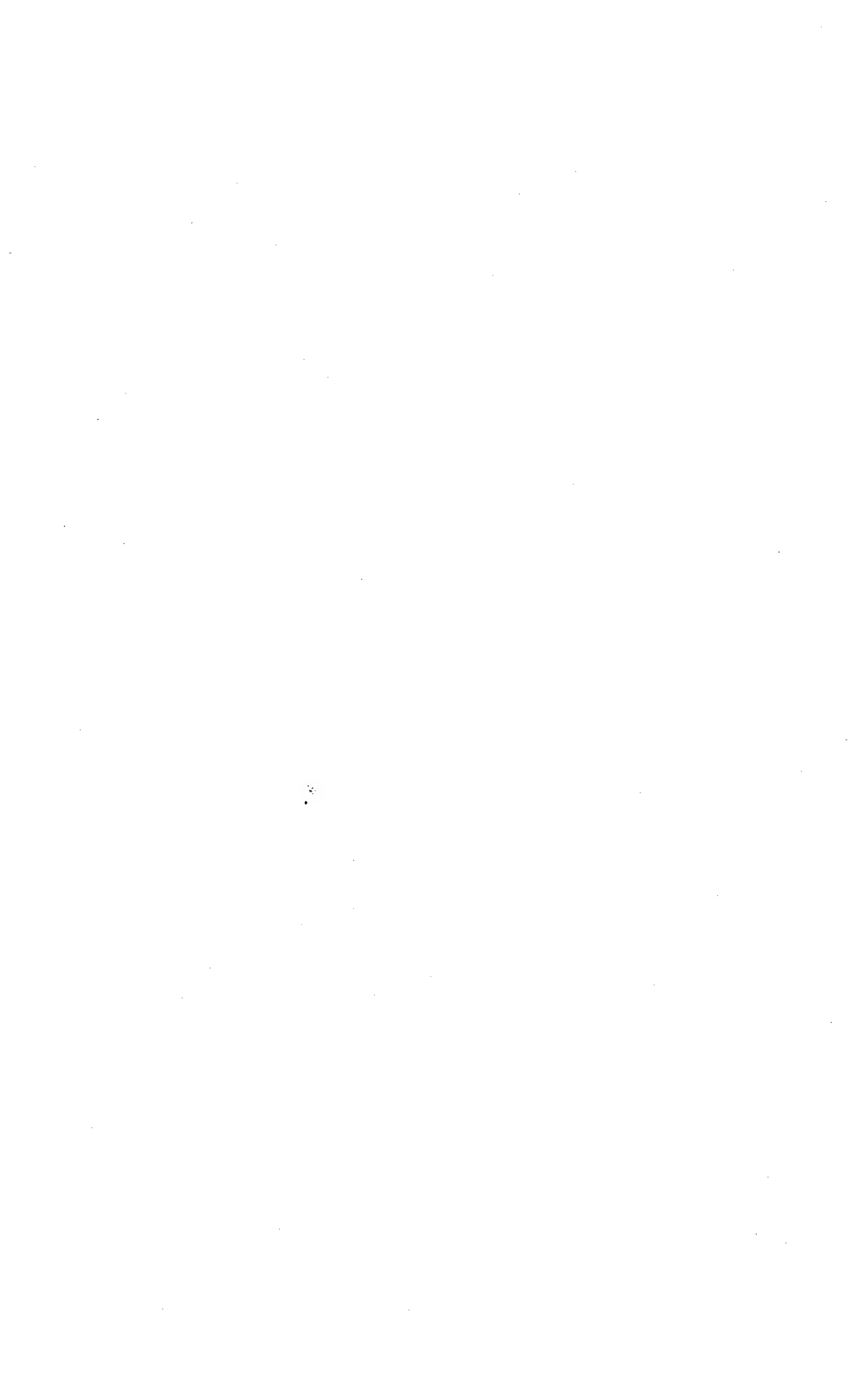
وبمناسبة ذكر السبحية وطائفة الفقهاء واتماما لاطار الصورة التاريخية نرى أن نستطرد الى ذكر طائفتين أخريين من الطوائف بجدة وهما طائفة الوكلاء .. وطائفة أهل الطرق .. والطائفة الأولى لا تزال

باقية . وتقوم بمهامها المرتبطة بالحجاج الواردين الى جُدة بحراً وبراً وجواً ، وهم وكلاء مطوفي مكة في استقبال الحجاج وأداء لوازمهم والتعرف على من يعودون اليه من طائفة المطوفين بمكة . وكانت هذه الطائفة تقوم باسكان الحجاج في المنازل ، وتتوسط لهم لدى الجهات الرسمية بما يلزمهم وعليهم ، وقد تولت رئاسة العين العزيزية مهمة انزال الحجاج أخيراً بمدينتها : البحرية والجوية بطرفي جُدة الشمالى والجنوبي ، ومدينة حجاج البحر تقع قرب الميناء البحري ، ومدينة الحجاج الجوية قرب الميناء الجوي .

أما الطائفة الأخرى .. طائفة أهل الطرق الصوفية .. فقد انقرضت بعد دخول الحكومة السعودية . وكانت لهم حلقات ذكر وكانوا مقدرين في مختلف الأوساط . وكان من هؤلاء : « العلوانية » وهم أهل الطريقة الرفاعية . ففى جُدة يعرف هؤلاء بهذا الاسم ولا يعرفون باسم الرفاعية ، بخلاف ما كان عليه الحال في مكة والمدينة . وكانت للعلوانية زاوية تقع غرب الصحية : « المستشفى العام الآن بباب شريف » .

ومن هذه الطائفة أيضاً : القادرية : مريدو الشيخ عبد القادر الجيلانى ، والمولوية ، والنقشبندية ، والشاذلية ، والسمانية ، والبدوية ، تابعو السيد أحمد البدوى المدفون بمصر ، والتجانية : تابعو السيد أحمد التجانى المدفون بالمغرب العربي . وكان من عادة هؤلاء التجانيين أن يجتمعوا في حلقة مستطيلة بعد كل صلاة عصر في مسجد الشافعي ويبسطوا بينهم خرقة بيضاء مستطيلة على دأب التجانية في كل مكان . ويزعمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، يأتى الى حلقتهم . ويجلس على هذه الخرقة أثناء تلاوتهم للصلاة والسلام عليه ..

ومن هذه الطائفة أيضاً الدندراوية، والميرغينية : أتباع الدندراوي والميرغني .



المتنزهات في جُدة

في العهود التى لم تحظ فيها هذه البلدة بماء العيون العذب الجاري ، كان من نتيجة ذلك فقدان الحدائق والمتنزهات بهـا ، أو ندرتهـا ، بحيث تكون شبه مفقودة .

لاحظ ذلك « ناصر خسرو » في منتصف القـرن الهجـري الخـامس فقال : « وليس في جُدة شجر ولا زرع »(١) .

وواضح أن السبب الوحيد لخـلوها من الشجر والزروع ، هو ندرة الماء العذب اذ ذاك .

وكان « ابن المجاور » قد لاحظه ضمنا ، فقـال ما خلاصـته : انه لعدم وجود المياه العذبة بها بنى الناس الصهاريج لخزن مياه الأمطار .

وذكره « جون لويس بوركهـارت » في كتـابه « السـفر الى بلاد العرب » ووصف أزمة الماء العذب بجُدة في عهده وصفاً دقيقاً .

ونص «عمر رضا كحالة» في كتابه (جغرافية شبه جزيرة العرب)(٢) على عدم وجود نهر أو عين بها ، لشرب السكان .

وحينما يوفق الله بعض الملوك أو المثرين لايصال ماء عين قريبة أو بعيدة ، الى جُدة ، من احدى ضواحيها أو نواحيهـا ـ نرى مبـادىء حدائق ومتنزهات من ماء تلك العين ، حتى اذا توقفت العين بسبب من الأسباب ولم تستصلح ، ذبلت تلك المتنزهات وصـوحت تلك الحـدائق وعاد افتقاد الأشجار والزروع بجُدة الى ما كان عليه قبلا ...

على أن المُتَنَزَّه العظيم في جُدة يتمثل لا محالة في منظر هذا البحر الأحمر الذى أطنب الجغرافيون والمؤرخـون في وصف جمـال منـاظره الشاعرية . وقد رأينا أمير البيان « شكيب أرسلان » يصفه بقـوله :

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٧٤ .
(٢) ص ١٦١ .

« ان مياهه تشبه في روعة منظرها قوس قزح في تعـدد الألوان وتألق الأنوار من أحمر وأزرق وبنفسجي وعنابي وبرتقالي وأخضر الخ ، وهي خطوط مستقيمة وخطوط قوس قزح مقوسة ، هذه في السماء ، وتلك في الماء وقد تشبه ذيول الطواويس لا فرق بينها ، الا في كون هذه الذيول المنسحبة على وجه البحر عظيمة جداً ، تمتد مئات من الأمتار وبعرض عشرات منها ، ولكن في تعدد الألوان وموازاة بعضها لبعض وشدة تألقها الآخذ بالابصار . لا تجد بينها بوناً فكأن في كل جهة من بحر جُدة « مسرح طواويس » سابحة في اللجج الخضر وظهورها الى سطح الماء ، الواحد منها بقدر ألف طاووس مما نعهد(١) .

واستمتاع الناس بهذه النزهة البحرية كان وما زال واقعياً متشعباً، فمنهم من يروق له أن يقضى أوقات الأصيل في الجلوس أو المشي على شاطىء من شواطىء هذا البحر يمتع بصره ، بروعة ألوانه . وسمعه ، بهدير أمواجه . ويرتاح جسمه بهوائه ونسيمه العذب المفعم بالأكسجين ـ من متاعب الحياة وكرب الحرارة .

ومنهم من يقضى بياض نهاره وسواد ليله على حافة من حافاته في خيمة أو بيت أو تحت صخرة من صخوره المجوفة التى تغسلها دواماً أمواج البحر العظيم . ومنهم من يركب الفلك الصغير أو الكبير ويزج به في عرض البحر أو خليجه ، ابتغاء متعة في صيد الحوت ، خاصة في الليالى المقمرة وفي الأصبحة والأمسيات .

وهناك الصخرات الجاثمة في (أُبحر) أجمل شواطىء البحر الأحمر الواقع قرب جُدة . ولروعتها أسماها شكيب الأموى في مقال قصصى له باسم : « صخور العشاق »(٢) .

وهنا متنزهات خلوية جميلة يمثلها « البر » البـار بأهله . وبرّه

(١) الامير شكيب ارسلان : الارتسامات اللطاف . ص ٧ و ٨ .
(٢) نشر في المنهل بالعدد الصادر في المحرم ١٣٧٦ هـ ونقلته عنها جريدة البيان العربية بنيويورك .

جُدة سوح جميل منبسط ، اذا هطلت عليه الأمطار استحال الى حديقة فيحاء غناء ، تحمل شتى ألوان النبات البري المزدهر(١) . وترى الشجيرات والأشجار عندئذ ، وقد اكتست من جديد خضرتها وتماوجت أوراقها بين أنامل النسيم ، وهذا بطبيعته مما يدعو السكان الى الاستمتاع بهذه المتنزهات الطبيعية الأخاذة في الأوقات المناسبة .

هذا وقد حدثنا أيوب صبرى باشا بأنه عندما دخلت العين الحميدية (كما سماها من باب المجاملة السياسية لمن أعاد اجراءها ، مع أن حقيقة اسمها هي العين الوزيرية) أقول : ان أيوب صبرى ، حدثنا بأنه عندما دخلت هذه العين من جديد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الى جُدة في مستهل هذا القرن الهجري، وُجِدَت بالبلدة حديقة مع بركة كبيرة تسقيها من الماء « الفائض من تلك العين » بالمستشفى العسكري . كما أنشىء منهل كبير مثمن الشكل باسم السلطان عبد الحميد الثاني ، ووضعت نافورة بوسطه ، في أطرافها صنابير للانتفاع بالماء العذب ، ونصب درابزين من الحديد حول هذه النافورة، ونقشت قصيدة باللغة التركية بأعلى اللوح الذى به « الطُغرى » السلطانية ، تخليداً لهذه المأثرة ، كما أنشئت في مقابلة دار الحكومة في محل مستشفى الغرباء القديم حديقة جميلة في وسطها بركة كبيرة تسقى الحديقة ، وقد وضع درابزين أيضاً حول البركة وبنيت بركة كبيرة بديعة الشكل في الثكنة العسكرية ، وجعلت من الطراز الحديث ، فكان الناس يتنزهون ويجتمعون هناك كل مساء(٢) .

ويبدو أنه لما توقفت العين الحميدية أو الوزيرية بعد ذلك في سنة ١٣١٠ هـ جفت البرك ويبست الحدائق ، وعاد كل شيء الى ما كان عليه قبل دخول العين المذكورة ..

---

(١) ذكرنا انواع هذا النبات في الفصل المعقود خاصة للنباتات من هذا الكتاب .
(٢) أيوب صبرى باشا : مرآة الحرمين باللغة التركية . ص ١٨٩ المجلد الثالث طبع القسطنطينية سنة ١٣٠٦ هـ .

وطبيعي أن يكون ذلك ، فان مياه الصهاريج ما كانت لتكفي لانشاء حدائق بالبلد . وظل الحال على ذلك حتى عصر انشاء المُقطَّرة : (الكنداسة) التي صارت تحيل ماء البحر الأجاج الى ماء عذب مستساغ، فان انتاجها أضأل شأناً من أن يمد جُدة بالحدائق والمتنزهات .

وحينما أدخلت العين العزيزية في سنة ١٣٦٧هـ الى جُدة كانت أكثر قوة واندفاعاً ، بالنظر لوفرة المياه في مصدرها ، ولعلو موقعه ، بالنسبة لموقع جُدة . ومن ثمة رأينا الناس وقد بدأوا يفكرون في استعمال مياه هذه العين الزائدة عن حاجة الشرب والضروريات ـ في أعمال زراعة الحدائق الخاصة وتنسيقها في القصور والدارات : « الفيلات » وذلك ليمتعوا أبصارهم بمناظر الأزاهير والأشجار ، وليستفيد بعضهم ـ وهم الاقلون ـ من زرع الخضراوات والفواكه . وهكذا بدأ تطور جديد من هذه الناحية يشمل الأحياء الجديدة المنشأة في « المرتفعات » التي كان أيوب صبري تمنى لها العمران ، لجودة هوائها وقلة رطوبتها كما يشمل غيرها من مناطق جُدة .

وساعد على ذلك أن مديرية الزراعة العامة قبل تحويلها الى وزارة زراعة ـ كانت قد أنشأت مزرعة عامة في الكيلو العاشر بطريق مكة . بما جلبته ، وبما تجلبه لها من الخارج من غرسات الفواكه وبذورها وشتلات الأزاهير وبذورها . وأمدت الراغبين في زراعة حدائق دورهم بذلك ، بثمن رمزي طوراً ، ومجاني طوراً آخر . ولم تكتف مديرية الزراعة العامة بجُدة أيام كانت بها ، ولا وزارة الزراعة ، بعد أن شكلت بل أمدت مزارعي الحدائق بمبيدات الحشرات وبالمطهرات كلما اقتضى الحال ذلك مجاناً ، وبالارشادات والتوجيهات فيما يزرعون وكيف يزرعون ، وكيف يتقون أضرار الحشرات الزراعية في مواسمها وغيرها . وباسعاف حدائقهم برشها بمبيدات الحشرات والجراثيم المضرة لها كلما وجدوا الحاجة الى هذا الصنيع بدون مقابل ..

ولقد مضى على جُدة قبل دخول العين العزيزية اليها عهد لم يكن بها سوى ثلاث شجرات أو نحو ذلك على ما يقولون ، مع ان المرجع والمشاهد وجود أكثر من ذلك .. وكان أصحاب هذه الشجرات بجُدة ، يعانون من سقياها لشح الماء العذب حتى انه ما كان يكفي لتزويد السكان كلهم بالشرب ، فيستعين بعضهم لذلك على أداء هذه المهمة الحيوية بماء الصهاريج أو الآبار .. على تلوث بعض تلك وملوحة أكثر هذه .

والآن لا بد أن «مؤرخ جُدة» سيسجل لنا أنها أصبحت (بلد الحدائق الخاصة) ففى كثير من منازلها حدائق تسقى بماء العين ، وأصبحت الأشجار الكبيرة مرتفعة القامات، شامخة التكوين فيها ، وأصبحت الأزاهير مفتحة الأكمام ، وأشجار الزينة تتدلى وتتعالى في كل مكان ، وأصبحت أشجار الفاكهة تطل بقاماتها وثمارها من وراء أسوار الحدائق الخاصة، وخاصة الحمضيات التى تجود زراعتها ويجود انتاجها أكثر في جُدة ..
وقد أغنت هذه الحدائق أصحابها بعض الشيء عن ارتياد أماكن بعيدة ، وأفادت نوعاً ما في تيسير الفاكهة والخضراوات لهم ، كما ساعدت على تلطيف الهواء بعض الشيء ، وجملت منظر المدينة فلم يعد منظرها كما كان أجرد كئيباً .

•

ونحن نكتب هذه السطور وبلدية جُدة قائمة على قدم وساق في انشاء الميادين العامة داخل الشوارع المسفلتة ، وفتح شوارع اضافية وجديدة وسفلتتها وتشجيرها واضاءتها بالكهرباء . وفي هذه الميادين ترفرف الأزاهير بألوانها الزاهية ، وترتفع قامات أشجار الظل قليلا قليلا الى السماء ، في نظام منسق ، خاصة بعد احاطة أغلب هذه الأشجار بسياج من الأسمنت الملون وبحجارة البلاط المزركش الملون في طوارى أهم الشوارع الحديثة ، وأخيراً طوقت تلك الميادين بدرابزينات الحديد ذات التقاسيم الهندسية الفنية .

وجدير بالذكر أن وزارة الزراعة كانت وما زالت تفتح أبواب مزرعتها العامة في آخر شارع مكة ـ الى شرق جُدة . للمتنزهين من رجال ونساء وأطفال مجاناً ، فترى الناس بها زرافات ووحدانا في أصيل يوم الجمعة : يوم العطلة الرسمية .

ويصاقب هذا المتنزه الشعبي العام المجاني ، متنزه آخر فتحه محمد بادكوك . ونسقه وزوده بمطعم ومقهى وبمثلجات ومرطبات ، ونصب فيه أعمدة أضواء الكهرباء الملونة المتألقة على أغصان الشجيرات والأشجار . وزينه بأشجار الظل وأشجار الزينة وشجيراتها ونباتاتها وأزاهيرها . وجعل فيه مصاطب حجرية مُلساً جميلة . وكراسي من خشب . ومناضد حجرية ملونة . وهذا المتنزه مفتوح الأبواب على مصاريعها للرواد والمتنزهين دائماً . مقابل أثمان معتدلة . لما فيه من مطعوم ومشروب . فمن شاء نزهة تنزه ، ومن شاء شُرب شاي وقهوة شرب ، ومن شاء تناول وجبة طعام ساخنة غداء أو عشاء وجد ، ومن شاء لعباً حصل أنواع لعب الكرة بين يديه .

وبالمتنزه ملاعب حديثة للأطفال ولمن يريد من الرجال ، وبوسطه عمارة . وبجانبه عمارة أخرى أشبه بفندق صغير لنزول من يشاء من الضيوف .. وقد سماها « استراحة » .

وعلى غرار متنزه « بادكوك » أقام ابراهيم الزبن وعثمان الكسيح متنزهاً آخر على شاطىء البحر الأحمر في طرف المدينة القديمة ، وفيه كل ما يلزم للقصاد . وبه حديقة وبرك ماء ودواجن وطيور وقرود للتسلية ومطعم وأنوار كهربائية ملونة . وأقيم في محل المتنزه القديم .

وقريباً منه الى الجنوب مطعم الشاطىء بأسفل عمارة سمو الأمير عبد الله الفيصل على طرف البحر . وصاحبه هو داود عبد الله كَنُو .

ضوء على الأدب القديم في جدة



في مكتبة السيد عارف حكمة بالمدينة المنورة ديوان شعر مخطوط في القرن الهجري الثالث عشر بخط جميل مكتوب العناوين باللون الأحمر .. وهو ديوان شاعر جُدة : «الجَمَال ُ محمد بن يحيى **قابل**» .

وتقع النسخة في «١٩٤» صفحة من الحجم المتوسط(١) وكُتِبَت على ورق سميك يشبه ورق الحجج الشرعية القديمة .

وفهمنا من مقدمات بعض قصائده أن ناظمه كان يعيش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وأوائل الثالث عشر .

وشعر الديوان أغلبه تقليدي .. ولا يحتوى على معان أو تعبيرات جديدة أو معان رائعة .. ولكنه يعتبر في الطليعة من انتاج عصره .. ويحتوى مدائح للرسول عليه الصلاة والسلام ، ومدائح ومراثى لبعض أمراء مكة الهاشميين ، ومديحاً للوزير يوسف قابل الذى يبدو لنا أن له صلة قرابة بالشاعر . كما يبدو لنا من ثنايا مديحياته له أن يوسف قابل كان يرعى ناظم الديوان رعاية خاصة ، ويحتضنه ويواسيه ويساعده على شؤون الحياة . وقد أخذنا من هذه القصائد أن يوسف قابل كان وزيراً في جُدة لامارة مكة ووكيلا لها في تصريف شؤون البلد ، الى جانب واليها التركي ، وانه لسبب ما ، غضب عليه أمير مكة ففصله من الوزارة ، ثم أعيد اليها بعد هنيهة ، فسر الشاعر بهذه العودة ، كفاءما حزن ، بفصله منها .. كما استنبطنا من الديوان أن يوسف قابل كان من دهاة الحجازيين وكرمائهم ، وأن له أيادى طوقت كثيراً من أعناق أهل جُدة ، وأنه كان محبوباً لديهم ، محترماً معروف المكانة ، ظاهر المزية بينهم ، وافر الكرامة .

ومن القصائد التى امتدح بها الشاعر ، قريبه الوزير سنة١١٨٤هـ، القصيدة التى مطلعها :

---

(١) قسم الدواوين رقم ١٢٤ .

نهـاية ما تهـوى القـلوب المآرب وغاية ما تبغى النفـوس الرغائب

وقد وصفه فيها بالشيمة الشماء ، وبالرأي السديد الموفق ، في الملمات ، التى تلم ببلده ، وانه الدرع الواقية والحصن الحصين ، والملجأ الأمين لمواطنيه . كما وصفه بأنه ذو تجارب رشيدة ومجد شامخ .. الى أن يقول :

وما « جُدة » الا غدت بعد عينـه رسـوماً محاها بُعدُه والمصائب

فلا تنـكروا تغييرها عند بُعدِه فجسـم بغير الروح لا شك عاطب

وهكذا يضع بين أيدينا مدى شعوره بنكبة جُدة بعزل وزيرها وحزنها على بعده .

ثم يقول في خواتم القصيدة الحزينة الصادرة من أعماقه متفائلا بقرب الفرج بعودة الوزير المحبوب الى أريكة وزارته اليتيمة باقصائه وبُعدِه عنها :

ولا بد أن تمضى خطوب دوت بنا(١) وقـد أنشبت منهن فينـا مخالب

وتشرق شمس السعد في مطلع العلا وتجذب سـيار النحوس المضارب

ويشيد لنا بالبشرى الجديدة في ختام قصيدته . وهذه البشرى تتمثل في فرحة الشاعر ، وفرحة جُدة بعودة وزيرها لتسنم منصب وزارته الخطيرة :

فـلم أر الا والمبشـر مقبـل يطـير الينـا فرحـة وهـو راكب

يبشـر والبشـرى تهلل وجهه ومن جانبيـه للسـرور مواكب

بأن « أبا الاقبال » قابـل جُدة فـكم راغم أنفـاً وكم فيـه راغب

فاقبلت الأفـراح فيـه بعـودة وأدبرت الأتـراح فهى ذواهب

تصوير حي لاستقبال جُدة لبشرى عودة وزيرها الى وزارته ،

(١) دوت هنا بتخفيف الواو ، وهو خطأ لغوي كثيراً ما وقع فيه الشعراء . والصواب دوّت بتشديد الواو .

فها هو ذا البشير يقبل راكباً وطائراً مسرعاً يزف الى الجُديين بشرى اياب الوزير اليهم ، وهو ــ أى البشير ــ متهلل الوجه فرح بما يحمل وبجوانبه مواكب تزف معه المسرة الكبرى ، وهذه جُدة تقيم معالم الفرحة والغبطة بهذه البشرى الكبيرة ، ادراكاً منها لاقبال الاقبال عليها ، وادبار الأتراح عنها .

ان هذا الديوان مع أنه من دواوين الشعر التقليدية في غالب قصائده ، فان أهميته تتمثل في كونه الديوان الشعرى الوحيد الذى عَثَرت عليه لأحد أدباء جُدة القدامى ، وقد نظمه في أغراض مختلفة لا تخرج عن أغراض معاصريه ، وسجل لنا فيه حوادث معينة ، ذات أهمية ملحوظة بالنسبة لحقبة من حقب تاريخ جُدة في العهود المجهولة أو الغامضة من تاريخها .

ويوسف قابل ممدوحه المفضل ، شخصية لامعة من الشخصيات التى أنجبتها جُدة ، فقد كان وزيراً موفقاً استوزره الشريف أحمد بن سعيد أمير مكة ليدير أمور الامارة بالنيابة عنه في هذا الثغر الهام ، وليشارك واليها التركي في ادارة دفة الشؤون على النحو الذى يرتضيه أميره ، ويتفق مع سياسته ورغباته وأهدافه .. ويتفق مع رغبات وطموح أغلب أبناء جُدة في عصره . ويبدو أن يوسف قابل نجح نجاحاً ملموساً في مهمته ، واستطاع أن يجمع حوله كثرة كاثرة من أهل بلده ، وأن يصرفهم عن الوالى بدهائه وماله وكرمه وسماحة خلقه ، وحزمه وعزمه . كما تمكن من أن يستمر مدة في هذه الوزارة الخطيرة الحساسة ، مما يدلنا على دهائه وتمكنه من التوفيق بين السياسات المتنافرة . وكان كما ذكرنا في الفصل المعقود في هذا الكتاب عن (جُدة : في مرآة التاريخ) وزيراً موفقاً ضالعاً باخلاص وحنكة مع غير سيده «الشريف أحمد» ، ولا بد أن ذلك لأمور وأسباب اقتنع بها ، ولذلك همّ الشريف أحمد بالقبض عليه ووضعه في السلاسل والأغلال، تنكيلا به ولكن

صديقه الوفي الداهية الشريف سرور بن مساعد استطاع أن ينقذه مما يُبَيَّت له ، بعد أن أمده يوسف قابل بوفير المال الذى مكنه أخيراً من قتال الشريف أحمد بن سعيد ، ثم انتزاع صولجان الامارة منه آخر الأمر عام ١١٨٥هـ(١) .

والذى يبدو أن الوزير يوسف كان يراعى مصالح سكان بلده ، ويرعى خواطرهم . وكان سياسياً محنكاً . وكان شجاعاً وبطلا وثرياً وهذه الصفات كلها مهدت له الكثير من تحقيق آماله . كما كانت في نفس الوقت سبباً مباشراً في جفوة الشريف أحمد بن سعيد أمير مكة له . وسبباً في حظوته لدى الشريف سرور بن مساعد منافس الشريف أحمد الذى اتفق مع يوسف في الطموح والدهاء والشجاعة .

ويظهر لنا من المقدمة النثرية الوجيزة لقصيدة الشاعر التى تقول بأنه نظمها في سنة ١١٨٤ هـ أن حادث فصل الوزير يوسف قابل كان من قبل الشريف أحمد بن سعيد . الذى كان يظهر له المودة والتقدير ، ويبطن له العداوة ، وأن ذلك حدث قبل تمكن الشريف سرور من انقاذه من الشبكة والهوة التي يريد القاءه فيها أحمد بن سعيد، بعام، كما يبدو لنا أن مساعى الشريف سرور هيأت ليوسف قابل العودة الى كرسى الوزارة بعد ما أُبعد عنها سنة كاملة . وكان الضغن الذى يملأ قلب أمير مكة على يوسف ألح به في أن يحاول القاء القبض عليه وزجه في غياهب السجن . ووضعه في الأغلال والسلاسل . تنكيلا به ونكاية وانتقاماً .. بيد أنه بما كان له من نفوذ وجاه ومال وكياسة تمكن من أن يفلت من هذا الحبل الذى كاد يطوق عنقه . وزاد على ذلك أن لفَّ نفس الحبل على غريمه ، وزيادة ، اذ استطاع بمعونة الشريف سرور واهتماماته أن يُقصِيَ الشريف أحمد بن سعيد عن كرسى امارة مكة دفعة واحدة . وقد حل الشريف سرور محله بعد معارك ، وهكذا صدق

(١) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام . ص٢٠٦ و ٢٠٧ .

المثل العربي الذى يقول : « اذا كان عدوك نملة ، فلا تنم له » .

فالقصيدة « القابلية » اذن تضع بين أيدينا جزءاً مهماً من تاريخ جدة في صراعها السياسي المحلي في تلك الحقبة . وبمقارنة ما أفادتنا به القصيدة المذكورة ، مع ما ذكره المؤرخون ، تتضح لنا دقة الشعر بعض الأحيان ، في تسجيل بعض الحوادث المهمة .

ويظهر أن الشاعر لم يعبر عن فرحته وحده بعودة وزارة يوسف قابل ، بل انه كان يعبر في ذلك عن غبطة أكثر أهل بلده الذين يرون في مواطنهم ووزيرهم سنداً لهم ورداً في الملمات ، وعوناً في المهمات ، فلا بد اذن أن يوسف قابل كان وزيراً ، يجمع بين خلال الحزم والشهامة ، والنبل والكرم والسياسة الحصيفة المبنية على أساس من العقل الراجح ، والذكاء اللماح ، وحسن تقدير عواقب الأمور قبل نزولها ، بحكم وجود سجل تجارب ضخم ، حافل لديه ، وهذه هي صفات الحاكم الذى يضمن لنفسه النجاح والولاء والوفاء ، خاصة في عصور الفوضى والاضطراب والاستبداد والجهل ، كالعصر الذى عاش فيه يوسف قابل ، وخاصة في بلد يعتمد في حياته على التجارة ، وتأمين سبل ورودها ، وتأمين وسائل ترويجها وتصديرها .

• • •

وفي قصيدة أخرى يحدثنا الشاعر « محمد بن يحيى قابل » عن حادثة أخرى وقعت له في جدة ، وكان لها صلة بمجرى السياسة العامة، فقد كان .موظفاً حكومياً بسنة ١٢٠٠هـ في جدة ، وكان يعمل بمعية ريحان أغا وزير جدة الشريفي اذ ذاك ، وكان الشاعر يشغل وظيفة « عمدة ووزير لهذا الوزير » وكان الشريف سرور قد تولى امارة مكة قبل ذلك الوقت ، كما قدمناه آنفاً ، وذلك بعد عزل الشريف أحمد بن سعيد .

ويحدثنا الشاعر عن نفسه فيقول : « انه كان مباشراً لجميع أموال الوزير ، ضابطاً لأقواله ، وبلغت وفاته الشريف سرورا فأمر بحجب « أى بحبس » الشاعر عند أحد عماله ، وكان الحجب ليلة عيد الفطر ورؤية هلاله ، فمكث الشاعر ثمانية أيام أو تسعة محجوباً عن أهليه وعياله ، ممنوعاً من ترتيب أحواله » .

ثم أمر الشريفُ الحاجِبَ أن يرسله اليه ، فوصل مكةَ في أوائل شوال فأنزله عنده وأجزل عليه رفده ومكارمه ، ولم يزل الشاعر يتقلب فيها الى شهر رجب سنة ١٢٠١ هـ ومن ثم أمر باطلاق سراحه . وفي أثناء تلك المدة توفي أخوه الشقيق بجُدة «ابراهيم قابل» وكان الشريفُ سرور أمر الشاعر ، بأن يصحبه في زيارته للمدينة المنورة ، وعاد معه الى مكة المكرمة في أوائل ذي الحجة من العام ذاته .. وحينما توفي الشريف سرور بعدها بعام في سنة ١٢٠٢ هـ نظم الشاعر قصيدة مسهبة يرثيه فيها ، ويسرد الحوادث التى مرت عليه معه بجُدة ، ومطلع القصيدة هو :

سيادتك العظمى العميم سرورها	على الفلك الأعلى وأنت اثيرها
ورتبتك القعساء عز منارها	على منكب الجوزاء قر سريرها

ولا يخلو البيت الأول من اغراق في المبالغة المجوجة ، ولعل الباعث عليها عظم مكانة المرثى في نفس الشاعر الراثي له ..

وهكذا نرى الشاعر محمد قابل في عدة قصائد من ديوانه شاعراً « واقعياً » يعنى بتسجيل حوادث بلده السياسية والاجتماعية . وهذه مزية قل أن تتوافر لشعراء ذلك الجيل بالذات . وهي تدل على تفتح وعي ، وشفوف ذهن ،ولماحية شاعرية ، واحساس مرهف بأحداث السياسة المعاصرة التى يدور في أفلاكها ويتأثر بتقلباتها المطردة ايجاباً وسلباً .

وقد نظم ـ شاعر جُدة في عصره : « محمد بن يحيى قابل » ـ في فنون الشعر التقليدية فتغزل ووصف ونظم في الأخوانيات وهجا ، كما نظم في « الحُمينِي » وهو الشعر العامي الحجازي ، الذى يماثل تقريباً زميله في « نجد » المعروف باسم « النَّبَطي » .

ومن الظواهر الملموسة في تضاعيف شعره أنه كان متفانياً في محبة بلدته لا يكاد يسلوها اذا كان غائباً عنها ، ويجلو لنا جمالها في نفسه بقصائده اذا كان حاضراً فيها . وقد رأيناه يرسل القصائد المسهبة المعبرة المفعمة بالوجد والحنين الى أهله وأصدقائه وزملائه وأخوانه بمدينة جُدة عامة ، وخاصة في أيام محنته مع الشريف سرور في مكة والمدينة . لا يكاد يجف له مداد قصيدة من هذا النوع الا وأتبعها بأخرى أكثر منها حنيناً وشوقاً وأعظم حرارة وألماً وامتعاضاً ..

ومن ألمع هذه القصائد الجياشة بالعواطف المكبوتة قصيدته «الميمية» التى مطلعها :

سقا جُدة الفيحاء صوب غمام ... بأنواء مزن بالغيوث هوامى

بلاد قرارى موطنى سكنى الذى ... به نشأتى من حين قام قوامى

بلاد بها أهلى وحيي وجيرتى ... وأهل ودادي الحافظين ذمامى

وما صدنى عنها سوى أن دعا بها ... دعى رمى بالأفك كل همام

فمن هو يا ترى هذا «الدَّعِيُّ» الأفاك الذى اصطاد في الماء العكر وتمكن من اقصاء شاعرنا عن بلده الحبيب بافكه وتزويره ووشايته ، شأنه مع كل همام نظيف الطوية واللسان ؟

الظاهر أنه يعنى شخصاً معيناً . ولكنه لم يسمه لنا ازدراء واحتقاراً له أو حذراً من مغبة التصريح باسمه ..

وجدير بالملاحظة هنا أن وصفه جُدة بأنها « فيحاء » واسعة

الأرجاء هو مطابق للواقع الذى كان زميله الشاعر الحجازي الجاهلي القديم : « العجلاني » وصف به جُدة حيث قال في قصيدته المسهبة :

فَالقَفَيَّانِ من حَذَارِقَ فَالفَرْ شَ فَهَا تِلْكَ « جُدة » القوراء(١)

والقوراء في اللغة بمعنى الواسعة ..

ooooo

هذا وان أقدم مقطوعة في الديوان على ما ورد فيه كانت تلك التى نظمها الشاعر في سنة ١١٦١هـ مؤرخاً بهـا تأليف «مقامات» للسـيد أبى بكر ابن السيد محسن باعبود . واخال أنه من أدباء جُدة الذين لم يصلنا الى الآن من أدبهم سوى هذه الاشادة بهذه المقامات التى قرظها الشاعر محمد بن يحيى قابل في ديوانه . كمـا لم يصلنا عن الشـاعر الجاهلي « ابن خذام » الذى هو أقدم عهداً من أمير الشعراء الجاهليين « امرىء القيس » سوى قول امرىء القيس في قصيدة له :

عوجا عـلى الطـلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

ويروى ابن حذام وابن حمام وقال فيه محمد بن سـلام الجمحي : « وهو رجل من طيء لم نسمع شعره الذى بكى فيه ولا شعراً غير هـذا البيت الذى ذكره امرىء القيس »(٢) .

■ ✶ ■

وهناك وزير أديب آخر هو محمد سعيد بن سليم . وهو من سـكان جُدة لا محالة . وكان وزيراً لشريف مـكة على جُدة . وكان يقـرض الشعر . وقد بعث الشاعر محمد بن يحيى قابل . بمقطوعة . الى زميله الشاعر هذا :

---

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص٢١٨ مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٩ هـ .
(٢) طبقات فحول الشعراء . السفر الأول لابن سلام الجمحي ص٣٩ تحقيق محمـود محمـد شـاكر ط. مطبعة المدني بالقاهرة .

كلامك عندنا أعلى اشاره ونظمك عندنا أحلى بشاره

وقد أعطانا « محمد بن يحيى قابل » . الاسم الكامل لهذا الوزير الشاعر فقال : ان اسمه الكامل هو : «محمد بن سليم الكناني المكي» .. وهو الذى أفادنا بأنه كان أحد وزراء أمراء مكة على جُدة ..

■ ★ ■

وبعد فقد أطلنا الحديث عن « شاعر جُدة » الذى عثرنا له على ديوان شعر مخطوط كامل في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة .

وأعتقد أن هناك شعراء وأدباء جُديين آخرين غيره وغير محمد سعيد بن سليم ، ولهم دواوينهم وأشعارهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم الأدبية المخطوطة التى لا تزال رهن الاختفاء في المكتبات الخاصة أو العامة أو غيرها في أنحاء العالم ، ولم تخرج بعد الى عالم النور : عالم الطبع والنشر . وعسى أن يوجد من ينقب عنها في تلك المكتبات فيخرج لنا كنوزاً ثمينة مجهولة ، تربط حلقات أدب هذا البلد، بل أدب الحجاز ماضيه بحاضره .

هذا وقد بعث لنا عمر نصيف برسالة خاصة لا تزال لدينا بخطه الجميل وبها أسماء بعض أدباء جُدة قبيل هذا العصر الذى نعيش فيه اليوم . وتاريخ رسالته هو أواخر شعبان ١٣٨١هـ وهذا نصها :

«أدباء جُدة القدامى هم : الشيخ محمد جوهر ، والشيخ علي جوهر . والشيخ أحمد مشاط ، وابنه محمد ، والشيخ عمر باجنيد « الكاتب » . والشيخ محمود راجخان » ونضيف اليهم : سالم رويحي والد أمين رويحي .

ooooo

○ عود الى محمد جوهر ○

ان محمد جوهر الذى ورد اسمه في مستهل رسالة عمر بن محمد حسين نصيف رحمهما الله هو « محمد بن ابراهيم جوهر » وهو شاعر من جُدة مجيد قوي الديباجة متمكن من ناصية العربية ، متضلع فيها وقد أورد سليم الشدياق اسم أبيه ابراهيم ونسبه الى جُدة ، ووصفه بأنه : « من عنت له المعالى والمعاني » وبأنه « من أفاضل جُدة » ونشر له قصيدته العصماء في مدح والده « أحمد فارس الشدياق » كما أشاد بكتابيه « سر الليالى » و « كنز الرغائب » وبجريدته « الجوائب » . وقد نشر سليم في « كنز الرغائب » تلك القصيدة بتمامها ، معجباً بفصاحتها وبلاغتها وقوة أسلوبها وجمالها . وقد سبق أن أوردنا كل ذلك في هذا المجلد الأول . من كتاب «تاريخ مدينة جُدة» بفصل : «التعليم في مدينة جُدة ماضياً وحاضراً » (ص١٨٦ و١٨٧ و١٨٨) .

ويلاحظ أن عمر نصيف لم يعطنا تراجم الأدباء الذين ذكر لنا أسماءهم وأوردناها آنفاً . . وعسى أن يكون هناك من فعل أو يفعل ذلك قريباً ان شاء الله .



الأدباء المعاصرون في جُدة



رجعنا في هذا البحث الى كتاب « أدب الحجاز » لمحمد سرور الصبان. للتعرف على أُدباء جُدة المعاصرين ، كما رجعنا الى كتاب « وحي الصحراء » لمحمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بلخير ، والى « نفثات من أقلام الشباب » لهاشم يوسف الزواوي ، وعلي فدعق ، وعبد السلام الساسي ، والى كتاب «الشعراء الثلاثة» لعبد السلام الساسي والى بعض المترجم لهم من أدباء جُدة ، المعاصرين .. عن حيواتهم .

محمد حسن عواد :

وُلِدَ في جُدة سنة ١٣٢٠ هـ وتعلم بمدرسة الفلاح بجُدة وتخرج منها ودرّس فيها . وله كثير من الشعر ومن النثر ، وله دواوين شعرية، وكتب مطبوعة . وكتب كثيراً في الصحف المحلية وبعض الصحف الخارجية ، وتحدث وحاضر في الاذاعة السعودية وفي المرناء «التلفزيون» بعد احداثه بالمملكة العربية السعودية ، ورأس تحرير صوت الحجاز فترة وجيزة من الزمن ، وتقلب في عدة وظائف حكومية آخرها عضوية مجلس الشورى ، وشغل مديرية مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر فترة وجيزة من الزمن(١) .

حمزة شحاتة :

وُلِدَ بمكة حوالى عام ١٣٢٥ هـ ونزح منها الى جُدة صغيراً ، وتعلم بمدرسة الفلاح بجُدة ، وتخرج منها ، ودخل الوظائف الحكومية . وأخيراً عين رئيساً لنقابة السيارات العامة ، ثم ترك عالم الوظائف . وله شعر ونثر كثير ، نشر بعضه في الصحف المحلية والكتب ، وبعضه لا يزال مطوياً ، ولعله أكثره .. وكان مقيماً في القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ(٢) .

عبد الوهاب النشار :

وُلِدَ في جُدة سنة ١٣٢٠ هـ وتلقى معارفه بها وله قليل من

---

(١) بعد أن رأس نادي جدة الادبي مدة من الزمن توفي بجدة يوم الجمعة ٣ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠هـ.
(٢) توفي بعد ذلك في القاهرة ونقل جثمانه الى مكة المكرمة ودفن بالمعلى .

الشعر وله كذلك نثر ، ونشر بعض نثره وشعره . وقد توفي بجدة

أحمد قنديل :

وُلِدَ في سنة ١٣٢٩ هـ بجدة ، ودرس بمدرسة الفلاح ، ورأس تحرير جريدة صوت الحجاز . وكان قد عين أستاذاً عقب تخرجه من المدرسة ، وتقلب في كثير من الوظائف الحكومية وآخر وظيفة له : « مدير الحج العام » وأُحيل على التقاعد ، وله شعر ونثر كثير . وألف بعض الكتب ، ونظم في الشعر الفكاهي الممزوجة فيه اللغة العامية بالعربية الفصحى . ونشر كثيراً منه في جريدة « صوت الحجاز » وغيرها . وله دواوين شعر مطبوعة .

محمود عارف :

وُلِدَ في جدة عام ١٣٢٧ هـ ودرس بمدرسة الفلاح فيها ، وعين مدرساً ، ثم انتقل الى الوظائف الحكومية في الأوقاف بجدة ثم الكنداسة ثم مكتب الأشغال والمعادن ، ثم هيئة البلدية ثم عضوية مجلس الشورى . وهو شاعر ناثر وله دواوين مطبوعة .

محمد علي باحيدرة :

وُلِد بجدة حوالى عام ١٣٢٥ هـ وتعلم بمدرسة الفلاح فيها وتخرج منها ، وصار أستاذاً بها ، ودخل الوظائف الحكومية وآخرها معاونية قاضي الأمور المستعجلة ، وله شعر ونثر .

محمد علي مغربي :

وُلِد بجدة سنة ١٣٣٣هـ ودرس في مدرسة الفلاح بجدة ، وعيّن رئيساً لتحرير جريدة صوت الحجاز . ثم عكف على مزاولة التجارة ، وله مقالات وقصائد كثيرة منشورة في الصحف المحلية ، وله قصة مطولة مطبوعة .

حسين بن محمد نصيف :

وُلِدَ بجُدة سنة ١٣٢١ هـ وتوفي بمصر سنة ١٣٧٩ هـ . وتخرج من المدرسة الهاشمية بجُدة ، وعُيِّنَ رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف بها . ثم ترك حقل الوظائف الحكومية ، ورأس الشركة التجارية العربية في جُدة . وله كتاب في تاريخ الحجاز مطبوع يعتبر مرجعاً عن تاريخ الحجاز في عهد الحكومة الهاشمية واسمه : «ماضي الحجاز وحاضره» .

محمد سعيد عتيبي :

شاعر فكاهة ، وُلِدَ بجُدة حوالى سنة ١٣٢٨ هـ وله قصيدة فكاهية ناقدة نظمها عما كان يعانيه الناس في جُدة من المُقَطّرَة : « الكنداسة » . نشرت في الملحق الخاص بماء العين العزيزية بمجلة الحج الصادرة في المحرم ١٣٦٧ هـ .

عباس حلواني :

وُلِدَ بجُدة سنة ١٣٢٥ هـ وتعلم في مدرسة الفلاح بها ، وعُيِّنَ أستاذاً بها مدة خمس سنوات بعد تخرجه منها . ثم صار مأموراً لكوشان(١) السيارات أربع سنوات ، فأميناً لصندوق نقابة السيارات ، فمحاسبا لها ، ثم مديراً لفرع شركة السيارات بجُدة ، ثم مديراً لنقابة السيارات من عام ١٣٧٢هـ حتى عام ١٣٨٢هـ ، وقد نشر عدة مقالات في صحيفة صوت الحجاز وله محاولات في قرض الشعر ..

محمد أمين يحيى :

وُلِدَ بجُدة سنة ١٣٤٢ هـ وتخرج من مدرسة الفلاح بها . وشغل

---

(١) الكوشان كلمة غير عربية .. استعملها الناس في الحجاز ، بمعنى : ورقة « الرسوم التي تستوفي من الناس من قبل الحكومة مقابل خدمة أو عمل أو سماح بالتحرك من جهة من البلاد السعودية أو من غيرها الى غيرها وكانت ادارة الكوشان تتبع وزارة المالية .. وقد ألغي هذا الرسم من قبل، بامر سام كريم .

عدة وظائف حكومية .. وآخرها وظيفة ممثل مالى .. واشتغل بالأدب والصحافة ومارس كتابة القصة القصيرة في أول مَن مارس ، ذلك من أدباء جُدة المعاصرين ..

محمد سعيد العوضى :.

وُلِدَ ابّان الحرب الهاشمية ــ السعودية سنة ١٣٤٣هـ بالسودان، وذلك عندما جلا معظم أهالى جُدة عنها .. وهو الشقيق الأصفر لمحمد العوضى . ويشتغل بالمحاماة وبالأعمال التجارية . وله مؤلف مطبوع ومقالات في الصحف المحلية . وقد حاز مؤهل «الدكتورية» .

عبد الحميد مشخص :

وُلِدَ بجُدة سنة ١٣٣٤ هـ وتخرج من مدرسة الفلاح بها عام ١٣٥٢ هـ وتقلب في عدة وظائف حكومية آخرها بوزارة الزراعة . ورأس تحرير مجلة الزراعة الدورية التى أُلغيت . وله بحوث ونثر وشعر .

أحمد عمر عباس :

وُلِدَ في جُدة حول عام ١٣٣٨ هـ وله نثر في الصحف ومارس الأعمال التجارية .

أمين سالم رويحي :

أديب قصاص وُلِدَ بجُدة سنة ١٣٤٥هـ وصار في سنة ١٣٨٢ هـ مدير مدرسة التدريب الفني التابعة لوزارة الدفاع والطيران . وله قصص قصيرة قيمة ... وقد توفي رحمه الله .

عبد المجيد شبكشي :

وُلِدَ سنة ١٣٣٩هـ في جُدة ودرس في مدرسة الفلاح وتخرج منها بين سنة ١٣٥٥ هـ و ١٣٥٦ هـ وبدأ حياته في عالم الوظائف في الأمن

العـــام وتدرج حتى صار مدير شرطة جُدة . وفي هذه الأثنـاء نقل مديراً للحج في جُدة ، فمديراً عاماً مساعـداً لشـؤون الحـج .. وله نشاط أدبي معروف(١) .

محمد سعيد باعشن :

وُلِدَ عام ١٣٥٣ هـ . ودرس في الفـلاح بجُدة وتخرج منها عام ١٣٧٦ هـ وأنشأ جريدة « الأضواء » بمشاركة عبد الفتاح أبو مدين ..

وانتقل الى سكرتارية استثمار رؤوس الأموال الأجنبية لمدة عامين. ثم مستشاراً بوزارة الداخلية وله نشاط أدبي كانت قمته اصـداره لمجلة « الأضواء » الأدبية هو وزميله ..

عبد الفتاح أبو مدين :

وُلِدَ في مدينة بنغازي عام ١٣٤٤ هـ على البحر الأبيض المتوسط، وتلقى تعليمه في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ، وعمـل في جمـرك جُدة مدة سبع عشرة سنة ، وشارك في اصدار جريدة الأضـواء بجُدة التى بدأت في عام ١٣٧٧ هـ مع الأستاذ محمد سعيد باعشن ، وأصدر في عام ١٣٧٩ هـ صـحيفة الـرائد بجُـدة التى اسـتمرت حتى شـهر ذي القعدة ١٣٨٣ هـ حيث تحولت الصحف الى مؤسسات ، ويعمل الآن مديراً عام لادارة مؤسسة البلاد للصحافة والنشر ، وينشر ما يكتب في مجلة اقرأ ، التى تصدر بجُدة .

---

(١) عندما أصبحت الصحافة . صحافة المؤسسات سنة ١٣٨٢هـ اختير من قبل مؤسسة جريدة البلاد التى كان اسمها الأول جريدة صوت الحجاز وقد أعقبتها في الصدور جريدة البلاد السعودية فجريدة البلاد الحاليـة ـ اختير رئيساً لتحرير هذه الجريدة ولا يزال رئيساً لتحريرها حتى الآن سنة ١٤٠٠ هـ .



الأحياء البرية في جدة



يشتمل هذا الفصل على كثير من « الأحياء البرية » ما بين مقيمة ومهاجرة :

١ ـ (الثدييات) :

غـزال آدم : كان يوجد بكثرة بالقرب من ضواحي جُدة ، غير أن الصيادين قضوا عليه في السهل ، ولا يوجد الآن الا في الجبال ، ويوجد في الجزء الحادى عشر من مجلة « المنهل » بحث عن أنواع الغزال بالمملكة العربية السعودية عامةويربى الغزال في الحدائق الخاصة بجُدة .

وكان يوجد في ضواحي جُدة غزال عفرى والآن يوجد هذا الغزال على بعد يتراوح بين «٢٠٠» و «٣٠٠» كيلومتر جنوباً وشمالا عن جُدة(١) .

أرنب جبلى : يوجد بقلة الآن بالقرب من المدينة حيث طارده الصيادون وفي الامكان مشاهدته قرب الجبال(٢) .

ضبع مخطط «عسبار» : يوجد في الشعاب ويأكل البطيخ والشمام العثرى ، وقلما يهاجم البدو ويعتدى على مواشيهم الصغيرة .

ضبع أشهب أو أغبر : يوجد في الجبال ، وينزل الى السهل ، ويهاجم حظائر مواشي البدو ويفترسها .

ثعلب : يوجد في السهل ، وكثيراً ما يشاهد ليلا ، ويهاجم البدو ويأكل دواجنهم .

ذئب : يختلف عن الذئب المعروف في نجد ويشبه الذئب المصري كل الشبه ، ويهاجم البدو ويفترس مواشيهم .

---

(١) المؤلف : في أصيل يوم ١٢ جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ عثرت على ساحل أبحر في محاذاة مركز خفر السواحل الى الشمال بنحو كيلومتر ، ونصف الكيلو ، على بعر « وعل » جبلي ، مما يدل على وجوده حول هـذه المنطقة من ناحية الجبال .

(٢) المؤلف : رأيته مرة قرب الجبال التي تقع شمال جدة ، بناحية أبحر ، قرب طريق جدة ـ مكة التي تقع بشرقي الكراع .

فهد : كان آخر مرة شوهد فيها بجهة «شعيب أم حبلين» قرب الحرة بشمال مدينة جُدة وقد سبق أن اصطيد واحد منه في تلك الجهة سنة ١٣٧٤ هـ .

يربوع : يوجد في السهل ، ويشاهد ليلا على ضوء السيارة .

القط البري : شوهد بعضه في جهة الحرة بشمال جُدة الشرقي وهو يهاجم البادية ويفترس دواجنهم .

فأر بيتي : يوجد في المنازل ، والمتاجر القديمة وتسعى وزارة الزراعة الى استئصاله .

فأر الحقل : يشاهد في الجهات الزراعية ، وتسعى وزارة الزراعة في القضاء عليه .

الفأر الزنكي : يوجد في الدور والمتاجر القديمة ، ويختلف عن الفأر البيتي ، وله صوت منكر .

الظربان : يوجد في الجهات الجبلية . يأكل صغار الثدييات ، ويهاجم البدو في السهل ، ويفترس دواجنهم

الوبر : يوجد في الجبال العالية ، شرق جُدة ، ويسكن أعلى الصخور .

القنفذ : يوجد في السهل ويشاهد ليلا .

٢ ـ (الطيور) :

النَّورَس : ويسمى العجام ، يشاهد دواماً على الساحل وهو من الطيور المقيمة .

خطاف البحر : يشاهد وهو يحوم على البحر ، ويغطس ليخطف الأسماك السطحية الصغيرة ، وهو من الطيور المقيمة .

البلشون الأبيض : وهو من الطيور البحـرية ويشـاهد دواماً على ساحل البحر يصطاد الأسماك الصغيرة وهو من الطيور المقيمة .

البلشون الرمادي : يشبه الأول كل الشبه ، غير أن لونه رمادي وهو من الطيور المقيمة .

عصفور بيتى : هو العصفور المعـروف في البيوت والمزارع ، وله أضرار بالزراعة ، وهو طائر مقيم .

يمام : يشبه القُمرِيّ ، ويتميز عنه بذيله الطويل ، وهو طائر مقيم يشاهد بالبساتين .

قُمريّ : يفد القمرى المهاجر في رحلتين كل عام في شـهري ابريل وسبتمبر ويصطاده الصيادون بالبنادق كما يصطاده البدو بالشباك .

حمام جبلي : يشبه حمام الحرم كل الشـبه ، وهـو من فصيلتـه ، ويشاهد بِقِلّة ، خارج جُدة حيث يطارده الصيادون وهو طائر مقيم.

قَطَا : يشاهد على مناقع المياه والمساقي في الصـباح والمسـاء ، وبالأخص في الصيف ، وهو طائر مقيم .

خفاش : وهو حيوان طائر ليلياً ويشاهد بعد غروب الشمس وهو يحوم هنا وهنالك ..

كروان : من الطيور الليلية وقلما يشاهد نهاراً ، وهو طائر مقيم.

دَرّاج : يشاهد في السهل في مجموعات تتراوح بين ٤ و ٦ ، وهو طائر مقيم .

حَجَل : يوجد في الجهات القريبة من الجبال ، ويشاهد بمجموعات تتراوح بين ٣ و ٤ ، وهو طائر مقيم .

مُكّاء : يعرف عند البدو بأم سالم . ويشاهد في السهل ، وله تغريد

جميل ، في أيام الربيع خاصة ، وهو طائر مقيم(١) .

قطقاط : يشاهد في السواحل بمجموعات تتراوح بين ١٠ و ١٥ وهو طائر مقيم .

الرهو : طائر مهاجر تفد أسرابه الكبيرة في سبتمبر . وتعود في مارس من كل عام .

بَط : طائر مهاجر تشاهد أفراده بالشواطيء في شهر سبتمبر سنويا .

بجع : طائر مقيم يوجد في سواحل البحر الأحمر ، وكثيراً ما يشاهد جنوب جدة .

بشاروش : ويعرف بالنحم ، وهو من أكبر الطيور البحرية هنا ، ويشاهد في السواحل بالشمال والجنوب .

أبو مغازل : طائر مهاجر يشاهد في السواحل ، بِقِلَّة ، في شهر سبتمبر .

أبو اليسر : طائر مهاجر تشاهد أسرابه في شهر سبتمبر . ويعود في شهر مارس من كل عام .

حَبَارى صغيرة : طائر مهاجر يشاهد في الأودية بالجنوب والشمال، في شهر مارس .

لقلق : طائر مهاجر يشاهد خارج جدة في الجنوب ، على الأخص في شهر مارس .

خاضور : طائر مهاجر يشاهد في الحدائق في شهر ابريل .

وقواق : طائر مهاجر يشاهد ، بقلة ، في شهر مارس .

---

(١) المؤلف : ورد المكاء في قصيدة الشنفري . قال عن نفسه في لامية العرب المشهورة :

ولا خرق هيق كان فؤاده   يظل به المكاء يعلو ويسفل

واذن فالمكاء يعرفه العرب قديما . وهو من طيور بلادهم منذ الجاهلية حتى الآن .

هدهد : طائر مهاجر يشاهـد في ضـواحي جُدة ، وبساتينها ، في شهري ابريل وسبتمبر .

وروار : ويسمى طُويَرَ المطر ، طائر مهاجر يشاهد في سماء جُدة وحول المزارع في شهر سبتمبر .

غراب : طائر مقيم يشاهد خارج جُدة أو مَارّاً في سمائها .

حِدَأَة : طائر مقيم يشاهد خارج جُدة أو في سمائها .

بومة كَبيرة : طائر مقيم وتشاهد خارج جُدة .

رخم أبيض : طائر مقيم ، يشاهد دائمـاً في المجـزرة أو في خارج جُدة .

رخم أسود : طائر مقيم ، يشاهـد دائماً في المجـزرة أو في خارج جُدة .

عصفور التوت : يسمى بالصفار ، وهو طائر مهاجر ، ويشاهد في ابريل من كل عام .

قنبرة سوداء(١) : طائر مقيم تشاهد أفراده خارج جُدة .

قنبرةُ مقَرَّنَة : طائر مقيم ، يشاهد ، بقلة ، خارج جُدة .

أبو فصادة : ويسمى قوقص ، طائر مهاجر ، ويشاهد في شهر مارس من كل عام .

صقر حر : طائر مهاجر ، يشـاهد خارج جُدة في شـهر سبتمبر . ويظل حتى مارس ، ويصطاده هـواة الصيد بالشـباك ويدربونه على الصيد .

---

(١) جاء في الشعر العربي :

يا لك من قنـــبرة بمعمـــــر خلا لك الجـــو فبيضي واصـــفري
ونقـــري ما شئت ان تنقـــري

ومن هذا يفهم أن القنبرة طائر قديم الوجود في بلاد العرب .

صقر الجراد : طائر مهاجر ، يشاهد خارج جُدة في شهر ابريل .

سُمَّان : «بضم السين بعدها ميم مشددة مفتوحة» طائر مهاجر ، يؤم المزارع في شهر مارس .

مرع : طائر مهاجر ، يشاهد بقلة في الحدائق في شهر ابريل .

شول : طائر مقيم ، يشاهد بمجموعات تتراوح بين ٨و١٠ فيالأودية الكثيرة النبات .

غرنوق : طائر مهاجر ، يشاهد في يناير يؤم البساتين .

واق : طائر مهاجر يشاهد في شـهر سبتمبر ، ويعـود في ابريل من كل عام .

نسر : طائر مقيم ، يفد على السهل من الجبال ، وكثيراً ما يشـاهد حول الجيف .

زقزاق : طائر مهاجر ، يشاهد ، بقلة ، في شهر ابريل حول الساحل .

٣ ـ (الزواحف) :

حية مُقَرَّنَة : تشاهد خارج جُدة وهي سامة وخطرة .

الدفان : يشاهد في الجهات الرملية ، خارج جُدة ، وهو غير سام .

أبو السيور : ثعبان سام ، يوجد في المزارع وفي السهل ، وهو يقتات بالسحالى وغيرها .

أرقم بيتى : ثعبان ، يوجـد في الدور الخربة ، وهو غـير سـام ، ويقتات بصغار الفئران والطيور الصغيرة .

أم حُبَين(١) : تشاهد في السهل فوق الصخور ، وتتلون غالبـا بلون ما تستقر عليه أيا كان .

(١) دويبة تشبه سام ابرص .

وزغ : يشاهد في الدور، وهو غير سام كما يظن، ويقتات بالفراش والصراصير .

أم صالح : تشاهد في الدور القديمة ، وهي غير سامة .

أم أربعة وأربعين : تشاهد في الدور القديمة والحدائق ، وهي سامة بقلة .

ثعبان أبو عيون : يوجد في السهل ، وله بعض صفة ثعبان الكوبرا . اذ ينشر صفائحه عندما يهاجم فريسته أو يثأر ، وهو غير سام .

كوبرا : ويسمى «الناشر» . يشاهد بقلة في المملكة السعودية . وقد شوهد في شمال المملكة كما وجد واحد منه في سهل مطار جُدة ، وليس به من صفات الناشر المصري أى شيء .

ورل : ويسمى « ورن » يشاهد في السهل ، وهو سريع الحركة ويقتات بالزواحف .

٤ ـ (العنكبوتية) :

اللادغ : نوع من العناكب البرية ، ويقال أنه سام وبالأخص النوع الأسود منه . ويكثر في السهل عقب الأمطار .

العقرب : توجد بنوعيها : الأصفر في الدور القديمة ، والأسود في الصحراء ، والأخيرة أكبر حجماً من الأولى .

هذه هي أغلب الأحيـاء المعروفة حول جُدة وبالقرب منها . وقد بلغت أنواعها حسب فصائلها ما يلي :

ندييات « ١٥ » . وطيور « ٤٥ » . وزواحف « ١١ » . وعنكبوتية « ٢ » . ويكون المجموع (٧٣) نوعاً منفرداً[١] .

(١) عن حمد محمد العبيدى المهندس الزراعي بوزارة الزراعة رحمه الله .

هذا ونضيف الى ما سبق أن أورده حمد محمد العبيدى من أصناف حيوان جُدة وحشراتها ما يأتي :

١ ـ الفَـرَاش ، وهو أنواع منوعة .

٢ ـ النمل : وهو نوعان : النوع الأول صغير أحمر اللون ، وهو أكثر النمل الموجود في جُدة . والنوع الثاني أكبر منه يشبه نوعاً ما هيئة الجمل ، وهذا أقل من الأول ، ورأيت النمل الأحمر يحفر الاوجار وينشىء القرى ويرتادها ويأتى لهـا بالمؤونة . ويتتبـع النمل الأماكن الرطبة الموجود فيها الماء بكثرة واستمرار .

٣ ـ بنات وردان أو الصراصير : توجد بكثرة في البيوت المستعملة وبها الماء في البالوعات ومجارى الماء . وتسمى في جُدة : «الصراصير»(١)

٤ ـ الخنافس : وهي سود اللون صغيرة الحجم وتوجد كثيراً في الأماكن الرطبة .

٥ ـ العنكبوت : ويرى في المنازل بكثرة ، وهو غير اللادغ .

٦ ـ الذباب .. وهو منتشر موجود في أكثر البيـوت والشـوارع ، ويتبع وجود الأوساخ لأنه يتوالد منها .

٧ ـ النحل .. وقد رأيت النحـل في حديقـة منزلنـا في حي مشرفة بجُدة ، وهو يتتبع بعض الأوراق والأزاهير .

٨ ـ الهرة .. توجد بكثرة في البيوت حيث تربى اما لفائدة قتل الحشرات والهوام ، أو لمجرد التسليـة ، وهي أنواع منوعة أفضـلها النوع الاستانبولى في عرف المدينة والرومي في عرف جُدة ، ذو الشعر الكثيف الناعم .

٩ ـ الـكلاب .. وهي أنواع وألـوان . ومن أفضـلها الـكلاب السلوقية وهي أجمل الكلاب وأنبهها وأخفها حـركة وأشدها سـبقاً

(١) الصراصير جمع صرصور بضم الصاد الاولى : دويبة كما ورد في مراجع اللغة .

وأرشقها جسماً وعَدواً . ومنها المقيم ومنها المجلوب من الخارج ومن نواحى المملكة .

١٠ ـ القرد .. في جُدة من أنواع القرود : قرد السعدان صغير الحجم خفيف الحركة ، ولعله يكون مجلوباً من الجبال القريبة أو البعيدة .

١١ ـ المعيز العربية والمصرية وتربى في أفنية المنازل «الأحوشة» القديمة وفي الحدائق الخاصة لأخذ اللبن منها أو لذبحها .

١٢ ـ البقر المجلوب من الخارج والداخل ويربى للحليب وللذبح .

١٣ ـ الابل ـ المجلوبة من الداخل لذبحها وللبنها .

١٤ ـ الدجاج الطبعى والمفرخ صناعياً .

١٥ ـ البط وهو يورد من الخارج .

١٦ ـ البعوض .. ويوجد منه هنا نوع الانوفيل الذى يسبب لسعه حمى البرداء «الملاريا» . وتقاومه وزارة الصحة بالمبيدات الكيماوية الحديثة التى تستعملها في البيوت ، بوساطة موظفين مختصين يتجولون في أنحاء جُدة ولهم مركز لمراجعة السكان لابادة البعوض والحشرات المنزلية والزراعية بمنازلهم وحدائقهم .





النباتات في جُدة



قبل تدفق الماء من وادى فاطمة الى مدينة جُدة سنة ١٣٦٧ هـ لم يكن بها غير كنداسة لا تفى بحاجتها مع بعض الصهاريج التى تستمد مياهها من الأمطار ان هطلت(١) .

وكانت توجد أشجار متناثرة هنا وهنالك ، منها أشجار نخيل التمر ، ونخيل الدوم ، والنبق ، والمخيط ، والأثل ، والأهليلج ، وبعض الشوكيات والتَّنضُب في الأودية الى جانب بعض الشجيرات والحشائش المعمرة والموسمية في الشعاب وقد كان بعض السكان على ندرة المياه يقومون بزراعة بعض نباتات الزينة الصغيرة المعروفة من قبل ، مثل الريحان والنرجس « القطيفة » والشارة « العتر » والزمام « الزنيا » في « أُصُص » : (مراكن ، صغيرة) تشاهد في الأسطحة والمشربيات . أما اليوم فيوجد ما لا يكاد يحصر من الحدائق المنزلية المنسقة والمزروعة بمسطحات النجيل الخُضر ، وأنواع أشجار الفاكهة والزينة والمصدات . ولقد كان لمديرية الزراعة التى أنشئت سنة ١٣٦٧هـ وأصبحت فيما بعد وزارة ، سنة ١٣٧٣هـ كبير الفضل في

---

(١) بالمناسبة نذكر أن هطول الأمطار الغزيرة جداً في جدة هو امر لا يحصل دواما .. وفي ربيع الأول ١٣٧٣ هـ هطل مطر شديد ، فهجم سيل جارف على جدة وضواحيها ودمر كثيرا من الدور والأكواخ . وسجل الشعر يومئذ هذا الحادث في قصيدة لمحمود عارف من أدباء جدة مطلعها :

أى سيل ماج بين السبسب ؟ أى طوفان مشى عن كثب ؟

يا سعود الشعب أدرك بالندى أمة أنت لها خير اب

وقد استنجد الشاعر فيها بجلالة الملك سعود ، طالبا منه النجدة واسعاف المنكوبين فقال :

ثم في ليلة غرة شعبان ١٣٨٢ هـ ـ الموافقة ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ م هطلت أمطار غزيرة أشبه شيء بالطوفان ، على جدة ، فاسقطت نحو ستين منزلا . منها ٤٥ منزلا بمنطقة الكندرة ، وتجمعت السيول الهائلة في حفر الصحيفة والسبيل والعمارية والبغدادية . وعنيت البلدية بنزحها ووقاية السكان والمنازل والممتلكات منها . ففتحت مجارى للسيول . وصرفت المياه المتراكمة في الحفر . وقد توفيت في هذا الطوفان ـ امرأة مسنة . في أحد المنازل في حفره الصحيفة ،بعد أن غمرتها المياه . واستعملت البلدية في سبيل تصريف المياه الى البحر (٢٢) وايتاً و (٢٦) مكنة آلية . فكانت المياه تفيض من الأنابيب المتصلة بهذه الآلات ، كالعيون أو الأنهار المتدفقة . ودام ذلك نحو خمسة أيام . وبالمناسبة قامت البلدية بازالة دار علي بن حسن في آخر (شارع النور) بالبغدادية . صباح يوم الأحد ثامن شعبان . كما أزالت جزءاً من دار صالح الحربي ، ودار عبد الرحيم الحربي ، بالدركتر . فتدفق الماء من حفرة البغدادية الى الشارع العام فالبحر . وبذلك زال الخطر عن المنازل المحيطة بالحفرة المعروفة بحفرة الجمجوم . وعن المدرسة التي هي فيها . وقد بذلت البلدية جهوداً طيبة في هذا المجال كما فتحت بهدم بعض البيوت المشار اليها آنفا شارعا جديدا .

ان جدة لم تشاهد مثل هذه السيول الجارفة منذعام ١٣٨٢ هـ .

التوسع الزراعي . وفي ادخال الأنواع العـديدة من نبـاتات الفاكهة والزينة والغابات واكثارها بمشـاتل مزرعة الـكيلو العـاشر ، التى أنشئت سنة ١٣٦٨ هـ وتستمد مياهها من فائض العين العزيزية .. كما أن لآل سليمان بعض الفضل في ذلك ، فقد جلبوا كثيراً من أنواع النبات التى انتشرت في مدينة جـُدة وغيرها . وقام الشيخ عبد الله بن سليمان بانشاء مزرعته النموذجية في شرق مدينة جـُدة سنة ١٣٧٤ هـ وجلب لها الماء من «عين قوص» وأمدها بالماء من «عين مزرعة الخلص» التى اشتراها في وادى فاطمة ، وأتلف زراعتها ، وأجرى ماءها الذى يقدر بمليون الى مليون ونصف جالون يومياً ، وتبرع بقسم منه للعين العزيزية على أن يدفع قسم ضئيل الى المزرعة بوساطة العين .

وقد أصبحت المزرعة تمد المدينة بالخضراوات والأزاهير والفاكهة ومنتجات الألبان والبيض ولحوم الدواجن وما الى ذلك .

كمـا ان العـين الوزيرية شرق جـُدة ، في وادى غـُلـَيل ، تمد الآن حدائق القصر الملكي بالماء الذى يتسرب اليها من قناة مبنية تحت سطح الأرض ..

• • •

وفيما يلى بيان ببعض أنواع النباتات القديمة والحديثة في جـُدة :

نخيل التمر : كانت توجد مجموعات صغيرة من نخل التمر متناثرة هنا وهنالك وهي من الأدقال غير الأصيلة . وكان سليمان المحمد النانيه أنشأ مزرعة حديثة في جنوب مدينـة جـُدة بجهـة «الخـُمـر ة»(١) سـنة ١٣٦٥ هـ وزرع بها أنواعاً من النخيل الأصيل المنتخب ، أحضره من

(١) صرح جون لويس بوركهارت في كتابه : (السفر الى بلاد العرب) بانه لا توجد في جدة بسـاتين ولا أشجار مطلقا ولا أي شيء من الخضرة .. ما عدا نخيلاضئيلة جداً في بعض المساجد .. وخارج البلد صحراء قاحـلة توجد بها شجيرات صحراوية قليلة تنبت من المطر وترعى .. ونخيل لبعض المساجد في جدة أشـار الى وجودها كتاب (السلاح والعـدة) . ومعلوم أن كتاب السـلاح والعـدة ألف في القـرن الحادي عشر الهجري ، وكتاب (السفر الى بلاد العرب) ألف في القرن الثالث عشر الهجري .. وان وصف بوركهارت لافتقاد الخضرة المزروعة في جدة يشبه وصـف ناصر خسرو ، لها في ذلك .. بالقرن الهجري الخامس .

نجد وغيرها من المناطق التى تزرع النخيل في المملكة الى جانب بعض أشجار الفاكهة . الا أنه أهملها أخيراً . لقلة فيضان ماء السيول من وادى فاطمة الى البحر بسبب اقامة بعض السدود في طريقها ، وبالأخص في جهة بحرة حيث توجد مصانع للطوب النارى المصنوع من الطمي المتخلف من السيول . وكانت الآبار التى تسقى المزرعة تستمد مياهها الحلوة بالترشيح من مياه السيول ، فأصبحت مياهها الآن تحتوى على أملاح أضرت بأشجار الفاكهة ، ما عدا النخيل فما زال حياً . وقام الشيخ المذكور بانشاء مزرعة أخرى في جهة بحرة سنة ١٣٨٢ هـ فلو أمكن مد مياه مجارى مدينة جُدة المزمع ايصالها الى جهة الخمرة لأفاد تلك المزرعة ولأمكن التوسع بالزراعة هنالك حيث يوجد عديد من مزارع «العثرى» التى لم تسقها مياه السيول من مدد طويلة . فهجرها أصحابها .

هذا وقد انتشرت زراعة أنواع أصيلة من النخل في الحدائق المنزلية بجدة جلبت اليها من جهات عديدة بالمملكة وبدأت ثمارها فى الظهور . ومنها السكري ، والحلوة ، والروثان ، والبَرحِيُ وغيرها من الأنواع الجيدة .

نخل الدوم : يشاهد في جنوب جُدة وفي نزلة بنى مالك بشمالها ، بكميات قليلة .

نخل النارجيل : كان لا يوجد في جُدة من قبل . وقد انتشرت زراعته مؤخراً في الحدائق الخاصة وأثمر .

نخل الزينة : لم يكن موجوداً في جُدة من قبل ، وقد أدخلت وزارة الزراعة الى جُدة بعض غرسات منوعة منه ، مثل الواشنجتونيا واللاتانيا وغيرها . وما زالت في طور التجارب ، ويشاهد منها في حديقة وزارة المالية بجُدة نوع الواشنجتونيا ، والباقي موزع في بعض الحدائق المنزلية الخاصة .

أشجار النبق « السدر » : تشاهد في بعض الجهات و بالأخص جنو باً، وهي من الأشجار القديمة .

أشجار المخيط : تشـاهد في كثير من الجهـات وهي من الأشـجار القديمة .

أشجار الأهليلج : تشـاهد في الجنـوب ، ولا يعتنى بثمارها هنـا مطلقاً ، مع أنها تجلب من الخارج بالقيمة للعطارين .

أشجار النيم : كانت توجد بقلة ، ولكن انتشرت زراعتها مؤخراً، وخاصة في الشوارع العامة بمساعدة وزارة الزراعة لبـلدية جـُدة اذ قدمت لها كثيراً من غرساتها مجاناً من مشاتل مزرعة الكيلو العاشر .

أشجار الباركنسونيـا : وتعـرف خطـأ بالسّيسبَان . وهي من الأشجار المعروفة في مدينة جـُدة من قبل .

أشجار الأثل : كانت توجد خارج سور جـُدة ، وهي من الأشـجار القديمة المعروفة من قبل ، وتوجد الآن بقلة في بعض الحدائق .

البيزيا : ويعرف خطأ باللبخ ، وكان لا يوجد من قبل ، وأدخلته وزارة الزراعة ، ونشرت زراعته بوساطة مشاتلهـا في مزرعة الكيلو العاشر .

أشجار الحُمَر : التمر هندى وهو من الأشجار القديمة ، ويثمـر بقلة .

أشجار الأنجا : ويعرف باللوز الهندى ، ولم يكن موجـوداً في جـُدة من قبل ، وقد أكثرت وزارة الزراعة من زراعته .

أشجار اللوز الحامض : « الترمنايا كتابا » لم تكن موجودة في جـُدة من قبل، وقد أدخلت مؤخراً من المنطقة الشرقية ، حيث توجد هنالك من قبل . وشجرته جميلة الشكل مدرجة سريعة النمو ، ثمارها مستطيلة ، حامضة . تكسر البذرة الصلبة ويؤكل لبها اللذيذ الذى يشبه اللوز كل

الشبه ، وقد أحضره محمد وعلي آل رضا وزرعاه في حدائق دورهما وانتشر بعد ذلك في الحدائق الأخرى .

أشجار الكافور : «اليوكالبتوس» من الأشجار الحديثة التى أدخلتها وزارة الزراعة في جـُدة ، وأكثرت من زراعتها ، وتوجد الآن في أغلب البساتين والحدائق بجـُدة .

أشجار الكزورينا : من الأشـجار الحديثـة التى أدخلتهـا وزارة الزراعة ونشرتها في مدينة جـُدة ، وتوجد في الحدائق والبساتين . وهي تضخم وتكبر جداً ..

أشجار فيكس مكروفيلا : من الأشجار القديمة التى توجد فيميدان المناخة بالمدينة المنورةوقد أحضر عـُقـَلا منها القائد محمد بحرىالدباغ وقام بزراعتها في محافظة المطار بجـُدة ونمت نمواً مطرداً ، وانتشرت في بعض الحدائق بجـُدة .

أشجار زنزلخت : تعرف خطـأ بالنـيم الأفـرنجى ، وهو من نفس فصيلته . أدخلتهاوزارة الزراعة في جـُدة ، ونشرتها وتوجد الآنفيأغلب الحدائق .

أشجار فيكس نتدا : من الأشجار الحديثـة التى أدخلتهـا وزارة الزراعة في جـُدة ، وتشاهد الآن في بعض الحدائق ، وغرست بلدية جـُدة في بعض الشوارع منها .

أشجار البرتقال : أدخلت وزارة الزراعة الى جـُدة كثيراً من أنواع غراس البرتقال..زرع البعض منها في الحدائق بجـُدة ، وكانت نسـبة نجاح البرتقال متوسطة لعدم ملاءمة الطقس له ، غير أن النوع المعروف في مصر بالبلدي هو الذى جاد في جـُدة بالنسبة للأنواع الأخرى .

أشجار اليوسفى : أدخلت وزارة الزراعة أنواعاً منهـا الى جـُدة ، وكانت نسبة النجاح في زراعتها مثل البرتقال .

أشجار جريب فروت : أدخلتها وزارة الزراعة الى جـُدة ، وزرع منها في حدائق جـُدة ، ونجاحها فيها أقل من المتوسط .

أشجار الليمون البنزهـير : توجـد قـديماً في بعض الأودية مثل الجموم ، والخوار . أدخلتها وزارة الزراعة الى جـُدة ونشرتها ، وهي من أحسن الحمضيات التى تجود بهذا البلد .

أشجار الليمون الشعيري : (الأضاليا) أدخلتهـا وزارة الزراعـة الى جـُدة ، ونسبة نجاحها هنا أقل من المتوسط .

أشجار الليمون الحلو : توجد من قديم في بعض الأودية . أدخلتها وزارة الزراعة ، بجـُدة ، ونسبة نجاحها متوسطة .

أشجار الجوافة : توجد في مـكة المـكرمة من قبـل ، أدخلت وزارة الزراعة أنواعاً عديدة منهـا الى جـُدة ، وانتشرت زراعتهـا وهي من الأشجار التى جادت في جـُدة وغيرها ، وهي لا تتحمل البرد كثيراً .

أشجار التين : أدخلت وزارة الزراعة أنواعاً منهـا الى جـُدة ، ولم تنجح زراعتها نجاحاً طيباً بجـُدة لعدم ملاءمة الطقس .

أشجار القشطة : أدخلت وزارة الزراعـة أنواعاً منهـا الى جـُدة ، وتوجد بقلة في بعض الحدائق وأحسن الأنواع التى جادت هو النوع المعروف في مصر بالبلدي .. جاد في جـُدة وغيرها .

أشجار التوت : أدخلت وزارة الزراعـة نوعاً منها الى جـُدة ، ولم تنجح نجاحاً جيداً في جـُدة ، لعـدم ملاءمـة الطقس ، ماعدى بعض الأنواع البرية ، وثمارها قليلة .

أشجار الباباي : أدخلت وزارة الزراعة أنواعاً من بذورها الى جـُدة، وتوجد في أغلب الحدائق ، وهي من الأشجار الناجحة زراعتها في مدينة جـُدة .

أشجار الموز : توجد أنواع بلدية من الموز ، لم تنجح جيداً في جـُدة،

أدخلت وزارة الزراعة النوع المعروف بالهندى وجاد في جُدة وغيرها .

أشـجار الرمان : أدخلت وزارة الزراعـة منهـا الى جُدة ، بعض الأنواع الأجنبية الى جانب الانواع المحلية الفـاخرة ولم تنجح نجـاحاً أكيداً جُدة ، لعدم ملاءمة الجو .

أشـجار العنب : أدخـلت وزارة الزراعـة الى جُدة بعض الأنواع الأجنبية منها ، غير أنها لم تنجح نجاحاً مؤكـداً ، لعـدم ملاءمة الطقس ماعدى بعض الأنواع التى أحضرت من المدينة المنورة فانها أتت بثمار متوسطة .

أشجار السابوتا : أدخلت وزارة الزراعة الى جُدة هذا النوع من الفاكهة بقلة . وهي توجد الآن في بعض الحدائق الخاصة ، وتعتبر من الأشجار التى جادت في مدينة جُدة . وتوجد غرسات منها بمزرعة عمر عقيل المعروفة بالعقيلية في أعلىوادى فاطمة . وتعطى الآن ثماراً فيغاية الجودة ، على حرارة المنطقة وجفافها . كما توجد في حدائق آل زينل وآل رضا بجدة .

أشجار المانجو : أدخلت وزارة الزراعة ـ الى جُدة أنواعاً عـديدة منها وزرع بعض غراسها في مزرعة الكيلو العاشر ، غير أنهالم تنجـح وتوجد الآن أشجار بذرية وأخرى مطعمة في بعض الحدائق الخاصة ، أتت بأثمار متوسطة . كما توجد أشجار كبيرة مغروسة قديماً في كلمن « هـَدَّة الشام » و « سولة » وتثمر بجودة ، على حرارة الجو وجفافه في تلك الجهة .

أشجار الليم : توجد في أغلب الحدائق بجُدة . وحيث أن أغلب أنواع الحمضيات التى وردت من الخارج مطعمة عليه ولعدم معرفـة بعض البستانيين للزراعة ترك الأصـل يطغى ويتغلب على الطعـم في أغلب الأشجار وتأتي الأشجار بثمار جيدة في جُدة . كما أن الليم من الأنواع المعروفة قديماً في أغلب المناطق الزراعية .

أشجار البوينسيانا : من أشجار الزينـة الجميـلة ، وخاصة عندما تزهر(١) ، وتشاهد بكثرة في الحـدائق وبعض الشـوارع . وهي من الأشجار التى أدخلتها وزارة الزراعة ونشرتها .

أشجار الجكرندا : من أشجار الزينة التى أدخلتها وزارة الزراعة . وتشاهد بقلة في بعض الحدائق ، وهي متوسطة النجاح بجُدة ، غـير أنها ناجحة بمدينة الطائف .

أشجار الدفلة : من أشجار الزينة المتوسطة . وكانت توجد بقـلة وأدخلت وزارة الزراعة أنواعاً منها ونشرت زراعتها بجُدة وغيرها .

أشجار الجهنمية : البوجنبليا : من شجيرات الزينة الجميلة . أدخلت وزارة الزراعة أنواعها ونشرتها .

أشجار الثيفتيا : من أشجار الزينة المتوسطة .. أدخلتهـا وزارة الزراعة ونشرت زراعتها .

أشجار التيكوما : من شجيرات الزينة التى أدخلتها وزارة الزراعة ونشرتها .

أشجار الهيبسكس : من شجيرات الزينة الجميلة .. أدخلتها وزارة الزراعة ونشرت أنواعها .

أشجار الياسمين : من شجيرات الزينـة العطـرية الأزهار أدخلت وزارة الزراعة أنواعها ونشرتها .

أشجار الفل : من شجيرات الزينة العطرية الأزهار المعـروفة من قبل . أدخلت وزارة الزراعة أنواعاً منهـا ونشرتهـا ، غير ان النوع المجلوب من المدينة المنورة يفوق غيره بالازهار طيلة السنة .

---

(١) المؤلف : اذا أخرجت هذه الأشجار أزاهيرها الحمر المشربة بصفرة كانت آية في الروعة والجمال .. وتكتسى الأشجار بازاهيرها قبـل طلوع الأوراق التيتكون قد تساقطت في الشتاء .. ووقت ازهارها في جدة في أواسط فصل الربيع . وعندنا في فناء ـ بكسر الفاء ـ دارنا بمشرفة بجدة شجرة من هذه الأشجار .

أشجار الورد : من شجيرات الزينة المعروفة ، وتشتهر المدينة المنورة والطائف بورودها الفواحة الرائعة المنظر .. أدخلت وزارة الزراعة بعض الأنواع الأجنبية منها غير أنها لم تنجح في مدينة جُدة لرداءة الجو بالنسبة اليها في الوقت الذى جادت به في الطائف وغيرها ، أما ورود الطائف والمدينة المنورة خاصة فهي تجود جداً في حدائق جُدة .

أشجار اللتانيا : من شجيرات الأسوار بالحدائق . أدخلت وزارة الزراعة أنواعاً منها ونشرتها .

أشجار الثوبايا : من شجيرات الزينة بطيئة النمو أدخلتها وزارة الزراعة بِقِلَّة .

أشجار الحناء : من شجيرات الزينة وتشتهر المدينة المنورة وبعض جهات ينبع ووادى فاطمة بزراعة الحناء للحصول على ورقه كمحصول للزينة ، وتوجد بكثرة في أغلب الحدائق بجُدة . تزهر مرة واحدة في السنة . ولزهرها رائحة عطرة .. تميل للبياض في لونها واسم هذا الزهر في اللغة العربية الفصحى : «الفاغية» بالغين المعجمة و «الفاغية» بالعين المهملة على وزن « النامية » ولا يزال اسم الفاغية يطلق على هذا الزهر في عامية المدينة المنورة حتى اليوم .

هذه هي أغلب الأشجار والشجيرات القديمة مع الحديثة التى بجُدة ومنها ما أدخلته وزارة الزراعة ، الى أنواع عديدة من بذور الزينة الورقية والأبصال الصيفية والشتائية مثل النمزيا ، ومرجريت، وبسلة زهور ، والديانتس ، وعنبر، ولوبليا ، وكويوبسس ، وبنسيه ، وأقحوان ، وفلكس ، وعرف الديك ، والانترهينم ، وأبو خنجر ، وعايق ، ومنثور ، واستنس ، وبتونيا ، وخطمية ، وجلاديولس ،

(١) راجع مادة (الفغا) في القاموس المحيط للفيروزآبادى .

وبنفسج ، وزنبق ، الى غير ذلك من عديد الأنواع التى يُتَـزَيَّن بها . بها ، وفاكهة وخضراوات .

• • •

هذا وقد كان لمشاتل وزارة الزراعة بمزرعة الكيلو العاشر بشارع جُدة ـ مكة فضل ملموس في اكثار أغلب أنواع النباتات . وقد عمل بها حمد محمد العييدي من قبل ، مديراً خلفاً لمديرها السابق محمد بادكوك الذى كان رئيساً لقسم البساتين ثم مندوباً لوزارة الزراعة بالمنطقة الغربية وأخيراً ، وكيلا لوزارة شؤون المياه بوزارة الزراعة بالرياض(١) .

ونضيف الى ما أورده من أنواع النبات بجُدة : البقول والخضراوات التى بدئت زراعتها فيها بعد دخول العين العزيزية الى جُدة ، سواء في المزرعة الكبرى : مزرعة عبد الله السليمان أم في حدائق المنازل الخاصة. وذلك حسب ما يأتي :

١ ـ الفجل .
٢ ـ الكراث .
٣ ـ البصل المأكول .
٤ ـ الباذنجان الأحمر والأسود .
٥ ـ الجرجير ، ويعرف في اللغة العربية بهذا الاسم وباسم الأيهُقَان(٢) .

كما نورد فيما يلي اضافة على ما ذكره لنا حمد محمد العييدي بعض الأشجار والنباتات البرية :

١ ـ السلم : وهو شجر ذو شوك رأيناه صغيراً ومرتفعاً في حي

(١) عن حمد محمد العييدي .
(٢) جاء في القاموس المحيط (مادة الايهقان) ما نصه : « الايهقان ـ بسكون الياء المثناة التحتية وبعدها هاء مضمومة فقاف فالف فنون » عشب يطول له وردة حمراء . ورقه عريض ويؤكل . أو الجرجير البري ، واحدته بهاء .. « أيهقانة » زهره كزهر الكرنب ، وبذره كبذره وثمره سرمقي الشكل

الشرفية قبل بناء البيوت بها . ويوجد بكثرة في ضواحي جدة الخالية من البناء الآن .

٢ ــ العُشَرُ « بضم العين وفتح الشين » : ولا تزال بقايا منه في جُدة خاصة قرب مجارى السيول ، وهو ذو صمغ حلو المَذَاق ، عريض الأوراق ، يخرج منزهره مادة سكرية فيها شيء من المرارة يقال لها سكر العُشَرُ .

وجاء في القاموس المحيط تعــــريفاً لِلعُشَرِ قوله : والعُشَرُ « كَصُرَدٍ » : شجر فيه حرّاق لم يقتدح الناس في اجود منه ، ويُحشَى في المخادّ ، ويخرج من زهره وشُعَبه سكر « معروف » ، وفيه مرارة » ـ (مادة العشرة) .. وأُضِيفُ الى ما جاء في القاموس المحيط : ان للعشر ورقاً أخضر كبيراً وثمراً كبيرا مستديرا ، ويصنع البدو منخشبه الفحم، يضاف الى بعض الأملاح في صناعة البارود(٢) .

٣ ــ الطرفاء ، قال أبو حنيفة : « الطرفاء من العضاه ، وهدبه مثل هدب الأثل ، وليس له خشب ، وانما يخرج عصياً سمحة فيالسماء، وقد تتحمض بها الابل اذا لم تجد حمضاً(٣) . أما الأثل فله عود وتتخذ منه الأقداح الصفر الجياد والقصاع والجفان ولا شوك له ، وثمرته حمراء»(٣) . وقد رأينا الدكتور عبد العزيز الخويطر عندما كان مديراً لجامعة الرياض أعاد للأثل تصنيعه ، فعملت الجامعة منه الكراسى الجميلة لطلابها ، وأشياء أخرى وعمم استعمال مصنوعاته على الجامعة فكان مشروعاً صناعياً قيما .

ولا تزال بقية من الطرفاء في ناحية الرويس حيث لم يعم العمران هناك ، ويراها السائر في شارع المدينة المنورة الى الشمال على يمينه في منخفض الأرض .

(١) الاصمعى : كتاب النبات والشجر ص ٢٢ طبع بيروت ١٩٠٨م وحمد محمد العبيدي .
(٢) الاصمعى نفس المصدر ص٣٤ مع شرحه للدكتور أوغست هفنر .

٤ ــ النجم ما نبت على الأرض بدون ساق . والشجر ما كان من النبات على ساق . وقد وردا معا في قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان »(١) ويكثر النجم في شمال جُدة وشرقها .

٥ ــ الحمض ، يقول كتاب «المفردات» لابن البيطار عن الأصمعي: « الحمض كل ما ملح من الشجر ، وكانت ورقته وحبه اذا غمستهما نقعتا ، ويقول الأصمعى : « الحمض ما كان حامضا . ومن أسمائه الرمث وهو شجر لا يطول يشبه الأشنان » .

٦ ــ « ترن » بكسر التاء والراء : نبات أخضر له ورق وله زهر أصفر يؤكل ويوجد في أطراف جُدة بكثرة . وقد سمعت هذا الاسم وتفسيره من بادية جُدة مع المشاهدة .

٧ ــ العرفج : واحدته : « عرفجة » وبه سمى الرجل . وهو لين أغبر له ثمرة خشناء كالحسك ، وهو طيب الريح . أغبر الى الخضرة وله زهرةصفراء ولا حب له ولا شوك(٢) ينبت فيخبتجُدة . وهو ذو عيدان دقيقة شديدة الاخضرار ، كما وصفه لى بعض بادية جُدة وقد أرانيه ويختلف عن شكل عرفج نجد .

٨ ــ التنضب : وهو شجر ينبت بالحجاز وليس بنجد منه شيء الا جرعة واحدة على هيئة العرفج الا أنه أكبر منه ، وقد أرانيه بعض البادية رأى العين ويوجد في شارع المدينة المنورة بعد انتهاء العمران وعلى أطرافه من بعيد .

وللتنضب شوك قصار وأشجار ضخام وليس له ورق وليس من شجر الشواهق(٣) . وللتنضب ثمر يشاهد في فصل الشتاء يشبه العنب الصغار ، وهو أحمر اللون .

(١) لسان العرب لابن منظور (مادة نجم) .
(٢) لسان العرب (مادة عرفج) .
(٣) لسان العرب (مادة نصب) .

الأسماك في جدة



رجعنا في هذا البحث الى سبعة مصادر هي : « صحيح البخاري » و «حياة الحيوان » للدميري ، و « لسان العرب » و « المملكة العربية السعودية » لتويتشل ، و « الموسوعة العربية » لنجيب فرنجية و « حمد محمد العبيدى » رئيس قسم الأسماك بوزارة الزراعة ، وبعض الحواتين القدماء بجُدة .

في «لسان العرب» أن السمك من خَلقِ الماء . وكذلك قال الجاحظ في كتابه « الحيوان » والدميري في « حياة الحيوان » والواحدة سمكة ، وجمعه أسماك وسُمُوك ، وهو أنواع كثيرة ، ولكل نوع اسم خاص .

وتقول الموسوعة العربية : « ان الحوت(١) طائفة من الحيوانات الثديية ، من رتبة سيتات ـ المتكيفة لحياة الماء .. وهي أضخم الحيوانات على الاطلاق ، منها نوع يتفاوت طول الذكر منه ما بين العشرين والخمسة والعشرين متراً ، وخلافاً للأسماك فهو ولود ذو دم حار يتنفس برئتين لا بالخياشيم وتنتهى قصبته الهوائية في قمة رأسه لا في فمه ، لا يستطيع المكث طويلا في الماء فيظهر من حين الى آخر الى السطح ليتنفس بفتح صمام القصبة فيخرج الهواء الفاسد من الرئتين الى أعلى بزخم هائل ، حاملا معه الماء على شكل نافورة عالية تظهر فوق رأسه الى بعد خمسة كيلومترات » ..

وتقول الموسوعة : ان الحيتان تسبح باستعمال الذيل وتعمل الزعنفتان الأماميتان كمجداف ، وتحفظان توازن الجسم ، ويحوى النسيج الليفى كمية كبيرة من الدهن ، يصطاد الحوت من أجله » .

ويبدو من تعريف « الموسوعة العربية » للحوت ان السمك يختلف في بعض الأجهزة والمقدار مع الحوت . فالحوت في رأيها ـ ما عظم من السمك خاصة . وقد راجعنا المراجع اللغوية المعتمدة فاذا بها تعرف « الحوت »

---

(١) الموسوعة العربية لنجيب فرنجية (مادة حوت) والحوت هو الاسم الذى ورد في القرآن المجيد : (فالتقمه الحوت وهو مليم) . ولم يرد فيه اسم(السمك) .

بأنه « السمك » و « السَمك بأنه الحوت » . ولكننا لاحظنا أن كتاب «لسان العرب» لابن منظور مع تعريفه للحوت بأنه السمك فانه يقول :

« وقيل ــ (عن الحوت) هو ما عظم منه أى « من السمك » (مادة حوت) . . ونعلق على هذا التخصيص للحوت بأنه العظيم جسماً من السمك ، بأن ذلك يدلعليه قوله تعالى عن يونس عليه السلام : «فالتقمه الحوت» . . فلا يستطيع التقام انسان بكامله سوى عظيم الحجم من الأسماك . . وقد سماه القرآن الحكيم باسم (الحوت) . . ويؤيد ذلك ما قاله الدميرى في حياة الحيوان : « وهو ــ أى السمك ــ أنواع كثيرة ، ولكل نوع اسم خاص . .وقد يتفق مع ما نقلناه في هذا الفصل عن تعدد أنواع السمك وتعدد أسمائه بتعدد أنواعه قديماً وحديثاً ، ويندرج فيهذهالانواع اسم (الحوت) الذى نميل الى أنه مع صحة اطلاقه على السمك فاننا نميل الى ترجيح أنه نوع خاص من الأسماك يمتاز بضخامة الجسم وبالخصوصيات التى أوردتها في تعريفه « الموسوعة العربية » .

وقد أورد لنا الدميري أنواعاً من السمك هي : «السقنقور،والدلفين: « أبو سلامة » والخرشفلا ، والتمساح ، والقرش ، والعنبر » وقال : « ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات ، ومنه السمكة الرعادة ، وهي صغيرة ، اذا وقعت في الشبكة ، والصياد ممسك حبلها ارتعدت يده . . والصيادون يعرفون ذلك ، فاذا أحسوا شدوا الحبل الى وتد أو شجر حتى تموت السمكة ، فاذا ماتت بطلت خاصيتها »(١) .

ويروى الدميري عن الغزالى : « أن من السمك نوعاً يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » . وقد شاهدنا مراراً هذا النوع الطيار في خليج أبحر بجُدة .

(١) المختار من حياة الحيوان للدميري ص٢٧٦ .

وقد بالغ الدميري مبالغة غير معقولة حينما قال عن السمك : « ومن أنواعه ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لكبرها » . أما قوله بعد ذلك عطفاً عليه : « وما لا يدرك الطرف لصغرها » فهو معقول .

وفي كتاب « المملكة العربية السعودية » لتويتشل عن صيد الأسماك بجُدة أنه يوجد بمحاذاة البحر الأحمر كثير ممن يعنون بصيد الأسماك، وقال : ان موانىء البحر الأحمر مليئة بالأسماك التى يعود بها البحارة الذين يخرجون الى البحر في سنابيك وقوارب وسفن شراعية وهوارى على شكل الزوارق الصغيرة . ويصاد السمك أحياناً بالشباك المستديرة قرب الشاطىء وبغيرها .

وهناك نوع من السمك يدعى « الباراكودا » في شعاب البحر الأحمر . ومنه في « بورت سودان » على الشاطىء الافريقي من البحر الأحمر . ويمكن لصناعة صيد الأسماك أن تكون واسعة الانتشار ، بتجفيها وارسالها الى داخل البلاد ، لتزويد السكان بمادة غذائية ، ويرى القرش بوفرة في البحر الأحمر »(١) .

■■■

ونحن في هذا البحث يعنينا بصفة خاصة معرفة حيتان بحر جُدة . وفي هذا يقدم لنا حمد محمد العييدى شرحاً وافياً اذ يقول :

يبتدىء البحر الأحمر من خط عرض٣٠ شمالا من خليج السويس، وينتهى عند ١٣/٤٠ه جهة باب المندب ويبلغ طوله نحو «٢١٥٠» كيلومتر وعرضه في المتوسط «٢٨٠» كيلومتر ويتسع فيما بين مدينتي جازان شرقاً ومصوع غرباً ، ويبلغ نحو «٣٤٠» كيلومتر ، وتبلغ أعماقه بالقرب من السواحل نحو « ٢٢٠٠ » قدم ، وتنحدر الى أن تصل زهاء «٦٦٠٠» قدم . ويبلغ امتداد السواحل في المملكة العربية السعودية ما يزيد عن «١٠٠٠» ميل مما يجعل لثروتنا البحرية التى لم

(١) تويتشل : المملكة العربية السعودية ، ترجمة شكيب الأموي ص٣٦ طبع القاهرة .

تستغل فنياً ، مستقبلا زاهراً وقيمة تجارية كبيرة . وعندما لاحظت الحكومة العربية السعودية أن تلك الثروة لا يستفاد منها الا قليلا وأنها محصورة في نطاق ضيق وافقت على تأليف « شركة مصايد الأسماك السعودية » .

هذا ولقد استرعت دراسة أحياء البحر الأحمر نظر الباحثين منذ زمن بعيد ، ففي سنة ١٧٧٥م وصف « فورسكال » أربعة عشر ومائة من أنواع الأسماك . وفي سنة ١٨٢٨م وصف «روبل» واحداً وستين ومائة نوع من أنواع الأسماك . وفي سنة ١٨٣٥ م وصف بحّاث آخر ، خمسة وثمانين ومائة نوع منها . ولقد سجل «روبل» قائمة تحتوى على واحد وخمسين وثلاثمائة نوع من الأسماك وفي سنتي ١٨٧٠م — ١٨٧١م نشر «كلنتسنجر» ملخصاً لاسماك البحر الأحمر ، وصف فيه اثنين وتسعين وأربعمائة نوع من الأسماك . وفيما عدى أبحاث هؤلاء لا توجد أبحاث مستفيضة عن أسماك البحر الأحمر . ولا توجد بين أيدينا الآن تلك المؤلفات التى لا يستغنى عنها أى باحث . وقد قامت وزارة الزراعة مؤخراً بطلب نسخ منها بأي ثمن .. كما أنه في سنتي ١٩٥٠ — ١٩٥١ م حصل «مارشال» على مجموعتين من أسماك البحر الأحمر في كل من خليج العقبة وبورت سودان .

وقد أعد الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر مدير معهد علوم البحار بالغردقة في ساحل البحر الأحمر ، مجموعة من أسماك البحر الأحمر من منطقتي الغردقة والسويس ، وله أبحاث مستفيضة وحده ، وبالاشتراك مع بعض الباحثين المختصين من عرب وأجانب لبعض أنواع أسماك البحر الأحمر .

ومعروف أنه لم يُهتَمّ بدراسة أحياء البحار دراسة علمية الا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي الموافق لسنة ٨٥٤ هـ .. ومع أننا نتخطى الآن النصف الثاني من القرن العشرين ،

فاننا ما زلنا بعيدين كل البعد عن الاحاطة بما يحويه هذا الخضم الذى يعج بأكبر الكائنات الحية و بأدقها مما قد لا يرى الا بمجهر .

وفيما يلى بيان ببعض الأسماء المحلية واللاتينية والانكليزية للأسماك والأحياء البحرية الأخرى المعروفة في مدينة جُدة بالبحر القريب منها :

سمك طرباني ـ نوع واحد	Hemigumnus Melapterus
سمك فارس ـ نوع واحد من أسماك الأعماق	Apharaus Rutilans
سمك بهار ـ نوعان	L. Bohad
سمك كشر ـ خمسة أنواع	Serranus
سمك شعور ـ خمسة أنواع	Lethrinus
سمك بياض ـ خمسة أنواع	Scarus
سمك لواطى ـ نوع واحد	
سمك عصمودى ـ نوع واحد	L. Gibbus
سمك ناجل ـ ثلاثة أنواع	S. Analysis
سمك ثهمل ـ نوع واحد	
سمك قطا ـ نوع واحد	
سمك نجار ـ نوع واحد	Pagrus Spinifer
سمك صيجان ـ ثلاثة أنواع	Teruthis Species
سمك عربى ـ نوع واحد « يعمل منه ألذ أنواع الفسيخ ، ويصدر من الموانىء الشمالية الى مصر بطريق السويس في صفائح معبأة خالصة الصنع	
سمك سلمانى ـ نوع واحد	Chanos Salmoneus
سمك بنك ـ نوع واحد	Elops Saurus
سمك قطرين ـ نوعان	Diagramma Cinctrum
سمك حريث ـ نوعان	
سمك دوالى ـ نوع واحد	Sphyraena Acutipinnis
سمك عقام ـ نوع واحد	
سمك أبو عين حمرو ـ نوع واحد	Sohal
سمك سحل ـ نوع واحد	
سمك أبو قرن ـ نوع واحد	Naseus Brevirostris
سمك حفار ـ نوع واحد	Pagrus Haffra

سمك ثمد ـ نوع واحد	Cybium Guttatmus
سمك ظبي ـ نوع واحد	
سمك قرار ـ نوع واحد	Arthias Multidens
سمك صرع من أسماك الأعماق ـ نوع واحد	Julis Lanaris
سمك أبو مليص ـ نوع واحد	Cybium Commersonii
سمك دراك تونه ـ نوع واحد	Platax Vespertilio
سمك رقع ـ نوعان	
سمك أبو قرص ـ نوع واحد	
سمك رقدة ـ نوعان	
سمك أبو سيف ـ نوع واحد	Saw fish
سمك خرم ـ نوع واحد	Saurida Tumbil
سمك شعرم « وتوجد منه أنواع سامة » . وهو ثلاثة أنواع	Balistes
سمك أبو دقن ـ نوعان	Rad Mullet
سمك قحاية ـ نوع واحد	
سمك أبو هويلي ـ نوع واحد	S. Sonnirati

سمك كمل ـ نوع واحد « من أسماك الأعماق ولحمه حلو ، يوجد بكثرة في الجنوب وفي الجهات الطينية

سمك فرس البحر ـ نوع واحد « من أسماك سطح البحر سريع الحركة جداً ، وهو غير سيد قشطه المعروف في مصر

سمك جربوع ـ نوع واحد	Caranx Kutra
سمك باغة ـ نوع واحد	
سمك أبو نقطة ـ نوع واحد	Clubia Sindensis
سمك سردين ـ نوع واحد	

سمك موسى ـ نوعان ، يوجد في الشواطىء ، ويصاد بقلة . وقلما ينزل بالسوق ، وهو شفيف من ناحية بطنه .

سمك قاص ـ نوع واحد	Gerres Oxena

« تلك هي الأنواع المعروفة والمتداولة في سوق السمك بجدة وتؤكل لحومها بدون خوف » .

سمك أبو دفدف ـ نوع واحد	Heniochus
سمك أبو شراع ـ نوع واحد	Stromateus
سمك كنف ـ نوعان	Histiophorus
سمك قنبرور ـ نوع واحد	

سمك خنزير ـ نوع واحد

سمك درمة ـ نوعان

سمك دجاجة ـ نوعان

سمك جلاخ ـ نوع واحد — Sea Scorpion

سمك قملة ـ نوع واحد « تلتصق بالأسماك الكبيرة جهة الرأس مثل القرش وأبو سلامة وغيرهما »

سمك أبو صندوق علبة ـ نوعان — Coffer fish

سمك طيار ـ نوع واحد . يشاهد في المياه الغزيرة ، وهو ينزلق بسرعة على سطح الماء وكأنه يطير .

والأنواع المذكورة من قبل ، قليلا ما تعرض بسوق السمك بجدة ، وللبعض منها خواص سامة مثل : الدجاجة والدرمة والجلاخ .

وبعض البحارة يأكلون تلك الأسماك السامة بعد نزع أحشائها وتنظيفها :

سمك القرش أبو منشار : نوع واحد — Saw fish

سمك القرش النمراني ـ نوع واحد

سمك البياحى ـ نوع واحد

سمك أبو حلاوة ـ نوع واحد — Halaviary

سمك القرنة ـ نوع واحد — Hammer head

سمك أبو سلامة ـ نوع واحد — Delphinus

سمك عنقصيص «أخطبوط» ـ نوع واحد — Octopus

سمك حبارة ـ نوعان — Sguid

سمك رقطية « راى » . توجد عدة أنواع منها مابين كبيرة تزيد عن المتر وصغيرة حوالى ٣٠ سنتمتراً . وجميعها تحمل شوكة وبعضها شوكتين في الذيل تحتوى على مادة سامة ، تؤلم من تَخِزُه أشد الألم . واحدى أنواعها الصغيرة تحمل جهازاً كهربائياً يشعر به المرء عند ملامستها لجسمه ، أو ضربه لها بحربة حديدية . وتسمى في جازان باسم (سفن) ـ بضم السين وفتح الفاء بعدها نون(١) .

سمك عروسة البحر « جلد » وهو نوع من الثدييات يوجد في البحر

(١) عن محمد بن علي السنوسي .

الأحمر ، ويعرف في الجنوب باسم : « جلد » وتصاد للحصول على لحمها ودهنها وجلدها السميك .

حوت بتان ــ نوع واحد .

وهو نوع من الحيتان البحرية يشاهد في البحر الأحمر وبالأخص في الجنوب ، وهو من أكبر أحياء البحر الاحمر ، ولعله المعروف بالعنبر في اللغة العربية الفصحى ، فقد جاء في صحيح البخارى في فصل : «ما جاء في بعث أبى عبيدة» قال : «سمعتجابر بن عبد الله يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة راكب ، أميرنا أبو عبيدة بن الجــراح ، نرصد عير قريش ، فأقمنا بالساحل نصف شهر ، فأصابنا جوع شديد ، حتى أكلنا الخبط : « ورق السلم » فسمى ذلك الجيش ، جيش الخبط ، فألقى لنا البحر « الأحمر » دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهر، وادهنا من ودكه : « الودك ما يتحلب من الشحم واللحم » حتى ثَـابَـت : «رجعت» الينا أجسامنا ،ورجعتالينا القوةوالسِّـمَـنُ ، فأخذ أبو عبيدة ضِـلَـعاً من أضلاعه فنصبه ، وأخذ رجلا وبعيراً فمرَّا تحته .

وفي رواية : ثم أمر براحلة فرحلت ثم مرت تحتها فلم تصبهما .

وقد ورد اسم « العنبر » في كتاب « حياة الحيوان » للدميري .

«شاقة» بالعربي ، و «مورينه» بالافرنجى : وهي نوع من الأحياء البحرية وتوجد في الصخور وهي تتلون حسب البيئة .

ثعبان البحر « أنكليس » :

وهو نوع من الأحياء البحرية أصغر من الشاقة ، وله زعنفتان(١) تليان فكيه ، وفمه واسع .

(١) الزعنفة : بكسر الزاي وسكون العين المهملة بعدها نون مكسورة ففاء فتاء مربوطة هي : جمعها زعانف . وهي أجنحة السمك « القاموس المحيط »مادة (زعف) .

أبو قبقاب « روبيان » : Shrimp

صقر « سلحفاة بحرية » : Sea Turtle

وهي تضم بيضها خارج البحر على الساحل

أبو مقص عادى

أبو مقص افرنجي : «كابوريا» .

زُرُنباك : «أبو أصبع» نوع من المحار الموجود في البحر الأحمر . يتحرك من محل الى آخر ببطء ، ويجمع ويكسر للحصول على لحمه .

بُصُر : نوع من المحار ثابت لا يتحرك من على الصخور . ويصل الى أحجام كبيرة . يخلع ويكسر للحصول على لحمه .

نهيد : نوع من المحار . هرمي الشكل . يجمع بكميات كبيرة ويصدر بمئات الأطنان للخارج بطريق عدن وبورت سودان .

محار اللؤلؤ : يوجد في البحر الأحمر . واللآلىء التى قد يحصل عليها منه قلما تكون كروية الشكل . وقد اهتم أحد أعضاء « البعثة اليابانية » لمصايد الأسماك التى زارت المملكة في عام ١٣٨١ هـ بذلك وأخبر بامكان تحسين انتاجه من اللؤلؤ بتطعيمه صناعياً . ليكون ثروة ذات فائدة .

أبو مخابط « استاكوزا » : وتوجد في البحر الأحمر وخاصة في الشمال بكثرة .

هيلمان ــ كرعان : يوجد بين الصخور دائماً . ولا يعنى به أحد . ويؤكل في الاسكندرية ، ويسمونه « رنسا » .

حماط ــ قنديل البحر : ولونه أزرق جيلاتينى ، ويشاهد على السواحل بكثرة في فصل الشتاء ، وفيه مادة لذاعة ، يشعر بها من يحتك به .

خيار البحر : حيوان رخو يشاهد في الشواطيء الرملية وهو نوعان أسود اللون ، ويكثر في الشواطيء ، وبني محبب وعليه بعض نتوءات. يشاهد قرب الصخور ، ويؤكل في اليابان وغيرها ، ولا يحفل به هنا مطلقاً .

فهذه نحو تسعين نوعاً من الأسماك والأحياء البحرية ببحر جدة . ولا بد أنه يحوى أصنافاً أكثر ، والبحث العلمي الجاد كفيل بمعرفة ما تبقى منها ان شاء الله .



تقارير وتقاريظ شعرية

ودراسات علمية لكتاب تاريخ مدينة جُدّة

من كبار رجال العلم والفكر والأدب السعوديين



التقـــاريـــر

تقرير عن كتاب « تاريخ مدينة جُدة » لفضيلة الشيخ محمد بن حسين نصيف رحمه الله .

■ **أول كتــــاب من نوعـــــه** ■

■ **صدر في تاريخ مدينة جُدة** ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد طالعت هذا الكتاب الذى الفه الاستاذ عبد القدوس الانصارى : (تاريخ مدينة جدة) فوجدته حافلاً مستقصيا لأشتات تاريخ هذا البلد من قديم ومن حديث مع حسن ترتيـــب واستنباط واستقراء وبما يمكن من التقصي والتحري . . وأعتقد أنه اول كتاب من نوعه صدر فـــي تاريخ مدينة جدة بهذا الشكل الضخم الجامع الشامل . وفق الله العاملين لما فيه خير الوطن وجزاهم افضل جـــزاء . ،،،،،،

محمد نصيف

١٣٨٢/٦/٢٢ هـ

—(((((O)))))—

تقرير اللجنة الثلاثية

المؤلفة من الأساتذة : محمد سعيد العامودي ومحمود عارف وعبد القدوس الأنصاري عن كتاب تاريخ مدينة جُدة .

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد قرأت اللجنة المؤلفة من محمد سعيد العامودي ومحمود عارف وعبد القدوس الأنصاري جميع كتاب «تاريخ مدينة جدة» تأليف عبد القدوس الأنصاري، وأقرت محتوياته وبحوثه، وتقدر استيعابه لتاريخ جدة من جميع النواحي بتحقيق دقيق سليم وأسلوب ممتاز. وبالله التوفيق

في ١٣٨٢/٨/٢٥

العامودي — عارف — عبد القدوس الأنصاري

التقاريظ الشعريّة

كشفت عن الماضي السّتار

من رباعيّات/ الشاعر المحلق : الأستاذ السيد محمد حسن فقي

مهداة إلى الأستاذ العلامة عبدالقدوس الأنصاري

كشفت عن الماضي الستار .. وأبرزت .. مواهبك الغرُّ الصُّوى والمعالما !

وبان لنا عن دوره حيث ما اختفى .. علينا وحولت الأماني مغانما !

أترجو لباقي الرهط منك توفّراً .. عليه لتبدو منه ما ظلّ غائما ؟!

فبوركت حتى تستحيل لنا سما .. بأرضه الذي ما كان منطسما !





المخلص : محمد حسن فقي

الكتاب تحفة التاريخ..

• شعر الشاعر المفلق : السيد محمد بن علي السنوسي

مهداة للأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصاري
تحية لكتابه (تاريخ مدينة جُدة)

أضـــاف الى ســـنى التـــاريخ جِدَّه
كتـــاب صـــيغ في « تاريـــخ جُدَّه »

جـــلا الماضِي الســـحيق وَجَدَّ حـــتى
تكامـــل نُـــوره في كـــل مُدَّه

ونقّب عـــن عصـــور مظلمـــات
تفـــوت الحصـــر احصـــاء وعِدَّه

وأبـــرز مـــن غياهبهـــا عهـــودا
وجـــاء بهـــا حقـــوقاً مُستَرَدَّه

وصـــاغ معـــالم الأحـــداث فيهـــا
وحـــلل كـــل معضـــلة وعُقدَه

وناقشـــها نقاشـــاً مســـتمدا
مـــن الانصـــاف منطقـــهُ ورُشدَه

★ ★ ★

أخـــا الأدب الرصـــين ـ ولا أغـــالى
لأن الحـــق فـــوق هـــوى المَوَدَّه

أأغمط للصـــداقة وهـــي عقـــد
يطـــوقنى ، جُهُـــودَكَ وهِي فَرده

وأســــمع للمظنـــة في ثنـــائى
عليـــك فـــلا أرى في الـــروض وَردَه ؟

معـــاذ الله والحَـــقّ المفـــدّى
بكـــل عـــلاقة كَـــرمت وعهدَه

★ ★ ★

كِتَـــابُكَ تحفـــة التـــاريخ فَنّاً
وأســـلوباً وتحقيقـــاً وجَودَه

زففت بـــه الى الدنيـــا عروســـاً
لأعتـــابِ (مقدســـة) وسُدَّه

تألـــق حســـنها وأضـــاء حـــتى
أعـــاد شـــبابها للبحـــر مَدَّه

ففـــاض عـــلى جوانبهـــا غـــزيرا
ومد ذراعـــه (خـــيراً) وزَندَه

وصـــفق قلبـــه الجيـــاش شـــوقاً
الى (ثغـــر الحجـــاز) وهَـــزّ قَدَّه

وغـــازل في شـــواطئها الأمـــانى
تَرِفُّ نضـــارة وتَمُـــوجُ رغده

وغــرد للجمــــال وقـــــد تجـــلى

يضـــــم الــــروض ســـوسَنه ورَنده

بلغتَ (أبا نبيـــــه) ذرى المعـــالى

بنفـــس للمعـــــــــالى مُستعِدَّه

★ ★ ★

ومـــن حمـــل الـــيراع وكان جـــلداً

عـــــلى تبعَـــاتهِ أعطـــاه مجده



((تاريخ مدينة جُدة))

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الحج في الصفحة ١١٧ من عددها الصادر في ١٦ شعبان ١٣٨٣ هـ ـ ١ ينـاير ١٩٦٤ م ـ الكلمة التالية بقلم رئيس تحريرها الأستاذ محمد سعيد العامودي :

الواقع أنه لا تكفينا كلمة وجيزة كهذه ٠٠ في حديثنا عن اول كتاب تاريخي بالمعنى الحقيقي للتاريخ بالنسبة لمدينة جُدة ٠٠ المدينة العريقة في القدم وعروس البحر الأحمر كما يصفونها ـ بحق ـ في العهد الحديث ٠

والواقع ان هذا الكتاب نفسه ٠٠ يتحدث بنفسه عن نفسه في صفحاته السبعمائة بما لا يدع مجالا فسيحا لأي من الكاتبين ٠ وأقولها في ايمان عميق ودون تردد أو محاباة : أنه مفخرة لأدبنا أن يظهر هذا الكتاب الضخم في نهجه العلمي الذى ظهر فيه مستوفيا لموضوعه المترامي الأطراف في أجمل أسلوب وأن يظفر بالاعجاب من كل القارئين ٠

وليس من شك في أن تاريخ مدينة جُدة للأستاذ عبد القدوس الأنصاري قمين بالاعجاب حقا ٠ فهو قد أرخ لمدينة جُدة تاريخا شاملا لأول مرة ٠ وهو قد أحسن العرض في تاريخه لهذا التاريخ وأوفى موضوعه بحيث لم يدع جانبا من جوانب الحياة الجدية في ماضيها الطويل المتتابع ـ الا فيما ندر ـ الا وتعرض له بالبحث والتحليل ٠

ولعل الناحية الأهم ـ والتى لا بد من الاشارة اليها هنا ـ أعنى الناحية الأهم من ناحية البحث والتحليل وغير البحث والتحليل مما يلاقيه ـ عادة ـ كل باحث مدقق نزيه : الناحية الأهم هي : أن المؤلف الفاضل استطاع في كثير من الصبر والمعاناة وفي كثير من حرصه الشديد على استكمال موضوعه من كل نواحيه ٠٠ استطاع بهذا كله وفي جو من الغموض التاريخي ٠٠ أو الركود التاريخي لمدينة جُدة ـ ان جاز هذا التعبير ـ أن يخرج بهذا التاريخ الى جو آخر فسيح فيه وضوح ما أمكن الوضوح ٠٠ وفيه حياة لتاريخ مدينة جُدة ٠٠ البلد التالد العريق ٠

وليس من شك في أننا حين نطالع ـ فقط فهرس المراجع العربية من الكتب المطبوعة والمخطوطة وقد نيفت على مائة كتاب لم يتعرض معظمها الا للقليل القليل من أحوال مدينة جُدة ٠٠ مضيفين اليها بقية المراجع الأخرى باللغات الأجنبية عدا الصحف والمجلات وغيرها مما اعتمد عليه المؤلف في تدوينه لهذا الكتاب ٠٠ أقول : حين نطالع أسماء هذه المراجع فانها تكفينا وحدها دليلا أكثر جلاء ووضوحا على أهمية ما بذله مؤلف الكتاب من صبر وعناء وجهد قبل أن يخرج كتابه للناس .



ومن أجل هذا ، نقولها ونكررها في اخلاص : ان تاريخ مدينة جُدة هو ـ بحق مفخرة لأدبنا المعاصر سواء من ناحية أسلوبه الشائق في العرض ، أم من ناحية نهجه في البحث أم من ناحية استيفائه لمادته التاريخية ٠

نقولها ، ونحن نعلم أن بعض النقص في استكمال المعلومات قد لا يخلو منه الكتاب ـ ولكن أي كتاب يخلو من النقص ، خاصة اذا كان كتاباً جُل اعتماده على مصادر لا تشفي الغليل ٠



تاريخ مدينة جدة ٠٠٠

بقلم الشيخ اسماعيل الأنصاري : بدار الافتاء ـ في الرياض

أرخ الأستاذ البحاثة عبد القدوس الأنصاري مدينة جُدة بتاريخ قيم استوفي فيه النواحي التى تهم القارىء كما تجنب طريقة من يرى من المؤرخين حصر مهمة التاريخ في مجرد أداء ما وصل الى المؤرخ كما وصل دون نقد وتمحيص ولذلك نرى عبد القدوس الأنصاري يتعقب في هذا التاريخ كل ما يتنافى من كتابات من قبله مع الوضع اللغوي أو العقل أو الشرع أو التاريخ الصحيح ولذلك ففى الكتاب شواهد كثيرة منها ما يلي :

١ ـ ذكر في ص٣٨ ضمن الأقوال في ضبط جيم ـ جُدة ـ ضَبطَها بالكسر ٠٠ وتعقب ذلك بأن المعاجم اللغوية والتاريخية العربية أجمعت كلها على القول بضم الجيم مع معرفة أصحابها وايرادهم لصيغة جدة المكسورة الجيم والمقصود بها لغوياً الطريقة .. وقد وجدنا فيما وقفنا عليه من كتب «غريب الحديث» مثل ما نقله مؤرخ جُدة عن المعاجم اللغوية ففى النهاية لابن الأثير وتلخيصها : « الدر النثير » للسيوطي ما نصه : « الجُد بالضم شاطىء النهر والجُدة أيضاً وبه سميت جدة التى عند مكة » ٠

٢ ـ ذكر في ص٣٨ تعليل من علم تسمية جُدة بضم الجيم بأنها مدفن جَدَّة البشر حواء عليها السلام ، واستبعد ذلك من ناحية الوضع اللغوي بأن ضم الجيم لا يتلاءم مع هذا التعليل ومن الناحية الأخرى صَرَّحَ بابطال كون قبر حواء بجُدة وهذا الموقف هو الذى سلكه كثير من العلماء منهم الشهاب الخفاجي في «شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل » قال في الكلام على اسم « جُدة » : العامة تفتح الجيم وتزعم أنه سمي بها لأن حواء مدفونة بها ولا أصل له كما صرحوا به » واستبعد الفاسى في « شفاء الغرام » ج ١ ص ٨٨ كون قبر حواء بالموضع الذى يُدَّعَى أنه هو فيه بجُدة قال : « وأستبعد أن يكون قبر حواء بالموضع المشار اليه لأن ابن جبير لم يذكره وما ذاك الا لخفائه عليه فهو فيما بعد رحلته من الزمن أخفى والله أعلم » .

ومما يشكك في دفن حواء بجُدة ما ذكره ابن كثير في تاريخه « البداية والنهاية » ص٩٨ قال : « ويقال أن نوحاً عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو ـ أى آدم ـ وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس حكى ذلك ابن جرير » ٠

وفي تاريخ ابن جرير الطبري ج ١ ص ١٠٩ ما نصه : « وذكر أن حواء عاشت بعده ـ أي بعد آدم عليه السلام ـ سنة ثم ماتت رحمها الله فدفنت مع زوجها في الغار ـ يعني غار أبي قُبيس ـ وانهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان حتى كان الطوفان فاستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة فلما غاضت الأرض الماء ردهما الى مكانهما الذى كانا فيه قبل ذلك » ٠

ونقل الفاسى في « شفاء الغرام » من خط الذهبى في الجزء الذى ألفه في تاريخ مدة آدم وبنيه ج ١ ص ٢٧٢ ما لفظه : « وخَلَفَهُ أى ـ آدم عليه السلام ـ بعده شيث ابنه وأنزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبى قبيس » ٠

وهذا الغار الذى ذكروا دفن آدم وحواء فيه عليهما السلام قال العلامة محمد جار الله بن ظهيرة القرشي المكي في كتابه : « الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف » قال : أنه « لا يعرف الآن » ٠

٣ ـ ذكر مؤرخ جُدة ص٣٨٣ تعليل ابن المجاور ما ذكره من مضاعفة أجر الصلاة والصدقة في جُدة بوجود قبر حواء فيها .. وقد تعقب مؤرخ جُدة ذلك بالتشكيك في تلك الدعوى وفي ذلك التعليل فقال : « اذا كان أجر الصلاة والصدقة يضاعف في جُدة فلعل ذلك يعود الى أنها دار رباط المسلمين وثغر من ثغور الاسلام الأولى وباب الحرمين الشريفين ، للرباط فيها أجر كبير بالنسبة للرباط ذاته عامة وبالنسبة للرباط بها من أجل حماية الحرمين الشريفين من تسرب عدوان أي أجنبي ولا يمكن أن يُعزَى ذلك الى وجود قبر مزعوم لحواء فيها » .

وكاتب هذه السطور مع مؤرخ جُدة في تشكيكه في تلك الدعوى وفي رده ذلك التعليل ، ولا يستبعد أن يكون مستند تلك الدعوى من قبيل الروايات التى توضع في فضائل البلدان ، وتوسع المؤرخون في نقلها توسعاً انتقده كثير من العلماء منهم الشوكاني في « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة » ٠ قال : « قد توسع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان ولا سيما بلدانهم فانهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه كما فعل الديبع في تاريخه الذى سماه « قرة العيون بأخبار اليمن الميمون » وتاريخه الآخر الذى سماه « بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد » مع كونه من أهل الحديث وممن لا يخفى عليه بطلان ذلك فليحذر

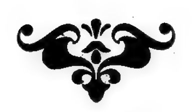
المتدين من اعتقاد شيء منها أو روايته فان الكذب في هذا قد كثر وجاوز الحد •
وسببه ما جبلت عليه القلوب من حب الأوطان والشغف بالمنشأ » أهـ •

قلت : ومن هذا القبيل مما ورد في فضل جـُدة ما رواه ابن حبان عن علي مرفوعاً : « أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة في الدنيا أولها الاسكندرية وعسقلان وقزوين • وفضل جـُدة على هؤلاء كفضل بيت الله الحرام على سائر البيوت » • وفي سند هذا الحديث الموضوع ، عبد الملك بن هارون الكذاب •• قال الذهبي في الميزان : « السند اليه مظلم فما أدرى من افتعله » اهـ •

وأما تعليل مؤرخ جـُدة ذلك على فرض ثبوته بما علله به فيقرب من قول ابن جـُرَيج : « انى لأرجو أن يكون فضل مربط جـُدة على سائر المرابط كفضل مكة على سائر البلدان » رواه الفاكهي •

هذا ما أردنا أن نمثل به ، وهو قليل من كثير مما في « تاريخ مدينة جـُدة » من تحقيقات تيقنا بالاطلاع عليها أن « مؤرخ جـُدة عبد القدوس الأنصاري » لم يـَحذُ حذو من يعتمد من المؤرخين على كل ما نـُقِلَ ، ولو كان جارياً مجرى الخرافات ، وأنه قام بواجب التاريخ حق القيام • والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب انه قريب مجيب ؟

(الرياض) اسماعيل بن محمد الأنصاري



كتاب الشهر : كتاب تاريخ مدينة جُدة

لمؤلفه البحاثة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري

■■ تحت العنوان المتقدم ، نشرت مجلة رابطة العالم الاسلامي ، في عددها الصادر في شهر رجب ١٣٨٣ هـ ـ نوفمبر ١٩٦٣ م بالصفحتين : ٥١و٥٢ ـ المقال التالى تحت العنوان السالف ذكره ، وهو بقلم رئيس تحريرها الشيخ حسين عبد الله سراج ■■

وأخيراً صدر كتاب « تاريخ مدينة جُدة » لمؤلفه الأستاذ البحاثة عبد القدوس الأنصاري .

صدر في (٨٨٥) صفحة من الحجم الكبير ٠٠ حاملا معه عشرات الرسوم والوثائق النادرة والخرائط المهمة .

ومن أهم هذه الوثائق ، تلك الوثائق التى كتبت في القرون الخالية ، من حجج شرعية وصكوك ووثائق تجارية وقرارات مجالس جُدة ٠٠

ومن أهم الخرائط التى يحويها الكتاب ، خريطة أثرية تاريخية لمدينة جُدة ٠٠ كان الرحالة ابن المجاور الدمشقي قد رسمها لجُدة في القرن الهجري السابع ٠٠ وأدخلها في كتابه « تاريخ المستبصر » . وتلك الخارطة المفصلة لمدينة جُدة في الوقت الحاضر . وضعها للكتاب خاصة ، المكتب الهندسي بجُدة .

ومن أهم الخرائط أيضاً تلك الخرائط التى وضعتها مديرية التعليم بِجُدة لمدارس منطقة جُدة .

وفي الكتاب رسوم أثرية واكتشافات نادرة ٠٠ وقد أثبت الكتاب قدم ابتناء جُدة ، وحَلَّلَ موقف التاريخ الصحيح من قبر حواء ٠٠ وأثبت أن بعض قدامى المؤرخين اعتبروا هذا المكان قبراً لحواء وبعضهم اعتبره منزلا لها قبل تحولها الى عرفات حيث تعارفت فيها مع أبى البشر آدم عليهما السلام .

وكان موقف المؤلف من هذا الأمر موقفاً علمياً يتسم بالحصافة والدقة العلمية ويتجنب التخرصات الوهمية ٠٠ فهو يقول عقب سرده لكل ما ورد في هذا القبيل : ان كل هذه الروايات والآراء المتتابعة تدل على أن لحواء أم البشر علاقة ما ، بهذا المكان ٠٠ وغير معقول أن نحدد هذه العلاقة بأنه قبرها أو منزلها ، لأن نزول حواء من الجنة الى الأرض ، كان قبل التاريخ أي قبل تدوين التاريخ بآماد . فأين هو أو أين هم أولئك الذين يستطيعون أن يحققوا تحقيقاً علمياً هذه الحادثة ٠٠ بحيث لا يتطرق اليها الشك ؟ وفي الكتاب اثبات دقيق لأن اسم جُدة الصحيح هو بضم

الجيم ٠٠ ان ضم جيم جُدة أمر مجمع عليه بين سائر اللغويين العرب والمؤرخين العرب والجغرافيين العرب ، كما أثبت الكتاب أن جُدة كانت بلداً مأهولا نامياً ، قبل تجديد عثمان بن عفان رضي الله عنه له في سنة ٢٥ أو ٢٦ من الهجرة بقرون ٠٠ وللمؤلف دلائل على ذلك كثيرة ساقها في هذا الكتاب الضخم الذى يحق لنا أن نسميه « موسوعة » ٠

ومن دلائله ما أثبته من سكنى قضاعة به ٠٠ وعبور الاسكندر المقدوني البحر الأحمر منها الى القطر المصري ، وسكنى بعض ثمود بها ونقشهم بعض وقائعهم على بعض صخور بعض أوديتها وهو وادى « بويب » ٠

وفي الكتاب تبيان لجغرافية جُدة ، واستعراض لتطورها العمراني ، ولتطور سكانها ، وألوانهم عبر التاريخ ٠ وحالتها الصحية وحالتها التعليمية وحكامها وقضاتها وعلمائها ومساجدها ، وآثارها ولهجتها العامية ، وأمثالها العامية واقتصادياتها ، وشوارعها وأحيائها ، وصُوَر جميلة كثيرة لواقعها العمراني وصُوَر جميلة لرجالاتها وأعيانها وقطانها من الشخصيات البارزة ٠ ومن أهم رسوم الكتاب رسومه لحيتان جُدة ، بالألوان ، وتعريفنا بأسمائها الوطنية ، تحت كل رسم من رسومها الملونة وغير الملونة ورسومه لبعض نباتات جُدة وأشجارها ومرافقها القديمة ٠٠

وفي الكتاب استعراض جميل لأدب جُدة القديم في ضوء وأدب حياة ذلك الأديب الجُدي اللامع محمد بن يحيى قابل من أهل القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، كما احتوى تعريفات موجزة مركزة لأدباء جُدة المعاصرين ٠ وقد فصل الكتاب تفصيلا لا مزيد عليه لقصة الماء في جُدة ، واحتوى بحثا عن مكتباتها التجارية والخاصة وأسماء أصحابها .. وفي بحث الآثار عرّفنا بآثار جُدة ومتاحفها الحكومية والأهلية ٠ وفي الكتاب فهارس عمومية كشافة ٠٠ فهرس عام لأسماء جميع الأشخاص المذكورين في الكتاب ، وفهرس عام ذكر فيه أسماء جميع الأمكنة الواردة فيه ، وفهرس عام للرسوم ٠

وفيه فهرس عام لمراجعه التى أنافت عن ١١٤ مرجعا من عربي واسلامي وغربي وشرقي ٠٠ وبالجملة فالكتاب تحفة من تحف التاريخ الحديث ٠٠ وموسوعة كبرى ومرجع هام فريد وقد طبع بمطابع الاصفهاني طبعاً رائعاً على ورق أبيض صقيل ـ ٨٠ غراما ـ وغلف بغلاف فني بديع وألبس الغلاف بغلاف خارجي مشرق من ورق الكوشيه البراق ٠

وكلمة أخيرة نقولها في هذا الميدان : (ان هذا الكتاب لا يستغنى عنه مثقف ولا مطالع ، ولا محب للاطلاع ، ولا من يعنى بتاريخ بلاده خاصة أو هذه البلاد عامة) .

دراسة لتاريخ مدينة جدة

بقـلم
الأستاذ محمد سعيد العامودي

في تاريخنا القديم أعني تاريخ شبه الجزيرة العربية بالذات ومنها بلاد الحرمين، يلاحظ الباحثون دواماً فراغاً هائلا من حيث قلـة المؤلفـات عن هذا التاريخ في أى مجال خلافاً لبعض الأقطار الأخرى اذ حظيت بعشرات الـكتب تصـور ماضـيها في اسهاب يعطى القارىء صورة ، ان لم تكن كاملة كما ينبغى لما يتخلل معظمهـا من مغالاة .. أو من نقص في بعض المواطن .. أو عدم شمول في مواطن أخـرى ، فهي على الأقل تزود القارىء بالكثير من المعلومات ، وخاصة عن الأحداث السياسية وهي بلا شك الناحية الرئيسية في تاريخ الشعوب .

والحق أننا فيما يختص بالحرمين الشريفين نجد بعض المؤرخـين من رجالهما وبعض الرحالة من الخارج قد عنوا عناية ملحوظة بتدوين تاريخهما فوضعوا عنهما أشتاتاً من الكتب .. ومنهم من اكتفوا بوصف جانب من جوانب الحياة في كل منهما كأصحاب الرحلات القديمة والحديثة ، وكبعض الأوروبيين لكنا مع ذلك نفتقد في هذه الكتب العرض الشامل الدقيق لتاريخ الحرمين .

فاذا ما التفتنا الى باقى أنحاء جزيرتنا العربيـة ، نجد أمامنا هـذا الفراغ في صورته المجسمة .. نعم ان هناك بعض الكتب المؤلفة عن قلب الجزيرة وعن شمالها وجنوبها ولكنها مع ذلك لا تشفى الغليل .

وحديثنا هنا خاص بمدينة جُدة بمناسبة صدور هـذا الـكتاب عن تاريخهـا للأستاذ عبد القدوس الأنصاري . فاذا ما أردنا أن نبحث عن الـكتب القديمة أو الحديثة المؤلفة عنها لا نجد أمامنا عنها سوى كتيب صغير ـ ولعله الوحيد ـ ونعنى به كتاب (السلاح والعُدة في فضـل ثغر جُدة) ومع ذلك فهو قاصر عـلى ايراد المأثور من فضائلها كما نفهم ذلك من عنوان الكتاب .. وطبيعى ان هذا النوع من الكتب لا يمكن أن يندرج في عداد الكتب التاريخية .

ومن أجل ذلك ظلت الحاجة ماسة جداً الى ظهور كتاب شامل مستوف عن تاريخ مدينة جُدة يتناول بالشرح المستوعب ماضيها العريق .

والواقع ان هذا ما قام به مؤلف (تاريخ مدينة جُدة) بل قام بأكثر من ذلك ، وهو أن كتابه هذا الضخم لم يقتصر على التاريخ الماضى وانما أضاف اليه بالنسبة لهذه المدينة لمحات من تاريخها الحديث .

ولست أشك في أننا اذا نظرنا الى ضخامة هذا الـكتاب والى موضوعاته الكثيرة المنوعة .. ثم نظرنا الى انعدام المصادر الخاصـة بمدينـة جُدة بالذات ، والى ضآلة ما ذكره عنها المؤرخون والرحالة في كتبهم العامة ، وفي رحلاتهم ، اذا نظرنا الى كل ذلك ، أدركنا أى جهد شاق ، وأى ارهاق تحملهما مؤلف الكتاب .

ثم ان نظرة عابرة الى قائمة المصادر الواردة في آخر الكتاب ، وقد تجاوزت مائة كتاب .. عدا ما احتاج المؤلف الى مراجعتـه من وثائق ومن تقـارير رسمية ومن صحف ومجلات ، ومن كتب باللغات الأخرى ، الى جانب من استفاد من معلوماتهم من رجال موثوقين أورد لنا أسماءهم في كتابه ـ هذه النظرة تزيدنا يقيناً بأن الكتاب بذل فيه مؤلفه من العناء ما يمكن أن يتوزع على عدد من الباحثـين ، ويبقى بعـد ذلك هذا العناء ظاهراً وملموساً .

ونحن حينما نطالع هذا الـكتاب في صـفحاته السبعمائة مستعرضين فصـوله فصلا فصلا ، تلفت نظرنا لأول وهلة هذه الطريقة الفاحصة والناقدة في كل فصل من هذه الفصول ، ولو أراد المؤلف أن يريح نفســه بعض الشيء لاكتفى بمجـرد السرد للأحداث والوقائع برواياتها المتعددة ، ونصوصها المتباينة . وحسب الكتاب بعد هذا ميزة وأهمية ، أنه الكتاب البكر في موضوعه الذى جال فيه . وله في ذلك أسوة وأيَّة' أسوة بالكثيرين من المؤرخين .

غير أنه في حرصه على أن يلتزم المنهج التاريخي الحديث مضى في كتابه يبحث ويستقصي ويوازن ويستنتج ويفحص ويرجح .. وهو حين يرجح رواية من الروايات لا يكتفى بمجرد الترجيح وانما يبدي لك ترجيحه ومعه الدليل .

★ ★ ★

شيء آخر أراه قد حرص عليه مؤلف كتاب « تاريخ مدينة جُدة » ، أيضاً ، مما زاد كتابه طرافة وجِدة وشمولا ، وهو أنه لم يقصر تاريخه على أحداث السـياسة وأخبار الوقائع والحروب والفتن وما اليهـا ، وما يستتبع ذلك من الاقتصـار على تواريخ الحكام . كما هو العهد في أغلب كتب التاريخ ، وخاصة القديمة منها .. وانما حرص المؤلف كل الحرص على أن يؤرخ لنا ـ الى جانب التـاريخ السـياسي لمدينة جُدة تاريخها الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعمراني ، هذا عدا ما أفاض فيه حديثه عن عادات المدينة وتقاليدها ، وعن الآثار والفنون فيها ، وعن تشكيلاتها الحكومية الحاضرة ، وغير ذلك مما تزخر به فصول الكتاب .. ولعل من أطرف بحوث الكتاب : بحثه عن الأسماك .. وما ذكره من أنواعها ، وأثبته من صُوَرِها .. مما لم يسبق أن ضمه كتاب آخر من كتب العلم أو كتب التاريخ ، فيما نعلم ..

★ ★ ★

وفي أول فصول الكتاب يبدأ المؤلف بالبحث عن الوضع الجغرافي لمدينة جُدة .. في أربع عشرة صفحة وفي عرض شائق ومستوعب ، بعيداً عن أي جفاف يصحب عادة أمثال هذه الموضوعات . ثم يتبعه فصل عن التطور العمراني لمدينة جُدة منذ أول نشأتها حتى اليوم ، ففصل عن أصل تسمية مدينة جُدة يورد لنا فيه الأقوال المختلفة عن هذه التسمية لبعض القدماء والمعاصرين .

وفي فصل يعقده عن دلائل قدم جُدة ، يستخلص من أقـوال المؤرخين أنها من أقدم المدن ، فهي من بناء الفرس ، وكانت معروفة ومأهولة منذ القرن الثاني قبل الميلاد .

كما يستنتج مما وجد فيها من أصنام وتماثيل ، أنها ـ أي جُدة ـ شهدت منذ القدم ازدهاراً عمرانياً وثقافياً واجتماعياً واقتصاديا أصابه ما أصاب سواه من الاندثار ، لعوامل قد يكون من بينها الجفاف العام الذى سيطر على بلاد العرب في سالف الحِقَب ، أو اجتياح الغزاة الطامعين في ثرائها ، أو احدى الآفات السماوية التي يسلطها الله عز وجل على من طغى وبغى من عباده من الأمم السالفة والخالفة . وبذلك أصبحت جُدة القديمة ذات المدنية الزاهرة أثراً بعد عين . ولكن صيتها بقى عالقاً في الأذهان الى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

★ ★ ★

ثم ينتقل بنا المؤلف الى فصل آخر عنوانه : « في مرآة التاريخ » يستعرض لنا فيه ما صَوّر به المؤرخون والجغرافيون « جُدة » كل من زاويته منذ القرن الهجري الثالث حتى اليوم ..

وفي فصل بعنوان : « بين عوامل الحرب والسياسة » يذكر لنـا كيف ان جُدة خاضت معارك الحرب والسياسة في الحجاز كلما دعاها داع .. وكيف انها كانت بالنسبة للأحداث والتقلبات في الحرمين الشريفـين خاصـة والحجـاز عامة ، مثل « الترمومتر » الذى يتأثر بتقلبات الجو بين انخفاض وارتفاع .. ويعقب على ذلك بقوله : كيف لا تكون ـ أى جُدة ـ كذلك وهي رباط الحجاز وثغره الأول ؟

وفي فصله عن « السكان » يذكر أن أول من سكنها في أيام الجاهلية فُرس وعرب جاءوا من نوا ح مختلفة وربمـا كان معهم فيهـا أناس من الصـومال ، والحبشـة واليونان ، والرومان ، وغيرهم .. ونحن مع المؤلف الفاضل في هذا الذى أشار اليه عن الفرس والعرب ، وكذلك عمن ورد الى جُدة من الصومال والحبشة لقربهما .. ولكن بالنسبة لليونان والرومان لم يذكر لنا ما استند اليه في ذلك ، وفقاً لما تمشى عليه في سائر فصول الكتاب ..

وليس من شك في أن من أمتع فصول الكتاب مما لم يسبق أن ضمه كتاب آخر ـ الفصل الذى خصصه بالحديث عن قصة الماء في جـُدة . وقصة الماء في مدينة جـُدة قصة أسطورية ـ ان جاز لنا هذا الوصف ، ولذلك فهي خليقة بعناية المؤرخين والكاتبين .. ان هذه القصة تـُطلعـُنا الى أي حد بعيد كان ايصال الماء الى مدينة جـُدة من وادى فاطمة المشهور ، فاتحة عهد مزدهر لهذه المدينة العريقة لم تشهد له في أى عهد من عهود ازدهارها مثيلا ، والى أى حد كان ما أسداه الى هذه المدينة جلالة الملك الراحل عبد العزيز رحمه الله عملا ضخماً ورائعاً وجليلا .

وفي الفصل الذى عقده «للمجتمع في جـُدة » نقرأ كيف كان هذا المجتمع يتأثر صعوداً وهبوطاً بالظروف السياسية المحيطة بها من قريب ومن بعيد .. شأنه شأن أي مجتمع آخر لا بد له من أن يتأثر بما يجرى حوله من الأحداث . وفي هذا الفصل يتحدث الينا عن أبرز السمات والصفات التى تصاحب المجتمع في جـُدة . فيذكر فيما يذكر ، انه مجتمع تغلب عليه النزعة التجارية ، فهى على الرغم من ندرة الماء العذب فيها قبلا .. ووقوعها على شاطىء بحر ملح أجاج ، لم يثن أهلها ذلك عن طلب الثراء بالكدح والسعي الحثيث عن طريق تعاطى التجارة المحلية ، والتجارة الخارجية، وتوزيع سلع هذه التجارة الى الداخل والخارج ، مما يذكرنا ـ كما يقول المؤلف ـ بالفينيقيين أيام ازدهار تجارتهم ونشاطهم في مختلف أنحاء العالم القديم .

وهو هنا يصف المجتمع التجاري في جـُدة بأنه مـُتحل بكل الصفات التى يتحلى بها كل مجتمع تجاري من تفكير هادىء ، وصبر وحذر وتكتم .. الى آخره .. ومن رأيه أن المجتمع التجاري من هذه الناحية قريب من المجتمع الزراعي ، ومن هنا تتشابه أوضاع أبناء المدينة المنورة وأبناء جـُدة ، وتتقارب سماتهم وطباعهم .

ولنا تعليق على هذا الذى يراه الأستاذ المؤلف .. وتعليقنا هو أنه ليس كل أبناء جـُدة يمارسون التجارة كما هو معروف بل يوجد بينهم من يمارس مختلف الأعمال الأخرى من حكومية وأهلية ، ومن أعمال صناعية ، ومن قيام بخدمة الحجاج . وما يقال عن جـُدة من هذه الناحية يقال عن المدينة المنورة أيضاً .. ويقال مثله كذلك عن مكة المكرمة .. اذن فهذا التشابه الذى ارتآه الأستاذ لا أظنه يخص جـُدة والمدينة المنورة فقط . بل لا مشاحة في أنه يسري أيضاً على مكة المكرمة ، نظراً لتشابه المدن الثلاث في احتوائها على كل هذه الأصناف من الأعمال مع اختلافها وتباينها .

★ ★ ★

وبعد هذا فسيطول بنا الحديث جداً اذا ما أردنا أن نشير الى البقية من فصول هذا الكتاب .. وأخص بالذكر من هذه الفصول الفصل الممتع عن « العادات

والتقاليد » وكذلك الفصل الخاص بالكيان الاقتصادي .. ولا أنسى أيضاً الفصل القيم عن الحكام وغيره من فصول كل منها ممتع ، وكل منها مفيد .

نعم سيطول بنا الحديث ويطول ولا أظن الحيز المحدد لهذا المقال ، أو الذى يجب أن يكون محدداً له في « قافلة الزيت » الغراء ، يسمح لنا بأي مزيد .



تعقيب من مؤلف « تاريخ مدينة جُدة »

مع تقديرنا الجم لما كتبه الأستاذ محمد سعيد العامودي عن كتاب « تاريخ مدينة جُدة » رأينا أن ناتي بالتعليقين التالين على ملاحظتيه ، شاكرين له ومقدرين كل التقدير .. ما صاغه من قلائد التحليل لكتاب « تاريخ مدينة جُدة » ببيانه الناصع وأسلوبه الرائع .. فنقول :

أولا ــ عن تساؤله في مستندنا عن سكنى جاليات أو أفراد من اليونان والرومان بجُدة .. في جاهليتها العريقة .. نوجه النظر أولا الى أننا لم نجزم بحدوث سكناهم بها .. وانما قلنا باحتمال حدوث ذلك فقط اذ قلنا : (وربما كان معهم فيها أناس من الصومال والحبشة واليونان والرومان وغيرهم) .. فصيغة (ربما) تورد لامكان حدوث الشيء لا للجزم بحدوثه .. كما هو معروف في علم اللغة والقواعد .. ومع ان امكان حدوث الشيء أعلى درجات الشك في حدوثه .. فهي أي (ربما) ــ تحمل عدم استبعاد الحدوث فقط ، وان من القرائن التاريخية ما يؤيد حدوث هذا الاحتمال فكما كان بمصر اذ ذاك من أبناء اليونان والرومان لا يستبعد أن يوجد مثلهم ومنهم في جُدة المزدهرة وقد رأينا بعض أفرادهم وجواليهم تقيم فيها وتتاجر .. منذ عصر مضى من عصور الاسلام حتى الآن .. ومن القرائن التاريخية ما ذكره كُتّاب السيرة والتاريخ من قدوم سفينة محملة بالتجارة في بحر القلزم وانكسارها بالشعيبة أو بجُدة وحمل النجار (الرومي) الذى كان بها مع من بها من الرومان . ومعلوم أن الشعيبة اتخذت ميناء لمكة بعد اتخاذ جُدة .. أولا ، وقبل اتخاذها أخيراً .. وما صح على المثل يصح على المماثل .. والأصنام التى نبش عنها عمرو بن لُحَيّ بجُدة « ربما » يكون ناحتوها هم الرومانيين أبناء روما القدماء والرومان هم أقدر الناس على النحت ولا يزال الايطاليون تقيم منهم جالية بجُدة حتى الآن .. كمهندسين وكهربائيين .

هذا من ناحية الرومانيين ، أما اليونانيون فالحديث الذى رواه لنا كتاب « الأخبار الطوال » من قطع الاسكندر المقدوني للبحر صوب بلاد المغرب من جُدة ، تجعلنا لا نستبعد أن بعض اليونانيين كانوا بها يوم قَدِمها ، وبقوا بها بعده .. وقد يكون بعضهم هو الذى أغراه بالقدوم اليها واجتياز البحر الأحمر منها .. وقد رأينا المستشرق « بوركهارت » بالقرن الثالث عشر الهجري يتحدث لنا عن الجالية اليونانية المقيمة بجُدة في زمنه ولا يزال بعضهم بها حتى اليوم ٠

وقصة (بُعد الشُقة) التى أشار اليها الأستاذ محمد سعيد العامودي لا تقف عائقاً ولا حاجزاً عن الاقامة بأي بلد .. فالفينيقيون واليونان والعرب أقاموا بأماكن نائية بعيدة الشقة بالنسبة لمواطنهم الأصلية ..

ثانياً : ويقول الأستاذ : (انه ليس كل أبناء جُدة يمارسون التجارة بل يوجد بينهم من يمارس مختلف الأعمال الأخرى من حكومية وأهلية ومن أعمال صناعية ومن قيام بخدمة الحجاج ، وما يقال عن جُدة من هذه الناحية يقال عن المدينة المنورة أيضاً ويقال مثله عن مكة المكرمة .. اذن فالتشابه الذى أثاره الأستاذ (أى مؤلف الكتاب) لا أظنه يخص جُدة والمدينة المنورة فقط ، بل لا مشاحة في أنه يسري أيضاً الى مكة المكرمة نظراً لتشابه المدن الثلاث ، في احتوائها على كل هذه الأصناف من الأعمال مع اختلافها وتباينها) ٠

ونقول : أما انه (ليس كل أبناء جُدة يمارسون التجارة) فقد احتواه الكتاب ونص عليه .. ففي الصفحة (١٨١) منه ما نصه : « ومن أهل جُدة من ربط معيشته بعالم الوظائف الحكومية المختلفة فكان منهم محتسبون ورؤساء بلديات ، وموظفون عموميون في العهود الخالية ، وفي كتاب « حجاز ولايتى سالنامه سي » التركي لسنة ١٣٠٦ هـ أسماء كثير من أهل جُدة الموظفين بالحكومة في مختلف الأعمال ، أثبتنا أسماءهم في « فصل الحكام » ٠٠ ومن أهل جُدة من اتخذوا المهن والحرف التقليدية طريقة لمعيشتهم وذلك كصناعة صيد السمك أو صناعة بناء السفن الشراعية ما بين كبيرة وصغيرة ، وعصر الزيوت وصنع الملابس ، والتنجيد والخياطة ، وطهو الأطعمة وصنع الحلوى ٠٠ ومنهم من امتهن صنع العربات واتخاذ مراكب الحمير وغير ذلك مما كان يعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة اذ ذاك » ٠٠ ومنهم من اتخذ وكالة مطوفي مكة ، مهنة لهم ، يتعيش من دخلها ٠٠ وهذه الطائفة هم المعروفون بالوكلاء ولهم نظامهم وتقاليدهم ٠٠ وفي كتاب (المكالمة) لاحمد الطيب المكي المطبوع بالهند في أواخر القرن الهجري الماضى كثير من التعريف بأوضاعهم

وتقاليدهم وأحوالهم ٠٠ وهناك عمال البحر ومرشدوه وحـُمـَّاله ٠٠ وهم طائفة أو طوائف » ووجود كل أولئك بجـُدة لا يعني نفي « غلبـة النزعة التجارية على جـُدة عبر التاريخ » حسب ما ورد في الكتاب أيضاً ٠٠

فمثلا : المدينة المنورة فيها مثل أولئك وغيرهم ولكن النزعة الغالبة عليها عبر التاريخ هي الزراعة ولم نقل ذلك من عندياتنا ٠٠ فقد أشار اليه أحمد بن سهل أبو زيد البلخي المتوفي عام ٣٢٢ هـ في كتابه المخطوط الأثري : (ذكـر المسـافات والأقاليم) وأشار اليه البشاري بعده ، وناصر خسرو : في كتـابه : (سـفرنامه) المترجم الى العربية حديثا ، وأشار اليه ابن المجاور في كتابه المطبوع بأوروبة ٠٠ والحميري في (الروض المعطار) ٠٠ ثم حدثنا المرحوم محمد صالح بن علي باعشن في مذكراته الخطية عن شيء من ذلك في القرن الثالث عشر الهجري نقلا عن والده ، وأيده هو ٠٠ وحدثنا البتنوني بعظم التجارة في جـُدة حتى أن من تجارها من هو مليوني (مليونير) لا في الريالات ولا الدولارات ولكن في الجنيهات الذهبية البراقة .. وكيف لا تغلب النزعة التجارية على أهـل جـُدة وهي باب الحرمين ٠٠ وكل ما يرد الى مكة المكرمة بحراً يردها من طريقها ، فـَتـُجـّار جـُدة بالنظر لهذا هم أساس تجارة مكة ومصدرها الأكبر منذ صدر الاسلام ، وهم منهم بمثابة الأصل من (الفرع) والفرع من (الأصل) ٠ وفي فتاوى الشيخين عبد الحفيظ العجيمي ومحمد طاهر سنبل ما يدل أيضاً على هذا ٠

ومعنى غلبة النزعة التجارية هي ميل ذوى الطموح والثراء الى استثمار طموحهم وثرائهم في شؤون التجارة الاستيرادية الميسورة لهم من شتى بلاد العالم لاتصالهـا بحريا بهم ٠٠ ولغلبة هذه النزعة التجارية على محيطهم رأينا بعض علمائها تجـاراً مرموقين ٠٠ مثل الشيخ ابراهيم عبد الفتاح في القرن الهجري الثالث عشر ٠ ومثل الشيخ عبد الرحمن أبو حجر المالكي في هذا القرن ٠

وكانت النزعة التجارية تغلب على مكة المكرمة في عصر الجاهلية .. وفي صدر الاسلام رأينا المهاجرين من أهل مكة بالمدينة المنورة البلد الزراعي العريق ، رأيناهم يمتهنون التجارة التى تغلب عليهم في جاهليتهم فينجعون ويربحون ويثرون .. واستمر ذلك بمكة حتى عهد الأتراك فغلبت عليهم نزعة أغراهم بها القائمـون بالأمر اذ ذاك ، كمـا أغروا بها أهل المدينة المنورة بسبب أو آخر ٠٠ وهي الاعتماد على الوظائف والمعاليم والصرر والتطويف والدلالة والمبرات ٠ ولكن جـُدة خـرجت من هـذا النطـاق ٠٠ فتمسكت في أغلبية الطامحين بها ، بحبل التجارة في ايراد أو في تصدير ٠٠ وبنت في ضباب القرون الخالية أساطيل السفن الشراعية لتجوب البحـار حاملة لأهلهـا

ومواطنيهم تجاراتهم ، وحاملة عن أهلها وعن مواطنيهم تجاراتهم ٠٠ عبر البحار ٠٠ ولا يزال زمام التجارة في مكة والمدينة بيـد تجار أهل جُدة حتى اليـوم ٠٠ وقـد نافستها في بعض السنين الغابرة ينبع البحر نوعاً ما ، ثم تأخرت عنها ٠ وليس معنى غلبة التجارة على أهل جُدة ، نفيها عن أهل مكة والمدينة ٠٠ ففى هاتين المدينتـين قديماً وحديثاً تجار كبار ٠٠ ومكة أعرق بلاد الحجاز في التجـارة خاصـة في أيام الجاهلية القريبة من الاسلام ٠ وللمكيين رحلتان تجاريتان معروفتان الى شام ويمن ٠٠ وأخيراً نكرر التقدير والشكر للأستاذ ازاء ما أبدى وازاء ما لاحظ والحقيقة دائماً بنت البحث الصافي منبعاً ومصباً(*) .

عبد القدوس الأنصاري

■□■

(*) جاء في آخر طبعة هذا البحث من الكتاب المذكور آنفا : كتاب « من تاريخنا » ما نصه :
(١) تفضل الأستاذ الكريم عبد القدوس الأنصاري بنشر تعقيبه هـذا القيم في مجـلة « المنهل » الغراء عدد محرم ١٣٨٤ هـ بعد اطلاعه على الفصل الذى كتبه المؤلف عن تاريخ مدينة جُدة .

■ عن كتاب « من تاريخنا » للأستاذ الرائد الكبير الصديق محمد سـعيد العامودي ، من ص١٥٧ الى ص١٧١ ط. مطابع دار لبنان للطباعة والنشر سنة ١٣٦٧ هـ ■



تاريخ مدينة جُدة

في كتاب

« الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية »

يقول كتاب « الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية » للدكتور بكري شيخ أمين عن كتاب : « تاريخ مدينة جُدة » ما يلي نصه :

أما تاريخ مدينة جُدة للأنصاري ، فرائد في عمله • ذلك أن المؤلفات في مكة والمدينة ـ كما رأينا ـ كثيرة ـ أما جُدة فلم تحظ بشيء ذي بال من هذه العناية عند القدماء والمحدثين • ولعل ذلك يعود أكثره الى اكتفاء الباحثين بالكتابة عن البلدين المقدسين ، باعتبار أنهما الأساس والهدف والغاية • وكل ما كتب عن جُدة اما نتف مبعثرة في كتب التأريخ ، واما كلمات موجزة عابرة في كتب الرَّحلات ، أو فصول مقتضبة في المؤلفات الجغرافية ، لكن قَلَّ أن يفردلها كتاب خاص • وان كان ، فهو محشو بالفضائل والمناقب ، وشيء قليل لا يسمن ولا يغني، من ذكر حوادث غير متسلسلة ، وغير منسقة العرض ، وغير شاملة للتأريخ المنشود• لهذه الأسباب أرى أن كتاب الأنصارى رائد •

أما موضوعات الكتاب فهي : استعراض الوضع الجغرافي للمدينة ، ومناقشة تسميتها ، وتاريخها الاقتصادي والاجتماعي ، والعلمي ، والعمراني وعاداتها وتقاليدها ، وآثارها ، وفنونها ، ثم تشكيلاتها الحكومية ، وقضائها ، وعلمائها ، وأعيانها ، والتمثيل القنصلي والسياسي فيها ، وبلديتها ، ومساجدها ، وفنادقها ، وأمثالها العامية ، واللهجات فيها ، ومكتباتها العامة والخاصة ، وصحفها ، ومطابعها، وأحيائها ، ومتنزهاتها • وأنهى الكتاب بأدبها في القديم والحديث ، وأدبائها المعاصرين ، وأحيائها البرية والبحرية • وهذه الأبحاث استغرقت خمسمائة صفحة • بعدها خصص مائتي صفحة للفهارس المختلفة •

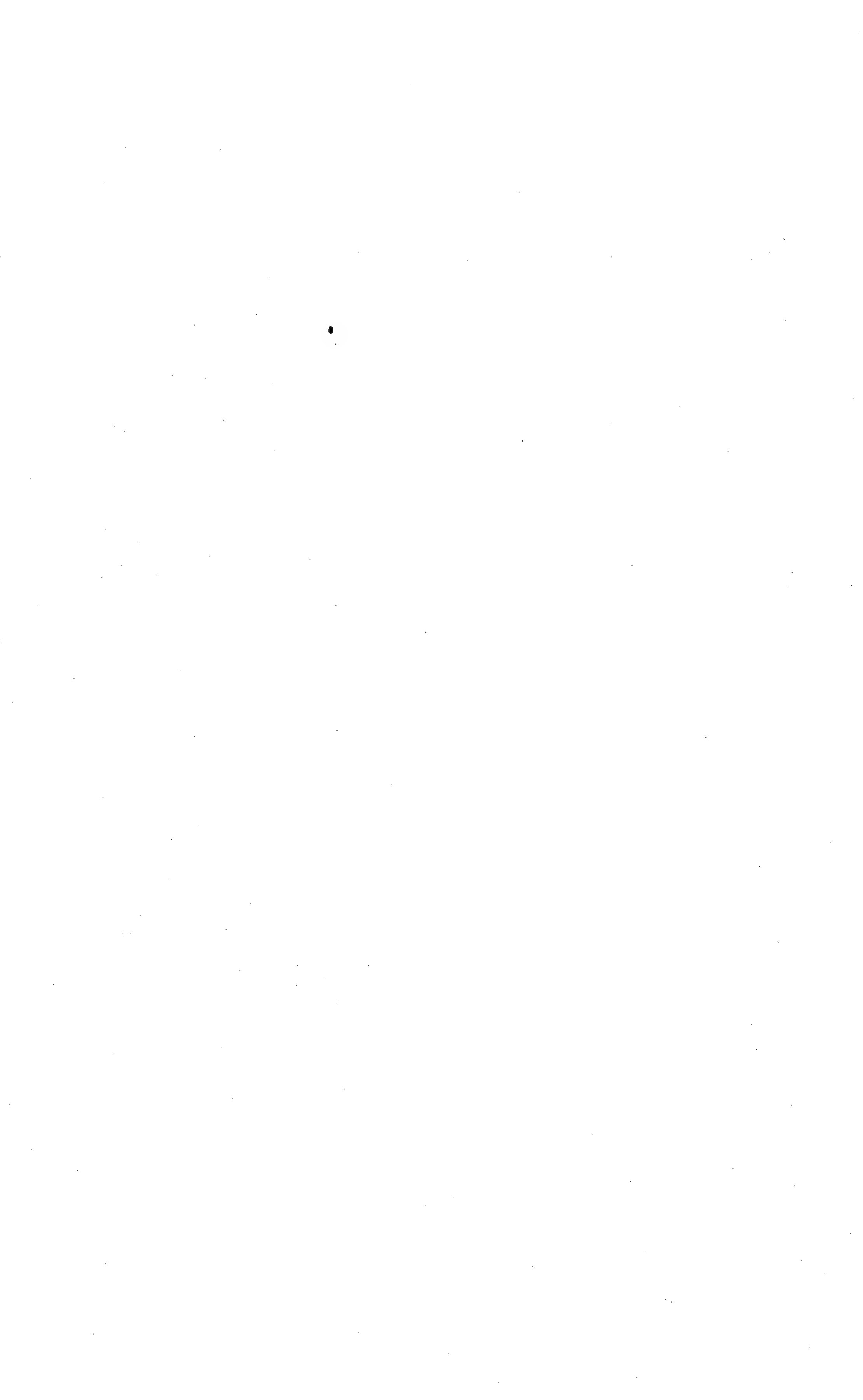
الخطة التي سار عليها المؤلف تقوم على استعراض ما قيل في بحث ما ، ومناقشته ، ثم الفصل بين الأقوال ، ولم ينس الاشارة الى المراجعوالمصادر في هوامش الصفحات ، ذاكراً ـ في أغلب الأحيان ـ اسم المؤلف والطبعة ، والبلد ، ورقم الصفحة التى ينقل منها • واذا كان المصدر مخطوطا دل عليه وأورد صفته ، ومكان

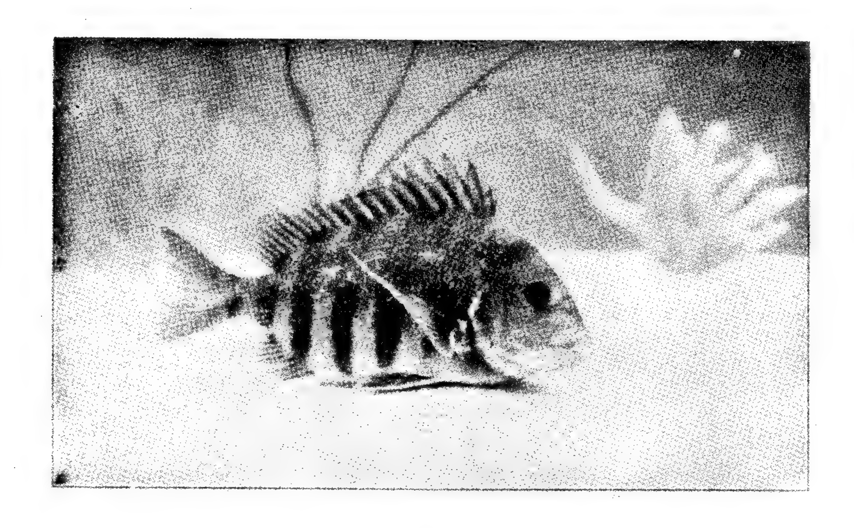
وجوده والصفحة التى يستشهد بها • وأحياناً اذا كانت مصادره شخصية يسميها • واذا كان المصدر هو المؤلف ذاته ذكر ذلك • ومع الاعتماد على الكتب العربية لم يهمل المؤلفات التركية • وهو محق بذلك • لأن الدولة العثمانية كان لها شـأن كبير في أمد مديد من الزمن ، بهذه البلاد • كذلك اسـتفاد من كتـابات الغربيين ، ودوائر المعارف المختلفة • ولا بد أن نذكر أنه اتبع في المصادر غير العربية ما اتبعه في العربية من مناقشة وترجيح •



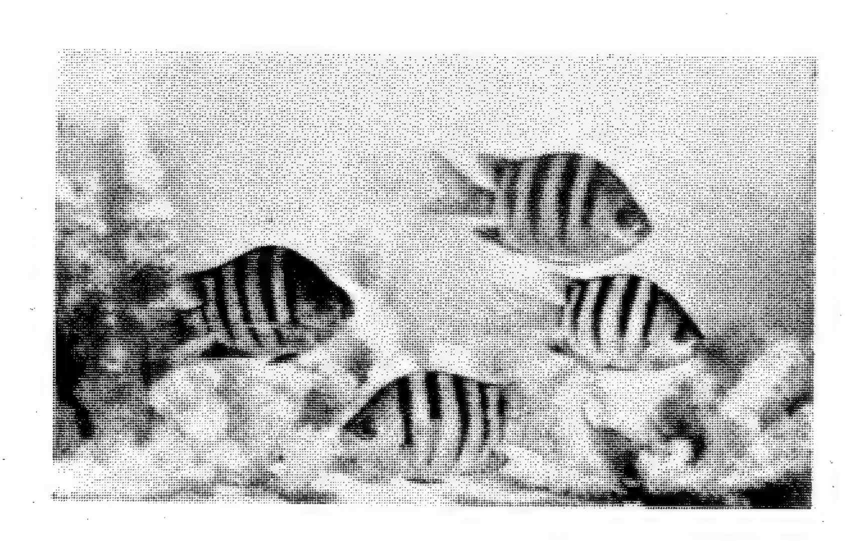


أسماك
بحر مدينة جدّة

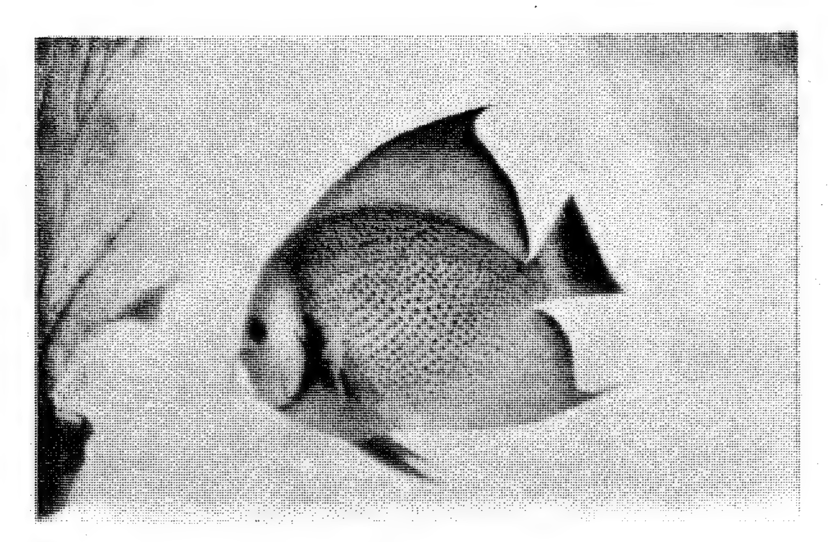




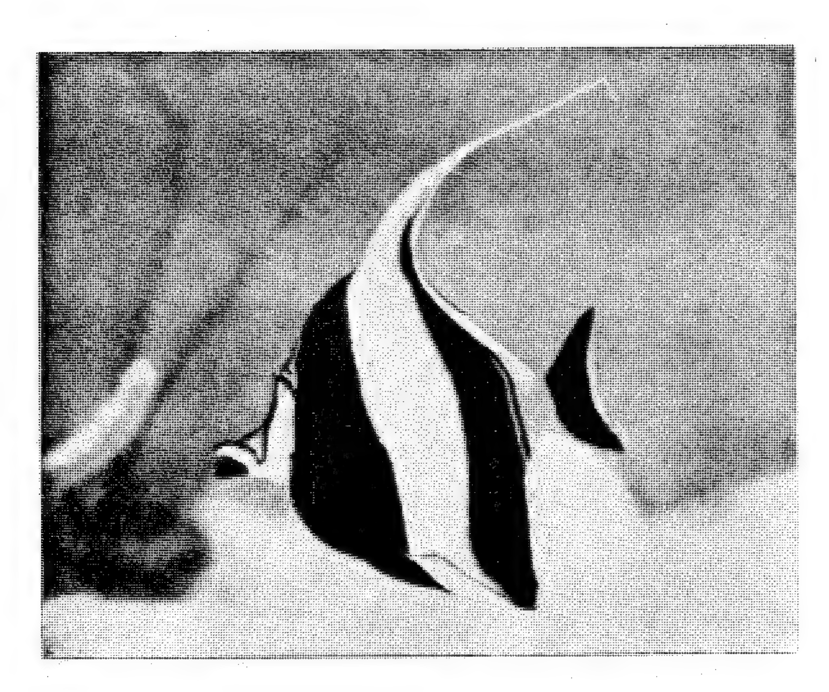
ابوبشيتن



ابوبَشْتِة



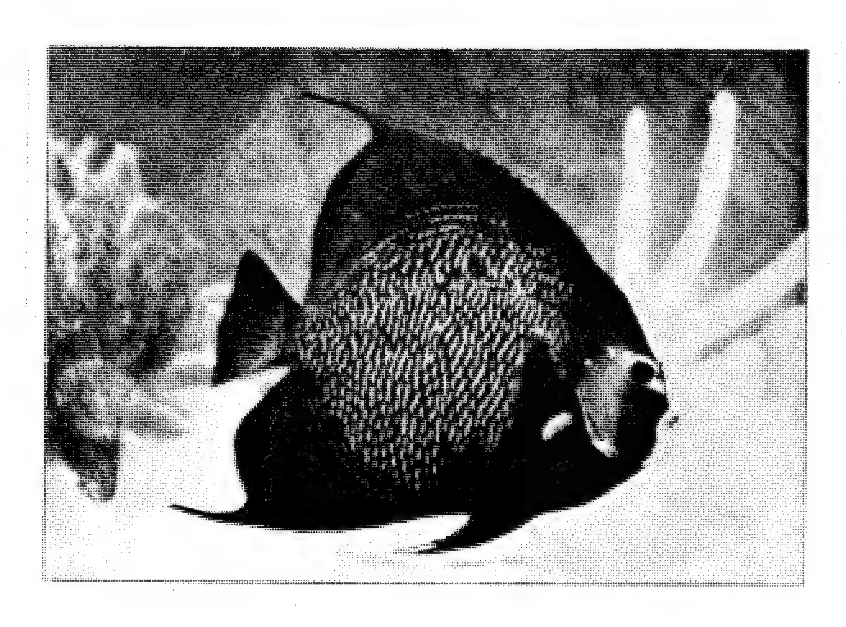
ابو بيرق



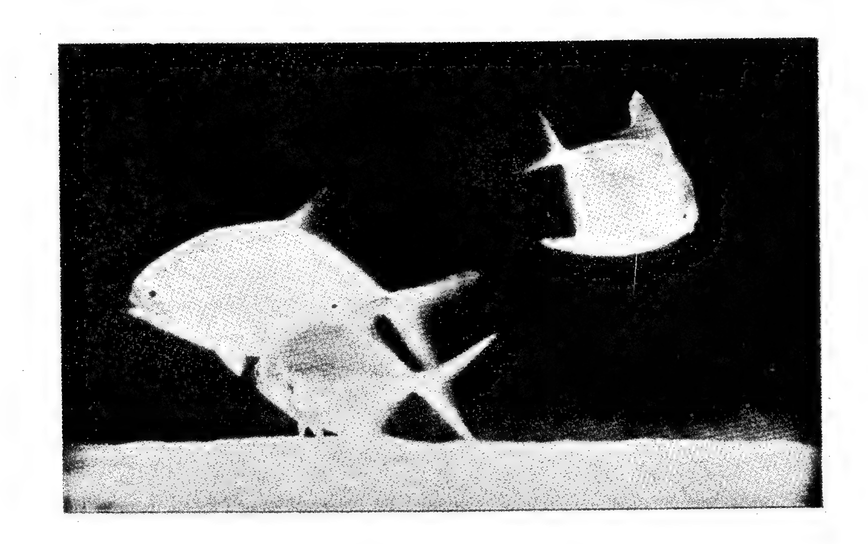
أَبُو بَيْرق



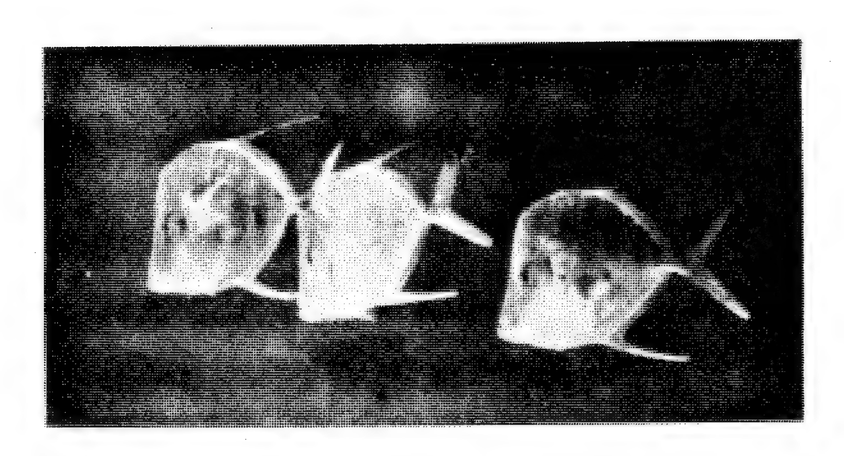
أَبُو بَيْرَق



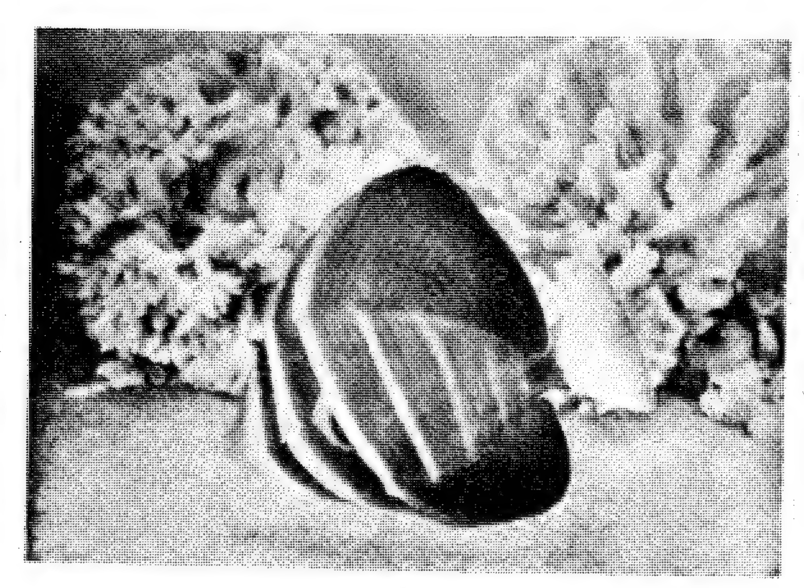
أَبُو بَيْرَق ـ من نوع آخر



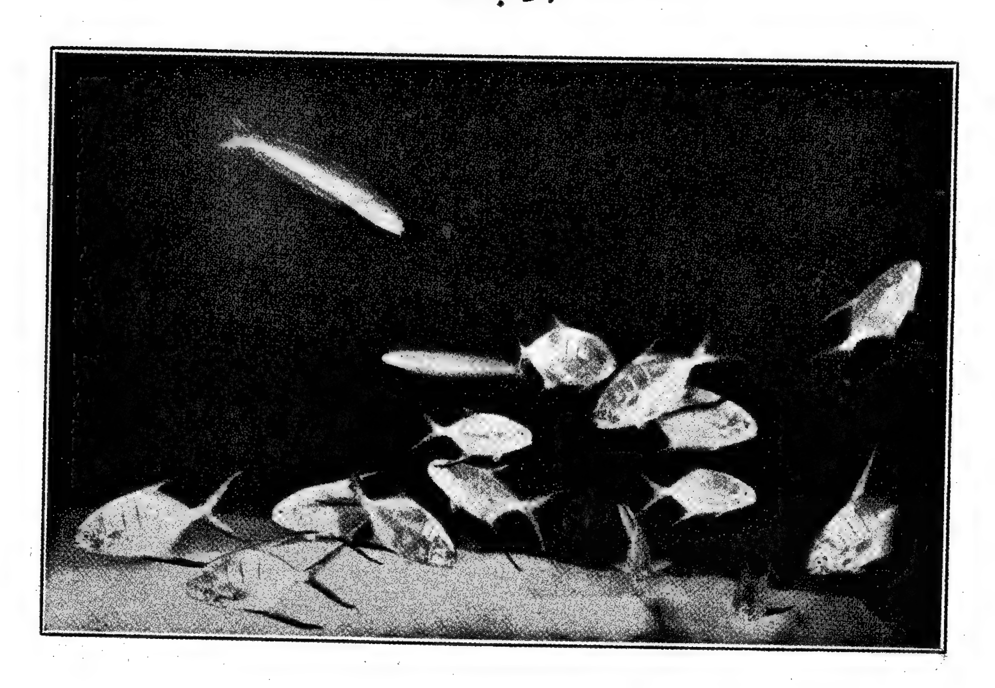
ابوتبسي



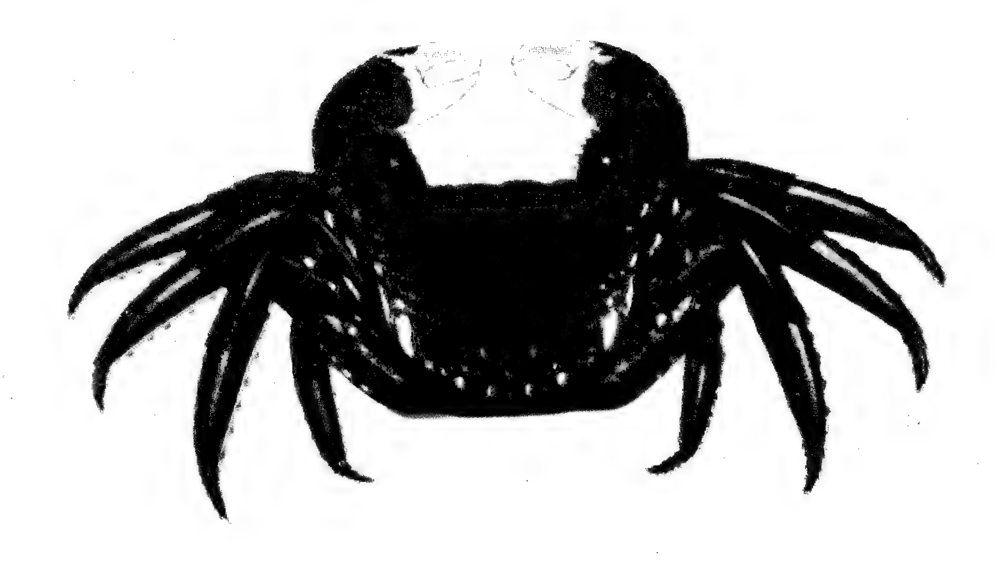
ابوتبسي



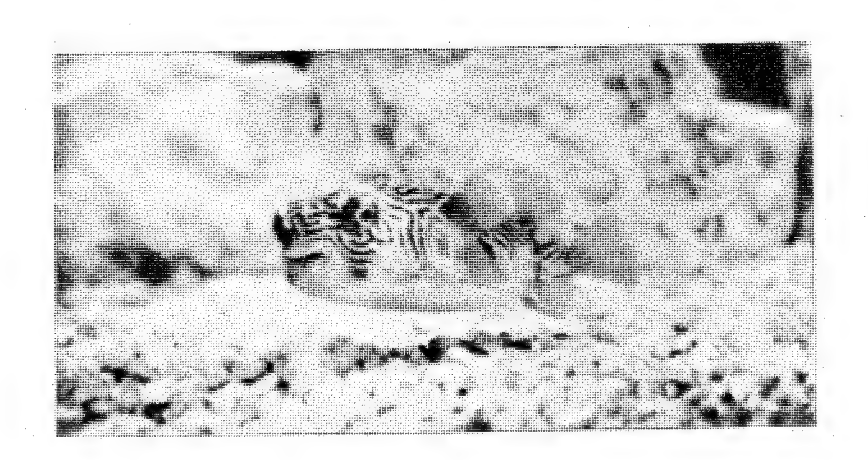
ابو تمباك



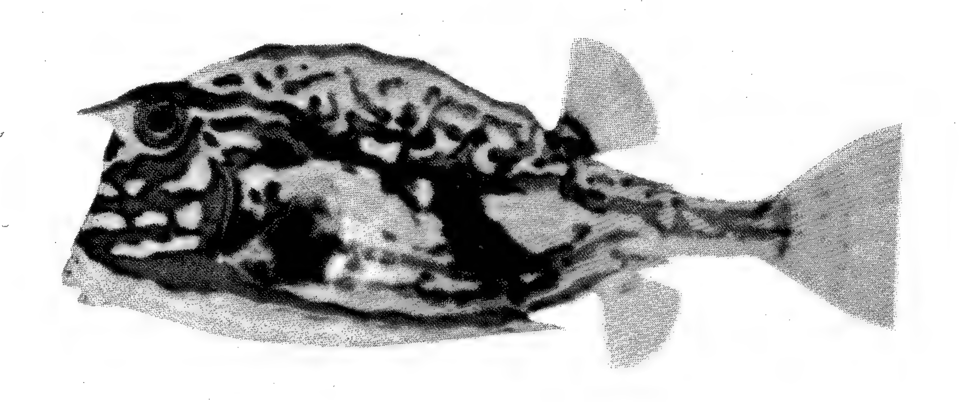
ابو تيس



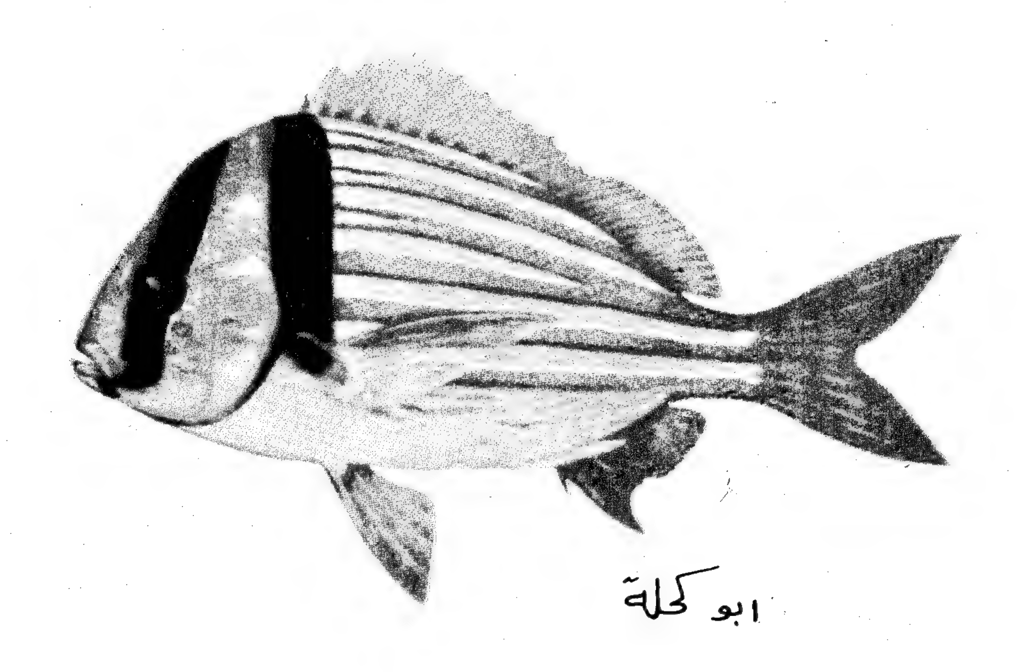
أبُوجَلمبُو



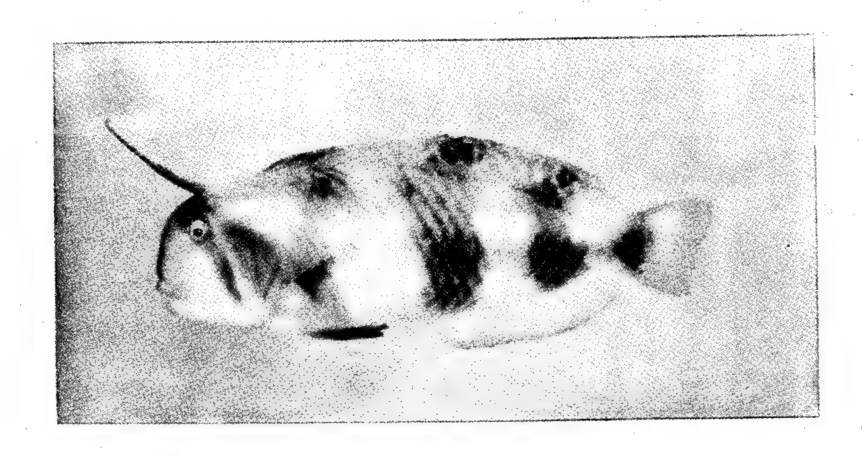
أبُوصندوق



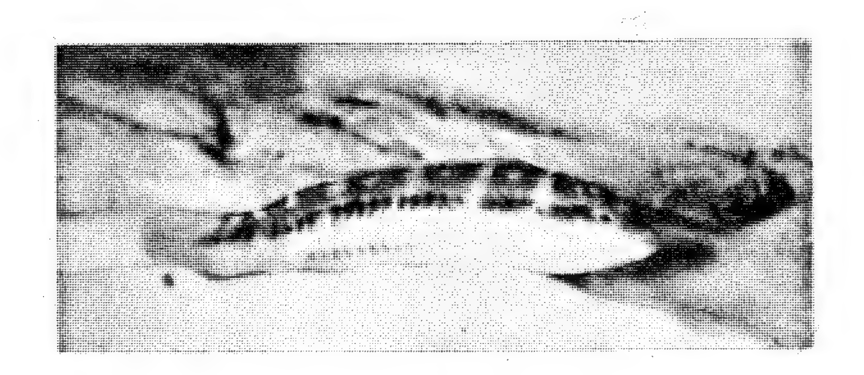
أبُوصندوق



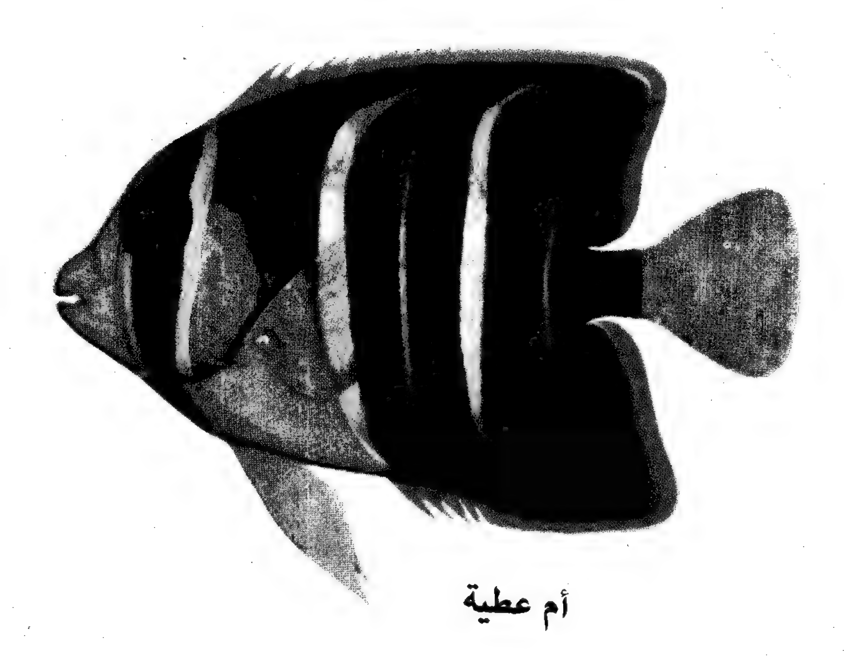
ابو كحلة



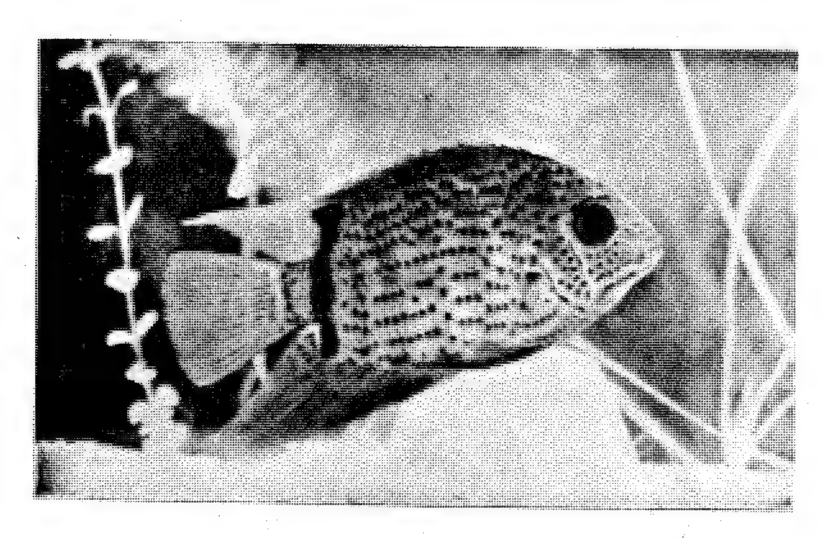
أبُومليص



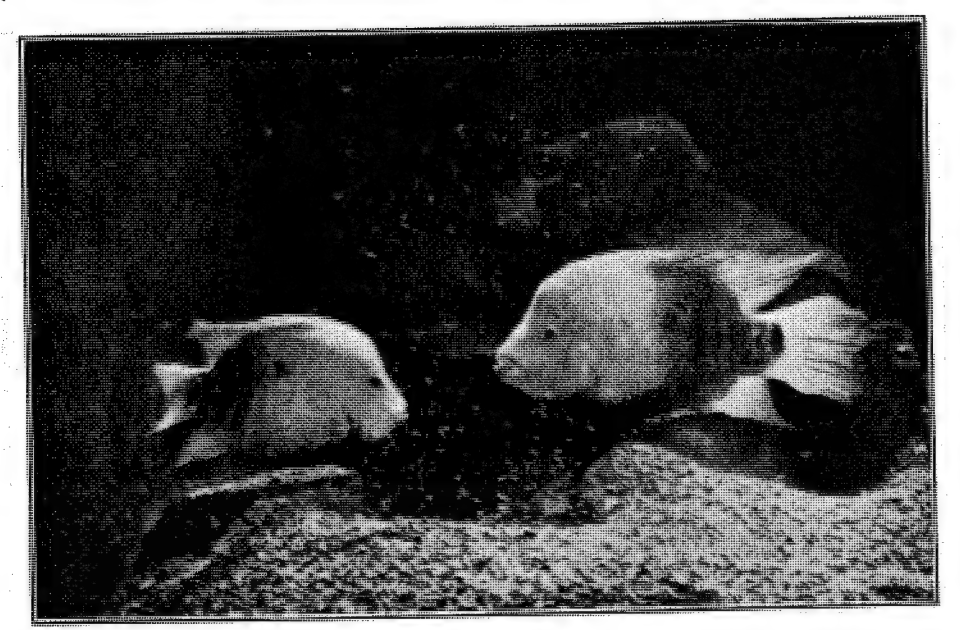
أبُومليص



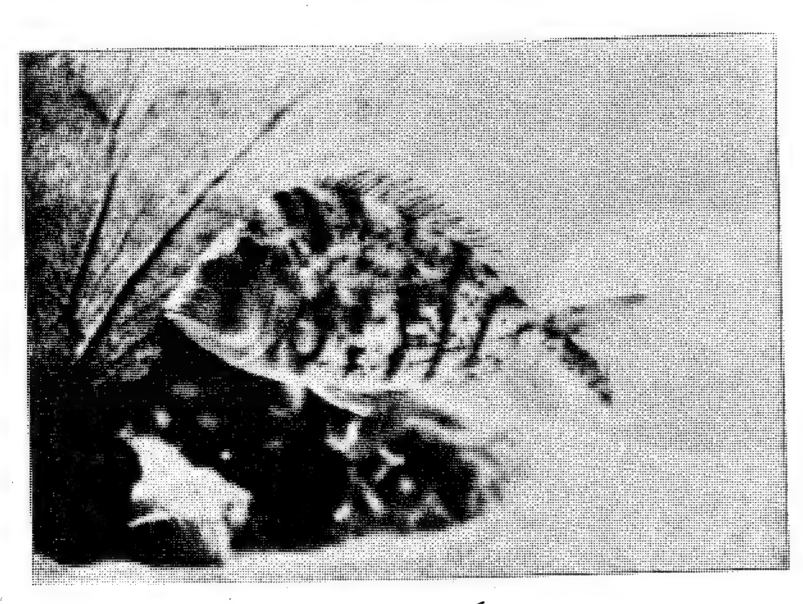
أم عطية



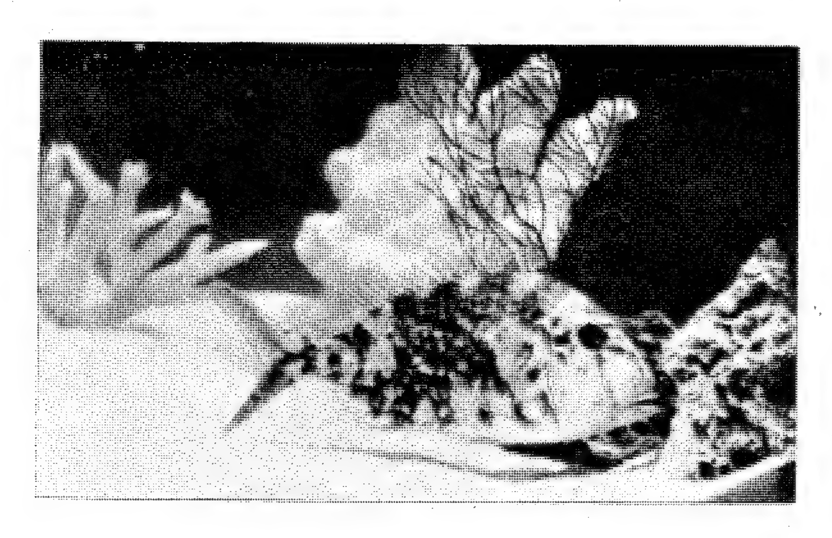
أُمّ مَعْطِيَة



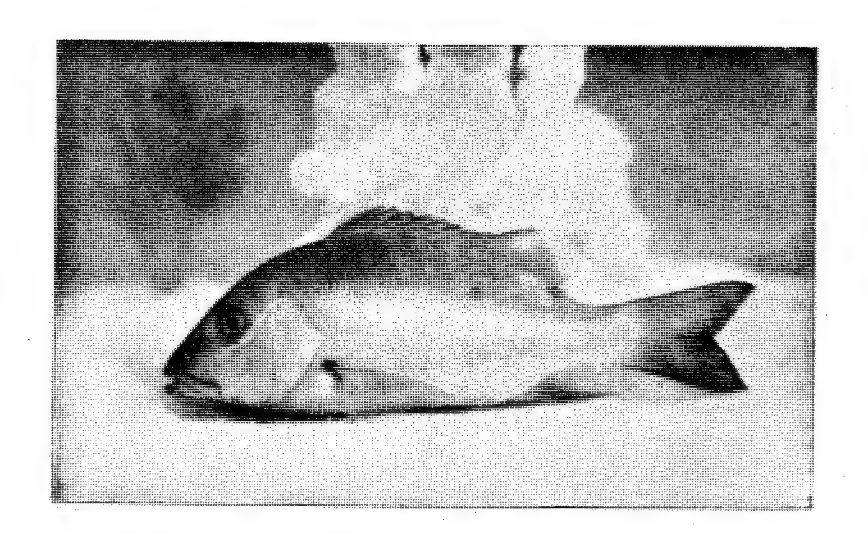
أم معطية ـ من نوع آخر



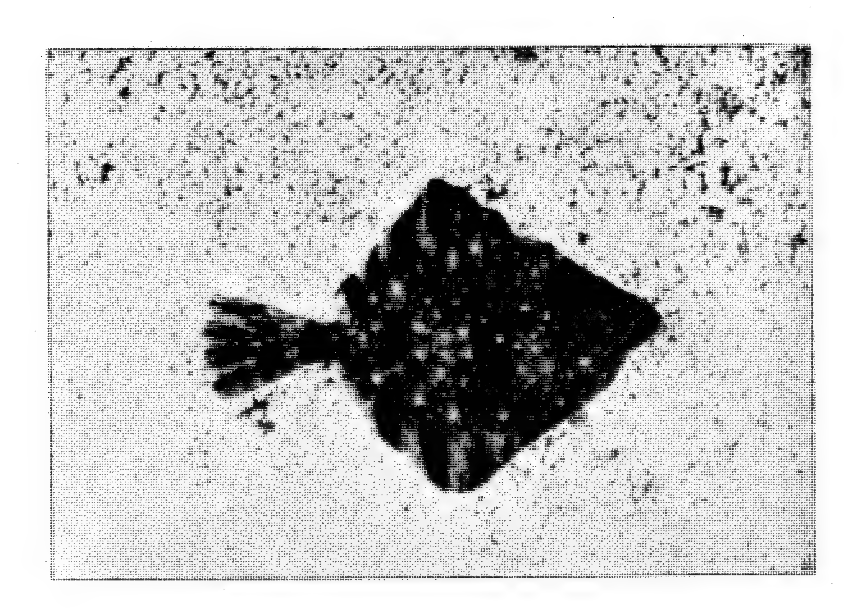
بَكَّاسْ ـ نوع من البياض



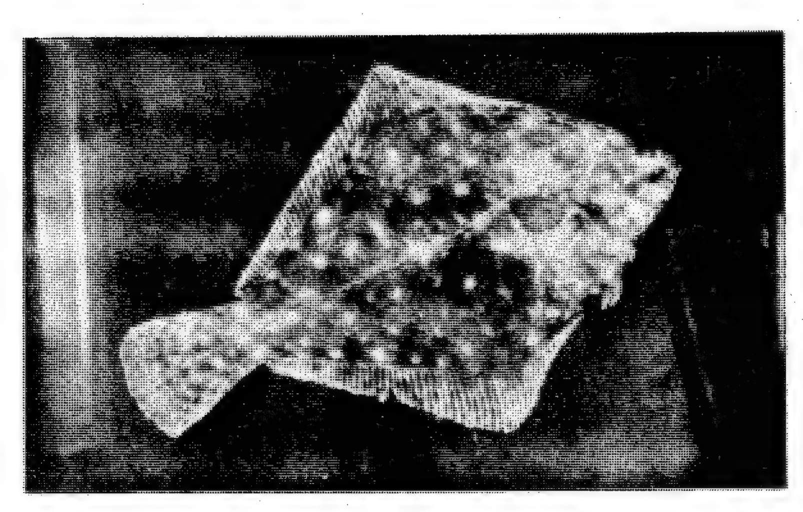
بَكَاسْ



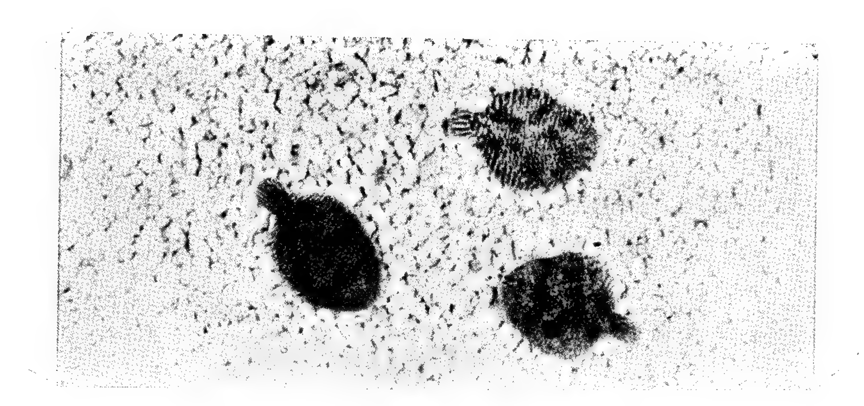
بَهَارَةْ



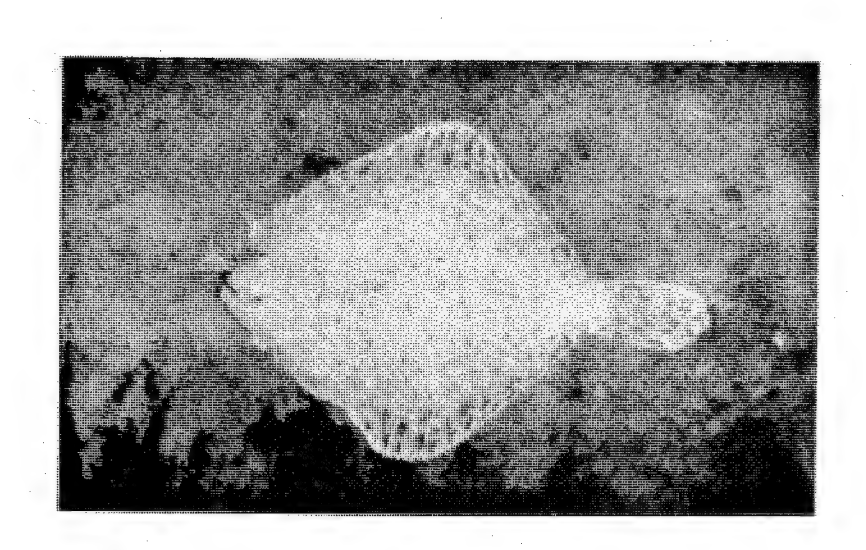
عصفور البحر



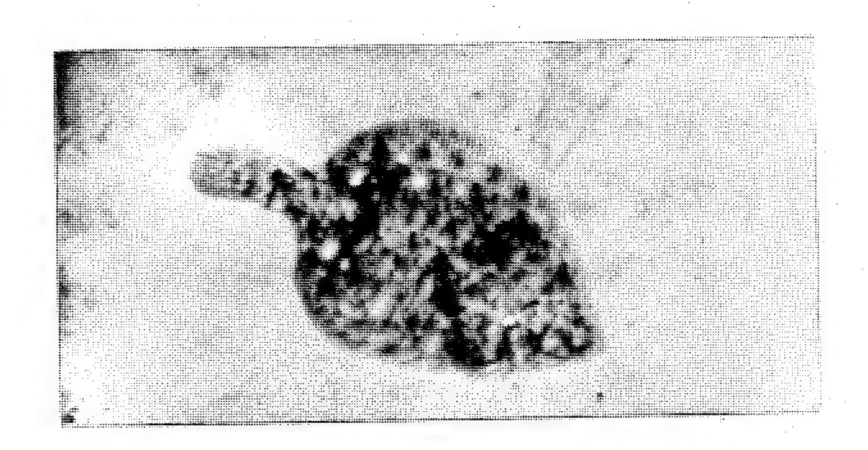
عصفور البحر



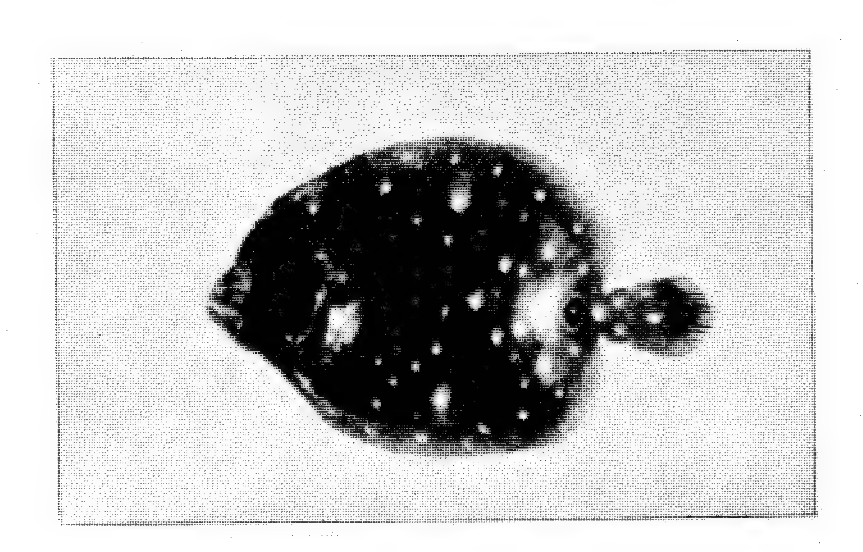
حُصْنِي البَحَرْ ـ من نوع آخر



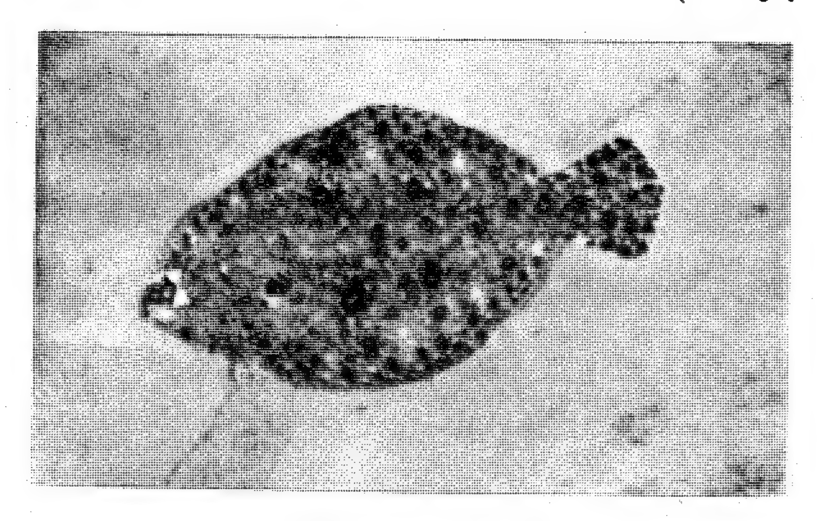
حُصْنِي البَحَرْ ـ من نوع آخر



حُصْنِي البَحْرْ - من نوع آخر

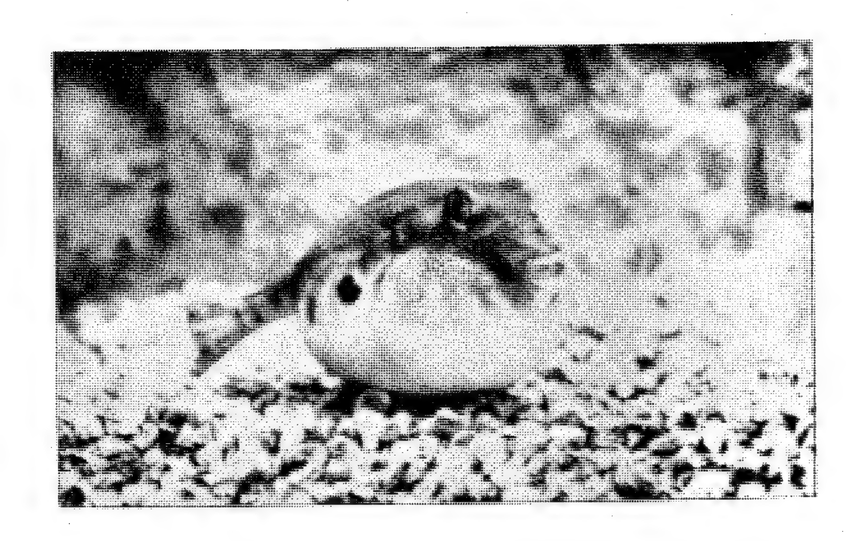


حُصْنِي البَحْرْ - من نوع آخر

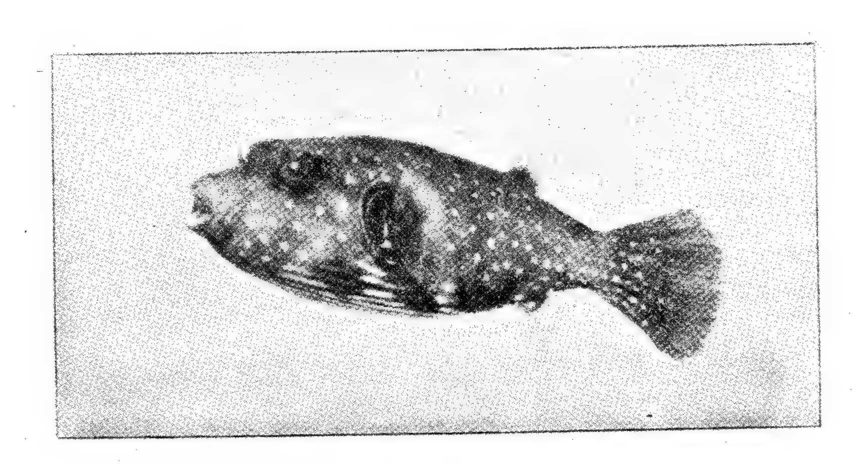


حصني البحر ـ من نوع آخر

دجاجة البحر

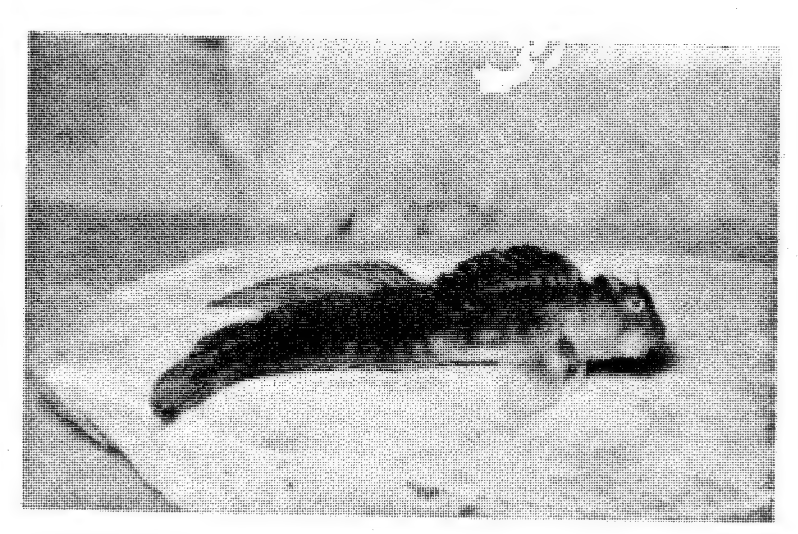


دِرِمَّة

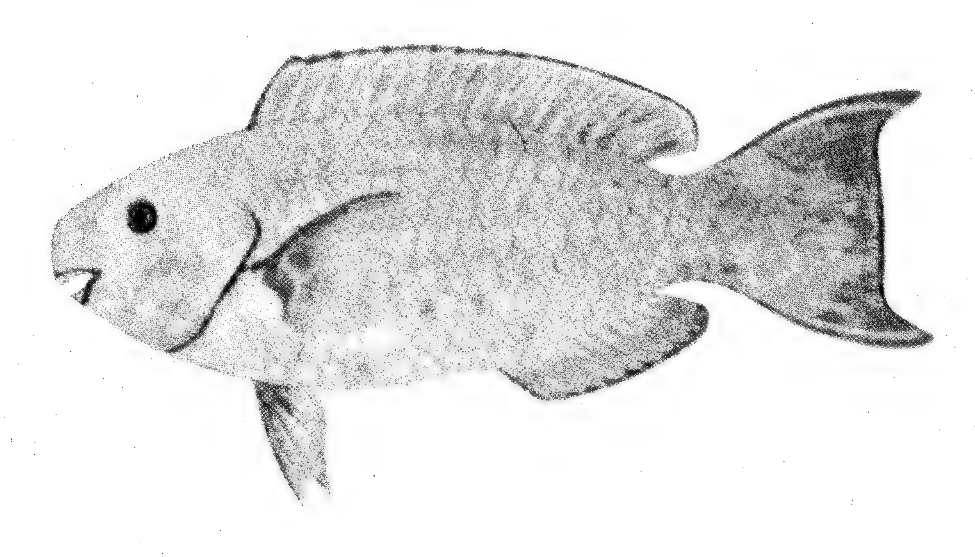


دُرُوم

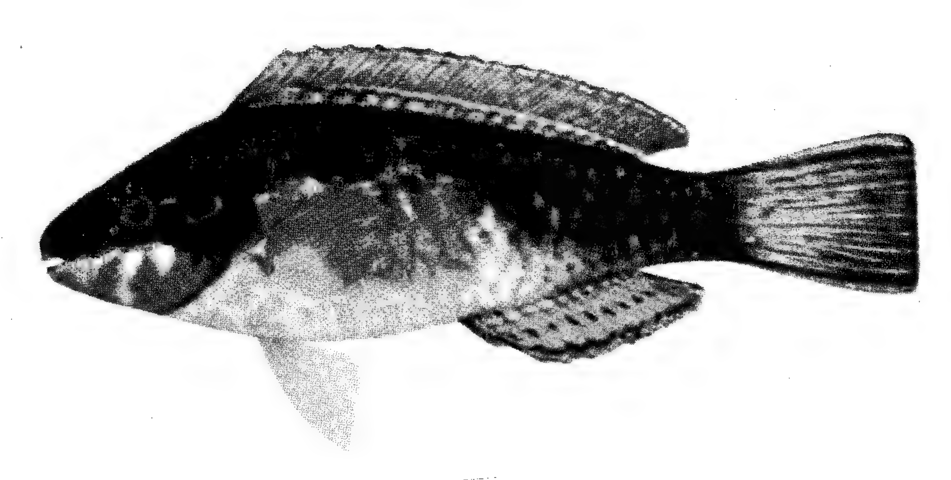
دُفّان



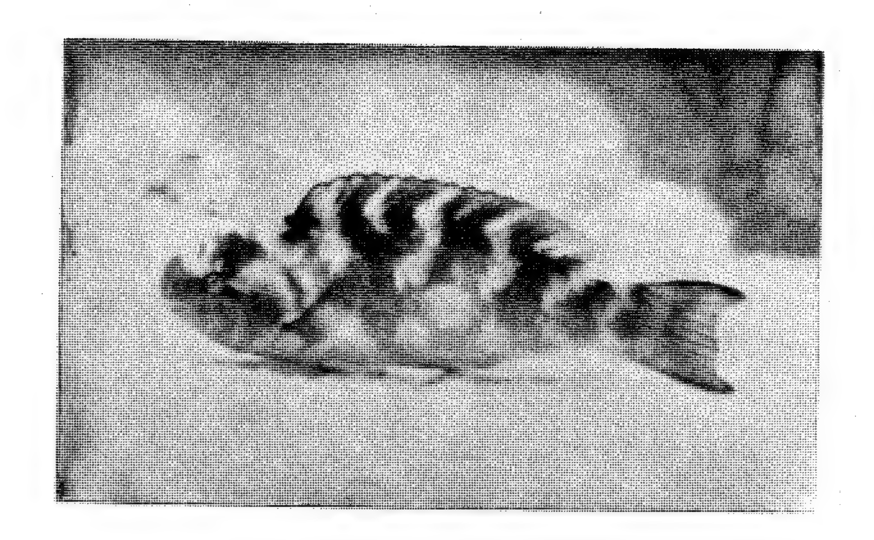
دُفّان ـ في الضحضاح



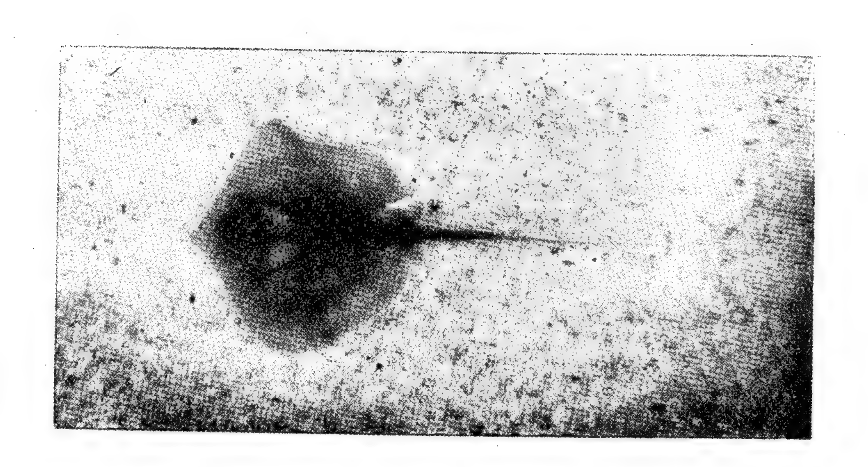
دَوالِي



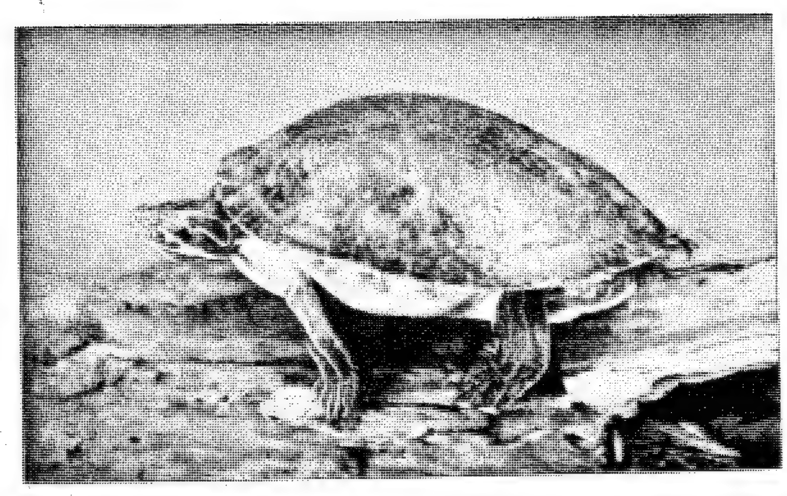
دَوالِي



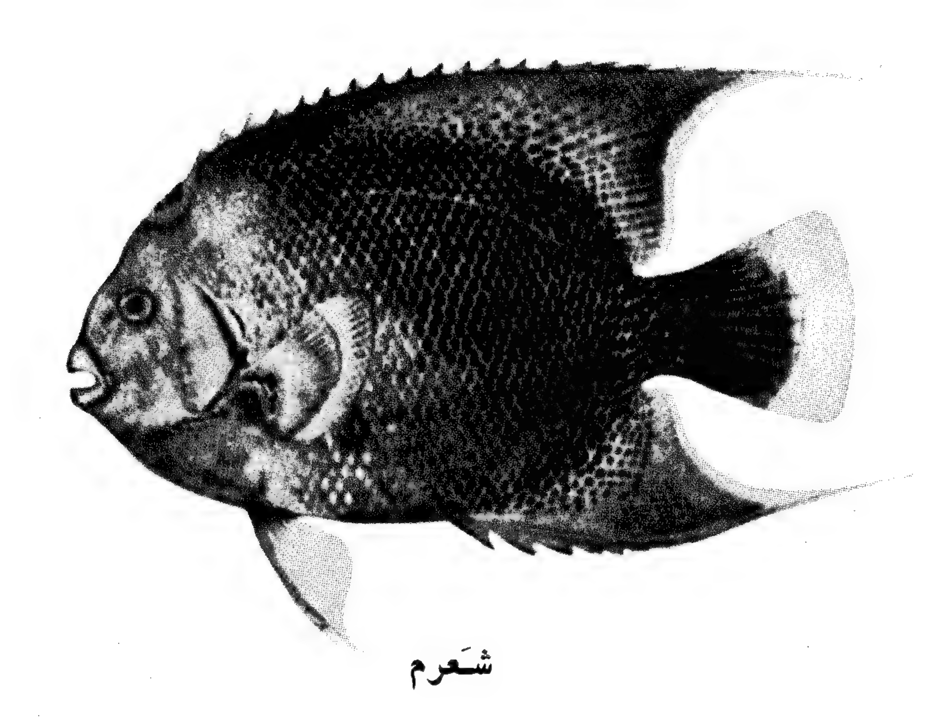
دَوالِي لُسود



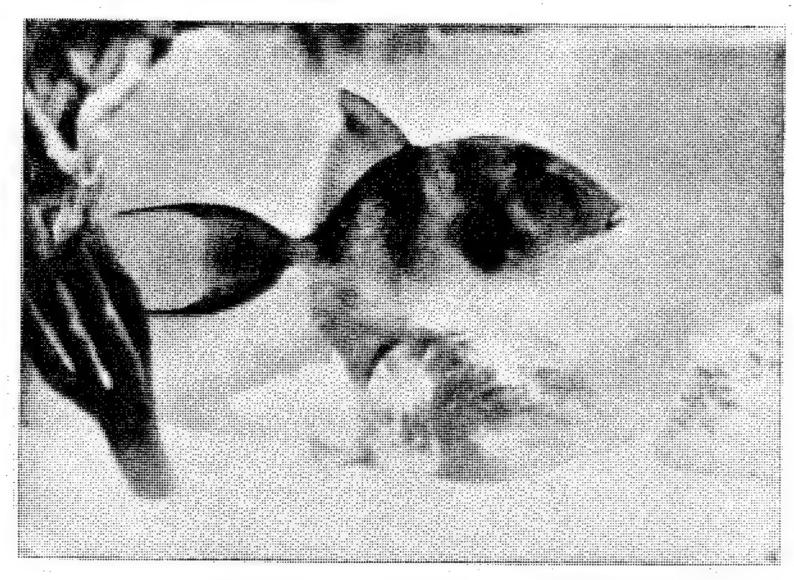
رُقْطِيَة



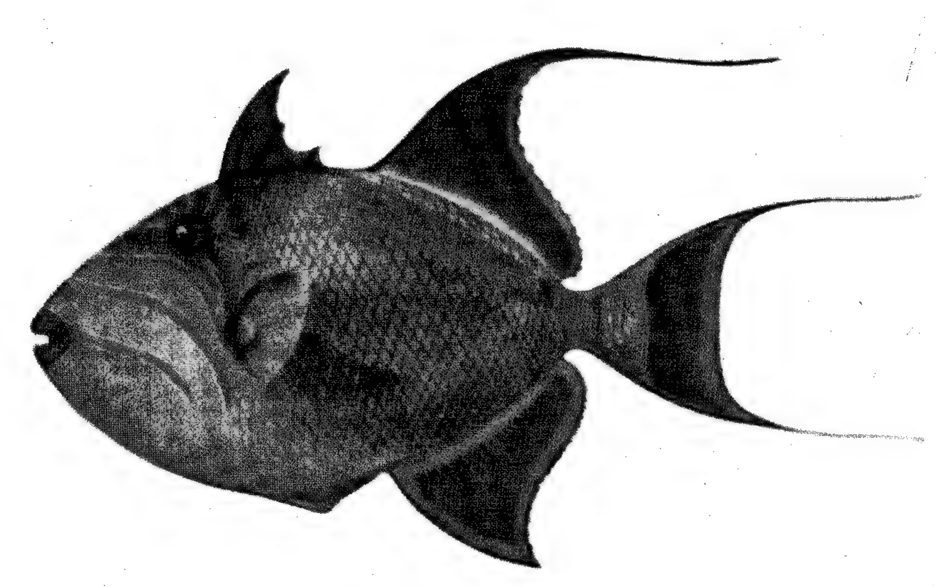
سُلَحفَاةْ



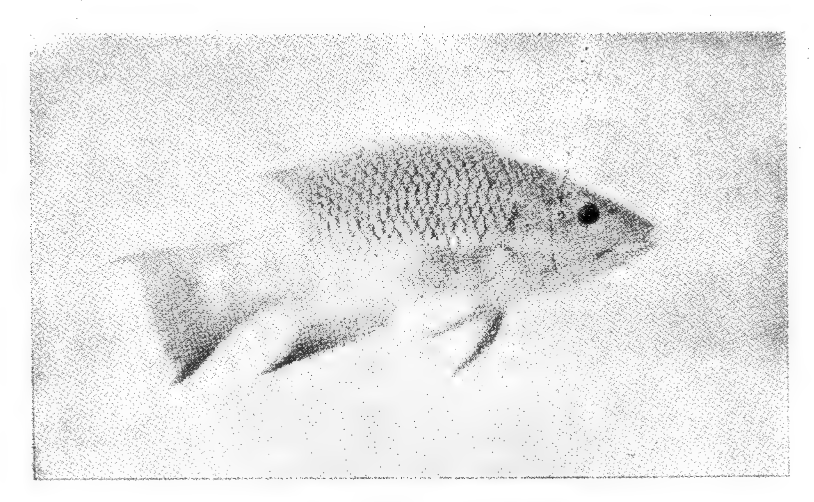
شَعرم



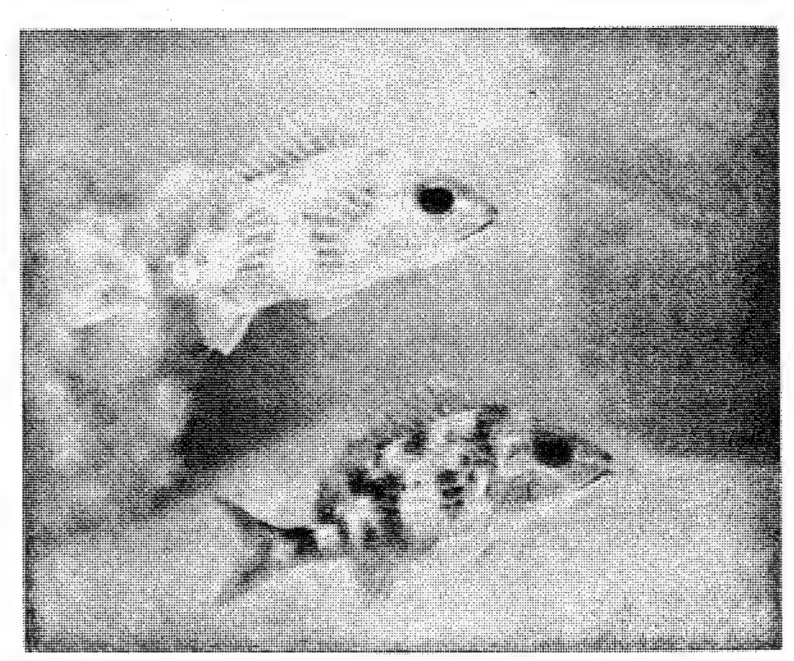
شَعْرَمْ ـ في البحر القريب من السطح



شعرم في العميق

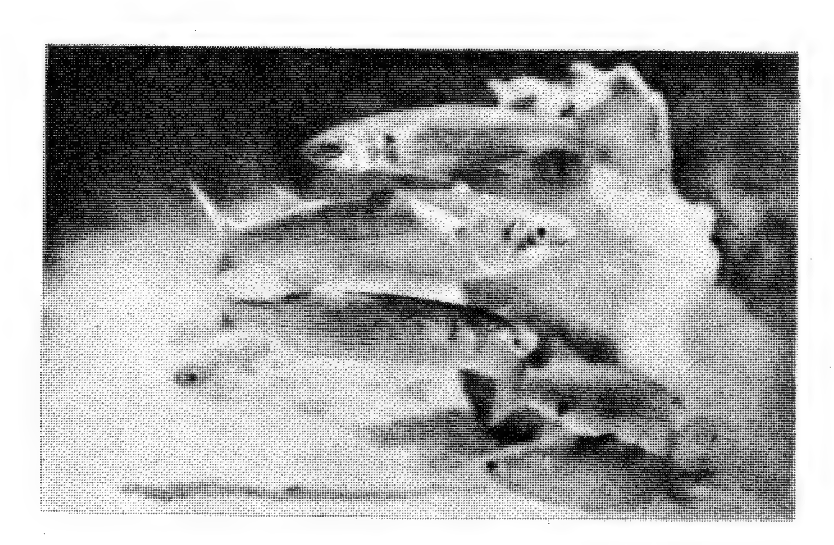


شَعْفَنْ

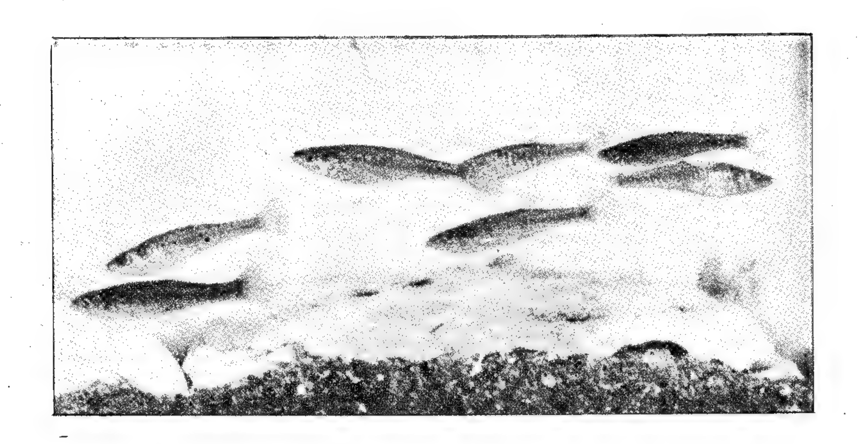


شَعُور (قَمَر)

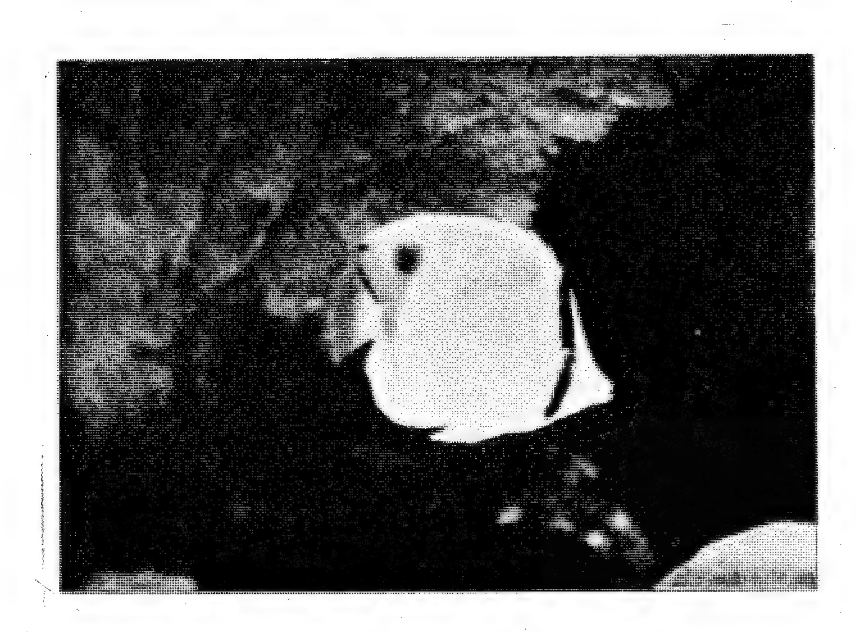
طرادی



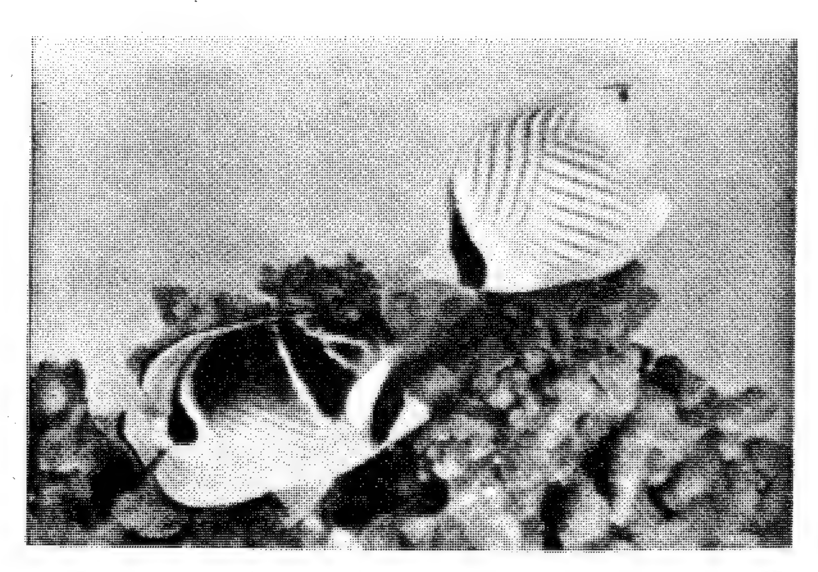
عزلى



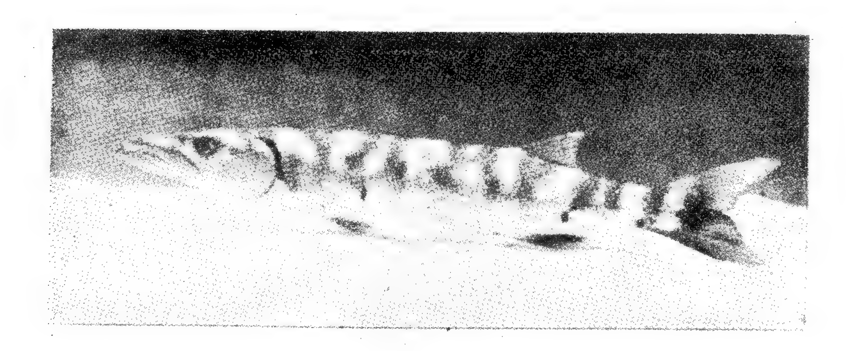
عربي — من نوع آخر



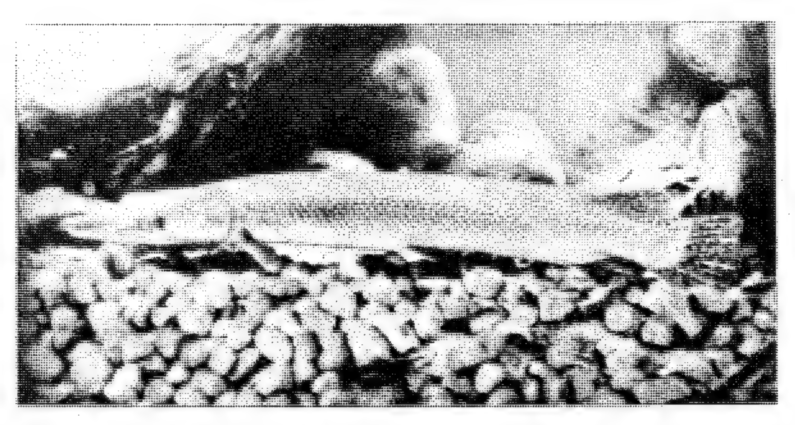
عروسة البحر



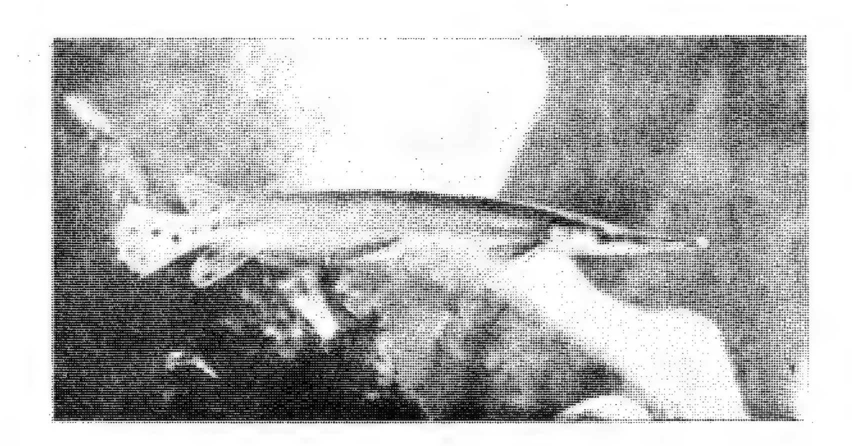
عروسة البحر



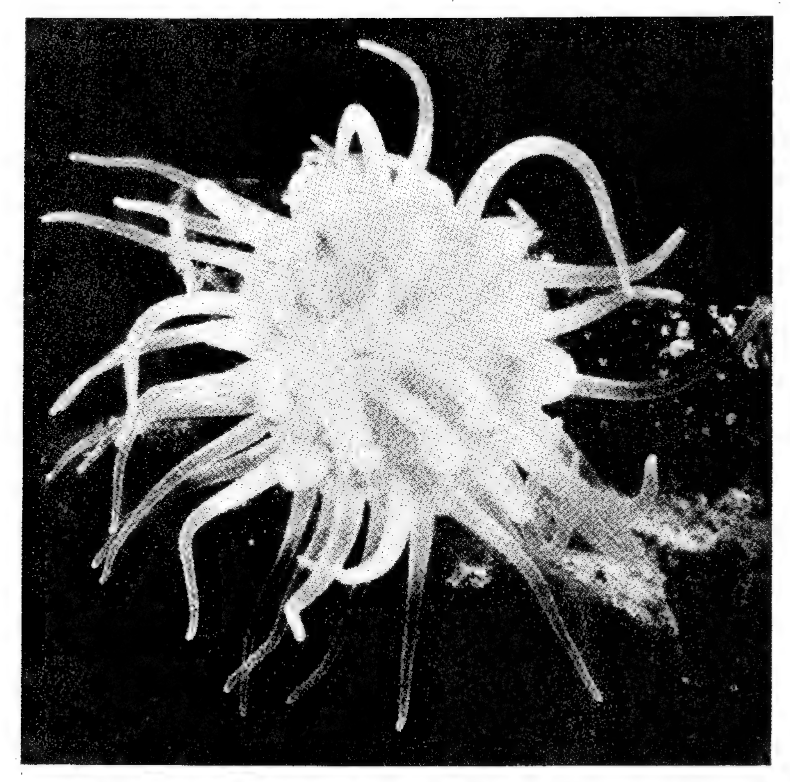
عَقَّام ـ نوع آخر



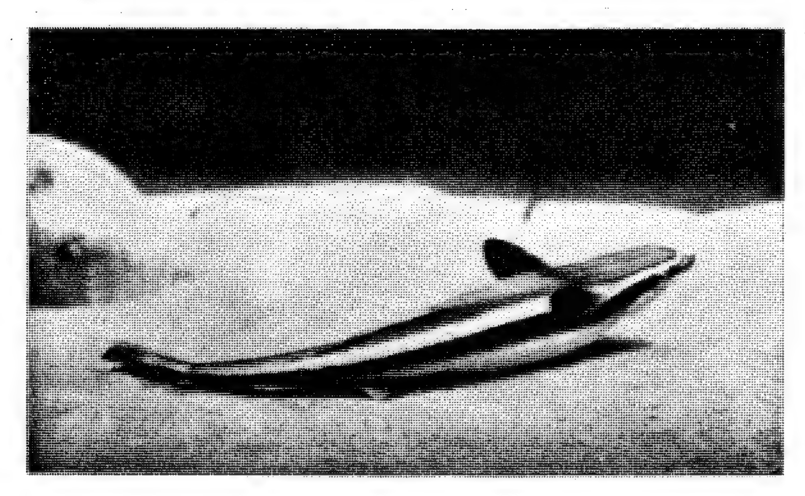
عَقَام - من نوع آخر



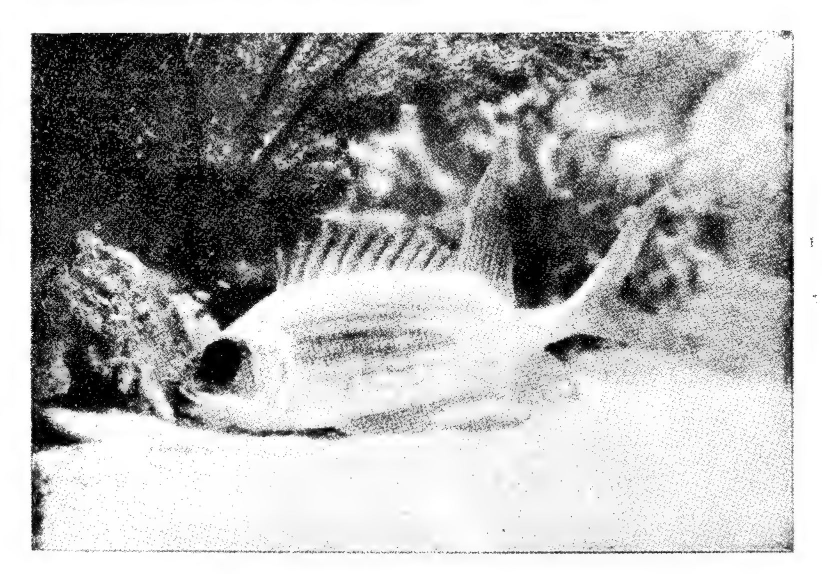
عَقَام



عَنَفَصِيصْ

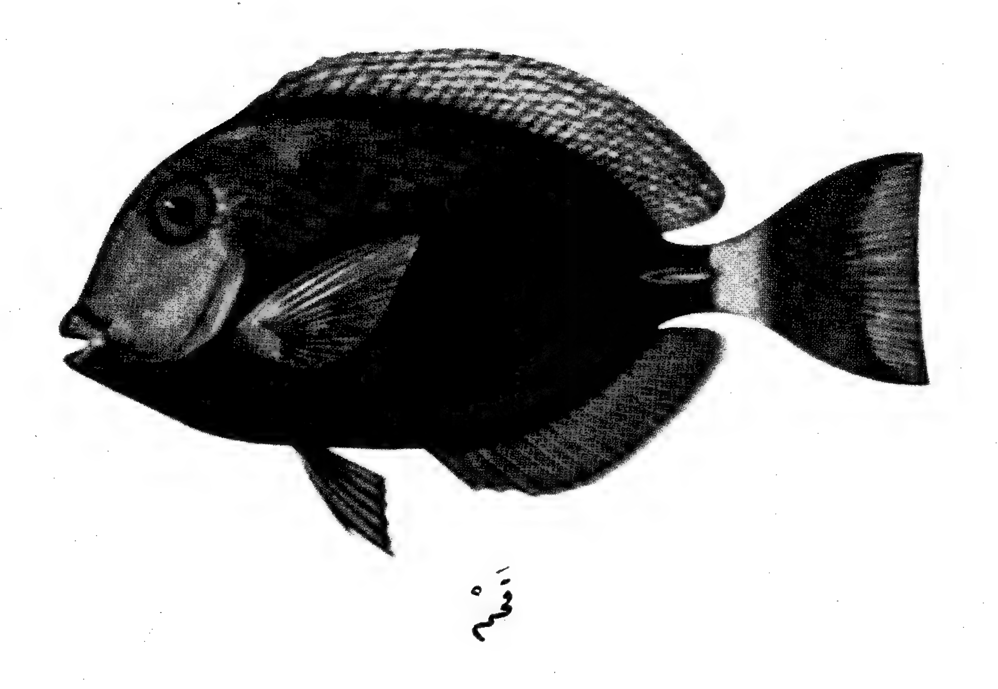


قَيْدَة

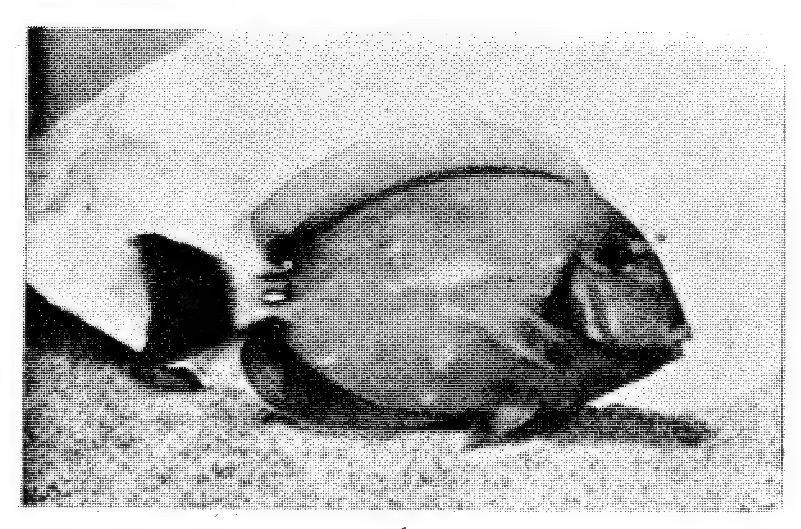


قَحَايَةْ بَيْضَاءْ

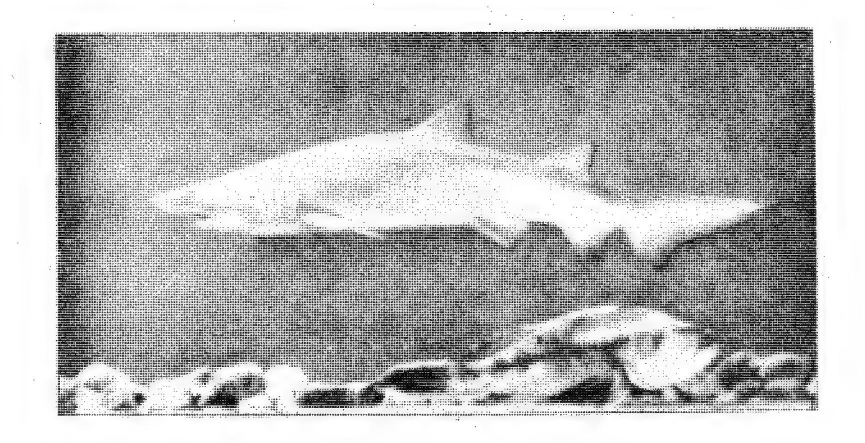
قَحَايَةْ



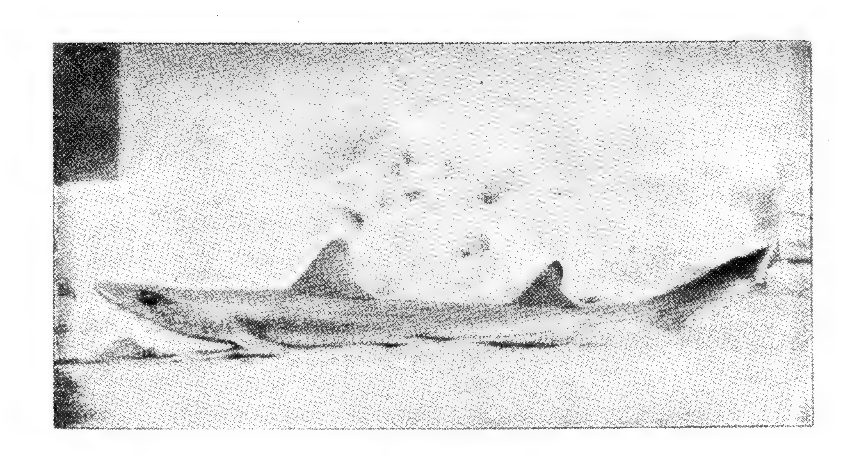
قَحمْ



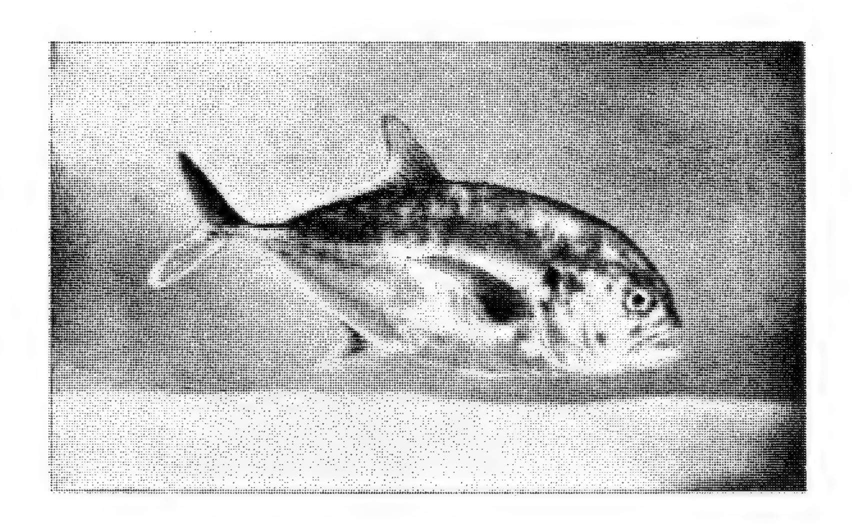
قَحمْ



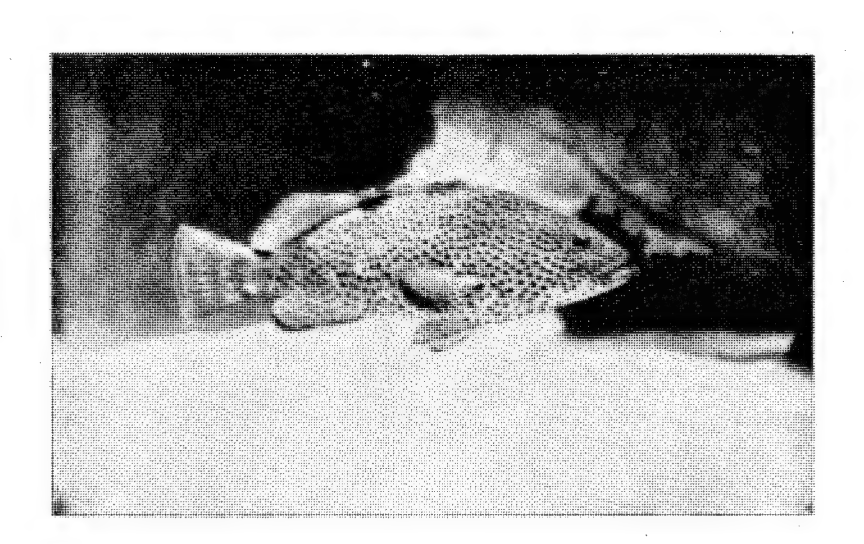
قَرْش



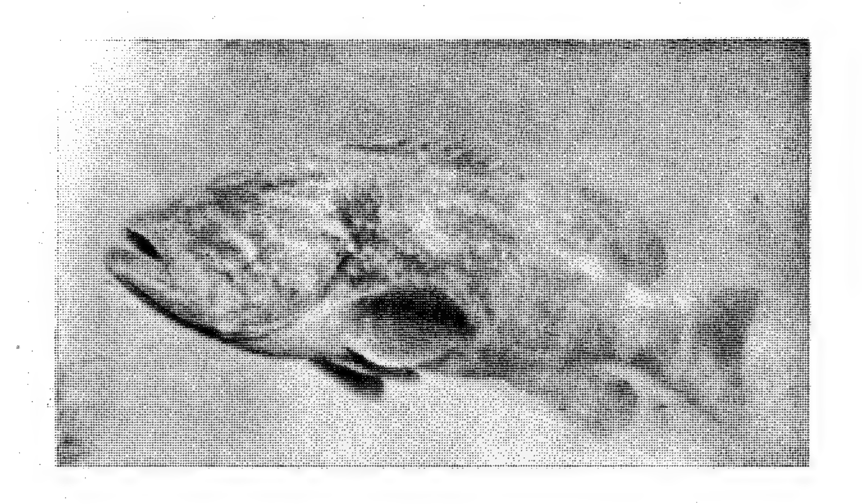
قرش - من نوع آخر



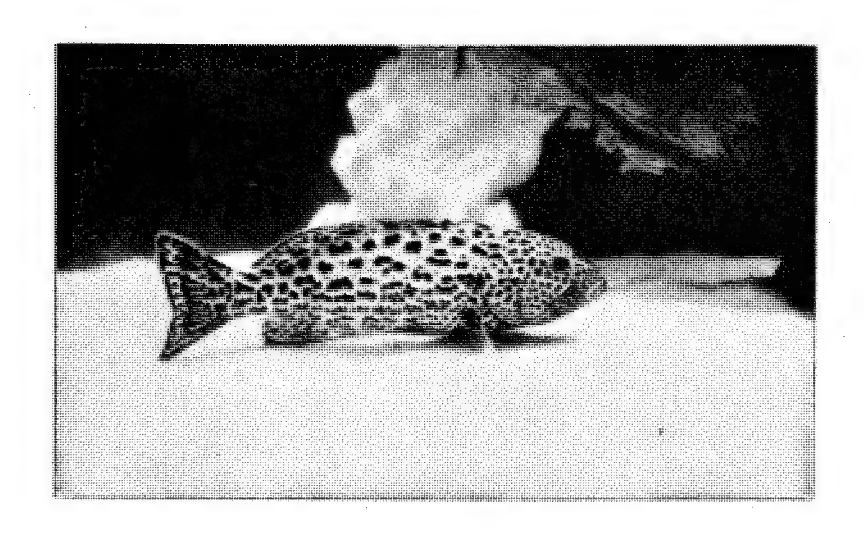
قِرْم



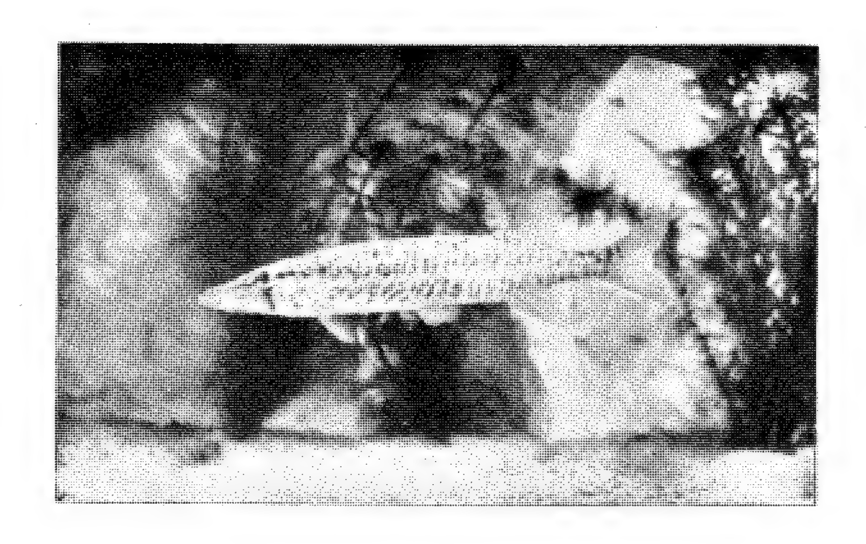




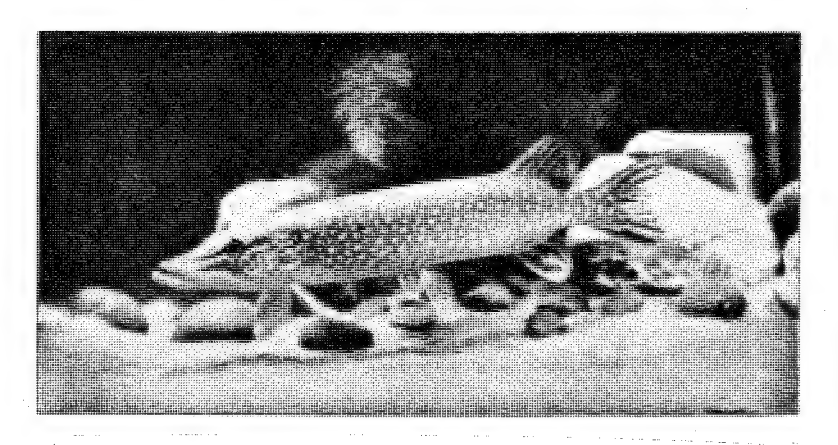
كُشَر



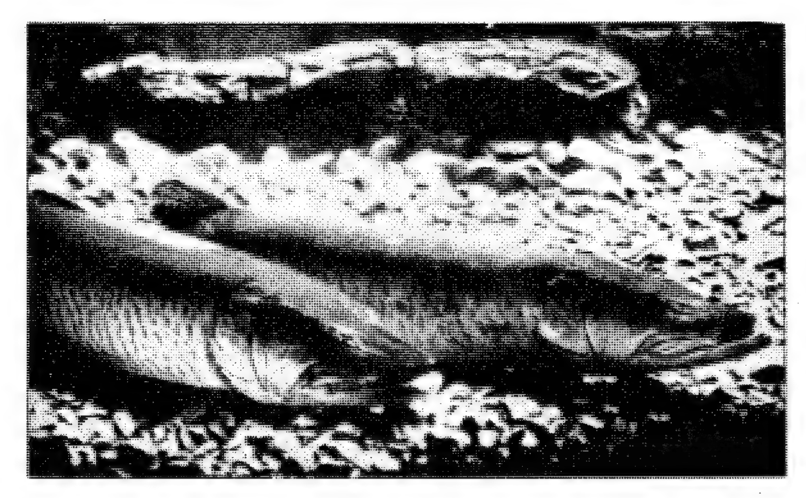
كُشَرْ ـ من نوع آخر



كِنيَّة

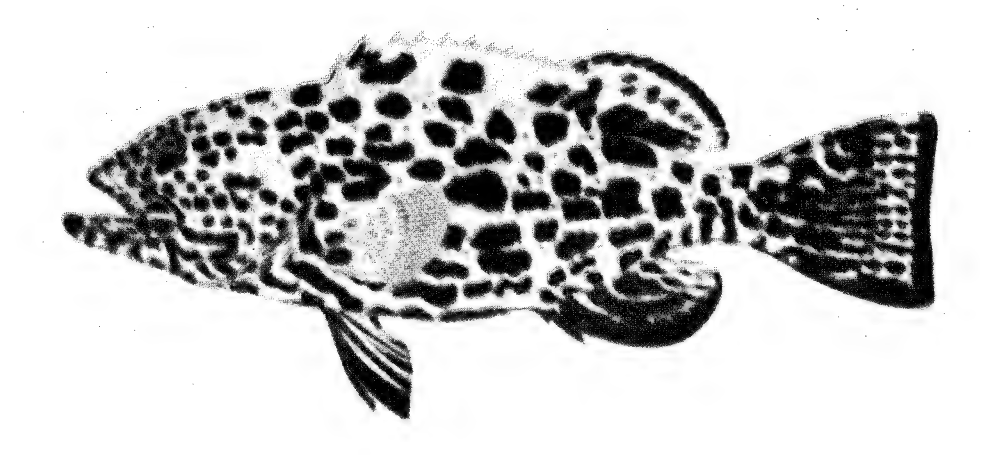


كنيَّة

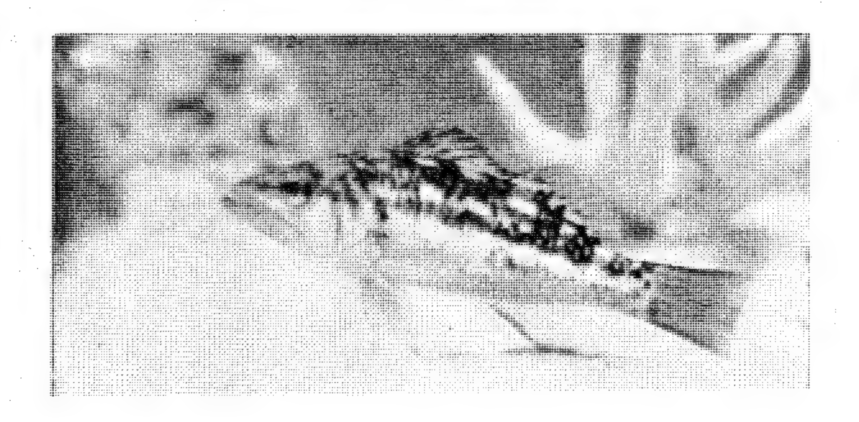


كِنْيَة ـ نوع آخر

كنية ملونه

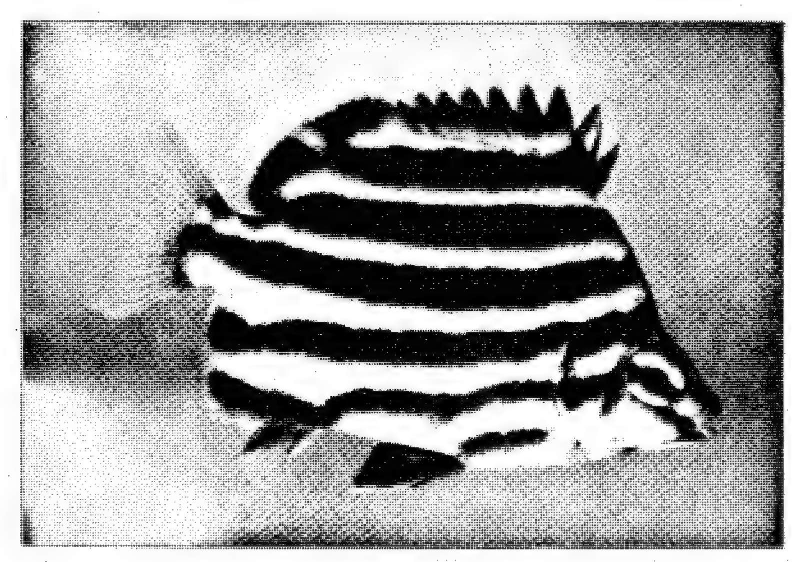


ناجل

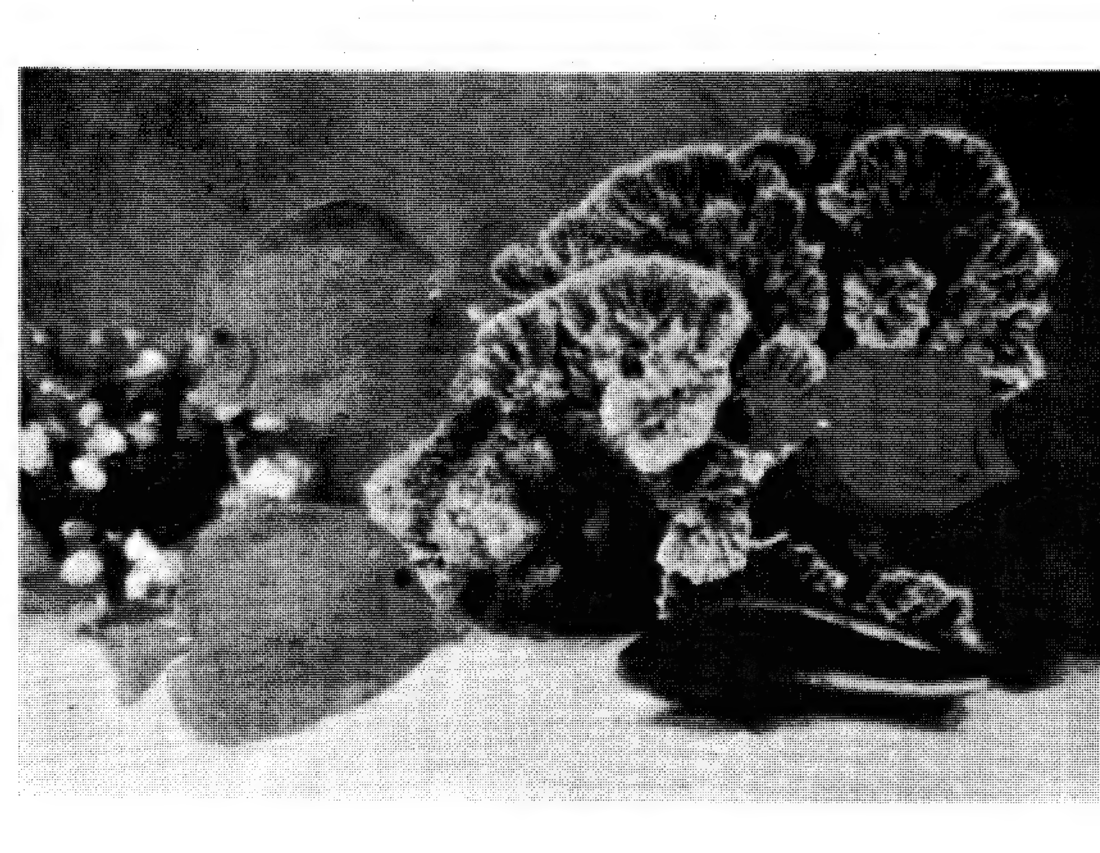


ناجل اسود

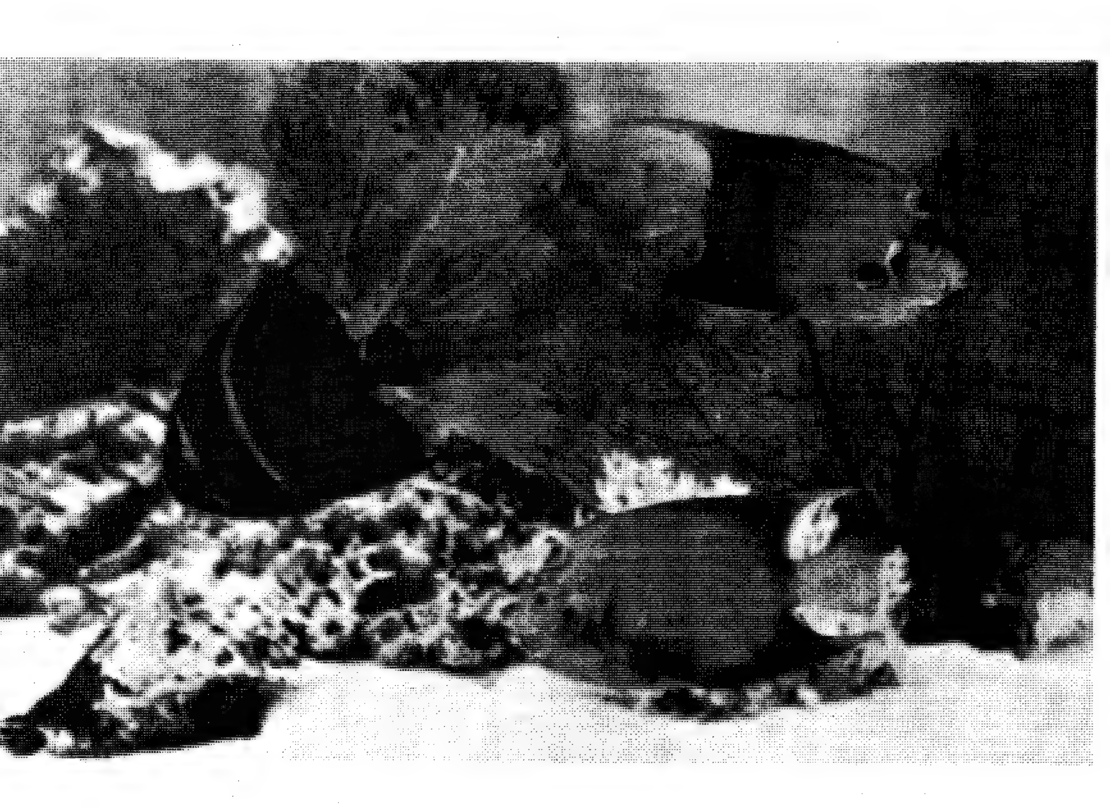
ناجل



واغش



واغش

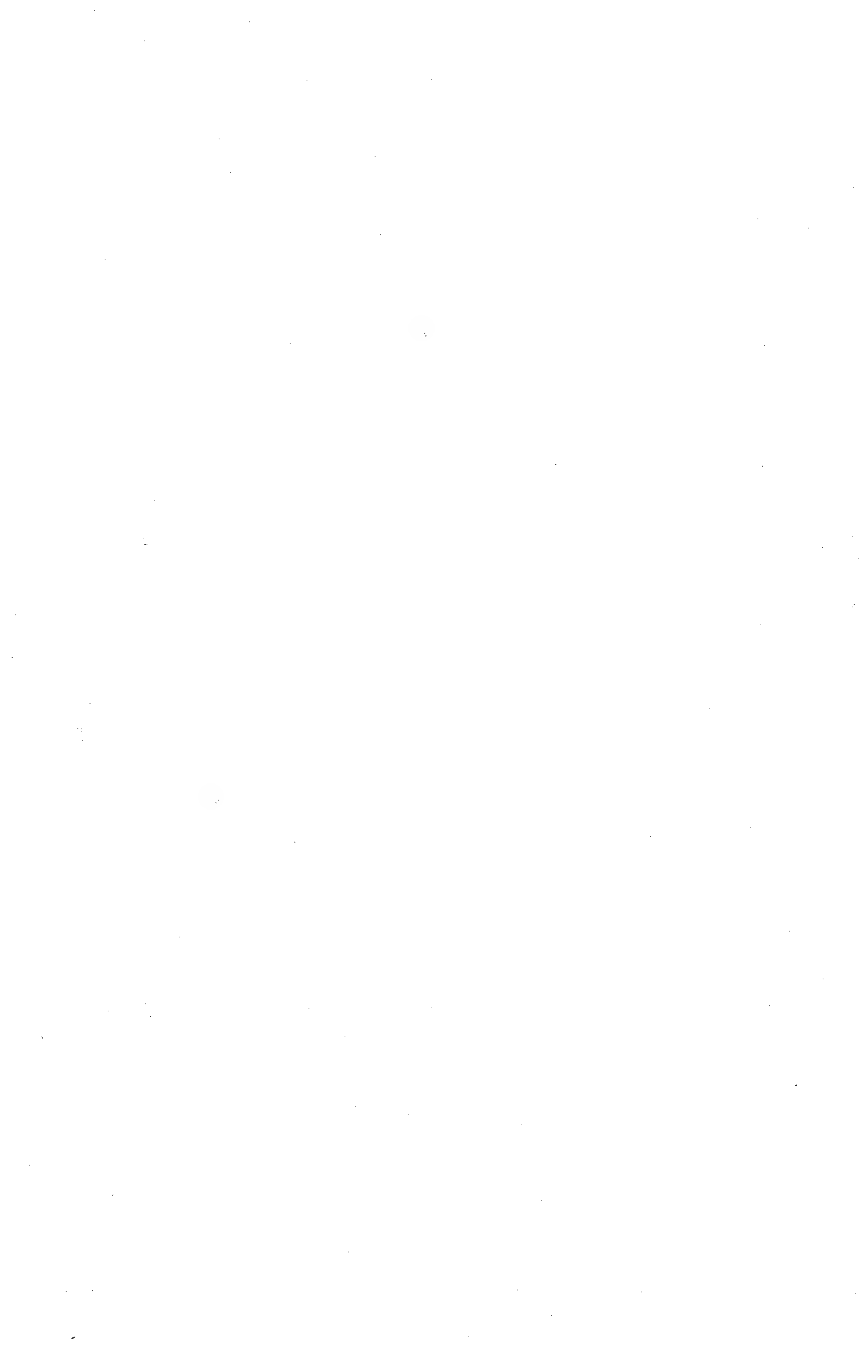


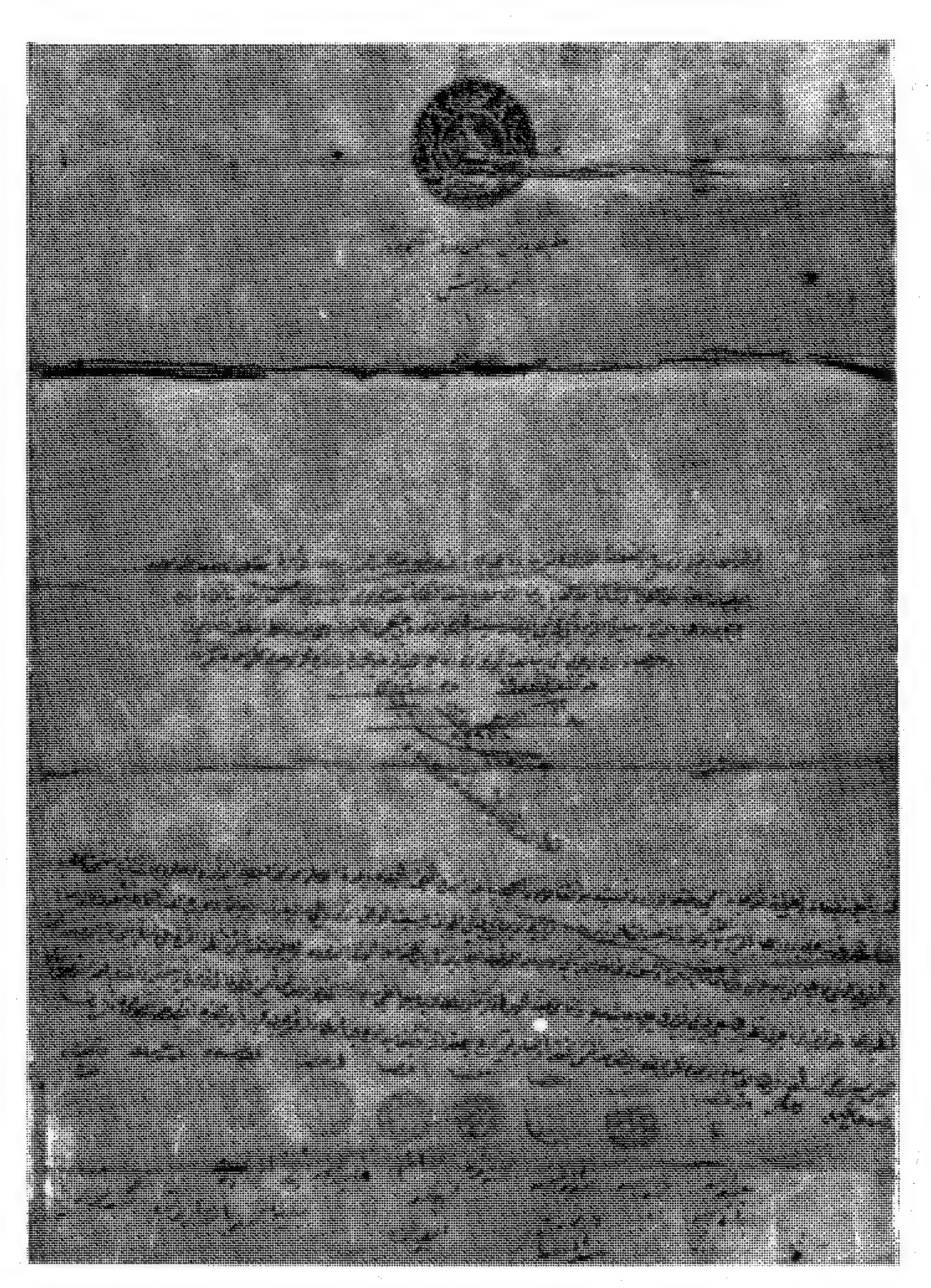
واغش

● نماذج مختارة من آثار خطية بمدينة جدة ●

قد أضفنا الى مجموعة الصور العمرانية والاثرية نماذج قيمة من آثار مخطوطة جدّية كشفت دراستنا لها عن بعض موضوعاتها الشرعية في المحاكم وتتضمن ابراز مجرى (روتين) المعاملات اذ ذاك وشكل الأسلوب التى كانت تسير في فلكه قبل عصر النهضة الحديث ..

وهذا في الواقع مالم يتسن لنا القيام به في الطبعة الأولى . ونحمد الله أن أكملنا هذا النقص وسددنا هذه الثغرة الاثرية التى ظلت مفتوحة فى الطبعة الأولى لكتاب تاريخ مدينة جدة .. ومن هذه الناحية الهامة ينطبق قول الشاعر : (كم ترك الأول للآخر) على هذه النماذج الأثرية المعقد كثير منها .





هذه مضبطة صدرت بجدة في عهد الدولة العثمانية بشأن قطعة أرض بحارة الشام في جدة مطلوب تنظيفها وقد أرسيت على سالم باقر كيال بمبلغ قدره (١٦٩٠) قرشاً عثمانياً .

ويرى فوق الوثيقة الشعار الرسمي المستدير الشكل وكلمات تركية وفي ذيلها أسماء بعض رجالات مدينة جدة (الأعضاء) في مجلس الادارة الذى يرأسه قائمقام جدة اذ ذاك محمد نوري ٠ ومن الاسماء اللامعة من الاعضاء في هذه الوثيقة : شيخ السادة سيد أحمد باهادون وسالم بن محمد الرويحي ، وعبد الرحمن بن عبد الفتاح وعبد الله باناجه .. والمضبطة مخطوطة بخط رقعة عثماني جميل .





هذه وُثيقة شراء كل من الشيخ على بن عبد الله باعشن والحاج حسن ابراهيم جوهر (التاجرين المعروفين بجدة) مركباً بجُدة .. مناصفة بينهما . وجدير بالذكر أن ورقة الوثيقة رسمية وعليها الشعار الرسمي وتحوى التوقيعات الشخصية بشهادات كل من : علي ابن عبد الله باعشن ، وحسن بن ابراهيم جوهر وحسن بن أحمد بن هادون ، وعبد القادر ابن أحمد باذيب وعبد الله أحمد باذيب . ومحمد بن أبى بكر الزرعة وعبد الله بن السيد أأبو بكر بافقيه .

والوثيقة كما ترى مكتوبة بخط جميل واضح الحروف بين خطي الرقعة والنسخ . وفوقها بجانب الشعار الرسمي صورة سفينة بحرية . وقد صدرت هذه الوثيقة في يوم الاثنين الموافق ٢٨ من شهر ربيع الآخر عام ١٢٨٨ هـ .

هذا اعلام شرعي صدر من محكمة بندر جدة في ٨ من شهر رجب سنة ١٢٦٩ هـ ، لصالح الشيخ علي بن عبد الله باعشن .. جد المرحوم الشيخ أحمد محمد صالح بن علي باعشن وذلك في عهد الدولة العثمانية .

(آثار خطية بمدينة جُدة) (في كتاب تاريخ مدينة جُدة)



حجة شرعية
مخطوطة صادرة
من المحكمة
الشرعية بجدة
مؤرخة في ١٤
المحرم ١٢٣٠ هـ

[illegible] معالي الهمم محاسن الشيم حضرة أخينا العزيز باش معاون جناب داوري الافخم دام بقاه
لا يخفى شريف علمكم انها الينا تجار الحضارم المقيمين بالمحروسة في ظل مراحم سعادة الداوري انه حاصل لهم
في تلك الايام اذية من بعض اهالي المحروسة على خلاف ما جرت به عادة تعطفات سعادة الداوري عليهم لكونهم
من توابع اهالي الحرمين والتمسوا تحرير هذا لحضرتكم بالرجا في حلول انظاركم عليهم ورفع ما يحدث
عليهم من التعرض والاذية المغايرة لما جرت به عادة تعطفات سعادته المشار اليه فبناء عليه حررنا هذا
[illegible] لحضرتكم لحصول راحة المذكورين حسب ما بالنوه من القديم من عناية [illegible] الداوري
في حلول انظاركم عليهم [illegible] [illegible] لنا منهم واصلكم طي هذا اطلاع دونكم عليهم [illegible]
ودمتم [illegible]

وهذه وثيقة مؤرخة في سنة ١٢٣٠ هـ تحتوى على توصية أحد المسؤولين اذ ذاك على تجار الحضارم بجدة المحروسة باحترام أوضــاعهم كما كانوا عليه ســابقا . وذلك في عهد الدولة العثمانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء على مرسوم جلالة الملك المعظم أيده الله

وبناء على التعليمات التي تلقيناها من معالي وزير المالية الجليلة

قد اجتمعنا نحن الموقعين أدناه مندوبين من قبل وزارة المالية بحضرات الأخوان الشيخ

سالم طنوس والشريف علي أبو نمي مندوبين من قبل ملاك عين أبو شعيب والشريف

منصور بن عبد العزيز والشريف عبد الإله بن سلطان مندوبين من قبل ملاك عين الجوم

والشريف محسن بن شرف والشريف سعد بن محمود مندوبين من قبل ملاك عين أبي غروة

مع عقد إيجارة الثمن الذي تقرر أخذه لمشروع ماء جدة من كل من الثلاثة العيون

[illegible] وقد انتهى الجميع بعد المناقشة ومداولة الرأي من جميع وجوهه على

الأساسات الآتية

~~أولاً أن تكون أجرة كل عين من الثلاثة الأثنا المذكورة عشرة آلاف ريال سنويا~~

ثانياً تدفع أجرة هذا العام الحاضر من حين يبدأ بأخذ الماء من العيون المذكورة وبعد ذلك

تدفع الأجرة سنوياً في الشهر الأول من كل عام بدون تأخير

ثالثاً يكون دفع الأجرة من قبل الجهة التي يعينها جلالة الملك المعظم بيد المأمورين

الذين يختارهم أصحاب ملك هذه العيون

رابعاً تحجز هذه الأجورات في صندوق خاص لدى هؤلاء المأمورين وأول ما يبدأ بعمارة

العيون منها ثم يوزع الفائض بعد العمارة على أصحاب الملك كل بحسب استحقاقه

حصته على أن لا توزع أجرة العام إلا في بدء العام الذي يليه وبعد استلام الأجرة

للعام التالي ليبقى المبلغ الكامل في الصندوق احتياطاً للعمارة فيما لو حصل أي خراب

لا سمح الله في ذلك في بحر العام

خامساً مصاريف عمارة العيون مقسومة بين أصحاب الملك وبين الجهة المسؤولة التي

يعينها جلالة الملك مناصفة بينهما

سادساً حيث أن المقرر هو أن يؤخذ من عين الجوم علاوة على الثمن ماءاً بقدر

ما يصب فيها من ماء العيون الأخرى فإن أصحاب العيون يسترحمون من جلالة الملك

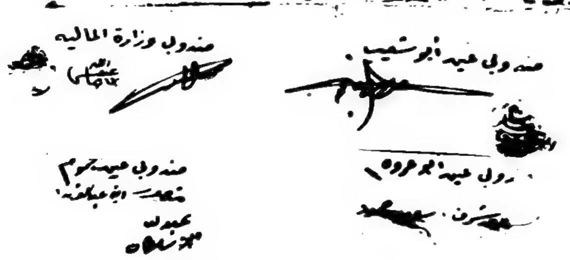
أن تعطى لهم الضمانات الكافية لأجل أن يكون ما يؤخذ من عين الجوم لا يزيد عما

يصب فيها بقدر مضبوط ويكون ذلك بعمل هندسي يضمن ذلك ويلاحظ أنه إذا

رفع مستوى الماء بالنسبة للركبان والمزارع [illegible] حتى يكون دفع الماء في مجرى [illegible]

وفي مجرى حصة المشروع في درجة واحدة وبطريقة واحدة تضمن سيلان الماء بشكل

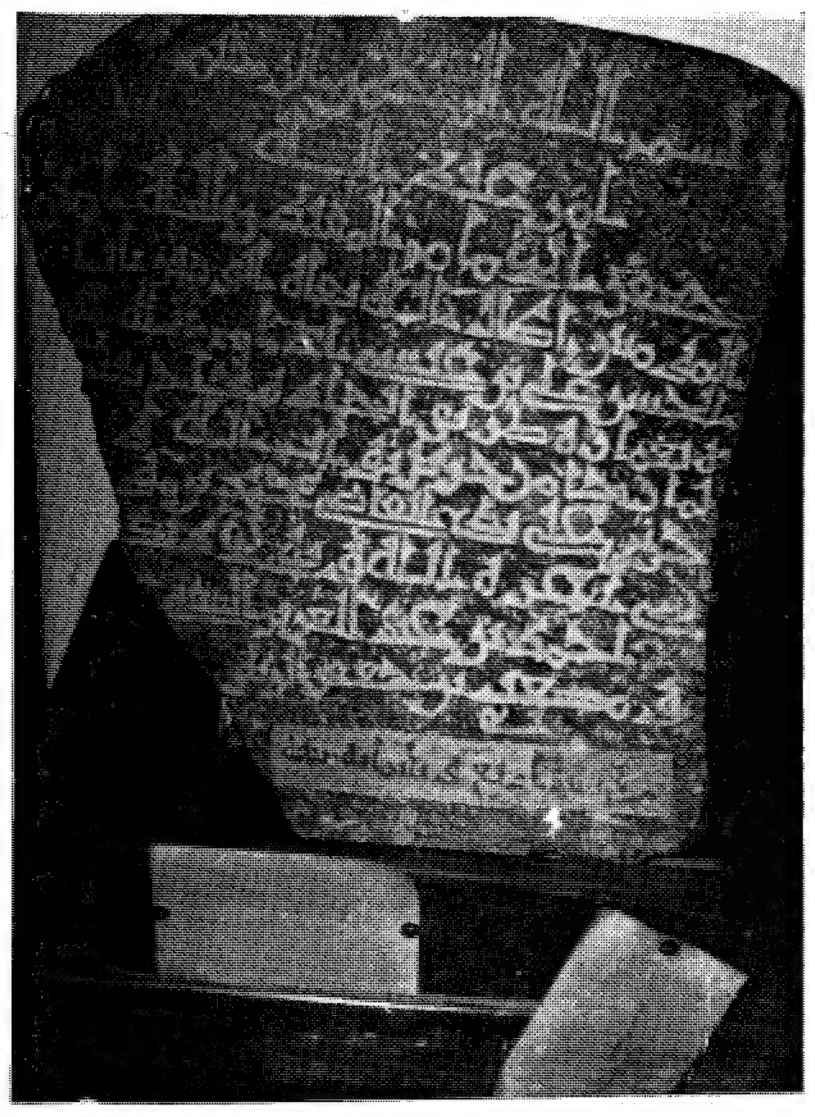
[illegible] هذا ما جرى الاتفاق عليه وعليه جرى التوقيع ١٠/١/١٣٦٦ بوادي فاطمة



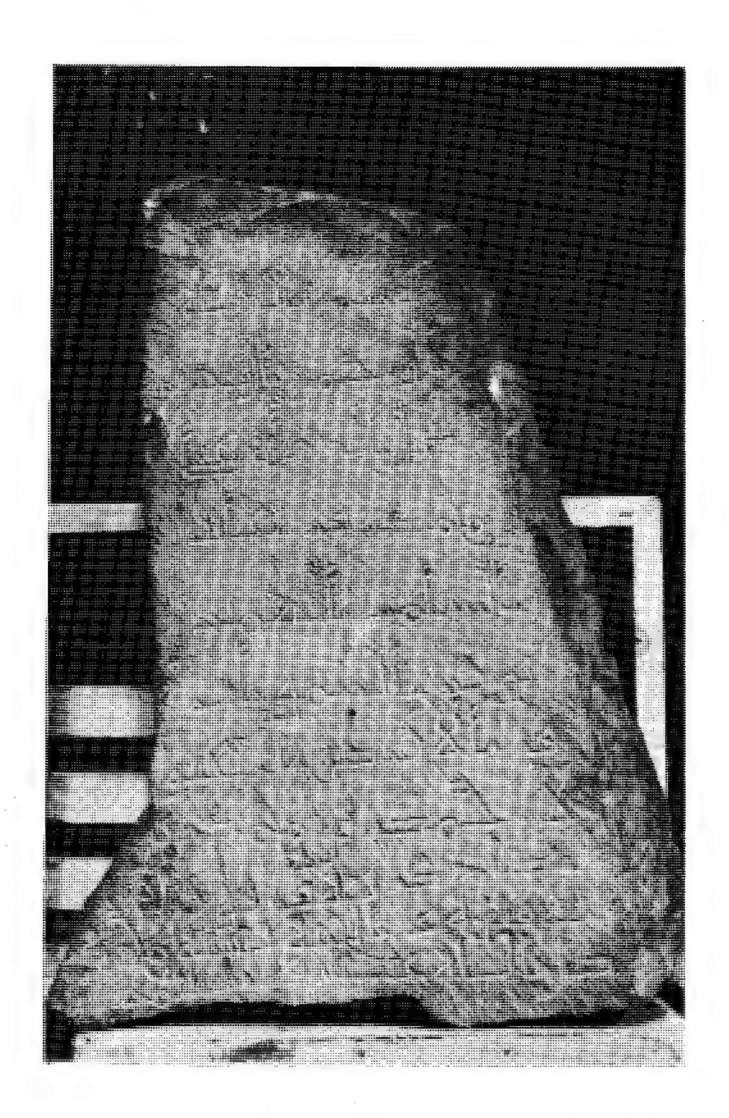
هذه وثيقة مؤرخة في ١٣٦٦/١/١٠ هـ تتضمن تقريراً صادراً من اللجنة التي شكلت بأمر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله لأجل شراء حصص معينة من عيون وادى فاطمة العذبة الثرة لصالح العين العزيزية بجدة . ويرى توقيعات مندوبي وزارة المالية : الشيخ صالح قزاز والشريف عبد الله جساس*، والشيخ عبد الله بن سلطان ، وتوقيعات مندوبى عين أبى شعيب وعين أبى غروة .

بعض لقطات من آثار المتحف الوطني الذى كان في شارع الميناء بجدة
ثم نقل الى العاصمة الرياض وألحق بوزارة المعارف

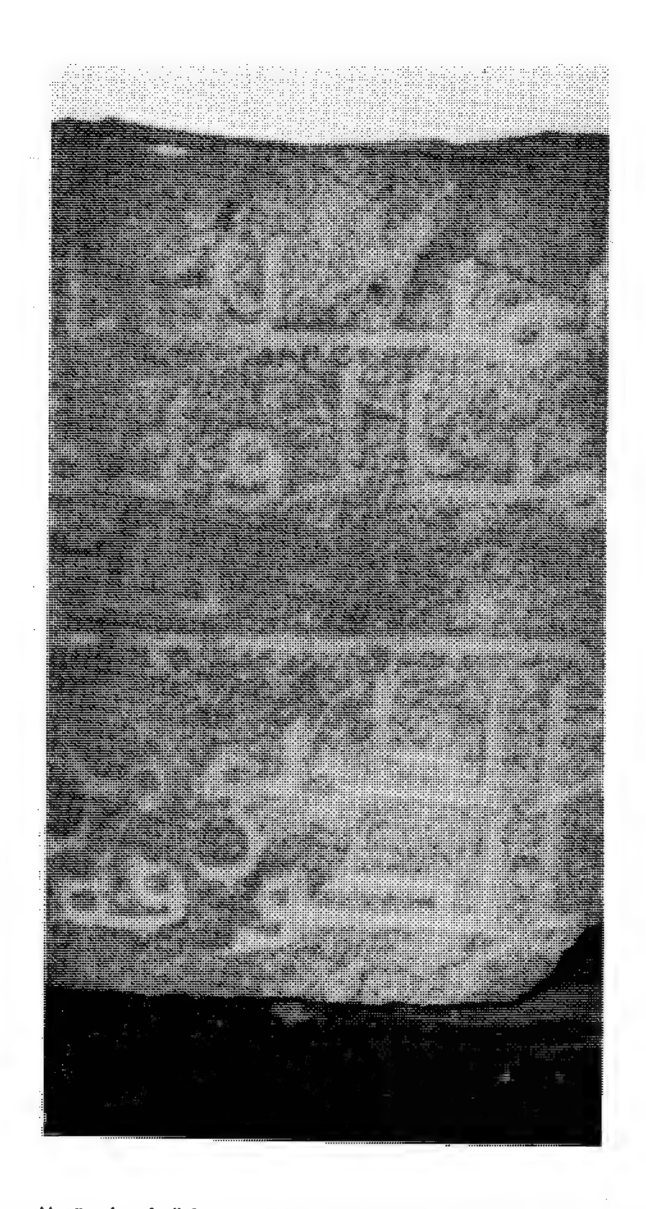




قطعة حجر منقوشة بكتابة عربية كوفية قديمة . وجدت في مدركة : من « بلاد بنى سليم » بين مكة والمدينة الى الشرق ويتضمن نصاً كتابياً بتسجيل الاميال التى بين بغداد ومكة المكرمة في طريق الحجاج وكان نقشه في سنة ٣٠٤ هـ في عهد الخليفة العباسي (المقتدر) كما هو مدون في نفس النقش الأثرى بأسفله



بعض الشواهد الحجرية الاثرية بالمتحف الذى كان في جدة سنة ١٣٨٢ هـ

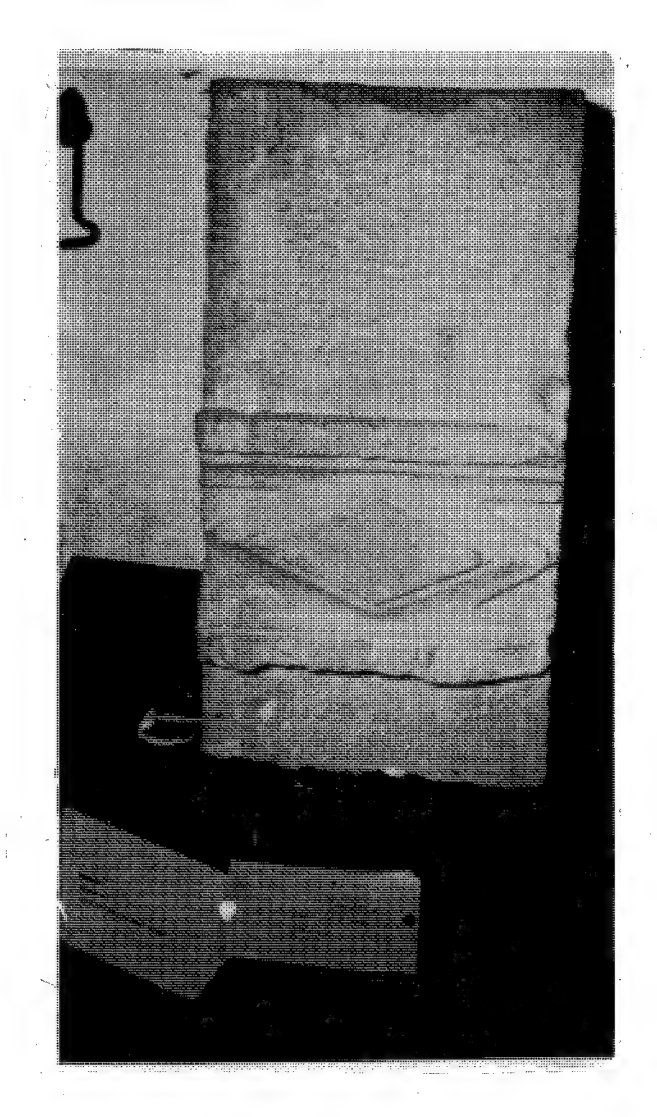


أحد ألواح الاميال القياسية للطريق من الكوفـــة الى مكة في طريق الحج ٠ وكانت قد نصبت في العهد العباسي ٠
في رحلتنا بشـــهر رجب ١٤٠٠ هـ الىبريدة ـ قاعدة القصيم أطلعنا الشيخ صالح السليمان العمرى على بعض المواقع المنصوبةفيها هذه الالواح المتتابعة بقرب حديقة سمو الأمير متعب الى الشرق منها . وبتطبيق هذا اللوح الرخامي السميك على ما ذكره الشيخ صالح العمري ظهر أنه واحد منها ٠٠

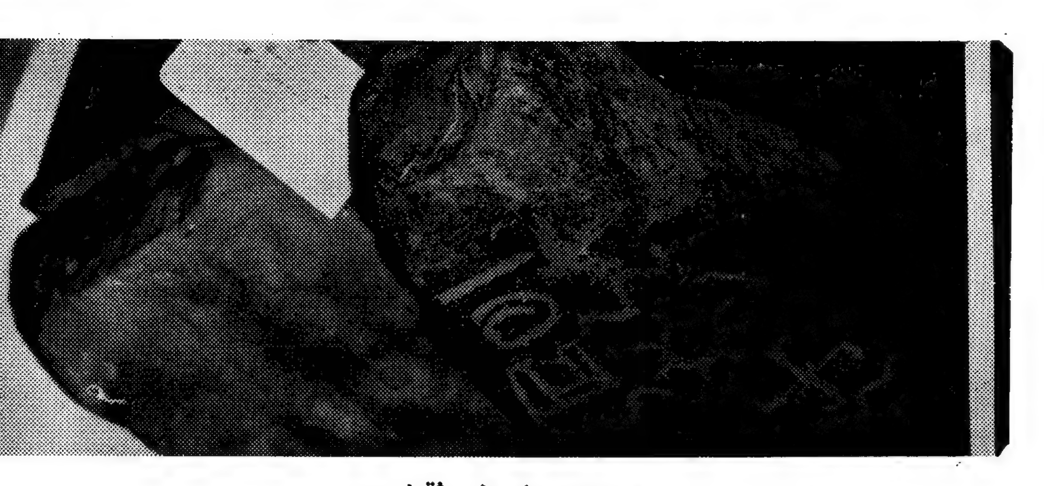
مذبح حجري مشيد في متحف جدة سابقا



آثار حجرية منقوشة من تحف جدة



لوح مرمرى منقوش بزخارف أثرية عربية
عتيقة كان بين الآثار الموجودة بمتحف جدة



(حجر رملى بنى ثقيل)

فيه تدوين كتابى من آثار ثمود   هدية من عبدالله فيلبى .   وجد فى وادى شرأيف .
يرجع تاريخه من ١٠٠ الى ٥٠٠ قبل الميلاد



من آثار متحف جدة سابقا



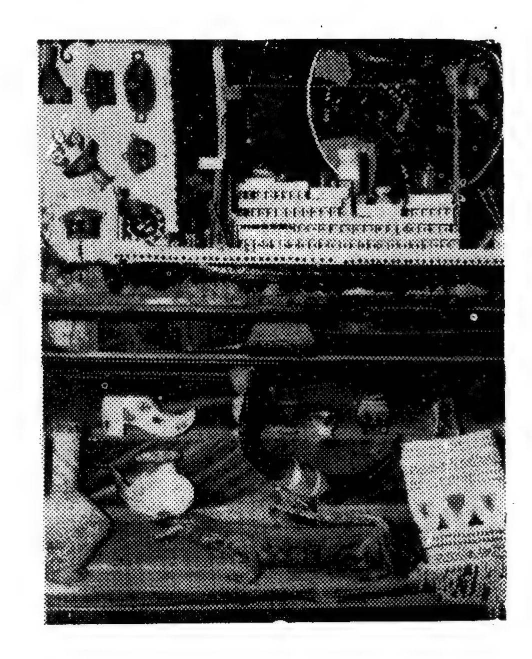
من آثار متحف جدة سابقا

من آثار متحف جدة سابقا

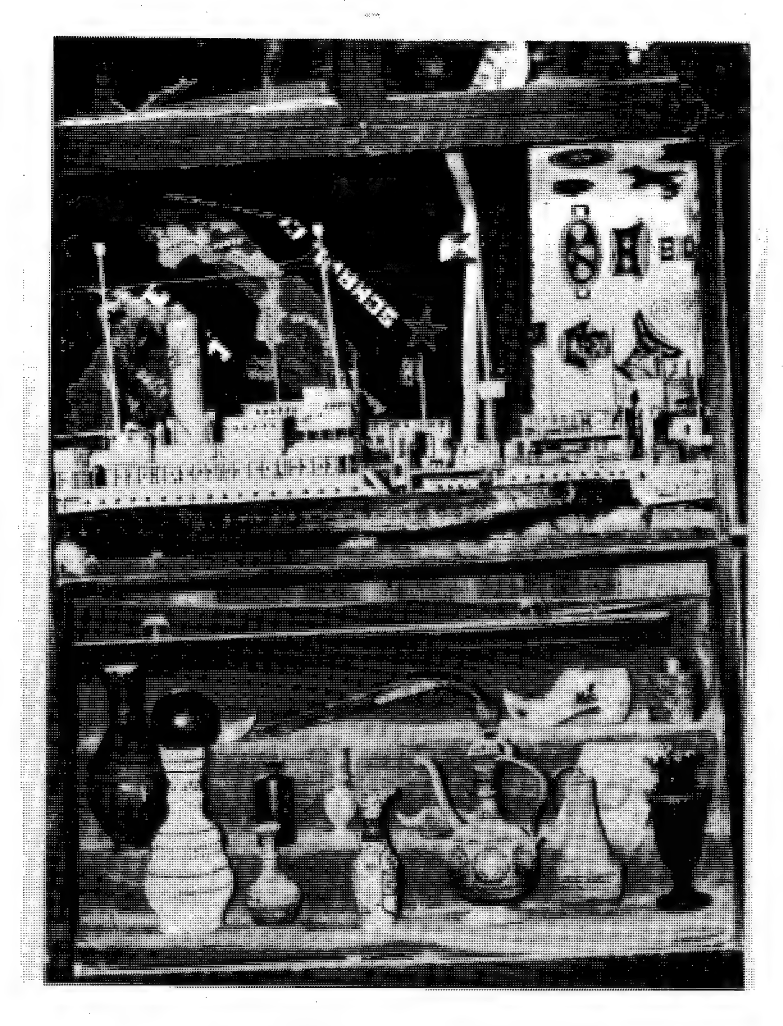


من الآثار في متحف منزل آل باعشن بجدة

من آثار متحف جدة الاثرى بسنة ١٣٨٢



آثار متحف آل باعشن



من الآثار في متحف منزل آل باعشن بجدة



من الآثار في متحف آل باعشن بجدة

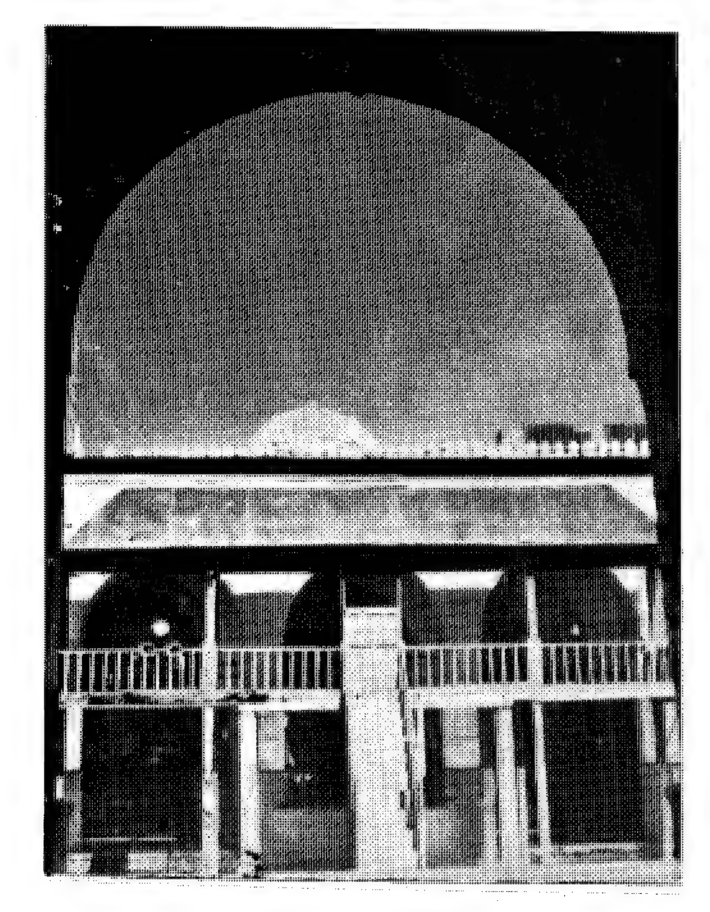


● بعض المباني الأثرية في مدينة جُدة ●

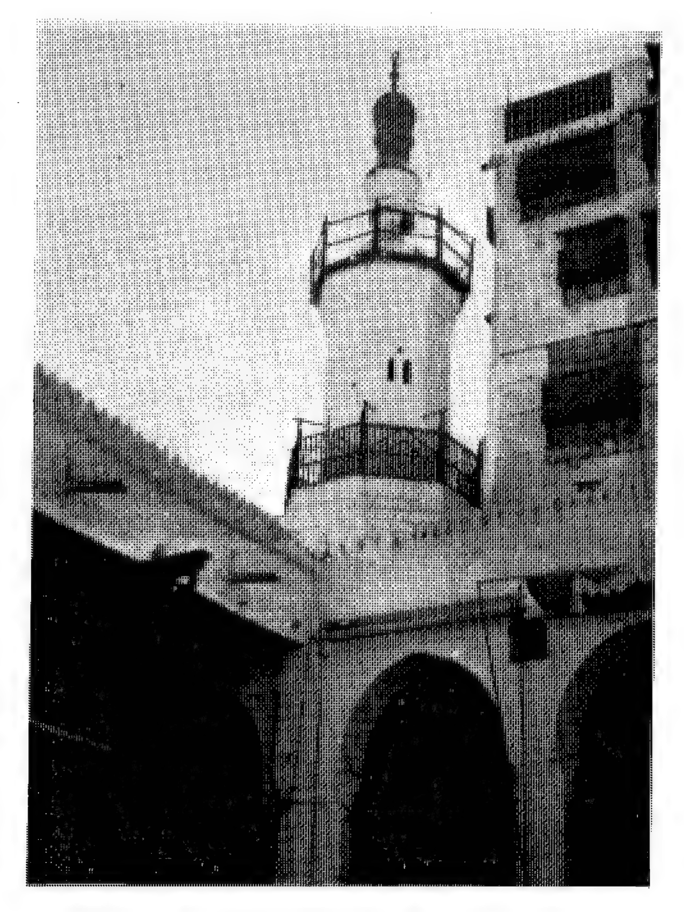
طائفة من المباني الأثرية الباقية في وسط مدينة جُدة ..

ومع ان اجتماع الرطوبة والملوحـة على أرض مدينة جُدة يحدان من بقاء المباني الاثرية عليهـا مدة مديدة فان قوة بناء بعض تلك المبانى في أسسها وفي بنائها تمنحها الصمود لمدة معينة حسب بنائهـا ومدى مقاومتهما للرطوبة والملوحةمعاً .. ومن هذه المبـاني التى حظيت بالبقاء الزمني المحدود ، هذه العمارات التى نشرنا صورها فيما يلي :

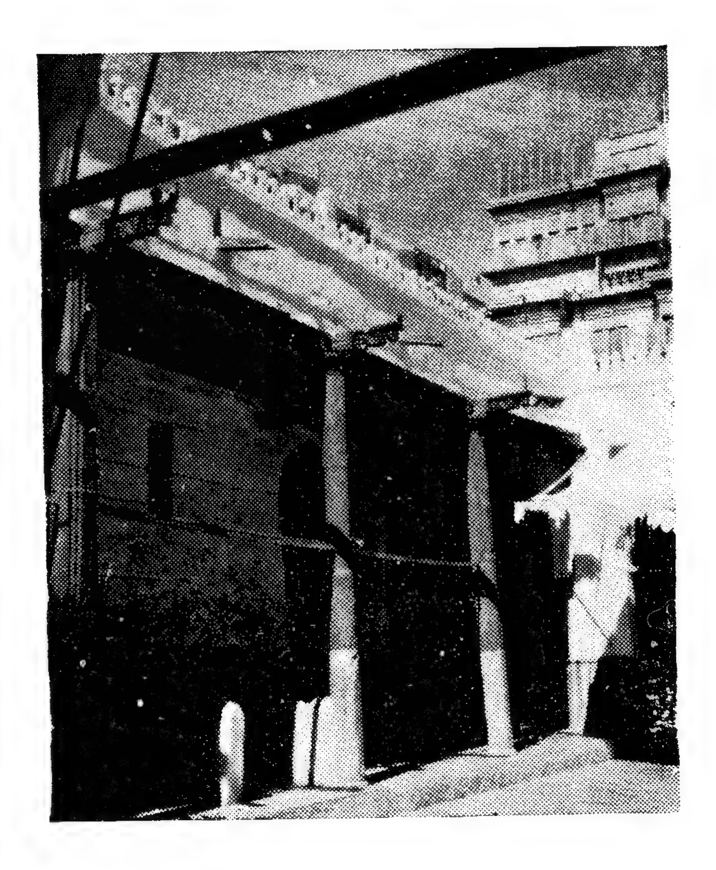




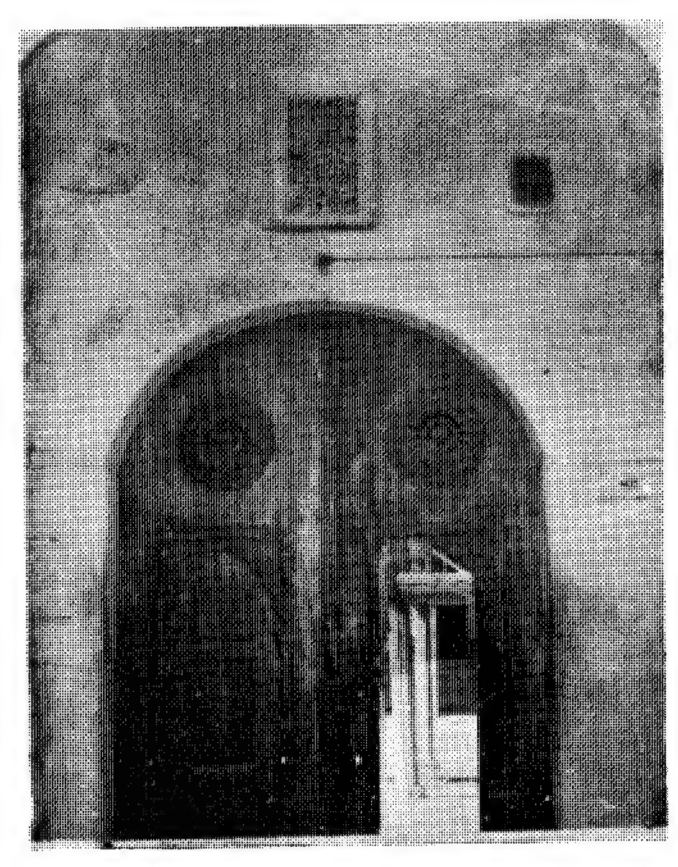
مسجد الشافعي من الداخل



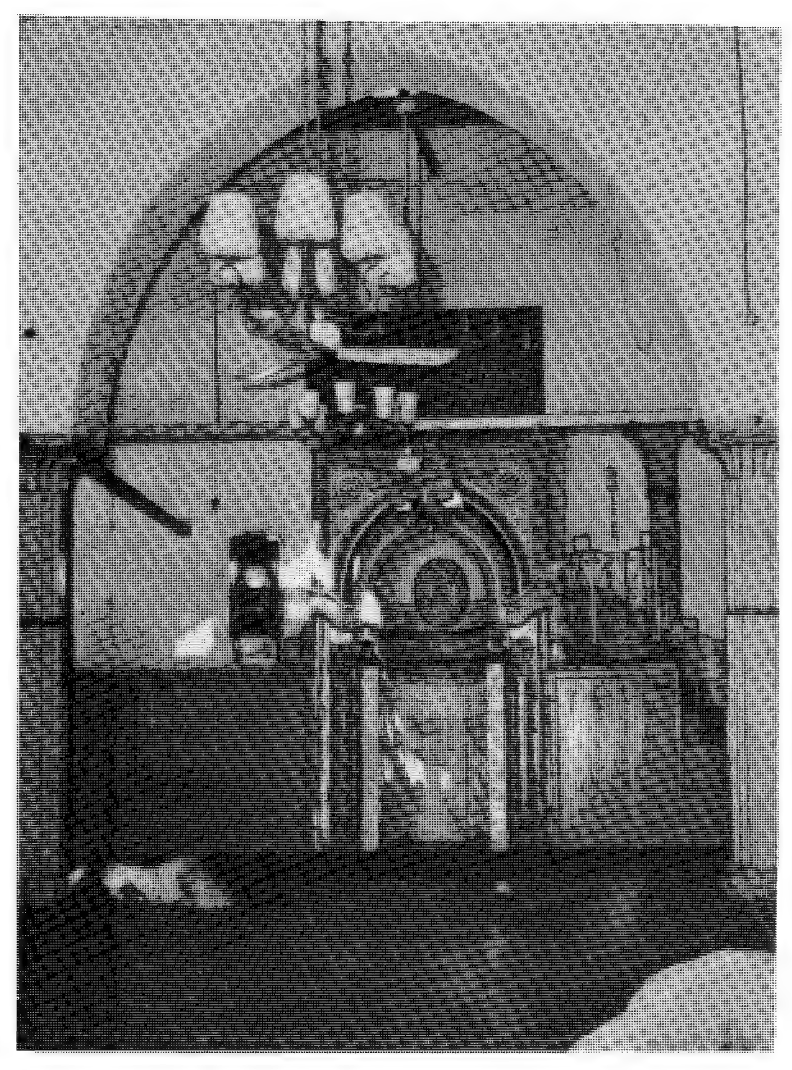
مئذنة مسجد الشافعي



منظر من جامع الشافعى بجدة

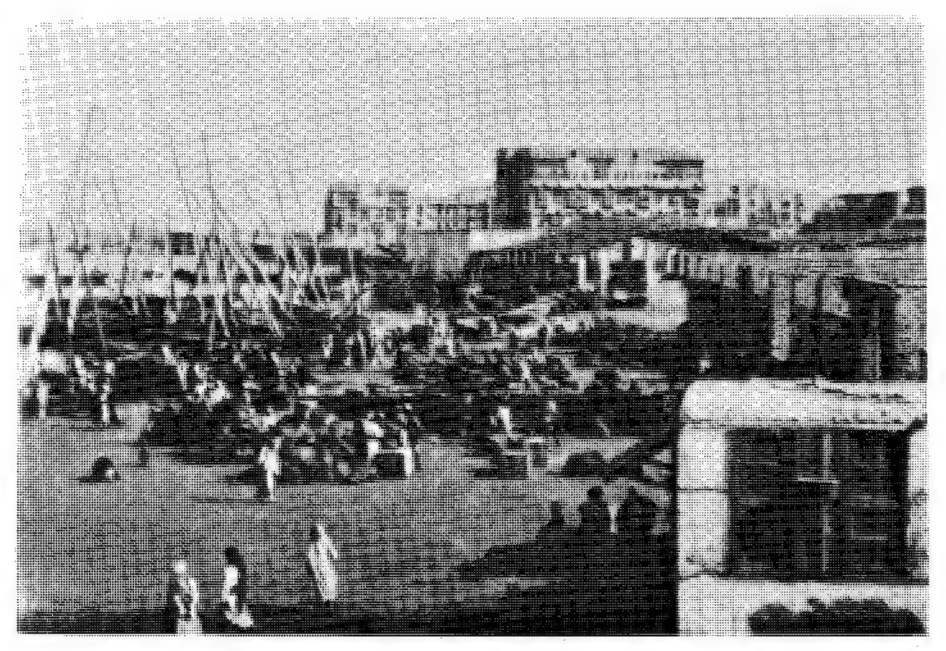


باب الجامع الشافعى (الجامع العتيق)



محراب مسجد الشافعي في جدة ·· أخذت

هذه الصورة سنة ١٣٨٢ هـ لكتاب تاريخ مدينة جدة (الطبعة الاولى)



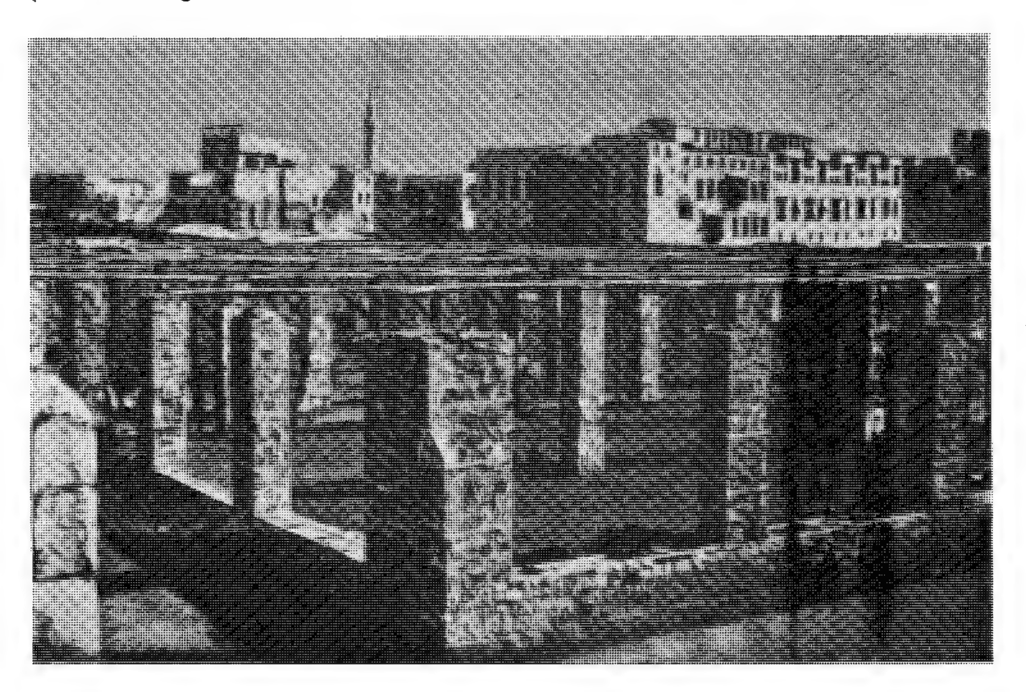
بعض منازل جدة العالية في العهد العثماني



ديوان الكرنتينا (المحجر الصحي) بجدة



زاوية فرج يُسر في الشارع الجديد بجدة



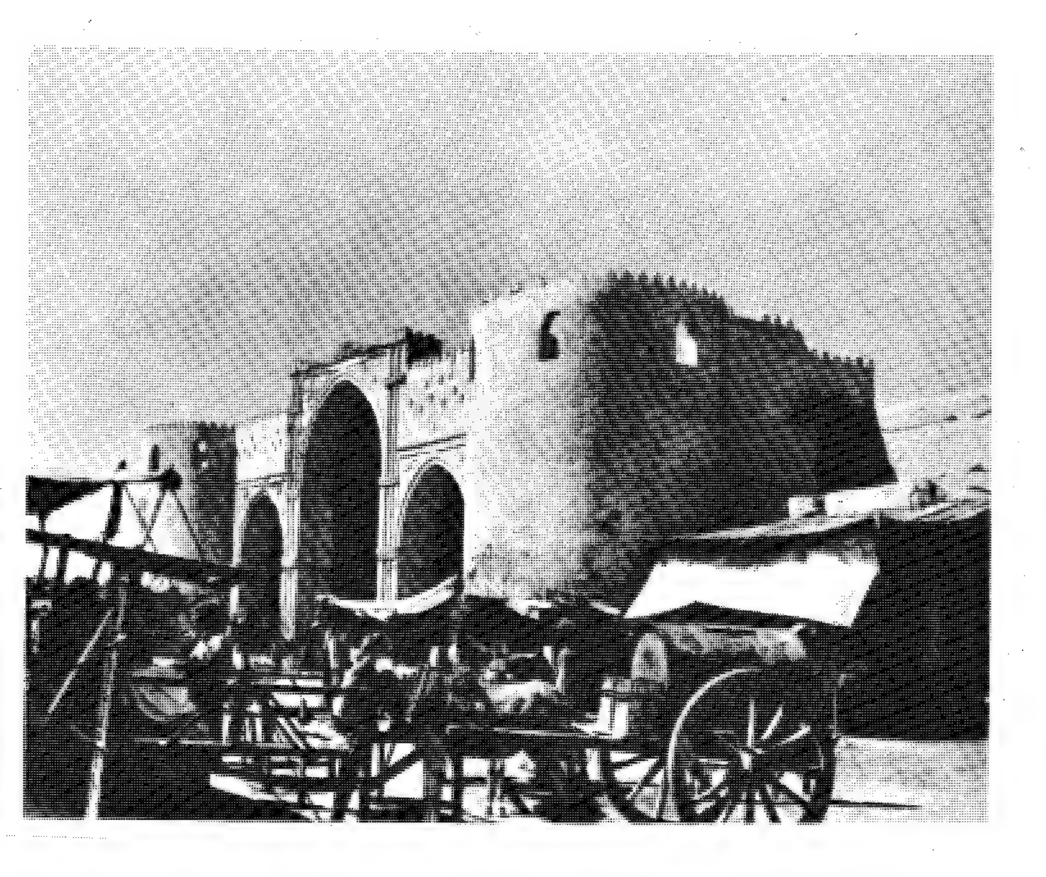
منظر ساحل جدة وبه الجمرك ·· محرم بسنة١٣٢٦ هـ

سراى (قصر) نائب الوالى في جدة في سنة ١٣٢١ هـ

ميناء جدة القديم



باب مكة ـ بجدة والذى منه يخرج
المسافرين الى مكة ٠٠ وقد أخذت
هذه الصورة في سنة ١٣٨٢ هـ عن
صـورة تاريخهـا ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٧ م
وقد أزيل الباب في مشروعات التوسعة



باب جدة الذى كان مخرج المسافرين منها الى المدينة المنورة ومدخلها منها الى جدة ..
(أخذت هذه الصورة له عن صورة قديمة مؤرخة في سنة ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٦ م وقد أزيل
هذا الباب في بعض مشروعات توسعة شوارع جدة



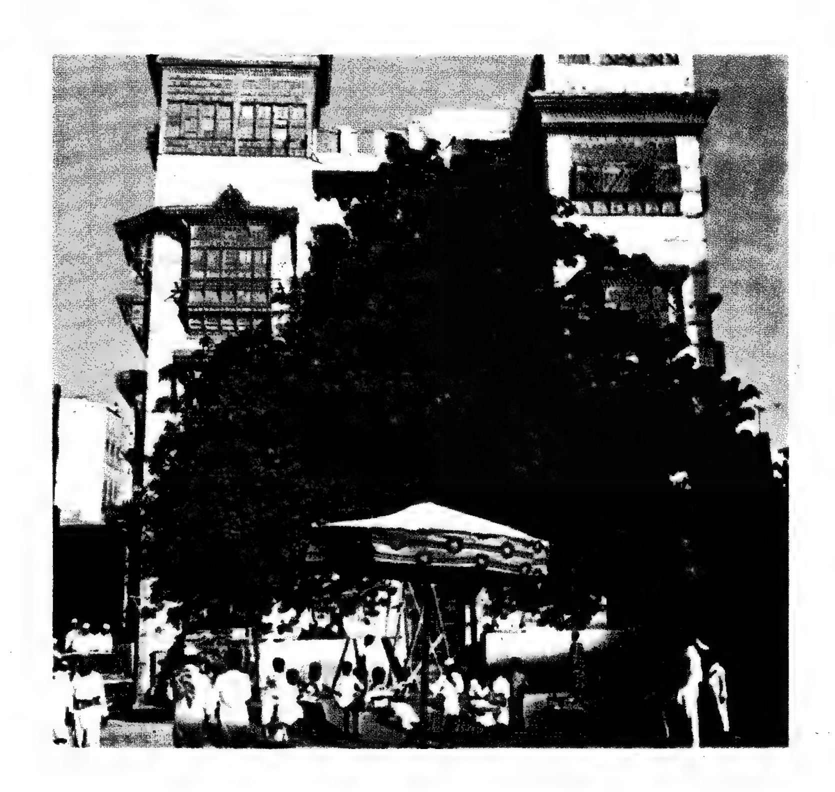
شارع سوق العلوى القديم وبه مبان قديمة ولا يزال كما كان



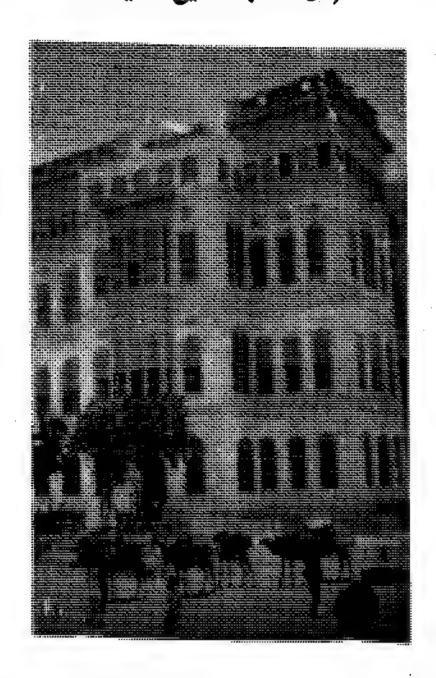
الشارع الجديد من ثلاجة باخشوين الى الجنوب



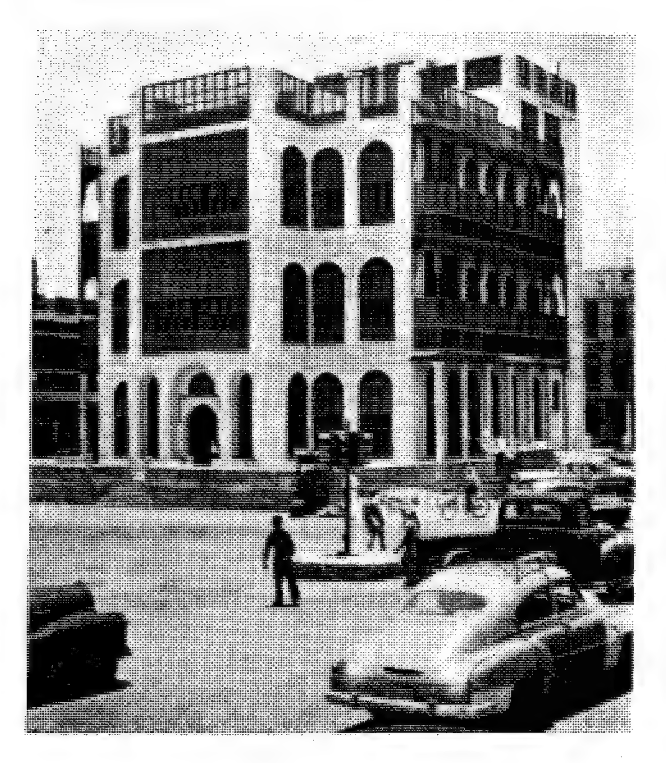
بيت الشريف
عبد الله مهنا



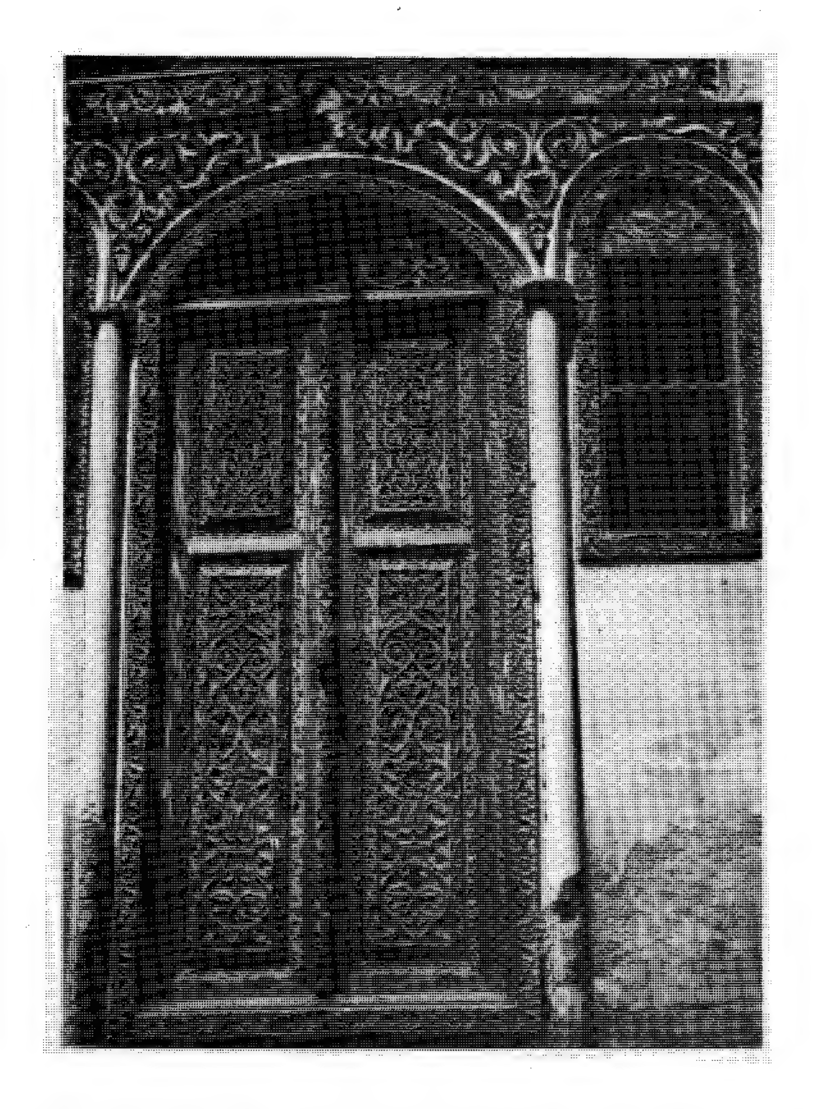
بيت الزاهد



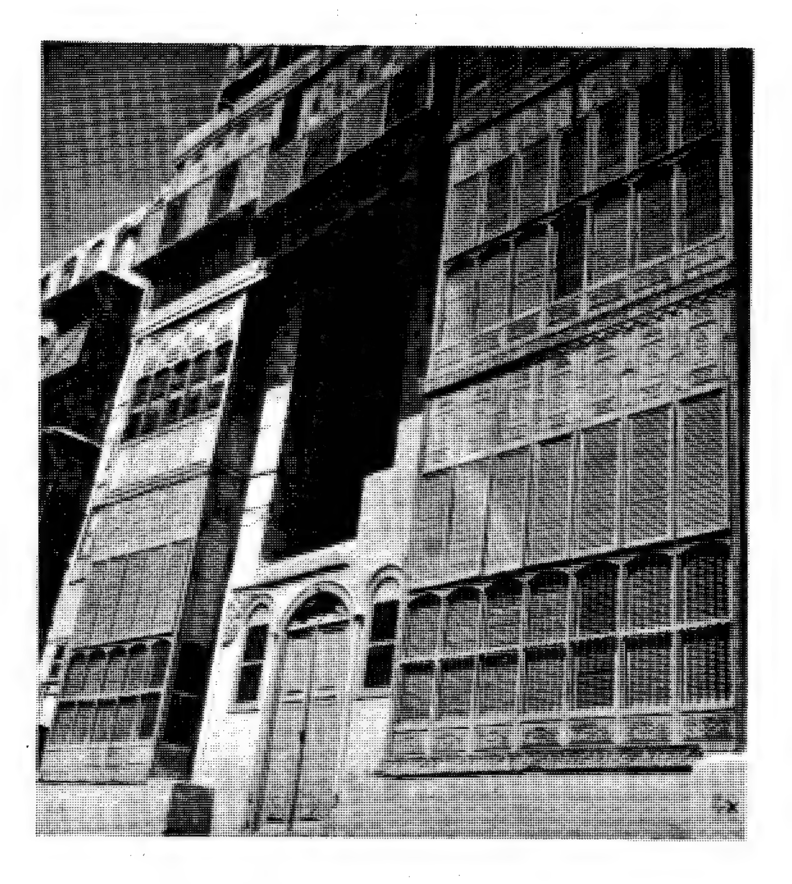
منظر قديم لمقدم دار آل نصيف
بناها جده عام ١٢٩٥ هـ
(وترى الجمال محملة أمامها)



دار حسن بكر ـ بشارع الملك عبد العزيز



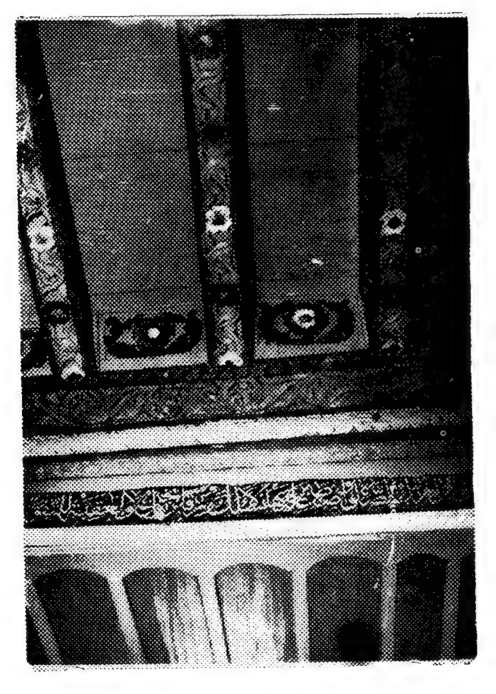
باب منزل آل باعشن بحارة المظلوم وترى النقوش العربية الرائعة عليه



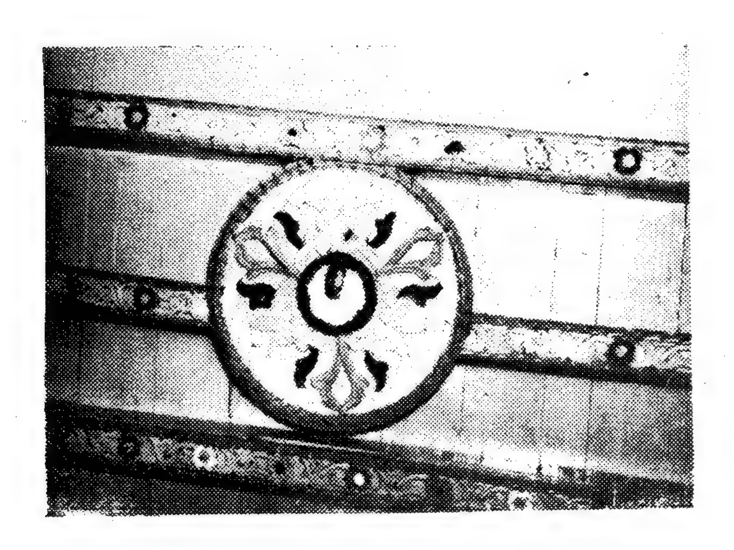
بيت آل باعشن بجدة (أخذت الصورة
لكتاب تاريخ مدينة جدة سنة ١٣٨٢ هـ)



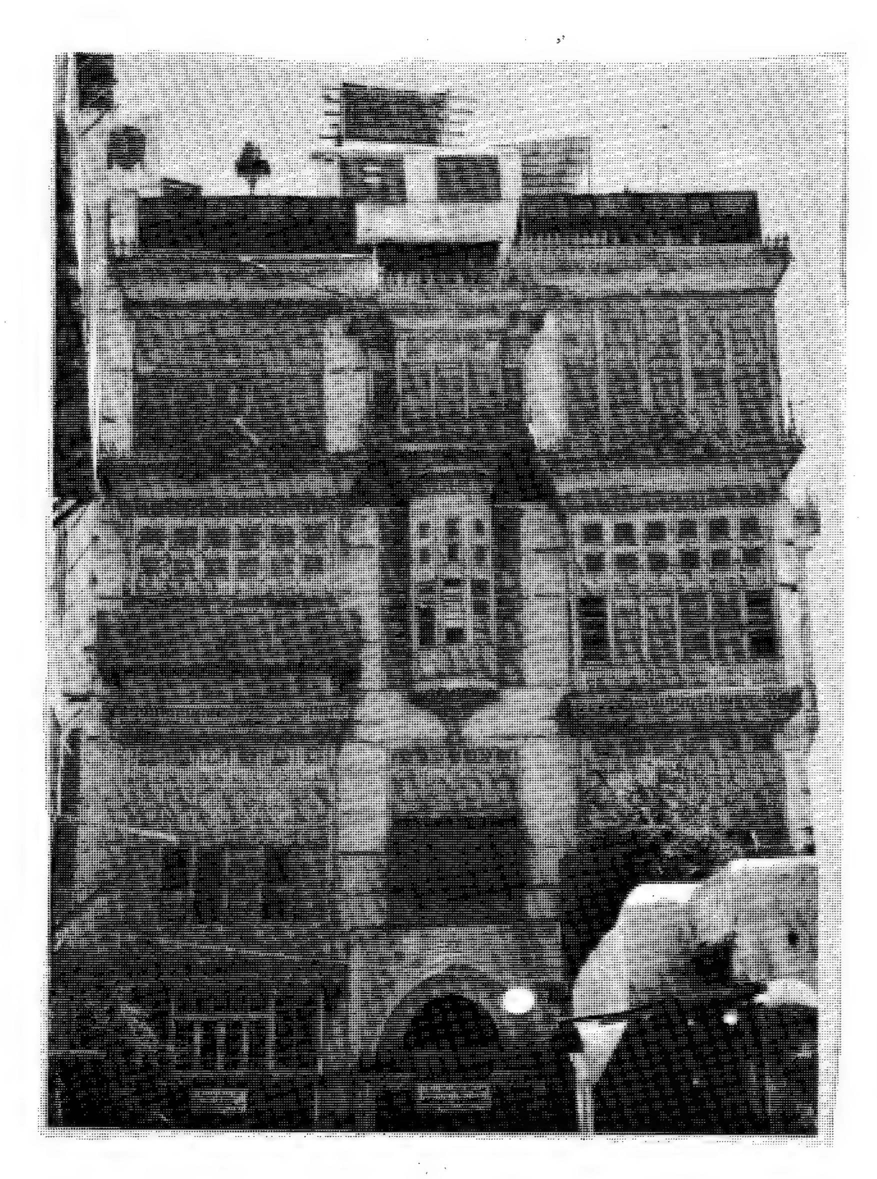
سقف دار آل باعشن



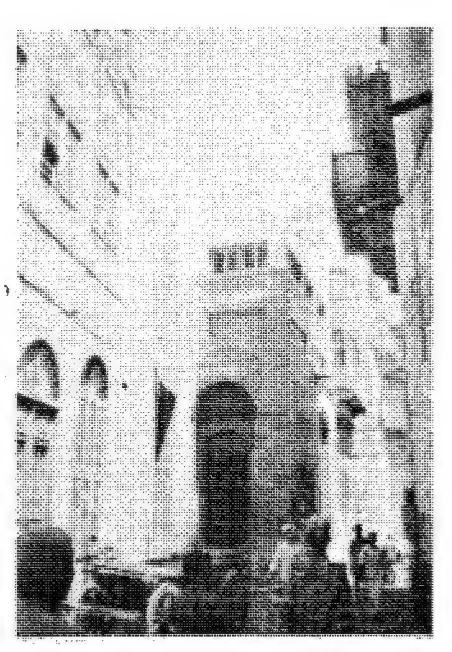
سقف من سقوف دار آل باعشن



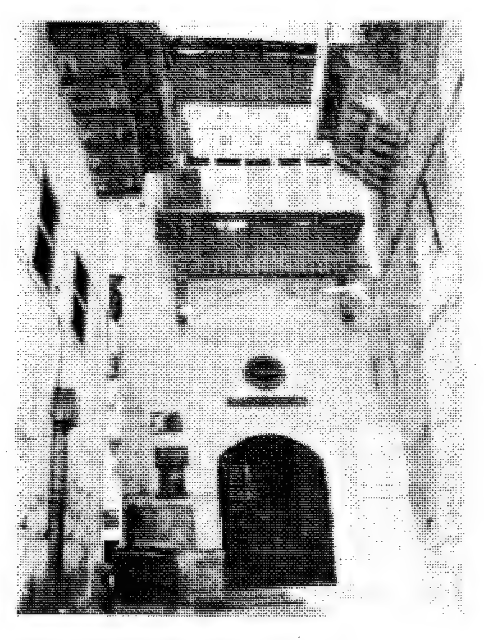
بيت باعشن من الداخل ·· ويرى فيه أجزاء من المتحف الخاص بهم



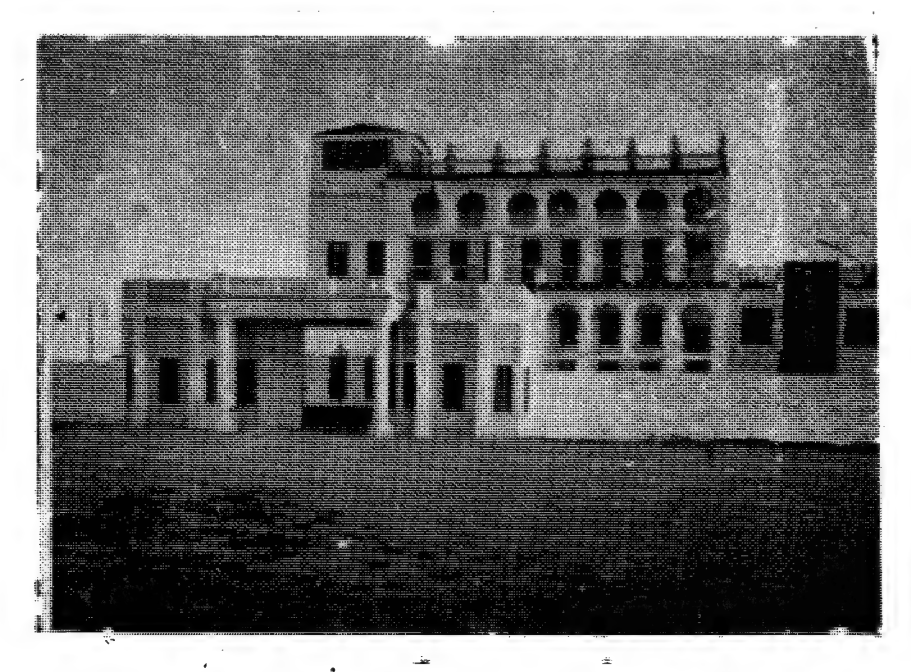
بيت عاشور سابقاً : وبيت نور ولي بجدة ، حالياً



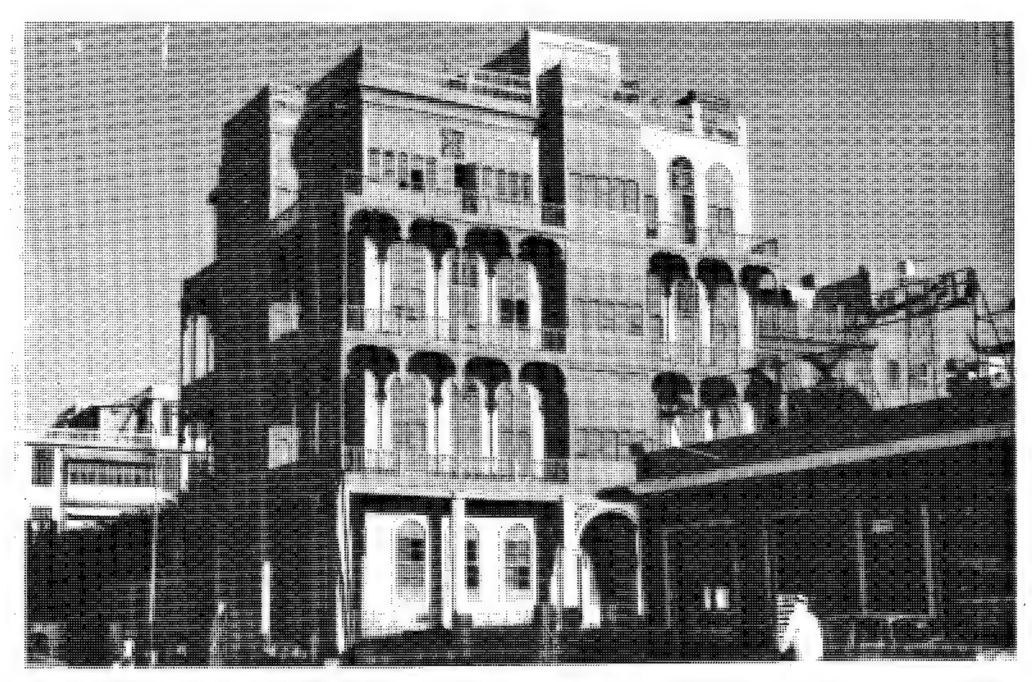
مكتب الشيخ محمد صالح بن علي باعشن
بمحلة المظلوم ـ قصبة الهنود



بيت حسين فائز ـ بقصبة الهنود
(وقد هدم)



قصر خزام الذى صار خلف القصر الملكى الحديث

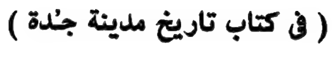


بيت الشريف عبد الله بن مهنا ٠٠ وقد آلت الى السيد عبد الله الشربتلى حاليا



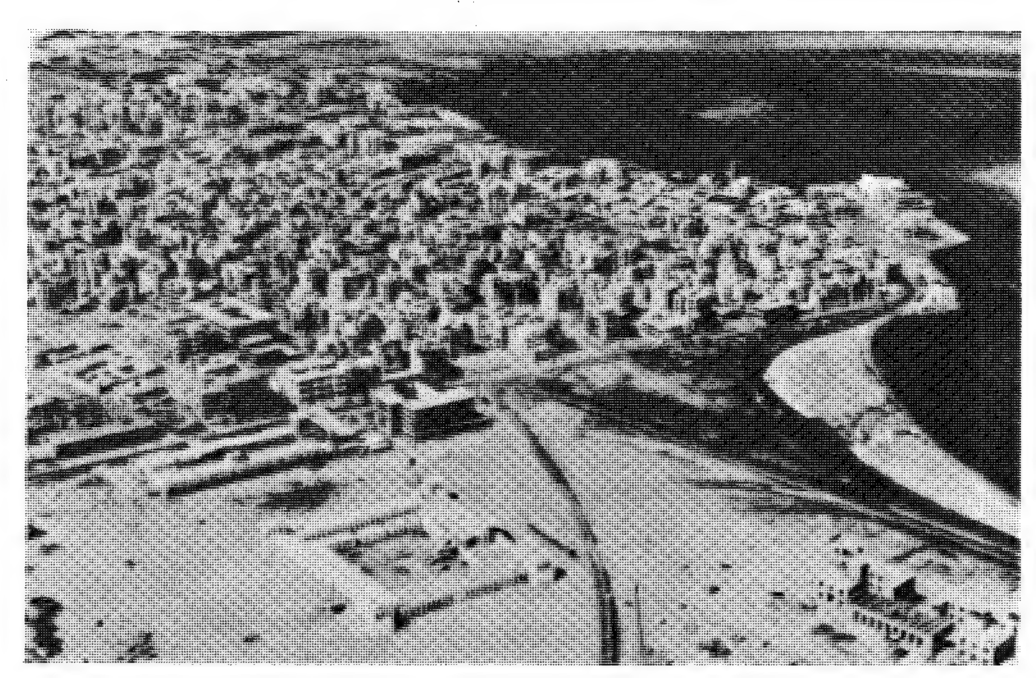
دار المتبولى بسوق العلوى بجدة

(المبانى الأثرية في مدينة جُدة)



(فى كتاب تاريخ مدينة جُدة)

عمارة موسى بغدادى بجدة ٠٠ من أجمل عمارات جدة القديمة ٠ وقد أزيل في توسعة شوار ع جدة . (راجع عنه ص٣٣٤ سطر ٣ من هذا الجزء)



جدة في عام ١٩٥٠ م ـ ١٣٧٠ هـ

مدينة جدة القديمة حينما استولت عليها قوات الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٥ م



● نماذج من المباني الحديثة الطراز ●

في مدينة جُدة

ومنطقة أبحر

.. الى جانب نشرنا لصــور العمــارات والدور الاثرية وشــبه الاثرية ، العربيــة الطراز شــكلا وجوهرأ ـ عمدنا ا لىنشر صــور بعض العمارات والدور الغربية الطراز التى تكتظ بها مدينة جُدة مؤخرأ ابان بروز حركة نهضتها العمرانية الحديثة الحاليــة ، وذلك ابرازأ منــا للفــروق الجوهرية والشــكلية الكامنة في كل طراز من طرازي البناء المشار اليهما ، واعطاءأ للقــارىء فــكرة دقيقــة لتقديره مزايا كل نوع منهما ، نتيجــة للمشاهدة والمعاينة والتأمل الشامل لبناء كل نوع منالنوعين: العــربي بزخــرفه القــديم ، والغربي برونقــه الحديث ..

وفيما يلي نماذج المباني الحديثة في جُدة التى قمنا بنشرها :





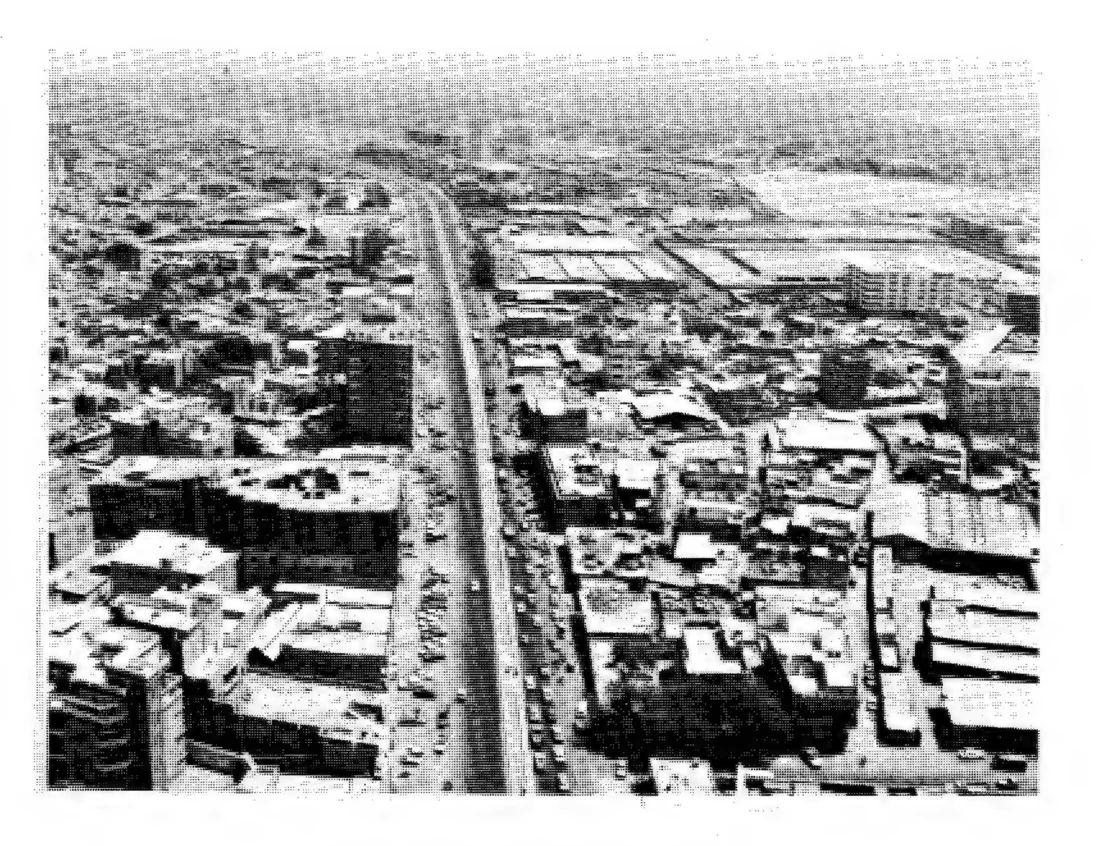
منظر عام من الجو لبعض مبانى جدة الحديثة



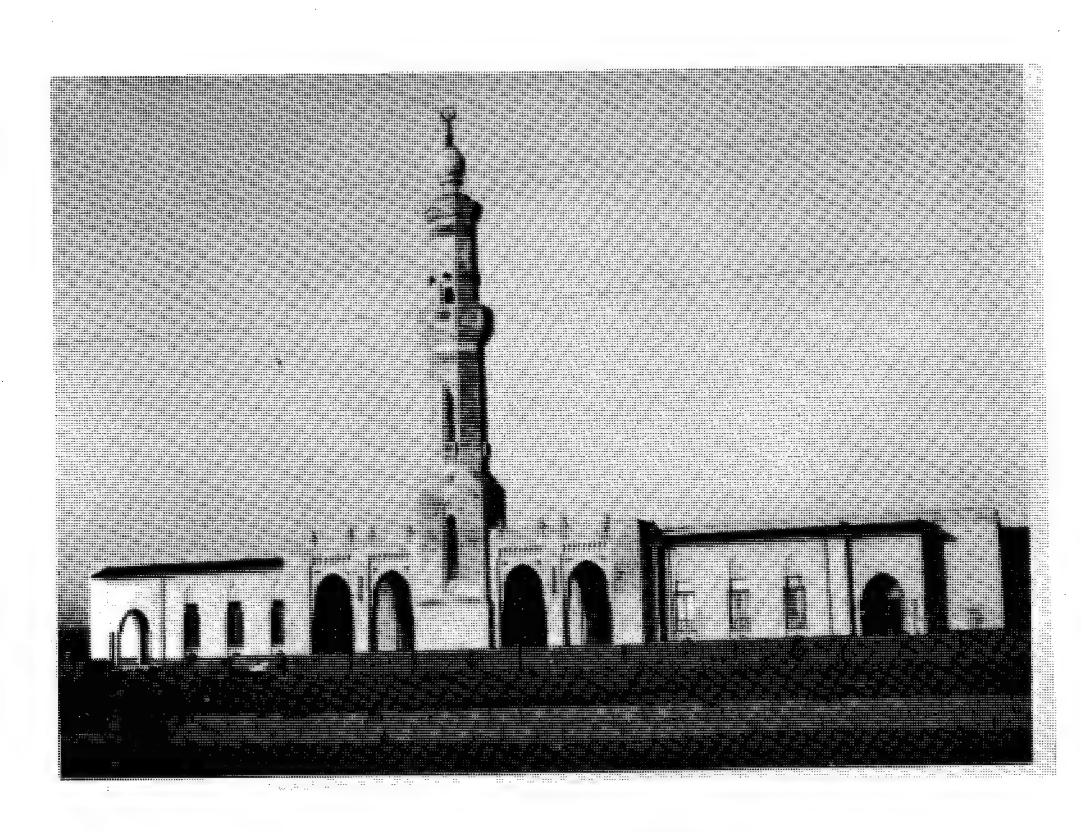
لقطة جوية لبعض مبانى مدينة جدة الحديثة



منظر جدة من الجو سنة ١٣٨٢ هـ



منظر عام لطريق ميناء جدة من الجو



مسجد الملك سعود بمحلة الرويس في جدة

مسجد مدينة حجاج البحر بجدة التابعة لادارة العين العزيزية بجدة ..

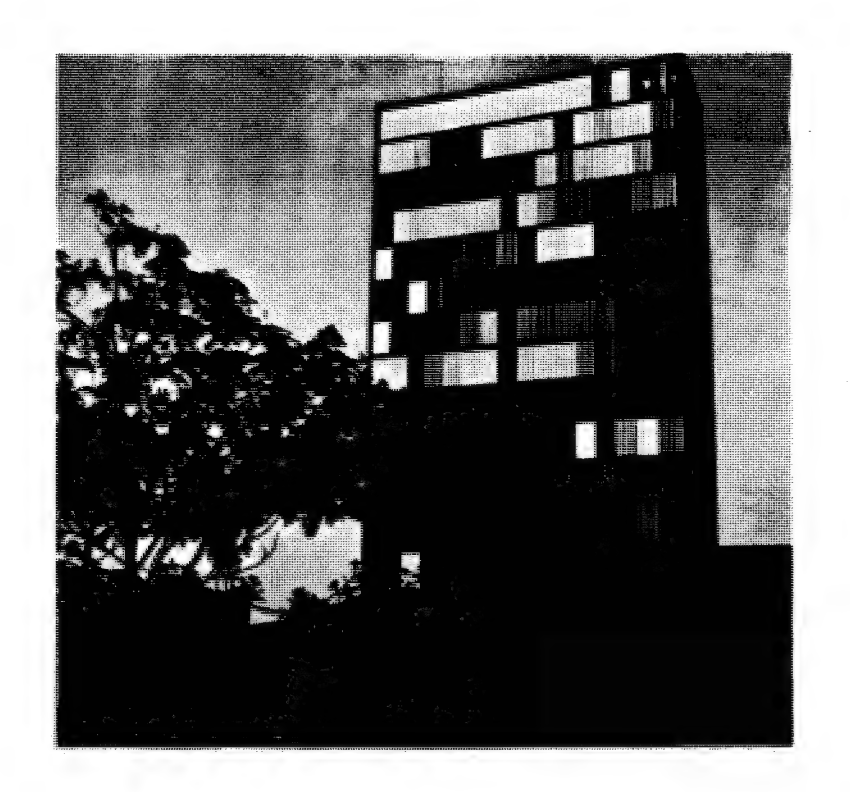


جانب آخر من مطار جدة ويرى بجانبه مدينة حجاج الجو التابعة لادارة العين العزيزية بجدة
أخذت الصورة سنة ١٣٨٢ هـ

مبنى وزارة الخارجية السعودية بجدة



مبنى وزارة الاعلام بجدة ٠٠ أخذت صورته سنة ١٣٨٢ هـ

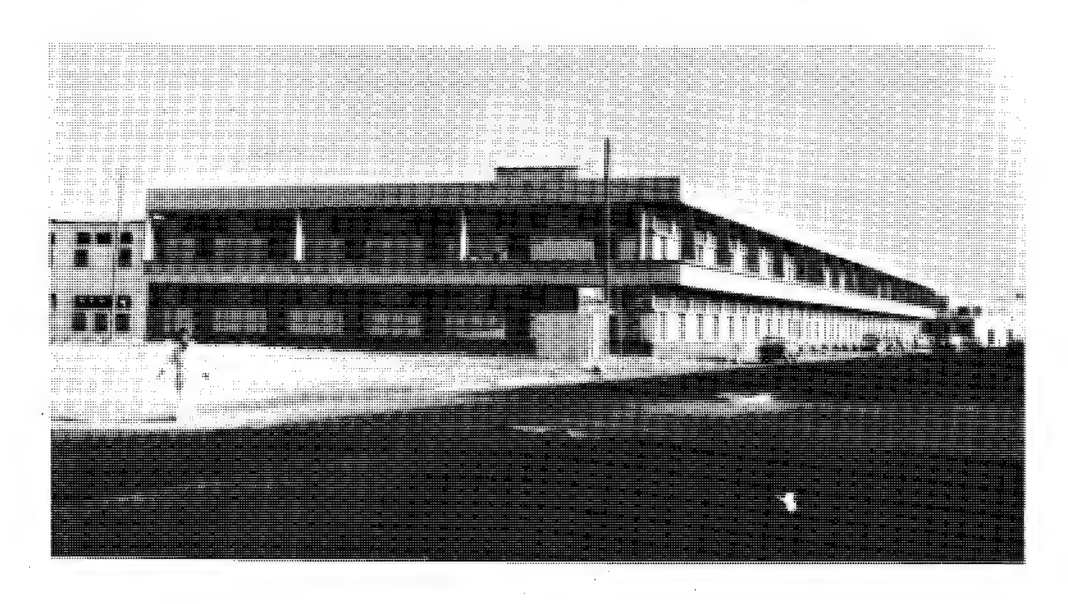


مبنى وزارة الاعلام بجدة

مبنى مدرسة الفلاح الجديد بجدة



جانب من مدينة
حجاج البحر بجدة

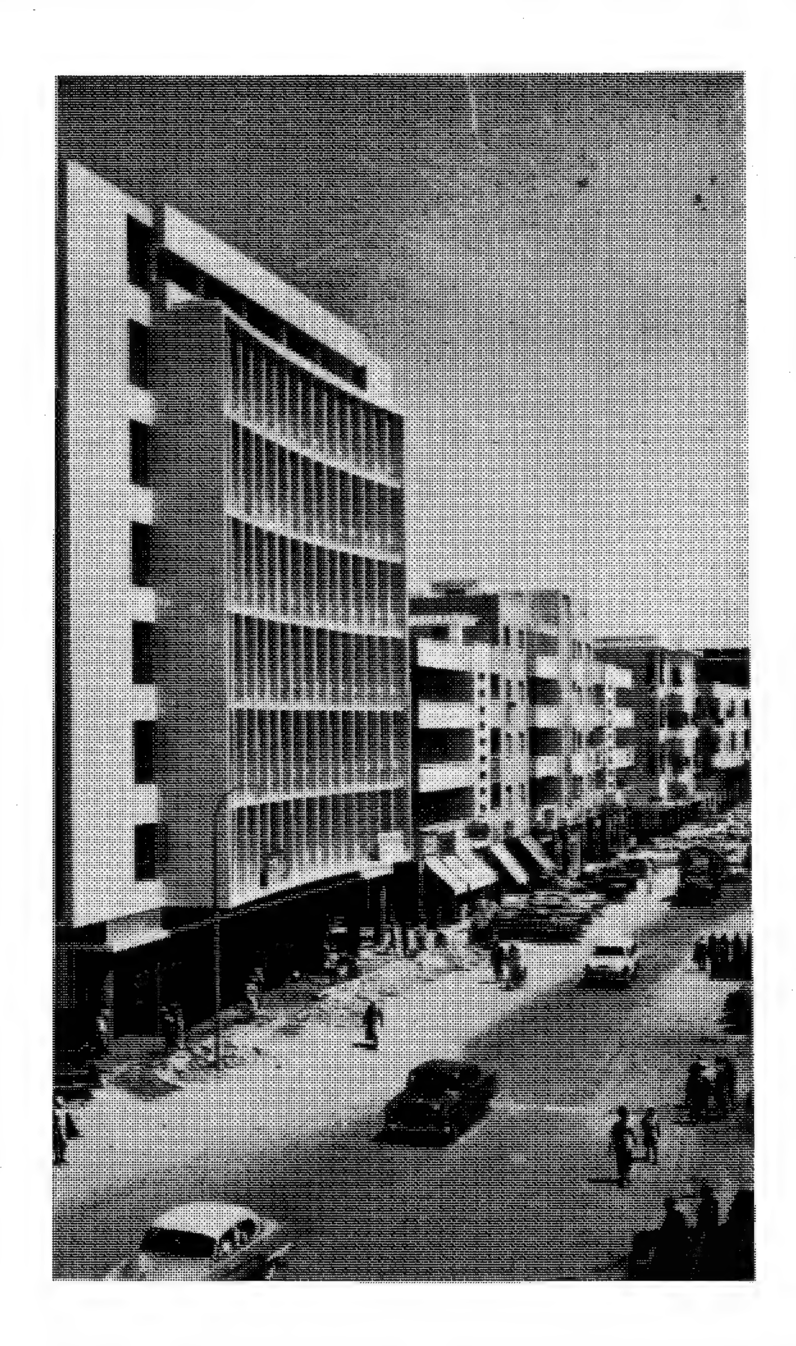


منظر عام لمبنى مدينة حجاج البحر بجدة



بوابة القصر الملكي بجدة

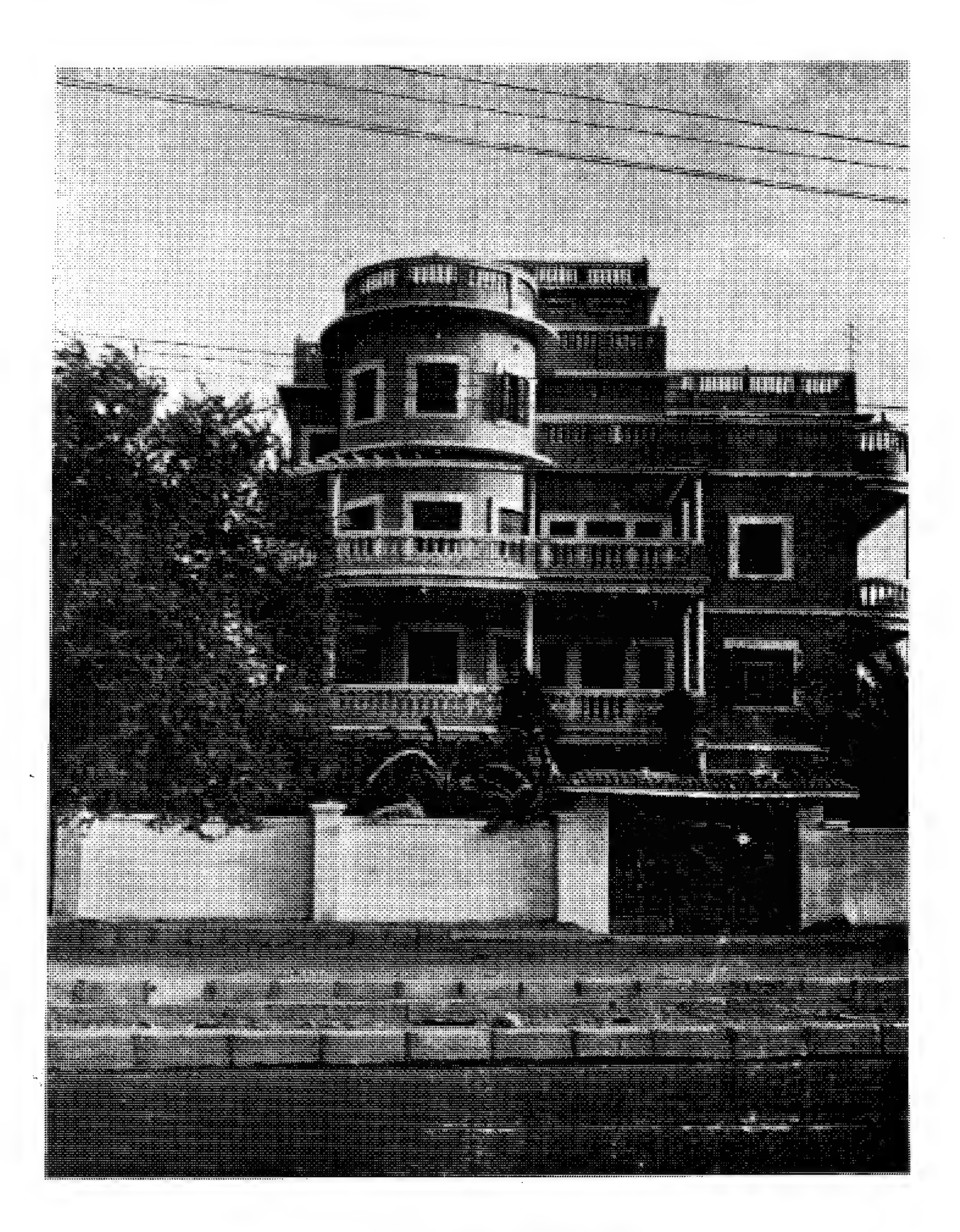
أخذت الصورة سنة ١٣٨٢ هـ



عمارة سمو الأمير عبد الله الفيصل ، بشارع الملك عبد العزيز (حديثة)

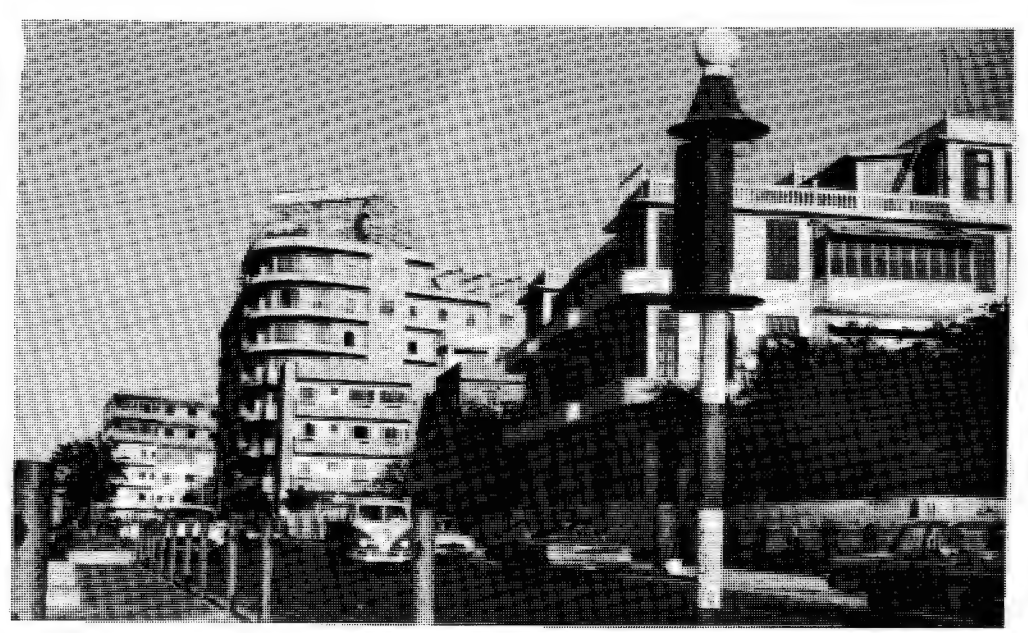


دارة سمو الأمير عبد الله بن سعود بشارع الميناء بجدة : أخذت صورتها في سنة١٣٨٢هـ



قصر في طريق الميناء ..

ميدان شارع الملك عبد العزيز بجدة (حديثبسنة ١٣٨٢ هـ)

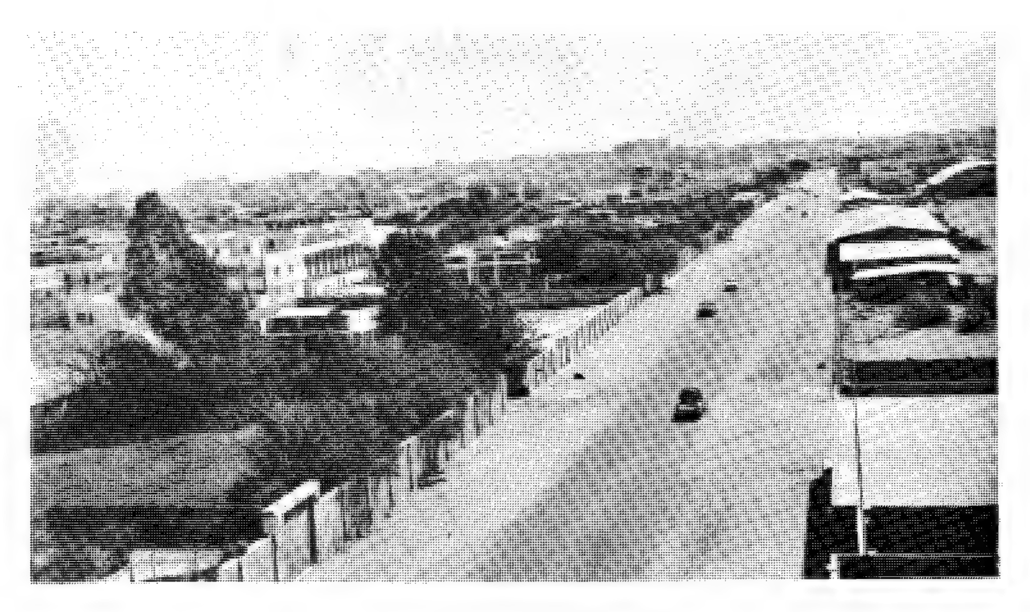


شارع الملك عبد العزيز بجدة (حديث) سنة ١٣٨٢ هـ

من عمران جدة الحديث

عمارة سمو الأمير نواف بن عبد العزيز آل سعود بشارع الملك عبد العزيز

مبانى أبحر سنة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م



شارع المطار (القديم) بجدة (سنة ١٣٨٢ هـ)

مدرسة الثغر النموذجية بجدة سنة ١٣٨٢ هـ



من عمران جدة الحديث

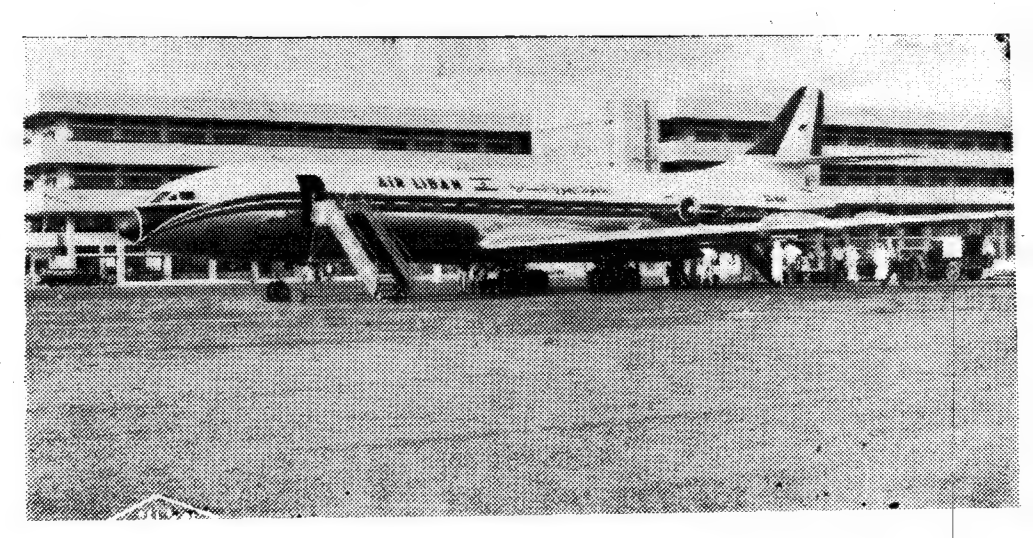


أزيل هذا المستشفى في احدى توسعات شوارع جدة

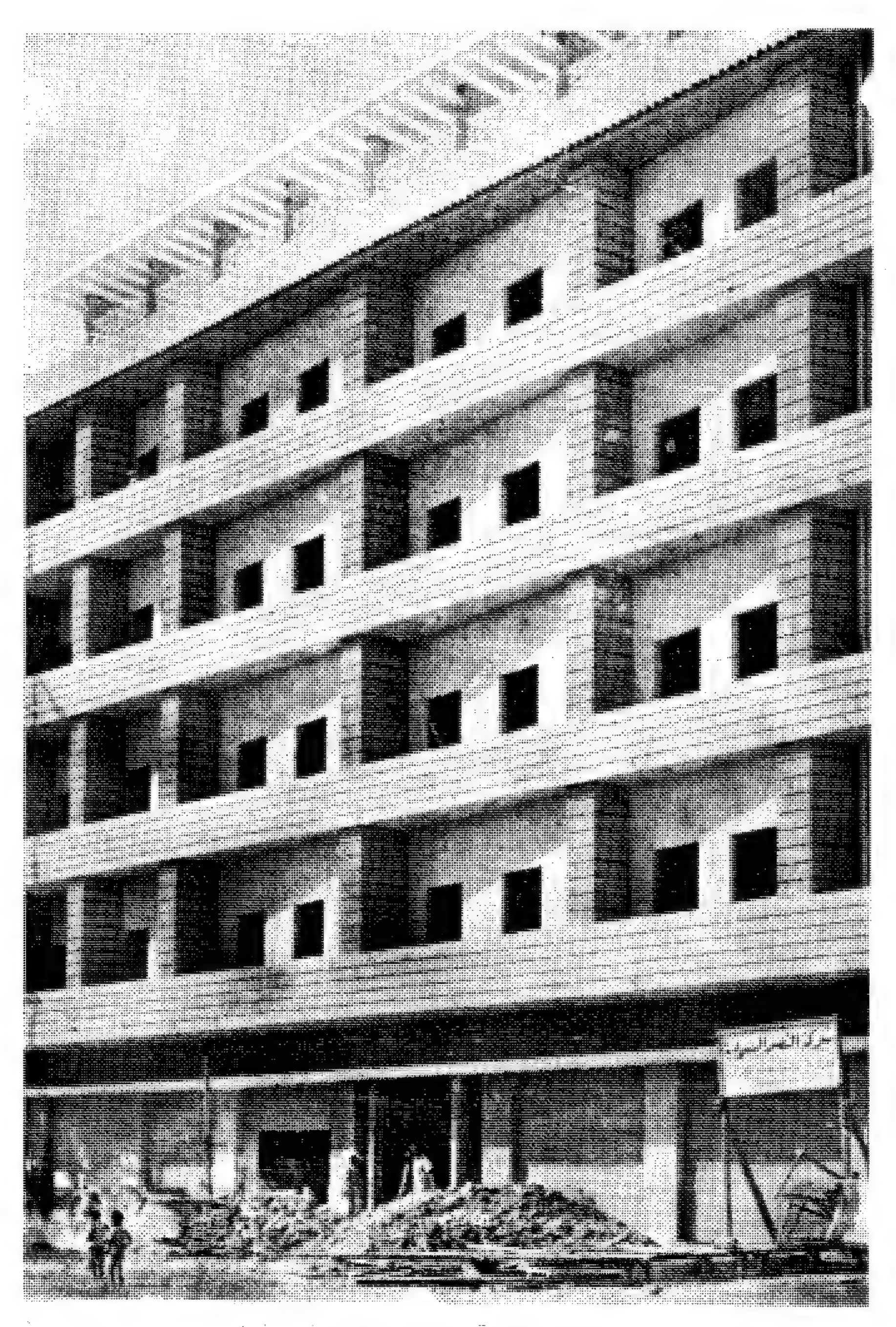
معرض الخريجي بشارع المطار (القديم) ٠٠أخذت صورته هذه بسنة ١٣٨٢هـ ـ وقد أزيل هذا المعرض في مشروعات توسعة شوارع جدة ٠٠



برج مطار جدة القديم



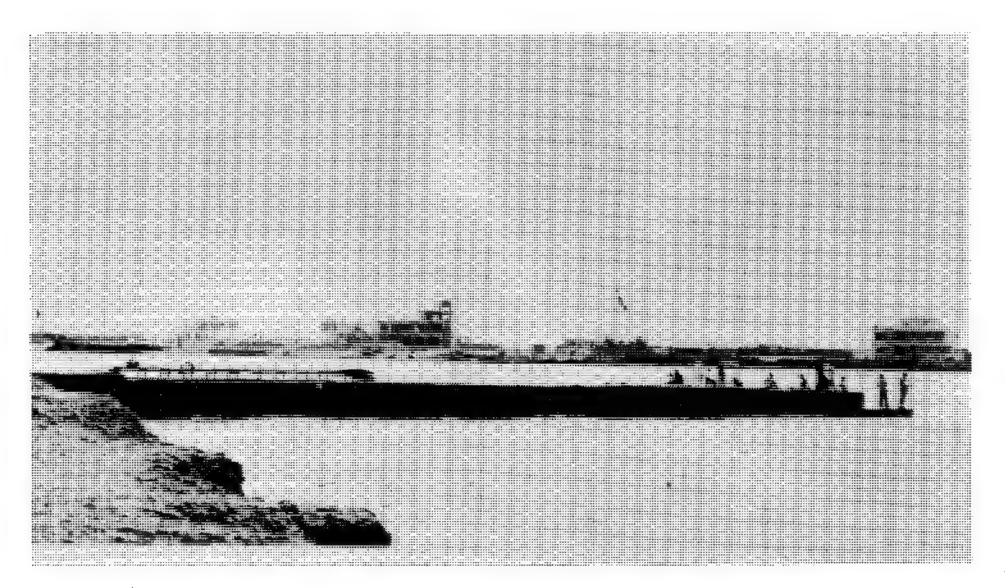
جانب من مطار جدة (القديم) ويرى عليه احدى طائرات الاسطول الجوي السعودي المدني جاثمة فوق أرض المطار ..
أخذت هذه الصورة بسنة ١٣٨٢ هـ لكتاب تاريخ مدينة جدة



عمارة شقق سكنية بجدة



منظر جدة من البحر ٠٠ البحر أقرب منها في هذا المنظر



ميناء أبحر القديم (وقد استكشفه المؤلف على شاطىء أبحر الكبير الذى يتفرع من خليج أبحر) وقد غيرت معالمه أخيراً

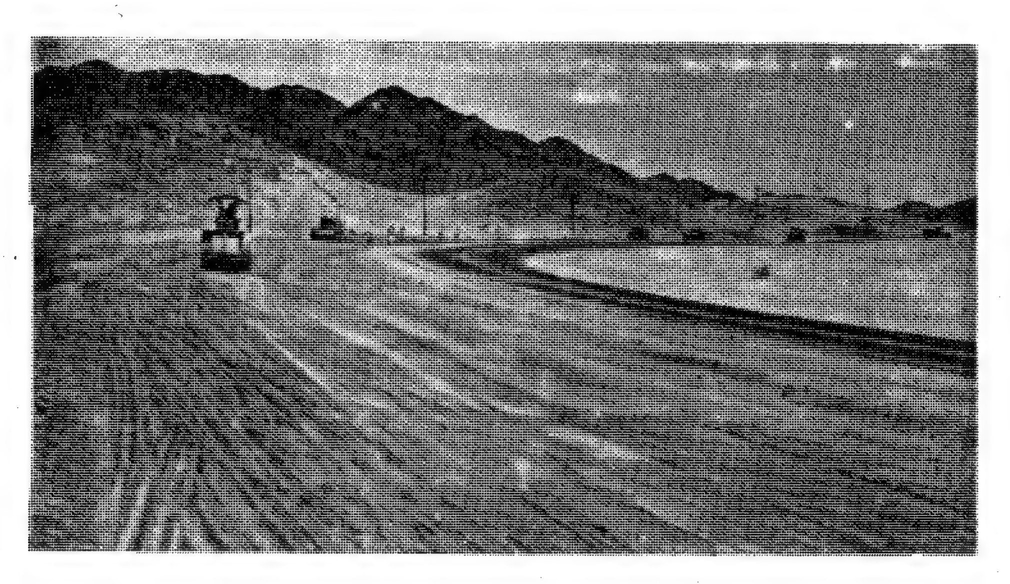


منظر عام للمحجر الصحى بجدة

من شوارع مدينة جدة الحديثة

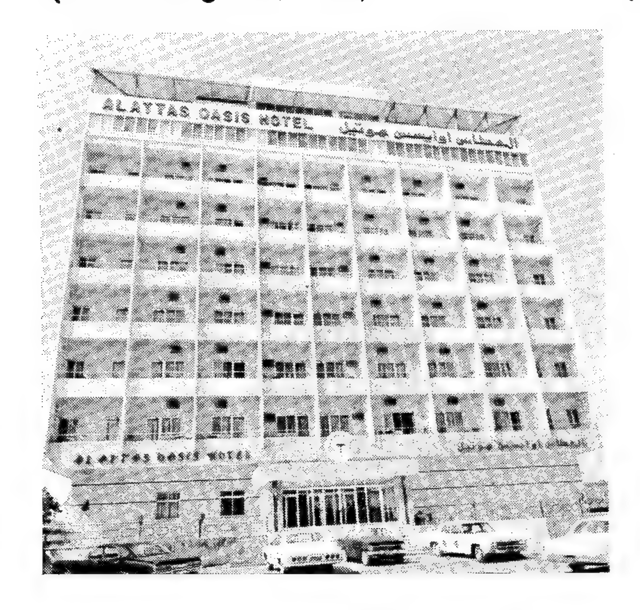


القسم الجنوبي الغربي من شارع الملك عبد العزيز وبه معرض آل زينل
أخذت الصورة سنة ١٣٨٢ هـ



عملية تمشيط أرضية للخط الثاني المحاذى للأول من سفلتة الطريق بين مكة وجدة

(المبانى الحديثة في مدينة جُدة) (فى كتاب تاريخ مدينة جُدة)



العطاس أوايسس
هو تيل بجدة

مشهد من مشاهد عمران جدة الحديث



فندق الكندرة بجدة ·· أخذت الصورة سنة ١٣٨٢ هـ

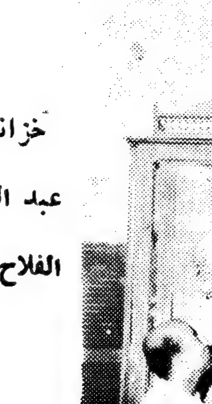
فندق جدة ـ من الداخل : أخذت الصورة سنة ١٣٨٢ هـ



منتزه جدة على شاطئ البحر الأحمر (حديث سنة ١٣٨٠ هـ)

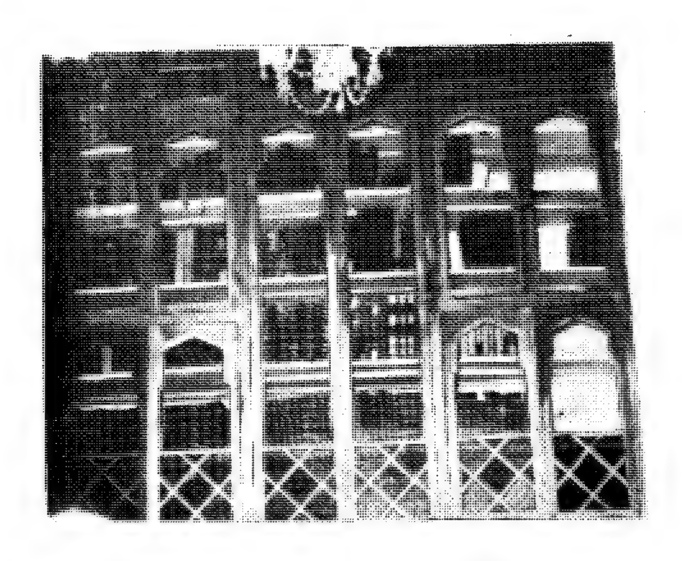
متفرقات

من صناعات جدة . وأعمالها ، ومتنزهاتها ، ونباتها البرية والبحرية



خزانة كتب أهداها الملك الراحل عبد العزيز آل سعود لمدرسة الفلاح

جانب من مكتبة الشيخ حسونة البصطي بجدةوقد أهداها لمدرسة الفلاح بجدة



جانب من مكتبة آل باعشن

جانب آخر من مكتبة الشيخ حسونة البصطى
بجدة وقد أهداها الى مدرسة الفلاح بجدة

من بعض جوانب مكتبة الشيخ حسونة
البصطى بجدة المهداة منه الى مدرسة الفلاح
بجدة

احدى الطائرات السعودية فوق مطار جدة القديم ٠٠ أخذت صورتها في سنة ١٣٨٢ هـ

الجانب الامامي من الثكنة العسكرية بجدة



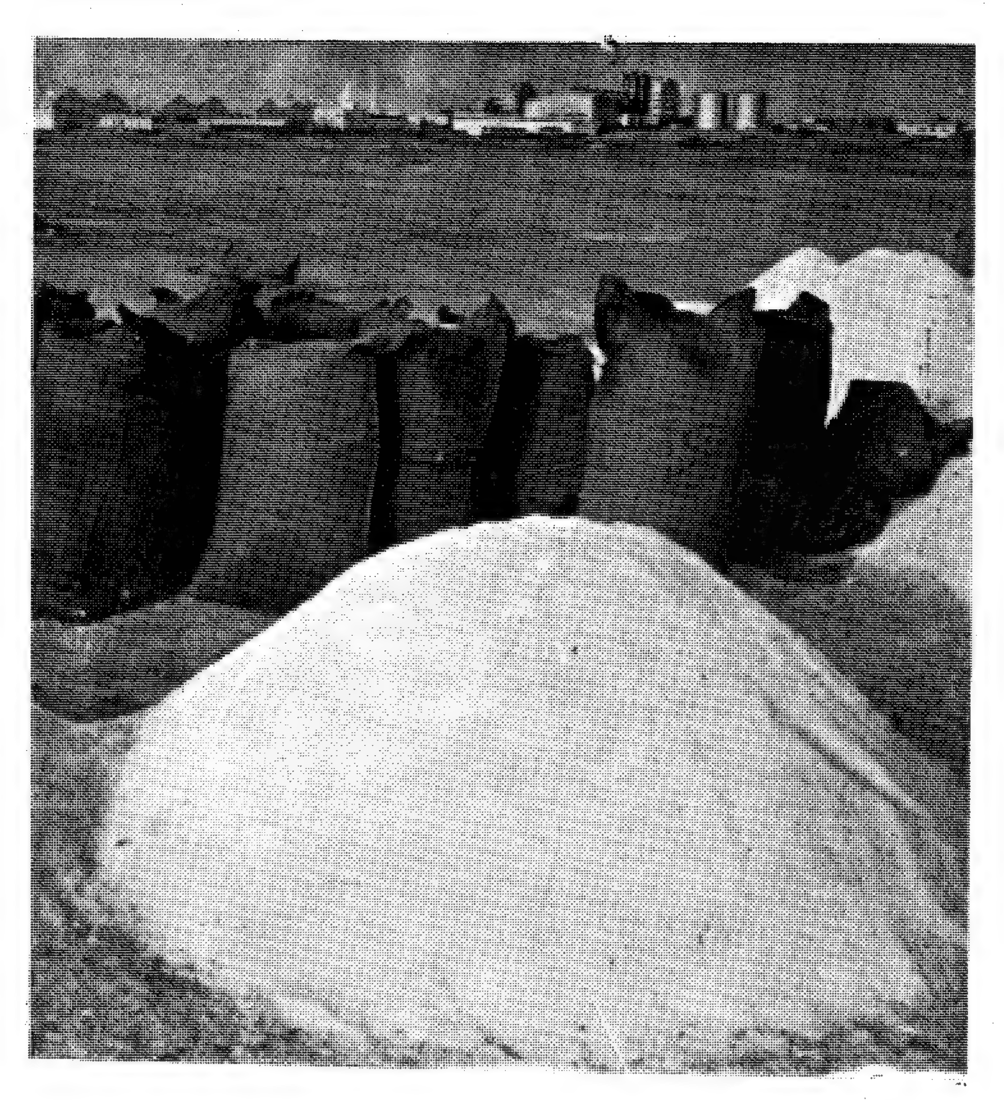
تخريج فوج من جنود المظلات في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٢ هـ

جندي سعودي يتدرب على الطعان سنة ١٣٨٢ هـ



سقاءان في جدة

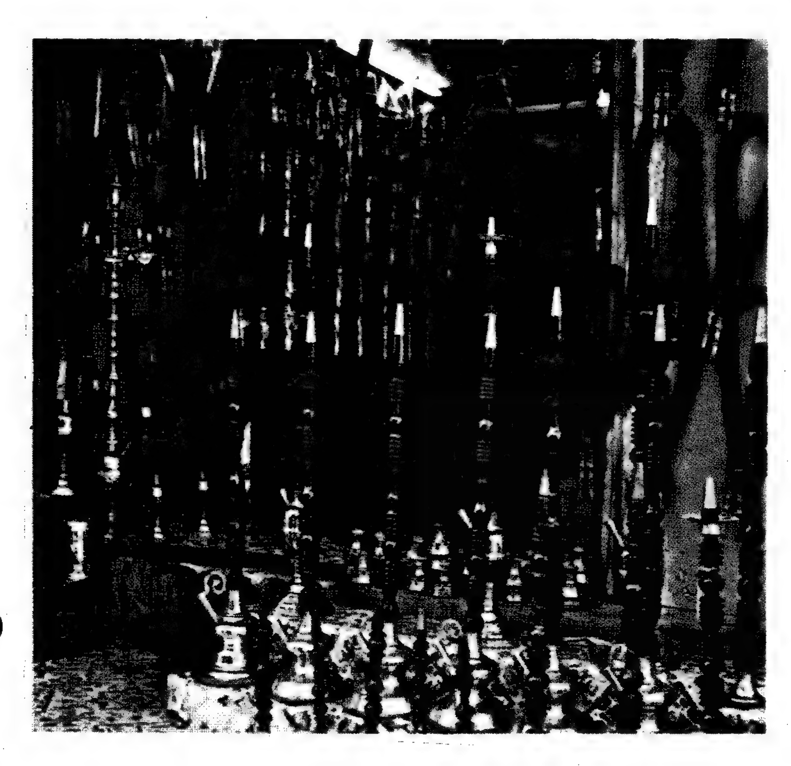
كراسي شريط بلدية أمام بيت زينل



استخراج الملح من ماء البحر بطريقة تجفيف ماء البحر وحصره في حفرة حتى يجف الماء وذلك بجنوب جدة ثم تجميعه فتعبئته في أكياس خيش تمهيداً لتصديره



شاحذ السكاكين
بجدة



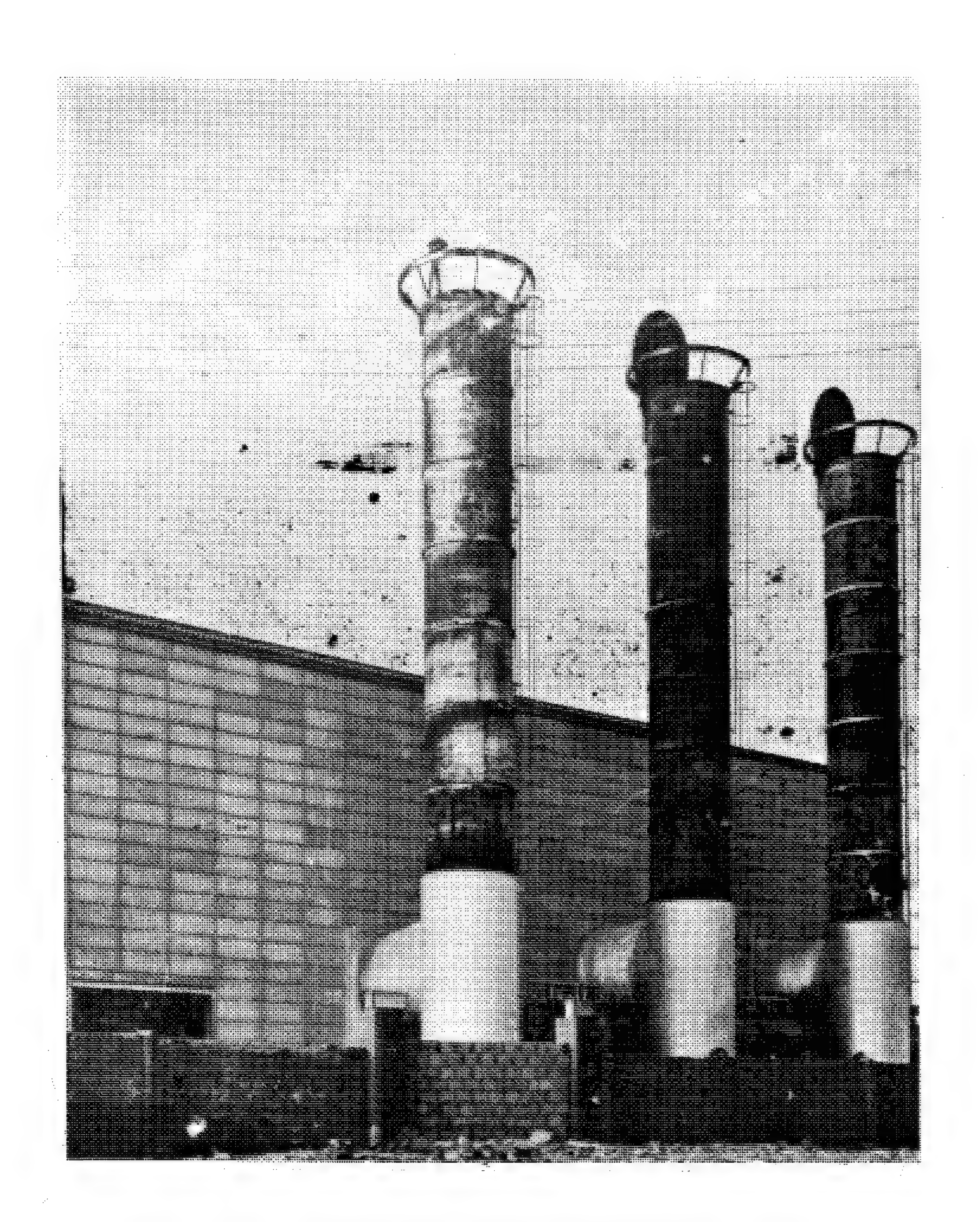
محل بيع الشيش
(الكركريت) بجدة



باعة الحلوى والملبس
بجدة في العشرة
الاخيرةمن رمضان



مجتمع جدة
في أواخر
شهر رمضان

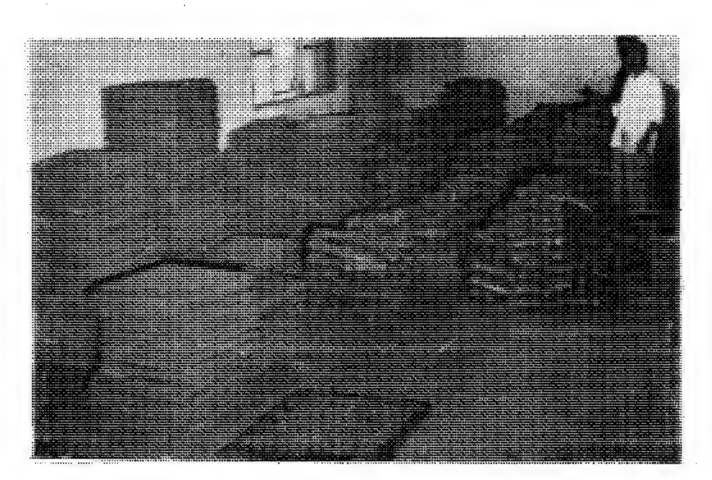


حانب من محطة القوى الكهربائية بمحلة الثعالبة في جدة

أخذت الصور في سنة ١٣٨٢ هـ

جزء من مبنى شركة الاسمنت السعودية بجدة

أخذت الصورة سنة ١٣٨٢ هـ

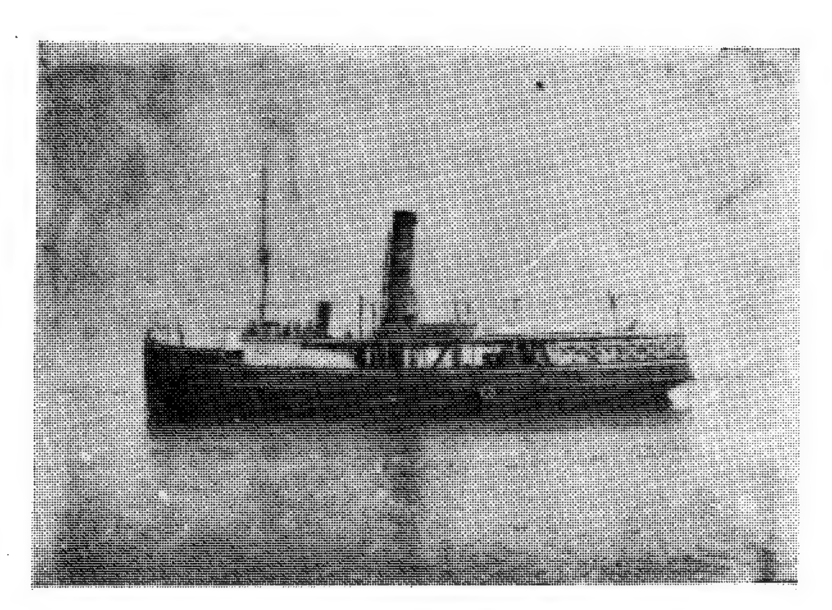


مسبك الحديد والصلب فى شارع عرفات ـ بجدة

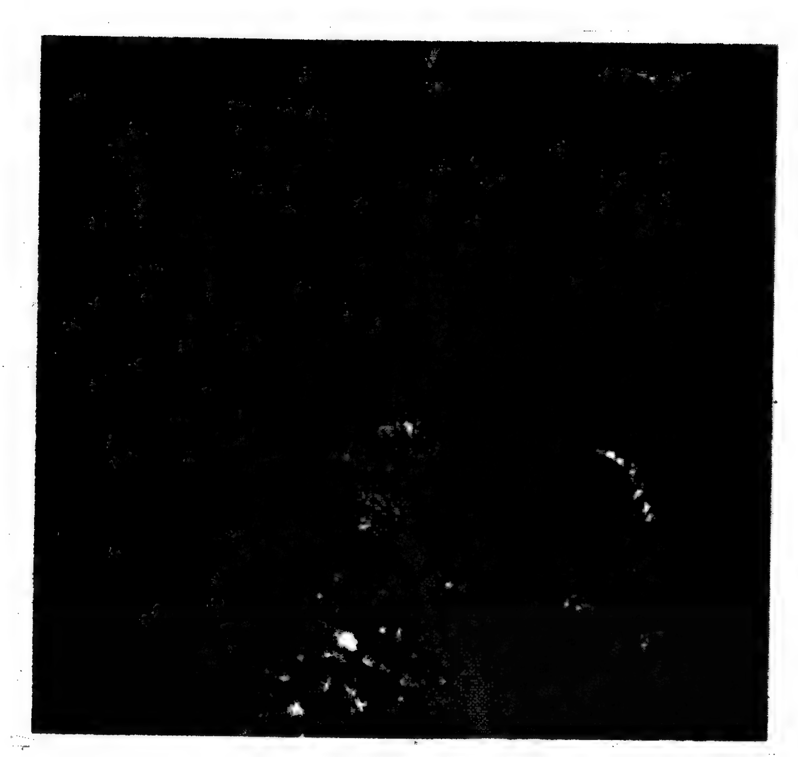
أخذت الصور في سنة ١٣٨٢ هـ



البواخر بميناء جدة الحالى



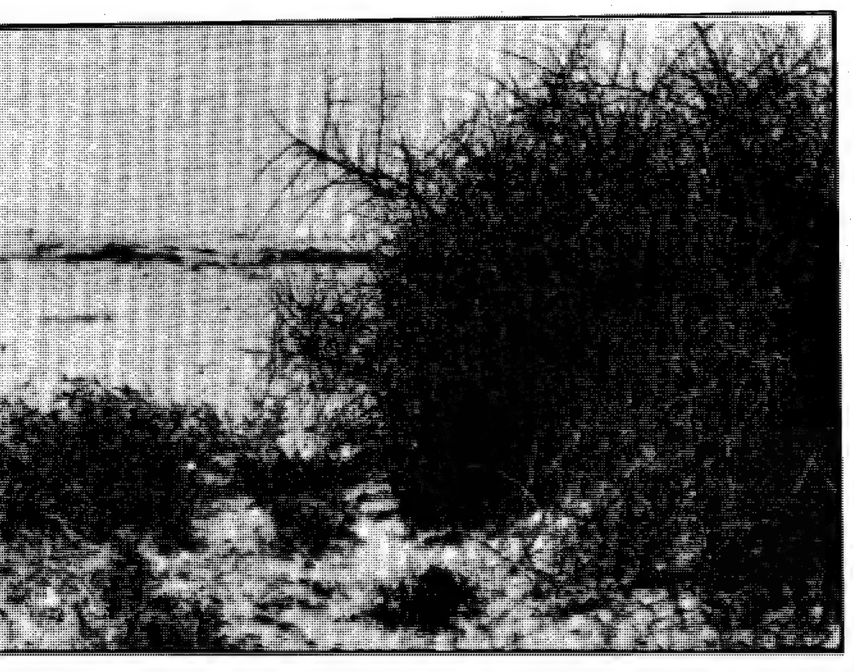
الباخرة ملك آل عرب ـ سابقا



منظر نبات اليسر ببحر جدة



برج الحمام بمتنزه جدة



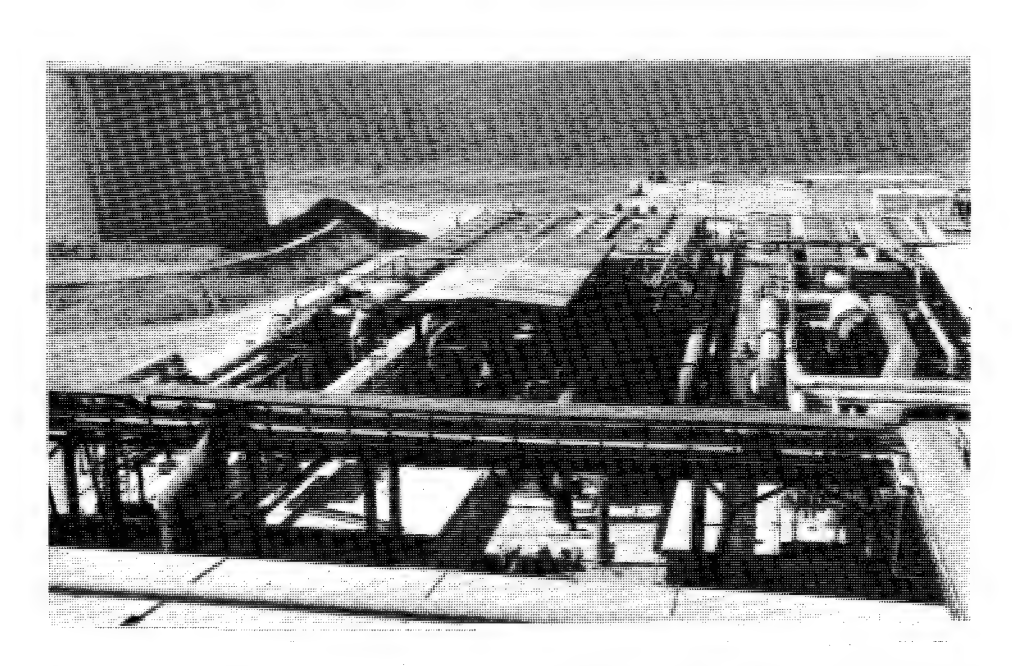
شجرة تنضب
شارع المدينة المنورة
بجدة



شجرة تـرِن
بشارع المدينة المنورة
بجدة

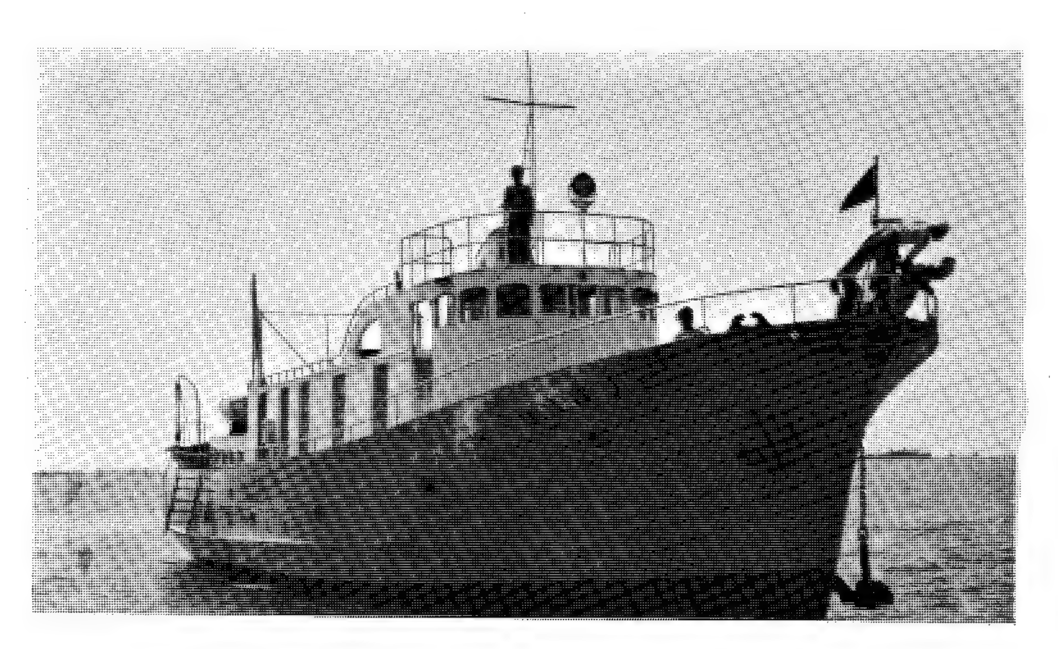


صناعة الموبيليات بجدة

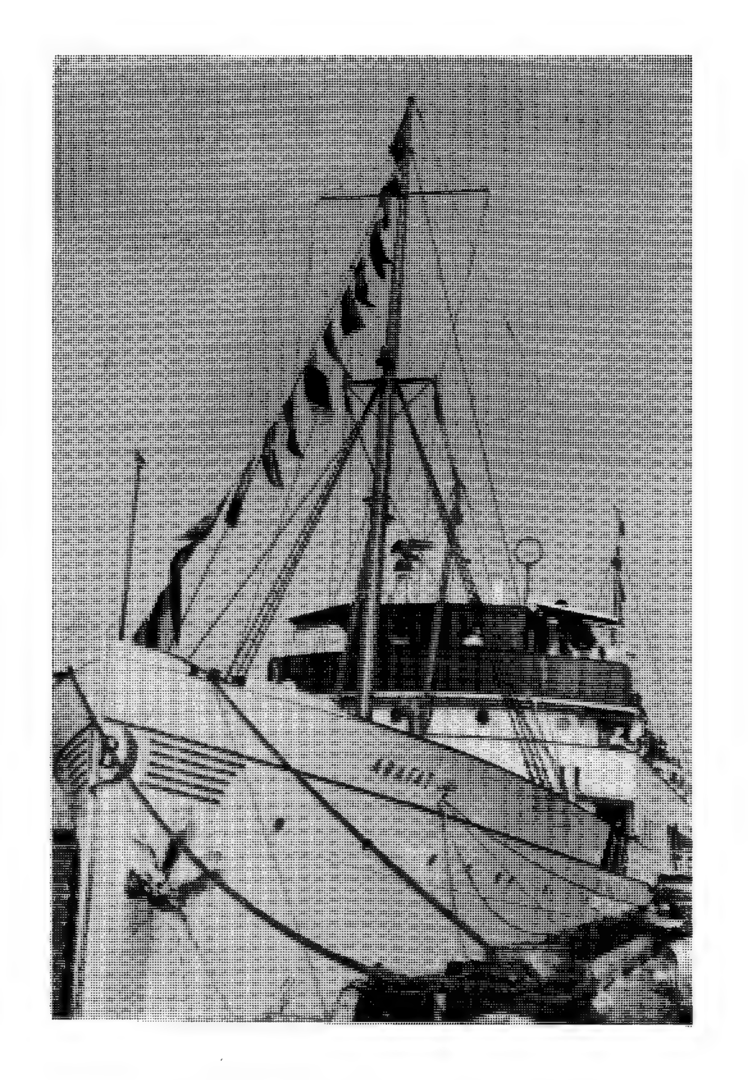


معمل اعذاب مياه البحر بجدة ·· أخذت الصورة لكتاب تاريخ مدينة جدة سنة ١٣٨٢ هـ
سنة ١٣٨٢ هـ

ميناء جدة الاسلامي : أخذت صورته سنة ١٣٨٢ هـ

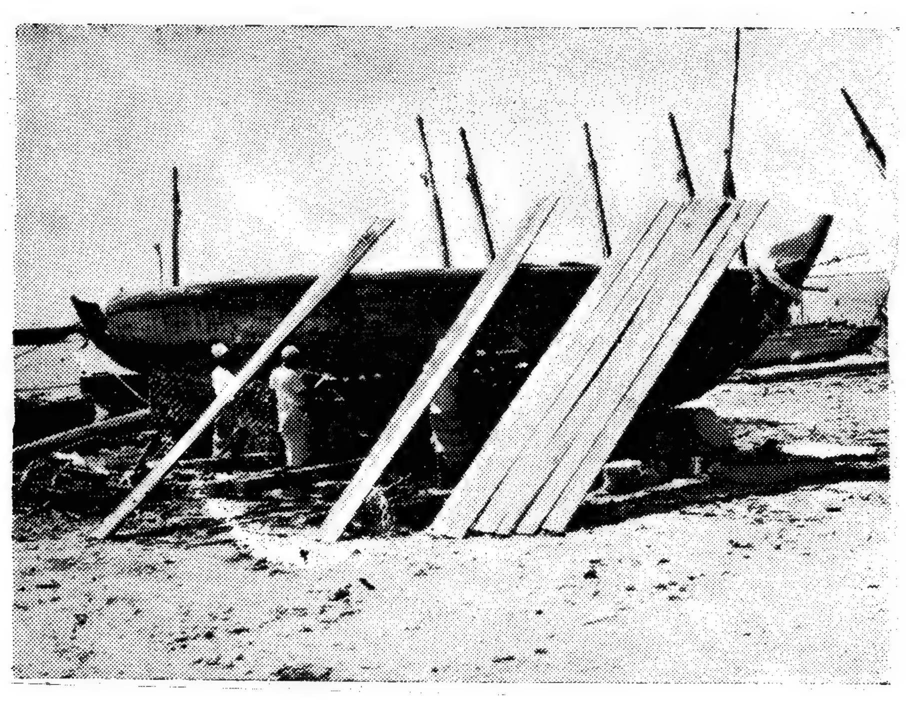


الزورق : (احد) التابع لمصلحة خفر السواحل بجدة
(بنى فى مصنع زوارق اللؤلؤ ـ بالبغدادية فى جدة)



الباخرة « عرفات » احدى بواخر الخطوط
البحرية السعودية .. وقد أخذت الصورة
بمناسبة الاحتفال بتدشينها ..

ناقلة زيت ضخمة ببحر جدة سنة ١٣٨٢ هـ

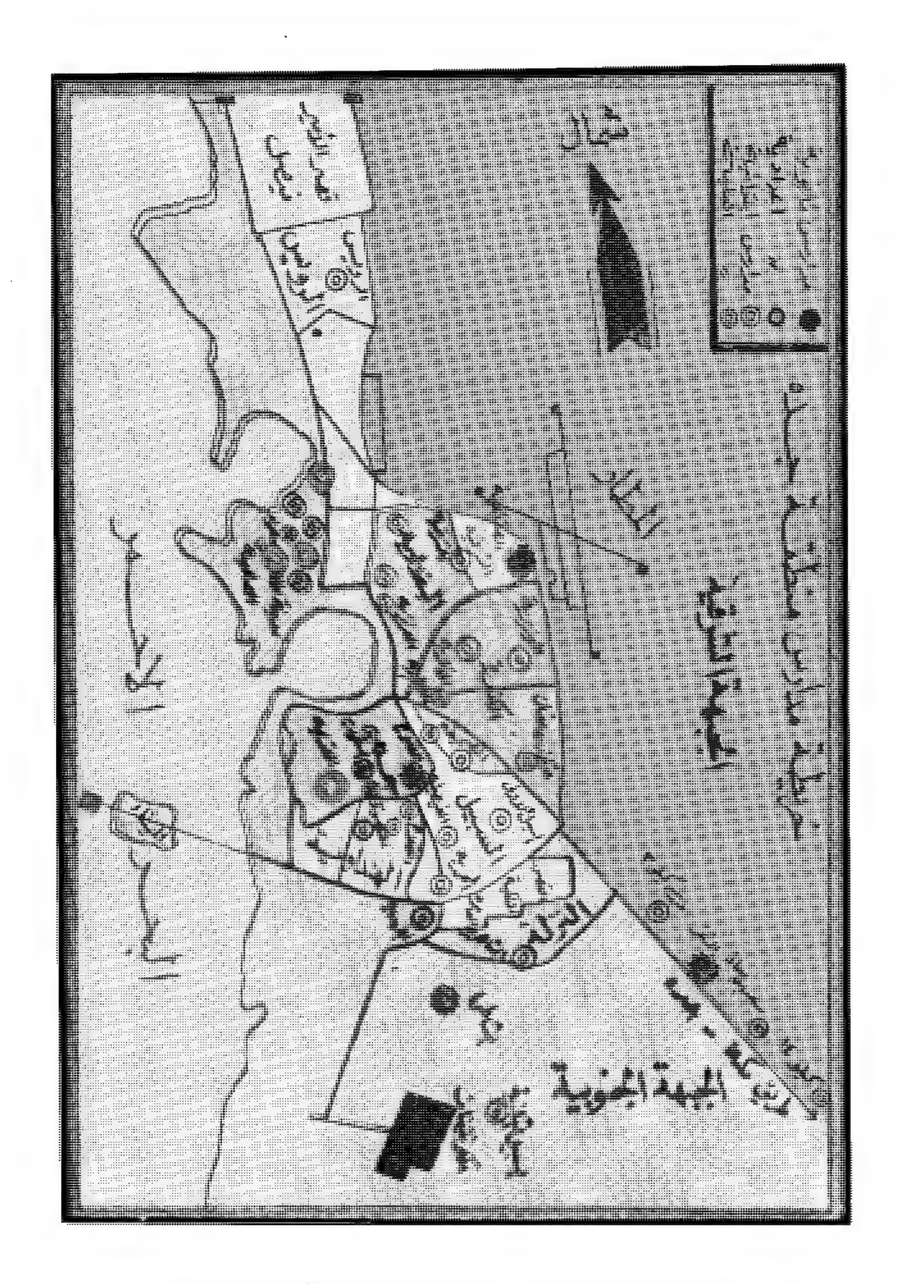


صناعة المراكب البحرية من الخشب في جدة سنة ١٣٨٢ هـ

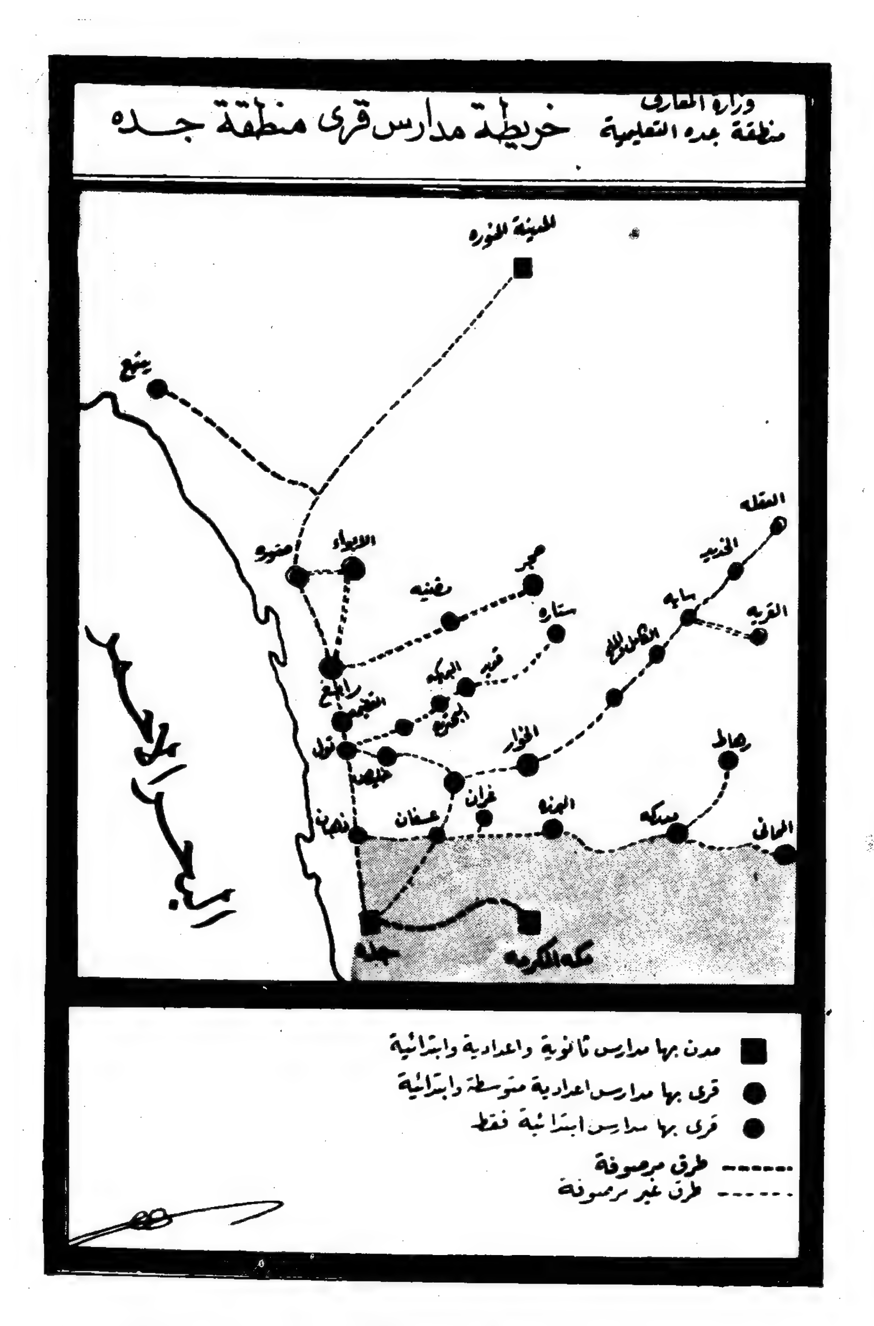
● خرائط خاصة وعامة بمدينة جُدة ●

ضممنا الى مجموعة صور الكتاب ، صوراً للخرائط التى كانت موجودة في الطبعة الأولى منه ٠٠ وهي ثلاثة أقسام ٠٠ الأول : خريطة لمدارس منطقة جدة سنة ١٣٨٢ هـ ٠٠ الثاني : خريطة مدارس قرى منطقة جدة سنة ١٣٨٢ هـ ٠٠ والثالثة خريطة عامة لجدة سنة ١٣٨٢ هـ ٠





١ ـ خريطة مدارس منطقة جُدة سنة ١٣٨٢ هـ .



٢ ـ خريطة مدارس قرى منطقة جُدة سنة ١٣٨٢ هـ .

فهرس فهارس الكتاب



فهرس	صفحة	تحديد مواقع الفهرس من الكتاب
■ فهرس الآيات القرآنيـة ... ... ■ فهرس الأحاديث النبوية ... ... ■ فهرس الشعر العربي	٦	يقع قبل فهارس الأعلام
■ فهرس الصور الملكية في مطلع الكتاب		
■ فهرس الرسائل الملكية عن الكتاب		
■ فهرس الأعلام	٢٦	يقع بعد فهـارس الآيات القرآنيـة والحديث والشعر .
■ فهرس صور بعض شخصيات جدة المعاصرة	٤	يقع في ص ٨٨٧ .
■ فهرس الأماكن والمعالم	١٨	يقع في ص ٩٨١ .
■ فهرس الأحياء البرية	٤	يقع بعد فهرس الأماكن والمعالم
■ فهرس النباتات والأشجار	٤	يقع بعد فهرس الأحياء البرية
■ فهرس أسماء الأسماك لدى بحارة جدة ...	٤	يقع بعد فهرس النباتات والأشجار
■ فهرس صور أسماك بحر جدة	٤	يقع بعد فهرس أسماء الأسماك لدى بحارة جدة
■ فهرس الصور المتعلقة بمدينة جدة من آثار خطية وعمارات قديمة وحديثة ومتفرقات وخرائط	٤	يقع بعد فهرس صور الأسماك لدى بحارة جدة
■ فهرس المراجع العربية	٨	يقع بعد فهرس الصور المتعلقة بجدة
■ فهرس المراجع غير العربية...	٤	يقع بعد فهرس المراجع العربية
■ فهرس موضوعات الكتاب	٥	يقع بعد فهرس المراجع غير العربية
■ فهرس تصحيح الأغلاط المطبعية	٢	يقع بعد فهرس موضوعات الكتاب

فهرس الآيات القرآنيّة
والأحاديث النبويّة
والشعر العربي



■ فهرس الآيات القرآنية ■

سورة النساء :

« لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » الآية ١١٤ ـ ص ١٦٣ .

سورة الأنبياء :

« وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون » الآية ٣٠ ـ ص١٦٣ .

سورة الأحزاب :

« فاذا طعمتم فانتشروا » الآية ٥٣ ـ ص٩٠٧

سورة فاطر :

« ومن الجبال جُدَد بيض وحمر » الآية ٢٧ ـ ص٤٥ ، ٤٧ .

سورة الصافات :

« فالتقمه الحوت وهو مليم » الآية ١٤٢ ـ ص٦٤٥هـ ، ٦٤٦ .

سورة الرحمن :

« والنجم والشجر يسجدان » الآية ٦ ـ ص٦٤٢ .

■ فهرس الأحاديث النبوية ■

(اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) ص١٦٣ .

(أفضل الصدقة سقي الماء) ص١٦٣ .
(أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم) ص١٦٤ .

■ فهرس الأشعار ■

(قافية الهمزة)

رؤيا بها (العين) تصحو بعد اغفاء
أم أنها (العين) رأى العين للرائى ؟

(٦١ بيتاً) لأحمد بن ابراهيم الغزاوي ص١٧٠

فالقُنفُيَّانِ من حُدَارِقَ فالفرشُ فهـا تِلكَ جُدَّةُ القَورَاءُ

(بيت واحد) للعجلانى ص٤٥ ، ٦٠٦ .

(قافية الباء)

نهاية ما تهوى القلوب المـآرب
وغاية ما تبغى النفـوس الرغائب

(٩ أبيات) للجمال : قابل : محمد بن يحيى قابل ص٦٠٠ .

أيُّ سَيل مـاج بين السَّبْسَبِ ؟
أيُّ طـوفانٍ مشى عن كَثَبِ ؟
(بيتان) لمحمود عارف ص٦٣١ .

(قافية الثاء)

ولو كان رمحاً واحـداً لاتقيتـه
ولـكنه رمـح وثـان وثالثُ
(بيت واحد) ص٤٩٩ .

(قافية الدال)

أضـاف الى سنى التـاريخ جِدّه
كتـاب صـيغ في تاريخ جَدّه
(١٩ بيتاً) لمحمد بن علي السنوسي - ص٦٦٠ .

أتينا الى سعد ليجمـع شـملنا
فَشَتَّتنا سعد فلا نحن من سـعد
(بيتان) - ص٧٠

لو أنهـا عرضت لِأَشْمَطَ راهب
عَبَدَ الاله « صرُورَة » مُتعبـد
(بيتان) للنابغة الذبياني ص٢٥١

□■□

يا بدى بوزيبـا جشـمه يى
خان جهـان عبد الحميـد
(بيت واحـد) في « مرآة الحرمين » باللغة التركية . تاليف ايوب صبرى باشا ص١٤٨ (راجع ص١٩٣ ج (٣) طبع الاسـتانة سـنة ١٣٠٦ هـ) ومعنى البيت باللغة العربيـة : (بنى هـذا المنهل الجميل ، السلطان عبد الحميد) .

(قافية الراء)

تَهَادَ على اسم الله يا ماءَنا غمـرا
وسَبّح بحمد الله يا ماءنا شـكرا
(٢١ بيتا) لأحمد قنديل ص١٧٢-١٧٣

□■□

كلامك عنـدنا أعـلى اشـاره
ونظمـك عنـدنا أحـلى بشاره
بيت واحد) لمحمد بن يحيى قابل شاعر جدة في القرن عشر الهجري : ص٦٠٧ في ديوانه المخطوط بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة .

□■□

سل الدار والأجيال هل طلع الفجرُ
على مثل هذا اليوم أو حدث الذكرُ
(١٤ بيتا) لفؤاد الخطيب ص١٦٩-١٧٠

□■□

سـيادتك العظمى العمـيم سرورها
عـلى الفلك الأعلى وأنت أثيرُها
(بيتـان) لمحمد بن يحيى قابل ص٦٠٤ في ديوانه المخطوط بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة .

□■□

يا لك من قُنبُرةٍ بمعمـرِ
خـلا لك الجوُّ فبيضي واصفري
ونقري ما شـئتِ أن تنقري
(ص٦٢٣هـ)

□■□

يا لهف نفسى كان جـدة خـلده
وبيـاض وجهك للتراب الأعفر
(بيت واحد) للهذلي - ص٤٧

□■□

(قافية السين)

يا ذوي الرأي والحِجى والكياسـه
خلصونا من « دوشة » الكنداسـه
(١٠ أبيات) لمحمد سـعيد عتيبى - ص١٥٢ ، ١٥٣ .

أفرعكِ أم جنح من الليل دامسُ ؟
ووجهكِ أم بدر جلته الحنادسُ ؟
(٢٢ بيتاً) لمحمد بن ابراهيم جوهر — ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

□■□

(قافية الشين)

ياما لعبنــا في ســطوح الباشه
والتمــره حنثا والعرب حشتاشه
(بيت عامي واحد) — ص٥٢٠ .

□■□

(قافية الصاد)

كأن سراتــه وجــدة متنــه
كنــائن يجــرى بينهــن دليص
(بيت واحد) لامرىء القيس — ص٤٧ .

□■□

(قافية اللام)

ولا خَرِق هيـــق كأنَّ فؤادهُ
يَظَلُّ بـه المُكَّاءُ يعلو ويسفُلُ
(بيت واحد) للشنفرى — ص٦٢٢هـ .

□■□

(قافية الميم)

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت
ولا تبيــعُ بجَنبَي نخلة البُرما
(بيت واحـد) للنابغـة الذبياني — ص٤٥٥هـ) .

□■□

كشفت عن الماضى الســتار وأبرزت
مواهبكَ الغُر الصنوى والمعالمـا

(٤ أبيات) لمحمد حسن فقى — ص٦٥٩

□■□

ومن لم يصــانع في أمور كثــيرة
يُضَرَّس بانيــاب ويُوطأ بِمنسِمِ
(بيت واحد) لزهير بن أبي سُلمى — ص٣٠٤

□■□

عُوجَا على الطلل المحيل لأننــا
نبكي الديار كمـا بكى ابن خـذام
(بيت واحد) لامرىء القيس ص٦٠٦ .

□■□

مسقى جُدةَ الفيحاء صوبُ غَمَام
بانواءِ مزن بالغيــوث الهَوامِي
(٤ أبيات) لمحمد بن يحيى قابل ص٦٠٥

□■□

وميعـــاد الكريم عليــــه دين
فــلا تزد الــكريم على السلام
(بيت واحد) للصـــاحب بن عباد — ص٥٠٨ .

□■□

(قافية النون)

بقدر لغــات المرء يكثــر نفعُه
وتلك له عند الشدائد أعـــوان
(بيتان) — ص٢٠٣ .

□■□

طَبَت فرسانُنا والخيــلُ حتى
خشيت وان كَرُمنَ مِنَ الحِران
(٦ أبيات) للمتنبى ص١٤٢ ، ١٤٣ .

□■□

عثمان يعلم أن الحمـــد ذو ثمن
لــكنه يبتغى حمــداً بِمَجَّانِ
(بيت واحد) لأحمد ظافر المدنى — ص٥٢٨ .

□■□



فهرس الصور الملكية



(ب) صورة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية

(جـ) صورة جلالة المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز .

(د) صورة جلالة المغفور له الشهيد الملك فيصل بن عبد العزيز .

(هـ) صورة جلالة الملك المفدى (طويل العمر) خالد بن عبد العزيز .

(و) صورة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد الأمين النائبالأول لرئيس مجلس الوزراء .

(ز) صورة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العـزيز النـائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.



فهرس الرسائل الملكية

(ط) صورة رسالة كريمة من جلالة الملك الشـهيد فيصـل بن عبد العـزيز تغمده الله برضوانه ـ الى مؤلف كتاب تاريخ مدينة جُدة .

(ى) صورة رسالة كريمة من سمو الأمير فهد بن عبد العزيز بصـفة سـموه وزير الداخلية حينذاك ـ الى المؤلف .

فهرس الأعلام



(أ)

(ب)

(ت)

(خ)

(د)

(ش)

(١) الصحة : عبد الرحيم صدقة عبد الفتاح (راجع حرف العين) ص ٥٣٠ ـ ٥٣٦ . وبموجب ذلك ايضا يصحح الاسم (صدقة عبد الرحيم) حرف الصاد من هذا الفهرس ص٣٣٥ الى (عبد الرحيم صدقة عبد الفتاح) .

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس صور بعض شخصيات جُدَّة المعاصرة

فهرس الصور المتعلقة بمدينة جُدَّة
من آثار خطية وعمارات قديمة وحديثة
ومتفرقات وخرائط





فهرس الأماكن والمعالم



(فهـرس الأماكن والمعـالم)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

■ **المكتبات التجارية بجدة :**

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأحياء البريّة



١ ـ الأحياء الثديية :

٢ ـ الطيور :

فهرس النباتات والأشجار



نباتات زينة :

نباتات مأكولة :

أشجار ونباتات أخرى :

أشجار منوعة :

فهرس أسماء الأسماك لدى بحارة جُدَّة



فهرس صور أسماك بحر جدة



فهرس المراجع العربيّة



- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : لمحمد البشاري .
- معجم ما استعجم : لعبد الله بن عبد العزيز البكرى .
- تاريخ المستبصر : لابن المجاور .
- الأعلام : لخير الدين الزركلي .
- صبح الأعشى : للقلقشندي .
- دائرة المعارف : لبطرس البستانى .
- كتاب المسافات والطرق : لرشدي مِلحِس .
- تعليقات رشدي ملحس على كتاب (اخبار مكة) للأزرقى ـ طبع المطبعة الماجدية بمكة.
- دائرة المعارف الاسلامية ـ الطبعة العربية ـ المجلد السادس .
- مرآة الحرمين : لابراهيم رفعت باشا .
- الثورة العربية ـ للورانس ـ تعريب كامل صموئيل مسيحة .
- جغرافية شبه جزيرة العرب ـ لعمر رضا كحالة .
- العالم الاسلامي ـ لعمر رضا كحالة .
- الشيخ محمد نصيف : معلومات تاريخية عنه .
- عبد الكريم الغُصَين : مهندس بلدية جدة سابقا .
- المملكة العربية السعودية ـ لتويتشل : ترجمة شكيب الأموي .
- دليم العسيري : رئيس قلم مرور جدة سابقاً .
- التقرير التمهيدي لتصريف المجارير لمدينة جدة
- تاريخ العرب قبل الاسلام : لجواد علي .
- تاريخ الأمم والملوك : للطبري .
- المنجد : للويس معلوف .
- لسان العرب : لابن منظور الأنصاري .

- القاموس المحيط : للفيروز آبادي .
- السلاح والعدة في فضل ثغر جدة : لعبد القادر بن فرج .
- نشاط وزارة المواصلات : لوزارة المواصلات السعودية .
- صفة جزيرة العرب : للهمداني .
- تهذيب الأسماء واللغات : للنووي .
- رحلة ابن جبير : لابن جبير .
- رحلة ابن بطوطة : لابن بطوطة .
- الروض المعطار بأخبار الأقطار : للحميري .
- الرحلة الحجازية : للبتنوني .
- دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي .
- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ـ لأحمد زيني دحلان .
- معجم معالم الحجاز : لعاتق بن غيث البلادي .
- مجلة الحج : الملحق الخاص بالعين العزيزية : (السنة الأولى) .
- أخبار مكة : لأبى الوليد الأزرقي .
- معجم البلدان : لياقوت الحموي .
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادي .
- التيارات الأدبية الحديثة : لعبد الله عبد الجبار .
- الاعلام بأعلام بيت الله الحرام : لقطب الدين الحنفي .
- السيرة النبوية : لابن اسحاق .
- السيرة النبوية : لابن هشام .
- الانسان والقرآن : لعباس محمود العقاد .
- أساس البلاغة : للزمخشري .
- الأصنام : لابن الكلبي .
- المنهل : مقال للسيد رزق الطويل (عدد ذي الحجة ١٣٧٩هـ) .

ـ الأخبار الطوال : للدينوري .
ـ العلم عند العرب وأثره في تطوير العلم العالمي : لألدوميلى .
ـ من الساميين الى العرب : لنسيبة وهيب الخازن .
ـ ذكر المسافات والأقاليم : لأحمد بن سهل أبى زيد البلخي .
ـ المسالك والممالك : للأصطخري .
ـ أطلس التاريخ الاسلامي : ترجمة ابراهيم زكي خورشيد .
ـ سفرنامه ـ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب .
ـ سفرنامه ـ ترجمة الدكتور أحمد خالد البدلى بجامعة الرياض .
ـ أطلس التاريخ الاسلامي .
ـ معركة وادى المخازن ودور الأسرة الريسونية فيها : لعلى الريسوني .
ـ الموسوعة العربية : لألبرت ريحانى .
ـ تاريخ مكة : لأحمد السباعي .
ـ ديوان الشاعر الجُدَّيّ في القـرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين : محمد بن يحيى قابل (مخطوط) .
ـ مختصر تاريخ جدة : لحسن أبو الحمائل (مخطوط) .
ـ مذكرات محمد صالح بن علي باعشن (مخطوط) .
ـ ماضي الحجاز وحاضره : لحسين نصيف .
ـ يقظة العرب : لجورج أنطونيوس .
ـ الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف : لمحمد بن ظهيرة القرشي .
ـ المستشرقون والأماكن المقدسة : لمحسـن جمال الدين .
ـ البلاد العربية والدولة العثمانية : لساطع الحصري .
ـ ملوك العرب : لأمين الريحاني .
ـ البلاد العربية السعودية : لفؤاد حمزة .
ـ دليل المملكة العربية السعودية : لفؤاد شاكر .

- معلومات عن المملكة العربية السعودية : للمديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر .
- المملكة العربية السعودية : للمديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر .
- رسالة جوابية الى المؤلف من الدكتور هشام ملحس مندوب وزارة الصـحة بالرياض ـ في جدة .
- معلومات من مندوبية وزارة الصحة ـ الى المؤلف .
- ديوان المتنبي : لأبى الطيب المتنبي .
- ديوان فؤاد الخطيب : لفؤاد الخطيب .
- رسالة جوابية الى المؤلف : من عمر نصيف .
- صور ومشاهدات من الحجاز : لمعيى الدين رضا .
- رسالة جوابية الى المؤلف : من عثمان باعثمان رئيس العين العزيزية سابقاً .
- الجوهر والدرر ، في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر : للسخاوي .
- مقال للشيخ محمد نصيف بمجلة المنهل (عدد ذي القعدة ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م ص٥٨ عن مدرسة الفلاح بجدة) .
- تقرير عن مكتب تخطيط المدة بجدة .
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب : لسليم أحمد فارس الشدياق .
- رسالة جوابية الى المؤلف : من محمود عارف عن الكنداسة في جدة .
- محمود عارف وعبد الله باعكضة : معلومات منهما ـ للمؤلف .
- ابراهيم عبد العزيز المكتوم سكرتير ادارة التعليم بجدة : معلومات مستقاة منه .
- رسالة الى المؤلف : من محمد صالح ابراهيم الغزامي : مدير مدارس الفلاح بجدة .
- وزارة المعارف في خمس سنوات (كتاب) .
- المملكة العربية السعودية (كتاب) لوزارة التجارة .
- رسالة الى المؤلف : من أحمد المبارك عن عدد المدارس والأساتيذ والطلاب بمنطقة جدة وما الى ذلك حول أوائل مديري التعليم بجدة .
- جريدة البلاد بجدة .
- جريدة الندوة بمكة .

- جريدة المدينة المنورة .
- ذكريات مدرس (كتاب) لعبد الرحمن بكر صباغ .
- تقرير بعث به الى المؤلف : الأستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم بمنطقة جدة التعليمية سابقاً .
- رسالة بعث بها الى المؤلف : حامد فطاني مفتش مدارس البنات سابقاً .
- رسالة بعث بها الى المؤلف : المدير العام للبنك الأهلي التجاري بجدة .
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (كتاب) لابن خلدون .
- العادات والتقاليد والتعابير المصرية : لأحمد أمين .
- الكتاب الفضي للمنهل صدر سابقاً بمناسبة بلوغه (٢٥ عاماً من عمره المديد) .
- أرض الأنبياء : الترجمة العربية للديراني .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني .
- حاضر العالم الاسلامي : تعليقات الأمير شكيب أرسلان على هذا الكتاب .
- معلومات : عن الشيخ علي طه رضوان .
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (كتاب) للمحبي .
- تاريخ السودان : لنعوم شقير .
- تراجم علماء جدة من الحضارمة : لعلى بن سالم بن عمر بن أحمد العميري .
- أضواء على المملكة العربية السعودية : للمديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر .
- معلومات للمؤلف : من علي نصيف مدير أوقاف جدة سابقاً .
- معلومات للمؤلف : عن عبد القادر محتسب مدير البريد بجدة سابقاً .
- معلومات للمؤلف : من علي شيخ جمـل الليل مدير بريد جدة السابق .
- الدليل العام لمشتركي الهاتف بجدة لسنة ١٣٨٢ هـ .
- معلومات : عن محمد نور رحيمي رئيس مديرية الجمارك بجدة سابقاً .
- قرار من وزير المالية السعودي بالرقم ٥٧ في ١٣٥٨/٦/٢٧هـ بالغـــاء مصلحـــة البندرول .
- الذكرى العربية الذهبية : لعبد الله فلبي ـ الطبعة العربية .

ـ القائمة الدبلوماسية لوزارة الخارجية سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .

ـ معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي : لزامباور .

ـ مذكرات أسامة بن منقذ : (الاعتبار) .
ـ مملكة في الميزان : للسوادى .

ـ التقرير السنوي لعام ١٣٨٠هـ لمؤسسة النقد السعودي .
ـ مجلة التجارة بجدة (عدد شعبان ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م .

ـ معلومات عن : سهل خيري قباني مدير مصنع الأسمنت بجدة ـ سابقاً .

ـ معلومات عن مصنع الأسمنت الأول بجدة: عن العضو المنتدب لادارة المصنع : عبد الله السعد .

ـ الأمثال العامية في نجد : لمحمد العبودي .

ـ تاريخ الطباعة في الشرق العربي : لخليل صابات .

ـ تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجي زيدان .

ـ من تاريخنا : لمحمد سعيد العامودي .

ـ مجلة قافلة الزيت (عدد ربيع الأول ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) .

ـ معلومات عن علي محمود عبد الصمد عمدة محلة اليمن بجدة حول أسماء محلات جدة .

ـ دراسة لكتاب (أحسن التقاسيم) : لعدي يوسف مخلص .

ـ نشرة حصر السكان والمؤسسات : اصدار وزارة المالية والاقتصاد الوطني (حول عدد مبانى جدة عام ١٣٨٢هـ) .

ـ طبقات فحول الشعراء (الجزء الأول) لابن سلام : تحقيق محمود محمد شاكر .

ـ معلومات عن حمد محمد العبيدي المهندس الزراعي السابق بوزارة الزراعة حول مجموع الحيوان البري : الثدييات والطيور والزواحف .

ـ كتاب النبات والشجر : للأصمعى .
ـ الموسوعة العربية : لنجيب فرنجية .
ـ المختار من حياة الحيوان : للدميري .

ـ معلومات عن : محمد بن علي السنوسي عن اسم سمكة (الرقطية) في جازان .

ـ كتاب (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) : لبكري شيخ أمين .

فهرس المراجع غير العربيّة



- حجازي ولايت سالنامه سي : كتاب عثماني دوري رسمي باللغة التركية .

- دائرة المعارف البريطانية : الطبعة الحادية عشرة باللغة الانكليزية .

- دائرة المعارف الأمريكية باللغة الانكليزية : الجزء الأول .

- مرآة الحرمين ـ باللغة التركية : لأيوب صبرى باشا .



فهرس موضوعات الكتاب



صفحة

صفحة

فاذا لاحظنا أن مجموع صفحات الكتاب حتى آخر صور الأسماك هو ٧٢٠ صفحة . وأضفنا اليها مجموع صفحات الصور الأخرى وفهرس الفهارس يصبح مجموع صفحات الكتاب كلها (٩٧٨) صفحة ، ونحمد الله جل وعز على توفيقه بانجاز طبع الجزء الأول من هذه الموسوعة الأولى من نوعها بالنسبة لتاريخ مدينة جدة .

فهرس تصحيح الأغلاط المطبعية

في

موسوعة تاريخ مدينة جُدَّة

الجزء الأول ـ الطبعة الثانية

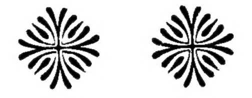
الخطــأ	الصــواب	الصفحة	السطر	ملاحظات
كتاب	كتابة	٢٠	٢٢	
عُنَكِش	عُنَيكِش	٢٠	٢٤	
كسر	كِسرَى	٣١	١٨	
رائحة	رائعة	٥١	١٢	
ومائتين للهجرة	ومائتين وألف للهجرة	٥٣	٦	
الشَّعبِيَّة	الشَعَيبَة	٥٥	١	
احداها	احداهما	٥٧	١٤	
العُيَيد	العُيَيدي	٦٢	١٥	
الفظيفة	الفظيعة	٨١	١٦	
والشميد	والثميد	٨١	١٨	
وكسران	وكمران	٨٥	١٩	
شبه جزيرة العرب	جغرافية شبه جزيرة العرب	٨٦		السطر الأخير بهامش الصفحة
الخزاعة	الخزاعي	١٠٩	٨	
في كميات	كميات	١١٣	١٣	
وبحارين	وبخارين	١١٤	٥	
المحازن	المخازن	١٣٧	٩	
وأهالِ	وأهَالى	١٦٤	١١	
صفاتك ما لهذا لفضلك طامس لأي هوى بعض الجرائد حرفت	لأي هوى بعض الجرائد حرفت صفاتك ؟ ما لهذا لفضلك طامس	١٨٨	١و٢	عكس الطابع شطرتي البيت المذكور ٠٠ فجعل الأولى هي الثانية والثانية هي الاولى
عبد العزيز بن حسن آل الشيخ	عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ	٢٠٥	١	
صالح بن علي باعشن	محمد صالح بن علي باعشن	٢٣١	١٣	
والمنتزهات	والمتنزهات	٢٣٨	٩	
وبقي ثابتاً	وبقي بعضه ثابتاً	٢٤٣	٤	
عن ٥٣ سنة	عن ٦٣ سنة	٢٤٥	٣	

فهرس تصحيح الأغلاط المطبعية

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	ملاحظات
بعدها واو	بعدها راء	٢٥١	١٨	
قليلة	قَـلِـيَّة	٢٥٢	٣	
مشددة	مشددة منونة	٢٦٠	١٦	
صبوا	صبوراً	٢٨٣	١٢	
جعل (اثرنا) الى آخر السطر هو الخامس والرابع	الصحة : العكس	٣١٥	٤و٥	معكوسان في الطبع والصحة غير ذلك
عدم اسمه	عدل اسمه	٣٣٥	٨	
صدقة عبد الرحيم	عبد الرحيم صدقة	٣٣٥	٤و٨	
سالم بن عمر	علي بن سالم بن عمر	٣٥٣	٣	
وقد عقدت	وقد عقد	٣٩٨	٥	
مكو	مكة	٤٠٣	١٧	
أحِلَّ	أُصِّلَ	٤١١	١٥	
مدخل عام .. وبهو كبير	مدخلا عاماً..وبهواً كبيراً	٤١١	١٠	
ابن جبير وحده في رحلته	ابن جبير وابن بطوطة في رحلتيهما	٤٢٣	١٦	
وتمنى ان يكمر	وتمنى أن يعمر	٤٤٠	١٤	
بالكهرباء في ستة أدوار	بالكهرباء في خمسة أدوار	٤٤٠	٢٤	
المساجد في جدة	الفنادق في جدة	٤٤٣		
والخفى	والخَفِـيُّ	٥٠٤	٧	
فهذه تسعة عشر	فهذه ثمانية عشر	٥٠٨	١٨	
الغربية	العربية	٥١١	١٨	
يملؤونة	يملأونه	٥١٥		
علمائها وأدبائها	علمائه وأدبائه	٥٢٣	٣	
تحت مسجد عكاش	في شارع سوق الندى	٥٢٩	١٠	
مكتبة الاصفهاني أواسط البلدة	يلغيان لأنهما مكرران لما في الصفحة ٥٢٩	٥٨١	١٩و٢٠ ٢٠	
المُنَدى	المَنَدي	٥٨٦	٢١	
أشرنا اليه آنفا	تشطب هذه الجملة			بهامش أسفل الصفحة
بلانسه	وبالمناسبة	٦٣١	١٣	
أكيداً جُدة	أكيداً بجدة	٦٣٧	٤	

فهرس تصحيح الأغلاط المطبعية

الخطـأ	الصـواب	الصفحة	السطر	ملاحظات
بتجفيها	بتجفيفها	٦٤٧	١٣	
٨٥٤ هـ	......	٦٤٨		السطر الأخير
البياحي	البياض	٦٥١	١٥	
تضم	تضع	٦٥٣	٣	
أبو تيسي	أبو تبسي	٦٨٧		السطر الأخير
أم عطية	أم معطية	٦٩١		السطر الأول
الكركريت	الكركرات	(ح)		من بحث متفرقات عن صناعات جدة
يستخرج البحر ماء ملحها	يستخرج الملح من ماء بحرها	(م)		بالصفحة الثانية
المدة	المدن	٩٦٢	١٤	
يخرج منه المسافرين	يخرج منه المسافرون			بحث المباني الاثرية في جدة
مدير تحرير	رئيس تحرير ...	(ى)		من العمود الاول
بلدة جدة	بلدية جدة	٩٧٢	٢	
حجة شرعية مخطوطة صادرة من المحكمة الشرعية بجدة مؤرخة في ١٤ المحرم ١٢٣٠ هـ	يضاف الى ذلك ما يلي : (وهي التى أشرنا اليها في الصفحة ٣٣٤ مع السطر ٣و٤ في بحث «قضاة جدة»			



طبـع بمطـابع الروضـــة بجـدة